

الكوميديا الإلهية

المطهر

دانتي البجيري

مكتبة بغداد

[twitter@baghdad_library](https://twitter.com/baghdad_library)

ترجمة

حسن عثمان



دار المعارف

كوميديا
دانتي أليجيري

”الفلورنسي مَوْلِدًا لِأَخْلَقًا“

النشيد الثاني
المَطْهَر

ترجمة
حَسَنَ عُمَانَ



دارالمعارف بمطرب

١٩٦٤

ملتزم الطبع والنشر دار المعارف بمصر - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.ع.م.

إلى
عشیرتی
وقومی
وبیلا دی

تصديير

سبق أن قدّمت للقارئ العربي ترجمتي بلجيم دانتى ، وهى الجزء الأول من الكوميديا الإلهية ، الذى نشرته دار المعارف فى خريف سنة ١٩٥٩ وأقدّم الآن للقارئ العربي ترجمتي للمطهر ، وهى الجزء الثانى من الكوميديا الإلهية

وإننى شاكر للشعبة القومية لليونسكو بوزارة التعليم العالى ولنظمة اليونسكو فى باريس تفضلهما بتيسير أسباب سفرى إلى الخارج استكمالاً للبحث والدرس ، فى نطاق المشروع الكبير لتبادل القيم الثقافية بين الشرق والغرب ، مؤملاً التوسع فى ذلك ، بزيادة عدد المبعوثين إلى الخارج ، وبتوفير المال الكافى والزمن المناسب ، وبتجنب عنصر السرعة فى الانتقال ، والاستئناس برأى المبعوثين فى الطريقة التى يُنفذ بها برنامج الأسفار قبل اتخاذ قرار نهائى ، مما سأشير إلى شىء منه فى تذييل هذا الكتاب ، وذلك تحقيقاً للفائدة وتوطيداً للروابط العلمية والأدبية والفنية والثقافية بين أرجاء العالم المتحضّر ، ولما فى ذلك من أسباب تقدم الأمم ونهوض العمران

وإننى أتقدم بالشكر والإعزاز لجماعة من الأصدقاء والزملاء الذين كان لهم علىّ فضلٌ فى شرح مسألة ، أو اقتراح فكرة ، أو تشجيع أدبى ، أو إعارتى بعض الكتب ، أو تيسير أسفارى إلى الخارج أو كتابة المخطوط على الآلة الكاتبة — أتقدم بالشكر والإعزاز إلى الدكاترة الأساتذة محمد عوض محمد ، وعبد العزيز السيد ، وعبد العزيز القوصى ، وأحمد بدوى ، وعبد المنعم أبى بكر ، وعز الدين فريد ، وسلامة حماد ، وعلى النشار ، وأحمد حمدى محمود ، وإبراهيم زكى ، وأنخل تراپيرو ، ومحمد أنور خليف ، وعبد المنعم يونس ، وأحمد فؤاد الأهوانى ، ويونس الحضراوى ، ومحمد كفافى ، ومحمد محمود الصياد ، ومحمد محمد توفيق ، وجمال الدين الشيال ، والسيد الباز العريبي ، ورينيه خورى ، وبربارا ووكر ، والشاطر بصيلى عبد الجليل ، وسعد عاشور ، ومحمد سلامة ، ونعيم ميشيل أندراوس

وكذلك أشكر رجال دار المعارف لما بذلوه من العناية والجهد والصبر في سبيل
إخراج هذه الترجمة في الثوب اللائق بها

وعسى أن ينال عملي بعض القبول لدى القارئ العربي ولدى بعض المختصين في
الدراسات الدانتية وأرجو أن يأتي في المستقبل من يفعل في هذا المجال أفضل
مما فعلت وإني لأسأل المغفرة والصفح عما أكون قد وقعت فيه من الأخطاء وأوجه
النقص وأرجو أن أعمل على إبراز ترجمة الفردوس بأفضل مما عملت في الماضي
إن شاء الله

حسن عثمان

معهد الدراسات الأفريقية

بجامعة القاهرة

٣٣ شارع المساحة الدقي - الجيزة

٨ يونيو سنة ١٩٦٣

مقدمة

تمهيد - بعض أصول المطهر - وصف عام
للمطهر - شىء من فن دانتى فى المطهر - دانتى
فى المطهر - فرجيليو فى الجحيم والمطهر - بياتريتشى .

في مقدمة ترجمتي للجحيم عرضتُ وصفاً عاماً للعصور الوسطى ، وتكلمت عن البيئة التي نشأ فيها دانتى ، وتناولت حياته وشخصيته ، وأشارت إلى بعض مؤلفاته الصغرى ، وإلى أصول الكوميديا الإلهية ، ومميزاتها العامة ، وذكرت شيئاً عن بعض ترجمات الكوميديا ، وعن الدراسات الدانتية في أنحاء من العالم ، وذلك لتقريب دانتى والكوميديا والجحيم إلى القارئ العربى وإن هذا الذى سبق ليساعدنا على الاقتراب من المطهر وفهمه ، فضلاً عما أنا بسبيل تقديمه في هذه الآونة

« ١ »

نالت الجحيم في بعض الأوساط من العالم الغربى ، وربما في المشرق ، شهرة خاصة ، وربما ظن بعض الناس أن الكوميديا هي الجحيم فحسب ، أو على الأقل أن الجحيم هي الجزء الجدير وحده بالقراءة والتذوق ، لأن دانتى — في رأيهم — قد بلغ فيها أعلى مراتب الإبداع ، دون المطهر والفردوس ولعل هذا الرأى يرجع إلى ما قدمه دانتى في الجحيم من مشاهد الأسى والعذاب ، ولما أبرزه فيها من الشخصيات الحية ، مثل فرنتشسكا دا ريمبى وفاريناتا دلتى وأوبرتى وأوجولينو دلا جيراردسكا ، ولأنها احتوت على قدر من الشعر الغنائى أكبر مما ورد في سائر الكوميديا على أن هؤلاء القراء العذر فى اتجاههم هذه الوجهة ، لأن الحديث عن الأسى والعذاب والآلام ربما كان أقرب إلى النفس وأبلغ تأثيراً ولعل طول الكوميديا وما تحتويه من مسائل العلم أو اللاهوت قد صرف الكثيرين عن المضى فى قراءتها كاملة ، فوقفوا عند قراءتهم للجحيم كلها أو بعضها

ونجد دوروثى سايرز مترجمة الجحيم والمطهر والأنشودات العشرين الأوليات من الفردوس — والتي أكملت ترجمتها باربارا رينولدز — ونشرت فى مجموعة پنجوين فى إنجلترا — نجدها كما نجد غيرها من الدارسين ، يعدون دانتى قد بلغ فى المطهر أعلى مستواه الأدبى ، لما امتاز به هذا الجزء من الرقة ، ومن فيض الشعور الإنسانى ، ومن الإيمان والغفران والأمل فى بلوغ الفردوس ، إذ يرى هؤلاء أن

الكلام عن هذه المعانى يقتضى مجهوداً فنياً يفوق ما يتطلبه الكلام عن الأسى والعذاب والنيران أو عن السعادة العلوية

ومع الاعتراف بالصعوبة التى يلاقيها الشاعر حينما يتناول المسائل المتعلقة بالإيمان والغفران والتطلع إلى السعادة العلوية فليس من الإنصاف فى شىء المفاضلة بين أجزاء الكوميديا الثلاثة ، لأن دانتى قد أشاد عوالمه فى الجحيم والمطهر والفردوس كلاً على النمط الذى يلائمه ، وتبعاً لمضمونه ومميزاته وخصائصه ، وإن كان بعضها يتداخل فى بعض وينساب من عالم إلى آخر ، بناء على خطته العامة ، وعلى هدفه الأسمى الذى أراد أن يبلغه بكتابته الكوميديا كوحدة فنية شاملة مكتملة متألّفة .

« ٢ »

لم يكن دانتى أول من تناول فكرة العالم الآخر أو فكرة التطهر ، فى أثناء الحياة أو بعد الموت أو بعد يوم الحشر ، أو فى أكثر من مرحلة من هذه المراحل ، إذ ارتبط ذلك أبداً بما خالج البشر بشأن مصيرهم ، وما اعتورهم من المشاعر ، إزاء الآثام والخطايا وظهر أثر ذلك فى التراث الإنسانى منذ أقدم العصور

ومن الأمثلة على ذلك أننا نجد فكرة الميزان لأعمال البشر عند الموت ماثلةً فى ديانة المصريين القدماء ، فعندهم أوزيريس الذى يزن أعمال الناس ، ويدفع كلاً منهم إلى الجزاء العادل وفى ديانة الفرس نجد ما يسمى بالتشينواتو پرتو - أى جسر الحساب أو جسر المفرق - الذى يمتد عبر هاوية الجحيم بين الأرض والسماء ، ويتسع للنفوس الصالحة ، ويضيق للنفوس الشريرة حتى يصبح أدق من الشعرة وأحد من الموسيقى ، وتعذب به الأرواح فى مقامات متعددة ، حتى تتطهر من آثامها وتصبح جديرة بالصعود إلى السماء وفى تراث اليونان نجد فيثاغورس يقول فى القرن السادس ق.م. بتطهر الروح فى أثناء الحياة بالدراسة والتأمل وقال أفلاطون فى بعض محاوراته فى القرن الرابع ق.م. بضرورة العقاب للتخلص من الشر وقال الرواقيون فى القرنين الرابع والثالث ق.م. بضرورة تطهر النفس من الخطايا

بعد الموت ، حتى تنال السعادة في الحياة الآخرة

وفي بعض طبقات التوراة نجد إشارات إلى الفكرة التي تعبر عن احتمال زوال الخطيئة عند الموت ، بالصلوات والابتهالات ، في السفر الثاني للمكابيين ، الذي يرجع إلى القرن الثاني ق.م. وفي إنجيل متى إشارات إلى فكرة التطهر ، وإلى ما يُغفر وما لا يغفر من الخطايا ، في هذا العالم أو في العالم الآتي وجاء في الرسالة الأولى للقديس بولس إلى أهل كورنثوس ، أن النار ستمتحن عمل كل فرد وتميز بين الخير والشر وتكلمت المدرسة السكندرية على لسان القديس كلمنتو الغنوصي وعلى لسان أوريغون ، في القرنين الثاني والثالث للميلاد ، عن تطهر النفوس من الآثام بالنيران في الحياة الآخرة ، إذا هي لم تكفر عن آثامها في الحياة الدنيا ووردت في الرسالة الثانية للقديس بولس إلى أهل كورنثوس إشارة إلى اختطافه إلى السماء الثالثة ، سواء أكان ذلك بالجسد أم خارجه ، وعليها بي قصص في القرن الرابع ، وأخذ ينمو ويتشكل حتى القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، وجاء فيه وصف صعوده إلى السماء ومشاهدته جسراً أدق من الشعر يمتد فوق هر عكر مضطرب ، ويصعد من الأرض إلى السماء ، وتعبه النفوس الصالحة في سهولة ويسر ، على حين تسقط عنه النفوس الشريرة ، فيجرفها تيار النهر الصاحب . وقال القديس أوغسطين في مدينة الله في القرن الخامس بأن المطهر امتداد للتطهر الذي ينال الروح في أثناء الحياة ، وبأن التطهر يحدث في أثناء الحياة أو بعدها أو في كلتا المرحلتين ، وبأنه يتم قبل يوم البعث ويميز القديس سيزاريوس الأريسي في القرن السادس ، بين الكبائر التي تؤدي بالروح إلى الجحيم ، وبين الصغائر التي يمكن للإنسان أن يتطهر منها بأداء الأعمال الصالحة في الحياة الدنيا ، وأيّده في ذلك القديس جريجوريو الكبير في القرن نفسه وفي النصف الثاني من القرن الثاني عشر ظهر في أوربا قصص عن المطهر ، مستمد من رؤيا القديس باتريك الإيرلندي ، التي يرجع أصلها إلى القرن الخامس ، خلاصته أن أوين الفارس الإيرلندي قد قام برحلة إلى العالم الآخر ، وزار كهف القديس باتريك ، وشهد الجسر الضيق المنحدر ، الكائن فوق بركة من الكبريت الآتي ، والذي لا يعبره غير الصالحين للوصول إلى الفردوس ووصف ما شهده من عذاب أهل الجحيم وأهل المطهر

معاً ، وقال بأن الأخيرين سيغادرون مكانهم بعد تمام تطهرهم . وجاء في رؤيا الأب يواكيمو دا فلورا في كالايريا في نفس العصر ، أقوال عن الجسر الضيق ، الذي تتفاوت سرعة العابرين عليه بحسب الخطايا ، ويرتفع عند أحد جانبيه سورٌ توجد في أعلاه روضة الفردوس وقال القديس توماس الأكويني في الخلاصة اللاهوتية في القرن الثالث عشر ، بأن الخطيئة تزول بالتطهر الذي لا يتم إلا إذا قبلت النفس العدالة الإلهية ، وبأن النفس تُعاقب بغير ما ترغب

وتحدّدت فكرة المطهر في مجمع ليون الديني في سنة ١٢٧٤ ، ثم تأكد ذلك ، بعد عهد دانتى ، في مجمع فلورنسا الديني في سنة ١٤٣٩ ، ثم في مجمع ترنت في الفترة من سنة ١٥٤٥ إلى سنة ١٥٦٣ وشجعت الكنيسة الكاثوليكية إقامة الصلوات الجامعة وشراء صكوك الغفران ، للسعى إلى تطهر نفوس الآثمين حتى يبلغوا مراتب السعادة العلوية

ووجدت فكرة الميزان في بعض آثار الفن التشكيلي القوطي فنجد مثلاً الملاك ميخائيل ، المكلف بوزن أعمال الناس ، مرسوماً في القرن الثامن على شبك في كاتدرائية شالون على المارن في فرنسا وفي الحفر البارز وفي الصور التي ظهرت في الأجيال التالية نرى ميخائيل ممسكاً بالميزان ، كما في صورة القيامة لروجير فان در ويدين من القرن الخامس عشر ، في مستشفى بون (بمدّ الضمة الخفيفة على الباء) في فرنسا ، وفي صورة القيامة لهانز مملنج من القرن الخامس عشر في كاتدرائية دانتزج وفي أعمال النحت في الكنائس الفرنسية من القرن الثالث عشر ، وفي صورة القيامة في مدافن پيزا الأثرية من القرن الرابع عشر ، وفي صورة القيامة انفرا أنجلكو في أكاديمية فلورنسا من القرن الخامس عشر ، تظهر العذراء ماريًا بمفردها أو مع القديس يوحنا المعمدان ، راکعة أمام عرش المسيح قاضي الآثمين ، وتتشفّع لديه سائلة إياه الرحمة والمغفرة ، حتى يصعد التائبون إلى ملكوت السموات .

وتراث الإسلام مليءٌ بصور متنوعة عن عالم ما بعد الحياة فنجد القرآن الكريم ، والإسراء والمعراج النبويين ، وكتب الحديث الشريف والتفسير والتصوف والأدب ، تتناول عالم الآخرة ، سواء أكان ذلك في عالم الجحيم أم في دنيا التطهر

أم في مراتب الفردوس وما جاء عن التطهر والمغفرة في تراث الإسلام نجد فكرة الميزان الذي يزن أعمال أبناء آدم ، ويوجه كلاً منهم إلى المكان الملائم ، إما إلى جهنم الجحيم الأبدية ، وإما إلى جهنم البرآنية المؤقتة للتكفير والتطهر تمهيداً لبلوغ الجنة . ومن ذلك أيضاً الصراط الذي جاء - كما جاءت أشياء منه في التراث الفارسي وفي رؤى القديسين بولس وپاتريك ويواكيمو - أنه جسر ممتد على متن جهنم ، ويرتفع من الأرض حتى سطح الفلك المكوكب ، وينتهي إلى مرجٍ خارج سور الجنة . وجاء في تراث الإسلام أن الصراط لمن لا يدخلون النار ، وعليه يعذبون ويكفرون ، وهو أدق من الشعرة وأحد من السيف ، دقيق في حق قوم عريض في حق آخرين ، وإن يجوزه أحد حتى يُسأل عن أسس الدين في سبع قناطر . وورد أنه على الصراط ثلاث شجرات يتطلع إليها المؤمن واحدة بعد أخرى . وما جاء فيه أن على الصراط مسيرٌ وصعودٌ وهبوطٌ واستواء . وجاء أن سرعة العابرين عليه متفاوتة ، فمنهم من يمشى عليه أو يجبو أو يزحف ، ومنهم من يمر عليه كالفرس المجلى ، أو يمر عليه كالريح أو كطرف العين أو لمحة البرق . وما ورد في هذا المجال فكرة الأعراف بمعنى سور بين جهنم والجنة ، تجرى فيه الأنهار وتنبت به الأشجار والثمار ، وكذلك الأعراف بمعنى الجبل الذي عليه رجال من الملائكة . وجاء أن أهل الأعراف ينتهون إلى هر الحياة وفيه يتطهرون ، وأن أصحاب الأعراف هم من استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فيقفون على السور حتى يُقضى بين الناس ، وهم آخر من يدخلون الجنة . وورد أن أهل الأعراف يطمعون في دخول الجنة بدون جدوى وبهذا المعنى الأخير يشبه اللببو - في مقدمة جحيم دانتى - فكرة الأعراف الإسلامية . ومن ذلك أيضاً فكرة البرزخ ، الذي ورد أنه سور مرتفع في الجنة وكذلك نجد أنه قبل دخول أهل الجنة إلى الجنة ، يعرض لهم عينان يشربون من واحدة مهما فيذهب ما في قلوبهم من الغل ، ثم يغتسلون من العين الأخرى فتشرق ألوانهم وتُعرف فيهم نضرة النعيم . وما جاء أن حارس الجنة رضوان كان يحمل كل حوراء لكي ترى سيدها في الدنيا ، فتفرح الحوراء إذا وجدته يصلح في ظلام الليل ، وتحنن إذا وجدته غافلاً عن صلاته

هذه أمثلة ونماذج لبعض ما ورد في نواح من التراث الإنساني المتنوع عن

فكرة التوبة والغفران والتطهر وكان من الطبيعي أن يستمد دانتى من كل ما وصل إليه من فنون المعرفة ، من البعيد والقريب ومن القديم والحديث ، ليبنى عليه عالمه الزاخر ، بدون أن ينقص ذلك من أصالته شيئاً . وقد صاغ دانتى من كل ما استقاه ، ومن كل ما أحسّه ، بناءه الشامخ ، ونفث فيه من روحه ما أكسبه الخلود .

« ٣ »

تشابه الجحيم والمطهر عند دانتى بصفة عامة ، من حيث أن موضوعهما عذاب النفوس الآثمة ولكن هناك أوجه خلاف جوهرية بين كل من هذين العالمين ولقد كان من السهل على دانتى أن يبنى الجحيم والمطهر على أساس من الخطايا السبع الرئيسية ، ويعذب مرتكبيها غير التائبين في الجحيم عذاباً أبدياً ، على حين يعذب الخاطئين التائبين في المطهر عذاباً مؤقتاً ، وكما هي الحال في رؤيا القديس بولس على سبيل المثال ولكن دانتى لم يكن خلقياً أو معلماً أو هندسياً فحسب ، بل كان قبل كل ذلك فناناً شاعراً ولم تكن تعنيه العظات الحلقية أو الآراء الفلسفية أو التناسب الشكلى وحده ، بل كان يعنيه فوق كل ذلك الإبداع الفنى وعلى ذلك فقد حرص على أن يجعل بناء المطهر معكوساً بالنسبة للجحيم ، على وجه العموم ، لكى يتجنب الاستطراد ، ويتيح لنفسه فرصة التغيير والتنويع ، ويكسب هيكله الحرارة والتلوين والرواء .

والمطهر كائنٌ بين الجحيم والفرديوس وهو حال وسط تصبح فيها الجحيم كذكرى للخطايا السابقة ، ويشعّ فيها الفرديوس كأمل تتطلع إليه الأرواح النادمة التائبة والجسد شيء أساسى في الجحيم لأنها عالم الرغبات والشهوات ، ولكن الجسد لا يصبح أساسياً في المطهر ، إذ يكفّ فيه عن السيطرة على الروح التى تقف في مواجهته بعزم وثبات ، فيهزم ويتخلف ويتوارى بالتدرّج والأرواح في الجحيم هم أنفسهم الممثلون الذين يقومون بأدوارهم في العذاب الذى يلاقونه ، وقد سيطرت عليهم آثامهم ، ويكون القراء بمثابة المشاهدين الذين يمكنهم أن يأخذوا العظة والعبرة ، إذا بلغوا من الإدراك والنضج ما يجعلهم راغبين وقادرين على ذلك أما في المطهر فإن المعذبين هم ممثلون - فيما يلقونه من العذاب - وهم جمهورٌ من

المشاهدين في وقت واحد وهم كشاهدين يعلنون على مشاهد العذاب الماثلة أمامهم ، ويصبحون كقوم غرباء امتزجوا بجمهور محتشد متحمس ، ويبحثون - بهذا الوضع - في أسباب الاحتشاد ودواعي الحماسة وعلى هذا النحو ذاته يصبح موقف القارئ الناصح الراغب في العظة والتذوق وبذلك تبرز عناصر التعلم والوصف والفن بعضها ببعض ، ويصبتها الشاعر في بوتقة واحدة لكي يبلغ بها أعلى مراتب الخلق والإبداع

والحجيم معنيةً بثمره الخبيثة ، أما المطهر فعلى بجدورها ، إذ يعمل على محوها واستئصالها بالتوبة والتكفير والتطهر وهناك تشابه في بعض صور العذاب في كل من الحجيم والمطهر ، مع الاختلاف في تطبيقها على خطايا بعينها فنجد مثلاً عذاب المتكبرين في المطهر يشبه عذاب المنافقين في الحجيم ، من حيث السير على الدوام في طريق دائري وفي انحناء تحت ثقل عظيم ونجد مثلاً عذاب الآثمين بسبب شهوة الجسد في المطهر يشبه عذاب الهراطقة والمرشدين ومشيرى السوء في الحجيم بالنيران ، مع التفاوت في طريقة عذاب كل مهم ومن شأن هذا التشابه في العقوبة مع الاختلاف في تطبيقها على خطيئة بعينها ، أن يعمل على إثارة الشوق إلى قراءة قصيدة طويلة كالكوميديا وتذوقها

ويزداد الاختلاف بين الحجيم والمطهر باختلاف الحالة العقلية في كل مهما فالآثمون في الحجيم معترفون بالإثم ، غير متنصلين منه وغير تائبين عنه ، وهم راضون بحكم الله الذي يحفزهم إلى نيل ما يستحقونه من العذاب الأبدى . أما الآثمون في المطهر فهم آثمون تائبون نادمون ، يتقبلون قضاءهم بالترحاب ، لأنه سبيلهم الوحيدة إلى الخلاص ويخفف الأمل من عذاب المطهر ، حتى ليصبح بذلك عذاباً عذباً ، يهدأ فيه القلب بالتطلع إلى رحاب الفردوس . ولا تتخذ الفضيلة في المطهر صورة إيجابية كما في الفردوس ، ولكنها فضيلة تشع في الخيال الذي يلهبه الشوق إلى الله . وليس في أرواح المطهر أسى الملعونين في الحجيم ، ولا نشوة الأبرار في الفردوس ، ولكن فيهم اتعاظ من لا يزال يعيش في بؤس الأرض وذكرى الخبيثة ، ويظلل الإيمان والأمل في الفردوس

والحجيم سوداء ، مظلمة ، خانقة ، منعزلة ، مليئة بالضوضاء والصراخ

والعويل أما المطهر فناصعٌ مضىءٌ تسطع فيه الشمس ، ويطلع عليه البدر ، وتظهر في سمائه النجوم ، وهو مكان هادئٌ وادعٌ ، يسوده جوٌّ عذبٌ رقيقٌ ، وحينما تتطهر الروح من الخطايا يرتجف جبل المطهر ويتزلزل ، ويرسل صوتاً مدوياًً ابتهاجاً بانتصار الروح الآثمة على ذاتها وليس في الجحيم غناء أو إنشاد لأنه تعوزها المحبة الشاملة ، وتميل الكراهية إلى العزلة والانطواء على النفس ، بينما يتردد في أرجاء المطهر الإنشاد والترتيل والترنم والموسيقى ، حيث تخرج الأرواح من إحساسها بذواتها ، وتطلق أنغامها وأصواتها المتنوعة ، وتندمج في شعور واحد من التعاطف والمحبة ومادة الترنم والترتيل أناشيد مقدّسة وصلواتٌ وابتهالات وآيات من الكتاب المقدس ، وتعبير عن الألم والأمل والبهجة ، والتمدح بالعدراء والسيد المسيح ويبدو الملائكة أنهم أطيارٌ تكسوهم ألوانٌ من البهجة الصوفية ، وتنعكس عليهم أضواء السماء والفردوس .

ولقد خالف دانتى المألوف في تصور المطهر عند أهل الغرب في العصور الوسطى ، إذ جعله مستقلاً قائماً بذاته ، وليس في موضع واحد مع الجحيم أو ملتصقاً بها ولعله قد تأثر في ذلك ، ولو بطريقة غير مباشرة ، بتراث الإسلام والمشرق على وجه العموم وجعل دانتى للمطهر مدخلاً أو مقدمة ، لا تُعد في الحقيقة جزءاً منه ، بل هي كإعداد أو تمهيد لصعوده ، وذلك بناء على تقديره لزمن التوبة والتكفير عن الخطيئة في الحياة الدنيا ولا يُظن أنه تُعرف للمطهر مقدمة مماثلة في التراث السابق عليه ونجد دانتى قد مزج في المطهر - كما في سائر الكوميديا - بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة ، واستمد مادته من ألوف العناصر والجزيئات من الميثولوجيا ، ومن التاريخ القديم والمعاصر ، ومن إيطاليا ، ومن فلورنسا ، ومن مظاهر الطبيعة ، ومن الكون ، ومن النبات والحيوان ، ومن الحياة الواقعة ، ومن عواطف البشر ، ومن ذاته ، ومن الخطايا والآلام ، ومن الإيمان والأمل ، ومن الصفح والمغفرة والرحمة والمحبة

وجعل دانتى المطهر جبلاً شاهقاً ، لا ترقى الأبصار إلى مدارجه وهو عنده قد برز من مركز الأرض ، في نصف الكرة الجنوبي ، وسط محيط من الماء ، حينما سقط لوتشيفيرو - إبليس - من السماء ، وترك في موضع بروزه بئراً استقرَّ

فيها في أدنى دركات الجحيم وارتفعت قمة جبل المطهر إلى مسافة تعدل بعد سطح الأرض عن مركزها . وهذا يعنى أن جبل المطهر ارتفع بحساب العصور الوسطى إلى أكثر من ٣٠٠٠ ميل ، ويبلغ ارتفاع مقدمة المطهر أعلى مما تبلغه قمة إفرست ! وباب المطهر في الأنشودة التاسعة هو نهاية جوّ الأرض عند دانتى ، ومنه يبدأ صعود المطهر الحقيقى ويزيد انحدار الجبل عن ٤٥ درجة ، وهذا يعنى صعوبة ارتقائه . ولجبل المطهر أفاريز دائرية ، لا يتجاوز عرض الواحد منها ١٨ قدماً ، وهى بلا أسوار أو حواجز تحمى الصاعد عليها من السقوط إذا لم يأخذ حذره والمطهر مبنى على النظام العدديّ كسائر الكوميديا فمقدمة المطهر تشمل إفريزين ، ويشغل المطهر الحقيقى سبعة أفاريز ، ويضاف إليها الفردوس الأرضى ، فيصبح مجموعها عشرة والسبعة هى الرقم المقدس ، والتسعة مكعب الثلاثة أو الثالوث ، والعشرة هى العدد الكامل ويحتوى المطهر على ٣٣ أنشودة تشمل ٤٧٥٥ بيتاً من الشعر

وفي أول الأمر نجد شاطئ جبل المطهر ، ويشمل الأنشودتين الأولى والثانية وتأتى إليه نفوس التائبين في قارب يقوده أحد الملائكة ويلى ذلك مدخل المطهر ويشمل إفريزين ويشغل الإفريز الأول مهما الأنشودة الثالثة وهذا مكان من صدرت ضدهم قرارات الحرمان البابوى ، ثم تابوا في آخر لحظة من حياتهم عما كان السبب في ذلك الحرمان ، ويبقى هؤلاء في موضعهم ثلاثين ضعفاً من مدة حرمانهم في الدنيا ، ما لم تقصر هذه المدة بصلوات أهل الأرض من أجلهم ويشغل الإفريز الثانى الأنشودات الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة ، ونجد به من ظلوا على وفاق مع الكنيسة ، وندموا على آثامهم في آخر لحظة من حياتهم ، ومكان هؤلاء في الأنشودات الخامسة والسادسة والسابعة ونلقى من أهملوا القيام بواجباتهم الدينية ، ويشغلون الأنشودتين الثامنة والتاسعة ويبقى هؤلاء جميعاً في موضعهم زمناً يساوى حياتهم في الأرض

وعند باب المطهر يرسم الملاك الحارس على جباه الأرواح سبعة « خاءات » ، رمز الخطايا السبع والتي تمحى بصعود جبل المطهر بالتدرج وينقسم المطهر ثلاثة أقسام موزعة على سبعة أفاريز فالمطهر الأدنى بأفاريزه الثلاثة مخصص للحب

المنحرف ، الذى يطلب فيه الآثم الشرّ والضرر لغيره ظناً منه أن فى هذا نفعه ، والإفريز الأول هنا يشمل الأنشودات العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة ، وهو مخصص للكبرياء . والإفريز الثانى الذى يشمل الأنشودات الثالثة عشرة والرابعة عشرة والخامسة عشرة مخصص للحسد . ويشمل الإفريز الثالث الأنشودتين السادسة عشرة والسابعة عشرة ، وهو مخصص للغضب أما المطهر الأوسط فيشغل الإفريز الرابع ، الذى يشمل الأنشودتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة ، وهو مخصص للحب الناقص عن الحدّ أى للامبالاة أو التهاون والمطهر الأعلى بأفاريزه الثلاثة ، مخصص للحب الزائد عن الحدّ فالإفريز الخامس الذى يشمل الأنشودات العشرين والحادية والعشرين والثانية والعشرين ، مخصص للبخل والإسراف والإفريز السادس الذى يشمل الأنشودات الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين والخامسة والعشرين ، مخصص للنهم والشره . والإفريز السابع الذى يشمل الأنشودتين السادسة والعشرين والسابعة والعشرين ، مخصص لشهودة الجسد

وهناك تناسق بين أفاريز المطهر ، إذ يتبع التطهّر طرقاً متماثلة متفاوتة فنجد أولاً العقاب الذى يناسب كلّ خطيئة ، ويكون باحتمال آثارها فى صبر وجلد ، وذلك فى الأفاريز الثانى والثالث والخامس وكذلك يكون العقاب بممارسة الفضيلة المقابلة للخطيئة التى ارتكبت ، وذلك فى الأفاريز الأول والرابع والسادس وقد يكون العقاب بكل من الطريقتين معاً ، وذلك فى الإفريز السابع ونجد ثانياً العقاب بالتأمل الذى يقوم على ذكر أمثلة من الفضيلة المقابلة ومن الخطيئة المرتكبة ويؤخذ المثال الأول من حياة العذراء ماريا ، ويؤخذ المثال الثانى من التاريخ المقدّس ، ويؤخذ المثال الثالث من التاريخ الدنيوى وكذلك تُذكر أمثلة من الخطيئة ذاتها ، وتؤخذ من المصادر المقدسة والدنيوية وثالثاً يُبنى التطهر على الصلاة التى تؤخذ من مزامير العهد القديم ومن الأناشيد الكنسية ورابعاً يكون بالتبريك الذى يؤخذ من طوباويات الكتاب المقدس ، وينشده الملاك الحارس للإفريز وخامساً نجد الملاك حارس الإفريز الذى يتلقى الروح حينما تتطهر من خطيئتها ، ويمسح حرف « الحاء » الذى يخصّه من جيبها ، ويوجهها إلى أعلى وأخيراً نجد الفردوس الأرضى فوق القمة من جبل المطهر ، وبشغل ست

أنشودات ، من الثامنة والعشرين حتى الثالثة والثلاثين وكما بدأ دانتى رحلته في أول الجحيم في غابة ، انتهى هنا إلى غابة وكانت الغابة الأولى غابةً موحشة مظلمة تثير ذكراها الرعب ، ولكن هذه الغابة الأخيرة غابةٌ "يانعة" ، تخفق أغصانها على هبات النسيم ، فتبعث أنغاماً تتجاوب مع تغريد الطيور ، وفيها يرسل الجدول خريره وهو يتهادى تحت ظلال أشجارها الوارفة . والفردوس الأرضى مكان الإنسان قبل الخطيئة ، ومكانه بعد أن يتطهر ويعود إلى طهارته وبراءته السابقتين ولكن الطهارة والبراءة اللتين يستعيدهما الإنسان ليستا هما ما عهدهما من قبل ، لأن الآثم التائب النادم المكفّر المتطهر يكتسب تجربة لم يعرفها قبل ارتكاب الخطيئة وجمعون ماتيلا وبياتريتشى ، وبالاغتسال فى مياه هر لىتى - هر النسيان - وبالشرب من مياه إنيوى - هر الذكريات الطيبة - تصبح الأرواح متأهبة للصعود إلى فردوس السماوات .

« ٤ »

سبقت الإشارة إلى أن من عوامل ذبوع الجحيم لدى أكثر الناس ، احتواؤها على قدر من الشعر الغنائى أكبر مما جاء فى سائر الكوميديا على أنه لا يجوز أن يتخذ هذا ميزاناً لتقدير أجزاء الكوميديا أو المفاضلة بينها ، ذلك لأنه كان من الأمور الشائعة المألوفة فى عصر دانتى أن يمتزج العلم بالشعر ، ولم يكن الشعر يقدر إلا إذا احتوى على قدر من العلم وعلى ذلك فلا يُضير المطهر ولا الفردوس أنهما يحتويان على قدر من الشعر أو النظم التعليمى أو الخلقى أو العلمى ، لأن طبيعة العصر كانت تألف ذلك ويشبه هذا ما حدث فى فرنسا فى القرن الثامن عشر ، وما حدث فى ألمانيا فى القرن التاسع عشر

ومع هذا فإننا نجد دانتى قد حوّل بعض ما أورده من الشعر التعليمى أو العلمى فى المطهر إلى أدب وفن فنجده مثلاً يجعل ماركو لومباردو ، فى الأنشودة السادسة عشرة ، يقول إن النفس البشرية الساذجة لتُبعث من يد من يتأملها من قبل أن توجد ، كأنها طفلةٌ غريرةٌ تلهو بين قطرات الدموع ورنين الضحكات ، وهى بسذاجتها لا تدرك سوى أنها منبعثةٌ من يد خالقها السعيد ، وتعود راضية إلى

ما يبهجها ، وفي تذوقها طعم الخير الدنيوى الضئيل لأول وهلة ، تجرى في إثره وهى به مكدوعة ، إذا لم يشها عن حبه دليلٌ أو عنانٌ ونحن لا نجد الفكر هنا مجرداً ، بل نجده قد تحوّل إلى طفلة جميلة بريئة طاهرة . وبهذا جسمٌ دانى المعنى فى صورة نابضة بالحياة وأضى عليه مضموناً مشعاً متألقاً وهذا نموذج من خلق الشاعر

وكذلك نجد أستاتيوس ، فى الأنشودة الخامسة والعشرين ، يتكلم كلاماً علمياً عن توالد الجنس البشرى ، بامتزاج الدم النقى عند الرجل بالدم النقى عند المرأة - بحسب علم العصر - ثم يتختر المزيج وتدب فيه الحياة ، ويبدأ الجنين فى النمو ، وتتكون له أعضاء الحس والنفس العاقلة . ويوازن حلول الروح فى الكائن الحديد باتحاد أشعة الشمس غير المادية بمادة عصير الكروم حتى يصنع النبيذ . وهذا مثالٌ عن تجميل المعنى والعمل على إضفاء صورة شعرية على مضمون علمى .

ورسم دانى ، فى الأنشودة العاشرة ، بعض لوحات من الحفر البارز جعل عليها صوراً تؤدى المعانى التى أراد التعبير عنها وكان فى ذلك شاعراً يرى كشاعرٍ الشئ الذى يراه النحات كنهات وهو هنا لم يصنع الحفر البارز كنهات لكى يحمل إلينا المعنى الذى أراده ، بل كان شاعراً يتكلم عن المعنى لكى يجعلنا نتصور التمثال الذى يتناوله ، ويعطى للتمثال ما لا يعطيه إياه النحات وهو فى ذلك لا يقدم لنا كل تفصيلات التمثال ، بل يختار ناحية تتصل بالنفس مباشرة ، وتكفى لتصور سائر التمثال . فالشاعر هنا يأخذ التمثال حيث تركه النحات ويضيف إليه مثله الأعلى الشعرى ، ويجعل الكلمة تؤدى ما لا يمكن أن يؤديه الإزميل أو الرخام أو المعدن .

فنجد دانى قد رسم لنا على المرمر الأبيض حفراً بديعاً يصور لنا جبريل الذى جاء إلى الأرض مبشراً العذراء ماريًا بميلاد السيد المسيح ، وجعله يبدو أنه يقول لها « السلام لك » ، كما جعل ماريًا تبدو متضعة وكأنها تقول إنها « أمة الرب » وكذلك رسم لنا دانى قصة الملك داود محفورة فى المرمر ذاته ، وإذا بنا نرى الثيران تجرّ العربة التى تحمل التابوت المقدس . وبدقة الحفر وخلق الفنان يخيل للرائى أن

الجمع الذي أحاط بالعربة قد تحرّكت شفاه أفراده مرتلين أبياتاً من العهد العتيق ، وأن دخان السنا قد تصاعد من المباخر المستعرة أمام التابوت المقدس ، حتى لكانه يتنسم رائحته الطيبة ، وأن الملك داود ذلك الزبوري المتواضع ، قد أخذ يرقص مشمراً ، وبدا على تلك الحال أكثر وأقلّ من ملك . وحُفرت قبالته صورة زوجته ميكال عند نافذة قصر منيف ، وكانت تنظر متأملة كسيدة مآكها الازدراء والحزن

ومما رسمه لنا دانتى على المرمر قصة الأمبراطور تراجان والأرملة الرومانية الثكلى التي وقفت عند عنان جواده ، وقد التفّت من حوله حشدٌ كثيفٌ من الفرسان ، وبدت فوق رؤوسهم نسور الذهب ترفرف مع الريح ، وسألت البئيسة الأمبراطور أن ينتقم لمقتل ابها الصريع ، فأجابها بأن عليها أن تنتظر عودته فقالت وهي تتألم « وإذا لم تعد يا مولاي » ، فأجابها بأن من يحل مكانه سوف يؤدّي لها ذلك ، فقالت ماذا يكون له في خير يفعله غيره ، إذا وضع ما يخصه منه موضع النسيان ؟ فهدأ من روعها ، وأعرب عن اعتزاه القيام بواجبه قبل أن يرحل وبذلك جعلنا الشاعر نتصور هذه اللوحة متحركة في عدة مواقف خلال الحديث المتبادل بين الأمبراطور والأرملة ونحن حين نقرأ الشعر نكاد نراهما يتحركان ويغيران من وضعهما وسماتهما وكان دانتى في ذلك قد تخيل مرمراً شعرياً يتحرك ويتبدل ، وعلى ذلك النحو حول الرمز إلى كلمة وفي هذا كله جعل دانتى الحياة تدبّ في أوصال المرمر ، وقدّم لنا فنناً ناطقاً يفيض بالحياة .

وإذا نحن أجلنا النظر في المطهر فس نجد مادة زاخرة من التشبيهات والاستعارات والمجازات والصور التي تسهم في بناء عالمه الرفيع وسرى مثلاً صورة السماء التي يسودها لون اللازورد الصافي ، ورجرجة مياه البحر حينما تظفر أنوار الفجر بنسيم الصباح ، واعتراك قطرة الندى مع أشعة الشمس حتى تتبخر رويداً رويداً وتزاحم الناس حول الرسول الذي يحمل غصن الزيتون لكي يسمعوا منه أنباء السلام ، والصديقين اللذين يتعانقان عند اللقاء ، والحمام الذي يجتمع لالتقاط الحبّ ويولى عنه إذا دهمه خطرٌ مفاجئ ، والأغنام عند انطلاقها من حظيرتها ، والفلاح الذي يسد الثغرات حول الكرومة لحمايتها من اللصوص ، والرجل الذي تقتضيه

وعورة الجبل أن يستخدم قدميه ويديه في أثناء صعوده ، والبرج الثابت الذى لا تهتز قمته بعصف الرياح أبداً ، وتكثف البخار وهطول الأمطار وجريان المياه فى القنوات وانحدارها إلى النهر ، ولأعب الرد الذى يتخلص من رفاقه المزدحمين حوله ، والأسد الرابض الذى ينظر أمامه بدون حركة ، والأزهار بألوانها الزاهية وشذاها العطر ، وإحساس المسافر فى البحر لأول مرة بالحنين إلى وطنه ، والخطاف الذى يشدو بألحانه الحزينة حينما تسنح بارقة من إشراق السماء ، والمتكبرين الذين ساروا وقد ناعت ظهورهم بالأحجار الثقيلة ، والثور الذى يسير تحت وطأة النير الثقيل ، والقديس الذى يجود بأنفاسه الأخيرة وهو يسأل الله المغفرة لقاتليه رجماً بالحجارة ، والجبال حين يغشاها الضباب ، وتبدد فقاعة الهواء حين يُعوزها الماء ، والوهج الشديد الذى يغشى الأبصار ، والبازى الذى يسارع إلى تناول الطعام إذا سمع النداء ، وشديدى الهزال الذين اتخذت جاودهم شكلها من صورة عظامهم ، والأطفال الذين يطلبون الفاكهة من الأشجار بدون أن يتمكنوا من بلوغها ، وفرخ اللقلق الذى يرفع جناحيه ولكنه لا يقوى على مبارحة عشه ، وحشود النمل التى تلمس الواحدة منها فم الأخرى عند تقابلهما ، ودهشة سكان الجبل حينما يدخلون المدينة لأول مرة ، واختفاء السمكة فى أعماق الماء ، والراعى الذى يحرس قطعانه وهو مستند إلى عصاه ، والطيور التى تغرد على الأغصان ويتردد حفيفها كأنه ترجيع لأغانيها ، وتألّق البدر فى منتصف ليلة صافية ، وشعلات النار التى يدفعها الهواء إلى الخلف حتى لتبدو أنها لمسات من ريشة الرسم ، والحوريات اللأئى يرقصن ببطء وبسرعة ، والطفل الذى يجرى نحو أمه حين يأخذه الضيق أو الخوف ، وأمير البحر الذى ينظر إلى سفنه ويستحث رجاله على أن يبذلوا خير ما فى استطاعتهم ، والسفينة التى تميل على جانبيها وسط العاصفة الهوجاء ، والحاج الذى يعود من رحلته وقد توجّج عصاه بسعف النخل ، ومن لا يقوى على الكلام وهو فى حضرة من يعلوه قدراً ، والظلّ الظليل الذى يغطى الغدران العذبة فى الغابة المزدهرة ، والصدّيقين اللذين يتمهلان عند افتراقهما ، وصاحب النفس الرقيقة الذى لا يتلمس المعذرة عن عدم القيام بعمل ما ، بل يشكّل إرادته بإرادة صاحبه حينما يفصح عنها بإشارة منه .

هذه هي بعض الصور والتشبيهات والاستعارات التي عرضها دانتي في المطهر ،
ومزج في بعضها بين الأسطورة والتاريخ ، وبين الخيال والواقع ، وبين الطبيعة
والإنسان ، وبين العلم والفن ، وبين الدنيا والآخرة وإن من يقرأ المطهر أو
الكوميديا ، في النص الإيطالي أو في إحدى ترجماته ، لا يجد صورة من الصور
التي أوردها دانتي تبدو قلقة في موضعها ، أو متنافرة مع ما يحيط بها ، أو منفصلة
عن السياق العام ، بل يرى أنها جاءت كلها في ثنايا المطهر أو الكوميديا ممتزجة
متألقة متألقة مع سائر العناصر والحزئيات متسقة منسجمة مع الأفكار والمعاني
التي أقام دانتي عليها بناء المعجز وصرحه الشامخ

ويتوفّر في شعر الكوميديا الهبوط والصعود بصورة نادرة المثال ويتدفق شعر
دانتي كالماء المنسكب الذي يدور حول الصخور التي تعترض جريانه . ويلاحظ
على شعر الجحيم بصورة عامة طابع من العنف والقسوة والضحامة ، تبعاً لمقتضى
الحال ، وإن كان هذا لم يمنع من أن توجد بها ألوان أخرى من الشعر الذي يفيض
بالرقة والعطف والرحمة ولكننا نرى الصورة العامة في شهر المطهر تأخذ في التبدّل
والتغير ، تبعاً لمقتضى الحال ، وتتجه إلى الرقة واللطف والدعة ، وإن لم يمنع هذا
من أن توجد به ألوان من الشعر الذي يعود بنا إلى عالم الجحيم ، بما يتميز به من
ضروب العنف أو القسوة أو الغضب

ولو أننا اتجهنا إلى دنيا الفنون التشكيلية لأمكننا أن نتبين في شعر الجحيم
اقتراب دانتي أحياناً من روح جوتو المعاصر ، الذي تحاول النفس البشرية في
صوره التعبير عن مكنونها خلال نظرة العين وسمة الرؤوس ، ساعية في ذلك إلى
أن تخرج من تقاليد العصور الوسطى إلى رحاب عصر جديد ونلاحظ اقتراب
دانتي تارة من تعبير تيتزيانو في أجساده الصارخة بالرغبة والمليئة بالحياة وكذلك
يمكننا أن نتبين شيئاً من الطابع العام للجحيم في آثار ميكلائنجلو ، بما يسودها
من عناصر القوة والضحامة والجمال والتطلع إلى بناء عالم جديد ولكننا نستطيع
أن نتبين في شعر المطهر الصورة العامة لآثار بيرو دجينو ، بما تحتويه من التعبير عن
أشعة الفجر أو سقوط قطرات الندى على الأزهار والأعشاب أو أجنحة ملائكة

السموات والكوميديا كلها معرض فى زاخر بآثار الفن التشكيلى الشعرى التى ربما لا يعادله فيها معرض شعرى آخر

وإنه لما يجعلنا أقرب إلى فهم آراء دانتي وتذوق فنه ، اتجهنا إلى أن ندرس ونتذوق أشياء من فنون النحت والتصوير والعمارة السابقة على زمنه والمعاصرة له ، كما تمثلت فى آثار الفن القوطى منذ القرن الثانى عشر بخاصة ، وفى بواكير عصر النهضة ، ثم فى روائع عصر النهضة . ويعيننا أيضاً فى هذا الصدد تذوقنا لنواح من ثمرات هذه الفنون ، المستوحاة من بعض ما عبر عنه دانتي ، أو ما يمت بشيء من الصلة إليه ، والتي ظلت تبرى فى أقطار مختلفة حتى الزمن الحديث والمعاصر ، على الرغم من توالى القرون والتفاوت فى وسائل الرمز والتعبير

أما بالنسبة لعالم الموسيقى فيمكننا أن نتبين اقتراب دانتي فى شعر الجحيم من روح بيتهوفن ، بما تشمله موسيقاه من الألحان المتنوعة العنيفة أو الرقيقة ، والثائرة أو الوديعه . وربما يقرب شعر الجحيم كذلك من روح فاجز الغنائى الدرامى أو من روح تشايكوسكى الحزين الآسى ولكن شعر المطهر يقرب بصورة عامة وفى مواضع مختلفة ، من ألحان التروبادور والفرسان أحياناً ، بما تحتويه من التعبير البسيط عن عواطف البشر ، وبما تصوره من نواح فى حياة المجتمع . وكذلك يقرب شعر المطهر أحياناً من الألحان الجريجورية ، ومن ألحان جوسكان دى پريه وبوكستيد ، ومن روح بالسترينا وقيثالدى وباخ وهيندل ، بما تتضمنه ألحانهم من عناصر الآسى والشجن ، والرقه واللفظ ، والدراما والسمو والتجريد ، والحشوع والابتهال ، والإيمان والأمل ، والشوق إلى الله ويمكننا أن نعد الكوميديا كلها كسيمفونية كبرى أو كمسرح عظيم يعرض لنا عالماً زاخراً بالمشاهد والألحان الشعرية ، بما لا يوازيه مسرح شعرى آخر

وبما يساعدنا على فهم أدب دانتي وتذوق فنه محاولتنا أن نتذوق بعض نواح من فنون الموسيقى والمسرح والرقص ، سواء أكان ذلك فى مجال الفن الديبى منذ القديسات والترانيم الجريجورية ، ابتداء من القرن العاشر بخاصة ، أم كان ذلك فى ناحية الفن الذى كان سائداً فى بلاطات الأمراء والنبلاء الإقطاعيين أم فى مجال الفن الشعبى فى زمان التروبادور والتروفير ، فى العصر السابق على دانتي

وفي زمنه . ويعيننا في هذا الصدد تذوقنا لبعض المسرحيات الأولية السابقة على دانتى والمعاصرة له ، والتي جمعت ألواناً من المعانى والألحان والأغاني والأناشيد الدينية والدرامية والأرستقراطية والشعبية في بوتقة واحدة وذلك فضلاً عن تذوقنا لنواح من فنون الموسيقى والمسرح الدرامي والغنائى الذى استلهم مبدعوها أشياء مما عبّوعنه دانتى أو مما يقترب من روحه ومن موضوع الكوميديا ، حتى الوقت الحاضر .

وإن الفنون ، على اختلاف أدواتها ووسائلها ، لتتجاوب ويلقى بعضها الضوء على بعضها الآخر ، مما يزيدهما جميعاً تألقاً وبهاء ، وبذلك تتحقق للقارئ الدارس فرصة أكبر لكى يجي ثمرة درسه وتثقفه وتذوقه ، فيزداد علماً ومعرفة وصقلاً وحسناً ، بل وربما ينبلج ذهنه ويومض قلبه وتفيض نفسه ببعض ثمرات الخلق والإبداع البشرى ولذلك فقد حرصت بقدر المستطاع على أن أزود القارئ - ونفسى - فى حواشى الترجمة ، بنواح من الفنون التشكيلية والموسيقية والدرامية ، تحقيقاً للفائدة والمتعة

« ٥ »

عرفنا أشياء عن حياة دانتى عند ترجمة الجحيم ويلخص تاريخه فى أنه ولد فى فلورنسا فى مايو سنة ١٢٦٥ وأنه أحب بياتريتشى التى تزوجت من غيره وماتت فى سن الشباب وحارب دانتى ضد الجبلين بزعامة أريتزو وشارك فى إحراز النصر الفلورنسى فى موقعة كامبالدينو فى سنة ١٢٨٩ . وتزوج من جيا دوناتى فى سنة ١٢٩١ ودخل سلك الوظائف العامة ، واشتغل بالسياسة ، وأرسل سفيراً لفلورنسا إلى بعض المدن الإيطالية ، وصار عضواً فى مجلس السنيوريا الذى يحكم فلورنسا ، وعارض سياسة بونيفاتشو الثامن فى فلورنسا وتدخل شارل دى قالوا الفرنسى فى شئون بلاده ، فهُزم حزب البيض ، ونفى دانتى خارج فلورنسا فى سنة ١٣٠١ ، وفى حياة المنفى شُرد وجاع وطلب المأوى تارة ، ولقى حسن الوفادة لدى بعض الأمراء تارة أخرى ولم يعد إلى فلورنسا أبداً ومات فى راقنا فى سبتمبر سنة ١٣٢١

هذه الخطوط يمكن أن ترسم حياة رجل متوسط ، كما يمكن أن تقوم على

أساسها حياة رجل عظيم . ولا يفسر تاريخ حياة إنسان بالواقع الذى حدث وحده ، بل يفسر كذلك بما لم يحدث فى الواقع ، وبأفكاره وطموحه وعواطفه وليس من السهل الكشف عن مكنون الإنسان بعامة ، فما بالنا بالرجال من صنف دانتى ، الذين يتعذر الكشف عن سر إلهامهم ، ويحاول الدارسون استكناه أغوارهم ، فيعرفون منها شيئاً وتغيب عنهم أشياء

ومن الناس من تغلب منفعتهم الذاتية أو حبهم للسيطرة والسلطان على كل ما عداه من الأهداف . ولذلك فهم يسلكون كل السبل لبلوغ غاياتهم ، فيطيعون ويعصون ، وينخضعون ويستكثنون ، ويكذبون ويتملقون وينافقون ، ويبدون ثعالب وأسودا ، ويظهرون رحماء وقساء وكرماء وأذنياء ، وأخيارا وأشرارا ، ويأكلون على كل مائدة ، ويغيرون دفة سفينتهم تبعاً لمهب الرياح وقد يسميهم بعض الناس متقلبين خارجين على المبادئ ، ولكنهم فى الواقع ثابتين على حال واحدة ، وهم لا يتحولون أبداً عن طبعهم الحقيقى ، ولا يجيدون قيد أنملة عن بلوغ أغراضهم . ولم يكن دانتى من هذا النوع من الرجال ولقد عرفنا من قبل جوانب من شخصيته فعرفنا شيئاً عن دانتى الساكن الهادئ الوادع المتأمل القليل الكلام ، وعن دانتى العاشق صاحب الحس المرهف ، ودانتى المترفع المتكبر البسيط المتواضع ، ودانتى الأسوان الساخط على العالم الذى عاش فيه ، ودانتى الوطنى الجرىء الشجاع ، ودانتى العزوف عن المال والجاه ، القابع فى محراب الفن وهيكلم المعرفة كان دانتى رجل عاطفة وإيمان ، ولم يعرف المسايرة والمداورة ، ومن فرط محبته للناس لم يطق السكوت عن أخطائهم ، وربما كان فى دخيلته يبتسم حينما كان بعض قومه يحاولون تبرير مسالكهم ، أو التعسف فى تفسير المعانى إرضاء لمشاربهم وغرورهم أو تنصلاً أو عجزاً عن أداء ما يمكن أن يُرتقب منهم ، أوحينما كانوا يفكرون فى إحلال ميزانهم مكان ميزانه ! وهو عندما لم يفلح فى هداية قومه إلى خيرهم ، وحينما لم يستطع مجارة الظروف ، كان مصيره الننى والتشريد والحرمان من وطنه وقومه والرجال من صنف دانتى يولدون وقد قُدر عليهم سوء الحظ ، ويعدون غير ناجحين فى الحياة العملية ، وربما ينالون الإعجاب فى أثناء حياتهم ، ولكن لا يكاد يستمع أحد إليهم .



٢ - دانتى فى سن الشباب

ودانتى الكهل الناضج ، العاكف فى وحدته على الدرس والتأمل ، المستغرق فى كتابة الكوميديا ، كان قد اكتسب التجربة ، وازدادت معرفته بالناس ، وأصبحت البشرية أمامه كأنها كتاب مفتوح ظلّ يطلعه ويستشف أسراره ، بدون أن أيدرى أحدٌ متى وكيف كان يفعل ذلك . وفى أعماقه سكنت بذور الأفكار والمعانى والعواطف ، وظلت خافية حتى أخرجها من مكمها معمعان الحياة ، وصهرتها الآلام والكفاح وخيبة الأمل ، وأنضجتها الضربات التى لم تقتله ، بل شحذت قواه أبداً ، والتى لم يتهاو عند طرقاتها ، بل وقف كبرج شامخ لا تهتز قمته بعصف الرياح ، وجاء بأروع الثمرات ، التى أدهشت قلّة من معاصريه ومريديه ، والتى ربما جعلته هو ذاته يدهش من ذاته ثم أدهشت الأجيال من بعده .

وربّ قائل إن دانتى قد تغير جوهره وتبدل فى عوالم الكوميديا الثلاثة فهل يمكننا أن نعدّ الجحيم معبرة عن الجانب الحالك فى نفسه ؟ وهل تصوّر الفردوس جانبه المضيء ؟ وهل يعبرّ المطهر عن الجانب الذى تمتزج فيه الخلاعة بالنور ؟ إن دانتى لا يتغيّر ولا يتبدّل ولا يتحوّل وهو يظلّ على بساطته وبرأته وصفائه وعمقه وصدقه وإخلاصه وإحساسه وميزانه ، مهما تقدمت به السنون ، ومهما جرى عليه من خير أو شر . وإن معارفه لتتسع وإن نفسه لتتصلق وإن فنه لينمو ، ولكن جوهره يظلّ ثابتاً لا يتغير وهو يرتوى ويتغذى ويستضيء ، لا لكى يتنكر لماضٍ أو عزيز ، ولا لكى يتغير ويتحوّل ، بل لكى يزداد صقلاً ونموّاً فى ذات بذوره وعناصره ومسالكه وأغواره ولم تكن له آراء متعدّدة أو متباينة ، فى وقت واحد أو فى أوقات مختلفة ، فى شأن مسائل بعينها فهو لا يتلوّن ولا يتقلّب ، لأنه لم يجر وراء منفعة ذاتية عاجلة ، ولم يتبدّل رأيه فى شىء مهما بلغ به العمر ، إلا إذا ظهر له ما كان خافياً عليه من قبل .

وليس الذى طرأ عليه التغير هو دانتى فى الحياة الواقعة ، بل دانتى فى الكوميديا أو فى القصة أو الفن . فقد ظلّ دانتى المؤلف هو هو لا يتغيّر ولا يتبدل . ولكن دانتى الرحالة هو الذى يطرأ عليه قلرٌ من التغير ، لكى يكون نموذجاً ومعلماً للبشر ، وطبقاً لما تقتضيه طبيعة كل عالم بذاته من عوالم الكوميديا ، مع بقاء العناصر الأساسية فى ذاته لا تتبدل ولا تتغير وأحياناً نجد دانتى الرحالة فى

المطهر يعود بنا القهقري إلى دانتى الرحالة فى الجحيم وذلك حينما نراه مثلاً يصب لعناته على بلاده لما كانت عليه من الاضطراب والفساد ، مؤملاً أن تتخلص من ويلاتها الداخلىة والخارجية ، وأن تتحقق لها الحياة الموحدة العادلة المستقرة السعيدة

ومن أمثلة التغيير الذى نلاحظه على دانتى المرتحل فى المطهر ، هو أننا لا نجد فيه دانتى المرتحل فى الجحيم ، الذى كان يجذب بوكادلتى أباقى من شعر رأسه لكى يعرف شخصه ، بل نشهده هنا يتأثر عند مرأى المتغطرسين الذين ساروا وقد ناءت كواهلهم بمحملوه من الأحجار الثقيلة ، فيشعر هنا ، وقد عرف فى نفسه الكبرياء فى الحياة الدنيا ، أنه يناله شىء من عذاب هؤلاء المتغطرسين التائبين المتطهرين . ونجده مثلاً يقف فى المطهر متأثراً أمام الحاسدين الذين أغلقت عيونهم فصاروا كالعميان ، وأحس أنه أهانهم وجرحهم ، حينما كان فى استطاعته أن يراهم بدون قدرتهم على أن يروه وهنا يظهر لنا دانتى المرتحل المرهف الحس الرقيق الحاشية بصورة قل أن يبالغها أحدٌ غيره

ومما يلاحظ فى هذا الصدد أن دانتى كان يكره بونيفاتشو الثامن كعدوه السياسى والشخصى ، وكانت معارضته لسياسته فى إيطاليا وفلورنسا هى السبب فى نفيه وتشريده ، وحرمانه من وطنه وقومه إلى الأبد . وبونيفاتشو عنده هو البابا الآثم الخائن المرتشى ، وهو ناهب الكنيسة وهادم الأباطورية ، وهو وصمة عار فى جبين البشرية ، ومكانه مع المرتشين فى الأنشودة التاسعة عشرة من الجحيم وحدث فى سنة ١٣٠٣ أن تأزمت العلاقة بين فيليب الجميل ملك فرنسا وبين بونيفاتشو ، لتعارض المصالح السياسية بينهما فسعى فيليب إلى الاعتداء على بونيفاتشو ، فهوجم فى أنانى فى جنوب شرقى روما ، واعتدى عليه وهب قصره وحبس ثلاثة أيام ، ولكن أهل أنانى هضوا لتخليص البابا من يد أعدائه ، فعاد إلى روما لكى يعد وسائل الانتقام ، ولكنه مات بعد قليل متأثراً بالصدمة التى أصابته .

وإزاء هذه الظروف تغير موقف دانتى المرتحل فى المطهر من البابا الآثم الخائن المرتشى ، واختلف عن موقفه منه ومن سائر البابوات الآثمين فى الجحيم . وقال دانتى على لسان هيج كاپيه - مؤسس أسرة كاپيه الملكية فى فرنسا - إنه يرى زهرة

الزئبق - رمز الملكية الفرنسية - تدخل كنيسة ألانيا ، ويرى المسيح يصير سجيناً في شخص نائبه ، وإن تجربة الخلق والعفص ستتجدد ، وسيُقتل بين لصين وهما على قيد الحياة . فالبابا - عنده - هو البابا وللكرسي البابوي مقامه وقداسته ونائب المسيح هو نائبه ، والاعتداء عليه ليس سوى محاولة جديدة لصلب المسيح - كما عند المسيحيين - وهو لذلك يعلن استيائه الشديد وغضبه البالغ على هذا التصرف الشائن المعيب الذي أطاح بأسس المقدسات الدينية

ولا تعارض بين موقف دانتي المرتحل من البابا في الجحيم ، وبين موقفه منه في المطهر فدانتى المؤلف يضع بونيفاتشو في الجحيم ، لكنى يأتى العدالة الإلهية جزاء وفاقاً على ما ارتكبه من المعاصى ولكن لا يجوز عنده أن يعتدى بشراً على شخص البابا مهما كانت الظروف والدوافع إلى ذلك ، لأنه رأس الكنيسة ونائب المسيح فى الأرض وكان ذلك من جانب دانتي المؤلف ودانتي المرتحل نصراً عظيماً على كل العوامل الشخصية ، احتراماً وإجلالاً وتقديراً للكرسي البابوي وهذا من المواقف النادرة فى الأدب الإنسانى . ولا ريب فنحن أمام دانتي العملاق الذى يفرق بين آثام البابا وبين مقامه الدينى الروحى العظيم وكم يحتاج كثير من الناس فى ساوكتهم وتصرفهم إلى التفرقة بين أخطاء الإنسان وبين مقامه فى مجتمعه ، أو بالنسبة لما يمكن أن يروى إليه من المعانى ! وكم من الناس يمكنهم أن يفعلوا ذلك ؟

ومع كل ما تتميز به الكوميديا - والمطهر - من ضخامة البناء واتساع المدى ، وعلى الرغم مما تشتمل عليه من المعلومات الغزيرة ، والصور المتنوعة ، والألوان الرائعة ، والأنغام الساحرة ، فهى قصيدة دانتي ذاته . ونحن لا نفقد صوته ولا نفثاته ولا همسه ، فى كل جزءٍ من أجزائها ، وهو وراء كل كلمة فيها ، وربما تعد الكوميديا بمثابة مذكراته الشخصية التى تدون دقائق تاريخه ، وهى أفضل مصدر لقصة حياته

« ٦ »

عاش فرجيليو في القرن الأول ق.م. ونشأ في أحضان الريف في منطقة مانتوا الساحرة في شمال إيطاليا. وتعلم في كريمونا وميديولانوم (ميلانو) وفي روما. وشبَّ عاشقاً للطبيعة محبباً للدراسة والكتب. وكان يؤثر حياة الفكر والتأمل على صخب المجتمع وضوضائه ومع أن فرجيليو كان أميل إلى حياة العزلة والدعة، ومع أنه لم يُعن بمتابعة كثير من تفصيلات الحياة العملية، فلم يشعر بالكراهية أو المرارة نحو الناس وعلى العكس كان يتأمل الناس والمجتمع وهو تسوده روح البهجة والتطلع إلى فهم أسرار الحياة ولم يخامر شعور بالغيرة من الآخرين ومع أنه كان رجلاً خجلاً فقد امتاز بعقل شامل واع. وكان إنساناً مرهف الحس صافي النفس وكان في سداجة الطفل الذي يذهب إلى المسرح لأول مرة فيأخذ بلبه كل ما يرى ويشهد وكانت الأشياء المألوفة تتشكل لديه في صورة ذات روعة وبهاء. فالقروية التي تحمل جرّتها، والفلاح الذي يربي الماشية أو يجمع العسل، والراعي الذي يقود القطعان على أنغام المزمارة، وصنوف النبات والحيوان، والأرض والكواكب والكون، والبشر في كل أسنانهم وأوضاعهم، كانوا جميعاً يثيرون انتباهه ويحتذبون محبته. وعل الرغم من أنه لم يجب أساليب السياسة ومسالكها، فقد أصبح شاعر الأمبرطورية الرومانية، التي كانت عنده وليدة الإرادة الإلهية وصار له اسم وسمعة في العصور الوسطى، لأنه أعلن في أناشيد الرعاة عن ميلاد المخلص وسمّاه أهل العصر الوسيط بالعرّاف والساحر والمنتبى وتناول فرجيليو في الإنيادة حياة الناس على الأرض، كما تناول الأساطير والآلهة كشخصيات درامية. وزار بطله إينياس العالم السفلى وشهد عذاب الآثمين. ومجد فيها الأمبرطورية كما عبّر عن عواطف البشر. ويمثل أسلوبه اللاتينية الصافية في عصرها الذهبي ولقد أحدث شعره الصافي الرقيق أثره في شعراء المدرسة الفلورنسية الحديثة في النصف الثاني من القرن الثالث عشر، والتي كان دانتى واحداً من شعرائها ولقد درس دانتى حياة فرجيليو وشعره، وأخذ عنه دقة التعبير، وكثيراً من

الصور والتشبيهات والاستعارات ، واستمد منه النظام والتناسب وإحكام البناء وهما يتشابهان في أسلوبهما الوقور الواضح ، الذى تشيع فيه الحرارة والدفع ، وإن كان دانتى قد خالف أستاذه فى روحه الشعاعى وفاقه فى مستوى الخلق والإبداع ولهذا كله اتخذ دانتى من فرجيليو دليلا وهادياً ومرشداً ومعاملاً فى الجحيم وفى أغلب المطهر فما المعنى أو المعانى التى يرمز إليها فرجيليو ويمثلها ؟ لكى نفهم فرجيليو – ودانتى والكوميديا – مزيداً ، ينبغى علينا أن نوسع مرعى شبا كنا إلى أقصى حد مستطاع ، وعلينا أن ننظر إلى فرجيليو نظرة شاملة ، فالمعنى أو المعانى التى يمكن أن يرمز إليها فرجيليو معان واسعة المدى عميقة الغور ، ولكنها تصبح معانى مدركة ميسورة الفهم ، إذا دُرست بتأمل ومحبة .

فرجيليو فى المعنى الحرفى يرمز للإنسان أو للعقل الطبيعى المكتمل إلى أقصى ما تبيحه له طبيعته الإنسانية ، فيما عدا ما يضيفه عليه الإلهام المسيحى والوحي الإلهى اللذان لم تُتَحْ لفرجيليو فرصة معرفتهما ، إذ عاش ومات رومانياً وثنياً وفى المدلول التاريخى يرمز فرجيليو للأمبراطورية الإلهية العالمية الموحدة ، التى تحكم العالم تحت لواء أمبراطور واحد ، ورائدها الخلاص من الحسد والتنافس والنزاع ، وتجنب السيطرة والاستغلال فى شتى صورهما ، وتبادل المنافع المادية والمعنوية ، وتحقيق النظام والمساواة والعدالة والحرية والحكمة ، وتوفير الأمن والاستقرار والسلام وهذه هى الأمبراطورية الرومانية التى تغنى بها فرجيليو ، واعتقد أنها كفيلة بأن تحقق كل ذلك . وهذه هى صورة للدولة العالمية الموحدة ، التى ما فتئت تراود أذهان المفكرين والساسة والشعوب منذ أقدم العصور حتى الوقت الحاضر

وفى المعنى الخلقى يرمز فرجيليو إلى الأخلاق كما يفهمها الإنسانون فى أجلى معانيها ، أى الاعتدال والتعقل وحسن السلوك وأداء الواجب ، التى هى قائمة على الفضائل الأساسية الأربع ، أى العدالة والتبصر والعفة وقوة العزيمة أما فى المدلول الصوفى فإن فرجيليو يرمز إلى الدين الطبيعى فى أكمل صورته ، والذى يخدم آلهة الوثنيين ويتقرب إليهم بالتقوى والتبجيل وتقديم القرابين والتقدیس والعبادة . وعلى هذا فإننا نرى فرجيليو يمثل جماع الإنسانية ، ويعبر عن مثلها العليا ،

ويمجد ثمرات العلم والمعرفة والفن ، التي يسير دانتي على مهجها ويعمل على السمو بها وبال بشرية جمعاء ، ويقدم الآلة في عالم الوثنية الأسطوري ولهذا لم يكن اختيار دانتي لفرجيليو كرهز لهذه المعاني — أو لغيرها — اختياراً قائماً على أساس من التعسف ، بل كان اختياراً مبنياً على أسس من الفهم والمشاركة والتعاطف والمحبة

وإن تعبيرات فرجيليو المتلاحقة في أول الجحيم لتبهرننا وتجتذبنا إليه ، بما يتناوله فيها من الإفصاح عن إنسانيته وأصله ورومانيته وشعره ، وعن الحياة العادلة التي تطالع إليها وإن هذه المعاني التي يمكن أن يرمز لها فرجيليو ، وما كان عليه في الحياة الواقعة ، لتلتقي وتمتزج ، وتفترق وتتباعد ، وتهبط وتعلو ، وتتقابل ، كأنغام أساسية أو جانبية ، متشابكة أو متتابعة ، مفردة أو مشتركة مع غيرها ، بحسب الموقف . وهي كلها كفيلة بأن تثير لدى بعض القراء الإعجاب والمحبة .

هذا هو فرجيليو ذو الجبهة العريضة ، الذي تعلوه أمارات التأمل والبساطة والتواضع واللطف والرقّة . وهذا هو فرجيليو دليل دانتي ومعلمه وصديقه ، بل والذي جعله دانتي بمثابة الأب أو الأم الحانية على وليدها أبداً . ودانتي وفرجيليو هما أعذب رفيقين سارا معاً جنباً إلى جنب في رحلة طويلة وكان في كل مهما صورة من نفس صاحبه وما أحوج الشاعر الفنان إلى الصداقة والمحبة ! وما أكثر ما يمتهن لفظ الصداقة وكلمة المحبة ! إذ ليس كل عشير أو جليس بالصديق أو المحب . وليس بصديق أو بمحب من يرجو التسلي أو المنفعة فحسب والصديق أو المحب هو الذي يقدم إلى صاحبه حاجة باطنة في نفسه إلى صاحبه ، ولحاجة باطنة في نفس صاحبه إليه والصديقان المحبان هما من يفهم أحدهما الآخر بدون كلام ، وهما من تمتزج روحهما وتتألف نفساهما ، ويعكس أحدهما على الآخر من صفاته وأنواره ما يجعلهما يتألقان معاً

مهض فرجيليو من مكانه في اللببو ملبياً نداء بياتريمشي التي هبت إليه بعينين تقطران دمعاً ، لكي يسارع إلى إنقاذ دانتي الذي اعترضته الوحوش في الغابة الكثيفة الظلماء فيخلص فرجيليو دانتي من شرّ الوحوش ، ويسير به هابطاً إلى حلقات الجحيم ، ويحميه من المخاطر ، ويزيل عنه الشكوك والأوهام ، ويحنو

عليه ويحدثه بوجه رقيق بشوش ، ويدلل له الصعاب ، ويحمله إذا لم يستطع السير ، ويشرح له ما غمض عليه ، ويبعث في نفسه العزم لمواصلة المسير ، إذ لا يُنال المجد فوق الفراش الناعم الوثير

وأحياناً يؤنب فرجيليو دانتى لتأخره وإطالته الكلام عما ينبغى أن يكون ، ويستحثه على المسير لقصر الوقت وطول الطريق ويندّد به ويؤنبه حينما يبكى أمام العرافين الذين التوت رؤوسهم إلى الخلف ، إذ ليس أضلّ ممن يأخذه الأسى أمام قضاء الله وقدره ويقف فرجيليو وقفه مهيبة وقورة في خندق المرضى وحينما يطيل دانتى وقوفه أمام أدامو دا بريشا وسينون إغريقي طروادة الكذوب ، يؤنبه فرجيليو ويقول له إنه لم يبق إلا القليل حتى يعترك معه ، فيهرول دانتى وهو يعلوه الحجل ، ويبدى اعتذاره بدون كلام ، فيطيبّ فرجيليو من خاطره ، ويسأله أن يطرح عنه كل ما يدعوه إلى الأسف

وفي الحميم ينذر أن يتوقف فرجيليو أو يعجز عن تخطى العقبات وإذا حدث ذلك فإن قوى السماء كانت تتدخل لتعينه على متابعة الرحلة، كما حدث أمام مدينة ديس ، إذ تدخل ملاك السماء وطرد الشياطين الذين اعترضوا سير الشعارين ، وفتح لهما أبواب مدينة ديس وهذا رمز إلى حاجة الإنسان أبداً إلى أيدي السماء أوليست البشرية في حاجة أبداً إلى عون السماء للخلاص من شرورها وويلاتها، وإرشادها وهدايتها ، وهي الكثيرة العثرات والويلات !

ولا يجوز أن يُلام دانتى لوضعه فرجيليو في اللبوس ، في مقدمة الحميم. ولا شك أن دانتى قد ارتكب بذلك ما يخالف عواطفه الشخصية ، ولكنه لم يخالف معتقداته ومبادئه فهو يجب فرجيليو ويوفره ويمجده ، ويحترمه كسيد وأستاذ ودليل ويقدم له آيات الشكر والاعتراف بالجميل ، ولكن هذا لا يمنعه من أن يقيمه ويزنه ويصدر حكمه عليه ، تبعاً لعقيدته . وبينما حرم دانتى فرجيليو من الفردوس ، نجده قد وضع سورديليو واستاسيوس في المطهر ، ومآلهما بعد التطهر إلى الفردوس ، على الرغم من أن كل ما كتباه لا يساوى شيئاً يذكر إلى جانب شعر فرجيليو وفنه وفعل دانتى ذلك تمشياً مع مبادئه ومعتقداته ، لأنه اتخذ فيما اتخذه من فرجيليو رمزاً للعقل ، الذي لا يستطيع الإنسان به وحده أن يبلغ مراتب السعادة

العلوية ، إذ لا بد لبلوغها عنده من الوحي والإلهام الإلهيين إلى جانب العقل
الإنساني على أن العقل ذاته م مهد للإلهام ، ولا إلهام لمن لا عقل له . وبذلك نجد
فرجيليو ، رمز العقل ، مهدداً لبياتريتشى ، رمز الوحي والإلهام ولا ضير على
فرجيليو قطّ أن حرمه دانتي من أن يكون من أهل المطهر توطئة لصعوده إلى مراتب
الفردوس . ويكفى أنه أتاح له الفرصة لزيارة الجزء الأكبر من المطهر فى صحبته .

وكان فرجيليو فى الجحيم صاحب سلطان لأنه كان فى عالمه الذى سبقتى فيه
أبداً ولكن فرجيليو فى المطهر يصبح فى غير أرضه فهو لا يمكنه أن يطأه
بمفرده ، بل لابد من أن يصحبه إليه روح مسيحي وهو يستطيع فى المطهر أن
يمضى كدليل لدانتي ، ويمكنه أن ينصحه وأن يمدّه بالعزم لمواصلة رحلته ،
ولكن ليس بالثقة التى كانت له فى الجحيم وهو هنا تعوزه الخبرة والدراية اللتان
كانتا له فى عالم الجحيم فهو لا يحسن دائماً معرفة الطريق فى مدارج الجبل ، ولم
يعد لكلماته الأثر الذى كان لها دائماً فى الجحيم ومع هذا فإن فرجيليو يصبح
أكثر سحرًا وفتنة حينما يسير فى غير عالمه !

فى الأنشودة الأولى من المطهر يقترب فرجيليو من كاتو حارس المطهر ،
ويدلى إليه بمحديث ودى طويل على سبيل التحية ، ويسأله باسم زوجته مارتزيا
العزيزة عليه أن يسهل له عبور الطريق . فيرد عليه كاتو ردًا مقتضباً ، ويقول له إنه
ليس هناك ما يدعو إلى استخدام كلمات الإغراء ، وما عليه إلا أن يمضى بدانتي
قدماً ، ما دامت سيدة فى رحاب السماء معنية بأمره ، ويتلقى فرجيليو هذا التعليق
المتزج بالتأنيب دون اعتراض و يعود كاتو إلى التأنيب والتوبيخ حينما يتلأكأ
دانتي وفرجيليو والأرواح فى الإصغاء إلى كازيلا الموسيقى الفلورنسى ، وهو يتغنى
بأبيات من شعر دانتي

وعندما يمضى الشاعران صُعداً فى مدارج الجبل ، فلا يرى دانتي إلا ظله وحده
منعكساً على الأرض ، يأخذه الروع حين يتصور أن فرجيليو قد اختفى من
جانبه ، فيطمئن فرجيليو ، ويسأله هل كفى عن الاعتقاد بأنه لا يزال إلى جانبه
لكى يرشده ويعينه على ارتقاء الجبل . ويقول له إن المساء قد حل الآن فى موضع
قبره ، أى فى نابلى التى تضم بقاياها ، إذ اعتادت أن تصنع له ظلاً . فتبعث هذه

الكلمات الحزينة الرقيقة معاني يظلّ صداها يتجاوب بين جوانح ذوى القلوب الرقيقة .

وكلما صعد الشاعران على جبل المطهر مزيداً ، في الجوّ الذى لا يبلغه جوّ الأرض بظواهره وتقلباته ، زادت الأرواح وزاد فرجيليو معها لطفاً ورقة وحينما ينحى سوردياو شاعر التروبادور لتقبيل قدمي فرجيليو ، يتركه يفعل ذلك بغير اعتراض أو ممانعة ، مع علمه بأن كلاهما لا يزيد عن كونه شبحاً ، وجعل دانتى هذه المحاولة كرمز لأمنية لم تتحقق ولكن حينما يلتقى الشاعران باستاتيوس ، يمنعه فرجيليو من تقبيل قدميه لعلو قدره لديه ، ويسأله ألا يفعل ذلك قائلاً إنه ليس غير شبح يرى شبحاً . وكان فرجيليو واستاتيوس ودانتى يمثلون في هذا المشهد ثلاثياً فريداً من الشعراء الذين ساد بينهم التقدير والإعزاز والتوافق والمحبة ، إلا أن فرجيليو كان هنا هو الشخصية البارزة ، إذ كان يحرك الموقف بكلامه ونظراته .

وعلى الرغم من أن فرجيليو لم يعد في المطهر يتكلم بالثقة التي كانت له في الجحيم ، فإنه يبذل وسعه لإرواء ظمأ دانتى إلى المعرفة فنجد مثلاً يشرح لدانتى في الإفريز الثاني من مقدمة المطهر بعض مسائل فلكية ، وأفاده بأن حركة الشمس تبدو في نصف الكرة الشمالى من اليسار إلى اليمين ، على حين تبدو في نصف الكرة الجنوبي من اليمين إلى اليسار ونجد فرجيليو على السلم المؤدى إلى الإفريز الرابع مثلاً قد بدا في صورة وديعة رقيقة ، وأخذ يشرح لدانتى معنى المحبة فتكلم عن المحبة الطبيعية أو الغريزية التي لا تخطئ أبداً ، وعن المحبة العقلية التي تتعرض للخطأ بنجث مقصدها أو بزيادة حرارتها أو نقصانها . ومضى فرجيليو في كلامه ، ثم أخذ ينظر متطلعاً إلى وجه دانتى لكي يرى هل فهم عنه ما أراده بشرحه ، وأدرك - بدون كلام - أن دانتى يحس أنه قد ثقل عليه بأسئلته ، فشجعه على المضى في الاستفسار عما يرغب فيستمر فرجيليو في شرحه ويقول إن المعارف الأولى والرغبات الأولية غريزية في الإنسان كغريزة النحل في صنع العسل ، وبذلك فهي لا تستحق ثناء ولا لوماً وقال إن الإنسان مزودٌ بالعقل الذى عليه أن يحرس عتبة الرضى ، وبذلك يكون الجزاء تبعاً لقبول المحبة الطيبة أو الخبيثة أو رفضهما وقال الفلاسفة قد أدركوا هذه الحرية الفطرية ، وأورثوا العالم علم

الأخلاق الذى يقول بالإرادة الحرة فى الإنسان . ويحيل فرجيليو دانتي على بياتريتشى لكى تزيده إيضاحاً عما يعجز هو عن إيضاحه ، إذ يعوزه الإيمان الذى ترمز إليه بياتريتشى وكان فرجيليو بذلك كمن يحمل من ورائه مصباحاً ينير به الطريق لمن يأتون فى إثره ، بغير أن يكون قادراً على أن ينير طريقه .

ويزداد فرجيليو تواضعاً ورقة وسحراً كلما اقترب الوقت الذى كان عليه أن يترك فيه دانتي فى رعاية بياتريتشى فى الفردوس الأرضى وإننا لنحس إحساس الرقة الحزينة التى تنبع من قابيهما معاً ، حين نشعر أن فراقهما وشيك الحدوث وما ألم على النفس الرقيقة إحساسها بالافتراق عن أحبائها ! ويقول فرجيليو لدانتي كلمة الوداع بدون أن يفصح صراحة عن رحيله قال فرجيليو لدانتي فى مدخل الفردوس الأرضى ، إنه قد أراه نار الجحيم ونار المطهر ، وإنه قد جاء به إلى موضع لا يتبين فيه بعد بنفسه شيئاً ، وسأله أن يتخذ من بهجته دليلاً له ، وقال إنه يستطيع الجلوس أو السير بين الأزهار حتى تأتى إليه بياتريتشى ، وسأله ألا ينتظر منه مزيداً من الكلام أو الإشارة ، إذ صارت إرادته حرة مستقيمة خالصة ، وسيقع فى الخطأ إذا عمل بدون إلهامها وختم كلامه بقوله إنه يتوجه ويكمله على نفسه الآن

وفجأة تأتى لحظة الفراق بدون أن ينتبه إليها دانتي ولا يجعل فرجيليو دانتي يشعر بذلك ولا يطلب فرجيليو من دانتي ثناء ولا شكراً ولا أن يذرف من أجله دموعاً ، ولا حتى أن يلتفت إلى الورا لكى يودعه بنظرة أخيرة ، لأنه لا يضع نصب عينيه شيئاً سوى الهدف الأسمى الذى قدر لدانتي أن يبلغه وينسحب فرجيليو ويتراجع ويتوارى فى صمت وسكون قانعاً بأن يكون جزاؤه هو أن أعظم تلاميذه وأعزهم عليه سوف ينعم بالخلود .

وحينما ينتبه دانتي وهو فى حضرة بياتريتشى فلا يجد فرجيليو إلى جانبه ، تنحدر دموعه غزيرة على خديه ، حتى لا يستطيع لها دفعاً فهذا شاعرٌ يبكى على فراق شاعر ، وهذه نفسٌ صافيةٌ رقيقةٌ تبكى على فراق نفس صافية رقيقة وعندما جعل دانتي المؤلف فرجيليو عنصراً أساسياً فى الجحيم وأغلب المطهر ، ثم جعله يختنق حين وصوله إلى الفردوس الأرضى ، قام بمخاطرة لا يقوى

عليها إلا أعظم الشعراء موهبة وبالجلال والمهابة والإشعاع الذي أضفاه دانتي المؤلف على بياتريتشى ، وبالموقف الدرامى الذى نشأ بيها وبينه ، خفف من الأثر الذى أحدثه اختفاء فرجيليو ، وجعل أبيات الكوميديا تسير فى طريقها المرسوم ، وكأن شيئاً لم يحدث . وبذلك لم تتأرجح الكوميديا ولم تتعثر ولم تتوقف ، بل مضت صادحة متدفقة تشعّ منها نغمات الشعر المبدع وآيات الفن الرفيع

« V »

وبياتريتشى من الدعائم الأساسية التى بنيت عليها الكوميديا ، التى كان من أهم أهداف كتابتها تمجيدها وتخليدها وهى ماثلةٌ فى أجزاء الكوميديا بصور متفاوتة ، مستترة تارة ، وظاهرة تارة أخرى وهى تعين دانتي بالواسطة حيناً وبشخصها حيناً آخر ، ونسمعها تارة كلحن خفيض ، على حين نسمعها تارة أخرى وقدملاّت الأذان والقلوب بأنغامها العذبة . ونراها تارة بشراً من دم ولحم ، ونشعر بها طوراً كأنها ملاكٌ أو نورٌ سماوى يقود دانتي إلى رحاب الله .

فنّ هى بياتريتشى ؟ وأحقيقة هى أم خيال ؟ وكيف نشأت وماذا تمثل ؟

يعرف عن بياتريتشى أنها ابنة فولكو پورتينارى الوجيه الفلورنسى ، التى عاشت فى فلورنسا فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر ، وسكنت قصر أبيها فى فلورنسا ، الذى كان مقاماً فى شارع يتعامد عليه شارع سانتا مرجريتا الذى استقرت فى ضلع منه بيوت آل أليجيرى . وأحبها دانتي ولكنها لم تبادله حباً بحب . وتزوجت من سيمون دى باردى الثرى ثم ماتت فى شرخ الصبا فهل بياتريتشى التى صورها دانتي هى بياتريتشى الحقيقية ؟ ولكن هل الحقيقة قاصرة على ما هو مرئى أو ملموس ؟ وهل الفنانون والشعراء كاذبون ؟

قد يكون الأثر الفنى أكثر صدقاً من الواقع المادى ، لأن الفنان إذ يعتمد على هذا الواقع المادى فى خالقه ، يضفى عليه إحساسه وانفعاله به ويستلهم الفنان من كل ما حوله صوراً وأنماطاً لا حدّ لها تسهم كلها فى بنائه الفنى فهو يستوحى الطبيعة والأطيّار ، والعاصفة والمعركة والنيران ، والضوضاء والصخب ، والهدوء والعزلة ، والأطفال والرجال والنساء ، ويشيع فى كل ما يرى تياراً مستمدّاً من

إحساسه وتجربته مليئاً بالحرارة والبهاء . وبهذا يكون الأثر الفني ، في شتى صوره ، جزءاً من الحقيقة ، بل يصبح جوهرها ، لأن المادة تعجز بذاتها عن الإبانة عن كنه الأشياء أو الناس ، وبذلك يحاول الفن أن يستبطن أغوار الكائنات وجوهر الوجود .

وبياتريتشى عند دانتى هي فتاةٌ وامرأةٌ وفكرٌ ورمزٌ في وقت واحد ورآها في سن الطفولة ، ثم رآها في سن الشباب في كنيسة أو شارع أو حديقة أو عند جسر أو في حفل وأومات إليه بالتحية تارة ، وأشاحت عنه بوجهها تارة أخرى ، وسخرت منه مع صويحباتها أحياناً ولم تعرف بياتريتشى قدر دانتى ، ولم تدرك ما انطوت عليه نفسه من بذور العبقرية ، ولم تبادله عاطفته الملتهبة وحينما أحب دانتى بياتريتشى وهو في سن الطفولة كان حبه لها حب رجل شاعر ، إذ أضى عليها من حسه وخياله ما خرج بها من الواقع المادى إلى ما بعد الواقع ، ثم عاد بصورتها الجديدة إلى عالم الواقع وبهذا حدث في نفسه تحوُّلاً وتجليها الأول وأثارت في نفسه ما لا يعرفه أغلب الناس ، الذين يسخرون في الغالب من مثل إحساسه ، لأنهم يؤثرون المصلحة العملية على العاطفة القائمة على الوجد والخيال على أن ذوى القلوب النابضة يستشعرون كل ما يمكن أن تعجيش به مثل هذه النفس الرقيقة الشاعرة

ثم تموت بياتريتشى ، ولكن لم يكن موتها هاية لها وعلى الرغم مما يتمثل في الموت من العذاب والأسى فإنه عند الشاعر شعرٌ كالحياة ذاتها ولأول وهلة أحدث موتها ما هو مألوفٌ من أثر الغيبة والفراق فبموتها صارت فلورنسا مدينة ثكلى ، وبكت عليها الشمس والنجوم ، وبارتحالها تزلزلت الأرض وتسربت الطبيعة بالسواد ومن منا لم يبك أعزاء عليه ماتوا ، أو لم يأس على أعزاء عليه ولوا واختفوا من حياته وهم أحياء ! وما الذى يبقى لنا مهم ؟ لا تبقى لنا سوى ذكرياتهم التى تتبدى لنا في أثر أو في نظرة أو نبرة صوت أو ضحكة أو بسملة وبالتدريج تتوارى هذه الذكريات في زحمة الحياة ولكننا حين نرى من آن لآخر شروق الشمس أو بزوغ الهلال ، أو حين نتطلع إلى قمة جبل شاهق ، أو نصغى إلى خريبر جدول ، أو نرى شارعاً أو وردة ، أو ننظر كتاباً أو قفازاً ،

أو عندما نسمع لحناً ، فإننا نسترجع تَوّاً ذكريات أولئك الأعزاء ، وتنبعث في نفوسنا صوراً من حياتهم ، ولسات من أشجاننا - أو من أشجانهم - كأنها نوابض البرق !

وبموت بياتريتشى ذرف دانتى غزيرَ الدمع وحزن حتى أصابه السقم ولم ينفعه عزاء الناس ومواساتهم ، إذ أن أكثر كلامهم كلامٌ أجوف . وقلما يحس أحد بآلام غيره وأحزانه وجاء دانتى العزاء من نفسه وبنفسه وهو حينما عكف على القراءة والدرس للعزاء والتساية ، كان كمن يبيحث عن الفضة فوجد الذهب ومع أن موتها قد أضناه وزلزل كيانه ، فإنه شعر أنه من الضروريّ التضحية بها ، لأنها لم تخلق لكي تعيش بين أوضاع الأرض ، ولا تناسبها الحياة في ثوب من اللحم والعظم ! وهو لا يحوزها ولا يلمسها في أثناء الحياة ، ولكنها حينما تخرج من عالم اللقاء والفرق ، ومن دنيا المادة والجسد ومن قواعد المجتمع ، إلى ماكوت السماوات - تصبح كلها ملكاً له ، ولن يذكرها أحد سواه ، ويمكنه عندئذ أن يحبها بطريقته بدون قيد أو عائق أو خشية وكان في موت بياتريتشى تحولها وتجليها الثانى في نفس شاعرها ولكى يؤتى دانتى ثمراته كان ينبغي أن تموت بياتريتشى . فأى ثمن اقتضى أن يبذل حتى تنضج العبقريّة ؟

ومع ذلك فلم تكن بياتريتشى المرأة الوحيدة في حياة دانتى صحيح إنه بكى وتألّم عند موت بياتريتشى ، وصحيح أنه سيجعل منها رمزاً علوياً ، ولكنه كان في حياته اليومية في حاجة ملحة إلى الحب وما حياة شاعر بغير الحب ؟ لقد اختلط دانتى بشباب المجتمع الفلورنسى ، وتمتع زمناً بملذات الحياة وتزوج بطريقة تقليدية من جيما دوناتى - كما رأينا - وأنجب ثلاثة أبناء على الأقل ، وعاش في حياة الأسرة فترة عشرة سنوات ، فهل عرف معنى السعادة في أسرته ؟ وهل عرفت أسرته قدره قبل حياته في المنفى ؟ وهل وجد في بيته ما يتطلع إليه فنان مثله ؟ لم يذكر لنا التاريخ شيئاً عن ذلك ، كما لم يذكر هو شيئاً عن حياته في أسرته . والتقى دانتى عن طريق دموعه وأساه بنساء عديدات . وربما لا يؤدي شيء إلى الحب كما تؤدي الدموع مع الدموع والزفرات مع الزفرات ويذكر بعض الدارسين أسماء نساء في حياة دانتى ربما يربو عددهن على العشرة ، وتفاوتت العلاقة

العاطفية بينه وبين كل مهن بحسب الظروف فما يذكر مثلاً - وكما رأينا في مقدمة ترجمة الجحيم - أنه أحب جنتوكا العذراء الصغيرة الجذابة وأحب فيوليتا التي جعلته يتهد عند رأى الورود وأحب ليزيتا القوية الواثقة من نفسها وأحب بيترا المرأة الصخرة التي ظلت باردة أمامه كالصخر الذي يغرقه في أعماق البحر بعد النوء الشديد وهكذا كان دانتى يعشق الجمال أينما وُجد وتفتّح له نفسه الرقيقة الحياشة بالعاطفة أبداً

على أن بياتريتشى قد ظلت لدانتى كنجمة الصبح في صحراء الحياة وهي عنده امرأة واقعية بصفات الأثوية ، التي استطاع دانتى أن يقدم لنا من صورتها شيئاً محدوداً ، حسبما أتاحت له روح العصر فأوها يشبه لون اللؤلؤ ، وعيناها خضراوان ، وهي ترتدى اللونين الأخضر والأبيض وتبدو بياتريتشى في «الحياة الجديدة» صامتة لا تتكلم ولا تعبر ، وتخطر أمامنا من بعيد ، وكأننا نراها في الحلم لا في الواقع وهي عنده ربة الفضائل ، وتوحى له بشعلة من الرحمة والمحبة تجعله يصفح عن كل من أساء إليه وتبدو له كأنها ابنة الله وهو لا يطمح إلا في التمجّد بها . ووعده بأنه إذا مدّ الله في أجله أن يقول عنها ما لم يقله رجل في امرأة من قبل وقد برّ دانتى بوعده حينما جعل من أسس كتابته للكوميديا أن يصنع منها تذكيراً لها أو يقيم من أجلها تمثالا وفي الكوميديا تنمو شخصية بياتريتشى وتكتمل في صورتها الواقعية وفيما تمثله من الرمز ، بكلامها وحركاتها وبما توحىه إلى دانتى من المعاني ، وبما تبدله في سببها لكي تخلصه من أدران الدنيا وتسمو به إلى حياة الخلود

والصور الرمزية المتجلية في شخصية بياتريتشى مستمدة من أصول وظروف سابقة قريبة وبعيدة فهي متأثرة بصورة المرأة في شعر شعراء «التروبادور» وفهم الغنائى الموسيقى الراقص ، الذي تشكل وأينع في منطقة الپروفنس في جنوب فرنسا في القرن الثاني عشر ، نتيجة عوامل لا يمكن تفسيرها تماماً فقد تعرضت هذه المنطقة خلال ألفى سنة لمؤثرات فينيقية ويونانية وكتلية وغنوصية وأفلاطونية محدثة ورومانية وهرطيقية وعربية ومدرسية ، وكانت طريقاً لعبور التجارة ، وموضعاً لهجمات وغارات متوالية ، فضلاً عن اعتدال جوها وكان للأدب الأندلسي

بمضمونه وأسلوبه وأوزان أشعاره وأزجاله ، أثره الفعال في نمو الأدب الروماني ،
وكما يتمثل ذلك في كتابة ابن حزم عن الحب الصوفي وعن علائم الإخلاص
في المحبة المستمدة من تراث العرب ومن بيئة الأندلس ، وكما يتضح في أزجال
ابن قزمان المستمدة من النبع العربي فضلا عن الحياة الأندلسية الواقعية ، بما تتضمنه
من البساطة والسداجة والمبالغة اللطيفة ، ومن أخبار المحبين ، ومن وصف لصور
الطبيعة وحياة المجتمع وانتقلت هذه المؤثرات إلى شمال فرنسا ، حيث ظهر شعراء
« التروفير » الذين مضوا على غرار أقرانهم من شعراء التروبادور في فنون الشعر
والغناء والموسيقى والرقص وحينما أخفقت الحملات الصليبية ، وتأثر الأوروبيون
بخصارة المشرق ، ضعف العنصر الحربي في حياة أمراء الإقطاع ، فاتجهوا إلى
حياة المجتمع ، وحلت لديهم دماء الطبع ورقة الشمائل مكان الغلظة والحشونة ،
وأخذت المرأة مكانها في المجتمع الإقطاعي الجديد حينئذ ، وظهرت السيدات
الثقات ، وأصبح للشعر والقصص والموسيقى والغناء والرقص مكانة مرموقة في حياة
أمراء العصر وفرسانه وعامته على السواء .

ولقد احتوى شعر التروبادور وأدب العصر على عنصر من الحب الجسدي
الفاحش ، كما ظهر مثلا في شعر جييوم الأكويتاني ، ثم تحوّل في الأغلب - كما
في شعر جييوم الأكويتاني ذاته - إلى حب رقيق لطيف ، أخذ ينمو ويتشكل في
صورة حب روماني نبيل بلغ حد التبجيل والتقديس والعبادة ونجد أندريا
كابلانوس في كتابه عن « فن الحب » يعبر عن مضمون هذا الحب النبيل ،
الذي كان من شأنه أن يدفع الفارس النبيل إلى التحلي بالفضائل ، والحرص على
الصدق والوفاء والإخلاص والشهامة والعفة ، والسمو بالنفس إلى أرفع المعاني
ونجد مثلا إليانور الأكويتانية تعمل على تعليم النساء كيف يأسرن قلوب الرجال ،
وكيف يقمن بتعليمهم وتهذيبهم وقيادتهم ، وبذلك تكون قد أسهمت في ظهور
شخصية بياتريشي ، ببعض ما أراده لها دانتى . ونجد مثلا برناردي فتادرون
يعبر في شعره عن ارتعاده أمام محبوبته ، واستعدابه بجراح الحب الذي لا قيمة عنده
للحياة بغيره ونقرأ شعر أرنو دانييل الذي يقول إن قلبه يريد محبوبته أكثر
مما تفصح عنه كلماته ، وإن محاسن فاتنته مستمدة من الله الذي يقودها ويضفي

عليها من أمجاده . ونقرأ ما كتبه كريتيان دى أتروا في قصة الملك أرتور من « قصص المائدة المستديرة » عن حب تريستان وإيزولده العنيف الجارف ، اللذين خلدهما ريتشارد فاچر في موسيقاه ، كما نقرأ ما كتبه كريتيان عن حب لا نسلوت وجينفرا الرقيق النبيل ، اللذين أشار إليهما دانتي في الأنشودة الخامسة من الجحيم

وقد أثر أدب التروبادور وأدب الفروسية في الأدب الإيطالي الوليد في لهجاته المحلية ، منذ أوائل القرن الثالث عشر في المدرسة الصقلية في عهد فردريك الثاني نجد مثلاً بييرو دلا فيني يقول إن الحب كالمغناطيس وإن سلطانه كسلطان الملوك وفي المدرسة الفلورنسية الحديثة نجد جويدو جوينتزي يتأمل جمال المحبوب ، ويقول إن الحب يأوي إلى القلب النبيل كما تأوي الطيور إلى أوكارها ، وإن المرأة كالنجم تثير الحب في قلب الرجل النقي الصافي . ويرفع جويدو كالفالكاتي المرأة إلى مستوى الملائكة ، ويقول إن الهواء يرتجف بنورها حتى لا يجرؤ أحد على النظر إليها ونجد دانتي الذي ينتمي إلى هذه المدرسة الأخيرة يقول بأن الحب والقلب الرقيق ما هما إلا شيء واحد ، كما أنه ينمى المعنى الرمزي الذي أصبحت المرأة موضوعاً له ، فيقول إن بياتريتشي تعقل الألسنة ولا تجرؤ الأعين على النظر إليها ، وهي تأتي من السماء إلى الأرض لكي تقوم بالعجائب

وبياتريتشي في المعنى الرمزي مستمدةٌ عند دانتي من الكتاب المقدس كذلك . فيمكننا أن ننظر إليها على أنها رمز للعذراء ماري ، التي ولدت السيد المسيح ، والتي أصبحت عند المسيحيين موضوعاً للتقديس ، ومنها استوحى النحاتون والمصورون والموسيقيون التماثيل والصور والألحان التي تعبر عن نواحٍ منها ، كالبشارة والميلاد ومشاركة المسيح عذابه وآلامه — كما عند المسيحيين . ويرى بعضٌ أن بياتريتشي رمز للسيد المسيح ذاته ، الذي هبط وسوف يهبط لخلاص البشر ، عند المسيحيين ، والذي أضحي موضوعاً لمادة غنية رائعة في فنون النحت والتصوير والموسيقى ، عبرت كلها عن ميلاده وحياته وعذابه وتجليه وصعوده ويرى بعض الباحثين أن بياتريتشي ترمز إلى الكنيسة ، التي تهدي البشر إلى سواء السبيل ويرى بعضٌ أنها في المعنى الصوفي رمز للإيمان أو الإلهام أو الوحي أو الروح القدس أو السر المقدس أو اتحاد النفس بالله . وحينما ركز دانتي هذه المعاني العلوية على بياتريتشي

الفتاة الفلورنسية ، جعل صورتها تتحدث مباشرة إلى الحواس وإلى ملكة الحدس عند من تخاطبهم ، على السواء ونظراً لأن صورتها تنبع من تجربة دانتى الشخصية ، فإنها تجد صدى لدى الناس بحسب التجربة الذاتية لكل منهم ، وهي بذلك تجمع في ذاتها تعبيراً إنسانياً شاملاً وهذه وجهة واقعية للحياة الروحية أكثر منها وجهة روحية للحياة الواقعية وهذا هو بعض فن دانتى الذى يربط بين المعنى الرمزي والواقع الحى

واستمد دانتى صورة بياتريتشى من ظروف حياته كذلك وإن الأحوال والأوضاع الخاصة والعامة التى عاش دانتى خلالها ، والتى صيغت من المنازعات الأهلية ، ومن المطامع الشخصية ، ومن أعمال القسوة والعنف والغلظة ، ومن صور الدجل والنفاق ، ومن صنوف الغطرسة والعنجهية ، ومن ألوان الحسد والأنانية ، ومن خيبة الأمل ونكران الجميل ، ومن شقشقة اللسان ولغو الكلام — كانت كلها قمينة بأن تفجر في نفسه فيضاً عكسياً من العواطف وكوثرراً مغايراً من الأحاسيس ، التى لا تشوبها الكراهية أو المرارة ، بل تسودها البهجة والإشفاق والعطف والمحبة ، والتى نبتت من أعماقه ، وسرت كجوقة من الألحان المتصاعدة المتألفة وحاول دانتى إزاء ذلك أن يخرج بنفسه — وبالناس — من العالم الذى كدّه وأضناه إلى عالم من الحب الصافى ، فخلق صورة بياتريتشى نابعة كذلك من أغواره ، وجعلها ككائن علوى يضى عليه — وعلى الناس — بين السخائم والأحقاد محبة علوية صافية ، ويشع عليه وعلى الآخرين بين الضباب والظلمات نوراً شفافاً ، يسمو بهم وبنفسه إلى عالم من الطمأنينة والخلاص والسلام وأى شىء غير هذا كان فنان شاعر مثل دانتى يصبو إلى بلوغه ؟

وقد رأينا أنه حينما ضلّ دانتى طريقه في الغابة المظلمة ، في بداية الجحيم ، وتعرض للمخاطر تحركت من أجله السماء ، فأومأت العذراء ماريّا إلى لوتشيا بأن تدفع بياتريتشى لإنقاذ من أخلص لها الحب ، وابتعدت في سبيلها عن غمار الناس . فهرعت بياتريتشى من عليائها وجاءت باكية إلى موضع فرجيليو ، وحملته على أن يبادر إلى تخليص دانتى من الشر والأذى فامتثل فرجيليو لأمرها ، وهبّ لأداء مهمته في إنقاذ دانتى وإرشاده واستعان فرجيليو باسم بياتريتشى لكى يمتدّ دانتى

بالشجاعة والعزم ، حتى يقوى على متابعة رحلته الشاقة خلال الجحيم وأغلب المطهر وكان قرجيليو واثقاً دائماً من مفعول اسمها السحري في دانتى فحيناً كان يذكر له أنها هي التي ستفسر له ما عجز هو عن إيضاحه وما استعصى على فهمه . وحيناً كان دانتى يواجه على ذكر اسمها المصاعب ويتخطى العقبات وحيناً آخر كان يعبر عند سماع اسمها منطقة من النيران المتأججة المستعرة

ولقد جعل دانتى الفردوس الأرضي كختام للحياة على الأرض ، وكتمهيد لفردوس السماء الأبدى وهو مرحلةٌ يخلد فيها المتطهرون إلى التفكير والتأمل قبل الصعود إلى معارج السماوات ولما كان بناء الكوميديا يشتمل على عناصر من الأرض والسماء، فإننا نجد في الفردوس الأرضي الصور العديدة والرموز المتنوعة المتقابلة المتباينة ، التي تعدّ كتعبير عن الصراع بين ذكريات الأرض والشوق إلى السماء ونشهد في الفردوس الأرضي ما تيلدا وسط الربيع الدائم ، بأطياره وأنسامه وأزهاره ورقصه وموسيقاه وبذلك يؤهلنا دانتى لرؤية شيء عظيم

ويفتح باب السماء ، ويهبط موكبٌ جامعٌ للمعاني الواقعية والمثالية والبشرية والكونية والعلمانية والإلهية على السواء . ويتكون هذا الموكب من عربة الكنيسة الظافرة ، يسحبها البحريفون ، رمز السيد المسيح بطبيعته الإلهية والبشرية ، كما عند المسيحيين ، ومن الأنوار السبعة ، رمز لأرواح الله السبع ، ومن الأربعة والعشرين شيخاً ، رمز إصحاحات العهد القديم ، ومن الحيوانات الأربعة ، رمز الأناجيل الأربعة ، ثم من الحوريات السبع على جانبي العربة ، رمز الفضائل السبع

وكان هذا كله تمهيداً تدريجياً محكماً اشتمل على عناصر متنوعة ، من الواقع والرمز ، ومن الأرض والسماء ، وجاء هذا كمقدمات ريتشارد فايزر لمسرحه الدرامي الرائع بصفة عامة ، أو لظهور الأبطال في مسرحه بصفة خاصة كان هذا كله تمهيداً دقيقاً محكماً لظهور بياتريتشى على مسرح الفردوس الأرضي ، كبشر وكرمز للحقيقة الإلهية في آن واحد

وكان ظهور بياتريتشى مهيباً وقوراً باعثاً لمشاعر متنوعة ، ليس من السهل الإفصاح عنها وتظهر في أول الأمر فوق العربة الظافرة ، وسط سحابة من الأزهار نثرها عليها أسرابٌ من الملائكة ولم يستطع دانتى أن يتبناها لأول وهلة على أن

بياتريتشى وإن كانت قد بقيت فترة خافية على عيى دانتى ، إلا أنها لم تخف أبداً على قلبه ، الذى أحسّ وجودها قبل أن يتبينها وعرف دانتى علائم الشعلة القديمة فى صدره ، وأحسّ السلطان العارم لحبه القديم . بالقوة الخفية التى انبعثت منها ، والتى كانت قد أصابته بسهامها وهو لم يتجاوز دور الطفولة بعد وحاول دانتى أن يعبر لفرجيليو عما انتابه عندئذ من الوجد ، الذى لم يدع فى جسمه قطرة دم لا ترتجف وكانت هذه كلمات جريئة صادقة تهزّ المشاعر ، جاءت كجملة موسيقية مفاجئة فى لحن موسيقى إنسانى ، لأنها تذكرنا بأن علائم الحب الإنسانى واحدة فى كل زمان ومكان ولم يسمع فرجيليو الأب العزيز الحبيب ما قاله دانتى ، لأنه كان قد ارتحل وتوارى

وقبل أن تأتى بياتريتشى إلى الفردوس الأرضى ، كانت تمدّ لدانتى يد العون من بعيد أما الآن فراها جاءت إليه بنفسها لكى تصبح المعينة المخلصة المائلة بشخصها وعندئذ تتغير لأول وهلة طريققتها فى عونه وهى حينما كانت بعيدة عنه لم يكن لها سوى كلمات المعونة والنجدة المشوبة بالعطف والمحبة ظاهراً وباطناً ولكن طريقة معونتها تختلف حينما تمثل بذاتها وربما يدهش القارئ عندما يجد بياتريتشى لا تظهر لدانتى آيات الترحاب والمحبة ، التى كان ينتظر أن تبذلها له ، بل يجدها تبادره بكلمات اللوم والعتاب والتفريع الشديدة القاسية وهى حينما ترى دانتى يهرع إلى فرجيليو طلباً للعون والمساندة ، وحينما ترى دمعه المنهمر لارتحال فرجيليو عنه ، عندئذ تناديه باسمه ، وتطلب إليه ألا يترسل فى البكاء لذهاب فرجيليو ، إذ أن هناك من الأسباب الخطيرة ما سوف يحمله على البكاء مزيداً ، وتسأله كيف اجترأ على القدوم صُعداً فوق مدارج الجبل ، الذى ما هو إلا موئلٌ للسعداء من البشر وكأنها بذلك تتجاهل كل ما بذله من الجهد والعناء فى رحلته الشاقة ، حتى بلغ هذا الموضع ، وتجعله يبدو كأنه لا يزال فى بدء رحلته فى الغابة الكثيفة المظلمة ومضت بياتريتشى تذكر له كيف كان جماها فى الدنيا ومساندتها إياه عاملين أساسيين سارا به فى الطريق القويم ، ولكن ما إن غادرت عالم الأرض ، وسمت من حياة الجسد إلى حياة الروح ، وزاد الفضل والجمال فى أعطافها ، حتى أصبحت لديه أقلّ إعزازاً وأدنى قبولا ، وانساق وراء نساء أخريات وانحرف إلى مواطن الزلل ، وهوى إلى الحضيض

وكان موقف بياتريتشي من دانتى عاملاً أثار في قلوب الملائكة الرحمة والعطف عليه ، فشرعوا يرتلون شيئاً من آيات الكتاب المقدس ، وعندئذ ملاك دانتى الأسى على ما ارتكبه من المعاصي ، وذرف المزيد من دمه الهتون وتابعت بياتريتشي لومها وتقريعها متسائلة عن العقبات والمغريات التي سارت به في طريق الضلال ، وقالت إنه كان ينبغي عليه أن يسمو وراءها حينما أصابته سهام الأمور الخادعة ، وإنه ما كان ينبغي للأمور الباطلة أن تخفض إلى الأرض أرياشه ولسعت دانتى شوكة الندم وأحس بوخز الضمير ، حتى اشتدت كراهته لكل ما ازداد ميلاً إلى محبته من مغريات الدنيا الزائفة واستعرت وطأة التقريع والأسى والندم على دانتى حتى سقط على الأرض فاقد الوعي

وكانت هذه كلها كلمات عنيفة قاسية كحدّ السيف القاطع ، جعلت هذا الموقف يقده كله بالشرر . ولكن قسوة بياتريتشي لم تكن قسوة مقصودة لذاتها ، بل كانت آية إعزاز ومحبة لأنها لم تهدف إلا إلى بلوغ دانتى مراحل الطهر والنقاء والصفاء ، وصعوده إلى مراتب السعادة في الدنيا والآخرة ومن منا يمكنه أن يفرّق بين القسوة التي باطنها الرحمة وبين العطف الذي يؤدي إلى الأذى والضرر ؟ وألا يوجد بين الناس من يرضى بقسوته الضارة بغيره - أو بنفسه - بدون أن يرضى هو بقسوة غيره عليه ، ولو كان هدفها نفعه وخيره ؟

وحينما عاد دانتى إلى وعيه ، وجد ماتيلدا تغمره حتى عنقه في مياه هر لتي ، لكي تطهره من آثار الخطايا ثم أخرجته واقتادته بين الحوريات اللاتي كن يرقصن ، بينما كانت أنغام التريل العلوية تصدح في أرجاء الفردوس الأرضي وسار دانتى حتى بلغ موضع بياتريتشي ، فرأى في عينها الجريفون منعكساً بصورته البشرية والإلهية معاً ، وتبين جمال بياتريتشي الإلهي الذي عجز عن وصفه . ونظر دانتى مشهداً يرمز إلى ما لقيته الكنيسة من اضطهاد الأباطرة الرومان ، ومن ويلات السياسة ، ومن فساد الضمائر وانحلال الأخلاق وتأهبت بياتريتشي للمسير ، وسألت دانتى أن يسارع الخطى حتى يكون في موضع ملائم لكي يتحدثا معاً ، وعملت على أن تزيل ما في نفسه من مشاعر الخوف والحجل وقالت له بياتريتشي إن الأمبراطورية لن تظل أبداً دون وريث ، وسياتي الزمن الذي يظهر فيه رسول من السماء لكي يقضي على مفاسد الدنيا . وأفادته بأن تعاليم الفلسفة

لا تكفى وحدها لإيضاح ما أشكل عليه فهمه وسوف يتضح له كل شيء حينما ينعم في الفردوس بالنور الإلهي وأشرفت بياتريتشى على إرواء دانتى ، بمعونة ماتيلدا ، من مياه هر إينووى ، فعادت إليه ذكرى الأعمال الحميدة وبذلك صار دانتى مولوداً جديداً، وأضحى نقيماً طاهراً مؤهلاً للصعود إلى مدارج النجوم . ويتجلى فنّ دانتى الشعري في هذا الموقف الذى مرّ فيه دانتى المرتحل بتجربة درامية قوامها حبه المعجز ، والصراع في نفسه بين الخير والشر ، وفي الصورة التى رسم لنا فيها بياتريتشى كفتاة فلورنسية بلوها وعينيها وثيابها ، وبلومه وعتابه كامرأة انصرف عنها عاشقها ، وكربة شعر ومعلمة وهادية ، وكرمز للحقائق الإلهية فهى تلهمه وتسقيه من رحيق پارناسوس فتنبثق من ينبوعه روائع الشعر وهى بما تثيره فيه من العاطفة الخالصة ، تنقيه من الدنيا وتصقل نفسه وتسمو به إلى أرفع المعانى وهى تعلمه وتشرح له بطريقة عقلية ما غمض عليه من أمور الدنيا والآخرة ، بقدر ما يمكن أن يتقبله إدراكه وهى بتآلفها واتحادها بالله تعمل على أن تضوى على دانتى معنى الإلهام ، الذى ستتخذه وسيلة في سبيل هدايته وإرشاده والصعود به إلى معارج الفردوس

وهذا الموقف الذى شهدناه بين بياتريتشى ودانتى هو النمو الطبيعى في بناء الكوميديا حتى هذا الموضع ولما يليها ولقد اكتسب دانتى الرحالة فيضاً من الخبرة ، وعرف ألواناً من خفايا النفس البشرية ويبدو هذا الموقف كأنه التجلى الشعري والبهجة النامية الناجمة عن عودة دانتى إلى بياتريتشى وإن الصور والمعانى الواقعية والمثالية والذنيوية والإلهية ، التى أرادها دانتى لبياتريتشى ، لتبهرننا وتجتذبنا إليها ، وهى تتلاقى وتتباعد ، وتتقابل وتفرق ، وتتآلف وتمتزج ، كأنها أنعام إنسانية علوية أرضية إلهية تفعل فعلها في ذوى النفوس المرهفة وسوف نعود إلى بياتريتشى حين ننشر ترجمة الفردوس

* *

وبعد فأرجو أن أكون قد قدمت للقارئ العربى - ولنفسى - شيئاً يساعد على الاقتراب من شعر المطهر وتذوقه ، ويا حبذا لو حرص بعض الناس على دراسة اللغة الإيطالية ، لكى يتذوقوا بأنفسهم ألواناً من فنّ دانتى المتدفق من فيض منهله العذب الرائق الصافي

النشيد الثاني
المطهر

الأنشودة الأولى^(١)

وصل دانتى وفرجيليو إلى ساحل جبل المطهر ، فأخذ دانتى يستنجد بربات
الشعر لكى تساعدنه على وصف زرقه السماء التى أبهجت عينيه بعد أن خرج من
ظلمة الجحيم ، ورأى الزهرة التى أبهجت المشرق بضوئها المتألق وشهد دانتى
أربعة نجوم تضيء السماء ؛ وترمز للفضائل الرئيسية الأربع ؛ ثم رأى دانتى كاتو
حارس المطهر ذا اللحية الطويالة والشعر الأبيض ، الذى أظهر دهشته عند رؤية
الشاعرين ، وسألها عن سبب وجودهما فى هذا الموضع جعل فرجيليو دانتى
يركع ويطرق رأسه وأخذ يشرح الأمر لكاتو ، وأفاده بأن سيدة من السماء
- بياتريتشى - طلبت إليه أن يسعف دانتى ، فعجاء به إلى هذا المكان لكى
يريه الأرواح التى تطهر نفسها فى رعايته وقال فرجيليو إن دانتى يبحث عن
الحرية ، التى يعرفها هو نفسه حق المعرفة وقد رفض الحياة بدونها ، وأفاده أن
دانتى إنسان حى ، وأنه هو من حلقة العيون الطاهرة - أى اللمبو - وحاول أن
يستحلفه باسم زوجته مارتيزيا لكى يستجيب إلى طلبه فأجاب كاتو بأن مارتيزيا
لا أثر لها عليه الآن بحكم قانون المطهر ، ولكن يكفى أن يلف وسط دانتى بالأسل
الناعم ، رمز التواضع ، ويغسل وجهه من علائق الجحيم بقطرات الندى وبينما
كان الفجر يهزم نسيم الصباح أخذ فرجيليو يغسل وجه دانتى وقد تساقط دمعته
على خديه ، فكشف عن لونه الطبيعى ، ثم طوقه بالأسل ، ذلك النبات الحفيض
الذى كان يعود إلى النمو كلما اقتلع

- ١ الآن يرفع زورق فكرى أشرعته^(٢)، لكى يجرى على مياهٍ أهدأ^(٣)، تاركاً وراءه بحراً خضماً^(٤)،
- ٤ وسأتغنى بتلك المملكة الثانية^(٥)، حيث تتطهّر الروح الإنسانية^(٦)، وتصبح جديرةً بالصعود إلى السماء .
- ٧ ولكن فليُبعث هنا ميت الشعر^(٧)، ما دمت أنتمى إليكن^(٨) - يا ربّات الشعر المباركات^(٩) - ولتنهض كاليوبي برهة^(١٠)،
- ١٠ ولتصاحب نشيدى بذلك النغم الذى أحسّست العقائق البائسة بوقع ضرباته^(١١)، حتى أيسّتُ بذلك من الغفران^(١٢).
- ١٣ إن لوناً رائعاً من لازورد المشرق^(١٣)، الذى أخذ يتجمّع فى صفحة الهواء الرائق^(١٤) - الصافى حتى أولى الدوائر^(١٥) -
- ١٦ أعاد البهجة إلى عيى^(١٦)، حينما خرجتُ من الهواء الميت^(١٧)، الذى كان قد أحزن قلبي وقبض صدرى^(١٨)
- ١٩ لقد أضحك المشرق كله^(١٩)، الكوكبُ الجميل الذى يهيه النفس للمحبة^(٢٠)، حينما حجب برج الحوت الذى كان فى رفقته^(٢١)
- ٢٢ فاستدرت إلى اليمين^(٢٢)، واتجهت بفكرى إلى القطب الآخر^(٢٣)، فرأيت أربعة نجوم^(٢٤)، لم تبصرها بعد أول البشر عيناً أبداً^(٢٥).
- ٢٥ وبدت السماء تنعم بأنوارها^(٢٦): إيه يا أرض الشمال المترملة بحرمانك من التطلع إليها^(٢٧)!
- ٢٨ ولما توقفتُ عن مرآها واتجهت قليلاً إلى القطب الآخر^(٢٨)، حيث كان الدب الأكبر قد توارى^(٢٩)،
- ٣١ رأيت بقربى عجوزاً بمفرده^(٣١)، جديراً فى مظهره بالتجلة التى ليس للابن أن يبدى لأبيه أكثر منها^(٣١)
- ٣٤ كان ذا لحيةٍ شيباءٍ طويلةٍ^(٣٢)، تشبه شعر رأسه الذى سقطت منه على صدره خصلتان^(٣٢).
- ٣٧ وبالنور زيّنت مُحيّاه أشعةُ الأنوار الأربعة المباركة^(٣٣)، حتى رأيتَه كأن قد صارت أمامه الشمس^(٣٤)



٣ - دانتى وفرجيليو على شاطئ المطهر
يتطلعان إلى الزهرة

أنشودة ١ ١٩ - ٢١

- ٤٠ قال وهو يحرك لحيته الوقورة^(٣٥) : « من ° أنما اللذان هربتا من السجن الأبدى^(٣٦) - بعكس اتجاه النهر الأعمى^(٣٧) ؟ »
- ٤٣ ومن ° ذا الذى أرشدكما ، أو بأى مصباحٍ اهتديتما ، حينما خرجتما من أغوار الليل الذى يُظلم وادى الجحيم أبداً^(٣٨) ؟
- ٤٦ أهكذا خُرقت قوانين الهاوية ؟ أم تبدلت أخيراً أحكام السماوات ، حتى تأتيان آثميين إلى صخراتي^(٣٩) ؟ »
- ٤٩ حينئذ أمسك بى دليلي^(٤٠) ، وبكلماته ويديه وإشارات منه ، جعلنى أبدى له احترامى بالساقين والعينين^(٤١)
- ٥٢ ثم أجابه « إننى لم أجدى من تلقاء نفسى بل لقد نزلت من السماء سيدة^(٤٢) ، وبرجائها أسعفتُ بصحبتى هذا الرجل^(٤٣) »
- ٥٥ ولكن ما دامت رغبتك هى أن تستزيد إيضاحاً عن حقيقة أمرنا^(٤٤) ، فلن تقوى لى رغبةً على أن أرفض ذلك^(٤٥)
- ٥٨ لم ير هذا الرجل مساءه الأخير بعد^(٤٦) ، ولكنه بجنونه ازداد إليه اقتراباً^(٤٧) ، حتى لم يعد للرجوع عنه سوى وقت جدّ قصير^(٤٨)
- ٦١ وكما قلت^(٤٩) ، لقد أرسلت إليه لكى أنقذه^(٥٠) ، وما من طريق كان له أن يتبعه سوى هذا الذى اتخذته^(٥١)
- ٦٤ ولقد أريته كل الآثمين من الناس^(٥٢) : وقصدى الآن أن أظهره على تلك الأرواح^(٥٣) التى تطهر نفسها تحت سلطانك^(٥٤)
- ٦٧ سيطول بنا الأمر إذا قلت لك كيف جئت به^(٥٥) ، وإن فضلاً ليهبط من أعلى^(٥٦) ، يعيننى على أن أقوده كى يراك ويسمعك^(٥٧) .
- ٧٠ وعسى أن يروك الآن أن ترحب بمقدمه : إنه يسير فى طلب الحرية^(٥٨) ، التى هى عزيزةٌ غاليةٌ ، كما يعرف ذلك من ° يبذل فى سبيلها حياته^(٥٩) .
- ٧٣ وإنك بها عليمٌ ، إذ لم يكن موتك بسببها فى أوتيك^(٦٠) شيئاً مريراً ، حيث تركت الثوب^(٦١) الذى سيصبح شديد التآلق فى اليوم العظيم^(٦٢)
- ٧٦ وإننا لم نخرق القوانين الأبدية^(٦٣) ، لأن هذا الرجل إنسان حتى^(٦٤) ، ومينوس لا يقيدنى^(٦٥) ، ولكننى أنتمى إلى الحلقة التى بها العينان الطاهرتان^(٦٦) ،

- ٧٩ حلقة مارتزيا زوجك^(٦٧) ، التي تبدو أنها لا تزال ترجوك - أيها الروح المبارك - أن تحتفظ بشخصها بنفسك^(٦٨) : ولذلك فلتستجب باسم حبها إلينا^(٦٩) .
- ٨٢ ولتدعنا نذهب خلال ممالكك السبع^(٧٠) : وسأقصّ عليها آيات فضلك ، إذا كان يعينيك أن تُذكر هناك في أسفل^(٧١) .
- ٨٥ فقال عندئذ « حينما كنت في ذلك الجانب^(٧٢) ، كانت مارتزيا في عينيّ عزيزة حتى لبيت كل ما سألتني إياه من المكرمات
- ٨٨ وهي بإقامتها الآن خلف مهر الشر^(٧٣) ، لا تقوى على أن تؤثر فيّ مزيداً ، بذلك القانون^(٧٤) الذي وُضع حينما خرجت من هناك^(٧٥) .
- ٩١ ولكن إذا كانت سيدة من السماء تحركك وترشدك^(٧٦) ، كما تقول ، فلا حاجة لك بكلمات الإغراء وحسبك حقاً أن تسألني باسمها^(٧٧)
- ٩٤ امض إذاً ، واعمل على أن تلف وسطه بأسل ناعم^(٧٨) ، وتغسل وجهه ، حتى يزول عنه كل قدر بذلك^(٧٩) ،
- ٩٧ إذ لا يليق السير بعين تغشاها أثارة من الضباب^(٨٠) ، أمام أول راعٍ من بين رعاة الفردوس^(٨١) .
- ١٠٠ هذه الجزيرة - هناك حيث يضربها الموج حول أسفل مواقعها - تحمل أسلا فوق طمبيها اللين^(٨٢) ،
- ١٠٣ ولا نبات غيره مما تنمو أوراقه أو يجفّ ، تُتاح له الحياة هناك ، إذ لا يميل مع لطمات الموج^(٨٣)
- ١٠٦ وعلى ذلك فلن يكون من هنا رجوعك ، وإن الشمس التي هي الآن في دور طلوعها^(٨٤) ، ستريك كيف تصعد الجبل عند مرتقى أيسر^(٨٥) »
- ١٠٩ وهكذا اختفى ، فهضت واقفاً^(٨٦) بدون كلام ، واقتربت تماماً من دليلي ووجهت عينيّ إليه
- ١١٢ فبدأ « فلتتبع خطاي ولتتجه إلى الورا^(٨٧) ، لأن هذا السهل ينحدر من هذا الموضع حتى حدوده السفلى^(٨٨) »
- ١١٥ وكان الفجر يظفر بنسيم الصباح الذي أخذ في الهرب أمامه ، حتى تبينت من بعيدٍ رجرجة البحر^(٨٩)

- ١١٨ وشرعنا نسير في السهل الخالي^(٩٠) ، كمن يعود إلى الطريق الذي ضلّ عنه ،
ويبدو له السير عبثاً - حتى يبلغه^(٩١)
- ١٢١ ولما أصبحنا هناك حيث تعترك قطرة الندى مع أشعة الشمس ، وإذ تداعبها
في مرقدتها أنسامُ الفجر ، فلا يتبخر من مائها سوى جزئيات^(٩٢) ،
- ١٢٤ وضع أستاذي برفقٍ كلتا يديه الممدودتين على العشب الناعم^(٩٣) وحينما
أدركتُ قصده أوليته عندئذ
- ١٢٧ خدّتي المخضلين بالدمع^(٩٤) وهنا أزال مي تماماً ذلك اللون الذي أخفته
مي أوضار الجحيم^(٩٥)
- ١٣٠ ثم بلغنا الشاطئ القفر ، الذي لم يشهد أبداً فيمن جابوا مياهه من البشر ،
من صار بعدُ خبيراً بالعودة منه^(٩٦)
- ١٣٣ وهنا طوّفتي كما راق ذلك للآخر^(٩٧) ويا للعجب ! فقد كان كلما اقتلع
شيئاً من النبات الحفيض^(٩٨) ، عاد توّاً إلى نموه ،
- ١٣٦ هناك حيث انتزعه^(٩٩)

حواشى الأنشودة الأولى

- (١) الأنشودة الأولى مقدمة للمطهر
- (٢) يشبه دانتي فكره - أو عبقريته - بزورق يجوب مياهاً هادئة بعد أن خرج من الجحيم إلى المطهر وفي الأصل مياه (أفضل)
- Virg. Geor. IV. 117 (٣) تقترب هذه الصورة مما أورده فرجيليو
- (٤) أى أنه ترك وراءه عالم الجحيم القاسى
- (٥) يعنى عالم المطهر الذى يقع فى مقابل الجحيم والمطهر - جبل - مرتفع يحوطه الماء وله مدخل وسبعة أفاريز يعلوها الفردوس الأرضى وتوجد صورة تمثل دانتي يقرأ الكوميديا ومن المناظر الواضحة خلفه - جبل - المطهر وهى من رسم دومنيكو دى ميكيلينو من القرن ١٥ وهى فى كنيسة سانتا ماريا دل فيورى فى فلورنسا
- (٦) يتكرر هذا التعبير فى هذه الأنشودة فى بيت ٦٦ وفيما بعد
- Purg. XVII. 83; XXVI. 92;
- (٧) يعنى الشعر الذى تناول من قبل عالم الموتى فى الجحيم ويمكن أن يترجم لفظ (qui) بقولنا (الآن) بدلا من (هنا) .
- (٨) أى أن دانتي يتلقى الوحي من رببات الشعر وييشبه هذا قول هوراتيوس
- Hor. Od. III. IV. 21.
- (٩) يستنجد دانتي كما دته بربات الشعر لكى يقوى على القول .
- (١٠) كاليوبي (Calliope) إحدى رببات الشعر التسع فى الميثولوجيا اليونانية ، وتختص رعاية شعر الملاحم ، ويقال إنها أم أورفيوس ، ويشبه هذا المعنى ما أورده فرجيليو وأوفيدوس
- Virg. Æn. IX. 525.
- Ov. Met. V. 338.
- (١١) هؤلاء هن البنات التسع لبيروس ملك أماثيا فى مقدونية ، اللاتى تطاولن على رببات الشعر ، وزعن أنهن يفضلنهن فى الغناء فهزمتهن كاليوبي وتحولن إلى عقاقق جمع عققق (pica) وهى طيور تشبه الغربان . وأورد أوفيدوس أسطورتهم
- Ov. Met. V. 293-678.
- (١٢) أى أن ربة الشعر غلبت بنات بيروس فى الغناء وليس لهن أمل فى العفو حتى يرجعن إلى صورتهم الأولى .
- (١٣) خرج دانتي من ظلمات الجحيم إلى المطهر فرأى لون السماء كلون حجر الصفير - الياقوت الأزرق - الذى يأتى من المشرق
- (١٤) هذا هو الأثير الصافى .
- (١٥) ربما كان المقصود بالدائرة الأولى الأفق - أو سماء القمر أو سماء المحرك الأولى فى الفردوس .

- (١٦) يبدأ دانتي دخول المطهر بشعور بهج سعيد بعكس دخوله في الجحيم .
- (١٧) يعنى هواء الجحيم المظلم
- (١٨) أى الذى أحزن قلبه ونفسه وأضفت (قبض) تأكيداً لمعى الحزن والكرب .
- (١٩) تجعل الزهرة الشرق بضوئها ضاحكاً مبتهجاً . وهذا مزج بين صفات الإنسان والكواكب .
- (٢٠) يعنى كوكب فينوس أو الزهرة . والمقصود أن الوقت كان حوالى الساعتين قبل شروق الشمس فى يوم الأحد ١٠ أبريل ١٣٠٠
- (٢١) أى حجبت الزهرة سائر النجوم فى برج الحوت بضوئها الساطع
- (٢٢) يعنى إلى الجنوب .
- (٢٣) أى القطب الجنوبي .
- (٢٤) هذه نجوم تخيلها دانتي وترمز لفضائل العدالة والحكمة والقوة الخلقية وضبط النفس .
- (٢٥) أول البشر يعنى آدم وحواء .
- (٢٦) يعنى بضياء الفضائل الأربع
- (٢٧) يقصد أن الجحيم - الأرض المترملة - التى تقع فى الشمال محرومة من ضياء هذه الفضائل .
- (٢٨) أى القطب الشمالى .
- (٢٩) يعنى أن الدب الأكبر لا يظهر إلا لمن هونى نصف الكرة الشمالى .
- (٣٠) هذا هو ماركوس پورسيوس كاتو (٩٥ - ٤٦ ق.م ، Marcus Porcius Cato) السياسى الرومانى من أنصار الجمهورية ، الذى عارض قيصر ويومى ، وعند ما قامت الحرب بينهما انضم إلى الأخير ، وهرب بعد معركة فارساليا قاصداً أفريقيا ، وهزم قيصر فانتحر . وعلى رغم أنه عاش قبل المسيحية فإن دانتي جعله حارس المطهر ، لأنه يمثل عنده الرجل الوطنى المدافع عن الحرية . وسبقت الإشارة إليه فى الجحيم ، وعرف فرجيليو قدره
- Inf. XIV. 15.
- Virg. Æn. VIII. 670.
- (٣١) هذه صورة دقيقة لاحترام الشيخوخة والأبوة مأخوذة من الحياة الواقعة .
- (٣٢) لم يكن كاتو عند انتحاره شيخاً فى الواقع . وربما فهم دانتي نص لوكانوس على هذا النحو
- Luc. Phar. II. 373-376.
- (٣٣) أى أشعة الفضائل الأربعة .
- (٣٤) بلغ به الضوء هذا المستوى الوضاء .
- (٣٥) حركة الشعرات مأخوذة من حياة الإنسان . ويشبه هذا قول هوراتيوس
- Hor. Od. IV. X. 2...
- (٣٦) دهش كاتو لرؤية فرجيليو ودانتي وظن أنهما هاربان من الجحيم فخطبهما بمزيج من الدهشة والغضب .
- (٣٧) هذا هو الممر المظلم الذى يصل بين مركز الأرض وجزيرة المطهرة
- Inf. XXXIV. 127...

- (٣٨) هكذا يستمر كاتو فى استفهامه بهذه الأسئلة المتلاحقة
- (٣٩) يعنى إلى الموضع المكلف بحراسته . ويتكرر استخدام لفظ (grotte) بمعنى صخرات
Inf. XIV. 114; XXI. 110. Purg. III. 90; XIII. 45; XXVII. 87.
- (٤٠) أمسك فرجيليو بدانتى كما فعل غير مرة فى الجحيم .
- (٤١) هذه علامت الاحترام لشخص كاتو . وعبر دانتى بحركته عن المعنى المقصود .
- (٤٢) أى بياتريتشى كما ورد فى الجحيم
Inf. II. 52-120; XII. 88-91.
- (٤٣) هكذا يجيب كاتو عن بعض أسئلته .
- (٤٤) يعنى هل هما من أهل الخطايا ، وإذا لم يكونا فما حالهما
- (٤٥) لا يستطيع فرجيليو رفض ما يطلبه كاتو ، ويعبر عن ذلك بأسلوب رقيق .
- (٤٦) أى أن دانتى لم يمض بعد ، والمقصود الموت الروحى .
- (٤٧) يعنى أوشك دانتى على أن يفقد نفسه بارتكاب الخطايا
- (٤٨) أى أن فرجيليو أنقذ دانتى من موت روحه بارتكاب الخطايا وهذه إشارة إلى ما سبق فى
الجحيم
Inf. I. 61; II. 61-66.
- (٤٩) هذه إشارة إلى أبيات ٥٢ - ٥٤
- (٥٠) كانت بياتريتشى قد أرسلت فرجيليو لإنقاذ دانتى كما سبق:
Inf. II. 58
- (٥١) كان هذا هو الطريق الوحيد لإنقاذ روح دانتى كما سبق
Inf. I. 91
- (٥٢) يعنى أهل الجحيم
- (٥٣) أى أهل المطهر
- (٥٤) يعنى أن كاتو هو حارس المطهر
- (٥٥) هذا استمرار فى الإجابة عن أسئلة كاتو
- (٥٦) هذه إشارة إلى تدخل السماء وبياتريتشى لإنقاذ دانتى
- (٥٧) أى لكى يعرف كيف تتطهر النفوس
- (٥٨) هذه هى الحرية الخلقية أساس كل الحريات وورد هذا المعنى فى «الكتاب المقدس» وفى الكوميديا:
Rom. VIII. 2.
Inf. XVI. 61. Purg. XXIV. 141; XXVII. 115-117, 139-142.
- (٥٩) يعنى أن كاتو انتحر فى سبيل الحرية . وفى الأصل (يرفض) الحياة
- (٦٠) كان كاتو يعرف قدر الحرية ، وعند ما هزم انتحر فى أوتيكا (Utica) المستعمرة الفينيقية
الأصل بقرب قرطاجنة فى شمال أفريقيا
- (٦١) أى جسمه
- (٦٢) يعنى أن جسمه سيصبح مضميئاً يوم القيامة لأنه سيكون من الطوباويين .
- (٦٣) هكذا يتابع فرجيليو الإجابة عن أسئلة كاتو.
- (٦٤) دانتى إنسان حى وبذلك لم نخرق قوانين المطهر

- (٦٥) وثرجيليو ليس من الآثمين الذين يرسلهم مينوس إلى عذاب الجحيم
Inf. V. 4
- (٦٦) أى أن اللب هو مكان ثرجيليو
Inf. IV. 39.
- (٦٧) مارتزيا مكانها اللب
Inf. IV. 128.
- (٦٨) كان كاتو قد ترك زوجته مارتزيا لصديقه هورتينسيوس ، ولما مات تزوجت كاتو من جديد .
- (٦٩) يستحلفه بالحب أن يستجيب إليهما ، والمفروض أن شفاعاة الحب لا ترفض . وفي الأصل فعل
(ينعطف أو يميل)
- (٧٠) يعنى أفاريز المطهر
- (٧١) أى فى اللب
- (٧٢) يعنى عند ما كان فى الدنيا
- (٧٣) أى وراء هرأ كيروتى الذى يحيط بالجحيم
- Inf. III. 122...; XIV. 112-119.
- (٧٤) يعنى القانون الذى يمنع تبادل العاطفة بين أهل الجحيم وأهل المطهر وهذا مقتبس من . « الكتاب المقدس »
- Luc. XVI. 26.
- (٧٥) أى عند ما نزل المسيح لإخراج بعض النفوس من الجحيم :
Inf. Iv. 55-61.
- (٧٦) يعنى بياتريشى .
- (٧٧) يكفى أن يسأل ثرجيليو كاتو باسم بياتريشى حتى يستجيب له .
- (٧٨) الأسل (juncus) نبات عشبي تصنع منه الحصر .
- (٧٩) أى أنه ينبغى إزالة آثار الجحيم من وجه دانتى ومن نفسه حتى يصبح جديراً بزيارة المطهر ويشبه هذا المعنى ما ورد فى التراث الإسلامى من حيث إزالة آثار الدنيا بالاعتسال ابن مخلوف ، عبد الرحمن كتاب العلوم الفاخرة فى النظر فى أمور الآخرة . القاهرة ، ١٣١٧ هـ . ج ٢ ص ٦٢ سطر ١٣
- (٨٠) يعنى كل آثار الجحيم
- Purg. IX. 73-132.
- (٨١) يقصد الملاك الحارس لمدخل المطهرة
- (٨٢) الأسل رمز للتواضع والتوبة .
- (٨٣) الأعشاب التى تزيد درجة نموها تصبح قوية ولا تميل مع الأمواج فتتكسر ، بعكس الأسل العشب البدائى اللين الذى يميل ويتحرك مع لطمات الأمواج
- (٨٤) أى أن الصعود سيكون جهة الشرق .
- Purg. III. 76-77.
- (٨٥) يحدد بهذا موضع الصعود فى المستقبل
- (٨٦) كان دانتى حتى هذه اللحظة لا يزال راعماً على ركبته احتراماً لكاتو .
- (٨٧) يعنى أنهما سيتوجهان صوب الجنوب
- (٨٨) أى ينحدر نحو شاطئ البحر
- (٨٩) كان الفجر سبباً فى تحرك الهواء ولهذا رأى دانتى اضطراب البحر وهذه إحدى صور الطبيعة التى رسمها دانتى بريشته .

- (٩٠) عند ما اختفى كاتو أصبح الطريق خالياً إلا من الشاعرين .
- (٩١) هذا تصوير دقيق لحال من يضل الطريق فيأخذه القلق حتى يعود إليه
- (٩٢) هذا تصوير بارع لشروق الشمس وسقوط الندى وتبخره بأشعتها وهبوب النسيم
- (٩٣) هذه حركة فرجيليو الرقيقة لكي يغسل وجه دانتى .
- (٩٤) بكى دانتى عند ما أدرك رغبة فرجيليو ، وكان هذا بكاء التوبة والفرح والشعور الرقيق بما هو مقبل عليه
- (٩٥) يعنى غسل وجهه وأزال ما علق به من آثار الجحيم وأعاد إليه لونه الطبيعي .
- (٩٦) هذا دليل على خشونة البحر وصعوبة الملاحة في هذا الموضع ، ويقال إن أوليسيس غرق فيه
- Inf. XXVI. 133..,
- (٩٧) أى أحاط وسطه بالأسل كما راق لكاتو أن يفعل ذلك
- (٩٨) يعنى النبات الضئيل رمز التواضع
- (٩٩) تعجدد النبات بعد اقتلاعه رمز لزيادة التواضع عند ممارسته من جديد ويشبه هذا ما ورد في الإنيادة
- Virg. Æn. VI. 143..,

الأنشودة الثانية^(١)

أخذ الليل يرخى سدوله في أورشليم بينما كان النهار طالعاً في المطهر ، وتحول لون السماء إلى الصفرة ، وكان الشاعران على شاطئ الجزيرة ، حينما رأى دانتى نوراً يعبر البحر بسرعة فائقة ، وباقترابه تبين أنه ملاك السماء حمل فرجيليو دانتى على أن يركع ويضم يديه احتراماً له ، وخفض دانتى عينيه لشدة الضياء ، ووصل الملاك بقارب سريع يحمل الأرواح السعيدة التي كانت ترتل آيات عن خروج إسرائيل من مصر وبدأت جماعة الأرواح غريبة على الشاطئ القفر ، وسألوا الشاعرين عن طريق الذهاب إلى التطهر ، فأجاب فرجيليو بأنهما غريبان مثلهم ، وأنهما قدما عبر طريق شاق وعر وحينما أدركت الأرواح أن دانتى إنسان حتى ازدحمت حوله ونسيت الذهاب إلى التطهر وخرج شبح لعناق دانتى بحب عظيم وحاول دانتى القيام بالمثل ، ولكن يديه رجعتا إلى صدره ، وعرف دانتى أن هذا هو شبح كازيلا الموسيقى الفلورنسى ، فسأله لِمَ تأخر تطهره ، فأجابه بأن هذه هي رغبة ملاك السماء التي هي مصوغة من إرادة الله وطلب إليه دانتى أن يتغنى بأغنية من شعره ففعل ، وانتبه الجميع إلى أنغامه العذبة وعندئذ صاح بهم كاتو - حارس المطهر - وعنفهم لتكاسلهم وأمرهم بالمسارعة إلى الجبل لكي يتطهروا ، فاندفعوا كالحمام الذي يخيفه خطر داهم بينما يلتقط الحب ، وتركوا الغناء وساروا إلى جبل المطهر ، وكذلك سار الشاعران .

- ١ كانت الشمس قد بلغت الأفق^(٢) الذى يغطى أعلى موضع^(٣) من خطّ زواله^(٤) ، مدينةَ أورشليم ،
- ٤ والليل^(٥) الذى يدور بعكس الشمس^(٦) ، أخذ يخرج من منطقة الكنج^(٧) مع برج الميزان^(٨) ، الذى يسقطه الليل من يده عندما يسبق^(٩) ؛
- ٧ حتى إن خدّى الفجر الحميل الأبيضين المشوبين بالحُمْرة^(١٠) ، تحوّلوا بمرور الوقت^(١١) إلى لون البرتقال^(١٢) - حيث كنت واقفاً هناك^(١٣)
- ١٠ وكنّا لا نزال عند شاطئ البحر كقومٍ يتفكرون في طريق رحلتهم^(١٤) : وبقلوبهم يسرون ولكنهم بأجسامهم يتلبثون^(١٥)
- ١٣ وانظر ! كما يحمرّ لون المريخ عند انبلاج النهار خلال الضباب الكثيف^(١٦) ، هناك صوب المغرب فوق سطح البحر في أسفل^(١٧) -
- ١٦ هكذا بدا لى - ولعلى أراه ثانياً^(١٨) ! - نورٌ يأتى عبر الماء بسرعة فائقةٍ ، حتى لم يعدل سرعته طيرانٌ أبداً^(١٩)
- ١٩ وبعد أن نأيتُ بعينى برهةً لكى أسائل عنه دليلي^(٢٠) ، رأيتُه من جديد قد صار أبهى ضياءً وأكبر حجماً^(٢١)
- ٢٢ ثم بدا لى فى كلا جانبيه لونٌ أبيض ، لم أدر ما هو^(٢٢) ، ومن تحته امتدّ بياضٌ آخر رويداً رويداً^(٢٣)
- ٢٥ وظلّ أستاذى صامتاً^(٢٤) ، حتى بدا اللونان الأبيضان الأولان أنهما جناحان : وحينما اتضحّت له ملامح الملاح^(٢٥) ،
- ٢٨ صاح بى « اثن ركبتيك ، اثنهما فهناك ملاك الله ولتضم يديك^(٢٦) » ولسوف ترى من الآن حراساً مثله^(٢٧)
- ٣١ ولتنظر كيف يزدري وسائل البشر^(٢٨) ، فهو لا يبغى مجدافاً ولا شراعاً سوى جناحيه^(٢٩) ، بين شطآن شديدة البعد^(٣٠)
- ٣٤ انظر كيف وجههما صوب السماء ، ضارباً الهواء بأرياشه الأبدية ، التى لا تتبدّل كما يتبدّل الريش الفانى^(٣١) «
- ٣٧ وكلما كان الطائر الإلهى يزداد منا اقتراباً^(٣٢) ، كان يتبدّى أسطع ضياءً ، حتى لم تقو عيناي على احتمالها من قريب ،

- ٤٠ فغضضتُ بصرى^(٣٣) ، وجاء هو إلى الشاطئ بقاربٍ خفيفٍ سريع الحركة^(٣٤) ، حتى لم يغمر الماء منه شيئاً^(٣٥)
- ٤٣ وكان ملاح السماء واقفاً عند مؤخر القارب^(٣٦) ، وبدت الغبطة مسطرةً على جبينه^(٣٧) ؛ وجلس أكثر من مائة روح بالداخل .
- ٤٦ وترنموا جميعاً بصوت واحد مردّدين "عند خروج إسرائيل من مصر" ، وبما كُتب بعدُ في ذلك الزمور^(٣٨)
- ٤٩ ثم رسم لهم علامة الصليب المقدّس^(٣٩) ، وعندئذ ألقوا جميعاً بأنفسهم على الشاطئ^(٤٠) ، وذهب كما جاء بسرعة فائقة
- ٥٢ والجماعة التي بقيت هناك بدت على ذلك المكان غريبة^(٤١) ، وأخذت تتطلع إلى ما حولها كن يخبر بنفسه أشياء ليس له بها عهد^(٤٢)
- ٥٥ ورشقت الشمس أشعةَ النهار في كلّ جانب^(٤٣) ، وبسهامٍ سديدة طاردت برجَ الجدى في كبد السماء^(٤٤) ،
- ٥٨ حينما رفع الغرباء^(٤٥) جباههم نحونا قائلين « ألا فلتظهرانا على طريق الذهاب إلى الجبل ، إذا كنّا نعرفان سبيله^(٤٦) » .
- ٦١ فأجاب فرجيليو « ربما تظنون أننا بهذا المكان خبيران ، ولكننا مثلكم فيه غريبان^(٤٧) »
- ٦٤ ولقد جئنا قبلكم ببرهة من غير هذا الطريق ، الذي كان وعراً قاسياً^(٤٨) ، حتى ليبدو لنا لعباً صعودنا الآن »
- ٦٧ والأرواح التي أدركت من تردّد أنفاسي أنى لا أزال على قيد الحياة ، شحب لونها بما تولّوها من العجب^(٤٩)
- ٧٠ وكما يتدافع الناس حول رسولٍ يحمل غصن الزيتون^(٥٠) لكي يسمعوا أنباءه ، ولا يتردّد أحدهم في أن يزحم غيره^(٥١) -
- ٧٣ هكذا ثبتتُ أعينها في وجهي كلّ هذه الأرواح السعيدة المولد ، وكادت تنسى الذهاب كي تتجمّل^(٥٢)
- ٧٦ ورأيت إحداهما^(٥٣) تسعى إلى الأمام لعناقى ، وقد تملكها شعورٌ بالحبّة الزائدة ، فحملتني على أن ألقاها بالمثل^(٥٤)

- ٧٩ إليه أيتها الأشباح الخاوية إلا من صورتها^(٥٥) ! لقد ضمنتُ يديّ من خلفه ثلاث مرات ، وبذات عددها رجعت بهما إلى صدري^(٥٦)
- ٨٢ وأعتقد أن وجهي كان قد وشيه العجب^(٥٧) ، وعندئذ ابتسم الشبح وتراجع ، واندفعتُ إلى الأمام لكي أتابعه^(٥٨)
- ٨٥ فسألني بلطف أن أتوقف فعرفت حينئذ من كان ، ورجوته أن يقف قليلا كي يحدثني^(٥٩)
- ٨٨ فأجابني « كما أحببتك بجسمي الفاني ، كذلك أحببك وقد تحررت منه^(٦٠) ولذا فإني أتوقف ، ولكن لم تأتني أنت ها هنا^(٦١) ؟ »
- ٩١ قلت « يا عزيزي كازيلا^(٦٢) ، إنني أقوم بهذه الرحلة لكي أعود ثانياً حيث أنا الآن هنا^(٦٣) ، ولكن لم أضعت كل هذا الوقت سدّي^(٦٤) ؟ »
- ٩٤ فقال، لي « لم ينلني بذلك ضررٌ ، ما دام الذي يرفع من يشاء كما يروق له^(٦٥) - قد رفض عبوري مرات عديدة ؛
- ٩٧ إذ أن إرادته قد صيغت من مشيئة عادلة^(٦٦) : وإكفه أخذ منذ أشهرٍ ثلاثة ، بتمام الرضا ، كل من رغب منا أن يدخل^(٦٧)
- ١٠٠ وعندئذٍ تلقّاني بكل ترحاب^(٦٨) ، حينما كنت متجهاً إلى شاطئ البحر ، حيث تصبح مياه التبير مالحة^(٦٩)
- ١٠٣ والآن وجهه جناحه إلى ذلك المصب ، إذ يجمع هناك دوماً كل من لا يتهاون إلى مياه أكبرونتي^(٧٠) »
- ١٠٦ فقلت « إذا لم يحرمك قانونٌ جديد^(٧١) من ذاكرتك أو من براعتك في أغاني الحب ، التي اعتادت أن تُرضي كل رغباتي^(٧٢) ،
- ١٠٩ فلعلّه يروك أن تسرّي بها قليلا عن نفسي المكدودة المُتعبة ، لمحبيّ بجسدي ها هنا^(٧٣) »
- ١١٢ بدأ عندئذٍ بصوت عذب رقيق ، لا تزال عدوبته تتردد بين جوانحي^(٧٤) : « الحب الذي تتجاوب في خاطري كلماته^(٧٥) »
- ١١٥ وبدا أستاذي وبدوتُ ومن كانوا في صحبة كازيلا في غاية الرضا ، حتى لكأنه لم يعد يخطر ببال أحدنا شيءٌ سواه^(٧٦)

- ١١٨ وظللنا صامتين منتبهين جميعاً إلى أنغامه (٧٧) وإذا بالشيخ الوقور يصبح بنا (٧٨) « ما هذا كله ، أيتها الأرواح الكسلى ؟
- ١٢١ ما هذا التهاون وما هذا التوقف؟ فلتسارعوا إلى الجبل لكي تنضوا عنكم هذه الغشاوة (٧٩) التي تحجبكم عن رؤية الله (٨٠) .
- ١٢٤ وكالحمام حينما يجتمع على الطعام فيلتقط القمح أو الشيلم وهو هادئ ساكن ، بدون أن يبدي كبرياءه المألوف (٨١) ،
- ١٢٧ فإذا بدا ما يمكن أن يخيفه ، يدع جانباً طعامه فجأة ، لتعرضه لأمر أجل شأناً (٨٢) -
- ١٣٠ هكذا رأيت تلك الأسرة الحديثة المقدم (٨٣) ، تكف عن الغناء وتذهب صوب الشاطئ (٨٤) ، كمن يسير بدون أن يدري أين المخرج (٨٥)
- ١٣٣ ولم يكن رحيلنا أقلّ مهم سرعة (٨٦)

حواشي الأنشودة الثانية

- (١) بهذه الأنشودة يبدأ مدخل المطهر على شاطئ جزيرة المطهر ، ويمتد هذا المدخل حتى الأنشودة الثامنة
- (٢) أى أفق المطهر وأورشليم وكان العالم المسكون عند دانتي هو الجزء الواقع شمالى خط الاستواء الممتد من مصب نهر الكنج في الهند حتى قادش على الساحل الغربى لأسبانيا ، وتقع أورشليم في وسط المسافة بينهما ، والمطهر عند دانتي واقع في جنوب أورشليم ، في النصف الجنوبي من الأرض وحينما تغرب الشمس في أورشليم تشرق في المطهر
- (٣) يعنى عند ما يبلغ خط الزوال الأوج ، يعنى وقت الظهر
- (٤) دائرة الزوال أو خط الزوال بالنسبة لمكان ما هو دائرة نمر بسمته والقطين وتعبه الشمس عندما يكون الوقت فيه ظهراً .
- (٥) المقصود منتصف الليل .
- (٦) أضفت لفظ (الشمس) للإيضاح
- (٧) الكنج (Gange) نهر في الهند ، كان مصبه عند دانتي هو الحد الشرقى للعالم المسكون .
- (٨) كانت الشمس في برج الحمل عند ما كان الليل في برج الميزان .
- ويوجد حفر يمثل برج الميزان يرجع إلى القرن ١٤ في كنيسة سان ماركو في البندقية .
- (٩) يسقط الميزان - أى برج الميزان - من يد الليل عند ما تسيطر عليه الشمس فتعذر رؤيته ، أى من ٢١ أكتوبر إلى ٢١ سبتمبر عند ما يصبح الليل أطول من النهار ، وهذا هو معنى السابق .
- (١٠) أى لون السماء قبل طلوع الشمس .
- (١١) قال دانتي (troppa etate) ويقصد تقدم الوقت .
- (١٢) أى كان قد مضى بعض الوقت على طلوع الشمس ، أى تجاوزت الساعة السادسة صباحاً ، فتحول لون السماء إلى لون البرتقال
- (١٣) يعنى عند شاطئ جبل المطهر
- (١٤) يعنى كن يأخذهم التردد في طريق السير .
- (١٥) هذه حالهم لأنهم لا يعرفون الطريق
- (١٦) هذه إحدى ظواهر الطبيعة التي كان دانتي حريصاً على ملاحظتها
- (١٧) أى بعد الشاطئ الغربى لأسبانيا
- (١٨) يتمنى دانتي أن يرى هذا الضوء مرة أخرى بعد الموت ، إذ لا يراه غير السعداء .
- (١٩) هذا هو الملاك الذى يأتي من بعيد
- (٢٠) يعنى لكى يسأل فرجيليو عن هذا الضوء .
- (٢١) هذا لأنه اقترب في لحظة من الشاعرين .
- (٢٢) هذان هما جناحا الملاك .
- (٢٣) أى ملا بس الملاك التي كانت تمتد خلفه بحركته الفائقة السرعة .
- (٢٤) ظل فرجيليو ساكناً حتى يتأكد مما سيراه .

(٢٥) هذا هو رسول السماء الذي هبط إلى الجحيم من قبل

Inf. IX. 79...

(٢٦) جعل فرجيليو دانتي يركع ويضم كفيه احتراماً لملاك السماء

(٢٧) يعنى سوف يرى في المطهر مثل هذا الملاك .

(٢٨) أى لا يستخدم الملاك الوسائل المألوفة لدى البشر

(٢٩) يشبه هذا قول فرجيليو

Virg. Æn. VI. 19.

(٣٠) جاء الملاك ، كما سنرى بعد ، من مصب نهر التيبر إلى جزيرة المطهر

(٣١) يعنى كريش الطيور في الحياة على الأرض

(٣٢) يشبه هذا ما أورده استاتيوس

Stat. Theb. I. 292.

(٣٣) هكذا لم يقو دانتي على احتمال الضوء الشديد الذى سطع من ملاك السماء .

(٣٤) سبق ذكر قارب لا يغمر في الماء

Inf. III. 93.

(٣٥) لم يغطس جزء من القارب في الماء لأنه كان محملاً بالأرواح التي لا وزن لها

(٣٦) ملاح السماء هنا في مقابل كارونتي ملاح الجحيم

Inf. III. 82-111.

(٣٧) أى كانت السعادة بادية على وجهه .

(٣٨) كان هذا المزمور يرتل عند الصلاة على الموق

Sal. CXIV.

(٣٩) هذه علامة التبريك عند المسيحيين

(٤٠) يشبه هذا وصول الآثمين - مع الفارق - بعد عبور نهر أكيرونتي

Inf. III. 116.

(٤١) استخدم دانتي لفظ (selvaggia) بمعنى الشعور بالوحشة أو الغربة

(٤٢) هذا تصوير دقيق لمن يرى الأشياء لأول مرة

(٤٣) يعنى بسهام من ضوء الشمس

(٤٤) يصبح برج الحمل (capricorno) في سمت الرأس عند ما يصير برج الحمل في الأفق يعنى

أن الساعة كانت تسير نحو السادسة والنصف صباحاً

ويوجد حفر يمثل برج الجدى من القرن ١٤ في كنيسة سان ماركو في البندقية ،

(٤٥) أى القوم الذين وصلوا أخيراً إلى شاطئ المطهر

(٤٦) استفسر هؤلاء برقة ولطف عن طريق الذهاب إلى الجبل .

(٤٧) استخدم دانتي لفظ حجاج بمعنى غرباء في أكثر من موضع مثل

Purg. XIII. 96, ecc. V.N. XLI. 6.

- (٤٨) يعنى طريق الجحيم
Inf. I. 142.
- (٤٩) استولى العجب على هذه النفوس عند ما لاحظت أن دانتى إنسان حى فشحب لونها
- (٥٠) غصن الزيتون رمز للسلام ، وكان فى عهد دانتى رمزاً للأنباء الطيبة . وورد هذا المعنى عند فرجيليو
Virg. Æn. VIII. 116.
- (٥١) هذا تصوير دقيق لتدافع الأرواح حول دانتى الإنسان الحى
- (٥٢) يعبر دانتى ببساطة وسهولة عن مسلك النفوس التى تجمعت حوله وكادت تنسى الذهاب لكى تجمل نفسها بالتطهر من آثامها
- (٥٣) هذا هو كازيلا الموسيقى الفلورنسى
- (٥٤) هذه صورة دقيقة للقاء الأصدقاء بعد الغياب ، وبادل دانتى كازيلا شعور المحبة بالمثل .
- (٥٥) أبدى دانتى أسفه لعدم استطاعته عناق صديقه لأنه شبح خال من الجسم
- (٥٦) هذا دليل على مدى الصداقة التى أراد دانتى أن يرسمها بهذه الحركات . ويشبه هذا قول فرجيليو
Virg. Æn. VI. 700...
- (٥٧) أى أن ما فى قلبه قد ارتسم على وجهه واستخدم دانتى لفظ (dipinsi) من فن الرسم للتعبير عن قصده
- (٥٨) كان دانتى لا يزال متأثراً وراغباً فى عناق هذا الصديق .
- (٥٩) هكذا كان كل مهما حريصاً على الوقوف والتحدث إلى صاحبه .
- (٦٠) يعنى بعد أن تحرر من الجسد بالموت ، وأحب كازيلا دانتى فى الدنيا كما أحبه فى الآخرة .
- (٦١) أى لماذا يقوم دانتى بهذه الرحلة فى عالم المطهر . والحوار بينهما لطيف رقيق .
- (٦٢) كازيلا (Casella) موسيقى ومغنى فلورنسى (ويقال إنه من پستويا) وكان من أصدقاء دانتى ، ولحن بعض أشعاره وتغنى بها ، مما كان يطرب له دانتى . وفرضت عليه غرامة فى سينا لأنه ألقى الناس بموسيقاه ليلا . ومات فى أواخر القرن ١٣
- (٦٣) كان غرض دانتى من رحلته التطهر لبلوغ السعادة الأبدية وهو يريد الآن أن يتعلم السبيل إلى ذلك ، حتى يعود إلى المطهر مرة أخرى بعد موته . وأشار دانتى إلى هذا المعنى فى عدة مواضع
Inf. XXVIII. 48. Purg. V. 61; VIII. 59-60;
- (٦٤) يعنى لماذا تأخر فى الحجىء إلى المطهر وقد انقضى على موته بعض الوقت
- (٦٥) كازيلا راض بحاله ما دام هذا يروق لملاك السماء .
- (٦٦) أى أن رغبة ملاك السماء هى من إرادة الله .
- (٦٧) يعنى حمل الملاك أرواح الموتى منذ عيد الميلاد فى ١٢٩٩ ، الذى أعلن فيه بونيفاتشو الثامن أن أرواح الموتى يمكن أن تذهب إلى المطهر إذا اشترى أهلهم صكوك الغفران وكان القرار البابوى قد صدر فى ٢٢ فبراير ١٣٠٠ بأثر رجعى حتى عيد الميلاد المذكور ، وهذا يعنى أن القرار أصبح نافذ المفعول منذ مدة تزيد عن ثلاثة أشهر سابقة على رحلة دانتى .

(٦٨) يرد التعبير في الأصل بصيغة المبني للمجهول .

(٦٩) تصبغ مياه التبر مألحة بدخولها في البحر وجعل دانتى هذا هو الموضع الذي تجتمع عنده أرواح من يموتون في سلام مع الله ، ويقع مصب التبر على مقربة من روما رمز حماية الكنيسة .

(٧٠) تذهب أرواح الآثمين إلى هر أكبروتى في الجحيم كما سبق Inf. III. 70...

(٧١) أى ربما تحت قوانين جديدة في المطهر ذاكرة كازيلا وبذلك لا يستطيع الغناء. ولا يطلب منه دانتى ما هو فوق طاقته

(٧٢) كان دانتى موسيقياً يدرك أثر الموسيقى في النفس . وعبر عن ذلك في « الوليمة »

Conv. II. XIII. 24.

(٧٣) أى أن دانتى قد تعب بعد رحلته في الجحيم ، ويريد الآن أن يروح عن نفسه بسماع الموسيقى .

(٧٤) سيرد تعبير مشابه في الفردوس: Par. ٨ XIII. 127..

(٧٥) هذه أغنية وردت في « الوليمة » Conv. II,

وقد وضع تيودولو مابليي - من القرن ١٩ - لحناً موسيقياً مستوحى من هذه القصيدة يعبر عن أثر المحبة في نفس الشاعر ، ولم أجده مسجلاً

(٧٦) كان الجميع مأخوذين بسحر الغناء والموسيقى فلم يفكروا فيما جاؤوا من أجله وهكذا جعلهم دانتى الشاعر الفنان الموسيقي .

ومما يساعد على فهم دانتى والكوميديا تذوق شيء من ألحان العصر ، مثل بعض ألحان الترتيل والإنشاد والبناء والمشاهد التمثيلية والرقص وخاصة ألحان التروبادور والفروسية في القرون ١٢ و ١٣ و ١٤ التي يتضح فيها طابع المشرق ، وسيأتى ذكرها بعد .

(٧٧) نسي هؤلاء التطهر الذي قدموا من أجله .

(٧٨) هذا هو كاتو حارس المطهر الحريص على تطهير نفوسهم ولا يرضيه أن يقفوا لسماع الموسيقى ويؤخروا تطهرهم

(٧٩) النشاوة من أثر الخطايا . ويشبه هذا ما ورد في « الكتاب المقدس » Isايا, LIX. 2.

(٨٠) يعنى لا يمكن رؤية الله مع بقاء أثر الخطايا

(٨١) هذه صورة دقيقة للحمام وهو يتناول طعامه

(٨٢) يصور دانتى بريشته البارعة فزع الحمام وطيوانه عند ما يهاجمه خطر داهم

(٨٣) استخدم دانتى لفظ (masnada) وتعنى أسرات الفلاحين الذين كانوا يعيشون في كنف الأمراء في العصور الوسطى

(٨٤) يعنى صوب شاطئ جبل المطهر .

(٨٥) أى إلى أى مكان سيؤدى السير في هذا الطريق المجهول .

(٨٦) هكذا رحل الشاعران بسرعة صوب الجبل

الأنشودة الثالثة^(١)

كان دانتى وفرجيليو قد أصابهما بعض الاضطراب والأسف لتأهماخر في سماع غناء كازيلا ، ثم استعدادا حالهما الطبيعية ونظر دانتى إلى جبل المطهر فرأى ظله وحده على الصخر ، فظن أن فرجيليو قد فارقه ، فأزال هذا من مخاوفه وقال له إنه لا يزال معه ليقوم بإرشاده ، وقال إن العقل البشرى لا يمكنه أن يدرك أسرار الوجود وبلغ الشعاران سفح الجبل ، وأخذ فرجيليو يبحث عن طريق للصعود في الصخر الشديد الانحدار ورأى دانتى جماعة من الأرواح تسير في بطء شديد لأنهم تأخروا في التوبة إلى آخر لحظة من حياتهم ، ولفت نظر فرجيليو إليهم ، فسألهم عن طريق الصعود تحركت هذه الجماعة كقطعان الأغنام حينما تخرج فقال فرجيليو إن دانتى إنسان حى جاء لصعود الجبل بفضل من السماء . وتعرف مانفريد على دانتى ، وحدثه عما أصابه من الطعن في معركة بينفنتو ، واعترف بأن آثامه كانت رهيبة ، ولكن أيدى الرحمة الإلهية تتقبل كل من يتجه إليها وقال إن أسقف كوستانترا نقل جثته إلى خارج مملكة نابلى حيث دُفن بما يناسب من نالهم الحرمان البابوى ، ولكن لعنة الكنيسة يمكن أن تزول بالتوبة والندم ، وبالتطهر الضرورى الذى تقصر مدته بالصلوات الطيبة وسأل مانفريد دانتى أن يشرح حقيقة الأمر لابنته كوستانترا عند عودته إلى الأرض

- ١ على الرغم من أن الهرب الفجائي كان قد شئت شمل تلك الجماعة عبثاً
السهل^(٢) صوب الجبل - حيث يعدّ بنا العقل^(٣) -
- ٤ فقد اقتربتُ من دليلي الأمين وكيف كنت أغدّ السير بدونه؟ ومن ذا
الذي كان يدفعني صُعداً فوق الجبل^(٤)؟
- ٧ وبدأ لي أنه يلوم نفسه^(٥) آه منك أيها الضمير الطاهر النبيل ، كم ذا
تُشعرك الأخطاء الصغيرة بالوخز المرير^(٦) !
- ١٠ وعندما كفتّ قدماه عن الإسراع^(٧) ، الذي ينفي الوقار عن كلّ فعل ،
أفسح عقلي مجال نظره ، وقد كان لذلك شديد التطلع^(٨) ،
- ١٣ بعد أن كان من قبل منحصراً في شيء واحد^(٩) ، فاتجهتُ بعمي إلى
الجبل الذي يرتفع من الماء شاهقاً صوب السماء^(١٠)
- ١٦ والشمس التي اشتعل من ورائنا لهيها الأحمر^(١١) ، احتجبت أمام شخصي ،
إذ استقرت أشعتها على جسدي^(١٢)
- ١٩ فاتجهت إلى اليمين ، وقد تولّاني الخوف من أن أكون وحيداً ، حين لم أر
أسوداد الأرض إلا فيما هو أمامي^(١٣)
- ٢٢ وبدأ مؤنسي^(١٤) يقول لي وهو متجهٌ نحوي بكأيتته: «لم لا يزال يساورك
الشك؟ ألا تثق بأني معك وأني أقوم بإرشادك^(١٥)؟
- ٢٥ كان المساء قد حلّ هناك^(١٦) ، حيث يُدفن الجسم الذي صنعتُ له ظلاً
حين حلولي به إن ناپلي تحوزه ، وكان قد حمل إليها من برانديزيو^(١٧)
- ٢٨ والآن ، إذا لم يظهر أمامي ظلٌّ ، فلا تعجب أكثر من عجبك من السماوات
التي لا تحجب إحداها النور عن الأخرى^(١٨)
- ٣١ وإن القدرة الإلهية لتجعل أجساماً كجسمي^(١٩) تعاني العذاب والحرق
والجليد^(٢٠) ، ولا تشاء أن تكشف لنا عن سرّ صنعها^(٢١)
- ٣٤ وإنه لمجنونٌ ذلك الذي يأمل في عقلنا القدرة على اجتياز هذا الطريق
اللانهائي ، الذي يجعل من ثلاثة أقنوماً واحداً^(٢٢)
- ٣٧ فلتقنعوا ، أيها البشر ، بالشيء كما هو بمظهره كائن^(٢٣) ، إذ أنكم لو
استطعتم إدراك كلّ شيء ، لما كانت هناك حاجة لأن تلد ماريّا^(٢٤) ؛

- ٤٠ ولقد رأيتم قوماً يتطلعون عبثاً إلى أن تَرْضَى رغائبهم ، ولكنهم لم ينالوا من ذلك سوى الحزن الأبدى
- ٤٣ وإني لأعسى أرسطو وأفلاطون وكثيرين غيرهما (٢٥) ؛ وهنا خفض جبينه ولم يزد عن ذلك حرفاً ، وظلّ مضطرب الخاطر (٢٦)
- ٤٦ وكنا قد بلغنا عندئذٍ سفح الجبل وهنا وجدنا الصخر شديداً المنحدر ، حتى لتصبح السيقان السريعة فيه عديمة الجدوى (٢٧)
- ٤٩ وإن أكثر الطرق عزلةً وأشدّها وعورة بين ليرتشي (٢٨) وتوريبيا (٢٩) ، لتعدّ بالموازنة به سلماً سهلاً رحيباً
- ٥٢ قال أستاذي وهو يوقف خُطاه « منْ ذَا يعرف الآن في أيّ جانب يميل الجبل ، بحيث يتيسر الصعود لمنْ يسير بدون جناح (٣٠) ؟ » .
- ٥٥ وبينما ظلّ هو مُطرق الرأس يتفكر في طريق الذهاب (٣١) ، وأخذتُ أنا أنظر إلى أعلى وفيما حول الصخر ،
- ٥٨ ظهر لي جهة اليسار جماعةٌ من النفوس ، حرّكوا أقدامهم نحونا ، ولكنهم بدوا أنهم لا يتقدمون ، إذْ ساروا ببطء شديد (٣٢)
- ٦١ فقلت « ارفع باصرتيك يا أستاذي (٣٣) : وانظر هناك منْ سيبدل لنا سديد الرأي ، إذا كنتَ لم تستطع أن تهتدي إليه بنفسك (٣٤) » .
- ٦٤ فنظر عندئذٍ إلى أعلى وأجاب بوجه المطمئن (٣٥) « فلنذهب إليهم ، لأنهم يأتون ببطء الحركة (٣٦) ، ولتُتقَوْ من أملك (٣٧) أيها الابن الحبيب »
- ٦٧ وبعد أن سرنا أكثر من ألف خطوة ، كان هؤلاء القوم لا يزالون على مسافة تعدل بَعْدَ حجر تُلقَى به يدُ رامٍ قدير (٣٨) ،
- ٧٠ حينما التصقوا كلهم بالصخور الوعرة في الشاطئ المرتفع ، ووقفوا ثابتين متزاحمين ، كمن يسير في حيرة ثم يتوقف لكي ينظر (٣٩)
- ٧٣ وبدأ فرجيليو « يا ذوى النهاية السعيدة (٤٠) ، أيها الأرواح المختارة ! — باسم ذلك السلام (٤١) الذى أعتقد أنكم ترتقبوه جميعاً —
- ٧٦ خبرونا أين يميل الجبل بحيث يصبح الصعود أمراً سهلاً (٤٢) ، إذْ كلما اتسعت معارف المرء اشتد كدره بضياح الوقت سدّى (٤٣) »

- ٧٩ وكما تخرج الأغنام من حظيرتها أحادي ومثنى وثلاث ، وتقف بقيتها
وجلات خافضات أفواهها وأعيها ؛
- ٨٢ وما تفعله أولاهما تفعله سائرهما ، وتتزاحم من ورائها في هدوءٍ وسداجة إذا هي
وقفت ، بدون أن تدري لذلك سبباً (٤٤) —
- ٨٥ هكذا رأيتُ رأس هذه الجماعة السعيدة يأتي نحونا عندئذ ، بوجه وديع
ومشية وقورة (٤٥)
- ٨٨ ولما رأيتُ طليعتهم النور على الأرض منحسراً إلى يميني (٤٦) — حتى امتدّ الظلّ
من جسدي إلى الصخر —
- ٩١ توقّفوا وتراجعوا قليلاً (٤٧) ، وحذا حذوهم كلّ الآخرين الذين جاءوا من
بعدهم ، بدون أن يعرفوا لذلك سبباً (٤٨)
- ٩٢ « أعرّف لكم — وإن لم تسألوني — بأن هذا الذي ترونه ما هو إلا جسم
إنسان حيّ ، ولذا انشقّ نور الشمس على الأرض بإزائه (٤٩)
- ٩٧ فلا يأخذنكم العجب من ذلك ، ولكن ثقوا بأنه لا يسعى لاعتلاء هذا
الجدار (٥٠) ، بدون فضل يأتيه من السماء (٥١) »
- ١٠٠ هكذا تكلمتُ أستاذي ، فقال هؤلاء القوم الوقورون ، وهم يشيرون لنا بظهور
أيديهم (٥٢) « عليكم بالرجوع ، وكتسيرا أمامنا الآن (٥٣) » .
- ١٠٣ وبدأ أحدهم « فلتُدِرْ وجهك إلىّ في أثناء مسيرك ، كائناً من كنت ،
ولتذكر إذا كنت قد رأيتني في ذلك الجانب أبدأً (٥٤) » .
- ١٠٦ فاتجهتُ نحوه ، وأمعتُ النظر فيه وكان أشقر الشعر جميلاً ذا وجهٍ
نبيل ، ولكن أحد حاجبيه كان قد شطرتته ضربة سيف (٥٥)
- ١٠٩ وعندما أجبته في تواضعٍ أني لم أره من قبل قطّ ، قال : « فلتنظر الآن إلىّ » ؛
وأراني جرحاً في أعلى صدره (٥٦)
- ١١٢ ثم قال مبتسماً « إنني مانفريد (٥٧) ، حفيد كوستانتزا الأمباطورة (٥٨) ،
ولذا أرجوك — حينما تعود (٥٩) —
- ١١٥ أن تذهب إلى ابنتي الجميلة (٦٠) ، التي أنجبت فخري صقلية وأراجوانا (٦١) ،
وتحدّثها عني بالصدق (٦٢) إذا ذُكِرَ شيءٌ غيره (٦٣)

- ١١٨ فإنه بعد أن تلقى جسدى طعنتين قاتلتين ، استسلمتُ باكياً^(٦٥) إلى مَنْ يغفر الذنوب عن طيب خاطر^(٦٦)
- ١٢١ لقد كانت آثامى رهيبة^(٦٧) ؛ ولكن الخير اللانهائى ذو أذرعٍ رحيمة تتقبّل كلَّ من يتجه إليها^(٦٨)
- ١٢٤ ولو أن راعى كوسنتزا^(٦٩) ، الذى دفعه أكلمنتو عندئذ لمطاردتى^(٧٠) ، كان قد أحسن قراءة تلك الصفحة من كتاب الله^(٧١) -
- ١٢٧ لظالت عظامى عند رأس الجسر بقرب بنيقنتو ، فى حراسة كومةٍ من الأحجار الثقيلة^(٧٢)
- ١٣٠ فالآن يغمرها المطر وتحركها الريح خارج حدود المملكة^(٧٣) ، على مقربة من ٣٣ فردى^(٧٤) ، حيث نُقلتُ بمصاحبة شموع لم تشعل أنوارها^(٧٥)
- ١٣٣ وبلغتهم لن يضيع لإنسانٌ ، حتى يمتنع على المحبة الأبدية أن تعود إلى سابق فيضها - ما دام ينبت للأمل براعم خضراء^(٧٦)
- ١٣٦ حقاً إن من يمت وقد ناله الحرمان من الكنيسة المقدسة ، ينبغى أن يظلَّ خارج هذا الشاطئ - حتى ولو ندم أخيراً^(٧٧) -
- ١٣٩ ثلاثين ضعفاً من الزمن الذى قضاه فى معصيتها ، إذا لم تقصُر مدة هذا الحكم بالصلوات الخالصة^(٧٨)
- ١٤٢ ولتنظر الآن أتستطيع أن تُبهجى ، بإيضاحك لكوستانتزا ابنتى الطيبة - كيف رأيتنى^(٧٩) - وكذلك هذه العقبة^(٨٠) ؛
- ١٤٥ إذ أننا نجى هنا خيراً كثيراً ممّن هم فى ذلك الجانب^(٨١) .

حواشي الأنشودة الثالثة

- (١) هذه أنشودة المهملين المتأخرين في التوبة ومن حرمتهم الكنيسة من الغفران .
- (٢) المقصود جماعة الأرواح الذين جاء بهم ملاك السماء إلى شاطئ المطهر
- (٣) أى أن العدالة الإلهية تطهرنا بالعذاب
- (٤) هكذا لم يكن دانتى يستطيع شيئاً دون معونة فرجيليو .
- (٥) يعنى أن فرجيليو بدا أسفاً نادماً على تأخره مع الأرواح لسماع غناء كازيلا في الأنشودة السابقة
- (٦) هذا هو فرجيليو صاحب الضمير النبيل الذى يشعر بمرارة الخطأ الصغير
- (٧) أى عند ما أبطأ في السير بعد إسرعه السابق
- (٨) أى نظر دانتى إلى ما حوله
- (٩) يعنى أن عقل دانتى كان مركزاً في كازيلا وكاتو . وأبدلت بيتى ١٢ و ١٣ الواحد مكان الآخر مراعاة للأسلوب العربى .
- (١٠) يعنى أن جبل المطهر يرتفع أكثر من سائر الجبال
- (١١) أى أن الشاعرين كانا قد أوليا ظهر يهما للبحر واتجها صوب الجبل
- (١٢) يعنى أن جسم دانتى حجز أشعة الشمس فظهر ظله على الأرض
- (١٣) كان لدانتى وحده الظل على الأرض ولذلك خامره الشك في أن يكون بمفرده والتفت إلى جواره ليرى هل فرجيليو موجود أم لا
- (١٤) هذه من الصفات التى ينعت دانتى بها فرجيليو .
- (١٥) هكذا يحاول فرجيليو أن يطمئن دانتى دائماً
- (١٦) بلغت الساعة في المطهر حوالى السادسة والنصف صباحاً حينما كانت حوالى الثالثة والنصف مساءً في إيطاليا ، وحوالى السادسة والنصف مساءً في اورشليم
- (١٧) مات فرجيليو في برنديزى في ١٩ ق.م . ونقلت جثته إلى نابلى . وكتب دانتى برانديزيو - أى برنديزى - متأثراً بطريقة كتابتها في لغة البروفنس
- (١٨) أى أن السماوات لا تحجب الأنوار لشفافيتها
- (١٩) يعنى الأرواح الشفافة مثل فرجيليو .
- (٢٠) هذه إشارة إلى عذاب الجحيم
- (٢١) في الأصل (كيف تعمل) وهذا المعنى مقتبس من « الكتاب المقدس »
- (٢٢) أى أن الأقنوم الواحد في الأقاليم الثلاثة سر إلهى لا يدركه البشر - كما عند المسيحيين .
- (٢٣) استخدم دانتى لفظ (quia) بمعنى الشيء كما هو كائن بمظهره ، كما فعل أرسطو والمدرسيون .
- (٢٤) أى لوعرف الإنسان كل شيء لما كانت هناك ضرورة لحجى السيد المسيح إلى العالم .
- (٢٥) يعنى أن فلاسفة العالم القديم حاولوا أن يعرفوا بالعدل أسرار الألوهية والوجود ولكنهم لم يوفقوا ، ولذلك فهم يعيشون في شوق بدون أمل
- (٢٦) اضطرب فرجيليو لأنه كان نفسه واحداً من رجال العالم القديم .
- (٢٧) أى كان يلزمهما طريقة أخرى لصعود الجبل .

Inf. III. 87...

Rom. XI. 33.

Inf. IV. 42.

- (٢٨) ليريتشي (Lerici) مدينة في ليجوريا على الساحل الشرقى لخليج اسبترزيا
- (٢٩) توريبيا (Turbia) قرية في أقصى غرب ليجوريا وتقع الآن في مقاطعة الألب البحرية على مقربة من شاطئ موناكو، وكان بها برج روماني قديم . وكانت هذه المنطقة في عهد دانتي منطقة جبلية وعرة خالية من الطرق الممهدة .
- (٣٠) هكذا يحاول فرجيليو أن يجد طريقاً للصعود .
- (٣١) يعنى كان يفكر في إيجاد الطريق الملائم ، وهل يتجه صوب الشمال أم صوب الجنوب
- (٣٢) هذا البطء رمز لمرتكبى الخطايا الذين تابوا وندموا في آخر لحظة من حياتهم ولهذا يتأخر تطهرهم
- (٣٣) كان فرجيليو لا يزال مخفضاً رأسه ، وفي الأصل ارفع (العينين)
- (٣٤) حاول دانتي أن يعين أستاذه بقدر المستطاع بعد أن كسب الخبرة والتجربة
- (٣٥) أى نظر صوب الجماعة السعيدة بوجه تخلص من الخوف والشك ، واستخدم دانتي للتعبير عن ذلك (iberio piglio)
- (٣٦) رأى فرجيليو الذهاب إليهم توفيراً للوقت
- (٣٧) يعنى الأمل في الحصول على الرأى والنصيحة
- (٣٨) أى على مسافة رمية حجر يلقى به رام قدير ، وأضفت كلمة (حجر) للإيضاح
- (٣٩) وقف هؤلاء عند ما لحظوا أن دانتي وفرجيليو يسيران في اتجاه اليسار بعكس قاعدة السير إلى اليمين المتبعة في المطهر ، ويسيران مسرعين بعكس إبطاء هذه الجماعة من الأرواح
- (٤٠) يعنى الذين ماتوا في سلام مع الله ، بالتوبة في آخر لحظة
- (٤١) سيتكرر هذا المعنى بعد Purg. V. 61.
- (٤٢) استفسر فرجيليو عن مكان سهل الانحدار يمكن الصعود منه
- (٤٣) أى أن صاحب المعرفة والتجربة يخشى ضياع الوقت ، وكان دانتي رجلاً يعرف قيمته ووردت معان في الحرص على الوقت في الكوميديا و « الوليمة » وفي « الإنيابة »
- Inf. XI. 13-15. Purg. XII. 84; XVII. 88-90; XVIII. 103-105; XIX. 139-141; XXIII. 5-6; XXIV. 91-93. Par. XXVI. 4-6. Conv. IV. II.
- Virg. Æn. X. 467...
- (٤٤) هذه صورة دقيقة مستمدة من ملاحظة حياة الأغنام .
- وقد رسم جوتو الأغنام تخرج من حظيرتها في إحدى لوحاته في كنيسة سان فرنتشسكو العليا في أسيسى .
- (٤٥) يعنى من كانوا في مقدمة هذه الجماعة واستخدم دانتي لفظ (testa) - رأس - للتعبير عن ذلك .
- (٤٦) كان الجبل إلى يمين الشاعرين وكانت الشمس إلى اليسار وبذلك ظهر ظل دانتي على الصخر
- (٤٧) فعلوا ذلك لما تولاهم من الدهشة عند رؤية إنسان حى .
- (٤٨) الذين جاءوا بعد وقفوا بدون أن يعرفوا سبب وقوف من كانوا في المقدمة وهذه كلها صور مأخوذة من الحياة الواقعة
- (٤٩) سارع فرجيليو إلى إيضاح الأمر لهذه الجماعة لكي يوفر عليهم العجب والدهشة وأضفت (بإزائه) للإيضاح
- (٥٠) يعنى جبل المطهر

Purg. I. 68.

- (٥١) سبق مثل هذا التعبير
- (٥٢) أى أنه كان على الجميع أن يدوروا حول الجبل ناحية اليمين .
- (٥٣) يعنى لا حاجة به إلى التوقف
- (٥٤) لم يتعرف دانتى عليه لأول وهلة ، وهذا هو ما نفريد . وذلك الجانب يعنى الدنيا
- (٥٥) هذه هى أوصاف مانفريد .
- (٥٦) فعل هذا لعل دانتى يتعرف عليه
- (٥٧) مانفريد (١٢٢١ - ١٢٦٦ Manfredi) ابن غير شرعى للإمبراطور فردريك الثانى وأمه بيانكا ابنة الكونت بونيفاتزيو لانتزيا ، وهو حفيد الإمبراطور هنرى السادس وكوستانتزا الصقلية وأبو كوستانتزا من زوجته بياتريتشى دى ساقويا . وموت فردريك الثانى فى ١٢٥٠ أصبح مانفريد وصياً على العرش ثم ملكاً على صقلية فى ١٢٥٨ وأصدر البابا إسكندر الرابع والبابا أوربان الرابع قرار الحرمان ضده لاتهامه بالهرطقة ، ولمعارضته أطماع الكنيسة وعرض البابا تاج صقلية على شارل دانجو الفرنسى الذى تقدم إلى إيطاليا ووقعت بينه وبين مانفريد معركة بنيفنتو فى ١٢٦٦ ، وهزم مانفريد وقتل بعد قتال عنيف وكانت هذه هزيمة ساحقة لقضية الجبلين فى إيطاليا وتوجد صورتان صغيرتان تمثلان التقاء فرسان شارل بفرسان مانفريد وانتصار الأولين فى بنيفنتو وترجعان إلى القرن ١٤ وتوجدان فى مكتبة كيجى فى روما
- (٥٨) يذكر أنه حفيد الإمبراطورة كوستانتزا (Costanza) ويتجنب ذكر أبيه لأنه كان ابناً غير شرعى . وكوستانتزا ابنة رودجير و ملك صقلية وأم فردريك الثانى وهى مدفونة فى كاتدرائية پاليرمو ووضعها دانتى فى الفردوس Par. III. 118...
- (٥٩) أى عند ما يرجع دانتى إلى الدنيا
- (٦٠) هذه هى كوستانتزا ابنة مانفريد التى تزوجت بطرس الثالث ملك أراجونا
- (٦١) أنجبت كوستانتزا هذه فردريك الثانى الذى أصبح ملك صقلية وجا كومو الذى أصبح ملك أراجونا
- (٦٢) يعنى يخبرها بأنه من أهل المطهر
- (٦٣) أى إذا قيل إنه قد صار من الملعونين بسبب قرار الحرمان البابوى ضده ، الذى لم يمنعه من دخول المطهر .
- (٦٤) أصابت مانفريد فى معركة بنيفنتو طعنة فى الوجه وأخرى فى أعلى الصدر
- (٦٥) يعنى أنه أحس بالندم على ما ارتكبه من الآثام
- (٦٦) أى اتجه إلى الله الذى يغفر خطايا البشر
- (٦٧) يعترف مانفريد بآثامه التى كانت الجشع والقتل وحياة الإباحة
- (٦٨) يعنى ينال الآثمون الرحمة بالتوبة والندم
- (٦٩) كوستنزا (Cosenza) مدينة فى كالابريا العليا تقع على فرع لنهر كراتى وعلى مقربة من البحر التيرانى والمقصود براعى كوستنزا الكردينال بارتلوميو بينياتلى (أو خلفه توماسو دازبى) ، الذى سحب جثة مانفريد من موضعها عند جسر بنيفنتو
- (٧٠) هو البابا اكلمنتو الرابع (١٢٦٤ - ١٢٦٨ Clemento IV.) الذى حرض أسقف كوستنزا على إخراج جثة مانفريد من موضعها الأول .

- (٧١) هذه إشارة إلى بيتي ١٢٢ و ١٢٣ ، وهذا المعنى مقتبس من « الكتاب المقدس »
Giov. VI. 37.
- (٧٢) أي أنه لولا تحريض الكلمتو لبقيت عظام مانفريد مدفونة تحت الأحجار على مقربة من جسر
بنيفنتو .
- (٧٣) يئى خارج حدود مملكة نابل
- (٧٤) مهر فردى (Vrede) يقصد به في الغالب مهر ليريس (Liris) الذي يعرف الآن باسم
جاريليانو (Garigliano) .
- (٧٥) هكذا تحمل جثة الذين صدر ضدهم قرار الخرمان البابوي بدون أن تضاء لهم السرج ، كما
حدث لما نفريد
- (٧٦) أي أن لعنة البابوية لا تفقد الأمل مهائياً في باب الرحمة الإلهية .
- (٧٧) يستطيع النادم التائب أن ينال الخلاص بعد تطهره وقتاً مناسباً
- (٧٨) ويقصر زمن التطهر بالصلوات الطيبة الصادرة من الأحياء في الأرض . وهذا التعبير مقتبس
من فرجيليو
Virg. Æn. VI. 327-330.
- (٧٩) أي كيف رآه في حال التطهر
- (٨٠) يعنى الزمن الذي عليه أن يقضيه هنا حتى يتم تطهره
- (٨١) أي أن مدة تطهر الأرواح في المطهر تقصر بصلوات أهل الأرض .
- ويشبه هذا بعض ما ورد في تراث الإسلام من حيث حاجة الأموات إلى صلوات أهل
الأرض
- السيوطي ، عبد الرحمن جلال الدين كتاب شرح الصدور بشرح حال الموقى والقبور
القاهرة ، ١٣٠٩ هـ ص ١٢١
- وقد لحن ثلاثة من الموسيقيين الإيطاليين ثلاث أوبرات تمثل مأساة مانفريدى ، وأولهم هو
أندريا كازيلبي ومثلت أوبراه لأول مرة في جنوا في ١٨٧٢ ، وكذلك أخيل مونتوورو ومثلت
أوبراه لأول مرة في ميلانو في ١٨٧٢ وكذلك كارلو سيسا ومثلت أوبراه لأول مرة في
ميلانو في ١٨٨٤ ، ولم أجد هذه الأوبرات مسجلة .

الأنشودة الرابعة (١)

ظلّ دانتى مأخوذاً بحديث مانفريد السابق ولم يشعر بمضى الوقت حتى أشارت بعض الأرواح إلى مكان الصعود وقارن دانتى بين وعورة هذا الطريق وبين بعض الطرق الوعرة في الجبال الإيطالية ، ومع ذلك فقد دفعه إلى الصعود أجنحة الشوق والأمل ، واستخدم في ذلك القدمين واليدين وما إن باغ الشاعران منطقة زاد انحدارها عن ٤٥ درجة حتى طلب دانتى التوقف ، ولكن فرجيليو أشار إليه ببذل الجهد حتى يبلغا إفريزاً أعلى قليلاً ، فغالب دانتى نفسه حتى باغاه وجلسا معاً وعجب دانتى عند نظره إلى - الطريق - الشاق الذى قطعه ، كما عجب عندما رأى الشمس جهة اليسار ، فأفهمه فرجيليو بأن هذا يرجع إلى وجودها في نصف الكرة الجنوبي ، وكانت عندئذ في برج الحمل لا في برج التوأين وحينما زالت دهشة دانتى سأل فرجيليو إلى متى ينبغي عليهما المضي في صعود الجبل ، فأجابه بأن الصعود صعب في البداية ، ولكنه سيصبح بالتدريج سهلاً حتى يكون كسير سفينة مع تيار الماء ، وسمع الشاعران صوتاً يعبر عن حاجتهما للراحة قبل بلوغ أعلى الجبل ، وكان هناك أرواح الكسالى الذين تباطأوا في التوبة في الحياة الدنيا ، ورأى دانتى بلاكوا الفلورنسى صانع الآلات الموسيقية ، وبدأ أكسل مما لو كان الكسل شقيقاً له ، وقد خفض رأسه بين ركبتيه قال بلاكوا إن عليه أن يبقى في موضعه بقدر الزمن الذى تأخر فيه عن التوبة ، إلا إذا عاونته صلاة طيبة تصدر عن قلب يحظى بالنعمة الإلهية ، إذ لا يُستمع لغير هذا في السماء . ودعا فرجيليو دانتى إلى الصعود لأن الزمن كان يتقدم .

- ١ حينما تتركز النفس بكليتها على واحدة مما لها من القوى ، بما ينالها من الآلام أو المباهج ،
- ٤ تبدو النفس أنها لا تحفل بقوة سواها (٢) ، وإن هذا ليعارض ذلك الرأي الخاطئ القائل بأن إحدى قوتي النفس تعلو فينا على الأخرى (٣) .
- ٧ ولذا فإنه عندما يُسمع أو يُرى ما يستحوذ على النفس ، ينقضى الوقت بدون أن يشعر الإنسان بذلك (٤) ،
- ١٠ إذ أن إحدى قوى النفس هي التي تسمع (٥) ، بينما يستغرق انتباهها قوة أخرى (٦) وكأنما هذه مقيدة وتلك حرة (٧) .
- ١٣ لقد صارت لي بهذا تجربة "حقّة" ، حينما سمعت تلك الروح وأعجبتُ بها (٨) ، إذ كانت الشمس قد صعدت
- ١٦ خمسين درجةً كاملة (٩) ، بغير أن ألحظ ذلك — عندما جئنا حيث صاحت بنا تلك الأرواح بصوت واحد « هنا يوجد ما تبغيانه (١٠) » .
- ١٩ وحينما تأخذ الكرمة في النضج (١١) ، كثيراً ما يعمد الفلاح إلى ميدّراتٍ من الشوك فيسدّ بها فتحة أكبر (١٢)
- ٢٢ مما كانت عليه تلك الفجوة التي صعدنا خلالها وحيدين — دليلى وأنا في إثره — بينما أخذتُ تبتعد عنا تلك الجماعة .
- ٢٥ وإن المرء ليسير في سانليو (١٣) ويهبط في نولي (١٤) ، ويصعد عالياً في بيسانتوفا (١٥) وكاكومي (١٦) — بالقدمين وحدهما ؛ ولكن ليس على المرء هنا سوى الطيران (١٧) ؛
- ٢٨ أعنى كان علىّ أن أمضى بالأجنحة السريعة وبـرياش الشوق العارم (١٨) ، وراء ذلك الدليل (١٩) ، الذي منحى الأمل وأنار سبيلي (٢٠)
- ٣١ وأخذنا نصعد داخل الصخر المشقوق ، وأطبق الجدار علينا من كلِّ جانب (٢١) ، واقتضت الأرض تحتنا أن نعمل أقدامنا وأيدينا (٢٢)
- ٣٤ ولما أصبحنا على الحافة العليا من الشاطئ المرتفع (٢٣) ، عند جانبه المفتوح (٢٤) ، قلت « أيّ طريق علينا أن نسلك الآن يا أستاذي (٢٥) ؟ »
- ٣٧ فقال لي « لا تُحركنّ قدماً إلى أسفل (٢٦) بل عليك باتباع خطواتي صُعداً فوق الجبل ، حتى يظهر لنا دليلٌ عليمٌ (٢٧) » .

- ٤٠ وكانت قدمته شاهقة حتى تجاوزت حدَّ إبصارى^(٢٨)، وازداد انحدار الشاطئ كثيراً عن الخط الواصل بين منتصف الربع من دائرة وبين مركزها^(٢٩).
- ٤٣ وكنت متعباً حينها بدأتُ «أبتاه الحبيب ، التفتُ إلىّ ، وانظر كيف أظلّ وحيداً إذا أنت لم تتوقف^(٣٠)» .
- ٤٦ فقال «أى بىّ ، عليك بجرّ رجلك إلى هناك^(٣١)» - وأشار إلى إفريزٍ أعلى منّا قليلاً ، أحاط بالجبل كله في ذلك الجانب
- ٤٩ وهكذا همّزتني كلماته^(٣٢) ، فغالبتُ نفسي زحفاً إليه^(٣٣) ، حتى وطئتُ بقدمي ذلك الإفريز الدائري^(٣٤)
- ٥٢ وهناك عمدنا كلانا إلى الجاوس^(٣٥) ، مُتّجهين صوب المشرق حيث صعدنا من ناحيته^(٣٦) ، لأن النظر إليه كان يُعيننا في العادة^(٣٧)
- ٥٥ وبعينيّ اتجهت أولاً إلى الشيطان الخفيضة ، ثم رفعتها نحو الشمس ، وعجبت إذْ جرحتنا بأشعتها من الجهة اليسرى^(٣٨)
- ٥٨ وتبين الشاعر جليلاً أن قد تولاني العجب من عربة النور^(٣٩) ، التي كانت تتقدّم بين موضعنا وبين بلاد الشمال^(٤٠)
- ٦١ فقال لي عندئذ «إذا كان التوأمان - كاستور وپولكس^(٤١) - كائنيّين في رفقة تلك المرأة التي تبعث نورها إلى أعلى وأسفل^(٤٢) ،
- ٦٤ فإنك سترى الجزء المتوهّج في منطقة البروج - لا يزال يدور في موضعٍ أقرب إلى الدّبين - إن لم يكن قد خرج عن طريقه القديم^(٤٣)
- ٦٧ ولكي تفهم كيف يحدث هذا - عليك أن تتخيّل - لو أوتيت القدرة على التفكير بذهن واع - أن جبل صهيون^(٤٤) وهذا الجبل قائم فوق الأرض ، بحيث أصبح لكلّيهما أفقٌ واحدٌ ونصفا كرتين مختلفتين^(٤٥) ، وبذلك ستري - إذا أحسن عقلك الانتباه^(٤٦) - كيف أن الطريق^(٤٧) -
- ٧٣ الذي أخفق فيه فيتون^(٤٨) في قيادة عربته - لسوء طالعه - كان ينبغي أن يسير هنا في جانب^(٤٩) ، حين يتجه إلى هناك في الجانب الآخر^(٥٠)»
- ٧٦ قلت في الحقّ يا أستاذي أني لم أر أبداً بهذا الوضوح - كما أتبين - حيث بدا عقلي قاصراً عن الإدراك^(٥١) -

- ٧٩ أن الدائرة الوسطى في السماء العليا ، التي تُسمى في بعض الفنون خطّ الاستواء^(٥٢) ، وتظلّ دوماً بين الصيف والشتاء^(٥٣) ،
- ٨٢ تبتعد عن هذا الموضع في اتجاه الشمال — بسبب ما تقوله — حينما يراها اليهود متجهة صوب المنطقة الحارة
- ٨٥ ولكن لو راق لك الأمر فإنه يسرّني أن أعرف ، كم ينبغي علينا أن نسير ، إذْ يعلو الجبل أكثر مما تقوى على متابعته عيناي^(٥٤) . «
- ٨٨ فقال لي « يتميز هذا الجبل بوعورته دائماً عند بدايته في أسفل ، ولكن كلما ارتقي مَتَسَّنَهُ الإنسان أصبح صعوده أقلّ إرهاقاً^(٥٥) »
- ٩١ ولذا فحينما يبدو لك الجبل شيئاً بهيجاً ، حتى يصبح صعودك خفيفاً^(٥٦) ، كسفينة تنساب مع تيار الماء^(٥٧) —
- ٩٤ ستكون قد بلغت عندئذ مهاية المطاف^(٥٨) وهناك فلترتقب الراحة من عنائك . ولن أحدّثك مزيداً^(٥٩) ، وإني لعارفٌ أن هذا أمرٌ حقيقيٌّ .
- ٩٧ وحينما نطق بهذه الكلمات ، سمعت بقربي صوتاً يقول : « ربما تصبح في حاجة إلى الجلوس قبل أن تبلغ مهاية الشوط ! » .
- ١٠٠ وتلفّت كلٌّ منا عند سماع هذا الصوت ، ورأينا إلى يسارنا كتلة كبيرة من الصخر ، لم ينتبه أحدنا إليها من قبل^(٦٠) .
- ١٠٣ فتقدّمنا إليها ، وكان هناك أشخاص^(٦١) استقرّوا في الظلّ وراء الصخر ، كرجال يسترخون من الكسل^(٦٢) .
- ١٠٦ وواحدٌ مهم — الذي بدا لي أن قد سادته التعب — كان جالساً محتضناً ركبتيه ، وخفض بيهما وجهه إلى أسفل^(٦٣) .
- ١٠٩ قلت « يا سيدي الحبيب ، فلتمعن النظر في ذلك الذي يبدو أكسل مما لو كان الكسل له صنواً^(٦٤) » .
- ١١٢ عندئذ التفت إلينا وأخذ يتأمّلنا^(٦٥) ، وحرّك وجهه فوق فخذه فحسب ، قائلاً « فلستذهب الآن إلى أعلى إذْ أنك صنديدٌ^(٦٦) » .
- ١١٥ فعرفت حينئذٍ من كان ، وذلك العناء الذي ظلّ نفّسني يلهث منه قليلاً^(٦٧) ، لم يمنعني من الذهاب إليه ؛ وبعد أن



٤ - دانتى وٲرجيليو ينظران إلى الأمرء المهملين الكسالى

أنشودة ٤ ١٠٣ - ١٠٥

- ١١٨ بلغتُ موضعه ، رفع رأسه قليلاً (٦٨) وقال لي « أرايت الآن كيف تقود الشمس عربتها إلى جانبك الأيسر (٦٩) ؟ »
- ١٢١ ورسمتُ حركاته الكسلي وكلماته بسمه خفيفة على شفتي^(٧٠)؛ فبدأتُ « لست أتألم الآن من أجلك
- ١٢٤ يا بيلا كوا (٧١) ، ولكن فلتُخبرني لم أنت جالسٌ في هذا الموضع بذاته ؟ أنتتظر دليلاً ؟ أم أنك رجعتَ فحسبُ إلى طبعك المألوف (٧٢) ؟ »
- ١٢٧ فأجاب « وماذا يجدي يا أخي الصعود (٧٣) ؟ إذ أن الطائر الإلهي الذي يجلس على عتبة الباب (٧٤) ، لن يدعى أمضى إلى موئل العذاب (٧٥)
- ١٣٠ ولأني أخرتُ حتى النهاية تنهدى الطيب (٧٦) - ينبغي أولاً (٧٧) أن تدور من حولي السماوات - وأنا خارج هذا الباب (٧٨) - بقدر ما دارت في أثناء حياتي -
- ١٣٣ ما لم تُعيني قبل ذلك صلاةٌ تصدر عن قلبٍ يعيش ممتعاً بنعمة الله (٧٩) : وماذا يجدي غير ذلك مما لا يُستمع إليه في رحاب السماء (٨٠) ؟ »
- ١٣٦ وكان الشاعر قد أخذ يصعد أمامي وشرع يقول « تعال الآن وانظر ها قد لامست الشمس أطراف الجنوب (٨١) ، وعند الشواطئ
- ١٣٩ يغطي الليل بقدميه مرآكش الآن (٨٢) »

حواشي الأنشودة الرابعة

- (١) هذه أنشودة المهملين الكسالى الذين تأخروا في التوبة وتسمى أنشودة بلاكوا
- (٢) يعنى أنه حينما تتركز مؤثرات البهجة أو الألم على إحدى قوى النفس البشرية فإن النفس تركز اهتمامها على هذه القوة ذاتها
- (٣) اشتعال إحدى قوى النفس فوق الأخرى يعنى تمييزها بالتدرج وهذه إشارة إلى رأى أفلاطون في التيماوس الذى قال بأن للإنسان نفساً خالدة وأخرى فانية ولم يأخذ دانتى بهذا الرأى بل أخذ برأى أرسطو وتوماس الأكويني القائل بوحدة النفس التى تشمل ثلاث قوى النفس
Plat. Tim. p. 69, C
Arist. Et. X. 5. 3, 4. De An. III,
d'Aq. Sum. Theol. I. LXXVI. 3.
- (٤) هذا تصوير دقيق لمن يكون مأخوذاً بأمر هام فلا يشعر بمرور الوقت
- (٥) أى حاسة السمع
- (٦) يعنى النفس العاقلة أو العقل
- (٧) أى أن العقل يكون معطلا عن العمل بينما تقوم حاسة السمع بعملها والمقصود أن المأخوذ بأمر هام لا يحس بما حوله
- (٨) هذه إشارة إلى الوقت الذى انقضى وكان دانتى ينصت فيه إلى روح مانفريد
- (٩) لما كانت الشمس تقطع أكثر من ١٥ درجة في الساعة ، وكانت تعلو الآن عن الأفق بخمسين درجة ، وما دامت الشمس تشرق في الساعة السادسة صباحاً ، فإن هذا يعنى أن الساعة قد أصبحت في ذلك المكان تسير نحو التاسعة والنصف صباحاً من يوم الأحد الموافق ١٠ أبريل ١٣٠٠
- (١٠) يعنى هنا مكان الصعود إلى جبل المطهر
- (١١) استخدم دانتى تعبير (عند ما يسود أو يدكن لون العنب) ويقصد بداية نضجه
- (١٢) يسد الفلاح الفتحات في سياج كرمته بمدرة من الشوك لحمايتها من اللصوص .
- (١٣) سانليو (Sanleo) مدينة صغيرة في دوقية أوربينو الجبلية وهى قرية من جمهورية سان مارينو .
- (١٤) نولى (Noli) مدينة صغيرة في الريشيرا الإيطالية بين ساقونا وفينالى
- (١٥) بيسمانتوا (Bismantova) قرية على منحدر جبل في جنوب ريديجو ديميليا
- (١٦) كاكومى (Caccume) قمة عالية في جبال لىبى على مقربة من فروسينونى في منقطة روما
- (١٧) أى كان الانحدار هنا أشد من انحدار المناطق الجبلية السالفة الذكر بحيث لا يمكن الصعود بدون أجنحة
- (١٨) يعنى أجنحة الأمل والإيمان الذى يحمل الإنسان إلى مراتب السعادة العلوية .
- (١٩) يقصد فرجيليو
- (٢٠) يشبه هذا المعنى ما ورد في « الكتاب المقدس »
- (٢١) أى من اليمين واليسار
- (٢٢) يعنى كان الجبل وعراً شديداً الانحدار بحيث اقتضى الصعود السير على أربع .
- Matt. VII. 14.

- (٢٣) ارتفع هذا الجزء من الجبل كأنه جدار عمودي .
- (٢٤) أى أن الشاعرين خرجا من الثغرة في الصخر الوعر إلى مكان مفتوح .
- (٢٥) يعنى هل سنسير إلى يمين أو يسار .
- (٢٦) أى أن من يسعى إلى مراتب السعادة العلوية لا يجوز له أن يتراجع
- (٢٧) يعنى حتى يظهر دليل خبير يعرف طريق الصعود على وجه التحديد واستخدام دانتي قول (رفيق عارف أو حكيم)
- (٢٨) كانت قمة جبل المطهر عالية بحيث لا يبلغها البصر . واستخدام دانتي لفظ (الغلبة أو الظفر) للدلالة على قصده
- (٢٩) لما كانت الدائرة تنقسم إلى ٣٦٠ درجة فربع الدائرة يساوى ٩٠ درجة وثمانها يساوى ٤٥ درجة ومنتصف ربع الدائرة يعنى ثمنها والمقصود أن زاوية الانحدار زادت كثيراً عن ٤٥ درجة أى اقتربت من ٦٥ أو ٧٠ ، وهذا يعنى شدة انحدار الجبل الذى تخيله دانتي فى هذه الرحلة
- (٣٠) أصبح دانتي متعباً فلم يستطع متابعة الصعود وراء فرجيليو .
- (٣١) هكذا يعمل فرجيليو على أن يشحذهم دانتي إذا تولاه التعب ، إذ ليس سهلاً طريق التطهر والحكمة .
- (٣٢) هكذا فعلت كلمات فرجيليو فى دانتي فعل السحر
- (٣٣) حمل دانتي نفسه على رجليه ويديه لمتابعة فرجيليو .
- (٣٤) وصل دانتي إلى الإفريز أشار إليه فرجيليو منذ قليل . وفى الأصل (حتى صار الإفريز الدائرى تحت قدمي)
- (٣٥) هكذا جلس الشاعران للراحة بعد التعب
- (٣٦) نظر إلى الشرق رمز الصلاة والعبادة
- (٣٧) يشعر الإنسان بالراحة إذا نظر إلى طريق صعب قطعه
- (٣٨) كانت الشمس إلى اليسار فى جبل المطهر ، بعكس ما يحدث فى ف الكرة الشمالى بالنسبة لمن ينظر صوب الشرق . ويشبه هذا ما أورده لوكانوس Luc. Phars. III. 247
- (٣٩) أى الشمس .
- (٤٠) ريح الشمال (Aquilone) ريح باردة شديدة ، ويقصد دانتي أن يعبر بذلك عن الشمال وفى نصف الكرة الشمالى تخرج الشمس بين الرأى وبين الجنوب أى جهة الجنوب ويشبه هذا قول لوكانوس Luc. Phars. IX. 538...
- (٤١) كاستور وپولكس (Castor & Pollux) توأما زيوس وليدا فى الميتولوجيا اليونانية وحاميا السفن فى البحر ، واشتهرا بالشجاعة ، وقصد دانتي بذكرهما التعبير عن برج التوأمين فى الفلك . وهذا يعنى أنه حينما تكون الشمس فى برج التوأمين - فى مايو ويونيو - فإن المنطقة التى تكون فيها الشمس فى دائرة البروج - الزودياك - تصبح أقرب إن الدب الأكبر والدب الأصغر ، يعنى يزداد تحركها نحو الشمال .
- (٤٢) المرأة أى الشمس التى تتلقى النور الإلهى من سماء السموات وتعكسها أعلى إلى الله وأسفل إلى الأرض
- (٤٣) يعنى الطريق المألوف الذى تسلكه الشمس فى دائرة البروج
- (٤٤) صهيون (Sion) أحد الجبلين اللذين تقع عليهما أورشليم ، وصار رمزاً لها
- (٤٥) ليس المقصود الأفق المرئى بل الأفق الفلكى الذى هو عبارة عن دائرة كبيرة فى السماء يمر مستواها بمركز الأرض ، ويكون موازياً للأفق المرئى لمكان ما

- (٤٦) أجريت تغييراً في وضع بعض الفقرات في ثلاثيتي ٧٠ و ٧٣ مراعاة للأسلوب العربي .
- (٤٧) يعنى طريق الشمس في دائرة البروج
- (٤٨) سبقت الإشارة إلى أسطورة فيتون عند محاولته الصعود بعربته إلى السماء Inf. XVII. 107.
- (٤٩) أى في جبل المطهر
- (٥٠) يعنى في أورشليم والمقصود أنه إذا حسن انتباه دانتي فسيذكر أن حركة الشمس في شمال مدار السرطان - أى في أورشليم - تبدو من اليسار إلى اليمين ، وفي نفس الوقت تبدو أنها تسير من اليمين إلى اليسار في جنوب مدار الجدى - أى في جبل المطهر
- (٥١) أى بعد أن شرح له فرجيليو المسألة
- (٥٢) يعنى في علم الفلك .
- (٥٣) يفصل خط الاستواء بين الصيف والشتاء في نصو الكرة . واستخدام دانتي لفظ (الشمس) للتعبير عن الصيف
- (٥٤) هكذا يعبر دانتي عن ارتفاع الجبل وشعوره بالإجهاد . ويستخدم دانتي لفظ (الصعود) للتعبير عن ارتفاع الجبل وعن عدم بلوغ عينيه مداه الشاهق .
- (٥٥) الصعود صعب في أول الأمر ولكنه يسهل بالتطهر من الخطايا
- (٥٦) يشبه هذا المعنى ما سيأتى بعد Purg. VIII. 21.
- (٥٧) هذه موازنة مستمدة من المشاهدة . ويشبه هذا التعبير ما سيأتى في الفردوس : Par. XVII. 42.
- (٥٨) أى نهاية المطهر
- (٥٩) هذه إشارة إلى ما سيأتى بعد حيث سيرف دانتي كل شيء بواسطة غيره Purg. XVIII. 48; XXVII. 127-129.
- (٦٠) لم يتبته الشاعران إلى الصخر لأنهما نظرا صوب الشرق .
- (٦١) هذه نفوس الكسالى الذين أهملوا التوبة حتى آخر لحظة من حياتهم
- (٦٢) كان هؤلاء في وضع جالس أو واقف وهذا تعبير عن تأخرهم في التوبة
- (٦٣) تشبه هذه الصورة بعض ما ورد في تراث الإسلام إذ رأى أبو دلف العجلي (الجندى من عصر المأمون) أباه في الحلم عارياً وقد جلس واضعاً رأسه بين ركبتيه السيوطي كتاب شرح الصدور (السابق الذكر) ص ١١٤
- (٦٤) هكذا بدا هذا المتطهر في غاية الكسل والتراخي .
- (٦٥) نظرت هذه الروح بانتباه إلى الشاعرين
- (٦٦) يصف المتطهر دانتي بالشجاعة وهي عكس صفته هو ، وفي هذا نوع من السخرية الخفيفة
- (٦٧) كان دانتي لا يزال يشعر ببعض التعب
- (٦٨) رفع هذا المتطهر رأسه طفيفاً لأن دانتي كان فوقه بحكم وقوفه ، وكانت هذه الحركة البطيئة تناسب حال الكسل التي كان عليها
- (٦٩) يسخر هذا المتطهر (بلاكوا) من دانتي لعدم إدراكه حركة الشمس في نصف الكرة الجنوبي ، ولكن سخريته خفيفة رقيقة
- (٧٠) ابتمم دانتي بسمة خفيفة لسخرية المتطهر الرقيقة

- (٧١) بلاكوا (Belaqua) الفلورنسي صانع الآلات الموسيقية عرف بالكسل الشديد وكان من معارف دانتي
- (٧٢) يلوم دانتي بلاكوا على كسله وإهماله
- (٧٣) لفظ الأخوة تعبير عن الإعزاز بين هذين المواطنين الفلورنسيين .
- (٧٤) لا يفتح الملاك الحارس باب المطهر إلا لمن يستحق الدخول Purg. IX. 76-78.
- (٧٥) يعنى عذاب التطهر
- (٧٦) أى أنه تأخر في التوبة إلى آخر لحظة من حياته بسبب الكسل والإهمال
- (٧٧) أى قبل أن يدخل من باب المطهر
- (٧٨) يعنى خارج باب المطهر يعنى في مقدمة المطهر .
- (٧٩) هذا لأن صلاة الأحياء ودعاهم يقصران مدة التطهر، كما سبق . ويشبه هذا المعنى ما ورد في «الكتاب المقدس» Giov. IX. 31; Giob. XXVII. 9; XXXV. 13.
- (٨٠) لا ينفع هنا شيء سوى الصلاة لتقصير مدة تطهير بلاكوا ولذلك فهو لا يحرك ساكناً ويتنظر الزمن المقرر عليه ، ويتناسب هذا مع الكسل الذي لازمه في حياته . وفي هذا نوع من الأسمى والرضا بحكم القدر
- ويشبه هذا المعنى بعض ما ورد في تراث الإسلام من حيث أن الصلاة هدية وثواب من أهل الأرض إلى أهل المقابر
- السيوطي كتاب شرح الصدر (السابق الذكر) ص ١٢١
- (٨١) يشبه هذا ما أورده أوفيدوس Ov. Met. II. 142.
- (٨٢) يعنى أن الوقت أصبح ظهراً في المطهر بينما حل الليل في نصف الكرة الشمالي من الكنج إلى مراکش حسب فلك العصر وجغرافيته

الأنشودة الخامسة (١)

كان دانتى يسير وراء دليله وأدركت الأرواح أنه إنسان حتى لأنه ترك ظلاً على الصخر ، فنظروا إليه في عجب ودهشة وسأل فرجيليو دانتى أن يدعهم يتهامسون وألا يعبأ بما يُقال وأن يكون كالبرج الشامخ الذى لا تهتز قمته بعصف الرياح أبداً وسارع إلى الشاعرين روحان لمعرفة من القادمين ، فعرفا أن دانتى إنسان من لحم ودم ، فاجتمع حشدٌ من الأرواح حولهما وسألوهما التوقف قليلاً لكى يحمل دانتى عنهم إلى الأرض خبراً وكان هؤلاء هم من قُتلوا ولم تُتَّح لهم فرصة الندم والتوبة عن ذنوبهم إلا فى آخر لحظة من حياتهم وأظهر دانتى استعداداه لأداء ما يستطيعه من الخير لهم فسأله جاكوبو دل كاسيرو أن يرجو أهل فانو الصلاة من أجل الخلاص من آثامه ، وتكلم عن الجراح المميته التى أصابته وهو محاطٌ بأهل بادوا ، وقال إنه لو كان قد هرب إلى ميرا لما قُتل فى أورياكو ، حيث مات وسط بحيرةٍ من دمه الغزير ، وقال بوونكونتى دى مونترفلترو إن أحداً لا يُعنى به فى الأرض و لا حتى ابنته جوفانّا وسأله دانتى كيف ابتعدت جثته عن أرض معركة كامبالدينو حتى لم يعرف له قبر فقصّ عليه كيف تنازع من أجل حيازة روحه كل من ملاك السماء وملاك الجحيم ، وذكر كيف هطل المطر وجرفته المياه المتدفقة حتى ألقته به فى نهر الأرنو. وسألت پيا دا تولومبي دانتى أن يذكرها عند عودته إلى الأرض ، بعد أن يستريح من عناء رحلته الطويلة ، وقالت إنها ولدت فى سينا وماتت فى ماريمّا ، ويعرف ذلك زوجها الذى بى بها بعد أن وضع فى أصبعها خاتمه ، ولم تزد عن ذلك حرفاً

- ١ كنت قد رحلت عندئذ عن هذه الأشباح^(٢) ، وتابعت مواطئ قدمي دليلي ،
حينما صاح من ورأى أحدها
- ٤ مشيراً بأصبعه^(٣) « انظر كيف يبدو أن شعاع الشمس لا يضيء
إلى يسار السائر في أسفل^(٤) ، وكيف تظهر في أفعاله خصائص الإنسان
الحى^(٥) ! »
- ٧ فتلفت بعيني على رنين هذه الكلمات ، ورأيتهم ينظرون إلى في عجبٍ
— إلى وحدي^(٦) — وإلى النور الذي احتجب^(٧)
- ١٠ قال أستاذي « لم يشتد انشغال عقلك حتى تُبطيء مسيرك^(٨) ؟ وماذا
يعنيك ما يتهامون به هنا^(٩) ؟
- ١٣ تعال ورأى ، ودع الناس يتكلمون^(١٠) : وكن كبرجٍ ثابت لا تهتز قمته
بعصف الرياح أبداً^(١١) ؛
- ١٦ فإن من تنبثق لديه فكرة عن فكرة أبداً ، يُباعد نفسه عن هدفه ؛
إذ تُضعف إحداهما من قوة الأخرى^(١٢) »
- ١٩ وماذا كان يسعى أن أجيبه سوى « إني قادمٌ ؟ » قلتها وقد علتني
مسحة من اللون الذي يجعل الإنسان جديراً بالصفح أحياناً^(١٣)
- ٢٢ وفي الوقت ذاته جاء قوم عبّر الجبل يتقدموننا قليلاً^(١٤) ، ويرتلون في لحن
متتابع^(١٥) « إرحمني يا الله »^(١٦)
- ٢٥ وحينما أدركوا أنني لم أدع خلال جسمي سبيلاً لمسرى أشعة الشمس ، أبدلوا
ترتيلهم « بأهة ! » طويلة خرساء^(١٧) ؛
- ٢٨ وهروا نحونا اثنان مهم^(١٨) كأنهما رسولان ، وصاحا بنا « ألا فلتعرفانا
بحالكما^(١٩) »
- ٣١ فقال أستاذي « يمكنكما الذهاب وإفادة من أرسلوكما أن ما ترونه
ليس سوى جسد من دمٍ ولحم
- ٣٤ وإذا كانوا قد توقفوا لرؤية شبحه — كما اعتقد — فسينالون بذلك ما يُرضي
سؤلهم^(٢٠) : وعليهم بتمجيده ، فقد يُصبح عزيزاً لديهم^(٢١) »
- ٣٧ لم أر أبداً أبخرة ملتهبة تشقّ عنان السماء الصافية ، في بداية الليل بسرعة
فائقة^(٢٢) ، ولا سحب أغسطس عند غروب الشمس ،

- ٤٠ كهاتين الروحين الذين رجعتا إلى أعلى في زمن أقل من ذلك (٢٣) ؛ ولما وصلتا هناك اتجهتا نحونا مع سائر الأرواح ، كجماعة تجرى بدون عنان (٢٤)
- ٤٣ قال الشاعر « كثير هؤلاء القوم الذين يندفعون نحونا ويأتون لرجائك ، ولكن بفتسیرٍ قدماً ولتصنع إليهم في مسيرك (٢٥) » .
- ٤٦ وأقبلوا نصائحين « أيها الروح السائر في طاب السعادة (٢٦) ، بتلك الأعضاء التي وُلدت بها ، هلاً توقّف خطاك قليلاً ، وانظر إذا كنت قد رأيت أحدنا ، كي تحمل عنه إلى هناك خيراً (٢٧) :
- أواه ، لم تسير ؟ أواه ، لم لا تتوقف ؟
- ٥٢ كنا جميعاً قد قُتلنا عنوةً ، وظللنا آثمين حتى ساعتنا الأخيرة حيث كشف نور السماء عنا الحجاب (٢٨) ،
- ٥٥ ففارقنا الحياة - بالندم والغفران - في سلامٍ مع الله (٢٩) ، الذي يُلهب قلوبنا بالشوق لرؤياه (٣٠) »
- ٥٨ قلت « إني مع إمعاني النظر في وجوهكم لا أتعرف على أحدكم ؛ ولكن إذا راقكم أمرٌ أقدر على فعله - يا أيها الأرواح السعيدة الموليد (٣١) -
- ٦١ فلتذكروه لي (٣٢) وسأؤدّيه لكم من أجل ذلك السلام الذي يحملني بذاته على السعى في طلبه ، من عالمٍ إلى عالم ، وراء خُطى دليل مثله (٣٣) »
- ٦٤ فبدأ أحدهم « إننا نثق جميعاً في فعلك الخير بدون أن نقسم على ذلك - ما لم يعطل إرادتك العجز (٣٤)
- ٦٧ ولذا أرجوك - أنا الذي أتكلّم وحدى قبل الآخرين (٣٥) - إذا رأيت يوماً تلك البلاد التي تقع بين أرض رومانيا وأملاك شارل (٣٦) -
- ٧٠ أرجوك أن تتلطّف بي فترجوهم في فانو أن يقيموا من أجل الصلوات الطيبة ، حتى يمكنني التطهّر من آثام الخطيئة (٣٧)
- ٧٣ فإني إلى هناك أنتمى ، ولكن الجراح العميقة التي نخرج نخلها الدم من الجسم الذي كنت أسكنه (٣٨) ، قد نالت مني وأنا في غمرة أبناء الأنتينورى (٣٩) ،
- ٧٦ هناك حيث ظننت أني أكثر أمناً : إن مُدبّرّها هو ذاك المركيز من إسّت (٤٠) ، الذي تجاوز في غضبه على أكثر مما يقتضيه الحق (٤١)

- ٧٩ ولو كنتُ قد هربت صوب ميرا^(٤٢) - حينما أدركوني عند أورياكو^(٤٣) ،
لظلتُ بعدُ حيثُ تردد الأنفاس^(٤٤) .
- ٨٢ وإلى المستنقع جريتُ ، ولكن عوقني البوص والطين^(٤٥) حتى ترديتُ ؛
وهناك رأيت من عروقي بحيرة تُصنع فوق الأرض^(٤٦) .
- ٨٥ ثم قال آخر « آه - مع رجائي أن تتحقق تلك الرغبة التي تجتذبك إلى
الجبل العالي - هلاّ تعينني على بلوغ رغبتى بعطفك الطيب^(٤٧) !
- ٨٨ لقد كنتُ من مونفيلترو ، وإني أنا بونكونتي^(٤٨) : ولا تحفل بي
جوقانا^(٤٩) ولا غيرها^(٥٠) ، ولذلك أسير بين هذه الجماعة مطرق الرأس^(٥١) .
- ٩١ فقلت له « آية قوة أو أى قدر نأى بك عن أرض كامبالدينو^(٥٢) ، حتى
لم يُعرف لك قبرٌ أبداً^(٥٣) ؟ »
- ٩٤ فأجاب « آه ، عند سفح كازنتينو^(٥٤) يجرى جدولٌ يُدعى أركيانو^(٥٥)
وينبع في الأبنين فوق ذلك الدير^(٥٦) .
- ٩٧ وهناك حيث يزول اسمه^(٥٧) ، وصلتُ مجروح الحلق هارباً على القدمين
وقد لوّثتُ السهل بالدم^(٥٨) .
- ١٠٠ وهنا فقدتُ البصر وعجزتُ عن الكلام ؛ ولكنني انتهيت باسم العذراء
ماريا^(٥٩) ؛ وهنا سقطتُ ، وظل جسدى وحده مُلقى على الأرض
- ١٠٣ وبالصدق سأخبرك ، وستعيد قوله بين الأحياء^(٦٠) لقد أخذنى ملاك
السماء^(٦١) ، فصاح به ملاك الجحيم^(٦٢) "لم تحرمى منه يا سباكن
السماء^(٦٣) ؟
- ١٠٦ إنك تحمل منه جزءه الخالد^(٦٤) - بقطرة الدمع التي تنتزعه منى^(٦٥) ،
ولكنى سأجعل لسائرهم مصيراً آخر ! " ^(٦٦)
- ١٠٩ وإنك لتعرف حقاً كيف يتجمع في الهواء ذلك البخار الرطب ، الذي يعود
ماءً حينما يعلو حيث يغشاه البرد^(٦٧) .
- ١١٢ ولقد اتحدت، بالعقل تلك الإرادةُ الحبيثة التي لا تطلب سوى الشر^(٦٨) ،
وأنارت الضباب والريح بالقوة التي تصدر عن طبعها^(٦٩) .

- ١١٥ ولما أفل النهار غطت الوادي بالضباب^(٧٠) - من پراتومانيو^(٧١) إلى القمة الشاهقة^(٧٢) ، وجعلت السماء في عليائها كثيفة^(٧٣) ،
- ١١٨ حتى تحوّل الهواء المشبّع بالبخار إلى ماء^(٧٤) وهطل المطر ، وانساب منه إلى القنوات ما لم تتشرب به الأرض^(٧٥) ؛
- ١٢١ وحينما تجمّعت المياه في الجداول الكبيرة^(٧٦) ، تدفقت سريعة إلى النهر الملكي^(٧٧) ، حتى لم يتقفها دونه شيءٌ
- ١٢٤ وعند المصبّ ، وجد أركيانو الجارف جسدي المتجمّد ، فألقى به في مياه الأرنو ، ومن صدرى أزال الصليب ،
- ١٢٧ الذي كنت قد صنعتُه بذراعي^(٧٨) ، حينما غلبني الألم^(٧٩) وجرفني النهر^(٨٠) نحو ضفتيه وقاعه ، ثم غطاني ولفّني بأخلاقه^(٨١) «
- ١٣٠ وبعد الثانية قالت الروح الثالثة^(٨٢) : « إيه ، عندما تُصبح إلى الدنيا عائداً^(٨٣) ، وتستريح من عناء رحلتك الطويلة^(٨٤) ،
- ١٣٣ فلتذكرني^(٨٥) ، فأني أنا پيا^(٨٦) ولقد ولدتني سيينا^(٨٧) ، وقتلتني ماريمّا ،^(٨٨) ويعرف ذلك^(٨٩) من وضع من قبل خاتمه
- ١٣٦ في أصبعي ، حينما بنّى بي^(٩٠) «



ه - فلتذكري ، فاني انا پيا

انشودة ه ١٣٣ - ١٣٦

حواشي الأنشودة الخامسة

- (١) هذه أنشودة المهملين في التوبة الذين لقوا موتاً عنيفاً ، وتسمى أنشودة جاكوبو دل كاسيرو أو أنشودة بونكونتي دي مونفلترو أو أنشودة پيا دا تولومبي .
- (٢) أى ابتعد دانتي عن بلاكوا وجماعته
- (٣) أشار هذا الشبح بأصبعه لكى يلفت نظر الآخرين إلى دانتي .
- (٤) يعنى أن جسم دانتي قد ترك ظلا على الأرض .
- (٥) أى أن دانتي كان يسير وهو يأتى بحركة الأحياء وصوهم .
- (٦) دهشة الأرواح عندما رأوا دانتي إنساناً حياً
- (٧) يعنى نظروا إلى دانتي وحده وإلى ظلله البادى على الصخر وفى الأصل (انكسر)
- (٨) تساءل فرجيليو عما انتاب دانتي حتى أبطأ مسيره ، وهو يريد أن يسرع الخطى .
- (٩) أى لا داعى للاهتمام بهامس هذه الأرواح
- (١٠) يدعو فرجيليو دانتي ألا يعبا بكلام الأرواح والناس
- (١١) يطلب فرجيليو إلى دانتي أن يكون كالبرج الشامخ الذى لا يتأثر بالعواصف وينتقل فرجيليو - أو دانتي على لسان فرجيليو - من تهامس الأرواح أو الناس إلى كلامهم ولغومهم ولا يجوز عنده أن يؤدى تهامس الناس وأقاويلهم إلى تعطيل ذوى الإلهام عن بلوغ أهدافهم العليا . وعلى لسان فرجيليو نسمع صوت دانتي الذى يعبر عن انفجار نفس اعتادت الوحدة السامية الرفيعة ، واعتادت كذلك أن تقاوم بعزيمة صلدة لغو الكلام وعلى هذا يسأل فرجيليو دانتي أن يأتى وراءه ويدع الناس يتكلمون ، ويطلب إليه أن يقف كالبرج الثابت الذى لا تهتز قمته بعصف الرياح أبداً ، وحينما يريد دانتي التعبير عن قوة الروح المعنوية يأخذ تشبيهه من المعانى المادية والصور المحسوسة التى تفصح عن غرضه تماماً وأمامنا القمة التى تمتد فى الفضاء وتعلو على لغو الكلام ، وتتناسب مع القوة المعنوية التى يعبر عنها ويدعو إليها وأية كلمات صلدة هذه التى جرت على لسان فرجيليو لكى تحفز الإنسان على الثبات وتشحذ العزيمة وتمنح من يأخذ بها قوة تقف فى وجه العواصف بشجر باسم !
- Virg. Æn. X. 693-695. ويشبه هذا المعنى ما أورده فرجيليو :
- (١٢) يعنى أن الإنسان الذى تجتمع لديه فكرة على فكرة ينحرف عن هدفه لاختلاط أفكاره وتعطيل بعضها بعضاً والمقصود أنه ينبغى على دانتي ألا يشغل باله بالأفكار التى تعوق سيره .
- (١٣) أى أنه قد علت وجه دانتي مسحة من الحجل لإبطائه
- (١٤) هؤلاء هم الذين كانوا ينوون التوبة ولكنهم لقوا موتاً عنيفاً مفاجئاً فظلوا بذلك خاطئين حتى آخر لحظة من حياتهم ، ولذلك يبقون فى مقدمة المطهر زمناً طويلاً
- (١٥) يعنى أن جماعة من هؤلاء كانوا يرتلون آية وجماعة أخرى ترتل آية ثانية على التوالى .
- (١٦) رتل هؤلاء زمور « ارحمى يا الله » (Miserere mei) أحد مزامير التوبة السبعة
- Sal. LI.
- (١٧) لما وجلوا أن دانتي جسم له ظل أخذهم العجب وأوقفوا ترتيلهم وصاحوا بأه طويلة خرساء .

Inf. XII. 58 ...

(١٨) يشبه هذا التعبير ما ورد عن القناتس في الجحيم

(١٩) لم يصبر هذان الشبحان على ما شهدها وجرياً للاستفسار عن حال الشاعرين

(٢٠) أى إذا كان وقوفهم لرؤية دانتي ومعرفته على حقيقته فهذا يعنى أنهم أدركوا أنه إنسان حتى

يحجب أشعة الشمس ويترك ظلاً على الصخر

(٢١) يعنى أن دانتي يمكنه أن يحمل ذكراهم الطيبة إلى الأرض ويرجو أهلهم الصلاة من أجلهم وبذلك يؤدي لهم خدمة جلييلة

(٢٢) ربما كان المقصود بالبخار الملتهب الشهب أو البرق الذي يحدث فوق السحب زمن الصيف وكان يظن أن هذا يرجع إلى تصاعد البخار في الجو . ويشبه هذا ما أورده فرجيليو

Virg. Georg. I. 365

(٢٣) كان رجوع هذين الشبحين من حيث أتيا أسرع من صعود البخار إلى الجو أو أسرع من لمح البرق صيفا

(٢٤) هؤلاء الذين قتلوا وتابوا في آخر لحظة ، هم أشد النفوس عذاباً في مدخل المطهر ، ولذلك فإن حركتهم السريعة تعبر عن تطلعهم الشديد إلى الخلاص .

(٢٥) سأل فرجيليو دانتي أن يتابع سيره حتى لا يضيع الوقت ، ويمكنه الإصغاء إلى حديث الأشباح في أثناء سيره .

(٢٦) أى نفس دانتي التي تسير في طريق السعادة .

(٢٧) يعنى يحمل عنه خبراً إلى أهل الأرض .

(٢٨) في الأصل (حيث جعلنا نور السماء عارفين)

(٢٩) أى أنهم غفروا لمن قتلوهم وبذلك كفروا عن آثامهم . ويشبه هذا المعنى ما ورد في «الكتاب المقدس» :

Matt. VI. 14.

Inf. IV. 42.

(٣٠) يشبه هذا ما سبق في الجحيم

(٣١) يعنى الأرواح التي ستطهر وتصل إلى الفردوس

(٣٢) أى أن دانتي مستعد لأن يفعل كل ما يروقههم ويسعدهم .

(٣٣) السلام في ذاته يدفع دانتي للسعى إليه وبلوغه ، وتربط دانتي بهؤلاء المتطهرين رغبة واحدة

(٣٤) يعنى إذا لم تعجز قواه عن القيام بما يرغب فيه ، ولن يكون عليه وزر بذلك

(٣٥) هذا هو جاكوبو دل كاسيرو دا فانو (Jacopo del Cassero da Fano) أحد زعماء الحلف

في فانو الذي حارب مع فلورنسا ضد جبليين أريتزون في ١٢٨٨ ، وأصبح عمدة بولونيا ثم

ميلانو ، وناهض أتزو الثامن دست مركيز فرارا فقتله بعض رجاله ، وحملت جثته إلى كنيسة

سان دومينكو في فانو .

(٣٦) تقع فانو (Fano) بين رومانيا وأملاك نابلي التي كانت تحت حكم شارل دانجو الفرنسي

وسبق ذكرها في الجحيم (Inf. XXVIII. 76) وفي ترجمتي للجحيم أصبحت (فانو) في الثلاثية

رقم ٣٤ من الأنشودة ٢٨

(٣٧) يرجو دانتي أن يعمل في فانو على إقامة الصلوات من أجله لكي تتطهر روحه من الخطايا

وتوجد صورة لفانو من القرن ١٤ في كاتدرائية فانو .

(٣٨) كانت جراحه بميته تدفق منها الدم الغزير .

- (٣٩) أى أن أهل بادوا - الذين قتل جاكوبو بينهم - هم أبناء أنتينورى الطروادى الخائن الذى سميت باسمه الدائرة الثانية فى منطقة كوتشيتوس فى الجحيم
Inf. XXXII. 88.
- (٤٠) يعنى أتزو الثامن دست (Azzo VIII. d'Este) مركيز فرارا
- (٤١) أى أنه غضب عليه وكرهه بدون مبرر ، وإن كان ينسى معارضته مصلحة المركيز .
- (٤٢) ميلا (Mira) قرية تقع على قناة تخرج من نهر برنتو بين بادوا وأورياكو .
- (٤٣) أورياكو (Oriaco) قرية تقع بين بادوا والبندقية وهى أقرب إلى الأخيرة وهى المكان الذى قتل فيه جاكوبو دل كاسيرو
- (٤٤) يعنى لو أنه هرب صوب ميلا لبقى على قيد الحياة
- (٤٥) كانت هذه المنطقة ملاءى بالمستنقعات والبوص .
- (٤٦) أى أنه مات وسط بحيرة من دمه ، وهذا كلام رقيق حزين مؤثر
- (٤٧) تطلب هذه الروح إلى دانتي أن يؤيد بالصلوات رغبتها فى الخلاص .
- (٤٨) بوونكونتى دا مونترفلترو (Buonconte da Montefeltro) بن جويدو دا مونترفلترو (Inf. XXVII. 61-126) الذى حارب جلف أريتزو فى ١٢٨٧ ثم حارب سيينا ، وفى ١٢٨٩ كان على رأس جبلين أريتزو ضد فلورنسا فى موقعة كامبالدينو حيث قتل .
- (٤٩) جوفانا (Giovanna) زوجة بوونكونتى .
- (٥٠) يعنى أن أحداً لا يعنى بالصلاة من أجله ، ويقصد جالاسيو دى مونترفلترو قريبه الذى أصبح عمدة أريتزو فى ١٢٩٠ ، وكذلك يقصد أخاه فيدركو عمدة أريتزو فى ١٣٠٠ ، وكذلك ابنته مانتيسا
- (٥١) خفض وجهه حزناً وخجلاً لأن أحداً من أحبهم لا يعنى بمصيره ولا يصلى من أجله ، وبذلك سيقضى وقتاً طويلاً فى مقدمة المطهر
- (٥٢) كامبالدينو (Campaldino) سهل فى منطقة كازنتينو فى وادى الأرنو الأعلى بين پوپى فى وبيينا ، حيث انتصر جلف فلورنسا على جبلين أريتزو فى ١١ يونيو ١٢٨٩ ، وقد اشترك دانتي وبوونكونتى فى هذه المعركة كل مهما فى جانب وأقيم فى هذا المكان عمود تذكارى للمعركة .
- (٥٣) أى أنه لم يعثر أحد على جثة بوونكونتى .
- (٥٤) كازنتينو (Casentino) منطقة فى وادى الأرنو الأعلى ، وسبق ذكرها فى الجحيم
Inf. XXX. 65.
- (٥٥) أركيانو (Archiano) نهر يصب فى الأرنو ويفصل منطقة كازنتينو عن منطقة ببيينا
- (٥٦) هذا هو دير كامالدولى (Camaldoli) الذى أنشأه سان رومالدو فى بداية القرن الحادى عشر فى موضع مرتفع ملىء بالغابات
- (٥٧) يعنى هناك حيث يزول اسم أركيانو بعد كامبالدينو على مقربة من ببيينا لأن مياهه تصب فى نهر الأرنو .
- (٥٨) هكذا سار وهو مطعون مضرج بالدماء .
- (٥٩) مات وهو يذكر العذراء ماريلا أى مات تائباً
- (٦٠) يقصد بهذا أن الأحياء سيتألمون ويصلون من أجله وبذلك تقصر مدة عذابه فى المطهر .

- (٦١) أخذ ملاك السماء روحه فقط
- (٦٢) أى الشيطان
- (٦٣) يعتبره الشيطان من أتباعه ولذلك يحاول أن يأخذ روحه .
- (٦٤) يعنى الروح
- (٦٥) يستصغر الشيطان شأن الدمعة الصغيرة ويرى أنها لا تكفى للتوبة.
- (٦٦) يهدد الشيطان بما سيفعله بجسد بوونكووتى .
- (٦٧) هكذا يصور دانتي سقوط المطر ، واستمد ذلك من حال الجو في يوم معركة كامبالدينو .
Virg. Georg. I. 322...
ويشبه هذا التعبير ما أورده فرجيليو
- (٦٨) ورد معنى مقارب في الجحيم
Inf. XXIII. 16; XXXI. 55-57.
- (٦٩) أى أن الشيطان أثار عاصفة لكى ينتقم ، ويشبه هذا ما أورده توماس الأكوينى
d'Aq. Sum. Theol. J. LXIV. 1 ; CXII. 2.
- (٧٠) يعنى غطت إرادة الشيطان الشريعة الوادى بالضباب
- (٧١) جبال پراتومانيو (Pratomagno) تحد منطقة كازنتيينو من الغرب وتفصل وادى الأرنو الأعلى عن تسكانا
- (٧٢) أى جبال الأبينين الأساسية
- (٧٣) يشبه هذا التعبير ما أورده فرجيليو
Virg. Æn. IV. 506.
- (٧٤) هذا مستمد من الجو الملبد بالسحب يوم معركة كامبالدينو.
- (٧٥) يعنى أن المطر كان غزيراً
- (٧٦) أى جداول كازنتيينو
- (٧٧) النهر الملكى يعنى مهر الأرنو ، وهذا بعض اعتزاز دانتي بنهر فلورنسا
- (٧٨) يعنى أنه عند موته رسم علامة الصليب بيديه على صدره ، وغيرت حركة المياه العنيفة وضعهما فزال الصليب
- (٧٩) أى ألم الموت وألم الشعور بالإثم
- (٨٠) أضفت لفظ (النهر) للإيضاح
- (٨١) يعنى بمحتويات النهر من طين وحصى وصخور وبذلك لم يعرف أحد مكان جثته
- (٨٢) أى لم يكن هناك توقف بين حديث هاتين الروحين ، وما إن سكنت الروح الثانية حتى تكلمت الثالثة ، وكأنها كانت تترقب أول فرصة للكلام لكى تعبر بطريقها عما تعانیه من الألم وهذا انتقال مفاجئ بين الموقف السابق موقف الألم العنيف ، وبين الموقف اللاحق موقف الألم الهادئ العذب الرقيق .
- (٨٣) كانت ذكرى الدنيا لا تزال ماثلة أمام هذه الروح الثالثة .
- (٨٤) قدرت هذه الروح - بعكس سائر الأرواح - ما يلاقيه دانتي في رحلته من العناء ، ولذلك فهى تؤخر كلامها وتمحجز ألمها لحظة ، وتذكر لدانتي أن من حقه أن يستريح من عناء الرحلة ، وتطلب إليه أن يفعل ما تريده بعد أن ينال قسطه من الراحة وهذا كلام عذب رقيق يصدر عن إنسان يقدر مشاعر الآخرين ومتاعبهم قبل أن يذكر آلامه ومتاعبه هو . هذا كلام أم

أو أخت أو حبيبة مخلصه تضحي بآلامها في سبيل من تحب وهذه نظرة صادقة للمرأة التي تقدر متاعب الرجل وتعمل على إزالتها أو التخفيف منها

(٨٥) ومع ذلك فهي لا تطلب أمراً صعباً ولا تكلفه بما يشق عليه. لا تطلب هذه الروح إلى دانتى سوى أن يذكرها في الدنيا بعد أن يستريح من عناء رحلته ، ولا تحدد له أين ومن ينبغي أن يذكرها عنده ، كما فعل غيرها من قبل لأنه ليس لها في الدنيا أصدقاء بمعنى الكلمة . ويكفي عندها أن يذكرها دانتى بشخصه لأنه إنسان عطوف رقيق ، أو يذكرها لجماعة ما من الناس الذين إذا عرفوا أمرها وما لقيته من العذاب ، فستأخذهم الشفقة بها ، ويصلون من أجلها ، وبذلك تقصر مدة عذابها وتظهرها

(٨٦) هذه هي بيا دا تولومي (Pia da Tolomei) من سيينا . وهي زوجة نلواو باجانلودى پانوكيسكى (Nello, Paganello dei Pannochieschi) الزعيم الجلى وصاحب قلعة پيترا (Castello di Pietra) في منطقة ماريمما على بعد تسعة أميال شرقى ماسا على البحر التيرانى . وأصبح باجانلو عمدة لبعض المدن مثل فولتيرا في ١٢٧٧ ولوكا في ١٣١٢ ، وأصبح قائد الحلف الجلى في تسكانا في ١٢٨٤ وعاش حتى ١٣٢٢ على الأقل . ومن الجائز أن باجانلو قد شك في أمانة زوجته أو أنه أراد التخلص منها لكي يتزوج من امرأة ثرية هي مارجريتا دى ألدوبراندسكى ، التي طلقت للمرة الثالثة وتزوجت من باجانيلو . ويقال إن باجانلو قتل زوجته بيا بأن عرضها لحو ماريمما الموبوء بالملاريا . ويقال كذلك إنه أمر بعض أتباعه فقتلها بأن أمسك بقدميها من الخلف بينما كانت تطل من نافذة بقلعة پيترا ، وألقى بها في واد عميق في ١٢٩٧ . ويسمى الموضع الذى يقال إنها ألقيت منه بمقفز الكونتيسة (Il Salto della Contessa) وظن بعض الباحثين أن المقصودة هنا بيا جواستلونى (Pia Guastelloni) أرملة بالدودى تولومى (Baldo dei Tolomei) ، وأنها تزوجت من باجانلو دى پانوكيسكى ، ولكن هذا الرأى مستبعد لأنه ثبت أن بيا جواستلونى ظلت على قيد الحياة حتى جاوزت السبعين على الأقل في ١٣١٨ وتذكر بيا اسمها العذب الرقيق النطق فى اللغة الإيطالية ومعناه التقية أو الصالحة أو الرحيمة . ولا يزال تعبير (اذكرنى فأنأ بيا) يتردد على بعض الألسنة فى سيينا - وإيطاليا - عند الفراق بين الأصدقاء والأحباب .

(٨٧) يعنى أنها ولدت فى سيينا

(٨٨) أى أنها قتلت فى ماريمما . وهي تعبر عن ميلادها ومأساتها وموتها فى بيت واحد وهي شديدة الارتباط بالأماكن التي عاشت فيها فى سيينا التي تحمل لها ذكريات الطفولة والشباب ، وهي مرتبطة كذلك بالمكان الذى عاشت وماتت فيه فى ماريمما ، التي تحمل لها ذكرى الحب والمأساة والموت وهي لا تذكر شيئاً عن تفاصيل موتها ، وهذا يعنى أنها غفرت وصفحت عما نالها من موت غادر

(٨٩) يعنى أن زوجها هو الذى يعرف تفاصيل مأساتها ، ولكنها لا تذكرها ولا يساورها بسببها الشعور بالكراهية ولا الرغبة فى الانتقام .

(٩٠) لا تذكر بيا زوجها كرجل غادر قاتل بل تذكره كزوج

(٩١) بيا دا تولومى إحدى الشخصيات التي صورها دانتى بفن الرائع فى سبعة أبيات من الشعر ! وهي

تشبه فرنشسكا دا ريمى فى الجحيم فى عاطفتها الخالصة وإحساسها الرقيق، ولكنها لم ترتكب الخطيئة بسبب الحب كما ارتكبتها فرنشسكا . وهى تنسى الغدر والقتل والمأساة ، وتمتاز بذكريات الزوجية ، وتستعيد ذكرى الخطبة ووضع الخاتم فى الأصبع ثم الزواج . ولا يعنىها إلا الذكريات الطيبة ثم الرغبة فى أن يصل من أجلها بعض الناس - ولو لم تعرفهم لكى يقصر زمن تطهرها وتصعد إلى الفردوس . وهى غفرت كل شئ لأنها ذات قلب رحيم وهى ذات نفس أبية نبيلة كريمة . وهى تغفر وتطلب الغفران وهى لا تصرخ ولا تولول لأنها تدرك أثقال الناس وبؤسهم وهى لا تفصح عن ألمها لأنها تدرك آلام الآخرين . وهى لا تشكو ولا تبكى لأنها رقيقة الحس ولا تريد أن تزيد فى عذاب الناس وهى تتألم وحدها ، وتبكى فى صمت وبدون دموع ، بل وتبدو كأنها لا تتألم ، وبهذا تسير فى طريق التطهر والغفران وهذه هى بعض صفات دانتي وبعض ما جاش به صدره ودار بين جوانحه . فبيا دا تولومى تفصح عن نواح أخرى فى شخصية دانتي العظيم وتتجاوب فى إحساسها المرهف مع دانتي النبيل الرحيم الرقيق ، الذى يقدر آلام الآخرين ، ويتألم وحده فى صمت وبدون ضوضاء وضجيج . وهكذا كشف دانتي عن بعض خفايا النفس البشرية التى كانت تحول تقاليد العصور الوسطى دون الإفصاح عنها وقد وضع فى ماركييتى لحناً موسيقياً غنائياً عن بيا فى ميلانو سنة ١٨٨٠ ، وهو من الطبقة الأنثوية بين العالية والمنخفضة (mezzo soprano) ولم أجده بعد مسجلاً . وكذلك وضع ل . أورسىي أوبرا مستوحاة من مأساة بيا ومثلت لأول مرة فى فلورنسا فى ١٨٣٥ وكذلك فعل لجايتانو دونتيزى ومثلت أوبراه لأول مرة فى نابلى فى ١٨٣٧ . ولم أعر عليها مسجلتين

الأنشودة السادسة^(١)

كما يحاول الراح في لعب النرد أن يخرج من وسط رفاقه المجتمعين حوله ، كذلك تخلّص دانتى من جماعة الأرواح التي تجمعت من حوله ، وكان بعضهم من أهل كازنتينو أو أريتزو أو من فرنسا . سألت دانتى فرجيليو كيف نفى في الإنيادة أن الصلاة تغيّر حكم السماء ، فحاول فرجيليو أن يشرح له الأمر ، وقال له إن بياتريتشى سوف تكمل له الشرح لأنها ستكون له نوراً بين الحق والعقل ، وعندئذ تعجّل دانتى المسير وقد زابله التعب ورأى الشاعران شبحاً منعزلاً ينظر إليهما في كبرياء وهو بهيئة أسدٍ يأخذ قسطاً من الراحة . وسأل فرجيليو ذلك الشبح عن أفضل مُرتبى لصعود الجبل فسأله هو عن موطنه ، وما إن سمع لفظ « مانتوا » حتى اندفع الشبح - روح سورديلو شاعر التروبادور - إلى فرجيليو ، وتعانق الاثنان ! تأثر دانتى باللقاء المخار الذى جرى بين هذين المواطنين عند ذكر اسم الوطن ، فذكر بلاده التي يمزقها الخلاف الداخلى ، وناداهما بالأمة الذليلة ونعّتها بسفينة بلون ملاح وسط العاصفة الهوجاء ، ودعاها أن تنظر إلى شواطئها وقلبها ، وتساءل هل يعرف جزء منها معنى السلام ، وقال ماذا تنفع القوانين إذا خلا السرج من القائد القدير واستمطر غضب السماء على الأمبراطور الألماني الذى ترك إيطاليا فريسة للفوضى ، ودعاها أن يأتى إلى إيطاليا لكي يلام جراحها الدامية ، وسأل الله هل أدار عينيه العادلتين عن إيطاليا أم أنه يدبّر لها خيراً مقبلاً يسمو على مداركه وسخر دانتى من فلورنسا التي تجرى عدالة شعبيها على طرف اللسان ، ويتكالب أهلها على الوظائف ، وندّد بسرعة تغيّر حكوماتها وقوانينها وعاداتها ، وشبّهها بالمرأة المريضة التي تحاول أن تدرأ ألمها بالتقلب في فراشها

- ١ حينما تنتهى دورة من لعب النرد ، يظل الخاسر فى موضعه متألماً ، ويستعيد رمياته ، وبخسرانه يتعلم كاسف البال^(٢)
- ٤ ومع الرابع نمضى كل الجماعة^(٣) ، هذا يسير أمامه ، وذلك من خلفٍ يمسك به ، وآخر إلى جانبه يسترعى انتباهه^(٤) :
- ٧ ولكنه لا يتوقف ، بل يصغى إلى كل مهم^(٥) ، ومَن يمدد يده إليه بشىء لا يُلح عليه بعدُ ؛ وبذلك يتخلص من المتكالبين عليه^(٦) .
- ١٠ هكذا كنتُ فى ذلك الحشد الكثيف ، ولفَتْ وجهى إليهم - هنا وهناك - وبالوعود خلّيت نفسى مهم^(٧)
- ١٣ هنا كان الأريتزوى^(٨) ، الذى ذاق الموت من ذراعى جينو دى تاكو^(٩) الوحشيتين^(١٠) ، وكان الآخر^(١١) من غرق وهو فى المطاردة يجرى^(١٢) .
- ١٧ وكان هنا فيدرىجو نوفلّو^(١٣) ، يمد يديه ضارِعاً^(١٤) ، وذلك الماطن من پيزا - الذى جعل مارتزوكّوالطيب يبدو قوياً^(١٥) .
- ١٩ ورأيت الكونت أورسو^(١٦) ، والروح الذى فارق جسده^(١٧) - كقوله - بالكراهية والحسد - لا بإثم اقترفه^(١٨) ؛
- ٢٢ أعنى پيير دلا ابروتشا^(١٩) ؛ وهنا فلتتدبّر السيدة براينت أمرها^(٢٠) ، بينما هى هناك^(٢١) ، حتى لا تصبح بهذا^(٢٢) فى زمرة أسوأ^(٢٣) .
- ٢٥ وحينما تخلّصتُ من كل تلك الأشباح - التى تضرّعتُ فحسبُ لى يصلّى الآخرون من أجلها ، حتى تصبح سريعاً فى عداد الأطهار^(٢٤) ،
- ٢٨ بدأتُ « يا نور عيى » ، يبدو لى فى إحدى فقراتك أنك تنفى صراحةً ، أن الصلاة تُغير من أحكام السماء^(٢٥) ؛
- ٣١ وأن هؤلاء القوم لا يضرعون إلا لذلك وإذاً فهل يصير أمل هؤلاء إلى البطلان ، أم أن مضمون كلماتك لم يتّضح لى تماماً^(٢٦) ؟ » .
- ٣٤ فقال لى « إن كتابتى جدّ واضحة ؛ وليس أمل هؤلاء بالأمل الخادع - إذا نظرت الأمر جليّاً بعقل واضح^(٢٧) ؛
- ٣٧ إذ لن تطأطى العدالة الإلهية من هامتها ، لأن نار المحبّة تؤدّى فى لحظة ما ينبغى أن يؤدّيه من يستقرّون ها هنا^(٢٨) ؛

- ٤٠ وهناك حيث قرّرتُ هذا الأمر^(٢٩) ، لم تمح خطيئةٌ بصلاة ، إذ لم تبلغ الصلاة رحابَ الله^(٣٠)
- ٤٣ ومع ذلك فلا تستخلصنّ من هذا الشكّ العميق نتيجة ، إلا إذا فسّرته لك من ستكون هي النور بين الحقّ والعقل^(٣١) .
- ٤٦ لا أدري إذا كنتَ تفهمي ؛ وإنني أتكلّم عن بياتريتشى : وإنك سترها فوقُ ، على قمة هذا الجبل ، ضاحكةً مبهجة^(٣٢)»
- ٤٩ قلتُ : « فلنسارع الخطى يا سيدى ، فلستُ الآن متعباً كما كنت من قبل^(٣٣) ؛ وها قد أخذ الجبل يلقى بظله الآن^(٣٤) » .
- ٥٢ فأجابني « إننا سنمضي لتونا قدماً إلى أقصى ما نستطيع في ضوء هذا النهار ، ولكن للواقع صورة تختلف عما تقدّر^(٣٥) .
- ٥٥ وقبل أن تصعد أعلى - سترها تعود - تلك التي يغطّيها جانب الجبل الآن^(٣٦) ، حتى لم يعد جسمك يحجب أشعتها^(٣٧) .
- ٥٨ ولكن هاك نفساً تتحنى ناحية بمفردها وتتطلع إلينا إنها استدلتنا على أقصر الطرق^(٣٨) » .
- ٦١ فاتّجهنا إليها أيتها النفس اللومبارديّة ، كم كان مظهرك متعالياً مزدرياً^(٣٩) ، ولكم كانت حركات عينيك هادئة وقورة^(٤٠) !
- ٦٤ ولم تقل لنا شيئاً ، بل تركتنا نسير وهي ترقبنا فحسبُ ، بهيئة الأسد حينما يربض^(٤١)
- ٦٧ واقرب منها فرجيليو وحده^(٤٢) ، راجياً أن تدلّنا على خير مُرتقى ، ولم تُعجب تلك الروح سؤاله^(٤٣) ،
- ٧٠ ولكنها سألتنا عن بلدنا وعن حياتنا^(٤٤) ، وبدأ الدليل العزيز : « مانّتوا . » ، فما كان من الشبح المنطوى على نفسه
- ٧٣ إلا أن اندفع من الموضع الذي كان مستقرّاً فيه من قبل^(٤٥) - وقال « أيها المانتوى^(٤٦) ، إنني سورديلو^(٤٧) - من مدينتك ! » ؛ وتعانق الاثنان^(٤٨) .
- ٧٦ أوّاه منك يا إيطاليا ، أيتها الأمة الذليلة^(٤٩) ، يا موئل الآلام ، ويأسفينةً بغير ملاح^(٥٠) وسط العاصفة الهوجاء^(٥١) ، إنك لستِ أميرة على الأقاليم بل بؤرة للفساد^(٥٢) !

- ٧٩ لقد كانت تلك النفس اللطيفة سريعةً إلى الترحاب بمواطنها هناك، ما إن تردّد في سمعها اسم مدينتها العذب^(٥٣)؛
- ٨٢ وإن الأحياء من أبنائك الذين يشملهم سورٌ واحدٌ ويضمّتهم خندقٌ بعينه - لا يكفّون الآن عن القتال ويمزقون بعضهم إرباً إرباً^(٥٤)
- ٨٥ فتشئى - أيتها البائسة - حول شواطئ بحارك، ثم انظري إلى صدرك وابحّثي أينعم جزءٌ منك بمباهج السلام^(٥٥) !
- ٨٨ وماذا يُجدي أن يُصلح جستنيان منك العنان^(٥٦)، إذا ما نخل السرج من الفارس^(٥٧)؟ وبغيا به قد صار خزيك أهون^(٥٨)
- ٩١ أوّاه منكم يا مَنْ كان عليكم أن تلتزموا جانب الطاعة^(٥٩)، وتدعوا لقيصر حقّ الجلوس على السرج - إذا وعيتم ما كتبه لكم الله^(٦٠)
- ٩٤ انظروا كيف جمع هذا الجواد^(٦١)، إذ لم يعد يقوّمه المهماز^(٦٢) - منذ أن وضعتم أيديكم في زمامه^(٦٣).
- ٩٧ ألبرتو - أيها الألمانى^(٦٤) - يا مَنْ تهجر مَنْ اكتسبت صفة الوحوش وسدرت في عصيانها - وكان عليك أن تمتطى صهوتها^(٦٥) -
- ١٠٠ ألا فليسقط على دمك من النجوم قضاءٌ عادل^(٦٦) - وليكن مشهوداً وبلا مثيل^(٦٧) - حتى ينال خلائفك منه الرعب والفرع^(٦٨) !
- ١٠٣ فلقد شغلك الجشع كما شغل أباك - في ذلك الجانب^(٦٩) - حتى جعلتما حديقة الأمبراطورية خراباً يباباً^(٧٠)
- ١٠٦ تعال أيها الغافل^(٧١) وانظر آل مونتيكى وآل كاپيليتى، وآل موناالدى وآل فيليبسكى^(٧٢): أولئك حزاني وهؤلاء في هذّاع
- ١٠٩ تعال - أيها الغليظ القاسى - تعال - وانظر ما يعانيه نبلاؤك من الإرهاق والام جراحهم الدامية^(٧٣)؛ وسترى ما ساد سانتافيورا من الإظلام^(٧٤) !
- ١١٢ تعال - وانظر إلى روما مدينتك الباكية - كأرملة وحيدة - والصائحة بهاراً وليلا « يا قيصرى، لماذا تخليت عن صحبتي^(٧٥)؟ » .
- ١١٥ تعال^(٧٦) - وانظر كيف يحبّ الناس بعضهم بعضاً^(٧٧)! وإذا لم تحركك الرحمة لإغاثتنا - فلتخجلن إذا من سمعتك^(٧٨) !

- ١١٧ وإذا أبيع لي القول ، فأني أسألك يا جوپيتر الأسمى (٧٩) ، يا من صُلبت في الأرض من أجلنا (٨) . هل اتجهت عينك العادلتان (٨١) إلى مواضع أخرى (٨٢) ؟
- ١٢١ أم أن هذا تدبيرٌ تعدّه في أنوار حكمتك ، في سبيل خيرٍ يعلو حقاً على مداركنا (٨٣) ؟
- ١٢٤ فإن كلّ مدائن إيطاليا بالطغاة مليئة (٨٤) ، ويرتدى ثوب مارتشيلدوس كلُّ ربي يشتغل بسياسة الأحزاب (٨٥) .
- ١٢٧ فيورنتزا يابلادي (٨٦) ، إن لك أن ترضى بهذا التدهور الذي لا يمسك - بفضل شعبك الذي يرمى مصالحه (٨٧) -
- ١٣٠ وإن عدالة الكثيرين لتسأوى إلى قلوبهم ، وعما تصدر في تمهل ، حتى لا تبلغ قوسها بدون روية (٨٨) - ولكن عدالة شعبك ليست إلا على طرف اللسان (٨٩)
- ١٣٣ وكثيرون هم من يرفضون الوظائف العامة (٩٠) ؛ ولكن شعبك الحريص يستجيب إليها بدون دعوة ، ويهتف « هاأنذا متأهب (٩١) » .
- ١٣٦ ولتسعدى الآن ، فقد تهيأت لك الأسباب (٩٢) وإنك ثرية (٩٣) ، وفي سلام (٩٤) ، وذات حكمة (٩٥) ! ولن يُسخف الواقع الحقائق التي أذكرها (٩٦) .
- ١٣٩ وإن أثينا ولا تشيديمونا (٩٧) - اللتين وضعتا القوانين القديمة وأقامتا نظاماً دقيقة - لم تصنعا - بالموازنة بك - إلا مثلاً صغيراً
- ١٤٢ للحياة الهانئة (٩٨) ، يا من تُدبّر الأمور بطريقة مُحكمة ، حتى إن ما تنسجينه في أكتوبر لا يدوم إلى منتصف نوفمبر (٩٩)
- ١٤٥ وفي الزمان الذي تذكريه - كم مرة بدلت القوانين ، والعملية ، والوظائف والعبادات (١٠٠) ، وكم من مرات جددت أعضائك (١٠١) !
- ١٤٨ وإذا أحسنت التذكر ونظرت بوضوح ، فسترين نفسك شبيهة بتلك العليلة التي لا تجد فوق الريش راحة ،
- ١٥١ ولكنها تدرأ ألمها بالتقلب (١٠٢)

حواشى الأنشودة السادسة

- (١) هذه أنشودة سورديلو .
- (٢) كانت هذه اللعبة من ألعاب القمار الشائعة فى عصر دانتي ، وكان يستخدم فيها ثلاثاً من زهر النرد ، ولعبها الناس فى البيوت وفى الميادين والشوارع ويصور دانتي هذا المشهد مأخوذاً من الحياة الواقعة
- ويوجد رسم مصغر لنساء يلعبن النرد فى مجموعتين متقابلتين من القرن ١٤ كما أورده كورادو ريتشى فى نشره للكوميديا الإلهية
- (٣) قلت (الرابع) بدلا من الآخر للإيضاح
- (٤) أى أن كلامهم يريد شيئاً مما كسب .
- (٥) يعنى أن الرابع يعمل على الابتعاد عن هذه الجماعة .
- (٦) هكذا يتخلص الرابع من أحاطوا به
- (٧) كان دانتي وسط هذه الأرواح أشبه بلعبة النرد الرابع الذى يلاحقه المتفرجون . وتخلص دانتي من الأرواح بوعده أن يذكرها فى الأرض وبإقامة الصلاة من أجلها
- (٨) يقصد بنينكا دا لاتيرينا (Beninca da Laterina) من وادى الأرنو الأعلى وأصبح قاضياً فى أريتزو فى أواخر القرن ١٣ وأصدر حكم الموت على بعض أقارب جينو دى تاكو لأنهم انتزعوا من سيينا قلعة توريتا (Torrita) فى ماريما ومهبوا العابرين بجوارها . واعتزم جينو الانتقام فترقب القاضى فى الطريق عند انتقاله إلى روما ، وقتله وقطع رأسه وأخذه معه بدون أن يعترضه أحد . وغفر المقتول ذنب قاتله وبذلك تاب الأول عن آثامه
- (٩) جينو دى تاكو (Ghino di Tacco) من أسرة فراتا (Fratta) من نبلاء سيينا طرد من وطنه فانتزع من البابا قلعة راديكوفانى (Radicofani) فى ماريما ، وفى أواخر أيامه تصالح مع بونيفاتشو الثامن وحكومة سيينا ، واشتهر بالفروسية المنحلة وأعمال النهب
- (١٠) يذكر دانتي الذراعين الوحشيتين القاسيتين اللتين ارتكبتا القتل ، وبذلك يرسم الصفة الأساسية لجينو دى تاكو .
- (١١) هو جوتشو دى تارلاتى (Guccio dei Tarlati) من زعماء الجبلين فى أريتزو ، ومات غرقاً فى مهر الأرنو . وهناك من يقول إنه سقط عن ظهر جواده بينما كان يطارد أعداءه من أسرة بوستولى (Bostoli) الخلفية ويقال أيضاً إنه سقط فى النهر عندما كان أعداؤه من الجلف يطاردون قوات الجبلين بعد موقعة كامبالدينو .
- (١٢) تحمل كلمة المطاردة (caccia) المعنى المقصود .
- (١٣) فيدريجو دى جويدو نوفلو دى كونتى جويدى دل كازنتينو (Federigo di Guido Novello dei Conti Guidi del Casentino) انقسمت أسرته إلى جلف وجبلين وكان فيدريجو من الجبلين وهض لمساعدة الجبلين فى أريتزو ضد بعض الجلف الخارجين من فلورنسا وقتل فى كازنتينو فى ١٢٨٩
- (١٤) تساعد هذه الحركة على إبراز الضراعة وطلب المغفرة .

- (١٥) المواطن من بيزا هو فاريناتا دلي سكورنيدجاني (Farinata degli Scornigiani) وهو ابن مارتزوكو (Marzucco) دلي سكورنيدجاني . وكان الأب دكتوراً في القانون ، وعندما نجا ذات مرة من أفعى في ماريما وهب نفسه لنظام الرهبنة الفرنتشيكانى ، ويقال إن ابنه فاريناتا قد قتل بأمر الكونت أوجولينو دلا جيراردسكا (Inf. XXXIII.)، وأظهر مارتزوكو شجاعة كبيرة حينما ذهب إليه بنفسه مع بعض الرهبان ليحمل جثة ابنه ، حيث لم يجرؤ أحد على فعل ذلك خوفاً من بطش أوجولينو ، وخاطبه مؤثراً السلام على البغضاء ، وقبل يد قاتل ابنه ، فقال له أوجولينو إن قوة روحه غلبت قسوته ، وتركه يأخذ جثة ابنه . وعاش مارتزوكو في أواخر أيامه في دير سانتا كروتشي في فلورنسا ومات في ١٣٠١ ، ومن المحتمل أن يكون دانتي قد عرفه هناك .
- (١٦) الكونت أورسو دلي ألبرقي (Orso degli Alberti) ابن الكونت ناپليون دلا تشير بايا (Napoleone della Cerbaia) الذى وضعه دانتي في الجحيم (Inf. XXXII. 55-60) قتل أورسو ابن أخيه ألبرقي في ١٢٨٦ انتقاماً لموت أبيه إسكندر ، ويدل هذا على مدى الحزازات الأسرية وقتئذ ، وندم أورسو على آثامه وغفر لقاتله - ابن أخيه - وهو يجود بأنفاسه ، كما أراد دانتي أن يجعله كذلك .
- (١٧) يقصد بيير دلا ابروتشا
- (١٨) يعنى أن قلبه امتلاً بالكراهية والحسد دون أن يتخذ ذلك مظهراً عملياً
- (١٩) بيير دلا ابروتشا (Pierre della Broccia) طبيب وجراح فرنسى أصبح صاحب حظوة لدى ملكى فرنسا لويس التاسع وفيليب الثالث ، وصحب لويس في حملته إلى الشرق وعندما مات ولى العهد لويس بن فيليب الثالث في ١٢٧٦ آثم بيير الملكة ماري دي برابنت بقتله لكى يحل مكانه ابنها هي فيليب الجميل . ولما قامت الحرب بين فيليب الثالث وألفونسو العاشر ملك قشتالة دبرت الملكة وأعوانها تهمة الخيانة ضد بيير فأعدمه الملك في باريس في ١٢٧٨ ويقال إنها آثمه أيضاً بمحاولة إغوائها واعتقد دانتي أنه قتل بدافع من الكراهية والحسد . وهو يشبه بييرو دلا فينيا في بلاط فردريك الثانى
- (٢٠) ماري دي برابنت (Maria di Brabante) إبنة هنرى دوق برابنت وهي الزوجة الثانية لفيليب الثالث ملك فرنسا وماتت في ١٣٢١ ويقصد دانتي أن عليها أن تدبر أمرها للندم والتوبة عن آثامها ومما تسببها في مقتل بييرو دلا ابروتشا
- (٢١) أى بينا هي فوق الأرض .
- (٢٢) يعنى بما ارتكبه من التحريض على القتل .
- (٢٣) أى أنها إذا لم تندم على ما فعلت فوق الأرض فستلقى مصيراً أسوأ بوضعها في زمرة من آثموا الناس ظلماً بما لم يرتكبوه
- (٢٤) يعنى أنهم يصبحون قديسين ومن أهل الفردوس بالصلاة من أجلهم في الأرض التى تقصر مدة تطهرهم
- (٢٥) اعترف فرجيليو في الإنياذة بأن الصلاة لا تغير أحكام السماء ودعا إلى الكف عن التعلق بهذا الأمل
- (٢٦) إذا فكيف يطلب هؤلاء صلاة الناس في الدنيا ليتعجلوا الذهاب إلى الفردوس ، وكان معاصرو دانتي يعتقدون أن أحكام السماء لا تغيرها الصلوات ، ولذا تولى دانتي الدهشة والشك .
- (٢٧) يقصد فرجيليو أنه ليس هناك تعارض بين ما كتبه في الإنياذة والموقف الحالى .

- (٢٨) أى أن صلوات إنسان حى محب مخلص فى الأرض تعجل بتطهير المعذبين فى المطهر ، ولا يؤثر هذا فى العدالة الإلهية ولا يغير حكم السماء لأن الله قضى بذلك
- (٢٩) يعنى فى الإنيادة
- (٣٠) كانت الصلاة فى الإنيادة صادرة عن پالينوروس (Palinurus) الملاح الغارق ، ولم يكن مؤمناً بالمسيحية حتى تقبل الصلاة من أجله لكى يتمكن من عبور نهر استيكس فى الجحيم ، وصلوات الوثنيين - عند دانتي - لا يقبلها الله . والحال هنا مختلفة لأن هؤلاء الآثمين ندموا وتابوا فى آخر لحظة ، ومقدر عليهم التطهر ثم الصعود إلى الفردوس . ولهذا ليس هناك تعارض بين ما قاله فرجيليو فى الإنيادة وبين الموقف الحالى .
- (٣١) لا يأخذ فرجيليو على عاتقه إزالة كل شكوك دانتي ، وهذا ما ستقوم به بياتريتشى التى ستثير عقل دانتي حتى يدرك الحقيقة بواسطة العلم الإلهي .
- (٣٢) سيرى دانتي بياتريتشى فى أعلى المطهر فى الفردوس الأرضي Purg. XXX. 28-39.
- (٣٣) عندما سمع دانتي اسم بياتريتشى زابله التعب واسترد قواه وأصبح قادراً على متابعة الصعود وصارت رغبته فى الوصول إلى بياتريتشى تعدل رغبته فى بلوغ الحقيقة
- (٣٤) كان قد مضى وقت طويل فى هذه المنطقة من مقدمة المطهر ، والآن بحركة الشمس أخذ الجبل يلتقى ظلاً على الشاعرين ، وكانت الساعة قد بلغت حوالى الثالثة بعد الظهر من يوم الأحد ١٠ أبريل ١٣٠٠ ، وخشى دانتي أن ينقضى النهار وهما فى المقدمة. وهكذا بدأ دانتي يستحث فرجيليو على السير كما استحثه فرجيليو من قبل .
- (٣٥) يؤكد فرجيليو لدانتي أنهما سيصعدان اليوم إلى أقصى ما تستطيعه قواهما ، ولكن الطريق طويل صعب ولا بد للصعود من بذل مجهود ووقت فوق ما يقدر عليه دانتي ، ويحاول فرجيليو بذلك أن يهدئ من نفس دانتي ويوضح له الأمر على حقيقته
- (٣٦) يقصد أنه سيرى الشمس التى يحجبها الجبل
- (٣٧) أى لم تعد الأشعة تصطدم بدانتي فتتكسر وتجعل له ظلاً على الصخر لأنها محتجبة وراء الجبل . وأضفت (بجسمك) لإيضاح المعنى .
- (٣٨) هذا هو سورديلو المنعزل وهو لا يختلط بسائر النفوس التى تلاحق دانتي وتطرب إليه الصلاة من أجلها فى الأرض . وهنا يبدأ فصل هام من فصول المطهر والكوميديا
- (٣٩) يعنى أن سورديلو كان رجلاً يترفع عن الصغائر والدنايا
- (٤٠) هكذا يصف دانتي سورديلو بصفات الاحترام والإجلال والوقار ، وعبرت عينا سورديلو عن هذه المعانى . وهذه الألفاظ كأنها إزميل النحات حينما يصنع تمثالاً
- (٤١) بدأ سورديلو هادئاً وقوراً لا يتكلم ولا يتحرك فيه شئ سوى عينيه اللتين تبعتا حركة الشاعرين وظهر على صورة الأسد حينما يربض لكى ينال قسطاً من الراحة . ولحظ دانتي سكوته ووقاره والمعانى التى ارتسمت على وجهه . ويشبه هذا التعبير ما ورد فى « الكتاب المقدس »
- Gen. XLIX. 9.
- (٤٢) اقترب فرجيليو من سورديلو مع أن مظهره لم يكن يشجع أحداً على الاقتراب منه
- (٤٣) لم يحفل سورديلو بأن يدل الشاعرين على أقصر طريق لصعود الجبل لأنه كان معنياً بما هو أهم

- (٤٤) المشغول بشيء لا يجيب عن السؤال الذي يلقي عليه ويظهر أن سورديلو لم يتنبه في أول الأمر إلى أن دانتى إنسان حى
- (٤٥) كان ذكر مانتوا كافياً لتغيير الموقف كله ونجد أن هذا الشبح - سورديلو - المنظوى على نفسه المستغرق في التفكير ولا يتحرك مع الآخرين طلباً لإقامة الصلاة من أجله في الأرض ، نجده خرج من عزلته إلى لقاء هذا المواطن - فرجيليو - عند سماعه اسم الوطن الحبيب ويوجد رسم من عمل دومنيكو ميروني من القرن ١٥ يمثل مانتوا وهو كائن في قصر الدوق في مانتوا .
- (٤٦) ولد فرجيليو في أنديس (Andis) في منطقة مانتوا وولد سورديلو في جويتو (Goito) في منطقة مانتوا أيضاً
- (٤٧) سورديلو (Sordello) أحد شعراء التروبادور ولد في ١٢٠٠ وعرف بمغامراته النسائية ويقال إنه كان سبباً في التفرقة بين الكونت ريتزاردو دي سان بونيفاتشو (Rizzardo di San Bonifaccio) في فيرونا وبين زوجته كونيتزا دا رومانو (Cunizza da Romano) ومكانها في الفردوس (Par. IX. 7-36) وهي أخت أتزيلينو ومكانه في الجحيم (Inf. XII. 109-110) وغضب أتزيلينو لذلك فهرب سورديلو من إيطاليا وقضى وقتاً طويلاً متنقلاً بين البروفنس وأسبانيا والبرتغال وفرنسا وعاش بعض الوقت في بلاط كونت البروفنس راييموند بيرينجير (Raymond Berenger) ومكانه في الفردوس (Par. VI. 133-135)، وصحبه إلى إيطاليا ، وسجن في نوغارا في ١٢٦٦ لأسباب غير معروفة ، وتدخل البابا اكلمنتو الرابع فأطلق سراحه ، وأعطاه شارل دانجو بعض القلاع في منطقة أبروتزي ولا يعرف مصيره بعد ١٢٦٩ ، ومن الجائز أنه قتل ، ولذلك وضعه دانتى في مقدمة المطهر باعتبار أنه تاب عن آثامه في آخر لحظة وبقيت له بعض القصائد التي كتبها باللغة البروفنسية ، وتناول فيها بصراحة بعض المسائل السياسية والمدنية وخاطب أمراء إيطاليا ووجه إليهم اللوم ، ولذلك نال إعجاب دانتى ، فأراد أن يجعل منه هنا رمزاً للوطنية ولما كان فرجيليو بحكم وثنيته لا يعرف المطهر كما عرف الجحيم فقد جعل دانتى بعض أرواح المطهر تتولى الشرح والإيضاح ، وسورديلو هو الشارح والدليل في مقدمة المطهر
- (٤٨) تعانق الاثنان كمواطنين من بلد واحد يعتز أحدهما بالآخر ولكن هذا العناق كان عناقاً في الهواء لأن فرجيليو وسورديلو كانا روحين بدون جسد ولا تخلو هذه الحركة من السخرية الخفيفة وسبق أن جرب دانتى موقفاً مشابهاً عندما حاول عناق كازيلا بدون جدوى Purg. II. 76-82.
- ولقد لحن كلٌّ من أنتونيو بوتزي وبييرو فانيني أوبرا عن سورديلو مثلث أولهما لأول مرة في ميلانو في ١٨٥٦ ، ومثلت ثانيتهما لأول مرة في فلورنسا في ١٩٠٠ ، ولم أجدهما مسجلتين وكذلك وضع فونتشسكوماترا قطعة موسيقية في القرن الماضي مستوحاة من فصل سورديلو ولم أعثر عليها مسجلة .
- (٤٩) رأى دانتى كيف خرج سورديلو من سكينته وعزلته على أثر سماعه كلمة الوطن دون أن يعرف شخصية فرجيليو قائلها ، ورأى محاولة سورديلو وفرجيليو التعانق اعتزازاً بوطنهما المشترك مانتوا فأثار هذا المشهد شعوره الوطنى ومر في خاطره ما تعاناه إيطاليا من الولايات بسبب انقسام الشعب إلى أحزاب سياسية وعصبيات متطاحنة في سبيل السلطان ، فاقتتل النبلاء وحاربت

- المدن والجمهوريات بعضها بعضاً وتدخل البابوات في الشؤون الدنيوية ، وأهمل الأمباطور ممتلكاته في إيطاليا ، ولذلك اندفع دانتي يلعن بلاده بلغة عنيفة ونادى إيطاليا بالأمة الذليلة ، لأنه استبدت بها الأحزاب السياسية والأطماع الشخصية
- (٥٠) أى أن إيطاليا كانت بغير قائد ويقصد الأمباطور الذى كان عليه أن يقضى على الفوضى ويقر الأمن والسلام .
- (٥١) يعنى سفينة تعبت بها أهواء السياسة .
- (٥٢) كانت القوانين الصالحة وكان الحكم العادل في عصر جستنيان قد جعل إيطاليا سيدة أو حاكمة أو مملكة على المقاطعات لا بؤرة للمفاسد كما أصبحت في عصر دانتي .
- (٥٣) يبرر دانتي حملته على إيطاليا بذكره كيف أن مجرد سماع اسم الوطن الحبيب - مانتوا - قد أثار شعور سورديلو الوطنى فلم يسع دانتي إلا أن يلعن إيطاليا لما سببه لها الإيطاليون من من الويلات
- (٥٤) هذا دليل على حدة الصراع الداخلى في إيطاليا في عصر دانتي .
- (٥٥) هكذا يندد دانتي بانقسام بلاده واضطرابها الداخلى حتى لم يعرف جزء منها الأمن والسلام .
- (٥٦) جستنيان (٥٢٧ - ٥٦٥) Justinianus) أمباطور الدولة الرومانية الشرقية الذى حاول تدعيم الأمباطورية الرومانية في الشرق والغرب. وهزم قائدها بليزار يوس وناريسيس الواندال في أفريقيا والقوط في إيطاليا ، واشتهر بتقنين القوانين وله منها مجموعة تسمى باسمه . وهو عند دانتي المثل الأعلى للأمباطور على العالم الموحد ، ومكانه في الفردوس (Par. V. 121...; VI. 1...)
- (٥٧) السرج الخالى يعنى أنه لا يوجد أمباطور يجعل للقوانين قيمة عملية . وأضفت (من الفارس للإيضاح
- (٥٨) يعنى أن وجود قوانين جستنيان كان كافياً عند دانتي لإقرار السلام ، ولولم توجد هذه القوانين لكان خزي إيطاليا أهون ، أى أنه ما كان ينبغى على إيطاليا أن تعانى الاضطراب الداخلى مع وجود هذه القوانين ، ولذلك فإن خزيها أكبر
- (٥٩) يقصد البابا ورجال الدين الذين خرجوا على روح الكنيسة وانصرفوا إلى شؤون الدنيا واغتصبوا السلطة الزمنية من الأمباطور فعجزوا عن أداء واجبهم الدينى وأفسدوا الحياة السياسية في إيطاليا
- (٦٠) هذه إشارة إلى ما ورد في « الكتاب المقدس » Matt. XXII. 21.
- (٦١) الجواد - الدابة - يعنى إيطاليا
- (٦٢) يقصد بالمهماز الأمباطور وقوانينه
- (٦٣) أى ما دام رجال الدين قد وضعوا يدهم على زمام الجواد بتدخلهم في الشؤون الزمنية .
- (٦٤) ألبرتو الأول (١٢٤٨ - ١٣٠٨) Alberto I.) من أسرة هابسبرج اختير أمباطورا للدولة الرومانية المقدسة دون أن يتوج ، وأهمل شؤون إيطاليا وتركها فريسة للفوضى والاضطراب الداخلى .
- (٦٥) يشبه دانتي إيطاليا بالفرس الجامحة التى لم تجد من يسوسها ويستخدم دانتي لفظ (arcioni) بمعنى قربوسى السرج كناية عن السرج والقربوس هو الجزء المقوس من السرج والمرتفع من قدام المقعد ومن مؤخره وقلت (صهوتها)

(٦٦) يصب دانتي اللعنة على رأس الأمبراطور ألبرتو لأنه أهمل شئون إيطاليا وليس هناك سوى الله الذي يمكنه أن يصب على أسرته القضاء العادل . ومن الجدير بالذكر أن رودولفو الابن الأكبر للأمبراطور مات في أوائل القرن ١٤ وقتل ألبرتو بعد قليل بتأمر بعض أقاربه عليه

(٦٧) يعنى وليكن الجزء واضحاً معروفاً للجميع ومما لم يكن له نظير

(٦٨) يقصد الأمبراطور هنرى السابع أى لعل خليفته يخشى عقاب السماء ويرعى شئون إيطاليا ويحقق لها السلام ووضع دانتي أمله وهو فى المنفى فى هنرى السابع ودعاه إلى توحيد إيطاليا ، ولكن هنرى لم يستطع الاستيلاء على فلورنسا ومرض ومات فى ١٣١٣ ، كما جاء فى مقدمة ترجمة الجحيم

(٦٩) أى شغل الجشع ألبرتو ورودولفو دى هابسبرج حتى جعلهما يوسعان أملاكهما فى الشمال بدون العناية بإيطاليا

(٧٠) يأسى دانتي لتحول إيطاليا إلى أرض خربة خاوية .

(٧١) ينعت دانتي الأمبراطور بالرجل الغافل الذى لا يعنى بأداء واجبه .

(٧٢) هناك خلاف حول تحديد هذه الأسر والأغلب أن آل مونتيكى (I Montecchi) وآل كاپيليتى

(I Cappelletti) أسرتان من حزب الجبلين فى فيرونا ونشب بينهما عداة بسبب قصة الحب التى

نشأت بين روميو وجولييت ، وقد خلدهما شكسبير فى روايته بهذا الاسم وآل مونالدى

(I Monaldi) وآل فيليپسكى (I Filippeschi) أسرتان من أورفويتو ، الأولى جلفية والثانية

جبلينية وكانتا متعاديتين عند قدوم هنرى السابع إلى إيطاليا

(٧٣) ينعت دانتي الأمبراطور بالرجل القاسى ويسأله القدوم إلى إيطاليا لكى يرى ما يعانىه الأمراء والنبله

من الولايات بسبب صراعهم الداخلى ويطلب إليه أن يلازم جراحهم الدامية .

(٧٤) سانتافيورا (Santaflora) منطقة فى ماريما بقرب سيينا وكان يحكمها آل الدوبراندى

(Gli Aldobrandi) ثم نهبها أهل سيينا فى ١٣٠٠ وورد لفظ (oscura) بمعنى

الحزن أو الاكتئاب أو الإظلام فى نسخة الجمعية الدانتية الإيطالية وفى نسخة توماسو كازيني

التى راجعها ميكييل باربى ، وهو ما أخذت به وورد لفظ (secura) أو (sicura) بمعنى

الأمان والاطمئنان فى نسخة أكسفورد وفى نسخة ماريو كازيلا ولو قرئ النص كذلك لكان

المقصود أن منطقة سانتافيورا تعيش فى أمان وسلام ، وكان ذلك سخرية من دانتي لأن العكس

هو الصحيح وجاء فى نسخة الكوميديا المصحوبة بتعليق بيترى فراتيتشلى تعبير (si cura)

بمعنى أن سانتافيورا تعالج أدواها ومشاكلها ، ولكانت هذه سخرية أيضاً من جانب دانتي

لأن العكس هو الصحيح ويلاحظ التقارب فى نطق هذه الألفاظ وكتابتها وإن اختلفت

معانيها وهذا مثال على ما تعرضت له بعض مواضع من الكوميديا من اختلاف النسخ

وتفاوتهم .

(٧٥) يدعو دانتي الأمبراطور إلى أن يأتى إلى روما مركز الأمبراطورية التى تبكى كأرملة ثكلى .

ويقول النص (لماذا لا تصحبنى)

(٧٦) كرر دانتي لفظ (تعال) عدة مرات ، وحرص بهذا على نداء الأمبراطور لكى يحضر إلى

إيطاليا ، ويدعوه إلى أن يقيم أمبراطورية عالمية موحدة ، ولا يعنى دانتي شيئاً من أن يكون

الأمبراطور ألمانيا ، ما دام سعيده مجد الأمبراطورية القديمة كوريث لها

- (٧٧) هذه سخرية مريرة من دانتي لأن رعايا الأباطور تسودهم - العداوة والبغضاء لا الحب والسلام .
- (٧٨) أى يأتى لكى يخجل مما أصاب سمعته فى إيطاليا وبذلك يعمل على إزالة المساوى التى انصبت عليها .
- (٧٩) يقصد الله أو المسيح - كما يؤمن المسيحيون بذلك - ويسميه بهذا الاسم الوثئى . وكان جويپتر أباً لآلهة الرومان ، وهذا مزج بين الإله الوثئى والإله المسيحى . وسوف يتبع ميكلائنجلو شيئاً من هذا التأثير حينما يرسم صورة الحكم الأخير بمتحف القاتيكان ، ويبرز فيها صورة المسيح تشع منها الروح الإغريقية بما فيها من عزم وقوة وشباب . وكان ميكلائنجلو من أكثر أهل القرن الخامس عشر إعجاباً بدانتي والكوميديا .
- (٨٠) هذا كما يؤمن به المسيحيون ، ولا يعنيننا هنا سوى أن هذا هو الله عند دانتي فى هذا الموضع
- (٨١) تعبر العين عن معنى العدالة ، وهكذا لا يفوت شىء من ملاحظة دانتي والمقصود رعاية الله مصالح إيطاليا
- (٨٢) يتساءل دانتي هل أدار الله عينيه عن إيطاليا بسبب مساوئها المشينة
- (٨٣) ويتساءل هل تدبر العناية الإلهية - بهذه المساوى ذاتها - خيراً مقبلاً لا يدركه الناس .
- (٨٤) استبد الطغاة بمدن إيطاليا تحقيقاً لمصالحهم الشخصية ولذلك نشب بينهم الكفاح الداخلى العنيف
- (٨٥) يعنى أن كل أفاق يشتغل بالسياسة الحزبية يظن نفسه قد أصبح بطلاً مثل مارتشيلوس ، وهذه سخرية من جانب دانتي . وربما كان المقصود كلاوديوس مارتشيلوس (Claudius Marcellus) القنصل الرومانى فى ٥٠ ق . م وكان من أنصار پومپى وعدواً ليوليوس قيصر
- (٨٦) هاجم دانتي فلورنسا فى مواضع كثيرة من الجحيم ، وفى هجومه مرارة وسخرية وأسى ودموع وإعزاز ومحبة . وهى وطنه وبلده وأرضه وكأنها ملكه على رغم ما ناله منها من العذاب والحرمات وذكران الجحيم Inf. VI. 49-50, 60-75; XV. 61-78; XVI. 73-75; XXVI. 1-12; ecc.
- (٨٧) أى أن شعب فلورنسا يدبر الأمور لكى يحفظ نفسه من التدهور وهذه سخرية من جانب دانتي .
- (٨٨) يعنى أن العدالة تستقر عند كثيرين فى أعماق القلب ، ولا يفصحون عنها بدون تفكير وروية ، ويكون الشخص العادل كرامى السهم الذى يتخذ الحذر قبل أن يحرك قوسه لكى يحسن إصابة الهدف
- (٨٩) هذا بعكس شعب فلورنسا الذى تجرى كلمة العدالة على شفاهه بدون تطبيقها عملياً
- (٩٠) يرفض كثيرون الوظائف العامة لأنهم لا يحفلون بالمظاهر والضوضاء .
- (٩١) أى أن شعب فلورنسا تهافت على الوظائف العامة لتحقيق الأطماع الذاتية بدون رعاية المصلحة العامة .
- (٩٢) هذه سخرية مريرة بفلورنسا
- (٩٣) يشير دانتي إلى الثروة التى تجمع بوسائل غير شريفة .
- (٩٤) يقصد العكس لأن فلورنسا كانت فريسة للنزاع الداخلى ، وهذا تهكم وسخرية من جانب دانتي .

- (٩٥) يريد العكس .
- (٩٦) المقصود أن الوقائع تثبت عكس ما يقول . وهكذا يمضى دانتى فى سخريته بفلورنسا
- (٩٧) اشتهرت أثينا (Atene) ولاتشيديمونا (Lacedemone) فى تاريخ اليونان القديم بتقدم النظم السياسية التى وضعها سولون وليكورجوس
- (٩٨) يستمر دانتى فى سخريته عند ما يقول إن ما فعلته أثينا ولاتشيديمونا فى ميدان النظم السياسية لا يزيد عن مثال صغير بالنسبة لما فعلته فلورنسا فى هذا الصدد !
- (٩٩) يشير دانتى إلى سرعة تغير الهيئة الحكومية العليا فى فلورنسا أى مجلس السنيوريا ، الذى كان من حزب البيض وأخذ يباشر سلطته من منتصف أكتوبر ١٣٠١ ، وكان ينبغى أن يستمر فى الحكم حتى منتصف ديسمبر من تلك السنة طبقاً للدستور الفلورنسى . ولكن تدخل بونيفاتشو الثامن فى شئون فلورنسا الداخلية وإرساله إليها شارل دى فالوا الفرنسى أدى إلى قلب نظام الحكم بها قبل منتصف نوفمبر - أى فى ٨ نوفمبر - وولى الحكم حزب السود بدلا من البيض الذى كان دانتى من رجاله ، وكان وقتئذ فى سفارته إلى روما لمحاولة إيجاد التفاهم بين البابا وفلورنسا .
- (١٠٠) يشير دانتى إلى مدى التغير الذى أصاب الحياة الفلورنسية
- (١٠١) يشير بهذا إلى إبعاد أنصار الحزب المنهزم وإحلال أنصار الحزب المنتصر مكانهم ولكن دانتى ينسى فى حزنه وأساه أن هذه الحال السيئة كانت من عوامل ظهور أجيال من العباقرة الإيطاليين كان هو فى طليعتهم .
- (١٠٢) يشبه دانتى فلورنسا بالمرأة المريضة التى لا تجد راحتها فوق وسادتها أو فوق الريش الناعم وتحاول أن تخفف ألمها بالتقلب فوق فراشها وهنا يمزج دانتى السخرية بالألم وسباب دانتى لوطنه ليس كراهية منه بل محبة وإعزازاً ورغبة فى الوصول به إلى حال من الاستقرار والسلام . ويعتبر دانتى فى لعناته هذه رائداً ومبشراً بوحدة الوطن الإيطالى - ولو فى غير نطاق الأمبراطورية العالمية - وظلت صيحته هذه بمثابة إنجيل الوطنية الإيطالية فى القرن التاسع عشر

الأنشودة السابعة^(١)

تكرر العناق بين شبحي سورديلو وفرجيليو ثم تراجع سورديلو إلى الورا وسأل فرجيليو عن شخصه ، وحينما عرفه أخذته العجب وأقبل عليه يقبل قدميه ، وسأله عن المكان الذى جاء منه فأفاده فرجيليو بأنه جاء خلال حلقات الجحيم وأن موضعه - اللمبو - وهى منطقة لا عذاب فيها ولكنها مظلمة ، وبها الأطفال الأبرياء الذين ماتوا قبل تعميدهم استفسر فرجيليو عن مكان الصعود إلى بداية المطهر ، فقال سورديلو إنه سيصحبهما كدليل ، وإنه يتعذر الصعود ليلا وسار الشعراء الثلاثة إلى فجوة فى الجبل انتظارا لليوم الجديد ، وبلغوا وادى الأمراء الذى فاقت أزهاره ألوان الذهب والفضة واللؤلؤ والنيلاج والزمرد كما امتاز بشذا عطره الفائق ورأى دانتى نفوساً ترتل "السلام لك أيتها الملكة" سأل سورديلو الشاعرين ألا يطلبوا إليه الذهاب بهما إلى هذه النفوس لأن رؤيتها ستكون أفضل حيث كانا واقفين وأشار سورديلو إلى الأمبراطور رودلف دى هابسبرج الذى لم يحرك فمه للترتيل مع سائر الأرواح ، ولقد كان قادراً على شفاء إيطاليا من جراحها ولكنه أهمل واجبه وأشار سورديلو إلى أدواكر ملك بوهيميا الذى استغرق فى الملذات والكسل . وتكلم عن فيليب الثالث ملك فرنسا - ذى الأنف الصغير - وعن هنرى الأول ملك نافار وأشار سورديلو إلى بطرس الثالث الأرجونى - ذى الأعضاء الضخمة - وإلى شارل دانجو - ذى الأنف الكبير - الذى اشتهر بالحزم ، وإلى ألفونسو الثالث الأرجونى ، وإلى جاكومو الثانى وفيدريجو الثانى الأرجونيين ، وإلى هنرى الثالث ملك إنجلترا ، وإلى جوليلمو دى مونفيراتى

- ١ بعد أن تتابع ذلك الترحاب اللطيف البشوش ثلاث مرات أو أربع^(٢) ،
تراجع سورديلو^(٣) قائلاً « من تكون^(٤) ؟ »
- ٤ « قبل أن تتجه إلى هذا الجبل^(٥) النفوس الحديدية بالصعود إلى الله ،
كان أوكتافوس قد وارى في التراب عظامي^(٦) »
- ٧ إنني فرجيليو ؛ ولقد فقدتُ السماء بغير خطيئة سوى أنني عشت بدون إيمان^(٧) .
هكذا أجاب عندئذ دليلي .
- ١٠ ولكن يرى بغيتهً أمامه شيئاً يثير في نفسه العجب ، فيصدق ولا يصدق
قائلاً ” إنه هو . إنه ليس هو “^(٨) ،
- ١٣ هكذا بدا الآخر ؛ ثم أطرق رأسه ، ورجع نحوه متضعاً^(٩) ، وقبله حيث
يقبل الأقل من يعلوه قدراً^(١٠) .
- ١٦ ثم قال « يافخر اللاتين^(١١) ، الذي أبدت لغتنا خلال ثمراته ما كان
في مقدورها^(١٢) ! أيها المجد الخالد لأرض ميلادي^(١٣) !
- ١٩ أية جدارة أو أية نعمة تتيح لي رؤيتك^(١٤) ؟ وإذا كنت جديراً بأن أسمع
كلماتك فخبرني أتأتى من الجحيم ومن أي محبس^(١٥) ؟ »
- ٢٢ فأجاب « لقد جئتُ هنا خلال كل الحلقات في مملكة العذاب^(١٦) :
ودفعي فضل صدر عن السماء - آتى بعونه ها هنا^(١٧) .
- ٢٥ وليس لأني فعلتُ بل لأني لم أفعل^(١٨) - فقدتُ رؤية الشمس العالية التي
تتشوق إليها^(١٩) - والتي لم أعرفها إلا بعد فوات الأوان^(٢٠) .
- ٢٨ هناك مكان في أسفل لا يحزنه عذاب بل ظلمات فحسب^(٢١) ، حيث
لا تتردد فيه أصوات البكاء عويلاً بل تنهداً^(٢٢) .
- ٣١ هناك مأوى مع الرضيع الأبرياء^(٢٣) ، الذين عضهم الموت بأنيابه ، قبل أن
يطهروا من خطيئة البشر^(٢٤) ؛
- ٣٤ هناك مقرّي مع من لم يتسرّبوا^(٢٥) بالفضائل المقدّسة الثلاث^(٢٦) ، وبغير
معصية عرفوا سائر الفضائل - واتّبعوها كلها^(٢٧) .
- ٣٧ ولكن إذا كنت تعرف وتقدر^(٢٨) فلتزودنا بإشارة تمكّنتنا من الوصول سريعاً ،
حيث يبدأ المطّهر الحقيقي^(٢٩) »

- ٤٠ فأجاب « ليس لنا من إقامة في مكان محدود (٣٠) ؛ ومباحٌ لي أن أصعد وأدور ، وسأصحبك كدليل بقدر ما يمكنني المسير (٣١) »
- ٤٣ ولكن انظر الآن كيف تُؤذن الشمس بالمغيب (٣٢) ، ولا نقوى في أثناء الليل على الصعود (٣٣) ، ولذا فمن الخير أن نبحث عن مأوى مناسب
- ٤٦ هناك نفوسٌ تستقرّ على مسافة منا إلى اليمين (٣٤) : وإذا أتحت لي فسأذهب بك إليهم ، ولن يكون بدون متعة أن تتعرّف عليهم (٣٥) »
- ٤٩ فتميل له (٣٦) : « كيف يتأتى هذا ؟ وهل سيمنع أحدٌ منّ يرغب ليلاً في الصعود ، أم أنه لن يصعد لأنه لن يستطيع (٣٧) ؟ »
- ٥٢ ورسم سورديلو الطيب بأصبعه خطأً على الأرض - وقال « انظر ، إنك ستعجز عن عبور هذا الخطّ بعد غروب الشمس (٣٨) :
- ٥٥ وما من عائقٍ يحول دون الصعود سوى ظلمة الليل وهي ما تشلّ الإرادة بالعجز
- ٥٨ وفي أثناءها يمكن الهبوط ، والسير على غير هُدى حول الجبل (٣٩) ، بينما يحجب الأفقُ ضوءَ النهار (٤٠) »
- ٦١ عندئذ قال سيّدى - كمنّ تولاّه العجب (٤١) : سر بنا إذاً إلى هناك - حيث تقول إننا يمكننا أن ننال بالتلبّث شيئاً من السعادة »
- ٦٤ وكنا قد ابتعدنا عن ذلك الموضع قليلاً ، حينما تبيّنتُ أن الجبل محفورٌ ، على النحو الذي تحفر به الأوديةُ الجبال هاهنا (٤٢) .
- ٦٧ وقال ذلك الشبح « إننا إلى هناك سنسير ، حيث يصنع المنحدر من نفسه فجوة ؛ وهناك سرّقب طلوع الفجر الجديد (٤٣) »
- ٧٠ وكان هناك طريقٌ منعرجٌ - لا هو بالمنحدر ولا بالسهل - أدّى بنا إلى جانب الوادى (٤٤) ، حيث تنخفض حافته لأكثر من النصف (٤٥) .
- ٧٣ وإن الذهب (٤٦) ، والفضة الخالصة (٤٧) ، والقرمز (٤٨) ، واللؤلؤ (٤٩) ، والنيلاج (٥٠) ، والحشب الرائق اللامع (٥١) ، والزمرد البراق لحظة كسره (٥٢) - لتُخسف ألوانها جميعاً إذا وُضعت بين الأعشاب والأزهار في ذيّاك الوادى (٥٣) - كما يُغلب الأصغر على يدى من يكبره .

- ٧٩ وهناك لم تُسبغ الطبيعة ألوانها فحسبُ ، بل صنعتُ من عبق ألف نفحة شداً — لا عهد لنا به وليس له اسم^(٥٤)
- ٨٢ ورأيتُ أرواحاً تجلس فوق الأزهار على الحضرة^(٥٥) ، وترتل "السلام لك أيها الملكة"^(٥٦) ، وحجبتها الوادي عن الظهور خارجة^(٥٧)
- ٨٥ وبدأ المانتويّ الذي سار بنا إلى هناك « لا تلتطّعا إلى أن أقودكما بين هؤلاء ، قبل أن تأوى الشمس الغاربة إلى عشاها الآن^(٥٨) »
- ٨٨ ومن هذا الإفريز ستببّينان حركاتهم ووجوههم جميعاً ، خيراً مما لو استقبّاتما بيهم في بطن الوادي^(٥٩) .
- ٩١ وذلك الجالس في أعلى موضع ، ويبدو أنه أهمل ما كان ينبغي عليه أن يؤدّيه^(٦٠) ، ولا يحرك فماً مع ترتيل الآخرين^(٦١) —
- ٩٤ كان هو الأمبراطور رودولفو^(٦٢) ، وكان قادراً على شفاء الجراح التي أوردت لإيطاليا موارد التهلكة ، بحيث فات على غيره أوان إحيائها^(٦٣) .
- ٩٧ والآخر الذي يبدو أنه يواسيه^(٦٤) ، حكم بلاداً ينبع فيها الماء الذي يحمله المولداو إلى الإلب ، وينقله الإلب إلى البحر بدوره^(٦٥) .
- ١٠٠ وكان يدعى أدواكر^(٦٦) ، وفي الأقمطة فاق كثيراً ابنه فتمتشي سلاو ذا اللحية^(٦٧) ، الذي به يتغذى الكسل ومنه تطعم ملذات الجسد^(٦٨)
- ١٠٣ وصغير الأنف^(٦٩) ، ذاك الذي يبدو عاكفاً على مشورة ذى الوجه الرقيق^(٧٠) ، مات هارباً فارطاً زهرة الزنبق^(٧١) :
- ١٠٦ انظر إليه هناك كيف يضرب صدره^(٧٢) ! وانظر الآخر الذي جعل — في تهّده — من راحة كفه وسادة لحدّه^(٧٣) .
- ١٠٩ لإنهما أبو وحمّو من كان شراً على فرنسا^(٧٤) وإنهما لعليّمين بحياته الأثيمة^(٧٥) الفاسدة ، وبدا يتأتى الأسى الذي يطعهما
- ١١٢ ولقد تمنطق بحبل الفضائل كلها^(٧٦) — ذاك الذي يبدو ضخماً الأعضاء^(٧٧) ، ويرتل بنغم متآلف مع ذى الأنف الكبير^(٧٨) ؛
- ١١٥ وإذا كان الفتى الذي يجلس من ورائه^(٧٩) قد صار من بعده ملكاً ، فيكون الفضل قد انتقل حقاً من إناء لآخر^(٨٠) ،

- ١١٨ وهو ما لا يمكن قوله عن سائر الورثة ؛ فإن جاكومو^(٨١) وفيدريجو^(٨٢) يحكمان المملكتين ؛ ولا يملك أحدهما خير ميراث^(٨٣)
- ١٢١ ويندر أن تظهر في الفروع فضائل البشر^(٨٤) ، وهذا ما يريده ذلك الذى يمنحها - حتى يمكن أن نسأله إياها^(٨٥) .
- ١٢٤ وكذلك تنطبق كلماتى على كبير الأنف^(٨٦) ، كما أنها ليست أقل انطباقاً على الآخر ، أعنى بيثرو^(٨٧) الذى يرتل معه ، ولذا تحزن بسببه الآن البروفنس وأبوليا^(٨٨) .
- ١٢٧ وبقدر ما ينحطّ النّبت^(٨٩) عن بذرتة^(٩٠) ، فليكوستانترا^(٩١) أن تفخر بزوجها ، أكثر مما تفعل بياتريتشى ومرجريتتا^(٩٢)
- ١٣٠ وانظر إلى الملك الذى عاش حياة البساطة - هنرى ملك إنجلترا - يجلس هناك وحيداً^(٩٣) إن له فى فروعه سلالة أفضل^(٩٤) .
- ١٣٣ وذلك الجائس على الأرض بينهم فى أدنى موضع - ناظراً إلى أعلى - هو المركيز جوليلمو^(٩٥) الذى حملت آلساندريا وما أثارته من القتال -
- ١٣٦ أهلّ مونفيرآتو وكانافيزى على البكاء من أجله^(٩٦) .

حواشي الأنشودة السابعة

- (١) هذه أنشودة الأمراء المهملين الذين عنوا بشئون الدنيا وأهملوا واجباتهم نحو رعاياهم وأنفسهم.
- (٢) استأنف دانتي وصف اللقاء بين سورديلو وفرجيليو الذي قطعه بلعناته وسخريته من إيطاليا وفلورنسا. وقوله ثلاث أو أربع مرات، لا يقصد به تحديد مرات التعانق بل يقصد به التعانق الكثير واستخدم دانتي لفظ (onesta) بمعنى اللطف أو الكياسة كما جاء في « الوليمة »
- Conv. II. X. 8.
- (٣) تراجع سوروديلو إلى الوراء حتى يكون أقدر على رؤية فرجيليو ومخاطبته.
- (٤) كان سورديلو قد سأل الشاعرين عن وطنيهما وشخصيهما ، ولما نطق فرجيليو بكلمة مانتوا هض لكى يعانقه ، ثم عاد يسأله مرة أخرى عن شخصه .
- (٥) لم يجب فرجيليو توأ عن سؤال سورديلو ربما من باب التواضع أو لكى لا يفاجئه يشخصه .
- (٦) أوكتافيوس (Octavius) هو الإمبراطور أغسطس قيصر الذى نقل رفات فرجيليو من برنديزي إلى نابلي ، والمقصود أن فرجيليو مات قبل ظهور المسيح وسبقت الإشارة إلى ذلك
- Inf. I. 71. Purg. III. 27.
- (٧) يعنى لم يعرف الإيمان المسيحى كما سبق
- Inf. I. 125; IV. 38.
- (٨) أى أن اسم فرجيليو بهر سورديلو حتى ساوره الشك فيما يرى ويسمع .
- (٩) يعنى أن سورديلو أحس بالاحترام والإجلال نحو فرجيليو العظيم
- (١٠) كان المعتاد وقتئذ أن يقبل الكبير الصغير عند الرقبة وأن يقبل المتساوون بعضهم بعضاً عند الكتفين أما الصغير فيقبل الكبير عند الركبتين أو القدمين .
- (١١) أى يا فخر الشعب الإيطالى قديماً وحديثاً
- (١٢) يعنى أن فرجيليو أظهر فى مؤلفاته ما تستطيع اللغة اللاتينية أن تعبر عنه .
- (١٣) يقصد مانتوا وطنهما المشترك .
- (١٤) هذه كلمات تدل على الاحترام العظيم . وفى الأصل (تظهرك لى) أو (تجعلك بادياً لى)
- (١٥) مع أن فرجيليو قال منذ هنيهة إنه ليس من أهل الفردوس وإنه فقد السماء فإنه لا يكاد يصدق هذا ويعود إلى تساؤله
- (١٦) أى أن فرجيليو عبر حلقات الجحيم كلها حتى وصل إلى المطهر
- Inf. II. 52-75. Purg. 15 -69.
- (١٧) يعنى بياتريتشى وسبقت الإشارة إليها
- (١٨) أى أن فرجيليو لم يرتكب إثمأ يعاقب عليه ولكنه فقد السماء لأنه لم يعرف المسيحية .
- (١٩) المقصود بالشمس العالية الله . ويتكرر هذا التعبير فى الفردوس
- Par. IX. 8; X. 53; XVIII. 105; XXV. 54; XXX. 126.
- (٢٠) يعنى أن فرجيليو لم يعرف الله إلا عند ما هبط المسيح إلى اللبؤ :
- Inf. IV. 152 ...
- (٢١) يحاول فرجيليو أن يبين لسورديلو أن عذابه فى الجحيم أخف من عذاب سائر المعذبين .
- (٢٢) هذا هو اللبؤ
- Inf. IV. 25
- (٢٣) أى الأطفال الذين ماتوا قبل تعميدهم .

- (٢٤) المقصود أن التعميد يمحو الخطيئة الأولى للإنسان - عند المسيحيين .
- Inf. IV. 34 (٢٥) يعنى عظماء العالم القديم الذين ماتوا قبل المسيحية
- (٢٦) المقصود فضائل الإيمان والأمل والرحمة
- Inf. IV. 106-114. (٢٧) أى عرفوا الفضائل الطبيعية والعقلية
- (٢٨) لا يريد فرجيليو أن يفعل سورديلو ما فوق طاقته فيحادثه برفق ، وهذا حديث طبيعي بين شاعرين .
- (٢٩) هذا لأن دانتي وفرجيليو لا يزالان حتى الآن في مدخل المطهر
- Virg. Æn. VI. 673 (٣٠) يشبه هذا قول فرجيليو في الإنيادة
- (٣١) يعنى أن سورديلو سيبذل جهده لإرضاء فرجيليو
- (٣٢) كان الشاعران قد لقيا سورديلو حوالى الساعة الثالثة بعد ظهر يوم الأحد الموافق ١٠ أبريل - كما جعل دانتي ذلك - والآن مضى الوقت وإن كان الليل لم يأت بعد .
- (٣٣) يعنى أن النفس التى لا تنعم بالرحمة الإلهية تعيش فى ظلام الليل وبذلك يتعذر عليها صعود جبل المطهر فى أثناء الليل .
- (٣٤) هذه نفوس بعض عظماء الرجال الذين استقروا فى هذا الوادى المسمى بوادى الأمراء وقد هاجم سورديلو فى شعره بعض أمراء عصره
- (٣٥) يبين سورديلو لفرجيليو بعض مزايا الرحلة فى المطهر
- (٣٦) يعنى قال فرجيليو لسورديلو .
- (٣٧) يحاول فرجيليو أن يعرف المانع من الصعود ليلاً
- Giov. XII. 35. (٣٨) يقترب هذا المعنى مما ورد فى «الكتاب المقدس» :
- (٣٩) يعنى أنه فى أثناء الظلام يمكن العودة إلى أسفل - إلى الخطيئة - أو السير حول الجبل بدون الصعود الذى لا يحدث إلا فى نور التطهر
- Virg. Æn. I. 374. (٤٠) يشبه هذا قول فرجيليو :
- (٤١) عجب فرجيليو لأنه لا يعرف قوانين المطهر
- (٤٢) يقصد أن الجبل كان محفوراً أو مجوفاً على صورة ما تفعله الأودية بالجبال فوق الأرض
- (٤٣) هذا هو المكان المناسب للانتظار فيه حتى مطلع النهار
- (٤٤) أى طريق منحدر فى موضع ويستوى فى آخر ويؤدى بالشاعرين إلى تلك الفجوة .
- (٤٥) يعنى أن أحد حافى الوادى تنخفض إلى المنتصف بالنسبة لارتفاع الحافة الأخرى ، وهذا هو وادى الأمراء الذين تأخروا فى الندم والتوبة عن آثامهم .
- (٤٦) يقصد بالذهب اللون الأصفر
- (٤٧) يقصد بالفضة اللون الأبيض الناصع
- (٤٨) القرمز (coccum) حشرة توجد على بعض النبات ويؤخذ منها صبغ أحمر اللون والمقصود اللون الأحمر
- (٤٩) يقصد باللؤلؤ اللون الأبيض الصافى .
- (٥٠) يقصد بالنيلج (indico) اللون الأزرق الداكن . ويؤخذ النيلج من نبات العظم
- (٥١) بالحشب اللامع الراقق يقصد اللون الأصفر العاجى .

- (٥٢) يقصد بالزمرد اللون الأخضر ، وعندما ينكسر يظهر جمال لونه مباشرة قبل أن يتأثر بالهواء .
- (٥٣) أى أن أعشاب هذا الوادى وأزهاره تفوق ألوانها سائر ما ذكره دانتي .
- (٥٤) هذا وصف لإحدى صور الطبيعة ، ويضيف دانتي الرائحة إلى تنوع الألوان ، ويقول إن الشذا الذى أحس به لم يسبق لأحد معرفته ولا يمكن وصفه أو تسميته
- (٥٥) يعنى رأى جماعة من نفوس الأمراء الذين تأخروا فى التوبة
- (٥٦) هذا دعاء للعدراء قرتله أرواح الأمراء فى وادى الدموع أملا فى أن يصبحوا جديرين برؤية الله
- (٥٧) لم تظهر هذه النفوس فى أول الأمر لأنها كانت جالسة فى منخفض الوادى
- (٥٨) أى قبل أن تغرب الشمس
- (٥٩) يعنى أن الرؤية أفضل من هذا الموضع المرتفع ويشبه هذا قول فرجيليو: ... Virg. Æn. VI. 762
- (٦٠) أى أنه لم يقدم إلى إيطاليا
- (٦١) يعنى لا يرتل نشيد العذراء ماريا لجله من تأخره فى القيام بالواجب وفى الندم والتوبة
- (٦٢) الأمبرامور رودولفودى هابسبرج (Rodolfo di Absburg) أبو ألبرتو النمسوى (Alberto d'Austria) ولد فى ١٢١٨ وأصبح إمبراطوراً على الدولة الرومانية المقدسة فى ١٢٧٣ ومات فى ١٢٩١
- (٦٣) أى أن هنرى السابع عجز عن إقرار السلام فى إيطاليا
- (٦٤) جعل دانتي أدواكر يجلس مع عدوه رودولفو ويواسى فى كل مهما الآخر ، وبذلك انقطعت العداوة التى كانت بينهما فى الدنيا وتحولت فى المطهر إلى وثام وسلام
- (٦٥) يقصد أرض بوهيميا التى تنبع منها المياه التى يحملها هر المولداو (Moldau) إلى هر الإلب (Elbe) الذى يصب فى بحر الشمال
- (٦٦) أدواكر الثانى ملك بوهيميا (Ottocar II. ١٢٧٨ - ١٢٥٣) حارب رودولفو بعد اختياره إمبراطوراً ، ويقدره دانتي لشجاعته وشهامته
- (٦٧) فتشسلاو الرابع (Venceslao IV.) صار ملكاً على بوهيميا فى ١٢٧٨ وضم إليه عرش بولندا فى ١٣٠٠ ومات فى ١٣٠٥ ، ولم يعرف سوى حياة الفراغ والملذات والمقصود أن أدواكر وهو طفل رضيع كان أفضل من ابنه هذا
- (٦٨) يدل هذا التعبير على مستوى إهماله وانغماسه فى شهوة الجسد ويرى بعض الشراح أن المعنى هنا هو أن هذا الحاكم كان يتغذى ويسمن بالكسل ولذة الجسد
- (٦٩) صغير الأنف هو فيليب الثالث ملك فرنسا (Philippe III. ١٢٧٠ - ١٢٨٥) وهو أبوفيليب الجميل وشارل دى قالوا
- ويوجد تمثال له فى كنيسة سان دنيس فى ناربون فى فرنسا ويبين أنفه الذى يجمع بين الصخر والرشاقة وتوجد له صورة فى مقبرة إيزابيلا دارجونة فى كوزينترا فى كالابريا
- (٧٠) هو هنرى الأول ملك نافار (Henri I. ١٢٦٠ - ١٢٧٤) وهو أبو جوفانا التى خلفت والدها فى الحكم وتزوجت فيليب الجميل
- (٧١) انهزم فيليب الثالث فى حربه ضد بيترو الثالث ملك أرجونة وترك قطلونة بعد تحطيم الأسطول الفرنسى فى خليج دى روساس فى ١٢٨٥ ، وبذلك أهين شرف فرنسا الذى كانت تمثله زهرات الزنبق رمز البيت الملكى الفرنسى .

(٧٢) يضرب فيليب الثالث صدره أسى وحسرة .

(٧٣) الآخر هو هنرى الأول ملك نافار

(٧٤) المقصود بهذا القول فليب الثالث والد فيليب الجميل وهنرى الأول النافارى حمو فيليب الجميل .

(٧٥) يعنى حياة فيليب الجميل الآثمة . وكرهه دانتي لأنه نقل مقر البابوية إلى أفنيون ، ولا يذكر دانتي اسمه ولكنه يشير إليه بصفات السيئة فى مواضع متعددة من الكوميديا مثل

Inf. XIX. 87. Purg. XX. 91; XXXII. 148-160. Par. XIX. 120.

(٧٦) الحبل حول الوسط رمز الفضائل والفروسية ، ويشبه هذا ما جاء فى «الكتاب المقدس» :

Issia, XI. 5.

(٧٧) هذا هو بيترو الثالث الأرجونى (Pietro III.) الذى ولد فى صقلية وتزوج كونستانزا ابنة مانفريد وأصبح ملكاً على صقلية فى ١٢٨٢ ومات فى ١٢٨٥

(٧٨) هو شارل دانجو (Charles d'Anjou ١٢٧٠ - ١٣٢٥) ابن لويس الثامن ملك فرنسا وأخو لويس التاسع ، دعاه اكلمنتو الرابع فى ١٢٦٥ إلى إيطاليا فهزم مانفريد فى موقعة بنيقتو (Purg. III. 118-120). واستولى على نابلى ، واشتهر بالحزم وشدة البأس .

(٧٩) هو ألفونسو الثالث (Alfonso III. ١٢٨٥ - ١٢٩١) ابن بيترو الأرجونى خلف والده على عرش أراجوانة وورث صفات أبيه الطيبة ولكنه لم يعمر حتى يصبح ملكاً على صقلية

(٨٠) أى من وريث إلى آخر

(٨١) هو جاكومو الثانى الأرجونى (Giacomo II.) ويسمى بالعاذل وهو الابن الثانى لبيترو الأرجونى توج ملكاً على صقلية فى ١٢٨٦ وخلف أخاه ألفونسو على عرش أراجوانة ومات فى ١٣٢٧

(٨٢) فيدرىجو الثانى (Federico II.) الابن الثالث لبيترو الأرجونى وأصبح ملكاً على صقلية فى ١٢٩٦ ومات فى ١٣٣٧

(٨٣) يعنى أن أحداً منهما لم يرث صفات أبيهما الطيبة .

(٨٤) أى أن الصفات الفاضلة لا تورث فى الغالب .

(٨٥) يعنى أن هذه هى إرادة الله الذى يمنح الفضائل للناس ، ومن يريد لها فليطلبها منه لأنها لا تأتى عن طريق الوراثة

(٨٦) صاحب الأنف الكبير هو شارل الأول دانجو .

(٨٧) أى بيترو الثالث ملك أراجوانة .

(٨٨) أساء شارل الأول دانجو الحكم فى البروفنس وأبوليا حتى بكى الناس من مساوئته

(٨٩) النبت يعنى شارل الثانى دانجو الذى حكم البروفنس وأبوليا

(٩٠) يعنى شارل الأول دانجو .

(٩١) كوستانتزا (Costanza) زوجة بيترو الثالث والمقصود أن زوجها أفضل من زوجى الأخرتين وسبقت الإشارة إلى كوستانتزا Purg. III. 143.

(٩٢) بياتريتشى دى رايوندو دى پروفنس (Beatrice di Raymondo di Provenza)

ومرجريتا ابنة دوق بورجونيا (Margherita del Duca di Borgogna) وقد تزوجهما

شارل الأول دانجو الواحدة بعد الأخرى .

(٩٣) هنري الثالث ملك إنجلترا (Henry III. ١٢٧٢ - ١٢١٦) كان حاكماً ضعيفاً، واعتبره سورديلو رجلاً شراً جشعاً، ولكن دانتى يأخذ ضعفه على أنه نوع من بساطة النفس، وربما كان ذنبه أنه أهمل واجبات الملك في سبيل واجبات الدين، ولعل هذا هو السبب الذي دعا دانتى إلى أن يضعه في مقدمة المطهر وفي عزلة عن الآخرين وهو مدفون في كنيسة وست منستر في لندن

(٩٤) يقصد إدوارد الأول ملك إنجلترا (Edward I. ١٣٠٧ - ١٢٧٢) ابن هنري الثالث ويسمى بجستنيان إنجلترا لأنه قن القوانين الإنجليزية

(٩٥) المركيز جوليلمو السابع دي مونفيراتو (Gulielmo VII. di Monferrato ١٢٩٢ - ١٢٥٤) أحد زعماء الجبلين في شمال إيطاليا، وحاول الوقوف في وجه شارل دانجو وفي ١٢٩٠ ثارت عليه ألساندريا (Alessandria) في پيمونتي وحاول قمعها ولكنه هزم ووقع أسيراً ووضع في قفص من حديد حتى مات وحاول ابنه (جوفاني) الانتقام لمقتله وهاجم ألساندريا وألحق خسائر جسيمة بمونفيراتو (Monferrato) الواقعة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط وكانافيزي (Canavese) الواقعة على شاطئه الأيسر وجعله دانتى في أدنى موضع لأنه أعوزته القوة العسكرية، ولكنه جعله ينظر إلى السماء لأنه كان مخلصاً للامبراطورية

(٩٦) يعنى أنه أصاب مونفيراتو وكانافيزي من الخسائر ما جعلهما تبكيان من أجل جوليلمو.

الأنشودة الثامنة^(١)

كانت قد حلت ساعة الغروب التي تثير حنين المسافرين في البحر إلى وطنهم ، وسكنت الأرواح فلم يعد دانتي يسمع شيئاً ورأى دانتي روحاً تنهض وتطلب أن يُنصتَ إليها ، وسمع الجميع يرتلون بصوت واحد نشيداً يضرعون فيه إلى الله أن يحمي نفوسهم من شياطين الليل وشهد دانتي ملاكين يهبطان بشياهما الخضراء ، واحتويا بينهما جماعة الأرواح ، وقد قدما لحماية الوادي من الحية رمز الشر والخطيئة أحس دانتي بالخوف فالتصق بفرجيليو ، ودعاها سورديلو إلى النزول إلى وادي الأمراء ورأى دانتي روحاً تتطلع إليه ، وكان هذا هو نينو أوجولينو فيسكونتي قاضي جالورا ، وابتهج دانتي عندما لم يره بين الملعونين ، وتبادلا التحيات الحارة وعندما أدرك نينو وسورديلو أن دانتي إنسان حي ، تراجعما وقد أخذهما العجب ، ونادى نينو كورادو مالاस्पينا لكي يرى ما أراد الله بنعمته ، وسأل دانتي أن يطلب - عندما يعود إلى الدنيا - إلى ابنته جوفانا أن تصلي من أجل سلامه ، وذكر زوجته التي لم تثبت على حبها وتزوجت من غيره ، وقال إن مسالكها يوضح كم يدوم الحب الذي لا تذكيه المداعبة أخذ دانتي ينظر نحو السماء وشهد النجوم المتألقة رمز الفضائل الإلهية ، ثم جاءت الحية تتسلل بين الأعشاب والأزهار ، فهبط الملاك نحوها بسرعة فولت هاربة ، وطار الملاك عائدين إلى موضعهما في أعلى ودعا كورادو مالاस्पينا لدانتي أن يبلغ القمة اللامعة - الفردوس الأرضي - وسأله عن أخبار وادي ماجرا . وقال دانتي إنه لم يذهب إلى بلاده - على غير حقيقة - ولكن شهرتها طبقت الآفاق ، وأقسم له بأن شعبه لم يفقد مجد المال والسيف ، وأن عاداته الطيبة تميزه عن غيره ، وتنبأ كورادو لدانتي بحياة المنفى .

- ١ كانت قد حلت الساعة^(٢) التي تبعث الحنين لدى رواد البحار وتُلمين قلوبهم ، يوم أن قالوا وداعاً^(٣) لأصدقائهم الأعزاء^(٤) .
- ٤ الساعة التي ترشق بسهم المحبة قلب من يسافر لأول مرة^(٥) - إذا سمع من بعيد رنين ناقوس^(٦) - يبدو أنه يبكي زوال النهار^(٧) -
- ٧ حينما بدأت أوقف أذني عن السمع^(٨) ، وأخذت أتأمل أحد الأرواح الذي هض على قدميه^(٩) ، مشيراً بيده حتى يُستمع إليه^(١٠) .
- ١٠ وضمّ هذا كلتا راحتيه ورفعهما إلى أعلى^(١١) ، متجهاً بعينه صوب المشرق^(١٢) كأنه يقول لله "لست أحفل بأحد سواك"^(١٣) ،
- ١٣ وعلى شفثيه تردّد في خشوع وبأنغامٍ عذبة نشيد "قبل نهاية النهار"^(١٤) ، فلم أعد أشعر بما حولي^(١٥) ؛
- ١٦ ثم صاحبتته سائر الأرواح بخشوعٍ وعذوبةٍ في سائر النشيد كله ، وهي شاخصةٌ بأبصارها إلى الدوائر العليا^(١٦) .
- ١٩ أمعين النظر - أيها القارئ - فيما هو قائمٌ هاهنا ، إذ أن النقاب الآن جدّ رقيق ، حتى لتسهل حقاً الرؤية خلاله^(١٧) .
- ٢٢ ورأيت بعدئذ ذلك الجمع النبيل وقد صمت أفراده ونظروا إلى السماء^(١٨) ، وشحب لوهم^(١٩) وبدوا متّضعين^(٢٠) ، كأنهم يتوقعون أمراً^(٢١) ؛
- ٢٥ وشاهدت ملاكين^(٢٢) يخرجان من سماء السماوات^(٢٣) ، ويهبطان أسفل وقد حملا سيفين متوهّجين مكسورين نزع طرفاهما^(٢٤) .
- ٢٨ وارتديا ثياباً مخضرة^(٢٥) كوريقات الشجر النابتة تواء^(٢٦) ، ودفعاهما إلى الوراء وقد لامستهما وروحتهما أجنحتهما الخضراء^(٢٧) .
- ٣١ وجاء أحدهما واتخذ مكاناً في موضع يعلونا قليلاً^(٢٨) ، ونزل الآخر إلى الشاطئ المقابل ، بحيث احتويا تلك الجماعة فيما بينهما^(٢٩) .
- ٣٤ فتبينتُ جلياً رأسيهما الأشقرين^(٣٠) ؛ ولكنني حين نظرت إلى وجهيهما - زاغ بصري^(٣١) - كملكّةٍ بالإفراط تضطرب^(٣٢) .
- ٣٧ قال سورديلتو : « إنهما يأتیان كلاهما من حلقة ماريا^(٣٣) ، لحماية الوادي من الأفعى الوشيكة الإتيان »

- ٤٠ وأنا الذى لم أعرف من أى طريق يأتيان - تلفت حوالى عندئذ (٣٤) -
 والتصقت بالكتفين الأمينتين (٣٥) ، وقد تجمّد ساثرى (٣٦) .
- ٤٣ فقال سورديلو بعدُ : « فلمهبط الآن إلى الوادى بين أشباح هؤلاء العظماء (٣٧) ،
 وسنتحدث إليهم وسيبتهجون برؤيتك كثيراً (٣٨) »
- ٤٦ وأظن أنى كنت قد نزلت ثلاث خطوات فحسب (٣٩) حتى أصبحت
 فى أسفل ، ورأيت واحداً يتطلع إلى وحدى ، وكأنه يودّ التعرف على (٤٠) .
- ٤٩ وكانت قد حلت الساعة التى يظلم فيها الهواء ، ولكن ليس إلى الحدّ الذى
 يحتجب فيه - بين عيى وعينيه (٤١) - ما كان من قبل خافياً عى (٤٢)
- ٥٢ جاء نحوى ، وذهبت إليه (٤٣) : نينو أيها القاضى النبيل (٤٤) - كيف ابتهج
 قلبى حينما لم أرك بين أهل المعصية (٤٥) !
- ٥٥ وما من آيات تحيات طيبة إلا وتبادلناها (٤٦) ؛ ثم سألتى « منذ متى كان
 إتيانك إلى سفح الجبل عبّر المياه الشاسعة (٤٧) ؟ »
- ٥٨ فقلت له « آه ، لقد جئت هذا الصباح من حلقات الأسى (٤٨) ،
 ولا زلت فى حياتى الأولى (٤٩) - وإن كنت برجلتى هذه أنال الحياة
 الآخرة (٥٠) »
- ٦١ وعندما سمعت إجابتى (٥١) ، تراجع إلى الوراء هو وسورديلو ، كجماعة
 أخذها عجبٌ مفاجئ (٥٢) .
- ٦٤ وإلى فرجيليو اتجه أحدهما (٥٣) ، وإلى روح كان جالساً هناك اتجه الآخر
 صائحاً (٥٤) : « انهض يا كورادو (٥٥) ؛ وتعال أشهد ما أرادته بنعمته الله » .
- ٦٧ ثم اتجه إلى قائلاً (٥٦) : « باسم ذلك الفضل الذى أنت مدين به لى من
 يُسخنى أولى علل فعالة - بحيث لا يمكننا إدراكها (٥٧) -
- ٧٠ حينما تُصبح فى الجانب الآخر من الموج الحِضم (٥٨) ، قلّ لحوافنا ابنتى (٥٩)
 أن تتجه بصلواتها من أجلى - حيث يُستجاب إلى دعاء الأبرياء (٦٠) .
- ٧٣ ولا أعتقد أن أمها ما زالت تُحبنى (٦١) ، منذ أن بدلت نقيبها البيضاء (٦٢) ،
 والتى ستظل تلك البائسة فى حاجة إليها (٦٣) .

- ٧٦ ومن اليسير أن يتّضح بمسلكها كم تدوم لدى المرأة نارُ المحبة ، إذا لم تؤجّج النظرات أو اللمسات من أوارها (٦٤).
- ٧٩ وإن الحيّة (٦٥) التي تقود شعب ميلانو إلى ساحة الوغى ، لن تبي لها قبراً جميلاً كما كان ديك جالتورا قادراً على بنائه (٦٦) «
- ٨٢ هكذا تكلمتم وقد ارتسم على وجهه ذلك الغضب العادل ، الذي يضطرم في القلب بالقدر المناسب (٦٧).
- ٨٥ ولغير السماء لم تتّجه عيناي المتحفّزتان (٦٨)، حيث تسير النجوم بأبطأ سرعة (٦٩)، كعجلة في أقرب موضع إلى مركزها (٧٠).
- ٨٨ قال دليلى « ماذا تنظر يا بُنى هناك في أعلى ؟ » فقلت له « إننى أنظر إلى تلك الشعلات الثلاث ، التي يتوهّج بها القطب هنا في كل أرجائه (٧١) ».
- ٩١ فقال لى « لقد هبطتُ في ذلك الجانب النجوم الأربعة اللامعة التي رأيتها هذا الصباح ، وصعدتُ هذه إلى مكانها (٧٢) »
- ٩٤ وبينما كان يتكلم جذبته سورديلتو إليه قائلاً (٧٣): « فلتنظر هناك عدونا (٧٤) » ؛ وأشار بأصبعه حتى ينظر هناك
- ٩٧ في ذلك الجانب - حيث لا حاجز للوادي الصغير (٧٥) - رأيت حيّةً - ربما كانت هي التي قدّمت لحواء مريراً الطعام (٧٦).
- ١٠٠ ومن بين الأعشاب والأزهار جاءت الزاحفة الخبيثة (٧٧)، رافعةً رأسها أنا قائلاً ، ولحستُ ظهرها (٧٨) كحيوان يلحس نفسه .
- ١٠٣ لم أر (٧٩) - ولذا لا يمكنى القول - كيف طار بازيّا السماء (٨٠) ؛ ولكنى تبيّنت جلياً كلا مهما في طيرانه .
- ١٠٦ وعلى حفيف الأجنحة الخضراء - وهي تشق أجواز الفضاء - لاذت الحية بالفرار (٨١)، ثم استدار الملاكان وعادا طائرین جنباً إلى جنب (٨٢)، إلى مقرّهما في أعلى (٨٣).
- ١٠٩ والشبح الذي كان قد اقترب من القاضى عند نداءه (٨٤) - لم ينقطع لحظةً عن النظر إلى - خلال هذه الحملة كلّها (٨٥).

- ١١٢ وبدأ « ألافليجبد - في إرادتك - النور الذي يقودك إلى أعلى (٨٦) -
شمعاً وفيراً يكفي حاجتك لبلوغ القمة الخضراء (٨٧) .
- ١١٥ وإذا كنت تعرف أنباء صحيحةً عن وادي ماجراً (٨٨) أو عن المناطق المجاورة
فخبرني بها - فقد كنت هناك ذات يوم من العظماء .
- ١١٨ وكنت أدعى كورادو مالا سپينا (٨٩) ، وإني لست كورادو القديم (٩٠) ،
ولكني منحدرٌ من صُلْبِهِ ولقد حملت لأهلي المحبة التي تستكمل صفاءها
ها هنا (٩١) »
- ١٢١ فقلت له « آه ، إني لم أذهب إلى بلادكم أبداً (٩٢) ، ولكن أين يقيم - في
أرجاء أوروبا - من لا يعرفها (٩٣) ؟
- ١٢٤ وإن الشهرة التي تمجد بيتكم - تُعلَى من ذكر سادتكم وتُذيع من صيت
أرضكم (٩٤) - حتى ليعرفها من لم يذهب إليها بعد (٩٥) ؛
- ١٢٧ وأقسم لك - ولعلّي أبلغ القمة (٩٦) - أن شعبك المجيد لا يفقد شيئاً من مجد
المال أو السيف (٩٧)
- ١٣٠ وهو بعاداته وطبيعته يتميز (٩٨) ، حتى إنه على رغم فساد الدنيا - بالرأس
الحبيث (٩٩) - يسير وحده مستقيماً - ولطريق الشرّ مزدرياً (١٠٠) .
- ١٣٣ فقال لي « فلأنتذهب الآن ، إذ لن تأوى الشمس - سبع مرات - إلى
الفراش الذي يغطيه الحمل ويعتليه بكلّ أقدامه الأربع (١٠١) ،
- ١٣٦ حتى يثبت هذا الرأي اللطيف في أمّ رأسك - بمسامير أقوى من كلام
الناس (١٠٢) -
- ١٣٩ إذا لم يتوقف الحكيم الإلهي عن سيره (١٠٥) .

حواشي الأنشودة الثامنة

- (١) هذه تكملة للسابقة وتسمى أنشودة نينو فيسكونتي وكورادومالاسينا
- (٢) المقصود ساعة الغروب أى حوالى السادسة مساء .
- (٣) تبعث ساعة الغروب فى نفس المسافر فى البحر الحنين إلى الوطن
- (٤) حينما يغادر المسافر بلاده يذكرها ويذكر أصدقاءه الذين ودعهم وقت سفره .
- (٥) يستخدم دانتي لفظ الحاج بمعنى المسافر ويقول المسافر الجديد أى الذى يغادر بلاده لأول مرة .
- (٦) يذكر المسافر بلاده على دقات الناقوس وهذا هو دانتي الذى يشعر بألم الفراق حينما كان يرحل من بلد لآخر
- (٧) هذه من أروع الأبيات - فى النص الإيطالى - فى وصف ما يخالج المسافر من المشاعر حينما يتعد عن وطنه وقت المساء ، وفى هذا تعبير دانتي ذاته عن إحساسه بألم الفراق .
- وقد استوحى هذه الأبيات بعض الموسيقيين لوضع ألحان بعنوان « المساء » مثل سالفاتورى مانتزوكى وجوليو روبرتى وروبرت شومان وكلهم من القرن ١٩ ولم أعر على هذه الموسيقى مسجلة
- (٨) يعنى أن دانتي لم يعد يسمع ترتيل الأرواح ولا صوت سورديلو لأنهم سكتوا جميعاً وهذه حال من السكون تناسب دخول الليل وهو إحساس بالكآبة ينال المسافر فى وحدته .
- (٩) نهضت هذه الروح واقفة على حين كانت سائر الأرواح جالسة على الأرض فى الوادى المزدهر كما سبق :
Purg. VII. 83.
- (١٠) يشبه هذا المعنى ما أورده فرجيليو وأوفيدوس « والكتاب المقدس
Virg. Æn. XII. 692.
Ov. Met. I. 205.
Atti, XIII. 16.
- (١١) يشبه هذا ما جاء فى « الكتاب المقدس » و « الإنيادة »
Gen. XIV. 22.
Virg. Æn. X. 84 ...
- (١٢) اتجهت هذه الروح فى صلاتها إلى المشرق ، وكان ذلك من عادة المسيحيين وقتئذ
- (١٣) هذه صلاة وضراعة إلى الله وأصبحت هذه الروح لا تفكر فى شىء إلا فى الله
- (١٤) هذه أولى كلمات نشيد القديس أمبرودجو (S. Ambrogio) من القرن ٤ م والمقصود بهذه الصلاة دعاء الله أن يحمى النفوس من شياطين الليل ، ويحس الإنسان أحياناً بشيء من الرهبة عند حلول الليل وهذا النشيد فاتحة دراما إنسانية من حيث الصراع بين الخير والشر
- (١٥) عند ما سمع دانتي الأنغام التى تضرع إلى الله فقد الوعى بنفسه وهذه من سبل الإحساس الصوفى
- (١٦) تابعت سائر النفوس الترتيل بعذوبة وهى تنظر إلى السماوات العليا .

- (١٧) يلفت دانتى نظر القارئ إلى سهولة فهم الحقيقة لأن النقاب صار خفيفاً ويقصد بالحقيقة ما هو كائن أمامه الآن .
- (١٨) هذه إشارة إلى المعنى الذى ورد فى « الكتاب المقدس » :
Sal. CXX. CXXIII.
- (١٩) شحوب اللون بسبب الأغمى التى ستظهر بعد .
- (٢٠) يعنى التواضع فى طلب العون الإلهى .
- (٢١) أى ينتظرون عون السماء .
- (٢٢) رأى دانتى ملاكين اثنين ، ويشبه هذا التعبير ما فعله المسيح عندما أرسل أتباعه اثنين اثنين
Marco, VI. 7; Luca, XXIV. 4. Giov. XX. 12; Atti, I. 10;
- (٢٣) أى من سماء السماوات حيث العذراء ماريا وفى الأصل (من أعلى)
- (٢٤) هذا لأن سلاح الملاكين ليس للانتقام بل للدفاع
- (٢٥) اللون الأخضر رمز الأمل .
- (٢٦) هذا يعنى أن اللون أخضر فاتح كالأوراق التى تنبت حديثاً على الأشجار
- (٢٧) هذا كله تصوير جميل لحركة الملاكين فى طيرانهما
- (٢٨) يعنى وقف أحد الملاكين على حافة الوادى التى كان عليها الشعراء الثلاثة ولكن على بعد قليل .
- (٢٩) أى أن نفوس هذه الجماعة أصبحت فى موضع وسط بين الملاكين
- (٣٠) استطاع دانتى أن يرى شعر الملاكين بلونه الأصفر
- (٣١) يعنى أن عينيه لم تقويا على النظر إلى بهائمهما
- (٣٢) زاغ بصر دانتى ولم يقو على الرؤية كمن يلتقى مجهوداً فوق احتماله ويشبه هذا قول أرسطو
Arist. De Anima, II. 12.
- (٣٣) يقصد سماء السماوات فى الفردوس .
- (٣٤) لم يعرف دانتى من أية ناحية ستأتى الأغمى فنظر حواليه لكى يتبين ذلك
- (٣٥) أى التصق دانتى بكتفى فرجيليو .
- (٣٦) أحس دانتى ببرودة شديدة بسبب الخوف كما سبق فى الجحيم
Inf. XXXIV. 22.
- (٣٧) يعنى أرواح الأمراء فى هذا الوادى .
- (٣٨) لم يكن سورديلو يعرف بعد شيئاً عن شخصية دانتى ولم يعرف أنه إنسان حى ، ولذلك فهو يظن أن وجود روحى فرجيليو ودانتى سيسر أرواح الأمراء هنا
- (٣٩) هذا يعنى أن الوادى لم يكن عميقاً
- (٤٠) هو نينو أوجولينو فيسكونتى .
- (٤١) أى أن الجحود قد أصبح مظلماً ولكن ليس إلى الحد الذى تتعذر معه الرؤية فى المسافة القائمة بينهما
- (٤٢) هذا بسبب بعد المكان وقبل أن يقترب أحدهما من الآخر
- (٤٣) هكذا اندفع الصديقان أحدهما نحو الآخر فى شغف ولطفة ، ولقد عاشا زمناً فى فلورنسا وكانا معا من حزب الجلف البيض .

- (٤٤) نينو أوجولينو فيسكونتي (Nino Ugolino Visconti) ابن أخت الكونت أوجولينو دلاجيراردسكا وأصبح قاضي جالورا في سردينيا وبعد هزيمة الجبلين في پيزا على يد الأسقف رودجيري دلي أوبالديني (Inf.XXXIII.) أصبح زعيم الحلف ضد وطنه پيزا ، وقصد إلى سردينيا لكي يعاقب الراهب جوميتا على رشوته ويظهر أن دانتى عرفه عند ما ذهب إلى فلورنسا بعد ١٢٨٨ ، وربما كان زميله في السلاح في حصار كاپرونا ، ومات في سردينيا في ١٢٩٦
- (٤٥) ابتهج دانتى عندما رأى روح نينو قد سلمت من عذاب الجحيم
- (٤٦) يعنى تبودلت بينهما أساليب التحية القلبية الحارة التي تعبر عما يمكنه أحد الصديقين للآخر من الود والمحبة
- (٤٨) يسأل نينو دانتى - وهو يظنه شعباً - متى قطع المسافة الطويلة من مصب نهر التيبر حتى مدخل المطهر
- (٤٨) أى متى جاء من الجحيم
- (٤٩) يعنى أنه لا يزال على قيد الحياة على رغم حضوره إلى هذا المكان .
- (٥٠) أى أن دانتى يسعى برحلته هذه إلى أن يبلغ الفردوس .
- (٥١) يعنى عندما عرف سورديلو ونينو أن دانتى إنسان حى .
- (٥٢) هذه حركة من أخذهما العجب لما رأيا وسما
- (٥٣) أى اتجه سورديلو إلى فرجيليو .
- (٥٤) الآخر يعنى نينو فيسكونتي .
- (٥٥) هو كورادو مالاسينا
- (٥٦) هذا هو نينو فيسكونتي .
- (٥٧) يقصد الله
- (٥٨) يعنى حينما يعود دانتى إلى الأرض وهكذا عندما عرف نينو أن دانتى إنسان حى عاد إلى ذكرى الوطن والأسرة وهذه أبيات رقيقة مليئة بالحب
- (٥٩) جوفانا (Giovanna) ابنة نينو الوحيدة ، وكان عمرها ٩ سنوات في ١٣٠٠ عند موت أبيها رعاها البابا بونيفاتشو التاسع كابنة أحد زعماء الحلف وتزوجت ريتزاردو داكامينو النبيل من تريفيزو ، وعاشت في فلورنسا بعد موت زوجها في ١٣١٢ ، ومنحت إعانة مالية في ١٣٢٣ ، ويبدو أنها عاشت حتى ١٣٣٩ ويذكر نينو اسم ابنته جوفانا بحب وحنان وكأنه - وهو في قبره - يريد أن يضمها إلى صدره .
- (٦٠) يرجو نينو أن تصلى ابنته من أجله ، وهى عنده طفلة بريئة تستجيب إليها السماء .
- (٦١) يقصد زوجته بياتريشي دست (Beatrice d'Este) التي تزوجت بعد وفاته من جالياتزو فيسكونتي من زعماء الجبلين في ميلانو في ١٣٠٠ ثم طردت وزوجها من ميلانو ، وعادت إليها حيث ماتت في ١٣٣٤ ويأسف نينو لعدم وفائها له .
- (٦٢) كانت الأرملة وقتئذ تلبس ثوبا أسود اللون ونقابا أبيض اللون .
- (٦٣) أى أنها سوف تلبس ثوب الأرملة مرة أخرى حينما تصيبها الكوارث
- (٦٤) يعنى أن بياتريشي دست توضح بمسلكها أن الحب لا يدوم طويلا إذا لم يصحبه النظر واللمس والمداعبة وفى هذا بعض الإحساس بالمرارة لبعده عنها
- (٦٥) المقصود بالأفمى شعار ميلانو الذى يوضع على الدروع وقت الحرب

ويوجد حفر بارز يمثل الأفعى شعار ميلانو ويرجع إلى القرن ١٤ وهو في متحف القلعة بميلانو .

(٦٦) الديك شعار بيزا على أدوات الحرب والمقصود أنه لو ماتت بياتريثشى دست مخلصه للجلف لوضع على قبرها الديك شعار بيزا الخلفية ، أما وقد ماتت بعد زواجها من أمير جبليى فستوضع على قبرها الأفعى شعار ميلانو الجبلينية ، وإن كان هذا يخالف الواقع التاريخى لأنه عند موتها وضع على قبرها كلا الشعارين

وتوجد صورة صغيرة من القرن ١٤ تمثل أوجولينو يطرد نينو دى جالورا (نسبة إلى شمال شرق سردينا) فى مكتبة كيجى فى روما وكذلك يوجد حفر يمثل ديك جالورا فى كنيسة سانتا ماريا من بيت لحم على مقربة من ساسارى .

(٦٧) أى أنه شعر بشى من الغضب والألم ولكن لم يصل إحساسه إلى حد الكراهية

(٦٨) لم يجب دانتى ولم يتكلم بل رفع عينيه إلى السماء متطلعا إلى رؤية شىء جديد

(٦٩) يعنى نظر دانتى صوب القطب الجنوبى

(٧٠) أى أن النجوم القريبة من القطب تدور بسرعة أبطأ من النجوم القريبة من خط الاستواء ويقارن دانتى هذه الحركة بحركة العجلة

(٧١) ربما كانت هذه النجوم رمزاً للفضائل الإلهية الإيمان والأمل والرحمة ، ويرى بعض الشراح أن دانتى قصد بها نجوماً حقيقية

(٧٢) ظهرت هذه النجوم عند هبوط الليل وأخذت موضع النجوم الأربعة التى رآها دانتى فى الصباح

Purg. I. 23.

(٧٣) يعنى جذب سورديلو فرجيليو إليه

(٧٤) هذه هى الحية رمز الإغراء والشيطان . و ورد هذا المعنى فى « الكتاب المقدس »

Apocal. XII. 9.

(٧٥) أى فى الجانب المفتوح الذى يمكن الدخول منه إلى الوادى بدون عائق. ويرى بعض الشراح أن هذا رمز لنقطة الضعف التى تحاول الحية الوصول عن طريقها إلى قلب الإنسان .

Gen. III.

(٧٦) ورد مثل هذا المعنى فى « الكتاب المقدس »

(٧٧) هذا رمز إلى أن الشر يأتى إلى الإنسان فى مظهر جميل خلاب

(٧٨) تعلق الأفعى ظهرها كأنها لا تنوى شراً بأحد .

(٧٩) لم ير دانتى كيف طار الملاك لأنه كان مشغولاً بالنظر إلى الأفعى

(٨٠) البازى طائر من فصيلة الصقر سريع الطيران وعدو الأفعى ، والمقصود بالبازيين ملاكا السماء .

(٨١) هذا رمز لانتصار الخير على الشر

(٨٢) يعنى عاد الملاك كان طائرین بسرعة واحدة .

(٨٢) ربما كان المقصود بقول (أعلى) مكان البازيين فوق هذا الوادى لحراسته ليلا وربما كان المقصود السماء .

(٨٤) هذا شبح كورادو مالاस्पينا

(٨٥) ظل الشبح يحملق النظر متعجباً لرؤيته دانتى كإنسان حى .

(٨٦) يقصد الرحمة الإلهية التى ترفع الإنسان إلى أعلى ولا بد من رغبة الإنسان وإرادته الخير حتى تحل به رحمة الله .

- (٨٧) أى الفردوس الأرضى فى أعلى المطهر والذى يؤدى إلى فردوس السماء .
- (٨٨) وادى ماجرى (Val di Magra) حيث توجد قلعة فيلافرانكا (Villafranca) مقر فيديريجو والدكورادو ، حيث كتب كورادو وصيته فى ١٢٩٤ ، وسبقت الإشارة إلى هذا الوادى
- Inf. XXIV. 145.
- (٨٩) كورادو مالاسپينا الثانى (Cunrado Malaspina II.) هو ابن فيديريجو الأول وهو مركزى فيلافرانكا فى منطقة لونيديجانا ومات فى ١٢٩٤
- (٩٠) القديم أو العجوز هنا يعنى كورادو مالاسپينا الأول وهو جد كورادو مالاسپينا الثانى وجد موريلو (Inf. XXIV. 142) وجد فرنثيسكيينو الذى زاره دانتي فى لونيديجانا فى ١٣٠٦
- (٩١) يعنى أنه بذل من أجل أسرته كل جهد وحب حتى لم تبق له فرصة للندم على خطاياها إلا فى آخر لحظة
- (٩٢) أى إلى وادى ماجرا
- (٩٣) هكذا يشيد دانتي بشهرة البلاد التى سكنها آل مالاسپينا
- (٩٤) بلغت شهرة آل مالاسپينا أنحاء أوروبا وتغنى بكرمهم وفضلهم شعراء التروبادور
- (٩٥) ربما يريد دانتي أنه لم يذهب إلى هذه البلاد ولكن هذا يخالف الواقع لأن دانتي زار فرنثيسكيينو فى ١٣٠٦ كما سبق .
- (٩٦) يقصد دانتي الفردوس الأرضى .
- (٩٧) يعنى أن شعب مالاسپينا لا يزال يتميز بالكرم والشجاعة وهما من صفات الفروسية التى تغنى بها شعراء التروبادور
- (٩٨) يؤكد دانتي صفات مالاسپينا وتقاليد الطيبة الثابتة
- (٩٩) يقصد دانتي بقوله الرأس الحبيث بونيفاتشو الثامن أو الأمبراطور الذى لا يؤدى واجبه .
- (١٠٠) أى أن آل مالاسپينا ظلوا وحدهم سائرين فى الطريق المستقيم على رغم الفساد السائد وهذا دليل على صلابتهم ومثابرة خلقهم .
- (١٠١) يعنى أن الشمس لن ترجع سبع مرات إلى برج الحمل التى هى فيه الآن والمقصود أنه لن تمضى سبع سنوات (من ربيع ١٣٠٠ - الوقت الذى جعله دانتي لهذا الموضع عن رحلته - حتى أكتوبر ١٣٠٦ حينما زار وادى ماجرا فى إقليم لونيديجانا) حتى يدرك دانتي صفات آل مالاسپينا ، وهكذا يتنبأ كورادو بنى دانتي .
- (١٠٢) استخدم دانتي لفظ (التثبيت أو الدق) ولفظ (المسامير) للتعبير عن تثبيت الفكرة فى الرأس
- (١٠٣) أى إذا لم يغير الله حكمه وقدره على دانتي بالننى من فلورنسا

الأنشودة التاسعة^(١)

كانت الشمس قد غربت وتقدّم الليل حتى أخذ برج العقرب يعبر الأفق ، وكان دانتى قد غلبه النعاس وقبيل الصباح – حينما يكاد عقل الإنسان يصبح إلهياً في رؤياه – بدا لدانتى في الحلم أنه رأى نسرأ يهبط من السماء كبرق خاطف وانتزعه إلى أعلى حتى منطقة من النيران ، فانقطع نومه وقد ساده الفزع وأخذ فرجيليو يطمثنه وأخبره أنه بلغ الآن المطهر وقال إن لوتشيا جاءت من السماء فحملته إلى أعلى وصعد هو في إثرها ، وأرت فرجيليو باب المطهر ، فاستعاد دانتى ثقته بنفسه وصعد خلف فرجيليو . ويخاطب دانتى القارئ ويذكر كيف أنه يعمل على السموّ بموضوعه وتدعيمه بفضن أعظم اقترب الشعاعان من باب المطهر ورأى ثلاث درجات وشهد ملاكاً حارساً شعّ منه نور ساطع حتى لم يقو على النظر إليه وسألها الملاك عن حالهما وخذّرها من الصعود مزيداً ، ولكن لما أفاده فرجيليو أن لوتشيا هي التي سهلت لهما سبيل الصعود رحّب بهما ودعاهما إلى المدخل صعد دانتى على درجات السلم التي ترمز أولها لصفاء النفس وترمز الثانية للاعتراف بالخطايا وترمز الثالثة للحب الذي يطهر القلب وسأل دانتى الملاك أن يفتح لهما الباب فرسم على جبينه سبع (خاءات) رمز الخطايا ، وفتح باب المطهر بمفتاحين أحدهما من الذهب والآخر من الفضة ، وخذّرها من النظر إلى الخلف حتى لا يعودا إلى الخطايا . وأحدث فتح باب المطهر دويأ هائلا فاق الدويّ الذي حدث عند استيلاء قيصر على الخزينة المحفوظة في صحرة تارپيا . وسمع دانتى داخل الباب نشيداً يرتل على أنغام الموسيقى العذبة ، وفهم بعض كلماته بدون أن يفهمه كله .

- ١ كانت حظيَّة (٢) تيتونوس العتيق (٣) - قد أصابها شحوب اللون (٤) - في شُرْفَة المشرق (٥) ، وهي بعيدةٌ عن ذراعى عاشقها الوهّان (٦) ؛
- ٤ وأضواء جبيها بأزاهير (٧) نُظمت بهيئة الحشرة ذات الجسم البارد ، التي تلدغ بذنّبها الناس (٨) ؛
- ٧ وفي الموضع الذى كنا فيه ، كان الليل قد سار خطوتين صُعُداً ، وخفض إلى أسفل جناحيّ خطوته الثالثة (٩) ؛ -
- ١٠ حينما انثنتُ فوق العشب - وقد غلبى النعاس - أنا الذى حملتُ من آدم بعض طبعه (١٠) - إذ كنا جلوساً نحن الخمسة (١١).
- ١٣ وفي الساعة التى يبدأ فيها الحَطّاف شدوه الحزين قبيل الصباح (١٢) - ربما لذكرى كوارثه القديمة (١٣) -
- ١٦ وعندما يكاد عقلنا يصبح إلهياً في رؤياه (١٤) - وقد زاد عن الجسد بعده وقل تقيده بالأفكار (١٥) -
- ١٩ بدا لى في الحلم أنى أرى نسرأ (١٦) معلقاً في السماء برياشٍ من ذهب ، وذا جناحين مفتوحتين ويوشك أن يهبط ؛
- ٢٢ وترأى لى أنى كنتُ حيث (١٧) تخلى جانيميد عن قومه (١٨) ، حينما رُفِع إلى الجمع الأعلى (١٩).
- ٢٥ وقلت لنفسى « ربما اعتاد الصيد هنا فحسب ، وربما يأنف أن يحمل بمخالبه - من غير هذا المكان - فريسةً إلى أعلى (٢٠) » .
- ٢٨ ثم بدا لى أنه قد دار قليلاً ثم هبط كالبرق رهيباً (٢١) ، واختطفنى صاعداً بى حتى منطقة من النار (٢٢).
- ٣١ وهناك ترأى لى كأن كلينا قد احترق ، وشوانى الحريق الذى تخيلته ، حتى لم يكن بدٌ من أن ينقطع نومي (٢٣).
- ٣٤ على غير هذا النحو لم يفزع أخيل - وقد دار فيما حوالبه بعينين يقظانيتين بدون أن يدري إلى أى موضع صار (٢٤) -
- ٣٧ حينما حملته أمه بين ذراعها وهو نائمٌ - من كيرون إلى أسكيروس (٢٥) - حيث ارتحل به الإغريق بعدُ (٢٦) -

- ٤٠ وكما فزعتُ عندما طار النوم من عيبي^(٢٧) ، وصرتُ شاحب اللون ، كالرجل الذى يتجمد من الرعب^(٢٨) .
- ٤٣ وللى جانبي كان أنيسى وحده^(٢٩) ، وبلغ ارتفاع الشمس إذ ذاك أكثر من مسيرة ساعتين^(٣٠) ، واتجهتُ بعيبى صوب البحر
- ٤٦ وقال سيدتى « لا يأخذنك الخوف ، ولتكن مطمئن القلب ، إذ أنا موفّقان فى المسير ؛ فلا تتخاذل ، وعليك بشحد كل قواك^(٣١) .
- ٤٩ لقد بلغتَ المطهر الآن وهاك الإفريز الذى يُغلّقه فى كل جانب ؛ وانظر المدخل الذى يبدو مشطوراً هناك^(٣٢) .
- ٥٢ منذ وقتٍ غير بعيد ، وفى الفجر الذى يمهد للنهار ، حينما نال الوسن من روحك - فوق الأزهار التى يزّين بها ذلك المكان هناك فى أسفل^(٣٣) -
- ٥٥ أقبلتُ سيدةٌ وقالت لى « إننى لوتشيا^(٣٤) : ولتدعى آخذ هذا الوسنان ، وسأيسر له طريق الصعود »
- ٥٨ وتخلّف عنا سورديلو وسائر الأشباح النبيلة ثم حملتك لوتشيا ؛ وحينما وضع النهار مضتُ إلى العلياء^(٣٥) ، وسرتُ فى إثرها
- ٦١ وهنا وضعتك ، ولكنها أرتنى أولاً بعينها الجميلتين^(٣٦) ذلك المدخل المفتوح^(٣٧) ، ثم ذهبتُ هى وذهب نومك معها^(٣٨) .
- ٦٤ وكمن ينتقل من الشك إلى اليقين ، ويتحوّل خوفه إلى طمأنينة حينما تنكشف له الحقيقة^(٣٩) -
- ٦٧ هكذا بدلتُ حالى ؛ ولما رآنى دليلى مطمئن البال ، تحرك فوق عير الإفريز^(٤٠) ، وسرتُ من ورائه صوب المرتفع .
- ٧٠ وإنك لترى جلياً - أيها القارئ - كيف أعمل على السمو بموضوعى ، ولذا فلا تعجب إذا أنا دعمته بأسمى سبحات الفن^(٤١) .
- ٧٣ ثم اقتربنا^(٤٢) ، وأصبحنا فى الموضع الذى بدا لى من قبل مشطوراً^(٤٣) ، بهيئة فُرجة تشق حائطاً ؛
- ٧٦ ورأيتُ باباً^(٤٤) ، ومن تحته ثلاث درجات تؤدّى إليه - ذات ألوانٍ مختلفة - وشهدتُ حارساً^(٤٥) لم ينطق بعدُ بكلمة^(٤٦)



٦ - نسر يحمل دانتى صاعداً به خلال منطقة من النيران

أنشودة ٩ ٢٨ - ٣٠

- ٧٩ وعندما فتحتُ عينيَّ أكثر فأكثر ، رأيته يجلس على الدرجة العليا ، وكان ذا وجه لم أقو على النظر إليه^(٤٧) ؛
- ٨٢ وأمسك بيده سيفاً عارياً^(٤٨) ، عكس بشدة نحونا أشعة أنواره ، حتى كان اتجاه نظراتي إليه مرّات عديدة أمراً غير ذى جدوى^(٤٩) .
- ٨٥ وشرع يقول « خبراني حيث أنما ماذا تبغيان ؟ وأين دليلكما^(٥٠) ؟ خذا حينركما حتى لا يسوءكما المحبىء فوق^(٥١) » .
- ٨٨ فأجابه أستاذي « إن سيدةً من السماء عليمة بهذه الأشياء^(٥٢) قالت لنا الآن "فلتذهبا هناك فهناك المدخل" »
- ٩١ فاستأنف الحارس اللطيف كلامه « عساها تُسارع بخطا كما إلى طريق الخير^(٥٣) ، ولذا فلتأتيا صُعداً إلى درجاتنا^(٥٤) » .
- ٩٤ فذهبنا إلى هناك ، وكانت درجة السلم الأولى مصوغة من مرمر أبيض أملس شديد اللمعان ، حتى انعكست عليه صورتي كما أبدو^(٥٥) .
- ٩٧ وكانت الدرجة الثانية سوداء^(٥٦) أكثر منها داكنة محمّرة ومصنوعة من صخرة خشنة ذات حجب ، مشقوقة طولاً وعرضاً^(٥٧) .
- ١٠٠ والدرجة الثالثة التي ارتكزت فوقهما ، بدت لي ذات حمرة نارية مشتعلة ، كدم ينبثق من شريان^(٥٨) .
- ١٠٣ وعلى هذه الدرجة وضع ملاك الله كلتا قدميه ، وجلس على العتبة التي بدت لي كصخرة من الماس^(٥٩) .
- ١٠٦ وجذبني دليلي على الدرجات الثلاث ، وأنا جد راغب في ذلك ، وقال لي « سلّه متضعاً^(٦٠) أن يفتح لنا الباب^(٦١) » .
- ١٠٩ فألقيتُ بنفسى خاشعاً عند قدميه المقدستين وسألته أن يفتح الباب رحمة بي^(٦٢) ، ولكنني ضربتُ صدري أولاً ثلاث مرات^(٦٣) .
- ١١٢ فرسم على جبيني بطرف حسامه^(٦٤) سبع خاءات^(٦٥) ، وقال « إحرص على أن تزيل عنك هذه الندوب حينما تصبح بالداخل^(٦٦) » .
- ١١٥ كان لون الرماد أو الأرض التي تحرث وهي جافة في لون ثيابه^(٦٧) ؛ ومن تحتها سحب مفتاحين إلى الخارج^(٦٨) .

- ١١٨ ومن الذهب^(٦٩) كان أحدهما مصوغاً ، ومن الفضة صبيغ الآخر^(٧٠) :
وبالأبيض عالج الباب أولاً^(٧١) ، ثم بالأصفر^(٧٢) ، حتى صرت راضياً^(٧٣) .
- ١٢١ وقال لنا « كلما يعجز أحد هذين المفتاحين عن الدوران في القفل - لا يفتح هذا الطريق^(٧٤) .
- ١٢٤ إن أحدهما أغلى ثمناً^(٧٥) ؛ ولكن الآخر يقتضى فناً وهدناً أكثر قبل أن يفتح الباب^(٧٦) - لأنه هو الذى يحلّ العقدة
- ١٢٧ لقد أخذتهما من بطرس^(٧٧) ؛ وأخبرنى أنه أولى بى أن أخطىء فى فتحه من أن أبقيه موصداً^(٧٨) ، حين يرتمى عند قدمى الناس «
- ١٣٠ ثم دفع مدخل الباب المقدّس قائلاً « ألا فلست تدخلوا ولكنى أعرّفكما بأن من ينظر منكما إلى الخلف يرتدّ إلى الخارج^(٧٩) »
- ١٣٣ وحينما دار على رزاتهما مصراعاً الباب المقدّس - المصنوعان من متين المعدن الرّنان^(٨٠) -
- ١٣٦ لم تُدوّ صخرة تارپيا هكذا^(٨١) ، ولم تبدُ مستعصية على هذا النحو ، حينما انتزع منها ميتلوس الطيب^(٨٢) ، تاركاً إياها خاوية من بعده
- ١٣٩ واتجهتُ مصغياً إلى رنين الصوت الأول^(٨٣) ، وبدأ لى أنى أسمع "اللهم لك الحمد"^(٨٤) ، فى ثنايا أصوات ممتزجة بلحن عذب^(٨٥) .
- ١٤٢ ولقد زودنى ما سمعته بصورة صادقة لما اعتاد أن يبلغ الأسماع ، حينما يقف الناس للإنشاد على أنغام الأرغن^(٨٦) ؛
- ١٤٥ فتارة تُفهم كلماتهم ، وطوراً لا تُفهم^(٨٧) .

حواشي الأنشودة التاسعة

- (١) هذه أنشودة لوتشيا أو أنشودة الملك الحارس . وتعد أنشودة انتقال من مدخل المطهر إلى المطهر ذاته .
- (٢) يقصد بالحظية زوجة تيتونوس .
- (٣) تيتونوس (Tithonus) هو ابن لاوميدون وأخو پرياموس الذى أحبته أوروبا فاختطفته وحملته إلى إثيوبيا ، حيث تزوجته ونالت له الخلود من زيوس ولكنها نسيت أن تطلب له الشباب الدائم ، كما ورد في الميتولوجيا اليونانية الرومانية . والمقصود بهذا التعبير طلوع الفجر
- (٤) يعنى لاحت تباشير الفجر
- (٥) يقصد شرق إيطاليا والأفق الشرقى .
- (٦) وردت هذه الصورة في « الأنبياءة »
- Virg. Æn. IV. 585; IX. 460.
- (٧) أى أن جين أوروبا كان مرصعاً بالنجوم التى تصنع برج الحوت ، وتشاهد هذه النجوم في إيطاليا في الاعتدال الربيعي قبل ظهور الشمس ناحية الشرق .
- (٨) الحيوان أو الحشرة الباردة يعنى العقرب والمقصود برج العقرب . وأورد أوفيدوس وفرجيليو هذا المعنى فيما يخص زباني العقرب وما يخص تحديد الزمن
- Ov. Met. XV. 371.
- Virg. Georg. I. 34-35.
- ويوجد حفر يمثل برج العقرب من القرن ١٤ في كنيسة سان ماركو في البندقية
- (٩) ويرى بعض الشراح أن دانتى يعنى بهذا أن الساعة قد اقتربت من الثالثة صباحاً في المطهر ، حيث اقتربت من الثالثة بعد الظهر في أورشليم . وهكذا يمزج دانتى في هذه الأبيات بين الميتولوجيا والفلك ، مما أثار كثيراً من الجدل . ويشبه هذا التعبير ما أورده فرجيليو :
- Virg. Æn. VIII. 369.
- (١٠) يعنى أن دانتى كان بجسده الحى حين شعر بسلطان النوم
- (١١) أى جلس دانتى وفرجيليو وسورديلو ونينو وكورادو
- (١٢) يعنى قبل ظهور الشمس عند ما ترسل الخطاف ألقانه الحزينة . ويشبه هذا ما أورده فرجيليو :
- Virg. Aen. VIII. 456.
- (١٣) هذه إشارة إلى أسطورة فيلوميللا التى تحولت إلى خطاف بعد أن اعتدى عليها تريبوس ملك أثينا زوج أختها پروكني
- Ov. Met. VI 412. 674
- (١٤) أى تصبح للعقل قدرة إلهية على رؤية المستقبل .
- (١٥) يشير هذا المعنى إلى شيء مما أورده توماس الأكويني :
- d'Aq. Sum. Theol. II. II. XCV. 6.
- (١٦) يرمز النسر إلى لوتشيا رمز النعمة الإلهية
- (١٧) يعنى فوق جبل إيدا في فريجيا في آسيا الصغرى وهو غير جبل إيدا في جزيرة كريت

(١٨) جانيميد (Ganymede) ابن ملك إيلوم خطفه نسر بأمر زيوس كما ورد في الميتولوجيا اليونانية الرومانية
Hom. Ill. XX. 234-235.

Virg. Æn. V. 252-257.

Ov. Met. X. 155...

(١٩) أى إلى مجمع الملائكة أو مقر الآلهة .

(٢٠) يعنى أن هذا النسر ربما لا يعنى صيدا في غير جبل إيدا المذكور

(٢١) يشبه هذا المعنى ما ورد في « الإنيادة » و « الكتاب المقدس »
Virg. Æn. XII. 247-250.

Luca, X. 18.

(٢٢) يقصد منطقة النار التي تحيط بالأرض وتقع تحت سماء القمر في اعتقاد أهل العصر

Par I. 33. .

(٢٣) أفاق دانتي عن نومه حينما أحس في الحلم أن النار قد أحرقتة

(٢٤) هذا تصوير دقيق لمن يستيقظ من النوم وقد أخذه الفزع .

(٢٥) أخذت ثيتيس (Thetis) إبنها أخيل (Achilles) من القنطروس كيرون (Chiron) حتى

لا يشترك في حرب طروادة وحملته إلى جزيرة أسكيروس (Schyros) في بحر إيجه وألبسته ملابس النساء ، كما ورد في الميتولوجيا اليونانية الرومانية وتكرر الإشارة إلى هذه الأسطورة في الكوميديا
Stat. Achill. I. 247-250.

Virg. Æn. I. 30; ecc...

Inf. V. 65-66; XII. 71; XXVI. 61-62; Purg. XXI. 92.

(٢٦) أى أن أوليسيس وديوميديد كشفوا أمر أخيل المتنكر وأخذاه إلى حرب طروادة .

(٢٧) فزع دانتي لأنه أدرك أن شيئاً هاماً حدث في أثناء نومه

(٢٨) هذا تصوير لمن تبرد أطرافه من الرعب ويشبه ذلك ما أورده فرجيليو واستاتيوس :

Virg. Æn. III. 259...

Stat. Theb. X. 616. . .

Purg. III. 22; XX. 40.

(٢٩) يقصد فرجيليو . ويتكرر هذا التعبير

(٣٠) يعنى صارت الساعة حوالى الثامنة صباحاً من يوم ١١ أبريل ١٣٠٠ ويكون دانتي قد نام ما يقرب من ١٢ ساعة .

(٣١) يحفز فرجيليو دانتي على أن يشخذ قواه المعنوية

(٣٢) بلغ الشاعران باب المطهر .

(٣٣) أى في وادى الأمراء السابق الذكر

(٣٤) لوتشيا (Lucia) رمز النعمة أو الرحمة الإلهية التي بدت نساً في حلم دانتي . وسبق ذكرها في الجحيم
Inf. II. 97

(٣٥) هذا لأنه لا يمكن الصعود في المطهر ليلا كما سبق
Purg. VII. 44. .

(٣٦) أى قبل أن تصعد لوتشيا إلى السماء أشارت بعينها لفرجيليو إلى باب المطهر

- (٣٧) يعنى المدخل الذى يمكن فتحه وسيجده الشاعران مغلقاً بعد قليل .
- (٣٨) أى ذهبت لوتشيا واستيقظ دانتى . ويشبه هذا التعبير ما أورده فرجيليو
- Virg. Æn. VIII. 67.
- (٣٩) هذا تصوير لمن تزول مخاوفه عندما يعرف الحقيقة
- (٤٠) كانت لوتشيا قد وضعت دانتى على إفريز قريب من مدخل المطهر
- (٤١) يخاطب دانتى القارىء فى مناسبات مختلفة - كما رأينا - ليغير من أسلوبه أو ليلفت النظر إلى ما يتناوله ، وهو يخاطب القارىء هنا لكى ينبهه إلى أنه يسمو بموضوعه وفنه
- (٤٢) يعنى اقتربا من باب المطهر
- (٤٣) أى لم يكونا قد اقتربا بدرجة تكفى للرؤية تماماً
- (٤٤) هناك مقابلة بين باب المطهر وباب الجحيم ، فالأول طريق الخلاص والثانى طريق العذاب .
- (٤٥) هذا هو الملاك الحارس لباب المطهر ، ويرى بعض الشراح أنه رمز للقسيس الذى هو - عند المسيحيين - وسيلة إلى الغفران والتطهر
- (٤٦) يعنى أنه كالقسيس لا يتكلم إلا إذا وجه إليه أحد الكلام .
- (٤٧) يشير هذا المعنى إلى ما ورد فى « الكتاب المقدس » :
- Dan. X. 6.
- (٤٨) يرمز السيف فى الغالب إلى العدالة الإلهية
- (٤٩) لم يقو دانتى على النظر إلى الملاك لشدة الضياء . وهناك بعض الشبه بين بريق السيف وما ورد فى « الكتاب المقدس » :
- Gen. III. 24.
- (٥٠) يستفسر الملاك الحارس عن كيفية قدوم الشاعرين إلى هذا المكان
- (٥١) يحرص الملاك على ألا يؤذيها الصعود إلى المطهر لأنه ليس فى مقدور كل الناس أن يفعلوا ذلك .
- (٥٢) أى لوتشيا
- (٥٣) عند ما سمع الملاك اسم لوتشيا تمنى لهما الخير
- (٥٤) هكذا يرحب الملاك بالشاعرين
- (٥٥) درجة السلم الأولى ملساء ناصعة كمرآة وهى رمز لصفاء القلب ونقاؤه
- (٥٦) درجة السلم الثانية سوداء خشنة وهذه رمز للاعتراف بالخطايا
- (٥٧) يريد دانتى أن يقول إن الاعتراف بالخطيئة يشق الصخر طويلاً وعرضاً
- (٥٨) درجة السلم الثالثة الحمراء اللون رمز للحب الذى يطهر قلوب الآثمين بالندم والتوبة
- (٥٩) الماس الذى يمتاز بالصلابة رمز لتصميم القسيس على سماع اعتراف الآثم ، ويشبه التعبير بالماس ما ورد فى « الكتاب المقدس »
- Ezech. III. 9.
- (٦٠) التواضع من أسس التوبة
- (٦١) يعنى يطلب الغفران حتى يدخل المطهر وفى الأصل يفتح (القفل) .
- (٦٢) الرحمة هى الوسيلة إلى فتح باب المطهر
- (٦٣) أى قبل أن يسأله أن يفتح الباب ضرب صدره ثلاث مرات ، وهذا رمز للتوبة عن الخطايا التى ارتكبت سواء أكان ذلك بالرغبة أم الكلام أم الفعل .
- (٦٤) رسم الملاك على جبين دانتى بحد السيف سبع خاءات رمز الخطايا السبع .
- ويشبه هذا مع ما ورد فى تراث الإسلام ، من خروج أهل التوحيد من النار إلى عين بين

الجنة والصراط يقال ها هر الحياة، فيرش عليهم من ماها ويدخلون الجنة فيكتب في جباههم عقاء الله من النار ، فيطلبون من الله أن يمحو من جباههم ذلك الاسم فيبعث الله ملكاً فيمحوه من جباههم:

الشعراني مختصر تذكرة القرطبي (السابق الذكر) ص ٨١

(٦٥) في الأصل سبع باءات والباء أول حرف في لفظ الخطيئة بالإيطالية (peccato)

(٦٦) يعنى لا بد من أن يتطهر دانتى من الخطايا بالتدريج حتى يصبح جديراً بالصعود أعلى ، وورد لفظ الحرح بمعنى الخطيئة في «الكتاب المقدس»

Salm. XXXVIII. Isaia, I. 6.

(٦٧) لون الرماد أو الأرض الجافة رمز للتواضع

(٦٨) مفتاحا السماء رمز لسلطة القساوسة وعلمهم ، وورد هذا التعبير في الكتاب المقدس . وسبقت الإشارة إلى ذلك

Matt. XVI. 19.

Inf. XXVII. 104.

(٦٩) المفتاح المصنوع من الذهب رمز لسلطة القسيس في أداء واجبه اللدبى .

(٧٠) المفتاح المصنوع من الفضة رمز لعلم القسيس ومعرفته، وتكلم توماس الأكوينى عن مفتاحى ملكوت السماوات

d'Aq. Sum. Theol. III. Suppl. XVII. 3.

(٧١) أى عالج الباب بعلمه أولاً

(٧٢) ثم عالج الباب بسلطته .

(٧٣) يعنى أنه فتح باب المطهر

(٧٤) أى أنه إذا أعوز القسيس السلطة الدينية والعلم فلا يفتح باب المطهر ولا يكون هناك سبيل إلى الغفران

(٧٥) المفتاح الذهبى أغلى ثمناً لأنه رمز للسلطة الدينية التى يمارسها القسيس .

(٧٦) يحتاج المفتاح الفضى - رمز علم القسيس - إلى مهارة وحذق قبل أن يفتح باب المطهر ليتخلص الآثم من آثامه .

(٧٧) أخذ الملاك المفتاحين من القديس بطرس الذى أخذهما بدوره من السيد المسيح ، وورد هذا في «الكتاب المقدس» وسبقت الإشارة إليه في الجحيم

Matt. XVI. 19.

Inf. XIX. 92.

(٧٨) يعنى أنه أجدر به أن يعمل على تخليص الناس من آثامهم ولا بأس بأن يخطئ قبل أن يتم له فتح باب المطهر ، لأنه لا يجوز أن يدع باب الغفران مغلقاً

(٧٩) يحذرهما الملاك من النظر إلى الخلف الذى يمثل العودة إلى الخطايا ، ويشبه هذا المعنى ما ورد في «الكتاب المقدس»

Matt. XII. 43... Luca, IX. 62.

(٨٠) أى حينما دار صفقا الباب على محوريهما

(٨١) تل تارپيا (Tarpeia) فى الكامپيدوليو وكان يوضع به خزينة روما فى معبد ساتورن .

(٨٢) عهدت روما إلى ميتلوس (Metellus) من أتباع پومپى بحراسة الخزينة، وقاوم ميتلوس رغبة يوليوس قيصر فى الاستيلاء على الخزينة ، ولكن لم تفلح المقاومة واستولى قيصر عليها والمقصود

أن فتح باب المطهر أحدث دويًا هائلًا فاق ما حدث عند الاستيلاء على خزينة روما وتكلم
لوكانوس عن ذلك
Luc. Phars. III. 153. .

- (٨٣) يعنى الصوت الذى سمعه دانتي عند فتح باب المطهر
- (٨٤) سمع دانتي من الداخل هذا النشيد الدينى ، نشيد القديس أمبروز الذى وضعه بمناسبة تنصير القديس أوغسطين ، وربما كان المقصود به إعلان الابتهاج بقدم إحدى الأرواح إلى التطهر والغفران وسيسمع دانتي هذا النشيد فى الفردوس:
Par. XXIV. 113...
- (٨٥) سمع دانتي الإنشاد ممتزجاً باللحن الموسيقى العذب
- (٨٦) وازن دانتي بين ما سمعه وبين ما يسمع عند الإصغاء إلى الترتيل المصحوب بعزف الأرغن .
ويوجد رسم للأرغن من عمل أندريا دى بونايتوتو المعروف بأندريا دا فيرنزه من القرن ١٤ ، أى الأقرب إلى زمن دانتي ، فى كنيسة سانتا ماريا نوڤلا فى فلورنسا ،
- (٨٧) أى تسمع الألفاظ واضحة أحياناً وتختلط بالألحان فلا تبين أحياناً أخرى وهذا هو دانتي الفنان الموسيقى المرهف السمع والحس .

الأنشودة العاشرة^(١)

سمع دانتى صوتاً يصدر عن إغلاق باب المطهر ولكنه لم ينظر خلفه ، وصعد الشاعران خلال طريق ضيق منعرج محفور داخل الصخر ، وكانت الساعة قد تجاوزت التاسعة والنصف صباحاً ، وخرجوا إلى الإفريز الأول إفريز المتكبرين ، وجال دانتى بعينه يمنة ويسرة فرأى حائطاً من المرمر الأبيض تزينه مشاهد من الحفر البارز ، كان أولها يمثل هبوط جبريل مبشراً ماريًا بميلاد السيد المسيح ، وظهرت فيه ماريًا كأنها تقول بتواضع أنها أمة الرب ورأى دانتى مشهداً ثانياً يصور الاحتفال بنقل التابوت المقدس إلى أورشليم ، ويسبقه داود الملك وهو يرقص ابتهاجاً ، وتُرى ميكال وهي تنظر من نافذة قصرها وقد سادها الازدراء والحزن ، ورأى دانتى المشهد الثالث الذى يصور قصة الأمبراطور تراجان والأرملة التى فقدت ابنها فجاءت تطلب الانتقام لمقتله ، فأراد إرجاء النظر فى أمرها ، ولكنها قالت له ماذا يكون له فى خير يفعله غيره إذا أهمل هو ما يخصه ، فتأثر الأمبراطور وقام بواجبه الذى اقتضته العدالة والرحمة ولفت فرجيليو نظر دانتى إلى حشد يسير بخطى قصيرة بطيئة ، فزاغ بصر دانتى عند النظر إليهم ، واستفسر عن حالهم ، وكان هؤلاء هم جماعة المتغطرسين النادمين التائبين وندد دانتى بكبريائهم ولا مهم على التحليق بعقولهم عالياً ، وقال إن البشر كالديدان التى لم يكتمل نموها . ورأى دانتى هؤلاء يسيرون وقد ناءت ظهورهم بما حملوه من الأحجار الثقيلة ، بهيئة التماثيل الزخرفية التى تستخدم لتدعيم الشرفات أو الأسقف ، وتبلغ ركبتا التمثال منها موضع صدره ، بحيث يبعث وضعه الأسى فى عيني رائييه ، وبدا أكثر المتطهرين صبراً يقول إنه لا يستطيع الاحتمال مزيداً

- ١ حينما أصبحنا بداخل عتبة الباب^(٢) الذي لا تأوى إليه المحبة الصادرة عن الأرواح الحبيثة^(٣) - إذ تجعل طريق الضلال يبدو مستقيماً^(٤) -
- ٤ أدركتُ من صرير الباب أنه قد أعيد إغلاقه ولو كنت قد اتجهت بعيني إليه ، فأى عذر كان من شأنه أن يناسب خطئي^(٥) ؟
- ٧ وأخذنا نصعد خلال صخرة منفرجة كانت تميل بنا من جانب لآخر^(٦) ، كالموجة التي تمتد وتنحسر^(٧)
- ١٠ وبدأ دليلي « علينا أن نستعين هنا بشيء من الحذر في التزام الجانب الذي يميل هنا تارة وطوراً هناك^(٨) »
- ١٣ وحملنا ذلك على إبطاء مسيرنا^(٩) ، حتى إن القمر الهابط كان قد بلغ مثواه طلباً للراحة^(١٠) ،
- ١٦ قبل أن نخرج من سمّ الحياط^(١١) : ولكن عندما أصبحنا حُرَّين طليقين فوق الجانب الذي ينحسر فيه الجبل إلى الخلف^(١٢) -
- ١٩ وكان قد نالني التعب وصرنا كلانا غير واثقين من طريقنا - عندئذ وقفنا على سطح أشدّ عزلة من الدروب في الصحارى^(١٣) .
- ٢٢ ومن طرفه الذي يُشارف الفضاء - إلى سفح الجبل العالى الذى يمضى صُعُداً - امتدّت مساحةٌ يعادل طولها ثلاثة أضعافٍ من قامة إنسان^(١٤) ؛
- ٢٥ وإلى أبعد ما استطاعت عيني أن تبلغ بجناحيها ، إلى اليسار تارة وإلى اليمين طوراً ، بدا لي هذا الإفريز بمثل ذلك الاتساع^(١٥) .
- ٢٨ ولم تكن أقدامنا قد تحرّكت بعدُ هناك في أعلى ، حينما عرفتُ أن ذلك الشاطئ الصخري الذى أعوزته سبُل الصعود^(١٦) -
- ٣١ كان مصنوعاً من مرمر أبيض ومزّيناً بحفر بديع^(١٧) ، حتى لم يكن ليخجل منه بوليكييتوس وحده^(١٨) ، بل الطبيعة كذلك^(١٩)
- ٣٤ وإن الملاك الذى جاء إلى الأرض بقرار السلام^(٢٠) ، وبكاه الناس سنواتٍ عديدة والذى فتح السماء بعد إغلاقها الطويل^(٢١) -
- ٣٧ ظهر أمامنا هناك محفوراً ببراعة فائقة وفي وضعٍ لطيف ، حتى لم يبدو لنا صورة خرساء^(٢٢) .

- ٤٠ ويمكنني أن أقسم بأنه قال "السلام لك!" (٣٢)؛ إذ كانت مصورة هناك تلك التي أدارت المفتاح لكي تفتح باب المحبة السامية (٢٤)؛
- ٤٣ وعلى وجهها ارتسمت هذه الكلمات "انظروا أمة الرب" - كما تُطبع الصورة واضحة على صفحة الشمع (٢٥).
- ٤٦ « لا يسترعين انتباهك موضعٌ واحدٌ فحسب (٢٦) » ، هكذا تكلم معلمى الحبيب ، وقد وقفتُ منه إلى الجانب الذى يضم قلوب الناس (٢٧).
- ٤٩ وبذلك لفتُ وجهى ورأيتُ - خلف ماريا فى ذاك الجانب الذى وقف فيه مَنْ كان يحدونى إلى ذلك (٢٨) -
- ٥٢ رأيتُ قصةً أخرى محفورةً على الصخر ، ولذا تجاوزتُ موضع فرجيليو واقتربتُ منها حتى تتضح معالمها لعيى (٢٩).
- ٥٥ وكان محفوراً هناك فى المرمر ذاته ، العربةُ والثيرانُ وهى تجرّ التابوت المقدس (٣٠) ، الذى يُشير فى الإنسان الخوفَ من مهمة لم يُعهد بها إليه (٣١).
- ٥٨ وإلى الأمام بدا قومٌ ، وقسموا سبع جوقات (٣٢) ، وجعلوا جميعهم إحدى حاستين من حواسى (٣٣) تقول « لا . . . » (٣٤) ، والأخرى تقول « نعم ، لأنهم يرتلون (٣٥) »
- ٦١ فبشأن دخان السنّا الذى كان مرسوماً هناك (٣٦) - على ذلك النحو اختلفت العينان والأنف فى قول لا ونعم (٣٧).
- ٦٤ وفى مقدمة التابوت المبارك (٣٨) ، وسار هناك الزبورى المتواضع (٣٩) ، وأخذ يرقص مشمراً (٤٠)؛ وكان على تلك الحال أكثر وأقلّ من ملك (٤١).
- ٦٧ وقبلته (٤٢) حفرتُ صورة ميكال (٤٣) عند نافذة قصر منيف (٤٤) ، وكانت تتأمل كسيدة سادها الحزن والإزدراء (٤٥).
- ٧٠ وخطوتُ من الموضع الذى كنت فيه واقفاً ، لكن أرى عن كُتب قصةً أخرى مرسومة (٤٦) ، شعثُ أمامى ببياضها (٤٧) من وراء ميكال
- ٧٣ فهناك سجلتُ قصة الحجد الرفيع للأمير الرومانى (٤٨) ، الذى حملتُ فضائله جريجوريو على إحراز نصره الكبير (٤٩)

- ٧٦ إننى أتكلم عن الأمبراطور تراجان^(٥٠) ، ولقد مَشَّطَتْ عند عِنانِ جواده ،
أرملةٌ مسكينةٌ ، مَلَكَهَا الحزن وسكبتِ الدمعِ الهتون^(٥١) .
- ٧٩ وحواليه ظهر حشدٌ من الفرسان كثيفٌ ، وبدتْ فوق رؤوسهم نِشور
الذهب ترفرف مع الريح^(٥٢) .
- ٨٢ ومن بين هؤلاء جميعاً^(٥٣) بدتِ البئيسة تقول « إننتقم - يا مولاي - لمقتل
بُنَى الصريع ، فقلبي من أجله مطعون^(٥٤) »
- ٨٥ وبدا أنه يجيبها « عليكِ الآن بالانتظار حتى أعود » فقالت كمن ألهبها
الأم « وإذا لم تُعدْ يا مولاي ؟ »
- ٨٨ فقال « سيؤدِّي لك ذلك مَنْ يحلّ مكانى » فقالت « وماذا يكون لك
في خيرٍ يفعله غيرك ، إذا وضعتَ ما يخصّك منه موضع النسيان^(٥٥) ؟ »
- ٩١ فقال عندئذ « هدئي الآن من روعك ؛ إذْ ينبغي علىّ أن أقوم بواجبي
قبل أن أرحل فإن العدالة تتطلبه^(٥٦) والرحمة توقفني^(٥٧) »
- ٩٤ إن ذلك الذى لم يشهد أبداً شيئاً غريباً عليه^(٥٨) ، صنع هذا الكلام المنظور^(٥٩)
- الغريب علينا^(٦٠) - إذْ ليس له هنا وجود^(٦١) .
- ٩٧ وبينما كنت أمتع نفسي بالتأمل فيما بدا لمثل هذا التواضع من الصور^(٦٢)
التي تعتر النفس برؤياها - بفضل كمال صانعها^(٦٣) -
- ١٠٠ همس لى الشاعر « هاك في هذا الجانب^(٦٤) جمعاً كبيراً^(٦٥) ، ولكنهم
يسرون بخطى بطاء وسيقودنا هؤلاء إلى ما يتلو من الدرجات^(٦٦) »
- ١٠٣ وعيناي اللتان رضيتا بالتأمل ، لكى تريا ما شغفهما من المشاهد الجديدة^(٦٧) -
لم تتوانيا في الاتجاه إليه^(٦٨) .
- ١٠٦ ومع ذلك فلا أريد أيها القارئ أن تنصرف عن قصدك الطيب ، بسماعك^(٦٩)
كيف يشاء الله أن يوفى الدّين^(٧٠) .
- ١٠٩ ولا تحفل بما للعذاب من الصور بل عليك بالتفكير فيما يُسفر عنه^(٧١) ؛
وقدّر أنه - على أسوأ حال - لا يمكنه أن يتجاوز يوم الحشر^(٧٢) .
- ١١٢ فبدأت « أستاذى ، إن الكتلة التي أراها تتقدّم نحونا لا تبدو لى رجالاً
من البشر^(٧٣) ، ولا أدري ما هي ، إذْ يزيغ بصرى عندما أنظر إليها^(٧٤) » .

- ١١٥ فقال لى « إن طبيعة عذابهم القاسى تنوء بهم إلى الأرض^(٧٥)، حتى تضاربت عيناى بشأنهم منذ هنيهة^(٧٦) .
- ١١٨ ولكن فلتنظر بانتباهٍ إلى هناك ، وبعينيك فلتبين^(٧٧) من هؤلاء الذين يأتون تحت عبء هذه الصخور ويمكنك أن ترى الآن كيف يقرع كل^{٧٨} مهم صدره^(٧٨) »
- ١٢١ أيها المسيحيون المتغطرسون^(٧٩)، أيها البائسون المكدودون - الذين تضعون ثقتكم فى خطى إلى الخلف^(٨٠) - وقد عميت بصيرتكم^(٨١) -
- ١٢٤ ألا تدركون أننا لسنا سوى ديدان^(٨٢) - ولدنا لنصنع الفراشة بهيئة الملاك^(٨٣) -
التي تطير إلى موئل العدالة بغير عائق^(٨٤) ؟
- ١٢٧ ولم تحلّق نفوسكم عالياً^(٨٥)، ما دمتم لستم سوى حشرات ناقصة ، أشبه بديدان لم تكتمل نموها^(٨٦) ؟
- ١٣٠ وكما فى سبيل تدعيم بثُرفة أو سقف - نرى أحياناً زخرفاً بهيئة تمثال تبلغ ركبته عظام صدره^(٨٧) -
- ١٣٣ وفى عيى ناظره يبعث أسى حقيقياً بما هو فيه غير حقيقى -^(٨٨) هكذا رأيت هؤلاء مصنوعين - حيناً أمعنت النظر فيهم^(٨٩) .
- ١٣٦ وحقاً لقد ازداد أو قل انحناؤهم ، بازدياد أحلامهم أو نقصانها^(٩٠)، ومن بدا مهم أكثر صبراً -
- ١٣٩ بدا يقول باكياً "لست أقوى على الاحتمال مزيداً"^(٩١)

حواشي الأنشودة العاشرة

- (١) هذه هي الأنشودة الأولى للمتكبرين في المطهر ، وبها يبدأ الإفريز الأول .
- (٢) يعنى باب المطهر
- (٣) أى أن حب الأشياء الدنيوية يجعل استخدام باب المطهر قليلا لقلة النادمين التائبين الواردين عليه .
- (٤) يعنى أن المحبة الحبيثة للأشياء الدنيوية تخدع الإنسان وتصرفه عن سواء السبيل .
- (٥) أى لوأنه نظر إلى الوراة لخرج من المطهر كما سبق Purg. IX. 132...
- (٦) كان طريق الصعود ضيقاً منجرجاً محفوراً في الصخر وعبر دانتى عن تعرج الطريق والتوائه بلفظ الحركة
- (٧) كان تعرج الطريق يشبه صورة الموج الذى يتقدم على الشاطئ ثم ينحسر عنه
- (٨) يشرح فرجيليو لدانتى طريقة السير في هذه المنطقة يمنة ويسرة حسب انحناء الطريق .
- (٩) يعنى أصبحت خطواتهما بطيئة بسبب ضيق الطريق .
- (١٠) كان القمر بدرا مساء الخميس - ليلة الجمعة - ٧ أبريل (Inf. XX. 127) وكان قد مضى عليه ثلاثة أيام في التربيع الثالث والمقصود هنا أن القمر كان قد اختفى وراء الأفق في المطهر حينما صارت الساعة حوالى التاسعة والنصف من صباح الاثنين ١١ أبريل ١٣٠٠
- (١١) يشبه دانتى الطريق الضيق بسم الحياض أو ثقب الإبرة وورد مثل هذا التعبير في « الكتاب المقدس » ، كما سبق أن استخدمه دانتى في الجحيم
- Matt. XIX. 24. Mar. X. 25. Luca, XVIII. 25.
- Inf. XV. 21.
- (١٢) أصبح الشاعران في مكان مفتوح وجد به إفريز بسبب انحسار الجبل .
- (١٣) هذا هو الإفريز الأول في جبل المطهر وهو إفريز المتكبرين .
- (١٤) أى أن عرض الإفريز كان حوالى ٥ أمتار
- (١٥) نظر دانتى إلى الجبل يمينا ويساراً ووجد أن عرض الإفريز يبلغ الرقم السالف الذكر
- (١٦) هناك خلاف بين الدراسين في قراءة البيت رقم ٣٠ ، فلقد ورد في نص أكسفورد للكوميديا لفظ (dritta) مع وضعه بين شولتين ، وهذا يعنى أن المرتقى كان شبه عمودى وبذلك تعذر صعود الجبل ، ولكن أورد نص الجمعية الدانتية الإيطالية - كما أورد أغلب الدراسين في طبقات الكوميديا المختلفة - لفظ (dritto) بدون الشولتين وهذا يجعل المعنى أنه لم يوجد بالجبل الشديد الانحدار طريق ما يمكن الصعود منه . وهناك شيء من التفاوت بين التعبيرين .
- (١٧) هذا حفر بارز يمثل التواضع وسيأتى وصفه بعد
- (١٨) بوليكليتوس (Polycletus) نحات لإغريق عاش في القرن ٥ ق.م. وكانت أعماله معروفة في العصور الوسطى . والمقصود أن الحفر البارز هنا كان يفوق آثار بوليكليتوس .
- (١٩) يعنى فاق الحفر البارز الطبيعة ذاتها ، وهذه كناية عن الإبداع الفنى الفائق .
- (٢٠) المقصود بقرار السلام أن الملاك جبريل بشر العذراء ماريا بميلاد السيد المسيح

ويوجد حفر يمثل البشارة من عمل أندريا دي تشوفى أركانيولو المسمى أوركانيا من القرن ١٤ في كنيسة أورسان ميشيل في فلورنسا ولقد وجدت مئات الآثار الفنية التي تعبر عن هذا المعنى ولكن الذي يعنينا هو أقرب الآثار إلى عصر دانتي بقدر المستطاع

(٢١) أى منذ خطيئة آدم .

(٢٢) يعنى لم يكن التمثال مجرد رخام أخرس بل كان صورة حية ناطقة تعبر عن المعنى المطلوب وهذا هو دانتي الفنان الذى أحس بالحياة تدب في أوصال المرمر ، وهو في هذا خارج على تقاليد العصور الوسطى وممهّد لعصر النهضة والعصر الحديث

(٢٣) بدا الحفر البارز الذى يصور جبريل أنه ينطق محيياً العذراء ماريا

(٢٤) أى العذراء ماريا التي حملت الحب الإلهي على أن يشمل الناس برحمته ونعمته - عند المسيحيين .

(٢٥) بدت ماريا - على الحفر البارز - أنها تتكلم عن آية صنع الله حينما قالت إنها أمة الرب كما ورد في « الكتاب المقدس »

(٢٦) دعا فرجيليو دانتي إلى عدم الاختصار على النظر إلى مشهد بشري العذراء ماريا لأن عليه أن يرى صوراً أخرى .

(٢٧) يعنى وقف دانتي إلى يسار فرجيليو . وفي الأصل (الذى يحمل الناس فيه قلوبهم)

(٢٨) أى الجانب الأيمن .

(٢٩) اقترب دانتي من الحفر البارز على الصخر لكي يحسن رؤيته . وهذا هو دانتي الفنان

(٣٠) المثال الثانى عن التواضع هو الحفر البارز الذى يصور نقل التابوت المقدس من بيت أبينا داب إلى أورشليم ، وذكر الكتاب المقدس إقامة الملك داود وشعب إسرائيل حفلاً كبيراً في تلك المناسبة

II. Sam. VI.

I. Cron. XIII; XV; XVI.

(٣١) هذه إشارة إلى عزة الذى رأى التابوت المقدس يهتز فوقه فأراد أن يسنده فأماته الله لأنه لا يجوز أن يلمس التابوت المقدس سوى رجال الدين

(٣٢) استخدم دانتي لفظ جوقة (coro) بمعنى مجموعة .

(٣٣) يعنى بالحاستين حاستي النظر والسمع . وأضفت (من حواسي) لكي يستقيم التعبير العربى .

(٣٤) أى لم تسمع أذن دانتي شيئاً

(٣٥) يعنى رأت عين دانتي الحفر البارز يكاد يرتل وهكذا يصور دانتي في شعره شيئاً عن جوهر فن النحت وخاصة الحفر البارز الذى عبر عنه في عصره نيقولا پيزانى وجوفانى پيزانى .

(٣٦) هذه إشارة إلى البخور الذى أطلق أمام التابوت المقدس .

(٣٧) لم يشم دانتي رائحة البخور - لأنه لم يكن موجوداً - ولكنه رأى صورة دخانه محفورة على الصخر وهكذا يجعل دانتي شعره مجسماً .

(٣٨) التابوت المقدس رمز للإتحاد والتحالف .

(٣٩) هذا هو داود الملك صاحب المزامير . وسبقت الإشارة إليه

Inf. IV. 58; XXVIII. 95-96.

وتوجد صورة بالموزايكو تمثل الملك داود والتابوت المقدس من القرن ١٣ وهى بكنيسة سانتا ماريا مادجورى في روما .

- (٤٠) كان داود يرقص رافعا ثيابه حتى لا تعطله عن الحركة .
- (٤١) كان على تلك الحال أكثر من ملك لأنه ارتدى الثوب الدينى ، وكان أقل من ملك لأنه رقص تواضعا وليس الرقص مما يمارسه الملوك
- (٤٢) أى على الجانب الأيمن
- (٤٣) ميكال (Micol) هى ابنة شاؤول والزوجة الأولى لداود
- (٤٤) يعنى القصر الملكى .
- (٤٥) عاقب الله ميكال بالعقم لكبريائها
- (٤٦) أى إلى يمين المشهد السابق .
- (٤٧) يعنى أن المشهد كان يشع ببياض المرمر الناصع فى هذا الجزء من الجبل .
- (٤٨) يصور المشهد الثالث قصة الأمبراطور تراجان والأرملة التى طلبت إليه تحقيق العدالة
- (٤٩) أى أن ما قام به تراجان من عمل مجيد حمل القديس جريجوريو على الهبوط إلى الجحيم وإنقاذ روح تراجان من العذاب وصعد به إلى الفردوس ، وهذا هو المقصود بقوله النصر الكبيره .
- (٥٠) تراجان (Trajanus. ١١٨ - ٩٨) أمبراطور الدولة الرومانية ويمثل العدالة وموضعه فى الفردوس
- Par XX. 43...
- (٥١) تقول القصة إن ابن تراجان قتل ابن أرملة من روما فتقدمت إلى الأمبراطور وطلبت إليه أن يحقق العدالة فحرم ابنه القاتل من وراثة العرش .
- ويوجد حفر بارز يمثل القروية التى تخاطب تراجان فى قوس النصر لقسطنطين فى روما وكذلك فى قوس النصر لتراجان فى بنيفينوه وتوجد صورة لهذا المشهد فى قصر الدوج فى البندقية لا يعرف مصورها
- ولقد رسم يوجين دلاكروا فى ١٨٤٠ صورة عن عدالة تراجان مستوحاة من أبيات دانتي ، وهى بضراعة ناطقة الأرملة الشكلى وبمهابة الأمبراطور وفرسانه ، وفيها يبدو انعطاف الأمبراطور نحو الأم الباكية واتجاهه إلى تحقيق العدالة وهذه الصورة من مفاخر متحف روان فى فرنسا
- (٥٢) تصور دانتي أن شعار الأمبراطورية الرومانية كان على صورة نسر أسود اللون فى منطقة من الذهب ، وأنه كان يرسم على هذا النحو فوق أعلام الأمبراطورية - كما كانت الحال فى زمن دانتي - وفى الواقع كان شعار الأمبراطورية القديمة يتكون من نسور من البرونز .
- (٥٣) يعنى بين الحشد من الجنود والفرسان .
- (٥٤) هكذا طلبت الأرملة الحزينة الانتقام من قاتل ابنها
- (٥٥) هكذا تدعو الأرملة الأمبراطور إلى أداء واجبه فوراً
- (٥٦) يذكر الأمبراطور العدالة التى تقتضى القصاص العاجل .
- (٥٧) ويذكر الرحمة باعتبار أنه إنسان يجدر به أن يعطف على الأم الشكلى . وهكذا تأثر الأمبراطور بأسى الأرملة الحزينة وهضت همته لتحقيق العدالة والقيام بواجبه .
- (٥٨) يعنى الله الذى لا جديد فى الوجود بالنسبة إليه .
- (٥٩) الكلام المنظور أو المرئى يعنى الحفر البارز - الذى جعله دانتي من صنع الله - والذى كان ينطق بالمعاني المختلفة

- (٦٠) أى لا عهد لهما بمثل هذا الحفر البارز الناطق لدقة صنعه ، واستخدم دانتي لفظ (جديد) بمعنى غريب
- (٦١) المقصود الأرض بقوله هنا
- (٦٢) يعنى الحفر البارز الذى يعبز بحركاته عن معنى التواضع
- (٦٣) صانعها هو الله .
- (٦٤) أى إلى اليسار بالنسبة للجانب الذى وقف فيه دانتي إلى يمين فرجيليو
- (٦٥) هؤلاء هم المتكبرون الذين يدورون فى هذا الإفريز حول جبل المطهر
- (٦٦) يعنى إلى حيث يكون الانتقال إلى الإفريز الثانى .
- (٦٧) أى أن دانتي كان متطعماً إلى رؤية المشاهد الجديدة أو الغريبة من الحفر البارز
- (٦٨) ومن ذلك فقد توفى دانتي فى النظر إليها واتجه إلى فرجيليو حينما خاطبه على ذلك النحو .
- (٦٩) يعنى بما سيسمعه دانتي الآن
- (٧٠) أداء الدين معناه تطهر الإنسان من خطاياها
- (٧١) يدعو دانتي القارىء إلى عدم التفكير فى صورة العذاب وعليه أن يفكر فى السعادة الأبدية المرتقبة التى هى نتيجة أو ثمرة التطهر
- (٧٢) أى أن التطهر من الآثام سيدوم - على أسوأ تقدير - حتى يوم القيامة حيث ينطق المسيح بالحكم الأكبر - عند المسيحيين
- (٧٣) المتكبرون لا يبدون رجالاً لأنهم يحسبون أنفسهم فوق مستوى الناس فى أثناء الحياة
- (٧٤) يعنى أنه لم يتبين هؤلاء عند النظر إليهم .
- (٧٥) أى أنهم حملوا فوق ظهورهم وزر الغطرسة التى تمثلت فى قطع من الأحجار الثقيلة جعلتهم يسرون فى انحناء نحو الأرض .
- (٧٦) يعنى أن فرجيليو نفسه أخذه الشك والحيرة فتساءل هو أيضاً ، هل هؤلاء أشخاص أم لا وكأن عينيه كانتا فى صراع بشأن المشهد المائل أمامه
- (٧٧) يستخدم دانتي لفظ (disvitichia) بمعنى يحل عقدة من النبات الزاحف الملتوى المعقد والمقصود بذل المجهود والنظر بإمعان حتى يتبين الأشخاص أمامه
- (٧٨) يضرب كل مهم صدره علامة الندم وورد مثل هذا التعبير فى « الكتاب المقدس » :
Luca, XVIII. 13.
- (٧٩) يعنى المتغطرسون بمتاع الدنيا عن الحياة الآخرة
- (٨٠) أى الذين ظنوا أن الاهتمام بشئون الدنيا سيجعلهم فى المقدمة وبالعكس أصبحوا فى المؤخرة
- (٨١) يقول دانتي (عين العقل) ويعنى أنهم مرضى أو غير سليمى النظر العقلى أو أنهم عمى البصيرة
- (٨٢) الديدان هنا رمز للبشر والمادة .
- (٨٣) الفراشة هيئة الملاك رمز للروح والحياة الآخرة والمقصود أن الناس مقدر عليهم أن يستعدوا للحياة الآخرة .
- (٨٤) يعنى تذهب الروح لتتلقى حكم الله العادل دون عائق من متاع الدنيا الباطل .
- (٨٥) أى لم هذا التعالى والكبرياء .

- (٨٦) يعنى أن الإنسان فى الدنيا كائن ناقص كدودة لم تتحول إلى فراشة وهذه صورة مستمدة من حياة الحيوان
- (٨٧) هذه زخارف على هيئة تماثيل لتدعيم الشرفات أو السقوف ويكون شكل التمثال الزخرفى على صورة حرف S وبذلك تكون ركبتا التمثال عند صدره ، وكان ذلك شائعاً فى العصور الوسطى . والصورة هنا مأخوذة من النساء الكارياتيات من لاكونيا - فى الجنوب الشرقى من شبه جزيرة البليپونيز - اللائى وقعن فى أسر الإغريق .
- (٨٨) يبعث هذا الوضع الألم فى نفس المشاهد
- (٨٩) هكذا رأى دانتى هؤلاء المتكبرين على تلك الحال
- (٩٠) كانوا أكثر أو أقل انحناء تبعاً لمدى كبريائهم فى الحياة
- (٩١) أى أن أتواهم احتمالاً وصبراً عبر عن عجزه عن المزيد من الاحتمال . وختم دانتى هذه الأنشودة بهذين البيتين المليئين بالأسى واللذين يستدران الرحمة ويبعثان شعور المشاركة فى الأسى والعذاب .
- وتشبه هذه الصورة فى عذاب المتكبرين بحمل الأثقال ما ورد فى التراث الإسلامى عن عذاب البخلاء بسيرهم على الصراط وهم يحملون أثقال ثرواتهم كقول النبى محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ونجد هنا التشابه فى العقوبة مع الاختلاف فى الإثم
- الهندي ، علاء الدين بن حسام الدين كتاب كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال . حيدر آباد ١٣١٢ هـ ج ٣ ص ٢٥٢ رقم ٤٠١٣

الأنشودة الحادية عشرة^(١)

أخذت أرواح المتكبرين ترتل نشيداً مقتبساً من صلاة الأحد، فمجّدوا الله وسألوه خبزهم اليومي وطلبوا المغفرة والخلاص من لوتشيفيرو - إبليس - وسارت الأرواح على الإفريز الأول - إفريز المتكبرين - وهي تتطهر من خطيئتها تحت أثقال من الصخر ، وعبر دانتى عن ضرورة التعاون بين أهل الأرض وبين أهل المطهر فى الصلاة من أجل خلاصهم جميعاً . سألت دانتى أحد الأرواح عن أقصر الطرق وأقلها ميلاً وانحداراً لبلوغ الإفريز الثانى - إفريز الحاسدين - وسمع دانتى أومبرتو ألدوبراندسكى الزعيم الجبلىي يشير إلى الطريق الذى يمكن أن يصعبه إنسان حى ، وتكلم عن دمه العريق وعن غطرسته التى جلبت الكوارث عليه وعلى أقاربه جميعاً ، وقال إنه يحمل الصخر حتى ينال رضا الله وتحدثت دانتى إلى أوديريزى دا جوييو مزخرف المخطوطات الذى رغب فى التفوق فى الدنيا ، فكلم دانتى عن تفوق جوتو على تشيابوى وتفوق كافالكانتى على جوينتلى ، وقال أوديريزى إن الشهرة فى الأرض ليست سوى نفثة ربح تهبّ هنا تارة وهناك طوراً وتغير اسمها بتغيير اتجاهها ، وإنه ليس هناك فرق يُذكر بين الموت فى سن الشيخوخة أو فى سن الطفولة ، وإن ألف سنة أمام الأبدية لا تزيد عن طرفة عين ، وقال إن الشهرة كالعُشب الذى يخضرّ ثم يجفّ سريعاً وقضّ أوديريزى على دانتى ما قام به پروفتنزان سالثانى من العمل المتواضع بوقوفه للاستجداء - إبان مجده - فى ميدان سيينا ليجمع المال اللازم لتخليص صديق له وقع فى أسر أعدائه ، وبذلك كفر عن غطرسته وكبريائه

- ١ « أبانا الذى تستوى فى السموات (٢) ، لا بكونك محدوداً بشيء هناك (٣) ، بل بما تكنه من زائد المحبة لبرايك الأوائل فى علياء السماء (٤) —
- ٤ فليقدس كلّ الورى اسمك وجبّـبروتك (٥) ، وجديرٌ بهم أن يُضفوا على روحك الحبيب آيات الحمد والثناء (٦)
- ٧ ولآينزل علينا سلام ملكوتك (٧) ؛ وإن لم يأتنا فلا سبيل لنا لبلوغه بأنفسنا ، بكل ما أوتينا من حذقٍ وفن (٨)
- ١٠ وكما يضحى ملائكتك بإرادتهم فى سبيلك وهم يرتلون الهوشعنا (٩) ، هكذا فليُضحّ البشر بإرادتهم (١٠) .
- ١٣ أعطنا اليوم خبزنا كفافاً (١١) ، إذْ بدونه يعود القهقري منٍ يعنى فى إجهاد نفسه كى يتقدم فى هذه البيداء القفر (١٢) .
- ١٦ وكما نغفر للجميع ما عانينا من إساءاتهم إلينا (١٣) ، فليستغفر برحمتك معاصينا (١٤) ، بدون النظر إلى ما نحن له أهل (١٥) .
- ١٩ ولا تختبر مع عدوّنا القديم (١٦) قوّتنا التى يسهل قهرها (١٧) ، بل خلصنا مِمَّنْ يهزها بمثل هذا العنف (١٨)
- ٢٢ ربنا (١٩) ، إننا لا نؤدّى لك من أجل ذواتنا ختام هذه الصلاة — إذْ لا حاجة لنا بذلك (٢٠) — بل نؤديها فى سبيل من تخلفوا من بعدنا (٢١) »
- ٢٥ هكذا بينما كانت هذه الأشباح تصلى من أجل ذواتها ومن أجلنا ، للقيام برحلة مؤاتية (٢٢) ، سارت تحت ثقل (٢٣) يشبه ما يراودنا فى الحلم أحياناً (٢٤) .
- ٢٨ وتفاوتت فيما نالته من العذاب (٢٥) ، ودارت جميعها مُجهدة على الإفريز الأول (٢٦) — وهى تتطهر من ضباب العالم الحبيث (٢٧) .
- ٣١ وإذا قيلت فى سبيلنا كلماتٌ طيبةٌ هناك أبدأً (٢٨) ، فإذا يمكن أن يقوله أوفعله هنا من أجلها ، أولئك الذين غُرسوا فى الخير إرادتهم (٢٩) ؟
- ٣٤ وحقاً ينبغى علينا أن نُعيها فى غسل الشوائب التى حملتها من هناك (٣٠) ، لتقدر على الخروج خفيفة نقيه إلى الدوائر ذات النجوم (٣١) .
- ٣٧ « آه ، فلتخلّصك العدالة والرحمة (٣٢) من حملك سريعاً ، حتى يمكنك أن تبسط جناحك كى يصعدا بك كما ترغب (٣٣) ؛ —

- ٤٠ فهلا تُرينا في أيّ جانب يوجد أقصر طريق صوب السَلَمِ (٣٤) ؛ وإذا وُجد أكثر من طريق فلتدلنا على أقلها انحداراً ،
- ٤٣ إذ أن هذا الذي يجيء معي بطيءٌ ، على رغم إرادته ، في الصعود أعلى (٣٥) - بِحِمْلٍ ما يرتديه من جسد آدم (٣٦) «
- ٤٦ لم يكن واضحاً عن صدرت هذه الكلمات (٣٧) ، التي أُجيبَ بها عما تحدث به ذاك الذي كنت أتابع خُطاه (٣٨) ؛
- ٤٩ ولكنني سمعت (٣٩) : « تعال يا معنا إلى اليمين فوق الحافة ، وستجدان الطريق الذي يمكن أن يرتقيه إنسانٌ حتى (٤٠) »
- ٥٢ ولو لم تعوقني الصخرة التي تُخضع رقبتي المتغترسة (٤١) - إذ تفتضيني أن أظلّ مطأطئ الرأس -
- ٥٥ لنظرتُ إلى من لا يزال حياً ولا يذكر اسمه (٤٢) ، لكي أرى هل أعرفه وأثير بهذا الثقل شفقتَه على (٤٣)
- ٥٨ لقد كنت لاتينياً (٤٤) وابناً لتسكاني عظيم وكان أبي يُدعى جوليلمو ألدوبراند سكي (٤٥) ؛ ولست أدري إذا كان اسمه قد ذُكر بينكم أبداً (٤٦) .
- ٦١ وإن دمّ أسلافِي ومآثر أُسرتي قد جعلتني متغترساً - وبدون أن أفكّر في أمّنا المشتركة (٤٧) -
- ٦٤ أمعنتُ في ازدياء سائر البشر ، حتى كان في ذلك موتي ، وكما يعرفه (٤٨) أهل سينا ويعرفه كل طفل في كامبانيا تيكو (٤٩)
- ٦٧ إنني أومبرتو (٥٠) ؛ ولم تجلب الكبرياء الضرّ علىّ وحدي ، إذ ساقَت معها إلى الكارثة أقربائي جميعاً (٥١)
- ٧٠ وبسببها (٥٢) ينبغي علىّ أن أحمل هذا الثقل ، حتى أؤدّي التكفير لله هنا في عالم الموتى ، مادمت لم أؤدّه وأنا في عداد الأحياء (٥٣) «
- ٧٣ وبينما كنتُ مصغياً إليه أطرقتُ رأسي إلى الأرض (٥٤) ، وانحني أحدهم (٥٥) تحت العبء الذي يُثقله (٥٦) - ولم يكن هو ذاك الذي تكلم -
- ٧٦ ورآني ، وعرفني ، وأخذ يُناديني ، وبذل جهداً كبيراً لكي يثبت عينيه علىّ (٥٧) ، ومضى مع رفاقه سائراً وقد تقوَّس ظهره (٥٨) .

- ٧٩ فقلت له « آه ، أولست أنت أوديريزى^(٥٩) ، فخر جوبنيو ومجد ذلك الفن ، الذى يُسمى فى پاريزى^(٦٠) فنّ زخرفة الكتب^(٦١) ؟ »
- ٨٢ فقال « يا أخى^(٦٢) ، إن الصفحات لتزداد إشراقاً^(٦٣) ، بلمسات من ريشة فرانكو البولونى^(٦٤) : فله الآن كلّ الفخر ، ولى منه جانب^(٦٥)
- ٨٥ وفى الحقّ ما كان ينبغى أن أكون رجلاً لطيف المعشر ، وأنا فى الحياة الدنيا ، بما تملك قلبى من الرغبة العارمة فى أن أكسب قصب السبق^(٦٦)
- ٨٨ ولمثل هذه الكبرياء يؤدّى هنا الجزء^(٦٧) ؛ وما كان لى أن أوجد هنا^(٦٨) ، إذا لم أكن قد اتّجهتُ إلى الله ، وأنا قادرٌ على ارتكاب المعصية^(٦٩) .
- ٩١ أيها المجد الباطل لمنشط البشر^(٧٠) ؛ ما أقصر الوقت الذى تظل فيه هامتك مكلّلة بالخضرة^(٧١) - ما لم تلاحقه عصور الظلام^(٧٢) !
- ٩٤ لقد اعتقد تشيما بوى^(٧٣) أنه فى فن الرسم راسخ القدم ، ولكن الصيحة الآن لجوتو^(٧٤) ، حتى لقد أظلمت شهرة الأول
- ٩٧ وهكذا انتزع أحد الجويديين مجدّ اللغة من الآخر^(٧٥) ؛ وربما وُلد من سيطردهما من العش معاً^(٧٦)
- ١٠٠ وما الشهرة فى الأرض^(٧٧) إلا كنفثة ريح تهبّ هنا تارةً وطوراً هناك ، وتغيّر اسمها إذْ تغير جانبها^(٧٨) .
- ١٠٣ وإذا ما انتزعت الشيخوخة منك الجسد^(٧٩) ، أو إذا متّ وأنت لا تزال تتفوّه بلفظ « مامه » و « إش^(٨٠) » - ففى أىّ - الحالين ستكون أعلى صيتاً -
- ١٠٦ قبل أن تنقضى ألف سنة - والى هى أمام الأبدية أقصر من طرفة عين ، بالموازنة بأبطأ دائرة تدور فى رحاب السماء^(٨١) ؟
- ١٠٩ وإن منّ يسير أمامى بطيء الخطو^(٨٢) ، جلجلتُ بذكره كلّ أرجاء تُسكّانا ، والآن ينذر أن يُهمس باسمه فى سيينا^(٨٣) ،
- ١١٢ حيث كان فيها سيداً^(٨٤) ، حينما قضى على الغضب الفلورنسى^(٨٥) ، الذى كان متغطرساً فى ذلك الزمان كما هو الآن داعراً^(٨٦) .
- ١١٥ وما صيتكم إلا كلون العشب الذى يجىء ويروح^(٨٧) ، وتمحوه تلك التى تخرجه من الأرض طرياً^(٨٨) »

- ١١٨ فقلت له « إن قولك الحقّ يملأ قلبي تواضعاً جميلاً ، ويهبط بغطرستي الجوفاء^(٨٩) : ولكن منّ ذاك الذي كنت تتكلم عنه الآن ؟ »
- ١٢١ فأجاب « إنه يروفتنزان سالقاني^(٩٠) ؛ وهو هنا لأنه كان مُدّعياً في محاولته أن يضع بين قبضتيه سبيينا بأسرها^(٩١) .
- ١٢٤ لقد سار على هذا المنوال ، ولا يزال يسير منذ موته بدون توقّف^(٩٢) : وهذا هو الثمن الذي يؤدّيه مكفّراً ، من يجترئ هناك على الكثير^(٩٣) »
- ١٢٧ فقلت « إذا كان ذلك الروح الذي ينتظر حتى ختام حياته لكي يندم - يقدّر عليه البقاء هناك في أسفل^(٩٤) ولا يصعد هنا في أعلى -
- ١٣٠ إذا لم تُعنه صلاةٌ طيبةٌ - ويظلّ هناك حتى ينقضي زمانٌ يعدل سنوات عمره - فكيف أتيح له المحبى ها هنا^(٩٥) ؟ »
- ١٣٣ فقال لى « حينما كان يعيش في قمة مجده ، لزم باختياره^(٩٦) ميدان سبيينا^(٩٧) ، بدون أن يعرفوا التفاتاً للخجل^(٩٨) ؛
- ١٣٦ ولكي يحمر صديقه من العذاب الذي عاناه في سجن شارل ، وقف هناك وقد ارتجف فيه كل شريان^(٩٩) .
- ١٣٩ ولن أقول مزيداً ، وإني لعارفٌ أنى أتكلم في غموض ، ولكن لن يمضى وقتٌ قليلٌ حتى يفعل جيرانك^(١٠٠) ما يجعلك قادراً على أن تفقه قولى^(١٠١) .
- ١٤٢ فقد خلصه هذا الفعل الحميد من ذلك المحبّيس^(١٠٢) »

حواشي الأنشودة الحادية عشرة

- (١) هذه ثانی أنشودة من أناشید المتکبرین وتسمى أنشودة أومبرتو ألدوبراندسکی وأودیریزی دا جویو وپروثنتزان سالفانی
- (٢) اقتبس دانتی هذه الأبيات من صلاة الأحد في الكنائس ووردت معانيها في «الكتاب المقدس» :
Matt. VI. 9-13. Luca, XI. 2-4.
- وسبق أن ترجم يوسف صقر اللباني الأبيات من ١ إلى ٢٤ إلى الشعر العربي في سنة ١٩١١
Bessi, M.: La Fortuna di Dante fuori d'Italia. Firenze, 1912. p. 307.
- وقد تفضل الأستاذ إرنست هاتش ويلكنس الأستاذ الأسبق للغات الرومانسية بجامعة هارفارد والرئيس الأسبق لجمعية دانتی في الولايات المتحدة الأمريكية - والعضو حالياً بهذه الجمعيات - تفضل بإرسال صورة بالفوتستات إلى هذه الأبيات العربية - في ١٩٥٥ - ولقد أطلعت عليها في ذات الكتاب عند زيارتي لجامعة كورنيل في إيثاكا بولاية نيويورك في خريف ١٩٦٢
- (٣) يشبه هذا ما أورده توماس الأكويني
d'Aq. Sum. Theol. I.II. CII. 4.
- (٤) يقصد السماوات والملائكة وهذا يعنى أن الإنسان ليس أنبل مخلوقات الله .
- (٥) يعنى فلتمجد الكائنات اسم الله من أجل الحب الذي يكنه لها .
- (٦) يقصد بلفظ (vapore) الروح القدس ويرى بعض العلماء الدانتيين أن دانتی في أبيات ٤ و ٥ و ٦ عبر عن الآب بلفظ (valore) الذي يعنى القوة أو الجبروت وعبر عن الابن بلفظ (nome) الذي يعنى الإسم . وعبر عن الروح القدس بلفظ (vapore) الذي يعنى البخار أو الهواء .
- (٧) أى السعادة الأبدية .
- (٨) يتعذر على الإنسان أن يبلغ بجهوده وحدها السعادة الأبدية ولا بد لذلك من العون الإلهي .
- (٩) يعنى أن الملائكة في السماوات يتمجدون باسم الله على الدوام إذ يخضعون لإرادته لإرادة الله .
- (١٠) أى ينبغى أن يحذو الناس في الأرض حذو الملائكة في السماء .
- (١١) المقصود بالمن - أو الخبز - اليومى النعمة الإلهية التي هي السبيل إلى بلوغ السعادة الأبدية .
- (١٢) يعنى أنه بغير النعمة الإلهية لا يمكن للنفس أن تتقدم في طريق التطهر بل ترجع القهقري . ويسمى دانتی المطهر بالصحراء القاسية القفرة لأنه تجربة شاقة على النفس التي ترغب صادقة في التوبة والتكفير عن الآثام .
- (١٣) غفر هؤلاء ما ارتكب في حقهم في الدنيا
- (١٤) هنا العلاقة قائمة بين فكرة الغفران الصادر عن البشر والغفران الصادر عن الله - مع الفارق .
- (١٥) يسألون الله المغفرة بدون أن ينظر إلى فضلهم لأنه ضئيل أمام فضل الله ورحمته .
- (١٦) أى الشيطان - لوتشيفيرو .
- (١٧) هذا تعبير عن النفس البشرية الضعيفة التي تخضع للشر بسهولة .
- (١٨) يسألون الله أن يخلصهم من لوتشيفيرو الذي يدفعهم إلى طريق الشر

- (١٩) يمكن القول (أيها المولى العزيز)
- (٢٠) لا يصدر عنهم هذا الدعاء من أجل أنفسهم لأنهم في المطهر الآن بل يصدر من أجل من لا يزالون في الدنيا
- (٢١) يرى بعض النقاد أن المقصود من هم في وادى الأمراء ولكن الأغلب أن المقصود من هم في الدنيا
- استوحى ج ف بريدج هذه الأبيات لوضع لحن موسيقى بمناسبة مهرجان جلوستر الموسيقى في إنجلترا في سنة ١٨٩٢ ولم أسمعه مسجلا وكذلك فعل كل من ألساندرو بياجى وجوسيبي سينيكي الإيطاليين في القرن ١٩ ، ولم أجد لحنهما مسجلين
- (٢٢) أى القيام برحلة إلى عالم السعادة الأبدية
- (٢٣) هذه هي الصخور التى جعل دانتي المتكبرين التائبين النادمين يحملوها هنا على ظهورهم .
- (٢٤) يشبه دانتي إحساس المتطهرين بحمل الأثقال بمن يتختم بالطعام فيصاب بالكابوس ولا يكاد يتنفس أو يتكلم
- (٢٥) يعنى تفاوت عذابهم بحسب مدى خطيئتهم
- (٢٦) الإفريز الأول هو إفريز المتكبرين
- (٢٧) هذا هو ضباب أو دخان الكبرياء الذى غطى صفاء النفس وهم يتخلصون من آثاره الآن
- (٢٨) أى إذا صلى أهل الأرض من أجل المتطهرين .
- (٢٩) يعنى ماذا يمكن أن يفعله أهل الأرض لأهل المطهر. والمقصود أن الصلاة والدعاء يجب أن يكونا متبادلين بين أهل المطهر وأهل الأرض .
- (٣٠) أى ينبغى أن يعاون أهل الأرض بصلواتهم أهل المطهر على سرعة تطهرهم ، وهكذا يمزج دانتي دائماً بين عالم الحياة وعالم ما بعد الحياة .
- (٣١) يعنى إلى سماء السماوات
- (٣٢) يرى بعض النقاد أن المقصود عدالة الله ورحمة البشر ودعائهم ، ولكن أغلب النقاد يرون أن المقصود عدالة الله ورحمته
- (٣٣) أى يصعد إلى السماء .
- (٣٤) يعنى صوب السلم الذى يؤدي إلى الإفريز الثانى .
- (٣٥) أى أن جسد دانتي يعوقه عن الصعود بسرعة على رغم رغبته في ذلك
- (٣٦) يعنى الجسد الحى الذى هو من خصائص البشر ويعبر عنه دانتي بلفظ اللحم
- (٣٧) أى لم يتضح مصدر الإجابة عن استفسار فرجيليو لأن المتطهرين كانوا يسرون وقد ناؤوا تحت أثقال الصخور
- (٣٨) يقصد فرجيليو .
- (٣٩) يعنى سمع دانتي هذا الكلام وكان المتكلم هو أومبرتو الدوبراندسكى ، وفي الأصل (قبل)
- (٤٠) أى السلم الذى يؤدي بسهولة إلى الإفريز الثانى إفريز الحاسدين

Purg. XII. 106...

(٤١) يشبه هذا المعنى ما ورد في « الكتاب المقدس » وما أورده هوراتيوس

Esodo, XXXII. 9; XXXIII. 3. Isaia, XLVIII. 4.

Hor. Epis. I. III. 34.

- (٤٢) يعنى لم يفصح دانتى عن اسمه
- (٤٣) أى لكى يجعله يصلى من أجله ويحمل غيره من الأحياء على مثل ذلك عند عودته إلى الأرض .
- (٤٤) يعنى أنه كان إيطاليا وسبق هذا التعبير Inf. XXII. 65, ecc.
- (٤٥) جوليلمو ألدوبراندسكى (Giulielmo Aldobrandeschi) لا يعرف عنه الكثير وينتمى إلى الأسرة الجبلينية الشهيرة فى ماريمما ويعرف أنه حارب سيينا بتحريض البابوية فى النصف الأول من القرن ١٣
- (٤٦) لا بد أن اسم جوليلمو كان معروفاً فى تسكانا فى عصر دانتى ولكن ابنه يتكلم عنه على هذا النحو من باب التواضع
- (٤٧) جعلته الفطرسية ينسى الأم المشتركة ، وربما كان المقصود حواء أو الأرض التى خرج منها البشر ، وهذا يعنى ضرورة التواضع
- (٤٨) يعنى طريقة موته
- (٤٩) قلعة كامپانياييكو (Campagnatico) فى أرض سيينا
- (٥٠) أومبرتو ألدوبراندسكى (Omberto Aldobrandeschi) كونت سانتافيورى فى ماريمما السيينية ومن زعماء الجبلين أثارت كبرياؤه سائر النبلاء فثاروا عليه وقتلوه ولا تعرف طريقة قتله تماماً يقال إن بعض النبلاء تنكروا فى زى رهبان يطلبون المعونة وقتلوه فى قلعة كامپانياييكو ، ويقال إن أعداءه هاجموا القلعة فدافع عنها بشدة حتى قتل جواده وتزاحم عليه المهاجمون وقتلوه فى ١٢٥٩
- (٥١) من أقربائه أسرة سووانا (Soana) وأسرة سانتافيورى (Santafiore) اللتان نالتهما الكوارث بسبب الكبرياء والفطرسية
- (٥٢) أى بسبب الكبرياء .
- (٥٣) يعنى أنه لم يرض الله فى أثناء الحياة .
- (٥٤) خفض دانتى رأسه عند سماع هذا الكلام لأنه ساوره بعض ما كان عليه هو نفسه من الكبرياء فى أثناء الحياة
- (٥٥) أى انحنت نفس أخرى من نفوس المتكبرين .
- (٥٦) بذل هذا المتطهر جهده لكى يرى دانتى ويتحدث إليه .
- (٥٧) عرف هذا المتطهر دانتى بعد جهد شديد .
- (٥٨) فى الأصل (سار فى انحناء شديد
- (٥٩) أوديريزى دا جوبيو (Oderisi da Gubbio) مصور الصور الصغيرة الذى عرفه دانتى وعاش فى بولونيا فى النصف الثانى من القرن ١٣ ومات فى روما فى سنة ١٢٩٩
- (٦٠) باريزى (Parisi) هى باريس كما كتبها دانتى وتكتب بالإيطالية الحديثة باريدجى (Parigi)
- (٦١) هذا هو فن زخرفة الكتب (illuminazione) بالصور والرسوم والنقوش الصغيرة وكان مركزه فى باريس فى القرن ١٤
- (٦٢) أوديريزى يخاطب دانتى بلفظ الأخوة كتابة عن الود الشديد
- (٦٣) الأوراق ضاحكة بهيجة المنظر بفضل (الرسوم والزخارف وكأنها بضحكها وبهجتها تشارك فى بعض صفات الإنسان .

- (٦٤) فرانكو البولوني (Franco Bolognese) مصور ورسام صور صغيرة عاش في أواخر القرن ١٣ وأوائل القرن ١٤ وعمل بعض الوقت في مكتبة البابا في روما
- (٦٥) هكذا يتواضع أوديريزي دا جوبيو ويعترف بتفوق فرانكو الذي احتقره في أثناء الحياة
- (٦٦) يريد أن يقول إنه كان عليه أن يعترف بتفوق فرانكو وقد دفعه إلى إنكار ذلك رغبته في أن يكون صاحب القدح المعلى في فن زخرفة الكتب
- (٦٧) ولذلك يلتق هنا الجزء العادل .
- (٦٨) يعنى كان سيذهب إلى مقدمة المطهر مع المهلين لو لم يندم ويكفر عن إثمه في الوقت المناسب
- (٦٩) يذكر الاتجاه إلى الله وهو يراوده الإثم وهذا دليل على صدق عزيمته في التوبة والتكفير
- (٧٠) هكذا يندد أوديريزي بمجد الدنيا الباطل
- (٧١) الحضرة هنا رمز للمجد السريع الزوال .
- (٧٢) يقصد أن عصر التأخر والاضمحلال يساعد على معرفة قيمة من كان له المجد إذ تعرف الأشياء بأضدادها
- (٧٣) تشيبي دي پيبي المسمى تشيمابوي (١٢٤٠ - ١٣٠٢ Cenni dei Peppi detto Cimabue) مصور فلورنسي يعتبر أبا الفن الحديث ، وهو أول من خرج على تقاليد العصور الوسطى بمحاولته إبراز بعض معاني النفس ، ومن صوره عذراء الثالث المقدس في متحف أوفيتزي وعذراء قبة روتشلاي في كنيسة سانتا ماريا نوفلا في فلورنسا
- (٧٤) أمبرودجوتو دي بوندوني المعروف بجوتو (١٢٦٦ - ١٣٣٧ Ambrogio detto dei Bondone) Giotto المصور الفلورنسي تلميذ تشيمابوي وزعيم الفن في عصره وصديق دانتي ، وله صور عن حياة القديس فرنسيسكو في الكنيسة العليا في أسيسى وصورة العذراء في متحف أوفيتزي في فلورنسا وتوجد صورة لدانتي في شبابه موجودة في متحف البارجلو في فلورنسا وهي من رسم جوتو أو مدرسته ، واستكشفها سيمور كيركوب في ١٨٤٠
- وتوجد صورة لجوتو ذاته من رسم بنوتزو جاتزولي في القرن ١٤ في كنيسة سان فرنسيسكو في مونفالكو كما توجد صورة له يقال إنها من رسم پاولو أوتشلو في القرن ١٥ وهي في متحف اللوفر في باريس .
- (٧٥) المقصود أولا جويدو كافالكاتي (١٢٥٥ - ١٣٠٠ Guido Cavalcanti) الشاعر والسياسي الفلورنسي صديق دانتي وهو من شعراء مدرسة الشعر الحديث في فلورنسا ، واشترك دانتي في قرار نفيه تخفيفاً من حدة النزاع الحزبي في فلورنسا وسبق ذكره في الجحيم (Inferno. X. 63) . وجويدو الثاني هو جويدو جوينتزي (١٢٣ - ١٢٧٦ Guido Guinizelli) الشاعر البولوني الذي يمثل مدرسة الشعر في بولونيا . ويقصد دانتي أن كافالكاتي فاق جوينتزي في فن الشعر
- (٧٦) يرى بعض النقاد أن دانتي قصد نفسه بالإشارة إلى من سيتفوق على الجويديين . ويرى آخرون أن هذا مستبعد لأن دانتي هنا في صدد تطهير المتكبرين من كبريائهم ويرجحون أنه أراد القول بأنه سوف يأتي شاعر آخر يفوق الجويديين
- يستخدم دانتي لفظ (romore) ويقصد المجد والشهرة في الدنيا التي لا تزيد عنده عن الضوضاء والحلبة الجوفاء . وأورد بويتيوس هذا التعبير :
- (٧٧)

- (٧٨) يشبه دانتي مجد الدنيا الزائل بنفثة الريح السريعة التحول والتي تسمى بأسماء الجهات التي تهب فيها ، وأورد فرجيليو هذا المعنى
Virg. Æn. VII. 646.
- (٧٩) يقصد الموت .
- (٨٠) ينطق الطفل الفلورنسي بلفظ (pappo) ويقصد الخبز أو الطعام ويقول (dindi) ويقصد النقود أو أي شيء له رنين ويقابلهما (مامه) بمعنى الطعام و (إش) بمعنى النقود في اللهجة العامية المصرية ويقصد دانتي بذلك أنه لا يوجد فرق يذكر بين موت الإنسان في سن الشيخوخة وبين موته في سن الطفولة .
- (٨١) يعنى سماء النجوم الثابتة التي هي أسرع السماوات في حركتها حول نفسها ولكنها أبطأ السماوات في حركتها من الغرب إلى الشرق إذ تتحرك درجة واحدة في كل مائة سنة حسب الفلك في العصور الوسطى
- (٨٢) هو پروفتنزان سالفاني ويسير ببطء بسبب الثقل الذي يحمله
- (٨٣) سالفاني كان ذائع الصيت في تسكانا ثم أصبح ولا يكاد أحد يهمس باسمه ، والمقصود أن مجد الدنيا سريع الزوال .
- (٨٤) سيد (sire) تعنى هنا أنه كان مواطناً قوياً ولم يكن أميراً
- (٨٥) هذه إشارة إلى هزيمة الحلف الفلورنسيين في موقعة مونتأبرقي في ١٢٦٠
- (٨٦) يقصد أن الحلق الفلورنسي كان كخلق الداعرة التي تبيع كل شيء من أجل المال .
- (٨٧) أى أن الشهرة كخضرة العشب سريعة الزوال ، ووردت صورة مقاربة في « الكتاب المقدس »
Isaia, XL. 6...; Sal. XC. 6, ecc.
- (٨٨) يقصد الشمس التي تنبت العشب في بداية نموه ثم تجففه وتذهب بلونه .
- (٨٩) هذا درس بليغ في التواضع يعطيه دانتي لنفسه وللناس
- (٩٠) پروفتنزان سالفاني (Provenzan Salvani) زعيم الجبلين في سيينا وكان على رأس القوات التي هزمت الحلف الفلورنسيين في مونتأبرقي في ١٢٦٠ وكان هو الذي اقترح هدم فلورنسا في مؤتمر إيمبولي لكن وقف في وجهه فاريناتا دلي أوبرقي كما سبق في الجحيم (Inf. X. 91)، وبعد معركة التل في وادي إلسا ضد الفلورنسيين في ١٣٦١ وقع في الأسر وحبس وقطع رأسه. واشتهر بالعزم والصلاية وشدة المراس والكبرياء .
- (٩١) يعنى أنه يلاقى عذاب التطهير بسبب غطرسته في الدنيا .
- (٩٢) أى هكذا كان يسير في بطاء وقد حمل الصخرة على ظهره .
- (٩٣) يعنى أن هذا هو جزء الكبرياء في الدنيا
- (٩٤) يعنى كان ينبغي أن يبقى في مدخل المطهر
- (٩٥) يستفسر دانتي عن السبب الذي من أجله صعدت روح سالفاني إلى الإفريز الأول من المطهر
- (٩٦) يفسر بعض الشراح لفظ (liberamente) هنا بمعنى بوجه صريح
- (٩٧) ميدان سيينا (Campo di Siena) هو الميدان الرئيسي في المدينة
- (٩٨) كان فينيا أو مينو دي ميني (Vinea o Mino dei Mini) - صديق سالفاني - قد وقع في أسر شارل دانجو في معركة تالياكوتزو في ١٢٦٨ (Inf. XXVIII. 17.) ، وفرض عليه أن يدفع ١٠,٠٠٠ فلورن من الذهب حتى يطلق سراحه ، ولذلك وقف سالفاني وهو في إبان مجده في ميدان سيينا الرئيسي وأخذ يستجدي الناس كشحاذ بدون أن يرغب أحداً على الدفع ، وعندما

رأى أهل سيينا سالقانى القوى المتغطرس يستجدى من أجل صديقه تقاطروا عليه لدفع المبلغ المطلوب

(٩٩) هذه صورة الشحاذ الذى يسأل الإحسان وهى مأخوذة من الحياة الواقعة

(١٠٠) يقصد شعب فلورنسا.

(١٠١) يعنى أن فلورنسا سوف تنفى دانتى وتجعله يستجدى ويطلب القوت وعندئذ سيفهم الكلام الغامض عليه الآن.

(١٠٢) أى أن ما قام به سالقانى من الاستجداء فى ميدان سيينا وهو فى أوج مجده من أجل صديقه كان عملا كفر به عن غطرسته، وبذلك زالت الحدود التى كانت تمنعه من بلوغ المطهر وأى درس هذا الذى يقدمه دانتى لنفسه وللمتكبرين المتغطرسين! ومن منا يمكنه أن يفيد بهذا الدرس؟ .

الأنشودة الثانية عشرة^(١)

كان دانتى يسير إلى جانب أوديريزى ولكنه ابتعد عنه حينما دعاه فرجيليو إلى أن يسرع الخطى ورأى دانتى نحتاً دقيق الصنع محفوراً على الأرض يشبه ما يوجد فوق أغطية القبور ، فرأى لوتشيفيرو منحوتاً وهو يهبط من السماء كأنه البرق ، وشهد برياروس ممدداً بثقله على الأرض ، ورأى تيمبريوس وپالاس ومارس مجتمعين حول جوبيتر ، وشهد نمرود عند أسفل برج بابل ، وإنيوبى بين أبنائها وبناتها الموتى ، وشاؤل ميتاً فوق سيفه ، وأراكنا وهى نصف عنكب ، ورجبعام تحمله عربة دون أن يطارده أحد ، وألكمايون وإريفولى ، ورأى أبناء سننخاريب فوق أبيهم فى الهيكل ، وتاميريس التى قتلت قورش ، وأوليفانا الذى قتلته يهوديت ، وشهد طروادة وقد دمرتها النيران وكانت هذه كلها صور لما ناله المتكبرون من العقاب ، وكانت دقيقة الصنع حتى بدت كأنها الواقع الذى حدث فى الماضى وكان دانتى يسير وهو مشغول الخاطر حينما دعاه فرجيليو أن يرفع رأسه ولفت نظره إلى ملاك السماء الذى جاء متشحاً بالبياض ، وبدا كنجمة الصبح وهى تتلألأ بسط الملاك جناحيه ودعا الشاعرين إلى الصعود أعلى ، وندد بضلال الناس أمام مجد الدنيا الزائف ، وضرب بجناحيه جبهة دانتى ووجد دانتى الطريق يقل انحداره ، كالطريق الذى يؤدى إلى كنيسة سان مينياتو التى تشرف على فلورنسا ، المدينة التى أحسن قيادها ! وسمع دانتى الملاك يرتل بصوت عذب أبياتاً من الكتاب المقدس ، وأحس فى صعوده أنه أصبح أخف وزناً ، فاستوضح فرجيليو الأمر ، فأفاده بأن هذا يرجع إلى زوال خطيئة الكبرياء عنه ، فتحسس دانتى جبهته بأصابعه فأدرك أن علامة الكبرياء قد مُحيت ، وابتسم فرجيليو دليل الرضا

- ١ أخذتُ أسير جنباً إلى جنب مع تلك النفس المُنثقلة بحملها^(٢)، كثورين يسيران تحت وطأة النير^(٣)، بقدر ما أتاح لي مُرَبِّيَّ الحبيب^(٤)؛
- ٤ ولكن حينما قال لي « دعهم وشأنهم وامضِ قدماً^(٥)، فمن الخير هنا أن يدفع كلُّ منا سفينته^(٦) بالشرع والمجدافين^(٧) - جهد ما يستطيع - »؛
- ٧ مددتُ قامتي ثانياً كما تقتضيه طبيعة المسير، ولو أن أفكاري ظلت تساورها بوادر الحور والضعة^(٨)
- ١٠ وتقدمتُ، وتبعتُ خطى أستاذي عن طيب خاطرٍ، وكان كلُّ منا قد أبدى كيف صرنا خفيفين^(٩)؛
- ١٣ وقال لي « اتجه بعينيك إلى أسفل^(١٠)، وسيكون من الخير لك أن تنظر إلى موطن قدميك لكي تُيسَّرَ طريقك^(١١) »
- ١٦ وكما تحمل لوحات القبور فوق الراقدين فيها^(١٢) صورة ما كانوا عليه في حياتهم، حتى تُحفظ ذكراهم^(١٣)،
- ١٩ حيث يُبكي عليهم مراراً بوخز الذكرى، التي لا تحرك إلا ذوى القلوب العطوفة^(١٤)؛ -
- ٢٢ هكذا رأيتُ هناك رسوماً منحوتة، ولكنها تجلّت بدقة صانعها على صورة أفضل^(١٥)، فوق كلِّ الطريق الذي يبرز من جانب الجبل إلى الخارج^(١٦).
- ٢٥ رأيتُ^(١٧) - في جانب^(١٨) - ذلك الكائن الذي خُلِقَ ذا نُبلٍ يفوق سائر الكائنات - رأيتُه يهبط كالبرق من السماء إلى أسفل^(١٩)
- ٢٨ ورأيتُ - في الجانب الآخر^(٢٠) - برّياروس^(٢١) - وقد أصابته صاعقة سماوية^(٢٢)، وتمدد ببرودة الموت ثقيلًا على الأرض^(٢٢)
- ٣١ ورأيتُ تيمبريوس^(٢٣)، ورأيتُ پالاس^(٢٤) ومارس^(٢٥) - ما زالوا يحملون سلاحهم، وقد اجتمعوا حول أبيهم^(٢٦) وتطلّعوا إلى أشلاء المردة المتناثرة^(٢٧).
- ٣٤ ورأيتُ نمرود^(٢٨) كالمشدوه عند أسفل برجه الشاهق^(٢٩)، ينظر إلى القوم الذين شاركوه غطرسته في شنعار^(٣٠).
- ٣٧ أيا إنيوبي^(٣١)، بأية عينين والهتين رأيتُ صورتك محفورةً على الطريق، بين سبعة وسبعة من أطفالك الصرعى^(٣٢)!



٧ - المتفطرسون يتظهرون بحمل الأحجار الثقيلة

أنشودة ١٢ ١ - ٣

- ٤٠ أيا شاوُل (٣٣) ، إنك بدوتَ هنا ميتاً كما بدوتَ فوق ذات سيفك في جبل جِلبوع (٣٤) ، الذي لم يعرف بعدُ مطراً ولا طلاً (٣٥) !
- ٤٣ أراكُنَا يافاقدةَ العقل (٣٦) ، لقد شهدتكِ الآن نصف عنكب (٣٧) ، بين مِرقات النسيج الذي صُنِع لكي ينالكِ منه الويل (٣٨)
- ٤٦ يا رَحْبُعام (٣٩) ، إن صورتكِ هنا لا يبدو أنها في تهديدها ماضية (٤٠) ، ولكنها تبدو بالرعب مليئةٌ ، وتجرى بها عربةٌ دون أن يطاردها أحدٌ
- ٤٩ وكذلك أظهر (٤١) الممشى الصلد كيف جعل الكمايون (٤٢) القلادة المشؤومة - تبدو لأُمَّه باهظة الثمن (٤٣)
- ٥٢ وأبدى الممشى كيف ألقى الأبناء بأنفسهم فوق سنخاريب (٤٤) داخل الهيكل - وكيف تركوه صريعاً هنالك (٤٥)
- ٥٥ وأظهر الدمارَ والقتلَ الوحشيَّ اللذين قامت بهما تاميريس ، حينما قالت لقورش (٤٦) « إنك إلى الدم عَطِشٌ وإنني بالدم أفعمك (٤٧) » .
- ٥٨ وأبدى كيف هرب الأشوريون مهزمين بعد موت أوليفانا (٤٨) ، وأظهر آثار اغتياله كذلك (٤٩)
- ٦١ ورأيتُ طرودة (٥٠) قد صارت رماداً وخراباً: فيا إليوم (٥١) - كيف بدوتِ على حالٍ من المذلة والهوان ، في الصورة التي تشاهد هناك (٥٢) !
- ٦٤ أىّ فنان حمل الفرشاة أو القلم (٥٣) ، استطاع أن يرسم الخطوط والظلال التي كان من شأنها أن تثير العجبَ ، في العقل الدّهِيّ هناك (٥٤) ؟
- ٦٧ فالموتى بدواً موتى والأحياءُ أحياء (٥٥) وإن من شهد الأحداثَ ، لم ير خيراً مما رأيتُه عند موطنيّ قديمي ، بينما كنت أسير مُنحى الظهر (٥٦)
- ٧٠ فلتكبروا الآن ولتسيروا شامخين أنوفكم - يا أبناء حواء (٥٧) ، ولا تُخفضوا وجوهكم لكي تتبينوا ما تسلكونه من سبيل الشر (٥٨) !
- ٧٣ كنا قد مضينا في سيرنا حول الجبل ، وكانت الشمس قد قطعت شوطاً أبعد مما قدّره خاطرى المشغول (٥٩) -
- ٧٦ حينما بدأ يقول - من كان يسير أمامي وهو حاضر البديهة دوماً (٦٠) ؛ « إرفع رأسك (٦١) ؛ إذ لم يعد هناك وقت لكي تسير مشغول الخاطر (٦٢) »

- ٧٩ وَاَتَنظُرُ هُنَاكَ إِلَى مَلَائِكَةٍ (٦٣) يَتَأَهَّبُونَ لِلْمَجِيءِ نَحُونَا ؛ وَانظُرْ كَيْفَ تَعُودُ
الْوَصِيْفَةَ السَّادِسَةَ مِنْ عَمَلِهَا الْيَوْمِيَّةِ (٦٤)
- ٨٢ وَكَلِّمْنَا بِأَلْفِ بَقِيَّةٍ بِالْوَقَارِ طَلَعَتِكَ وَفِعَالِكَ ، حَتَّى يَرُوقَ لَهُ أَنْ يَبْعَثَنَا إِلَى أَعْلَى ؛
وَلْتَفَكِّرْ فِي أَنْ هَذَا النَّهَارَ لَنْ يَشْرُقَ بَعْدُ أَبَدًا (٦٥) ! «
- ٨٥ وَكُنْتُ قَدْ اعْتَدْتُ تَنْبِيْهَهُ لِي أَلَّا أَضْيِعَ الْوَقْتَ أَبَدًا (٦٦) ، حَتَّى لَمْ يَعُدْ يُمْكِنُهُ
أَنْ يَحْدِثَنِي بِطَرِيقَةٍ خَفِيَّةٍ فِي هَذَا الشَّأْنِ .
- ٨٨ وَإِلَيْنَا جَاءَ الْكَائِنُ الْجَمِيلُ (٦٧) بِالْبَيَاضِ مُتَشَحِّحًا (٦٨) ، وَبَدَأَ بِوَجْهِهِ
كَنَجْمَةِ الصَّبْحِ وَهِيَ تَتَلَأَأُ (٦٩)
- ٩١ وَوَدَّ ذِرَاعِيهِ ثُمَّ بَسَطَ جَنَاحِيهِ (٧٠) ؛ وَقَالَ « هَيَّا أَقْبِلَا فَالسَّلَامُ هُنَا
قَرِيبَةٌ (٧١) ، وَمِنْ السَّهْلِ صَعُودُهَا عَلَيْنَا الْآنَ (٧٢)
- ٩٤ وَقَلَائِلٌ جَدًّا مِنْ يَلْبَسُونَ هَذَا النِّدَاءَ (٧٣) أَيُّهَا الْجِنْسُ الْبَشَرِيُّ - الَّذِي
وُلِدْتَ لِكِي تَطِيرَ إِلَى الْعُلْيَاءِ (٧٤) - لَمْ تَهْوَى هَكَذَا أَمَامَ قَبْضَةِ مِنَ الرِّيحِ (٧٥) ؟ » .
- ٩٧ وَقَادَنَا إِلَى حَيْثُ تَكْسِرُ الصَّخْرَ (٧٦) : وَهَنَا ضَرَبَنِي عَلَى جَبْهَتِي (٧٧) بِجَنَاحِيهِ ،
ثُمَّ وَعَدَنِي بِرَحْلَةِ آمَنَةٍ (٧٨)
- ١٠٠ وَكَمَا إِلَى الْيَمِينِ (عِنْدَ ارْتِقَاءِ الْجَبَلِ (٧٩) ، حَيْثُ تَسْتَوِي الْكَنِيسَةُ (٨٠) الَّتِي
تَسِيْطِرُ مِنْ وَرَاءِ جَسَرِ رُوبَا كُونْتِي (٨١) عَلَى الْمَدِينَةِ الَّتِي حُسِّنَ قِيَادُهَا (٨٢)) -
- ١٠٣ يَنْكَسِرُ هُنَاكَ الْمَرْتَقِيُّ الشَّدِيدُ الْمُنْحَدِرُ ، بِالدرجاتِ الَّتِي صُنِعَتْ (٨٣) فِي عَصْرِ
أَمِنٍ فِيهِ السَّجَلُ (٨٤) وَالْمَكْيَالُ (٨٥) ؛ -
- ١٠٦ هَكَذَا يَعْتَدِلُ مِيلَ الشَّاطِئِ الَّذِي يَنْحَدِرُ هُنَاكَ بِشِدَّةٍ مِنَ الدَّائِرَةِ الْآخَرَى (٨٦) ؛
وَلَكِنِ الصَّخْرَ الْعَالِيَّ أَحْدَقَ بِكُلِّ الْجَانِبَيْنِ (٨٧)
- ١٠٩ وَفِيهَا كُنَّا نَتَجَهَّ بِمَخْطَوَاتِنَا هُنَاكَ ، سَمِعْتُ أَصْوَاتًا تَرْتَلُ (٨٨) « طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ
بِالرُّوحِ » (٨٩) - بَعْدُوبَةٍ لَا يُفْصَحُ عَنْهَا بَيَانٌ
- ١١٢ أَوَّاهَ ، كَيْفَ تَخْتَلِفُ هَذِهِ الْمُدَاخِلُ (٩٠) عَنْ أَبْوَابِ الْجَحِيمِ ! إِذْ يُتِمُّ الدَّخُولَ
هُنَا بِمَصَاحِبَةِ الْأَنَاشِيدِ ، وَيَتِمُّ هُنَاكَ فِي أَسْفَلِ بِالْعَوِيلِ الْوَحْشِيِّ (٩١) ؛
- ١١٥ وَكُنَّا قَدْ أَخَذْنَا نَصْعَدُ عَلَى الدَّرَجَاتِ الْمُقَدَّسَةِ ، وَتَرَاءَى لِي أَنِّي أَصْبَحْتُ
أَخْفَ كَثِيرًا مِمَّا بَدَوْتُ مِنْ قَبْلِ فِي رِحَابِ السَّهْلِ (٩٢)

- ١١٨ قلت عندئذ « خبّرني أستاذي، أيّ شيءٍ ثقيلٍ أزيح عن كاهلي، حتى لا يكاد ينالني عند المسير عناء^(٩٣)؟ »
- ١٢١ فأجاب: « حينما تزول تماماً "الحاءات" التي لا تزال باقية على جبينك^(٩٤) - كما زالت عنك إحداها^(٩٥) -
- ١٢٤ ستسيطر إرادتك الطيبة على قدميك، بحيث لن يقتصر الأمر على أنهما لن تشعرًا بالتعب، بل ستكون بهجتكما في أن تُدفعاً صُعداً^(٩٦) »
- ١٢٧ وعندئذ أصبحتُ كمن يسرون وعلى رؤوسهم شيءٌ لا يدركونه^(٩٧) إلا بإشارات من غيرهم، تُشير بشأنه الشك لديهم^(٩٨)؛
- ١٣٠ ولذا تعاوهم أيديهم على أن يستوثقوا^(٩٩)، وتتحمّس وتجد، وتؤدّي ذلك العمل الذي لا يمكن أن تؤديه أعيهم؛
- ١٣٣ وبالأصابع الممتدّة من يُمناي^(١٠٠)، لم أجد سوى ستةٍ من الأحرف التي رسمها حامل المفتاحين على جبيبي
- ١٣٦ وابتسم دليلي حينما نظر إلى^(١٠١)

حواشى الأنشودة الثانية عشرة

- (١) هذه هى الأنشودة الثالثة والأخيرة الخاصة بالمتكبرين .
- (٢) أى النفس المثقلة بالصخر وهى نفس أوديريزى دا جوييو . سار دانتي إلى جانبه متواضعاً ، وهذا درس يقدمه دانتي لنفسه وللناس .
- (٣) فى استخدام دانتي صورة الثورين تحت النير معنى للتواضع فى بيئة المتكبرين . ويوجد حفر بارزيمثل ثورين يسيران تحت النير من القرن ١٤ فى كنيسة سان پيترو فى سبوليتو .
- (٤) يسمى دانتي فرجيليو بالمربي (pedagogo) ويقصد به وقتئذ معلم الأطفال وفى هذا معنى من معانى التواضع .
- (٥) يعنى دع جماعة المتكبرين وامض إلى الأمام .
- (٦) أى على كل نفس أن تسير وتطهر منفردة .
- (٧) يعنى على كل نفس أن تبذل كل جهد مستطاع فى سبيل التطهر من الخطايا
- (٨) يعنى أن دانتي انتصب بقامته ولكن أفكاره بقيت يساورها الخوف من خطيئته الكبرياء .
- (٩) أى أن دانتي وفرجيليو كانا أسرع فى السير لأنه لم يثقلهما صخر على ظهريهما بعكس المتكبرين هنا
- (١٠) هكذا لكى يرى دانتي ما هو منحوت على الأرض .
- (١١) يعنى أن النظر إلى الأرض سيجعل السير سهلاً على دانتي لرؤيته أمثلة للتواضع
- (١٢) أى القبور الموجودة عادة فى الكنائس والأديرة وتغطيها لوحات من الرخام
- (١٣) يحفر على غطاء القبر صورة المدفون فيه بزيه وشعاره كما كان فى الحياة .
- (١٤) تهمز الذكرى أصحاب القلوب العطوفة الشفيقة وتحملهم على البكاء ، ويستعير دانتي الهمز من مهماز الخيل .
- (١٥) يعنى رأى دانتي نحتاً بارزاً على أغطية القبور وكان دقيق الصنع بحيث يفوق سائر النحت لأنه من صنع الله .
- (١٦) أى على منطقة سهلة فى الجهل يسير عليها المتطهرون وفى الأصل (على كل ما يبرز من الجبل ليصنع طريقاً)
- (١٧) تبدأ الثلاثيات الأربع التالية بكلمة رأيت وتتناول من عاقبهم الله حينما ارتكبوا الخطيئة .
- (١٨) يعنى فى ناحية الطريق كان الشاعران والمتطهرون يسرون فيه
- (١٩) أى لوتشيفيرو - إبليس - الذى عصى الله فأرسل عليه صاعقة وورد هذا المعنى فى « الكتاب المقدس » Luca, X. 18.
- (٢٠) يعنى فى الجانب المقابل للجانب الذى رسم فيه لوتشيفيرو على الأرض .
- (٢١) برياروس (Briarus) المارد الذى حاول محاربة الآلهة فأرسل عليه جوبيتر صاعقة - كما ورد فى الميتولوجيا اليونانية الرومانية ، وسبقت الإشارة إليه فى الجحيم
- Inf. XXXI. 98.
- Virg. Æn. VI. 287. Luc. Phars. IV. 596.
- (٢٢) بدأ برياروس ثقيلاً مثبتاً فى الأرض بحجمه الضخم وقد فارق الحياة

(٢٣) تيمبريوس (Thymbraeus) هو أبولو إله الشعر والموسيقى في الميثولوجيا اليونانية وأخذ دأتي هذا اللفظ عن استاتيوس وفرجيليو:

Stat. Theb. I. 643, 699; III. 215;

Virg. Georg. IV. 323; Æn. III. 85.

(٢٤) پالاس (Pallas) هي مينرثا ربة الحكمة عند الرومان

Virg. Æn. II. 31, 189, 404; ecc.

(٢٥) مارس (Mars) إله الحرب عند الرومان ، وتكرر الإشارة إليه

Virg. Eclog. X. 44.

Inf. XIII. 144, 146-147; Par. IV. 63; VIII. 132; XVI. 47; 145-146.

(٢٦) يعى جوبيتر (Jupiter) كبير الآلهة الرومان الذي أرسل الصاعقة على المودة عند ثورهم على الآلهة ، وتكرر الإشارة إليه

Virg. Eclog. III. 60.

Inf. XIV. 52; XXXI. 45, 92; Purg. XXIX. 120; XXXII. 112; Par. IV. 62; XXII.

145-146.

(٢٧) تناثرت أعضاء المردة بفعل الصواعق في وادي فليجرا

(٢٨) نمرود (Nimrod) ملك بابل الأسطوري ، ويتكرر ذكره واقتبس دأتي فكرة كونه من المردة من أورو سيوس والقديس أوغسطين

Inf. XXXI. 77; Par XXVI. 126.

Oros. Hist. II. 6, 7.

St. Aug. Civ. Dei, XVI. 3, 4, 11.

(٢٩) أى برج بابل الذى بناه نمرود لكى يطاول السماء كما ورد فى الأسطورة .

ويوجد رسم بالموزايكو يمثل بناء برج بابل من القرن الثالث عشر فى كنيسة سان ماركو فى البندقية

(٣٠) شرد فكر نمرود وتبلبل خاطره حينما بلبل الله ألسنة قومه فى سهل سنعار (Sennaâr) ، وورد هذا فى «الكتاب المقدس»

(٣١) تبدأ الثلاثيات الأربع التالية بالنداء وتتناول من يعاقبون بالحزن والأسى من أجل الخطيئة التى ارتكبت

وإنيوبي (Niobe) ابنة تانتالوس وزوجة أمفيون ملك طيبة تفاخرت وازدهت بجمالها وقوتها وثورتها وبناتها وأبنائها الأربعة عشر ، واعتبرت نفسها أفضل من لاتونا التى ولدت طفلين من زيوس وهما أبولو وديانا اللذان قتلا أبناء إنيوبي وبناتها فأفقدتها الحزن الصواب وتحولت إلى تمثال وأورد أوغستوس أسطورتها

Ov. Met. VI. 146-312.

(٣٢) صورت إنيوبي هنا وهى تبكى على بناتها وأبنائها الموتى

(٣٣) شاول (حوالى ١٠٢٠ - ١٠٠٠ ق. م. Saul) أول ملك من ملوك إسرائيل .

(٣٤) انتصر الفلسطينيون (Filistei) على شاول فى معركة جبل جلبوع (Gelboa) فى فلسطين ، ولما رأى أبناءه الثلاثة يموتون أسقط نفسه على سيفه فات . وذكره «الكتاب المقدس»

I. Sam. XXXI. 1-5.

- (٣٥) ورد هذا المعنى فى تعبير داود عن حزنه على شاول
 II. Sam. I. 21.
- (٣٦) أراكنا (Arachna) الليدية التى تحدث أئينا (مينرثا) فى النسيج فسخطها إلى عنكبوت
 وسبقت الإشارة إليها
 Inf. XVII. 18.
- (٣٧) يعنى صورت على الرخام قبل أن يتم تحويلها إلى عنكبوت ، وأورد أوڤيديوس أسطورتها
 Ov. Met. VI. 1-145.
- (٣٨) هكذا عاقبت مينرثا أراكنا لكبرياتها وحولت نسيجها إلى خيوط العنكبوت
- (٣٩) رجبام (من القرن ١٠ ق. م. Rehoboam) ملك إسرائيل الذى تفاخر بأنه سيكون أشد
 طغياناً من أبيه سليمان فثار عليه اليهود فهرب إلى أورشليم ، وورد ذكره فى « الكتاب
 المقدس »
 I. Re, XII.
- (٤٠) أى أنه لا يهدد الشعب هنا بالطغيان كما فعل فى الدنيا
- (٤١) تبدأ الثلاثيات الأربعة التالية بكلمة أظهر أو أبدى وتتناول من يعاقبهم أعداؤهم أو ضحاياهم
- (٤٢) الكمايون (Alcmeon) بن أمفياروس العراف وإريفولى وكان أمفياروس قد اختبأ حتى
 لا يشترك فى حرب طيبة ، ولكن پولينسس أغرى أمه بقلادة ثمينة فكشفت عن مكان زوجها
 فذهب إلى حرب طيبة حيث مات ، وقبل موته عرض أمفياروس ابنة الكمايون على قتل أمه
 إريفولى ففعل ، وأورد أوڤيديوس هذه الأسطورة
 Ov. Met. IX. 407...
- (٤٣) أى أن القلادة كلفت إريفولى (Eriphyle) حياتها
- (٤٤) سنخاريب (٧٠٥ - ٦٨١ ق. م. Sennacherib) ملك آشور الطاغية المتغترس الذى قتله
 ولداه بعد هزيمته على يد حزقيا
- (٤٥) قتل سنخاريب وهو يصلى فى الهيكل كما ورد فى « الكتاب المقدس »
- II. Re, XIX. 37. Isaia, XXXVII. 38.
- (٤٦) قتل قورش (٥٦٠ - ٥٣٠ ق. م. Cyrus) ملك الفرس ابن تاميريس (Tamiris)
 ملكة إسكيشيا ، فحاربت قورش وهزيمته وقتلته وألقت برأسه فى إناء ملىء بالدم .
 وتوجد صورة تمثل تاميريس من عمل أندريا دل كاستانيو من القرن ١٤ فى دير سانتا
 أبولونيا (سابقاً) فى فلورنسا
- (٤٧) أخذ دانتى هذا عن أورويسوس
 Oros. Hist. II. 7, 6.
- (٤٨) أوليفانا (Holofernes) يقال إنه شخصية أسطورية وإنه كان قائد نبوكدنصر ملك آشور الذى
 حارب اليهود فى القرن ٦ ق. م. ، ولكن يهوديت رمز الطهارة والجمال والشجاعة أوقعت به
 وقطعت رأسه ورجع الأشوريون مهزمين . ووردت أخبار يهوديت فى بعض طبعات من « الكتاب
 المقدس » ومكانها فى الفردوس
 Jud. VIII. - XVI. Par. XXXII.
- ويوجد تمثال ليهوديت تحمل رأس أوليفانا من القرن ١٤ فى كنيسة جوفانى وپاولو فى البندقية
 وتوجد صورة غير كبيرة من عمل ساندرى بوتشلى من القرن ١٥ لمقتل أوليفانا على يد
 يهوديت ، وهى بمتحف الأوفيتزى فى فلورنسا
- (٤٩) يعنى رأس أليفانا على أسوار بيتوليا وجسمه الملقى على الأرض .
- (٥٠) طروادة (Troia) رمز الكبرياء وقد دمرها الإغريق ، وتكرر الإشارة إليها ، وعبر فرجيليو
 عن كبرياء الطرواديين

Inf. I. 74-75; XXX. 89, 114. Par. VI. 6, 67-68;

Virg. Æn. III. 2-3.

Inf. I. 75.

(٥١) إليوم (Illium) إسم لطرودة وسبق ذكرها بهذا الإسم في الجحيم

(٥٢) بدت، طرودة في صورة خربة بعد أن فقدت كبرياءها

(٥٣) ربما قصد دانتي بلفظ (stile) الإزميل الذي يستخدمه النحات في النحت والحفر

(٥٤) هكذا يصف دانتي بعض التفصيلات في فن النحت والحفر الذي يوضح ملامح الإنسان ومعاني

نفسه بصورة تثير الدهشة والعجب في صاحب العقل الدهي الأريب الذي ينفذ إلى كنه الأشياء

(٥٥) أى كان الحفر غاية في الدقة

(٥٦) كان كل ما رآه دانتي آية في الإبداع حتى لم تفضل الصور الوقائع ذاتها. وهكذا يصور

دانتي في شعره بعض الدقائق في فن الحفر، وهذا تمهيد للخروج من فن العصور الوسطى إلى فن عصر النهضة

(٥٧) ربما يقصد دانتي أن حواء هي أول من أظهرت الفطوسة من البشر حينما أكلت من الشجرة

المحرمة، وربما يقصد أن البشر وهم جميعاً أبناء أم واحدة لا يجوز أن يتكبر بعضهم على بعض.

(٥٨) هكذا يندد دانتي بكبرياء البشر وغطرستهم. وهذه سخرية من جانب دانتي.

(٥٩) كان دانتي مشغولاً بالتفكير فيما رآه حتى لم يشعر بالمسافة التي قطعها

(٦٠) كان فرجيليو يسير أمام دانتي منتبهاً إلى الطريق بعكس دانتي الذي كان يسير متأملاً متفكراً

(٦١) يشبه هذا التعبير ما ورد في « الكتاب المقدس »

(٦٢) يشبه هذا تعبير فرجيليو

(٦٣) هو ملاك التواضع وهو أول ملاك من حراس المطهر في أسفل السلم الذي يؤدي إلى الدائرة الثانية،

ومهمته أن يمسح من جبين المتطهرين - ومن جبين دانتي - العلامة الخاصة بخطيئة الكبرياء والفطوسة

(٦٤) يقصد أن الساعة السادسة منذ بداية الصباح قد انتهت وهذا يعني أن الساعة قد تجاوزت

الثانية عشرة ظهراً. ويشبه هذا قول أوفيدوس

(٦٥) يعني أن مثل هذا اليوم لا يتكرر أبداً، ولذلك لا تجوز إضاعة الوقت عبثاً

(٦٦) سبق أن دعا فرجيليو دانتي إلى عدم إضاعة الوقت، ويشبه هذا ماورد في « الإنيابة »

Purg. III. 78; ecc.

Virg. Æn. VI. 538...

(٦٧) أى ملاك التواضع.

(٦٨) اللون الأبيض رمز التواضع والطهارة، وورد هذا المعنى في « الكتاب المقدس »:

Matt. XXVIII. 3; Marco, XVI. 5; Luca, XXIV. 4; ecc.

(٦٩) يشبه هذا المعنى ما أورده هوراتيوس و « الكتاب المقدس »

Horat. Od. III. IX. 21.

Dan. XII. 3.

- (٧٠) يعنى أن الرحمة الإلهية تتلقى دانتي بالترحاب .
- (٧١) هذه هي الدرجات التي تؤدي إلى الحلقة الثانية .
- (٧٢) أى أن من تخلص من الكبرياء يمكنه الصعود بسهولة
- (٧٣) يعنى أن من يتخلصون من الكبرياء والغطرسة قلائل جداً
- (٧٤) أى إلى السماء .
- (٧٥) يعنى لماذا يسقط البشر في مهاوى الخطيئة بتأثير الكبرياء .
- (٧٦) كان الصخر مقطوعاً لكي يصنع سلماً يسهل الصعود عليه .
- (٧٧) أى أزال الملاك بجناحيه علامة الكبرياء من جبهة دانتي .
- (٧٨) المقصود أنه لن تصادفه العقبات وهذا يكون الملاك قد أكد لدانتي أن صعوده سيكون أمراً سهلاً
- (٧٩) هذه موازنة بجبل الصليبان على مقربة من فلورنسا خارج باب سان مينيأتو الذي وجدت به مدارج سهلة
- (٨٠) هذه كنيسة سان مينيأتو (San Miniato) التي ترجع إلى القرن ١١ وتشرف على فلورنسا وهي قريبة من ميدان ميكلائانجلو القائم حالياً على التل الجنوبي الشرقي عند طرف المدينة .
- (٨١) جسر روباكونتي (Rubaconte) يرجع إلى القرن ١٣ ويعرف الآن بجسر الرحمة في فلورنسا
- (٨٢) هذه سخرية بفلورنسا من جانب دانتي لأنه يقصد العكس .
- (٨٣) هذه سلام تمتد كل درجة مها حوالي ٦ أقدام فجعلت الصعود سهلاً إلى كنيسة سان مينيأتو .
- (٨٤) يشير دانتي إلى ما حدث في عهده من أن نيقولا أتشايولي (Niccolò Acciaiuoli) - أحد حكام فلورنسا في ١٢٩٩ - قطع ورقة من سجل القضايا لإخفاء المعالم من شهادة زور لصالحه وكشف أمره
- (٨٥) هذه إشارة إلى أن دوناتو دي كيارامونتيزي (Donato dei Chiamontesi) مراقب إدارة الملح في فلورنسا الذي ارتكب الغش في مكيال الملح لمصلحته وكشف أمره ويقصد دانتي بهذين المثالين الإشارة إلى العصر السابق عليه الذي لم يرتكب فيه مثل ذلك الغش كما يرى .
- (٨٦) يعنى أن الصخر الذي ينحدر شديداً من الدائرة الثانية إلى الدائرة الأولى يصبح معتدل الانحدار في هذا الموضع ، على غرار الدرجات التي تؤدي إلى كنيسة سان مينيأتو .
- (٨٧) أى أن حوائط الصخر كانت متقاربة بحيث يصعب المرور ، ويشبه هذا المعنى ما أورده فرجيليو
- Virg. Æn. V. 169-171.
- (٨٨) المقصود أن الملاك رتل بتموجات مختلفة من صوته ربما مع غيره من الأرواح
- (٨٩) هذا كما ورد في « الكتاب المقدس »
- Matt. V. 3.
- (٩٠) يشبه هذا التعبير ما أورده فرجيليو :
- Virg. Æn. VI. 201.
- (٩١) سبق بكاء المعذبين وعويلهم في اللحيم
- Inf. III. 22; V. 25; VI. 19; VII. 26; IX. 122; XII. 102;
- (٩٢) أصبح دانتي أخف مما كان عليه قبل زوال الكبرياء عنه ويرى بعض الشراح أن المعنى هنا هو أن السلام هي التي أصبحت في درجة انحدارها وتركيبها أسهل في الصعود عليها
- (٩٣) تولى دانتي الدهشة فأخذ يستوضح فرجيليو الأمر
- (٩٤) يعنى حتى تزول عن جبين دانتي علامات سائر الخطايا

- (٩٥) أى العلامة الخاصة بخطيئة الكبرياء والغطرسة
- (٩٦) يعى عندما تزول عنه الخطايا سيجد لذة قائمة في الصعود أعلى .
- (٩٧) هكذا يرسم دانتي صورة حية لمن يسير وقد تولاه الشك .
- (٩٨) أى إشارات من الغير بالابتسام أو بغمز العين أو بحركة الرأس أو اليد لمن يسير ولا يشعر بما فوق رأسه
- (٩٩) يشبه هذا التعبير ما أورده أوفيدديوس
Ov. Met. XV, 566,
- (١٠٠) يتحسس دانتي جبينه بأصابعه لكي يتبين الأمر
- (١٠١) ابتسم فرجيليو علامة الرضا حينما رأى دانتي يتحسس جبينه وقد زالت عنه العلامة الدالة على خطيئة الكبرياء .

الأنشودة الثالثة عشرة^(١)

صعد الشاعران إلى الإفريز الثاني الذى بدا قفراً وفى لون الصخر الداكن رمز الحقد والحسد واهتدى فرجيليو بحركة الشمس ونورها واستعان بها فى سيره ، وسمع دانتى أرواحاً تنطق بدعوات رقيقة إلى مائدة المحبة - التى تمحو الحسد - وتمثلت بأقوال ماريا وأوريسيتس والمسيح . وأمعن دانتى النظر فرأى أشباحاً بعباءات فى لون الحجر ، وأخذة الإشفاق عليها حتى ذرف الدمع الغزير ، وكانوا كالعميان الذين يقفون أمام الكنائس يطلبون الإحسان وقد مال كل مهم برأسه على الآخر ليستدرّوا الرحمة بكلامهم وهيثهم ، وكانوا عاجزين عن رؤية النور؛ لأن أعينهم أغلقت بأسلاك من حديد كما يُصنع بالباز البرى الذى لا يهدأ بالا . وشعر دانتى أنه يسىء إلى هؤلاء العميان إذ يسير بينهم ويراهم وهم لا يرونه ، فأدرك فرجيليو ما يدور بخاطره وحفزه على الكلام دعا دانتى لهؤلاء بأن يبدّد الله زبد ضمايرهم لكي تصفو ذاكرتهم ، وسألهم أيوجد بينهم واحد من اللاتين ورأى دانتى شبحاً رافعاً ذقنه كشخصٍ أعمى ، وكان ذلك شبح ساپيا السيينية التى اعترفت له بأنها لم تكن حكيمة حينما فرحت بمصائب الآخرين أكثر من فرحها بمباهجها هى ، وقالت إنها ابتهلت إلى الله أن يحقق إرادته حتى يخسر مواطنوها معركة كولى ، وحينما رأتهم يولّون الأدبار أخذتها بهجة لا تدانيها بهجة ، ثم اتجهت إلى التوبة فى أخريات أيامها وسألت دانتى عن شخصه بعد أن عرفت أنه إنسان حتى واعترف دانتى بأنه لم يرتكب الحسد إلا قليلاً ، وأنه يخاف عذاب المتكبرين فى الإفريز الأول وأبدى استعداداه لأن يؤدي لساڤيا ما تطلبه ، فسألته أن يُعيها بصلاته وأن يحمل ذكراها الحسنة إلى أهلها المتغطرسين

- ١ كنا قد بلغنا ذروة السلم ، حيث ينحسر من جديد^(٢) الجبل الذي يخلص
الناس من المعصية بارتقاء درجاته^(٣)
- ٤ وهناك إفريز يدور حول الجبل - كالإفريز الأول^(٤) - ، سوى أن قوسه
ينحني بصورة أكبر^(٥)
- ٧ وما من روح يـرى به ولا صورة تُنظر^(٦) ؛ ويبدو كلُّ من الجبل والطريق
عاريين وفي لون الصخر الداكن^(٧)
- ١٠ قال الشاعر « إذا نحن انتظرنا قوماً لنسألهم ، فأخشى أن يتعطل اختيارنا
للطريق طويلاً^(٨) »
- ١٣ ثم ثبتت على الشمس عينيه^(٩) ؛ وجعل من جنبه الأيمن لحركته محوراً ،
واستدار بالجنب الأيسر من جسمه^(١٠)
- ١٦ وقال « أيها النور المبارك^(١١) ، الذي أدخل في رعايته الطريق الجديدة ،
امض بنا كما يقتضيه السير هنا بالداخل^(١٢) »
- ١٩ إنك تدفئ الدنيا وتشع عليها بضياك^(١٣) : وينبغي أن تكون أنوارك دلائلنا
أبدأ^(١٤) ، إذا لم يدع سبب آخر إلى العكس^(١٥) »
- ٢٢ وإن ما نحسبه هنا بمسافة ميّلت^(١٦) ، كنا قد قطعناه هناك في وقتٍ
قصير^(١٧) ، بالرغبة الملمحة التي تملكنا^(١٨) ؛
- ٢٥ وسمعنا حفيف أرواح تطير نحونا بدون أن نراها ، وأخذت تهتف بنداواتها
الرفيقة إلى مائدة المحبة^(١٩) .
- ٢٨ وقال عالياً أول صوت مرّ بنا في طيرانه "ليس لهم خمر"^(٢٠) ، ثم مضى
من خلفنا وهو يردد قوله^(٢١) .
- ٣١ وقبل أن ننقطع تماماً عن سماع كلماته ببعده عنا ، مرّ بنا صوت آخر
يصيح قائلاً "إنني أوريستس"^(٢٢) ، ولم يتوقف هو كذلك^(٢٣)
- ٣٤ فقلتُ « أوّاه ، أربة أصوات هذه يا أبتاه^(٢٤) ؟ ». وفيما كنت أسأله إذا
بصوتٍ ثالثٍ يقول "أحببوا من نالكم مهم الضرر"^(٢٥)
- ٣٧ فقال معلمى الطيب « بالسوط تلهب هذه الدائرة خطيئة الحسد^(٢٦) ،
ولذا فإن أهدا به مستمدّة من المحبة^(٢٧) »

- ٤٠ وينبغي أن يكون الرادع من نعمة مغايرة (٢٨): وفي رأبي—أنتك ستسمعها كما أتصور— قبل أن تبلغ طريق الغفران (٢٩).
- ٤٣ ولكن فلتثبت بصرك بانتباه عبر الهواء (٣٠)، وسترى أمامنا قوماً جلوساً، وقد ارتكز كلُّ مهم على طول الصخر (٣١)»
- ٤٦ حينئذٍ حملتُ بعينيَّ أكثر من ذي قبل (٣٢)؛ ونظرتُ أمامي، فرأيتُ أشباحاً تسربلتُ بعباءات لا يختلف لونها عن لون الصخر (٣٣).
- ٤٩ وبعد أن مضينا إلى الأمام قليلاً، سمعناهم يصيحون "صَلِّ من أجلنا يا ماريا!" (٣٤)؛ وسمعتُ صيحاتٍ تنادى بأسماء "ميكائيل" (٣٥) و"بطرس" (٣٦) و"جميع القديسين"
- ٥٢ لا أظن أن إنساناً يسير حتى اليوم فوق الأرض، تبلغ به القسوة حدًّا لا يطعن عنده الأسى قلبه— بما رأيتُه حينئذٍ (٣٧)
- ٥٥ إذ أني حينما أصبحتُ شديد القرب إليهم، بحيث تبينتُ أوضاعهم جليئة (٣٨)، انهمر مرير الأسى من عينيَّ هتونا (٣٩)
- ٥٨ وبدوا لي أنهم تغطَّوا بقماش صنَّع من خشن الشعر (٤٠)، وتحامل كلُّ مهم على كتف الآخر (٤١)، واحتمل الصخر ثقلهم جميعاً
- ٦١ وكالعميان الذين يُعوزهم القوتُ فيقفون في أيام الغفران (٤٢) ليسألوا حاجتهم، وقد مال كلُّ مهم برأسه على الآخر (٤٣)،
- ٦٤ لكي يسارع إلى إثارة الشفقة في قلوب الناس، لا برنين كاماته وحدها، بل بنظراته التي هي ليست أقلَّ تأثيراً (٤٤).
- ٦٧ وكما لا يبلغ نور الشمس أعين العميان، كذلك يأتي هنا نور السماء أن يبسط ظلَّه على الأشباح التي تكلمتُ عنها الآن (٤٥)؛
- ٧٠ إذ أن سلكاً من حديدٍ يخترق أجفانهم جميعاً ويحيكها (٤٦)، كما يُصنَّع بالباز البري إذ لا يهدأ بالا (٤٧).
- ٧٣ وفي مسيرى بدا لي أني أهيمهم، حينما كنت أراهم بدون قدرتهم على أن يروني (٤٨): ولذا اتجهتُ إلى ناصحي الحكيم (٤٩)

- ٧٦ ولكنه أدرك ما أردت بصمتي^(٥٠) أن أقوله: ولذلك لم ينتظر أن أتجه إليه بسؤالى ، بل قال « تكلمتم ، وكن موجزاً والزم موضوعك^(٥١) » .
- ٧٩ وجاءنى فرجيليو من ذلك الجانب من الإفريز الذى يسهل فيه تعرض الإنسان للسقوط^(٥٢) ، إذ لا يحيط به سور^(٥٣) ؛
- ٨٢ وفى جانبي الآخر^(٥٤) وقفت أشباح المتّضعين^(٥٥) ، الذين بكوا بمرارة خلال حياة أعينهم الرهيبة ، حتى اخضلت خدودهم بالدمع^(٥٦)
- ٨٥ واتّجهتُ إليهم وبدأتُ « أيها القوم الواثقون من مشاهدة الأنوار العلوية ، التى هى وحدها ما تتشوقون إليها^(٥٧) -
- ٨٨ ألا فلتبّدّ النعمة الإلهية زبدَ ضمائرکم سريعاً^(٥٨) ، حتى يسيل مجرى ذاكرتكم صافياً خلالها^(٥٩) ،
- ٩١ فلتخبرونى - إذ سيكون هذا مقبولاً لدىّ وعزيزاً - أتوجد هنا بينكم روحٌ من اللاتين^(٦٠) ؛ فقد يكون من الخير لها أن أعرف ذلك^(٦١) »
- ٩٤ « يا أخى ، إننا هنا جميعاً مواطنون من المدينة الحقّة^(٦٢) ؛ ولكنك تعنى بسؤالك من عاش فى إيطاليا غريباً^(٦٣) »
- ٩٧ بدا لى أنى أسمع هذا الجواب من روحٍ تتقدّم قليلاً عن الموضع الذى كنت واقفاً فيه ، ولذا جعلتُ صوتى مسموعاً أقرب إليهما^(٦٤) .
- ١٠٠ ومن بين الآخرين رأيت روحاً بدت عليها أمارات الترقب ؛ ولو رغب أحدٌ أن يسألنى "كيف" ؟ ، لقلتُ إنها كانت مرفوعة الرأس بهيئة المكفوف^(٦٥) .
- ١٠٣ قلتُ « أيتها الروح التى تروضين نفسك لى تصعدى أعلى^(٦٦) ، إذا كنت أنت من توجّهت إلىّ بالجواب ، فعرفى بشخصك بذكر اسمك أو بلدك^(٦٧) »
- ١٠٦ فأجابتنى « كنت سيينية^(٦٨) ، وإنى أتطهر هنا مع هؤلاء القوم من حياتى الآثمة ، وإننا لنذرف الدمع إلى من نأمل أن يُعيرنا نفسه^(٦٩) .
- ١٠٩ ولم أكن حكيمةً مع أنى دُعيتُ باسم ساپيا^(٧٠) ، وبأرزاء الآخرين كنتُ أشدّ ابتهاجاً مما كنتُ بحظّى السعيد^(٧١) .

- ١١٢ ولكيلا تظنّ أني أخذتُك ، فلتتبيّن - فيما أنا أحدُك - أكنتُ قد جنّ جنوني (٧٢) - حينما آذن قوس عمري بالنزول (٧٣) ،
- ١١٥ كان أهل موطني قد خاضوا المعركة مع أعدائهم (٧٤) ، على مقربة من كوتّي (٧٥) ، فأخذتُ أصليّ لله من أجل ما تجلت فيه مشيئته (٧٦)
- ١١٨ وهناك مُنوا بالهزيمة ورُدّوا إلى خطى الحرب المرير (٧٧) ؛ وبينما كنتُ أشهد مطاردتهم أخذتني بهجةٌ منقطعة النظير (٧٨) ،
- ١٢١ حتى اتجهت إلى أعلى بوجهي المجترئ رافعة عقيرتي على الله وقلت "لم أعد أخشى بأسك الآن ! (٧٩) - كما يفعل الشحرور بسنوح بارقة من إشراق السماء (٨٠)
- ١٢٤ ولما أشرفتُ على ختام حياتي أردتُ أن أعقد السلام مع الله ، ولكن ما كان ديتني لينقص بعدُ بالندم (٨١) ،
- ١٢٧ لو لم يحدث أن تذكرنى بطرس المشاط (٨٢) في صلواته المقدّسة (٨٣) ، الذي تأسى على حالي رحمةً بي
- ١٣٠ ولكن من أنت الذي تسير مستفسراً عن حالنا - بعينين مفتوحتين (٨٤) - أعتقد - وتكلم بينما تردّد أنفاسك (٨٥) ؟ .
- ١٣٣ فقلت « إنني سأحرم هنا من عيبي (٨٦) ، ولكن لفترة قصيرة ، إذ قل ما ارتكبتاه من المعاصي بنظرة الحسد (٨٧)
- ١٣٦ وإن خوفاً أشدّ منه وطأةً يجعلني معلق النفس ، ألا وهو الخوف من العذاب في أسفل (٨٨) ، إذ لا تزال تُثقلني أحلامهم هناك تحت (٨٩) .
- ١٣٩ فقالت لي « إذآ من الذي جاء بك هنا بيننا فوق ، ما دمت تعتقد أنك ستعود إلى أسفل (٩٠) ؟ » فقلتُ « إنه ذلك الذي هو معي ولا ينطق بكلمة (٩١)
- ١٤٢ وإنني لإنسانٌ حيٌّ ؛ ولذا فلستسأليني أيها الروح المختارة - إذا كنت تريدين أن أحرّك بعدُ في سبيلك قدمي الفانيتين - في عالم الأرض (٩٢) .
- ١٤٥ فأجابت « آه ، هذا شيءٌ جديدٌ على سمعي ، وإنه للدليل عظيمٌ على أنك حبيب الله (٩٣) ؛ ولذا فلستُعيني بصلواتك أحياناً (٩٤)

- ١٤٨ وإني لأسألك باسم ما أنت شديد الشوق إليه^(٩٥) ، إذا وطئت يوماً أرض
تُسكّانا ، أن تُعيد ذكرى الحسنة لدى أقربائي^(٩٦)
- ١٥١ إنك ستراهم بين أولئك القوم المزهوين^(٩٧) ، الذين يحدوهم الأمل في
تالاموني^(٩٨) ، وسيفقدون هناك أملاً أكبر مما راودهم في العثور على
ديانا^(٩٩) ؛
- ١٥٤ ولكن أمراء البحر سيُمنون هناك بأفدح خسارة^(١٠٠)»

حواشى الأنشودة الثالثة عشرة

- (١) هذه أولى أنشودات الحاسدين وتعرف بأنشودة سايبيا
- (٢) يقطع الجبل قطعاً دائرياً لكى يصنع الإفريز الثانى
- (٣) يعنى يظهر نفوس الصاعدين على جبل المطهر
- (٤) أى الإفريز الأول فى الأنشودة العاشرة
- (٥) هذا لأنه كلما صعدا الجبل صغرت دائرة الإفريز ولذلك يزيد انحناء دائرته ، والقوس هنا معناه الدائرة
- (٦) هذا بعكس الإفريز الأول فى الأنشودة الثانية عشرة
- (٧) اللون الداكن أو الأغبر رمز للحسد وهذا مقتبس من أوفيدىوس
- Ov. Met. II. 760
- (٨) أضفت (للطريق) للإيضاح
- (٩) كانت الساعة قد تجاوزت منتصف النهار ، وكان دائتى و فرجيليو على الجانب الأيسر من الجبل ، وبذلك كانت الشمس على يمينهما
- (١٠) استدار فرجيليو لكى يعرف المكان
- (١١) فرجيليو يخاطب الشمس رمز الله والرحمة الإلهية ، وسبق أن أشار كاتونى إلى ذلك
- Purg. I. 107.
- (١٢) يعنى أن قاعدة السير فى المطهر هى إلى اليمين
- (١٣) أى أن الشمس مصدر الحياة
- (١٤) يستخدم دائتى لفظ الأنوار ولفظ الدلائل بصيغة الجمع لتقوية المعنى .
- (١٥) يعنى إذا لم يعترضهما عائق يجعلهما يسيران فى طريق مخالف فستكون أشعة الشمس رائدهما فى المسير
- (١٦) يقصد دائتى الدنيا بقوله هنا
- (١٧) يقصد دائتى المطهر بقوله هناك .
- (١٨) هكذا حفزت الرغبة القوية دائتى و فرجيليو على الإسراع فى المسير
- (١٩) أى كانت هذه الأرواح تردد نداءها الرقيق إلى مائدة المحبة التى تطهر النفوس من خطيئة الحسد
- (٢٠) هذا ما قالته العذراء ماريا فى ولية زواج فى الجليل عند ما لم تجد النييد ، فحول المسيح الماء إلى نييد كما ورد فى « الكتاب القدس » ، والمقصود التعبير عن شعور العطف والمحبة نحو من أعوزهم الطعام والشراب
- Giov. II.
- (٢١) مضى الصوت يكرر هذا القول لكى يثير الحب فى قلوب المتطهرين حتى يتخلصوا من الحسد ، وهذا يناسب الحاسدين الذين لم يحبوا إلا أنفسهم
- (٢٢) أوريستس (Orestes) بن أجامنون وكليمنسرا أنقذته أخته إليكترا من الموت عندما تأمرت أمهما على قتل أجامنون ، ونشأت الصداقة بينه وبين بيلاديس ابن ملك فوسيا وانتقم أوريستس لمقتل أبيه وأصيب بالجنون ، وكان لابد لشفائه من العثور على تمثال أرتيمس ،

وتعرض في ذلك لفتك الجمهور ، فأعلن بيلاديس أنه هو أوريستس لينقذ صاحبه من الهلاك ، ولكن أوريستس أفصح عن حقيقة شخصه ، وانتهى الأمر بنجاتهما معاً والمقصود هنا أن أوريستس وبيلاديس قد تحاببا حتى حاول كل منهما أن يموت بدلاً من الآخر وهذا المثال يساعد النفس على التخلص من الحسد وأورد هذه الأسطورة أوفيدوس وشيشرون في

Ov. Epis. ex Ponto, III. 2, 69...

Cic. De Am. VIII. 24.

- (٢٣) يعنى لم يعد يسمع الصوت الثانى كذلك
- (٢٤) يخاطب دانتي فرجيليو بلفظ الأب - كما فعل في مواضع سابقة ويستفسر عن هذه الأصوات
- (٢٥) يشبه هذا قول المسيح للحواريين
- (٢٦) هذا في مقابل الإفريز الأول الذى يعذب فيه المتكبرون
- (٢٧) أى أن الحجة تخلص النفوس من الحسد
- (٢٨) يعنى ينبغى أن يكون اللجام العائق عن ارتكاب الحسد عائقاً من نوع مخالف أى غير ما اتبع في التخلص من خطيئة الكبرياء
- (٢٩) يعنى المكان الذى يبدأ عنده السلم المؤدى إلى الإفريز التالى
- (٣٠) استخدم دانتي لفظ (الوجه) ويقصد العينين
- (٣١) هؤلاء هم الحاسدون وقد جلسوا مستنديين إلى الصخر في الإفريز الثانى .
- (٣٢) فتح دانتي عينيه مزيداً لكى يكون أقدر على الرؤية
- (٣٣) أى كانت داكنة اللون وهذا رمز الحسد
- (٣٤) أنشد الحاسدون نشيد القديسين الذين يسألون ماريا ملكة السماء أن تصلى من أجلهم .
- (٣٥) نادى الحاسدون الملاك ميكائيل
- (٣٦) ونادوا بطرس الرسول والمقصود الاستنجاد بالرحمة الإلهية لكى تساعدكم على التخلص من الحسد
- (٣٧) يعنى أنه لا يظن أنه يوجد إنسان قاسى القلب إلى الدرجة التى لا يتأثر بها عند رؤية هؤلاء المتطهرين من خطيئة الحسد
- (٣٨) يصور دانتي بدقة كيف اقترب مهم حتى رآهم بوضوح
- (٣٩) تأثر دانتي المرهف الحس حتى تدفق الدمع من عينيه
- (٤٠) هو قماش خشن يصنع من شعر الخيل وبه عقد تؤلم الظهر ، وفتحات لا تمنع البرد ، وهذا يناسب الحاسدين الذين لم يجربوا أحداً
- (٤١) كان كل اثنين يستندان إلى بعضهما ، وهذا التساند في المطهر هو بعكس ما اتصفوا به من الحسد، إذ لم يتحابوا ولم يتعاونوا في الحياة الدنيا
- (٤٢) في الوقت الذى كانت تباع فيه صكوك الغفران وفي أيام الأعياد الدينية كان الفقراء يأتون لنيل بعض الإحسان أمام الكنائس
- (٤٣) سقطت أو مالت رؤوس الشحاذين العميان ثقيلة على أكتاف بعضهم بعض ، وبذلك ظهر جيداً أنهم فقدوا البصر ، وهذه صورة دقيقة مأخوذة من الحياة الواقعة
- ويوجد حفر يمثل العميان بما يقرب من هذه الصورة من صنع تينو دى كامينو من القرن ١٤ في متحف البلدية في پيزا

- (٤٤) أى أن الشحاذ الأعمى يؤثر فى الناس بمنظره وكلامه معاً
 (٤٥) ارتكب الحاسدون الخطيئة بعيونهم ولذلك يحرمهم الله من النظر فى المطهر.
 (٤٦) أغلقت عيون الحاسدين بأسلاك من حديد حتى تمتنع عليهم الرؤية
 (٤٧) هذه صورة مقتبسة من حياة الصيد فى عصر دانتي ، وقد تأثر فى ذلك بما كتبه الإمبراطور
 فردريك الثانى عن البيزرة والذى تأثر بدوره بثقافة العرب فى هذا الفن

Fed. II. De Arte Venardi, trans. by Casey A. Wood and F. Marjorie Fyle,
 Oxford, 1955. II. XXXVII. pp. 137-138.

- وعقاب الحاسدين بالمعنى فى هذه الأنشودة وفى الأنشودتين ١٤ و ١٥ يشبه بعض ما ورد فى
 تراث الإسلام؛ إذ تتلقى جهنم أهلها يوم القيامة وهم مغلولو الأيدي والأرجل والرقاب وفى هذا
 تشابه فى العقوبة مع عدم تحديد المعصية:
 الشعرانى، عبد الوهاب مختصر تذكرة القرطبي القاهرة ، ١٣٠٨ هـ ص ٧٣
 (٤٨) هكذا يعبر دانتي المرهف الحس عن احتمال إساءته إلى العميان حينما يراهم بدون أن تكون لهم
 القدرة على رؤيته ، وهذا إحساس غاية فى الدقة لا يدركه إلا دانتي أو من يقترب منه
 (٤٩) اتجه دانتي إلى فرجيليو كأنه يستأذنه فى الكلام لكى يشعر العميان بوجوده
 (٥٠) استخدم دانتي لفظ (الأخرس) ويقصد نفسه
 (٥١) هكذا حفز فرجيليو دانتي على أن يتكلم كلاماً موجزاً محددًا واضحاً ويشبه هذا المعنى
 ما سبق
 (٥٢) كان الشاعران يسيران صوب اليمين وكان إلى يسار دانتي أرواح المتطهرين وإلى يمينه
 فرجيليو .
 (٥٣) سار فرجيليو إلى يمين دانتي حتى لا يسقط من الإفريز
 (٥٤) يعنى إلى الجانب الأيسر
 (٥٥) كانت الأرواح الخاشعة المتضعة ترتل فى تفكيرها نشيد القديسين
 (٥٦) ذرف المتطهرون دموعهم بصعوبة خلال أعينهم المغلقة بأسلاك الحديد .
 (٥٧) الله وحده غاية الطوباويين وعليه يتوكلون ، ويشبه هذا المعنى ما ورد فى « الكتاب المقدس »

Salm. XI. 3.

- (٥٨) يعنى فلتمح الرحمة الإلهية كل ما فى نفوسهم من آثار الحسد .
 (٥٩) أى لكى تم رؤيتهم لله بعد تخلصهم من شوائب الخطيئة
 (٦٠) يعنى من الإيطاليين ، وسبق هذا التعبير

Inf. XXII. 85; XXVII. 33; XXIX. 88; Purg. XI. 58.

- (٦١) أى أنه إذا عرفها فسيذكرها فى دنيا الأحياء .
 (٦٢) يعنى مدينة الله أو مدينة السماء ، وتسمى أورشليم كذلك ، وورد هذا التعبير فى « الكتاب
 المقدس »
 Apoc. XXI. XXII. 14; ecc...
 (٦٣) فى الأصل لفظ حاج (peregrino) والمقصود أنه غريب مرتحل عن مدينة الله ، والإنسان
 عند دانتي غريب بعيد عن مدينة السماء طالما هو غارق فى خطايا الدنيا ، وتنتهى غربته بعودته
 إلى السماء . وكرر دانتي استخدام لفظ الحاج بهذا المعنى

Purg. II. 63; VIII. 4;

- (٦٤) نظراً لأن هذه الأرواح كانت عاجزة عن الرؤية جعل دانتى نفسه مسموعاً لديها برفع صوته وبجره سيره
- (٦٥) فصل دانتى هذه الروح عن سائر المتطهرين وصورتها مأخوذة من الملاحظة الدقيقة للكفيف الذى يرفع رأسه متطلعاً إلى النور
- (٦٦) أى تطهر نفسها حتى تصبح جديرة بالصعود إلى السماء
- (٦٧) قال دانتى فى الأصل (بالمكان أو بالاسم)
- (٦٨) يعنى من أهل سيينا (Siena) وتبدأ هذه الروح بالاعتراف بخطيئتها وتحلل نفسها بنفسها
- (٦٩) فى الأصل (حتى يعيرنا نفسه) والمقصود أن هذه الأرواح تبكى ضارعة إلى الله أن يتجلى لها
- (٧٠) لم تكن عاقلة حكيمة مع أن اسمها مشتق من الحكمة، وهى بذلك تسخر من نفسها. وهذه هى ساپيا دا سيينا (Sappia da Siena) وهى نبيلة من أسرة بيجوتزى (Bigozzi) تزوجت من جينيالدو دى سارتشيبى (Ghinibaldo dei Sacini) سيد كاستليونتشلو (Castiglioncello) بقرب مونتر يدجونى (Montreggioni)، وهى عمه پروفتزان سالقانى (Provenzano Salvani) السالف الذكر (Purg. XI. 121) ويقال إنها ذفيت من فلورنسا فامتلاً قلبها بالحسد والحقد على مواطنيها، وابتهجت عندما انتصر الحلف الفلورنسيون على سيينا الجبلية
- (٧١) بلغ بها الحقد والحسد أنها كانت تفرح بويلات الغير أكثر مما تبتهج بما تناله هى من أسباب السعادة
- (٧٢) تريد ساپيا أن يصدق دانتى إلى أى حد كانت مليئة بالحقد والحسد
- (٧٣) المقصود أنها تجاوزت منتصف العمر أى سن ٣٥، وهذا لا يطابق الواقع لأنها كانت عندئذ قد أشرفت على الستين
- (٧٤) الأعداء هنا هم الفلورنسيون
- (٧٥) كولى (Colle) مدينة تقع على تل بقرب سيينا فى وادى إلسا وفى ١٢٦٩ وقعت عندها معركة بين قوات سيينا الجبلية بقيادة سالقانى - تؤيدها قوات ألمانية وأسبانية - وبين قوات فلورنسا الجلفية - تؤيدها قوات فرنسية، وانتهت بانتصار فلورنسا، وكان ذلك بمثابة انتقام لهزيمتها فى موقعة مونتاپرى.
- وتوجد صورة صغيرة لهزيمة أهل سيينا فى كولى ولخندى من المشاة يحمل رأس پروفتزان سالقانى وترجع إلى القرن ١٤، وهى فى مكتبة كيجى فى روما
- (٧٦) صلت ساپيا إلى الله لكى ينفذ حكمه وقضاهه بهزيمة سيينا، أى أن صلاتها اتفقت وإرادة الله، وكانت صلاة رهيبة دعت فيها إلى هزيمة قومها
- (٧٧) تذكر ساپيا بلدة فائقة الهزيمة والارتداد والهروب المرير الذى لحق بجند سيينا
- (٧٨) ابتهجت ساپيا بهجة منقطعة النظير للهزيمة التى حلت بوطنها وهذا من أشد مراتب الحقد والحسد، وعبر دانتى عن ذلك بقوله إن البهجة التى أحستها ساپيا فاقت سائر أنواع البهجة
- (٧٩) يعنى أنه ما دام الله قد هزم مواطنيها فى المعركة فلم يعد لديها ما تخشى الله من أجله، وليفعل بها ما يشاء طالما أن قومها قد هزموا وهذا منتهى الحقد من جانبها على أهل سيينا
- (٨٠) يخشى الشحرور البرد، وإذا رأى بارقة من الطقس الجميل يخرج مبتهجاً من وكره وقد ظن أن الشتاء قد انتهى، وتسمى الأيام الأخيرة من يناير فى شمال إيطاليا أيام الشحرور.
- (٨١) أى أن مكانها كاد يصبح مع المهملين الكسالى فى مقدمة المطهر لأنها تأخرت فى التوبة والندم، وهى تتجه هنا إلى السلام بعد الحقد العنيف.

- (٨٢) پيتر پتينايو (Pier Pettinaio) - بطرس المشاط - هو پيترو دا كامبي (Pietro da Campi) من كيانتي (Chianti) في شمال شرق سيينا كان يعمل في صناعة أمشاط الشعر وتجارها واشتهر بأمانته وعفته حتى اعتبره كثيرون واحداً من القديسين ، ومات في ١٢٨٩ ، وأقيم له قبر في سيينا واعتادت ساپيا أن تمدّه بالإحسان الذي كان يوزعه على الفقراء والمحتاجين وتوجد صورة ترجع إلى القرن ١٤ تمثل بطرس المشاط واقفاً وهي بمتحف الفنون في سيينا
- (٨٣) يعنى أن صلوات پيترو پتينايو رفعت ساپيا من مقدمة المطهر إلى الإفريز الثاني
- (٨٤) أى أن دانتي يسير بعينين لم يغلهقما السلك ، وعرفت ساپيا ذلك من كلام دانتي وحركة سيره ، وهي هنا تتجه للاستفسار عن تحادته بعد أن أفضت بما في نفسها
- (٨٥) سمعت ساپيا - التي لا ترى - أنفاس دانتي وهو يتكلم فأدركت أنه على قيد الحياة وأنه لم يأت هنا لكي ينال عذاب التطهير
- (٨٦) يعنى ستغلق عيناه هنا بالسلك ، ويحاول دانتي بقوله أن يخفف عما تعانیه ، لأنه ارتكب الحسد قليلاً في أثناء الحياة ، وهذا من جانبه شعور رقيق عطوف يناسب التعاطف بين النفوس في المطهر
- (٨٧) يعترف دانتي بأنه لم يشعر كثيراً بالحسد نحو الناس
- (٨٨) يخاف دانتي من عذاب آخر في الإفريز الأول في أسفل - أى إفريز المتكبرين
- (٨٩) يقصد أنه كان متكبراً في الحياة وأنه لا يزال يشعر بعبء ما ارتكبه بخطيئة الكبرياء ، ولا يزال يحس بثقل الأحجار التي يحملها المتكبرون فوق ظهورهم
- (٩٠) يحسن أن يفسر المقصود بأنه الرجوع إلى الأرض - لا إلى الإفريز الأول كما يرى بعض النقاد - لأن ساپيا أدركت أن دانتي على قيد الحياة ، ولذا فلا بد من رجوعه إلى الأرض
- (٩١) أى فرجيليو
- (٩٢) يريد دانتي أن يؤدي خدمة لساڤيا حينها يعود إلى الأرض
- (٩٣) أبدت ساپيا دهشتها عندما علمت أن دانتي لا يزال على قيد الحياة وبذلك عرفت أنه متمتع ضا الله ويقول النص (إنه دليل عظيم على أن الله يحبك)
- (٩٤) أسألت ساپيا دانتي أن يعاومها بالصلاة من أجلها
- (٩٥) يعنى السلام الأبدي
- (٩٦) أى يخبر أهلها بأنها ليست بين الملعونين في الجحيم بل إنها تتطهر لكي تنال الخلاص ويوضح هذا القول الارتباط الوثيق بين الدنيا والآخرة عند دانتي
- (٩٧) لا تزال ساپيا تحمل على أقربائها ولا تقول عنهم كلمة طيبة مع أن هذا لا يناسب المتطهرين الذين يأملون في بلوغ السماء ، وفي هذا مزج بين عواطف الدنيا ومشاعر الآخرة
- (٩٨) تالاموني (Talamone) قلعة وميناء اشترتها سيينا في ١٣٠٣ وبذلت مالا كثيراً لتجعلها مركزاً دفاعياً وميناء صالحاً في ساحل ماريما ، ولم تفلح هذه الجهود في عهد دانتي بسبب انتشار الملاريا ، ولكن تالاموني أصبحت فيما بعد ميناء صالحاً والأمل في تالاموني يعنى الأمل في الإفادة بهذا الميناء .
- (٩٩) ديانا (Diana) اسم مهر جوفى اعتقد أهل سيينا بوجوده وبذلوا كثيراً من المال والجهد في سبيل الكشف عنه لتموين المدينة بالماء . وسعى هذا النهر كذلك لأنه يقال إنه وجد

تمثال قديم لديانا في ميدان سيينا. وبعد موت دانتي كشف عن مجرى مائى أفاد منه أهل سيينا ، ويوجد الآن بئر ديانا في دير سانتا ماريا دل كارمى في سيينا ويرى بعض النقاد أن دانتي ربما قصد ديانا ذاتها لا مجرد مجرى مائى سمى باسمها لأنها ربة الينابيع وترمز للمياه على العموم (١٠٠) هناك خلاف بين النقاد على معنى لفظ (ammiragli) ؛ فالقدماء مهم يرون أن المقصود به من اشتغلوا بالبحث عن المياه الجوفية ، والرأى الأغلب أن المقصود به أمراء البحر ويرى بعض النقاد أن هذا البيت يعنى أن كثيراً من أمراء البحر هلكوا بسبب الملاريا ويرى آخرون أن المقصود بالحسرة هنا أن أمل رجال البحرية لم يتحقق من حيث بناء أسطول قوى يدافعون به عن بلادهم .

وسايبا السيينية إحدى الشخصيات الحية في الكوميديا التي تعبر عن نفسها بصدق وإخلاص وبساطة ، وهي لا تخفى شيئاً مما ساورها ، وتذكر الحقد والحسد اللذين أحسهما نحو مواطنيها ، وهي في تطهرها لا تزال تحمل على قومها وتنعتهم بالكبرياء والغرسة وبذلك تتجاذبها خطيئة الحسد والرغبة في التكفير والتطهر منها في وقت واحد وهذا مزيج دقيق من عواطف البشر المتضاربة التي تأخذ في النهاية سبيلها نحو التوبة والغفران. وهذا دليل على أنه ليس من السهل على الإنسان أن يتخلص من الحقد والحسد وأن يتحول إلى الساحة ومحبة الناس وهذه إحدى لمسات دانتي بريشته البارعة ومحاولته الكشف عن بعض خفايا النفس البشرية

الأنشودة الرابعة عشرة^(١)

سمع دانتى روجين تتكلمان عنه إذ جاء إلى المطهر حيناً ، وكان الأول هو جويدو دل دوكا والثانى رينييرى دا كالبولى وسأله جويدو عن شخصه ومن أين جاء ، فأجابه بأنه أتى من ضفتى هر ينساب وسط تسكانا (ويقصد هر الأرنو) . وتساءل رينييرى لم أخى دانتى اسم النهر ، فتكلم جويدو نيابة عنه وذكر كيف ينحدر النهر ، وكيف يطارد الناس الفضيلة على ضفتيه ، وقال إن النهر يجد على جانبيه خنازير قبيحة (أهل كازنتينو) ، ثم يلقى كلاباً تنبح بما يزيد عن طاقتها (أهل أريتزو) ، ثم تصبح الكلاب ذئباً (أهل فلورنسا) ، وفي انحداره يجد الثعالب المليئة بالغدر (أهل پيزا) ، ويقول إن من خير هذا الرجل (أى دانتى) أن يذكر بعد ما يكشف عنه الروح الحق. وقال جويدو: إن حفيد رينييرى (فولتشييرى) سيصيد الذئب على ضفة النهر الوحشى (الأرنو) ، وسيبيع أجساد الفلورنسيين وهم على قيد الحياة ، وسيخرج ملطخاً بالدم من الغابة الحزينة التى لن تستعيد أشجارها المزدهرة بعد ألف سنة ، وفي أثناء ذلك تولى رينييرى الحزن والاضطراب . وتأثر دانتى بهذا الموقف فرجأهما أن يفصحا له عن اسميهما فأفصح جويدو دل دوكا عن اسمه وقال إن الحقد ملأ قلبه ، حتى إنه كان يكفهر لرؤية غيره سعيداً ، وأفصح عن اسم رينييرى دا كالبولى الذى كان زيناً لأسرته ، ولكن لم يرثه من هو فى شمائله . وذكر أن المنطقة الواقعة بين الپو والأپنين والبحر الأدرياتي وهر الرينو مليئة ببراعم سامة فات الأوان لاقتلاعها حتى تزرع الأرض . وتساءل قائلاً أين خيرة الرجال مثل أريجو ماناردى وپير تراقسارى وبرناردينو دى فوسكو وفيدريجو تينيوزو... وسأل التسكانى (أى دانتى) أن يذهب عنه لأن البكاء يلد له أكثر من الكلام وسار دانتى وفرجيليو ، وسمعا أصوات بعض من ينالون العقاب لكى يتطهروا من الحسد وختم فرجيليو الموقف بالتنديد بالبشر الذين يتطلعون إلى الأرض دون السماء فيأخذهم الله بالعذاب الأليم

- ١ من° ذا الذى يطوف حول جبلنا (٢) ، ويفتح عينيه ويُسَلِّقهما كما يشاء (٣) —
 قبل أن يهبه الموت نعمة الطيران (٤) ؟ »
- ٤ « لا أدري مَنْ° يكون (٥) ، ولكنى أعرف أنه ليس وحيداً (٦) : سألته أنت
 عن ذلك ما دمت أقرب إليه ، وُلِّقته بالترحاب حتى يتكلم (٧) »
- ٧ هكذا كان يتحدث عنى روحان وقد استند أحدهما إلى الآخر (٨) ، هناك
 إلى يميني (٩) ، ثم رفعاً وجهيهما لمخاطبتي (١٠) ،
- ١٠ وقال أحدهما (١١) « أيتها النفس الصاعدة إلى السماء ، وما زلتِ فى جسدك
 مغمورة (١٢) ، ألا فلتواسينا رحمة بنا وكتخبيرينا ،
- ١٣ من أين تأتين ومَنْ° تكونين (١٣) ؛ إذْ أن ما مُنحتيه من النعمة ليُشير فينا
 العجب ، كما يتأتى من أمر لم يحدث من قبل أبداً (١٤) »
- ١٦ « فى وسط تُسكنا ينساب جدول (١٥) ، ينبع فى فالتيرونا (١٦) ،
 ولا يملؤه مجرىً يبلغ طوله مائة ميل (١٧)
- ١٩ ومن صفتيه (١٨) أحمل جسدى ومن العبث أن أخبرك مَنْ° أكون إذْ
 ما زلت رجلاً غير ذائع الصيت (١٩) »
- ٢٢ عندئذٍ أجابى ذاك الذى تكلم أولاً (٢٠) إذا كنتُ أسبر بإدراكى غورَ
 كلامك ، فإنك تتحدث عن هر الأرنو (٢١) »
- ٢٥ وقال له الآخر (٢٢) « لم أخفى هذا الرجل اسم ذلك النهر ، كما يفعل المرء
 حينما يتناول أموراً رهيبة (٢٣) ؟ »
- ٢٨ وعبّر الشبح الذى سئل عن ذلك بقوله « لست أدري (٢٤) ؛ ولكن يجدر
 حقاً أن يزول اسم مثل ذلك الوادى (٢٥)
- ٣١ لأنه من منبعه (٢٦) — حيث يكون الجبل الذى ينفصل عنه پيلورس (٢٧)
 شاهقَ الارتفاع (٢٨) ، حتى إنه لا يتجاوز إلا فى مواضع قليلة (٢٩) —
- ٣٤ لأنه من منبعه (٣٠) — إلى مصبه (٣١) حيث يُستعاض عما تجفّفه السماء من مياه
 البحر (٣٢) ، وبذا تستمد منها الأنهار ما تحمله فى مجاريها (٣٣) —
- ٣٧ هناك يُسمع الجميع فى مطاردة الفضيلة (٣٤) على أنها عدوٌّ كالأفعى ،
 إما لشؤم المكان (٣٥) أو بالعادات الخبيثة التى تحملهم على ذلك (٣٦)

- ٤٠ وبذلك تغيرت طباع أهل الوادي البئيس^(٣٧)، حتى ليبدو أن تشيرتشي هي التي أطلقتهم إلى الرعى^(٣٨)
- ٤٣ يتجه النهر لأول وهلة بمجره الضئيل^(٣٩)، بين خنازير قبيحة تناسبها ثمار البلوط أكثر من سائر الأطعمة المعدة لغذاء البشر^(٤٠)
- ٤٦ ثم في انحداره إلى أسفل يجد كلاباً تعوى بما يزيد عن طاقتها^(٤١)، فيشبح عنها بوجهه المزدري^(٤٢)
- ٤٩ ويمضي هابطاً^(٤٣)؛ وكلما يزداد اتساعاً^(٤٤)، يلتقي الخندق البائس اللعين^(٤٥) مزيداً من الكلاب التي تستحيل ذئاباً^(٤٦)
- ٥٢ وفي نزوله بعدُ خلال مهاو أعمق^(٤٧)، يجد ثعالبَ بالغدر مُفعمة، حتى لا تخشى أن تقع هي بذاتها للغدر ضحية^(٤٨)
- ٥٥ ولن أكفّ عن الكلام ولو سمعني غيرك^(٤٩)؛ وسيكون من الخير لهذا الرجل أن يذكر فيما بعد^(٥٠)، ما يكشف لي عنه صادقُ الإلهام^(٥١)
- ٥٨ وإني لأرى حفيدك^(٥٢) يصبح صائداً لتلك الذئاب^(٥٣) على ضفة النهر العاني^(٥٤)، ويبعث الرعب في قلوبها جميعاً^(٥٥)
- ٦١ وأراه يبيع أجسادها وهي لا تزال حية^(٥٦)، ثم يقتلها كما يقتل الثور العجوز^(٥٧) ومن الحياة يحرم الكثيرين ومن المجد يحرم نفسه^(٥٨)
- ٦٤ ويخرج ملطخاً بالدم من الغابة الحزينة^(٥٩) ويتركها بحيث لن تستعيد أشجارها - خلال ألف سنة - الحال التي كانت عليها من قبل^(٦٠) «
- ٦٧ وكما عند إعلان الأنباء الأليمة، يضطرب وجهه من يُصغى إليها، في آية ناحية يُنسب الخطر أنيابه فيها^(٦١)،
- ٧٠ هكذا رأيتُ الروح الآخر^(٦٢) الذي كان قد اتجه لكي يُنصت، رأيتُه يضطرب ويأخذه الأسى، بعد أن تلقى هذه الكلمات^(٦٣)
- ٧٣ حديثُ أحدهما ومرأى الآخر^(٦٤) جعلاني حريصاً على أن أعرف اسميهما، فوجهتُ إليهما سؤالاً مقترناً بالرجاء^(٦٥)؛
- ٧٦ وعندئذ استأنف الروح الذي حدثني أولاً^(٦٦): «إنك تريد أن أحمل نفسي على أن أفعل في سبيلك، ما أنت راغبٌ عن فعله في سبيلي^(٦٧)»

- ٧٩ ولكن لما كان الله يريد أن يُشعّ في شخصك فيضَ نعمائه ، فلن أكون عليك في شيءٍ بخيلاً^(٦٨) ، ولذلك فلتعلم أني أدعى جويدو دِلْ دوكا
- ٨٢ ولقد كان دمي بنار الحقد يستعر ، حتى كنت تراني مكفهرّ الوجه حينما أشهد إنساناً يفيضُ بِبِشْرًا^(٦٩)
- ٨٥ ومن زرعى أحصد مثل هذا القش^(٧٠) : أيها البشر ، لم تضعون قلوبكم حيث تمتنع المشاركة بالضرورة^(٧١) ؟
- ٨٨ هو ذا رينبيري^(٧٢) ؛ إنه زينٌ وفخرٌ لببيت كالبولي^(٧٣) ، حيث لم يرثه من بعده من هو في حسن شمائله^(٧٤)
- ٩١ وفيما بين الپو والجبل وفيما بين شاطئ البحر والرينو^(٧٥) ، ليس دمه وحده هو الذي أعوزه الخير الضروري للحياة الحقة وللعيش السعيد^(٧٦) ؛
- ٩٤ إذ أن ما بداخل هذه الحدود مليءٌ بالبراغم السامة^(٧٧) ، حتى فات أوان تطهيرها لكي تزرع الآن^(٧٨)
- ٩٧ أين ليتزيو الطيب^(٧٩) وأريجيو ماناردى^(٨٠) ؟ وأين پير تراقرسارو^(٨١) ، وجويدو دى كارپينيا^(٨٢) ؟ آه منكم يا أهل رومانيا ، يا من أصبحتم أنذالا^(٨٣) !
- ١٠٠ متى يولد من جديد في بولونيا رجلٌ مثل فابرو^(٨٤) ؟ ومتى يظهر في فاينتزارجل كبرناردينو دى فوسكو^(٨٥) - نباتاً نبيلاً من عشب مهين ؟
- ١٠٣ فلا تعجبني أيها التسكاني إذا ما بكيت^(٨٦) ، حينما أذكر جويدو دا پراتا^(٨٧) مقروناً بأوجولينو داتزو^(٨٨) ، الذى عاش بين ظهرانينا ،
- ١٠٦ وحينما أذكر فيدريجو تينوزو^(٨٩) وصّحبه ، وبيت تراقرسارا^(٩٠) وآل أناستاجي^(٩١) (وقد صارت كل من أسرتيهما بدون عقب) ،
- ١٠٩ والنساء والفرسان^(٩٢) ، والمتاعب والمباهج^(٩٣) ، التى أوحّت إلينا بالحجة والنبالة ، حيث باتت القلوب الآن مفعمة بالشر^(٩٤)
- ١١٢ أيا قرية إبرتّينورو^(٩٥) ، لم لا تهربين بعيداً ، ما دامت أسرتك^(٩٦) قد ولّت وولّى معها كثيرون ، حتى لا ينال الفساد مهم منالا ؟

- ١١٥ وحسناً تصنع بانيا كما قال (٩٧) التي لا تُسجَب من الأبناء مزيداً ، وشرّاً
تفعل كاستر وكارو (٩٨) ، وتفعل كونيو أسوأ منها (٩٩) ، إذ لا تزالان حريصتين
على إنجاب مثل هؤلاء الكونتات (١٠٠)
- ١١٨ وسيُحسن آل باجاني صنْعاً (١٠١) ، بعد أن يذهب عنهم شيطانهم (١٠٢) ؛
ولكن لن تبقى لهم أبداً عاطر الذكرى (١٠٣)
- ١٢١ أيا أوجولينو دي فانتوليبي ، لقد صرت الآن مأمون السمعة (١٠٤) ، إذ
لا يُرتقب منْ يمكنه بمفاسده أن يحيلها إلى حُلْمكة الإظلام
- ١٢٤ ولكن فلترحل عي الآن أيها التسكاني (١٠٥) ؛ إذ يبهجى الآن البكاء أكثر
من الكلام ، فلقد أحزن حديثنا قلبي (١٠٦) «
- ١٢٧ وأدركنا أن هذه الأرواح العزيزة (١٠٧) قد سمعتْ وقع أقدامنا ونحن نسير ؛
ولندا جعلتنا بسكوتهما آمنين في الطريق الذي ساكناه (١٠٨)
- ١٣٠ وبعد أن صرنا وحيدين بتقدمنا في المسير (١٠٩) ، مرّق قُبالتنا دوىٌ بدا كالبرق
حينما يشقّ أجواز الفضاء ، وأخذ صوتٌ يقول (١١٠)
- ١٣٣ « كلّ مَنْ وجدّتي يقتلني (١١١) » ؛ وانحسر مُدْبِراً كالرعد الذي يذوى ،
إذ يشقّ فجأة طيّات السحاب (١١٢)
- ١٣٦ وما إن أصبح لِسْمَعنا منه هدنة ، إذا بنا نسمع دويّاً آخر شديد التكمّس ،
حتى بدا كالرعد الذي يتبع ومضى البرق تَوّاً (١١٣) ، وقال
- ١٣٩ « إنني أجلاؤروس التي تحوّلت إلى حجر (١١٤) » ولكي ألتصق بشاعري
خطوتُ عندئذٍ إلى اليمين لا إلى الأمام (١١٥)
- ١٤٢ وكان الهواء قد سكن في كلّ جانب ، فقال لي عندئذٍ (١١٦) « كان هذا
هو الزمام القاسي الذي كان عليه أن يحفظ الناس داخل حدودهم (١١٧)
- ١٤٥ ولكنكم تتناولون الطعم (١١٨) بحيث يجتذبكم عدوكم القديم إليه بحركة من
خطافه (١١٩) ؛ ولذا قلّ أن ينفعكم الآن عِنان (١٢٠) أو نداء (١٢١)
- ١٤٨ وإن السماء لتُنَاديكم (١٢٢) ، وتدور من حولكم مُبديّةً لكم كائناتها الأبديّة
الجميلة (١٢٣) ، ومع ذلك فلا تتطلع أعينكم إلا إلى الأرض (١٢٤) ؛
- ١٥١ ولندا يصبّ عليكم عذابه منْ هو بكلّ شىءٍ عليم (١٢٥) .

حواشي الأنشودة الرابعة عشرة

- (١) هذه هي الأنشودة الثانية والأخيرة الخاصة بالحاسدين وتسمى أنشودة جويدو دل دوكا ورينييري دا كالبولي
- (٢) هذا حديث بين روح جويدو دل دوكا وروح رينييري دا كالبولي وهما يحاولان التعرف على الإنسان الحي (دانتي) ، الذي سمعاه يتحدث منذ هنيئة إلى سايبيا ويدور حول جبل المطهر والمتحدث الأول هو جويدو دل دوكا دي برتينورو (Guido del Duca di Brettinoro) من رومانيا وينتمي إلى أسرة أونستي (Onesti) في رافنا وكان من الجبلين الذين طردوا الجلف من رافنا من ١٢١٨ ولكن الجلف عادوا وطردوا الجبلين ولم يسمع شيء عن جويدو في رافنا منذ ١٢٢٩ وتوجد صورة لآل جويدو ترجع إلى القرن ١٤ في قلعة بوبي .
- (٣) عرفا ذلك كما جاء في الأنشودة السابعة Purg. XIII. 130-132.
- (٤) يعنى أن الموت يخلص الروح من الجسم فتطير إلى العالم الآخر
- (٥) المتحدث الثاني هو رينييري دا كالبولي (Rinieri da Calboli) من الجلف في فورلي . تولى منصب العمدة في فايتزا وبارما ورافنا وفي ١٢٧٦ هاجم الجلف مدينة فورلي ، ولكنهم هزموا وسلم رينييري نفسه إلى جويدو دا مونتفلترو فعفا عنه ولكنه أحرق قلعة كالبوليتو . وقام رينييري مع الجلف لمحاربة أمراء رومانيا (Inf. XXX. 77) في فورلي وانتصروا عليهم . ولكن الجلف هزموا ثم انتصروا ثم هزموا أخيراً في ١٢٩٦ وقتل رينييري في أثناء القتال الأخير ووضع دانتي هاتين الشخصيتين معاً وقد عاشا في جيلين متباعدين وانتميا إلى حزبين سياسيين متعادين كتعبير عن زوال العداة والحسد بينهما في المطهر
- (٦) عرف ذلك كما سبق Purg. XIII. 141.
- (٧) كان رينييري حريصاً على أن يسمع من دانتي بعض الكلام فدعا جويدو إلى أن يرحب بدانتي وأن يكون رقيقاً معه حتى يحمله على الحديث وقد افتتح دانتي هذه الأنشودة بهذه المحاورة الطريفة
- (٨) هذا كما كانت الحال في الأنشودة السابقة: Purg. XIII. 59.
- (٩) لما كان دانتي يحادث سايبيا وهو متجه إلى الصخر كان هذان الروحان أبعد قليلا إلى يمينه .
- (١٠) رفما وجهيهما على طريقة العميان
- (١١) هو جويدو دل دوكا
- (١٢) يعنى أن دانتي كان لا يزال على قيد الحياة
- (١٣) يتكلم جويدو في رقة ويسأل دانتي أن يخبره عن شخصه من باب الرحمة
- (١٤) أدرك جويدو أن هذا الإنسان الحي يتمتع بنعمة إلهية تجعله يزور عالم المطهر بجسمه الفاني ويشير ذلك في نفسه الدهشة البالغة
- (١٥) يقصد هر الأرزو ويسميه بالجدول لأنه كذلك في جزئه الأول .

- (١٦) فالتيرونا (Falterona) الجبل الذى ينبع منه الأرنو بين تسكانا ورومانيا
- (١٧) يقصد دانتي أن الأرنو لا يكفيه مائة ميل لكى يصبح مهراً عريضاً وهذا نوع من الاعتزاز بالأرنو نهر الأنهار عنده
- (١٨) أى من فلورنسا
- (١٩) كان دانتي فى سنة ١٣٠٠ معروفاً كشاعر غنائى وكواحد من رجال الدولة ، وقوله إن اسمه لا يعلو ذكره يتضمن شيئاً من التواضع ، وإن كان يتوقع أن ينال الشهرة فيما بعد ، ويشبه هذا ما أورده فرجيليو
- Virg. Eclog. IX. 35-36.
- (٢٠) يعنى جويدو دل دوكا
- (٢١) أدرك جويدو أن دانتي يتكلم عن نهر الأرنو .
- (٢٢) أى رينييرى دا كالبولى
- (٢٣) يتساءل لم تحاشى دانتي أن يفصح عن اسم نهر الأرنو كمن يتجنب أمراً رهيباً .
- (٢٤) يظهر أن جويدو لا يعنيه أن يعرف لم أخى دانتي اسم الأرنو .
- (٢٥) ويعنيه أن يزول وادى الأرنو من الوجود ، ويشبه هذا المعنى ما جاء فى « الكتاب المقدس »
- Salm. CIX. 13...
- (٢٦) يعنى من منبع الأرنو فى جبل فالتيرونا
- (٢٧) يختلف الشراح فى تفسير كلمة (pregno) يرى بعض أنها تعنى الضخم الذى يتفرع عنه عدة سلاسل من الجبال ، ويرى آخرون أنها تعنى كثير المياه أو العالى وإن لم يكن هذا الجبل أغزر الجبال ماء ولا أعلاها ، وعلى كل حال فلم يكن من السهل على دانتي فى عصره أن يعرف أى الجبال أغزرها ماء وأعظمها ارتفاعاً
- (٢٨) يقصد أن جبال الأبينين قد انفصل عنها جبل پيلوروس (Pelorus) المسمى برأس الفنار فى صقلية ، وكان متصلاً بالأرض الإيطالية فى زمن الميوسين من العصر الجيولوجى الثالث ويدل هذا على اهتمام دانتي بالجغرافيا والجيولوجيا ، وأورد ذلك فرجيليو ولوكانوس
- Virg. Æn. III. 414-419.
- Luc. Phars. II. 437-438.
- (٢٩) أى قل أن يفوق هذا الجبل جبل آخر فى الارتفاع - أو فى الضخامة أو وفرة المياه - فى نظر دانتي
- (٣٠) كررت تعبير (لأنه من منبعه) الموجود فى بيت ٣١ لإيضاح المعنى
- (٣١) يعنى إلى حيث يصب نهر الأرنو فى البحر التيرانى ، وفى الأصل ورد لفظ (هناك)
- (٣٢) أى أن الشمس تبخر مياه البحر
- (٣٣) يعنى أن المطر يملأ الأنهار بالمياه التى تحملها فى مجاريها ثم تردها إلى البحر ، وبذلك تعوض ما تبخره الشمس بحرارها من البحر
- (٣٤) يختلف النقاد فى تحديد معنى (si fuga) هنا ، فىرى بعض أنها تعنى الهرب ، ويرى آخرون أنها تعنى المطاردة ، وهناك صلة بين المعنيين
- (٣٥) أى ربما كان المكان لشؤمه أو سوء حظه يحمل الناس على ارتكاب الخطيئة بتأثير النجوم
- (٣٦) يعنى ربما تحمل العادات السيئة الناس على ارتكاب الخطيئة ، وبذلك تطارد الفضيلة - أو تهرب - كأنها عدو والمقصود أن الفضيلة مكروهة من منبع نهر الأرنو إلى مصبه

- (٣٧) أى أن أهل وادى الأرنو قد غيروا من طباعهم الإنسانية .
 (٣٨) تشيرتشي (Circe) الساحرة الأسطورية التى حولت رجال أوليسيس إلى حيوانات ، كما ذكره
 فرجيليو ، وسبقت الإشارة إليها

Virg. Æn. VII...

Inf. XXVI. 91-93.

- والمقصود أن سكان وادى الأرنو أصبحوا كالحوانات .
 (٣٩) يعنى يجرى النهر أولاً بمياه قليلة وانحدار قليل
 (٤٠) يقصد أن أهل الكازنتينو الأعلى بين بورتشانو ورومينا أصبحوا كالحنازير ، وأولى بهم أن
 يأكلوا ثمار البلوط لا الطعام المعد لغذاء البشر
 (٤١) عند ما يعبر مهر الأرنو سهول پوپي وببيينا وكيتينيانو وسوبيانو يصل إلى منطقة أريتزو ،
 والمقصود بالكلاب الصغيرة التى تنبح فوق طاقتها بدون جدوى المقصود بهم أهل أريتزو
 (٤٢) حينما يسير مهر الأرنو بين هؤلاء الكلاب يدير فه - مجراه - كالحوان وينحى إلى الشمال
 الغربى وهو غاضب على أهل أريتزو
 (٤٣) أى يسير مهر الأرنو فى منطقة لاتيرينا
 (٤٤) يعنى عندما يتلقى الأرنو مياهاً من مجار أخرى .
 (٤٥) يقصد مهر الأرنو .
 (٤٦) أى يجد الذئب التى هى أسوأ من الكلاب ويقصد أهل فلورنسا
 (٤٧) يعنى حينما يتجه الأرنو فى واديه الأدنى فى منطقة إيمپولى وپيزا. وهكذا يصف دانتي مهر الأرنو
 فى مراحل المختلفة ، وكلما انحدر وجد على ضفتيه قوماً أسوأ ويشبه النظام المائى هنا النظام
 المائى لنهر فليجيتونى فى الجحيم الذى يلقى خطايا أشد كلما ازداد هبوطاً
 (٤٨) أى أهل پيزا الجلف الذين هم كالثعالب وبلغ غدرهم حداً يجعلهم لا يخشون غدر أحد بهم .
 وهكذا يعبر دانتي - على لسان جويدو - عن المرارة التى أحسها نحو سكان هذه الأنحاء .
 (٤٩) يقصد دانتي وربما يقصد رينييرى .
 (٥٠) يعنى أنه يتنبأ بالمصير الذى سيلقاه الجلف البيض وما سينال دانتي من المنق والتشريد ، ومن
 الخير لدانتي أن يكون على علم بما سيناله لكى يتدبر أمره
 (٥١) أى الإلهام الذى ينبىء بما سيحدث فى المستقبل .
 (٥٢) يقصد فولتشييرى دا كالبولى (Fulcieri da Calboli) الذى شغل وظائف العمدة فى ميلانو وپارما
 ومودينا وأصبح عمدة فلورنسا فى ١٣٠٤ ، وفتك بكثير من الجلف البيض والجلبدين
 وتوجد صورة صغيرة لفولتشييرى دا كالبولى وتشديده النكير على البيض فى فلورنسا وترجع إلى
 القرن ١٤ ، وهى بمكتبة كيجى فى روما
 (٥٣) يعنى أهل فلورنسا
 (٥٤) هو مهر الأرنو ويسميه بالوحشى - أو العاقى - نظراً لما اقترف على ضفتيه من الجرائم .
 (٥٥) هذه لغة الجحيم تعاود ظهورها فى المطهر وهكذا يخرج دانتي على القواعد العامة لعوالم الكوميديا
 من وقت لآخر
 (٥٦) أى أنه خان الجلف البيض وأسلمهم إلى أعدائهم من أجل المال ، وبذلك طالت مدة بقائه فى
 وظيفة العمدة

- (٥٧) يختلف النقاد في تفسير هذا التعبير ، فيقول بعض إن المقصود (يقتلهم أو يفتك بهم كما يفعل الوحش الضارى بفريسته) ويقول آخرون إن المقصود (يقتلهم كما يقتل ثور عجوز لا خير فيه) وهو ما أخذت به
- (٥٨) أى أنه قتل الناس وحرّم نفسه من الثناء وجلب عليها اللوم .
- (٥٩) هى فلورنسا ، ويقترب هذا التعبير مما ورد في الجحيم عن الغابة الموحشة Inf. I.
- (٦٠) يعنى لن تعود فلورنسا إلى ما كانت عليه ولو انقضت ألف سنة .
- (٦١) هذا وصف دقيق مأخوذ من الحياة الواقعة حينما يتلقى الإنسان الأنباء الأنيمة فيتولاه الفزع والاضطراب
- (٦٢) أى رينييرى دا كالبولى .
- (٦٣) يشبه هذا التعبير ما أورده فرجيليو Virg. Æn. II. 65-66. ويمكن أن تكون الترجمة هنا (بعده أن عد هذه الكلمات موجهة إليه)
- (٦٤) يعنى كلام جويدو ومرأى رينييرى ، وجويدو هو الذى حمل عبء لكلام على حين لم يتكلم رينييرى إلا قليلا ، وكان بهيئته مكملا لكلام جويدو
- (٦٥) هذا هو دانتى الرقيق الذى يسأل ويرجو في وقت واحد ، وهو يرجو لكى يكون سؤاله خفيفاً مقبولاً
- (٦٦) أى جويدو دل دوكا ، وسبقت الإشارة إليه في حاشية ٢
- (٦٧) يعنى يريد دانتى أن يذكر جويدو له اسمه دون أن يفعل دانتى ذلك .
- (٦٨) لا يحس جويدو بالحسد لأن الله منح دانتى كثيراً من نعمه ولذلك فهو لا يبخل عليه بما يطلبه ويفصح عن اسمه
- (٦٩) من علامم الحقد والحسد أن يكفهر وجه الإنسان حينما يرى غيره سعيداً
- (٧٠) ورد معنى مقارب في « الكتاب المقدس » Galat. VI. 8.
- (٧١) أى لم يحرص الناس على امتلاك ما يصعب المشاركة فيه ؟ والمقصود ثروات الدنيا ، وأولى بالبشر أن يحرصوا على الخير الروحى الذى يمكن أن يشارك فيه الجميع ، وهذا يعنى أن المتحدث قد تاب عن الحسد . وهناك عودة إلى هذا المعنى بعد
- (٧٢) هو رينييرى دا كالبولى .
- (٧٣) كالبولى (Calboli) منطقة صغيرة في وادى هر مونتونى - الذى يصب في بحر الأدرياتيك - وبها قلعة بهذا الاسم ، ومنها اشتق اسمهم آل كالبولى الجلف الذين عاشوا في فورلى .
- (٧٤) يعنى أن أسرة كالبولى قد أصابها الانحلال
- (٧٥) أى رومانيا (Romagna) التى يحدها هر الپو شمالاً وجبال الأپنين جنوباً والبحر الأدرياتي شرقاً وهر الرينو (Reno) غرباً
- (٧٦) يعنى ليس هو وحده الذى أعوزه الخير الضرورى للحياة المسيحية الصالحة وللحياة الدنيوية السعيدة .
- (٧٧) يقصد أهل رومانيا الأشرار
- (٧٨) أى فات الأوان لإصلاح الحال .
- (٧٩) ليتزيودا فالبونا (Lizio da Valbona) نبيل من رومانيا عاش في القرن ١٣ ، وهو من أنصار رينييرى دا كالبولى ، ومع أنه من الجلف فقد انضم إلى جبلين فلورنسا بعد موقعة مونتأپرتى

وانضم إلى رينييري في مهاجمة فورلي في سنة ١٢٦٧ ، حيث هزمه جويدو دا مونترفلترو ، ومات في الغالب قبل سنة ١٣٠٠ ، وعرف بالشجاعة والكرم

(٨٠) أريغيو مايناردى (Arrigo Mainardi) مواطن من برتينورو بقرب فورلي ، وأسره أهل فايتزا

مع پير ترافرسارو في ١١٧٠ وعاش حتى ١٢٢٨ تقريباً ، واشتهر بالكرم والشهامة

(٨١) پير ترافرسارو (Pier Traversaro) من أسرة جيلينية في رافنا وأصبح عمدتها ، وكان من أنصار فردريك الثاني ومات في ١٢٢٥ ، واشتهر بالفخامة والأبهة وانضم ابنه پاولو من بعده إلى الخلف وهبط مستوى الأسرة وطردت من رافنا ، وحل مكانها أسرة دا پولتا التي رحبت بدانتى وأكرمتها في أواخر حياته .

(٨٢) جويدو دا كارپينيا (Guido da Carpigna) نبيل من فرع من أسرة مونترفلترو ، وكان من الخلف وحارب فردريك الثاني وأصبح عمدة رافنا في ١٢٥١ ، ومات حوالي ١٢٨٩ ، واشتهر بالكرم وعزة النفس .

(٨٣) يندد جويدو دل دوکا بما آل إليه أهل رومانيا وكيف تخلوا عن صفات أسلافهم الطيبة

(٨٤) فابرو دى لامبرتاتزى (Fabro dei Lambertazzi) من الجبلين في بولونيا وشغل وظيفة العمدة في

فايتزا وپستويا وثيربو وپيزا ، وكان على رأس الصليبيين البولونيين في دمياط سنة ١٢١٧ ، وحارب مودينا ورافنا ومات سنة ١٢٥٩ وبهذا بدأ اضمحلال أسرته ، واشتهر بالشجاعة والشهامة

(٨٥) برناردينو دى فوسكو (Bernardino di Fosco) رجل من أصل بسيط ، ولكنه أصبح من أبرز

رجال فايتزا لما أبداه من الطيبة والشجاعة في الدفاع عن مدينته ضد قوات فردريك الثاني في ١٢٤٠ وأصبح عمدة پيزا في ١٢٤٨ وعمدة سينا في ١٢٤٩ ، ولا يعرف تاريخ وفاته .

(٨٦) يسأل دانتى - بدون أن يعرف اسمه ويكفى أن يناديه بالتسكاني - يسأله ألا يعجب إذا كان يبكى لتغير الأحوال

(٨٧) جويدو دا پراتا (Guido da Prata) مواطن من أهل رومانيا ، وتقع پراتا بين فورلي وفايتزا

ورافنا ، وعاش جويدو في رافنا وأصبح شخصاً بارزاً فيها بما امتلكه بقربها من الأرض ، ومات بين ١٢٣٥ و ١٢٤٥

(٨٨) أوجولينو داتزو دلى أوبالدينى (Ugolino d'Azzo degli Ubaldini) التسكاني ، كان من

أصحاب الأملاك ومن ذوى النفوذ في فايتزا ومات في ١٢٩٣

(٨٩) فيدريجو تينيوزو (Federigo Tignoso) نبيل من ريمى اشتهر بالثراء والكرم وعاش في القرن ١٣

(٩٠) هي أسرة ترافرسارو في رافنا التي يتتبع إليها پيرو السالف الذكر

(٩١) آل أناستاجى (Gli Anastagi) أسرة جيلينية في رافنا أسهمت في طرد الخلف مها في ١٢٤٩ ،

ثم طردوا بدورهم مها ، ثم اتفقوا مع خصومهم وعادوا إلى رافنا ، ولكن الأسرة تدهورت وانقرضت في ١٣٠٠

(٩٢) هذه إشارة إلى حياة الحب والفروسية في العصور الوسطى

(٩٣) هذه إشارة إلى ويلات الحروب ومباهج السلام

(٩٤) يعنى أن الحال قد تبدلت وأصبحت القلوب في رومانيا مفعمة بالشر

- (٩٥) يخاطب جويدو دل دوکا قرية برتينورو (Brettinoro) ويسألها لم لا تختفى (أو تزول) من وجه الأرض حتى لا يتطرق إليها الفساد
- (٩٦) ربما يقصد آل ماناردى الذين انقضوا أو آل كافالكانتى الذين نفوا أو رحلوا بدون وريث وتركوا أملاكهم لآل جويدو فى نهاية القرن ١٢
- (٩٧) بانيا كافال (Bagnacaval) قرية بقرب رافنا لم يخلف أصحابها آل مالقيتشيى أبناء من الذكور فى ١٣٠٠
- (٩٨) كاستروكارو (Castrocaro) قلعة فى وادى مهر مونتوفى وكانت ملك آل أورديلانى من فورلى
- (٩٩) كونيو (Conio) قلعة قريبة من إيمولا وكان أصحابها آل دا باربيانو الخلفيون وهدمت هذه القلعة تماماً
- (١٠٠) أى مثل هؤلاء الأمراء بصفاتهم السيئة
- (١٠١) أسرة پاجان (Pagan) هى أسرة الجبلين فى فاينترا
- (١٠٢) المقصود مانياردو پاجانو (Maniardo Pagano) الذى سبقت الإشارة إليه فى الجحيم (Inf. XXVII. 5٠) وكان يغير حزبه السياسى ، وعرف بالغدر والقسوة
- (١٠٣) هذا بسبب ما ارتكبه شيطانهم من السيئات
- (١٠٤) أوجولينو دا فانتوليبى (Ugolino da Fantolini) نبيل من فاينترا اشتهر بالشجاعة والكرم ومات بدون عقب فى ١٢٨٢ ، ولذلك فإنه يأمن أنه لن يأتى أحد بعده يسئ إلى سمعته
- (١٠٥) يطلب جويدو دل دوکا إلى دانتي أن يرحل لأنه لا يستطيع الكلام أكثر مما فعل وكم من الأسى فى هذا الكلمات !
- (١٠٦) يؤثر جويدو البكاء على الكلام لأنه تألم عندما ذكر من ارتكبوا الحسد ، وحينما ذكر من عرفوا بالفضل ، وهو يبكى من أجل نفسه ومن أجل الآخرين وهذه هى دموع التوبة والتطهر ، وهى دموع حية صادقة مؤثرة صدرت عن قلب حاسد حاقد يسلك سبيل الندم والتوبة وهنا يبكى الرجل الحسود بدون أن تجد دموعه مخرجاً سهلاً من عينيه المغلقتين . وشخصية جويدو ودل دوکا من شخصيات الكوميديا الحية التى عبر دانتي خلالها عن معنى الحقد والحسد ثم الندم والتوبة والتكفير ، وهو يفصح عن نفسه بصراحة وصدق . وتكمله شخصية رينييرى دا كالبولى الذى يتكلم قليلاً وينصت وتظهر على وجهه علامة الحزن والأسى ويجعل دانتي مهماً ثنائياً حياً بفنه الصادق كما فعل فى مواضع سابقة ، وبذلك يعبر عن بعض خفايا النفس البشرية ، ويخرج على تقاليد العصور الوسطى ويمهد لبناء العصر الحديث
- (١٠٧) تأثر دانتي بما سمعه وأحس نحو المتطهرين بالأسى والعطف والإعزاز ولذلك ينعتهم بالنفوس العزيزة
- (١٠٨) يعنى عندما عرف المتطهرون الجهة التى قصدها الشاعران برفع أقدامهما لم ينههما أحدهم إلى اتباع طريق غير الطريق الذى سارا فيه آمنين .
- (١٠٩) أى أنهما ابتعدا عن هذه الجماعة
- (١١٠) كان الصوت شديد الاندفاع كالبرق
- (١١١) هذه كلمات قابيل نطق بها بعض المتطهرين ، وهذا مثال لعقاب الحاسدين ، ويشبه ذلك بعض الصرخات فى الجحيم . ووردت كلمات قابيل هذه فى « الكتاب المقدس »

- (١١٢) هذه صورة مأخوذة عن ملاحظة الظواهر الجوية
- (١١٣) قلت (ومضى البرق) للإيضاح
- (١١٤) أجلاوروس (Aglauros) إحدى بنات إسيكرويس ملك أثينا ، وعملت على معاونة ميركوري (عطارد) للوصول إلى أختها هيرسي ولكنها أحست بالغيرة فنعتته عن ذلك فحوّلها إلى حجر وهذا مثال آخر لعذاب الحاسدين وأورد أوفيدوس هذه الأسطورة
- Ov. Met. II. 707-832.
- (١١٥) أحس دانتى الخوف فالتصق بفرجيليو كما كان يفعل في الجحيم
- (١١٦) يعنى تكلم فرجيليو
- (١١٧) أى أن أصوات المعذبين المتطهرين كان ينبغى أن تكون اللجام الذى يمنع الإنسان من ارتكاب الحسد . ويشبه التعبير باللجام أو الزمام ما ورد فى « الكتاب المقدس »
- Salm. XXXII. 9.
- (١١٨) يعنى مجد الدنيا وثراتها
- (١١٩) العدو القديم هو لوتشيفيرو الذى يخدع الإنسان ويحتذبه لارتكاب الحسد
- (١٢٠) أى الأمثلة السالفة للمتطهرين .
- (١٢١) يعنى الأمثلة السابقة لنداء الرحمة
- (١٢٢) أى أن السماء تدعوكم إلى الحياة الفاضلة
- (١٢٣) يعنى النجوم رمز القدرة الإلهية
- (١٢٤) أى تتجه عين الإنسان إلى الأرض وما بها من المغريات
- (١٢٥) يعنى أن الله يعاقب الآثمين على ما ارتكبوه ، ويصيبهم فى الدنيا بما يسعون إليه من المطامع والمنافسات والشقاق والأحقاد والحروب والظلم والاضطهاد وانقراض الأسر وفساد الأخلاق ، فضلا عن العذاب فى الآخرة . وهكذا اختتم دانتى هذه الأنشودة بهذه العظة على لسان فرجيليو . وهذه عودة إلى لغة الجحيم .

الأنشودة الخامسة عشرة^(١)

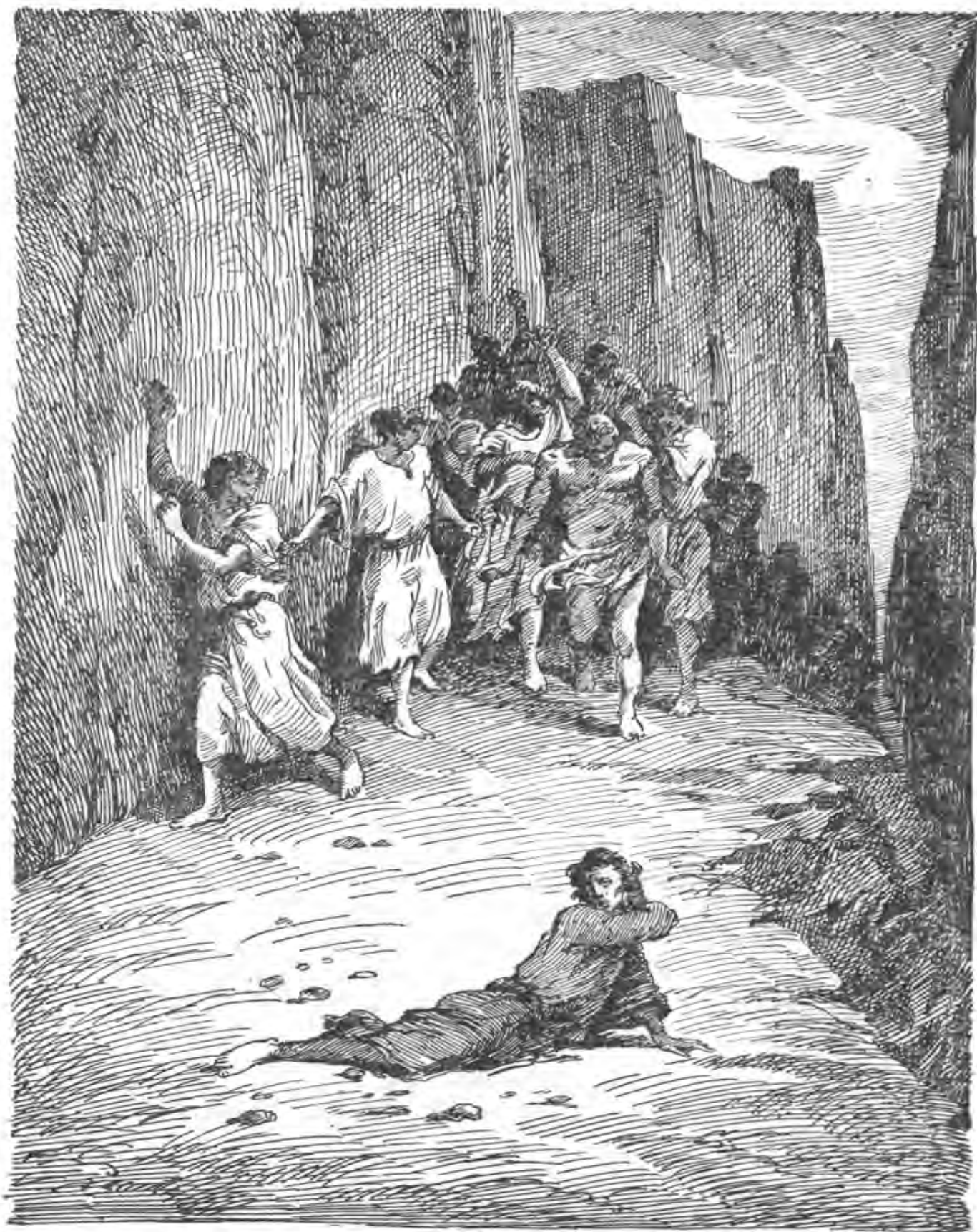
بلغت الساعة الثالثة بعد ظهر يوم الاثنين ١١ أبريل سنة ١٣٠٠ ، حينما كان الشاعران يسيران صوب المغرب وواجهتهما أشعة الشمس ، وأحس دانتي بضوء شديد أثقل جبهته فرفع يديه إلى حاجبيه ليخفف من حدة الضوء ، ومع ذلك فقد انعكس النور على وجهه كما ينعكس شعاع من صفحة ماء أو من وجه مرآة ، فسارع نظره إلى الانحراف عنه وأفاده فرجيليو بأن هذا رسول من السماء جاء يدعوهما إلى الصعود ، وقد رحب بهما الملاك ، وسمع دانتي ترتيل بعض أبيات من الكتاب المقدس . وتساءل دانتي عن بعض ما خفى عليه من كلام جوويدو دل دوكا في الأنشودة السابقة فقال فرجيليو: إن الحرص على شؤون الدنيا يولد الحسد ، وبذلك يقل نصيب كل فرد في المشاركة في الخير ، وذلك بعكس الاهتمام بشؤون السماء الذي يزيد الخير لكل الناس ، وإن الله يسارع إلى المحبة كما يتجه شعاع إلى جسم لامع ، وبقدر ما تشيع المحبة يزيد الخير الأبدى ، وكلما زاد عدد المتحابين زاد الخير وزادت المحبة ، وقال إن بياتريتشي سوف تشرح فيما بعد ما لم يتضح له الآن وبلغ الشاعران الإفريز الثالث ، وأخذت دانتي النشوة فرأى ثلاث رؤى ، رأى العذراء ماريا تبحث عن المسيح حينما تخاف عنها في الهيكل ، ورأى زوجة سيستراتوس طاغية أثينا تسأل زوجها الانتقام من عانق ابنتها وقبلها علناً ، ولكنه رفض أن يعاقب من أحب ابنته ، ورأى اليهود يرجون القديس اسطفانوس وهو ينظر إلى السماء ويسأل الله أن يغفر لقتلته وعاد دانتي إلى وعيه فسأله فرجيليو ماذا به وقد سار وهو يترنح كمن يميل به النعاس أو ياعب بلبه الخمر ، وقال له إنه يفهم خفايا نفسه وإنه حدثه ليحفزه على المسير وفي سيرهما رأى دانتي دخاناً أسود كالليل حجب عنه الرؤية والهواء النقي

- ١ وبالصورة التي تبدو عليها الدائرة التي تتوثب دوماً كطفلٍ يلهو^(٢) ، فيما بين بداية النهار^(٣) ونهاية ثالث ساعة منذ طلوعه^(٤) -
- ٤ هكذا بدا الآن ما كان على الشمس أن تقطعه في سيرها حتى يحلّ المساء^(٥) ؛ وكان هناك قد هبط المساء^(٦) على حين كنا قد بلغنا هنا منتصف الليل^(٧) .
- ٧ وضربتنا أشعة الشمس في منتصف وجهينا^(٨) ، إذ كنا قد قمنا بالطواف حول الجبل ، حتى أخذنا نسير رأساً صوب المغرب ،
- ١٠ حينما أحسستُ أن جبهتي قد بهرها بهاءٌ يفوق كثيراً ما واجهني من قبل^(٩) ، وأثار عجبني أشياء لم يكن لي بها عهد^(١٠) ؛
- ١٣ ولذا رفعتُ يديّ إلى طرف حاجبي^(١١) ، وصنعتُ لنفسي مهماً ظلاً يخفّف عني من حدّة الضوء
- ١٦ وكما عندما ينعكس شعاعٌ من صفحة ماء أو من وجه مرآة إلى الجانب المقابل^(١٢) ، ويصعد أعلى بطريقة تماثل
- ١٩ تلك التي يسقط بها^(١٣) ، ويبعد بزاويةٍ متساوية عن مسقط حجر^(١٤) ، كما يُظهِره العلم والتجربة^(١٥) ؛ -
- ٢٢ هكذا بدا لي أن قد صدمني نورٌ انعكس أمامي هنالك^(١٦) ، ولذا بادرتُ عيناى إلى تجنّبه^(١٧) .
- ٢٥ فقلت « أيها الأبُ الحبيب^(١٨) ، ما ذلك الذي لا أقوى على أن أدراً نظري منه كما أبتغى^(١٩) ، ويبدو أنه يتقدّم إلينا^(٢٠) ؟ » .
- ٢٨ فأجابني « لا تعجب إذا كانت أسرة السماء لا تزال تبهرك^(٢١) : فما هو سوى رسولٍ يأتي ليدعونا إلى الصعود^(٢٢) »
- ٣١ وسرعان ما ستكون رؤيتك هذه الكائنات أمراً غير شديد الوطأة عليك^(٢٣) ، بل ستصبح لديك بهيجة ، بقدر ما تهيبُّك طبيعتك للشعور بذلك^(٢٤) »
- ٣٤ وبعد أن صعدنا إلى الملاك المبارك ، قال لنا بصوت سعيد^(٢٥) : « فلندخلنا هنا على درجات سلّم يقلّ انحدارها عن الأخرى كثيراً^(٢٦) » .

- ٣٧ وبعد أن ارتحلنا من هناك (٢٧) مضينا صُعبداً ، وسمعنا خلفنا ترتيباً يردد (٢٨) ؛
 ” طوبى للرحماء “ (٢٩) و ” تهلل أيها الظافر ! “ (٣٠)
- ٤٠ وصعدنا إلى أعلى أستاذى وأنا ، وكنا وحيدَيْن كلانا ؛ وفي صعودنا خطر لي
 أن أجبى بعضَ الثمر من كلماته (٣١) ؛
- ٤٣ فاتجهت إليه متسائلاً « ماذا يقصد ذلك الروح من رومانيا بقوله
 ” الامتناع “ و ” المشاركة ؟ “ (٣٢) «
- ٤٦ وعندئذ قال لي « إنه يعرف ما يجره عيبه الأكبر على نفسه من الضرر (٣٣) ؛
 ولذا فلا تعجب إذا عنفنا عليه حتى يقلّ بكاؤنا بسببه (٣٤)
- ٤٩ ولما كانت رغباتكم تركز حيث يقلّ نصيب الفرد بالمشاركة (٣٥) ، فإن
 الحسد ينفخ في كبر تمهيدكم (٣٦)
- ٥٢ ولكن إذا اتجهت رغائبكم إلى أعلى بالمحبة الكائنة في أعلى الدوائر (٣٧) ، فلن
 يستقر في صدوركم ذلك الخوف (٣٨) ؛
- ٥٥ إذ كلما زاد هناك عدد من يقولون ” متاعنا “ ، زاد ما يملكه كل فردٍ
 من الخير (٣٩) ، واشتدّ اضطرام المحبة في ذلك الدير (٤٠) .
- ٥٨ فقلتُ « إننى عن بلوغ مرتبة الرضا لأشدّ بعداً مما لو كنتُ قد لزمْتُ
 الصمتَ من قبل (٤١) ، وأجمعُ في خاطرى شكاً أعظم (٤٢)
- ٦١ وكيف يمكن أن يوزع خيرٌ على مالكيين عديدين ، فيصبحون به أغنى
 مما لو امتلكه أناسٌ أقلّ عدداً (٤٣) ؟ «
- ٦٤ فأجابنى « مادمت تركز فكرك في شؤون الأرض فحسب (٤٤) ، فإنك
 لا تستمدُّ من نور الحقيقة سوى سراويل الظلمة (٤٥)
- ٦٧ إذ أن ذلك الخير اللانهائى الذى يجلب عن الوصف (٤٦) ، ويستقرّ هناك
 فى الأعلى ، يسارع إلى المحبة (٤٧) ، كما يجرى شعاعٌ من النور إلى الجسم
 اللامع (٤٨)
- ٧٠ ويبدل من نفسه بقدر ما يحس من أوارها (٤٩) ؛ حتى إنه كلما تشيع
 المحبة يجد الخيرُ الأبدى سبيله الكى يربو عليها (٥٠)

- ٧٣ وكلما كثر المتَّجهون بمحبتهم إلى العلياء^(٥١) ، نما الخير موضوع المحبة وزاد المتحابِّون^(٥٢) ، وكالمرآة عكس كلِّ مهمٍّ محبته على الآخر^(٥٣)
- ٧٦ وإذا كان حديثي لا يُغنى من جوعك^(٥٤) ، فإنك سوف ترى بياتريتشي التي ستخلِّصك من هذه اللفهة ومن كلِّ لفهة سواها^(٥٥)
- ٧٩ وكما زال منك الآن جرحان ، فلنَتحرص على أن تزول عنك سريعاً الجروح الخمسة^(٥٦) ، التي لا تلتئم إلا بالعذاب^(٥٧) «
- ٨٢ وحينما أوشكتُ أن أقول ” إنك ترضيني “^(٥٨) ، رأيت أنى قد بلغتُ الدائرة الأخرى^(٥٩) ، فحملتني عيناى المتطلِّعتان على السكوت^(٦٠)
- ٨٥ وهناك بدا لي أن قد أخذتني فجأة رؤيا نشوانة^(٦١) ، وإذا بي أرى أشخاصاً عديدين مجتمعين في هيكل^(٦٢) ؛
- ٨٨ وسيِّدةٌ عند مدخله تقول بهيئة الأم الرؤوم^(٦٣) : « يا بُنىّ ، لماذا فعلت بنا هكذا ؟
- ٩١ هو ذا أبوك وأنا كنا نطلبك ونحن يحدونا العذاب^(٦٤) » وما إن لزمَتِ الصمت حتى اختفى ما تراءى لي منذ هنيئة^(٦٥)
- ٩٤ ثم تبدَّت لي سيِّدةٌ غيرها^(٦٦) ، وقد اخضلَّ خدَّاهَا بالدمع^(٦٧) الذي يقطره الأسي ، حين يُبعث في النفس بشدَّة الغضب^(٦٨)
- ٩٧ وبدتُ تقول « إذا كنت سيِّدأً من المدينة التي قام على اسمها بين الآلهة خلافٌ شديدٌ^(٦٩) ، والتي تشعُّ منها أنوار كلِّ علم ،
- ١٠٠ فلتصبِّ انتقامك يا پسيستراتوس على هاتين الذراعين الفاجرتين اللتين عانقتا ابنتنا في العلن^(٧٠) » . وبدا لي ذلك السيد الرقيق اللطيف
- ١٠٣ يجيها بوجهه الوديع^(٧١) « إذا نحن عاقبنا من يضمر لنا المحبة ، فماذا نحن فاعلون بمن يرجو لنا الشرَّ^(٧٢) ؟ »
- ١٠٦ ثم رأيتُ^(٧٣) قوماً استشاطوا غضباً^(٧٤) يقتلون فتى بالحجارة رجماً^(٧٥) ،
- ١٠٩ ويصيحون في عنف بعضهم إلى بعض « ألا فلتقتل ! ألا فلتقتل ! » وإلى الأرض رأيته يتهاوى بالموت الذي كان قد أثقله^(٧٦) ، ولكنه جعل من عينيه دوماً بابين نحو السماء^(٧٧) ؛

- ١١٢ وفي كل ما انهل عليه أخذ يضرع إلى العلى القدير أن يغفر لقاتليه^(٧٨) ،
بتلك النظرة التي تفتح باب الرحمة الإلهية^(٧٩)
- ١١٥ وحينما ثابت إلى روحى من نشوتها^(٨٠) ، متجهة إلى ما هو مائل أمامها فى
الواقع^(٨١) ، تبينتُ عنصرَ الحقيقة فى رؤاى^(٨٢)
- ١١٨ وقال دليلى الذى أمكنه أن يرانى كرجل ينضو عنه غشاوةِ النعاس
« ماذا دهاك حتى لم تعد تملك زمامَ نفسك^(٨٣) »
- ١٢١ إذ أنك سيرتَ أكثر من نصف فرسخ ، وقد حجبتَ عينيك وتمايلتُ
ساقاك^(٨٤) ، كمن يميل به النعاس أو بنت الحان^(٨٥) ؟ »
- ١٢٤ فقلت « إذا أصغيتَ إلىَّ يا أبتاه الحبيب فسأحدثك بما تراءى لى ،
حينما التوتُ ساقاى على هذا النحو^(٨٦) »
- ١٢٧ فقال لى « وإذا أنت حجبتَ وجهك بمائة قناع ، فلن تخفى على أفكارك
مهما كانت صغيرة الشأن^(٨٧) »
- ١٣٠ ولقد تبدى لك ما رأيته^(٨٨) ، حتى لا تجد لنفسك عذراً فى ألا تفتح قلبك
لمياه السلام^(٨٩) ، التى تتدفق من النبع الأبدى^(٩٠)
- ١٣٣ ولم أسأل " ماذا بك " كما يفعل من لا ينظر سوى بعينه التى تعوزها
الرؤية ، حينما يطرح جسدها بغير روح^(٩١) ؛
- ١٣٦ بل سألتك لكى أستحثك على المسير ؛ وهكذا ينبغى أن يحفز الكسالى ،
إذ يتراخون فى استخدام يقظتهم حين تعود إليهم^(٩٢) »
- ١٣٩ وكنا نسير مساءً متطلعين إلى الأمام بقدر ما أمكن أن تبلغه أعيننا ، فى
مواجهة أشعة الغروب المتألقة^(٩٣) ؛
- ١٤٢ وها يأتى نحونا رويداً رويداً دخانٌ فى مثل سواد الليل^(٩٤) ؛ ولم يكن لنا
هناك من مأوى هرب منه إليه^(٩٥) :
- ١٤٥ وقد حُرِّمنا من الرؤية ومن الهواء الخالص^(٩٦)



٨ - رجم القديس إسطفانوس

أنشودة ١٥ ١٠٦ - ١١٤

حواشي الأنشودة الخامسة عشرة

- (١) هذه أنشودة العبور من إفريز الحاسدين إلى إفريز الغاضبين
- (٢) في الأغلب يقصد بالدائرة منطقة البروج التي تتحرك أطرافها ، وبذلك تتحرك نصف الدائرة التي تظهر فوق الأفق إلى الشمال من خط الاستواء وإلى جنوبه وتعبه من الشمال إلى الجنوب وبالعكس ، وبذلك تبدو كالطفل الذي يتوثب ويلعب ولا يهدأ بالا وربما يقصد بالدائرة سماء الشمس ذاتها وهذه الثلاثية وما تليها من أصعب المواضع في الكوميديا وكان من مألوف العصر صياغة كافة المعلومات في القالب الشعري .
- (٣) بداية النهار أي الساعة ٦ صباحاً
- (٤) انتهاء الساعة الثالثة منذ بداية النهار يعنى أن الساعة أصبحت ٩ صباحاً ، وقلت (منذ طلوعه) للإيضاح
- (٥) يعنى أنه أمام الشمس الآن مدة ثلاث ساعات - كما بين بداية النهار - الساعة ٦ صباحاً - وانتهاء الساعة الثالثة منذ بداية النهار - الساعة ٩ صباحاً - حتى يحل المساء في الساعة ٦ والمقصود أن الساعة كانت وقتئذ الثالثة بعد الظهر وهذا تعبير فلكي للدلالة على الوقت ، ولا بد من التأني لفهمه ولعل دانتي لو عاش مزيداً لعاد إلى إيضاح هذه الأبيات !
- (٦) أي أنه كان قد حل المساء هناك في المطهر - يعنى الفترة من الساعة ٣ إلى الساعة ٦ بعد الظهر
- (٧) كانت الساعة ٣ بعد الظهر في المطهر وتقابل الساعة ٣ صباحاً في أورشليم ولما كانت إيطاليا - المقصودة بلفظ (هنا) والتي كتب دانتي فيها الكوميديا - تقع عنده على خط طول ٤٥ درجة غربى أورشليم ، كان الوقت في إيطاليا (هنا) منتصف الليل .
- (٨) كان الشاعران يسيران صوب الغرب ولذا ضربتهما أشعة الشمس على وجهيهما
- (٩) أحس دانتي بشدة الضوء المفاجئ الذي فاق ضوء الشمس .
- (١٠) دهش دانتي لظهور هذا الضوء الشديد الذي لم يسبق له به عهد ولم يعرف أن مصدره الملاك رسول السماء .
- (١١) يشبه هذا التعبير ما أورده أوفيدوس
Ov. Met. II. 276.
- (١٢) ينعكس الشعاع متجهاً إلى مصدره وأورد فرجيليو تعبيراً مقارباً
Virg. Æn. VIII. 22-25.
- (١٣) يعنى أن الضوء ينعكس بنفس الزاوية التي يسقط بها على جسم أملس ، وهذه هي نظرية إقليدس في البصريات
- (١٤) مسقط الحجر - أو خط سقوط الحجر - هو تعبير ألبرتو الكبير فيلسوف العصور الوسطى عن الخط الرأسى أو العمودى ، والمقصود هنا الخط الرأسى الذي يفصل بين خط سقوط الضوء وخط انعكاسه عن السطح الأملس بزاوية متساوية
- (١٥) أي كما تدل عليه التجربة وعلم البصريات .
- (١٦) يعنى أن نور الملاك لم يصل إلى دانتي مباشرة لأنه أخفى عينيه بيديه ، بل جاء النور بطريق غير مباشر بعد انعكاسه على الأرض ويرى بعض الشراح أن هذا هو نور الله أو نور الشمس الذي انعكس على الملاك ثم انعكس بدوره على دانتي .

- (١٧) ومع أن الضوء وصل إلى دانتى بطريق غير مباشر فإن عينيه لم تقويا على مواجهته فسارعتا إلى الانحراف عنه بالاتجاه إلى فرجيليو
- (١٨) ينادى دانتى فرجيليو بأبيه الحبيب كما فعل في مواضع عديدة
- (١٩) هذا دليل على شدة الضوء .
- (٢٠) أى أنه لم يكن واثقاً من حركة الضوء
- (٢١) أسرة السماء تعنى الملائكة
- (٢٢) هذا هو رسول السماء الذى يدعو النفوس للصعود إلى إفريز الغاضبين
- (٢٣) يعنى بمجرد أن يتطهر
- (٢٤) أى سيسعد دانتى بما سيراه بقدر إرهاف حسه
- (٢٥) يشبه هذا معنى مقارباً ورد في « الكتاب المقدس »
- (٢٦) يعنى أقل انحذاراً من الدرجات التى أدت إلى الإفريزين السابقين
- (٢٧) أى من المكان الذى ظهر فيه الملاك .
- (٢٨) فى الغالب كان الملاك هو الذى يرتل
- (٢٩) يتعارض هذا الترتيل مع الحسد ويتفق هذا وما ورد فى « الكتاب المقدس »
- Matt. V. 7.
- (٣٠) المقصود الانتصار على الحسد ويشبه هذا التعبير ما جاء فى « الكتاب المقدس »
- Matt. V. 12; Luca, VI. 23.
- (٣١) كان الشك يساور دانتى فى معنى بعض الكلمات التى سمعها من جويدو دل دوكا فى الأنشودة السابقة فأراد أن يستوضح معناها
- Purg. XIV. 87.
- (٣٢) ورد هذا فى الأنشودة السابقة
- (٣٣) يعنى خطيئه الحسد التى مارسها جويدو وجرب نتائجها
- (٣٤) يحذر جويدو دانتى من الحسد حتى يقل بكأوه بسببه فى المطهر
- (٣٥) أى تتركز رغبات البشر وأطماعهم فى خبرات الأرض ويقل نصيب كل فرد منها بالمشاركة مع غيره
- (٣٦) يعنى أن الحسد يدفع الناس إلى التسابق على ثروات الدنيا وبذلك يبذلون جهداً كبيراً لتحقيق أطماعهم ، والاستعارة مأخوذة من كير الحداد ويمكن القول (فإن الحسد يذكى من أوار مطامعكم) ، والمعنى واحد
- (٣٧) أى سماء السماوات
- (٣٨) يعنى أنه إذا كان حب الأشياء الإلهية يدفع رغباتكم إلى أعلى فلن تخشوا المشاركة التى لن تنقص نصيب كل فرد منها ، وبالتالي لن يكون هناك تسابق أو تنافس دنى
- (٣٩) أى كلما انعدم الحسد وزاد حب الإنسان للجماعة زاد الخير الإلهى الذى يخص كل فرد على حدة
- (٤٠) يؤدى هذا إلى اضطرام المحبة فى السماء التى يسميها الدير وسيأتى هذا التعبير بعد

- (٤١) لم يقنع دانتي بكلام فرجيليو ولم يفهم المعنى المقصود وقد عبر دانتي عن عدم الرضا بقوله
(الصوم أو الجوع)
- (٤٢) زاد شك دانتي بكلام فرجيليو
- (٤٣) هكذا يحدد دانتي ما لم يفهمه من كلام فرجيليو
- (٤٤) في إجابة فرجيليو بعض اللوم لأن دانتي ركز ذهنه في شئون الدنيا فقط
- (٤٥) يعنى أنه يستخلص الرأى الخاطىء من الكلام الواضح
- (٤٦) أى الله ، ويشبه هذا التعبير ما ورد في «الوليمة»
Conv. IV. XXII. 17.
- (٤٧) يعنى يسارع إلى النفوس السعيدة الصافية .
- (٤٨) يسارع الله إلى المحبة كما يسارع شعاع الشمس إلى الجسم اللامع فينعكس عليه بسهولة، ويشبه
هذا التعبير ما أورده فرجيليو
Virg. Æn. VII. 526...
- (٤٩) أى يعطى الله من نفسه بقدر ما يجد من المحبة في القلوب ، وعبر دانتي عن هذا المعنى في
«الوليمة» ، وسيتكرر في الفردوس
Conv. IV. XX. 7.
Par. XIV. 40...
- (٥٠) يعنى بقدر زيادة المحبة يعظم الخير الإلهى بما لا يمكن وصفه
- (٥١) أى في السماء . ويرى بعض الشراح أن المقصود بقوله (s'intende) - المأخوذة من لغة البروفنس
المقصود اتجاههم إلى محبة بعضهم بعضاً . وأخذت بالرأى الأول .
- (٥٢) هكذا تزداد المحبة على الدوام وورد هذا المعنى في «الوليمة»
Conv. III. XV. 10.
- (٥٣) يعنى أن النفوس المتحابة تعكس حبا بعضها على بعض كالمرآة التي تعكس الضوء .
- (٥٤) المقصود إذا كان حديث فرجيليو لم يوضح ما استفسر عند دانتي . واستخدم دانتي لفظ
(الجوع)
- (٥٥) أى سوف توضح بياتريتشى لدانتي ما لم يستطع فرجيليو إيضاحه .
- (٥٦) هذه الجروح هى رمز الخطايا السبع التى سبق أن رسمها الملاك على جبين دانتي بحد السيف
Purg. IX. 112...
- (٥٧) تلتئم الجروح - أى تزول الخطايا - بالألم الذى يبعثه الندم والتوبة
- (٥٨) كان دانتي يريد أن يعبر لفرجيليو عن اقتناعه ورضاه بما سمع .
- (٥٩) الدائرة الثالثة أو الإفريز الثالث يعنى إفريز الغاضبين .
- (٦٠) كان ما رآه دانتي من المتطهرين هنا سبباً فى حملته على السكوت .
- (٦١) جعل دانتي نفسه يرى هنا ثلاث رؤى لأنه لن توجد أمثلة محفورة على الحجر - كما سبق فى
الأنشودة ١٠ - بسبب الدخان الكثيف .
- (٦٢) يعنى المسيح فى هيكل أورشليم وحوله علماء اليهود والناس ، كما جاء فى «الكتاب المقدس»
Luca, II. 41-50.
- ويوجد رسم من عمل جوتو من القرن ١٤ يمثل ماريا بين معلمى اليهود وهى فى كنيسة سان
فرنشيسكو العليا فى أسيسى .
- (٦٣) هى العذراء ماريا .

(٦٤) أى لماذا ابتعد عنها المسيح وجعلها تجزع عليه وتأخذ في البحث عنه

Luca, II. 48.

(٦٥) يعنى انتهت الرؤيا الأولى .

(٦٦) هذه هى الرؤيا الثانية

(٦٧) يعبر دانتي بلفظ (الماء) عن الدموع كناية من غزارتها

(٦٨) هذه زوجة پستراتوس طاغية أثينا وهى تبكى بمرارة واختلف الشراح فى معنى (dispetto) -

هنا ، وربما تعنى الكراهة أو الازدراء أو الغضب أو الأسى

(٦٩) يقصد أثينا التى اختلف نبتون ومينرفا (أثينا) على تسميتها وكسبت مينرفا ، كما أورد ذلك

Ov. Met. VI. 71.

أوفيدىوس

(٧٠) پستراتوس (٦٠٥ - ٥٢٧ ق م) (Pesistratus) طاغية اثينا الذى سأله زوجته أن ينتقم

من شاب عانق ابنتها وقبلها فى الطريق علناً ربما يعنى لفظ (ardito) الفاجر أو الخليع أو

الجرىء .

(٧١) وعلى رغم ذلك بدا پستراتوس لطيفاً هادئاً

(٧٢) قدر پستراتوس الحب ، ولا يجوز عنده أن يغضب على من أحب ابنته وقبلها فى الطريق ، وإذا

كان عليه أن ينتقم من أحب ابنته فاذا يفعل بمن يكرهها ! ويوضح هذا المثال اللطف والهدوء

عكس الحنق والغضب

(٧٣) هذه هى الرؤيا الثالثة

(٧٤) هم اليهود الذين أخذهم الغضب ، وجاء ذكر ذلك فى « الكتاب المقدس » : . Atti, VII.54 — 60

(٧٥) هو القديس ستيفانو - إسطفانوس - (San Stefano) الذى نقد تعاليم اليهود فرجموه

ولا يصوره الكتاب المقدس كشاب ، ولكن هكذا رسمه المصورون والنحاتون فى عهد دانتي

وتوجد صورة من عمل أنطونيو فيتى من القرن ١٤ تمثل رجم سان - استيفانو وهى فى كاتدرائية

پراتو . وكذلك يوجد حفر بارز يمثل نفس المعنى فى كنيسة نوتردام فى باريس من القرن

ذاته

(٧٦) هذا تصوير دقيق لمن يلقى الموت على هذا النحو .

(٧٧) لم يمنع العذاب أو الموت القديس إسطفانوس من أن يديم النظر إلى السماء .

(٧٨) كان يصل إلى الله أن يغفر لقتلته ، وهذا منتهى الرحمة والمحبة

(٧٩) كانت نظراته مليئة بالرحمة حتى لتفتح لها أبواب السماء .

(٨٠) أى حينما انتهى دانتي من النشوة التى استولت عليه فجعلته يرى الرؤى السابقة . وأجريت بعض

التصرف فى هذا البيت فى حدود المعنى المقصود

(٨١) يعنى حينما عاد دانتي إلى رؤية الأشياء المادية الملموسة أمامه وجاء فى الأصل (الأشياء الحقيقية

أو الماثلة خارجها)

(٨٢) أى أنه أدرك أن ما رآه الآن كانت أشياء باطنة فى نفسه وليست مجسمة فى الواقع ، وإن كانت تتعلق

بحوادث وقعت فى الماضى ، ولذلك فهى غير زائفة يعنى حقيقية وترجمت (errori) بقولى

(رؤى) لأن هذا هو المقصود

(٨٣) التفت فرجيليو إلى الحال التى كان عليها دانتي حتى بدا كمن استيقظ من النوم تَوّاً ، لذلك كان

لا يقوى بعد على الوقوف على قدميه

- (٨٤) هذا لأن دانتى كان مأخوذاً بالرؤى الثلاث التي تراءت له
- (٨٥) هذا وصف دقيق مأخوذ من ملاحظة من يغلبه الناس أو من تلعب بلبه الخمر ، وهذه هي المرة الوحيدة التي يذكر فيها دانتى أثر الخمر على شاربها في الكوميديا
- (٨٦) يحاول دانتى أن يشرح الأمر لفرجيليو .
- (٨٧) ولكن فرجيليو يعرف أفكار دانتى مهما صغرت واستخدم دانتى كلمة من اللاتينية (parve) سبق مثل هذا المعنى في الجحيم :
Inf. XVI. 118-120.
- (٨٨) يعنى الرؤى التي رآها دانتى آنفاً
- (٨٩) أى لكى يتجنب الغضب الذى يشبه النار وضدها الماء رمز الإيمان والسلام ، وورد هذا المعنى بالنسبة للماء في « الكتاب المقدس »
Ebrei, X. 122.
- (٩٠) يعنى الله وورد هذا التعبير في كتابه « الملكية »
Mon. II. V. 5.
- (٩١) أى أن فرجيليو لم يفعل كمن تتجه عينه إلى شيء ما دون القدرة على النظر والإحساس ، كما يفعل من فقد الوعي أو مات
- (٩٢) تكلم فرجيليو كذلك لكى يعاون دانتى على استعادة وعيه بعد أن انتهى من حلمه ، والصورة مأخوذة من ملاحظة الحياة الواقعة
- (٩٣) كان ذلك حوالى الساعة ٥ مساء .
- (٩٤) هذا دخان أسود كثيف ملعون وهو رمز الغضب الذى يجلب عن الإنسان الرؤية الصحيحة وسيأتى وصفه وأثره في الأنشودة التالية
- (٩٥) هكذا ملأ الدخان الأسود هذا المكان كله . والدخان في آخر هذه الأنشودة وفي الأنشودتين ١٦ و ١٧ عقاب لسريعى الغضب والحمقى ويشبه هذا بعض ما ورد في التراث الإسلامى من حيث أن الدخان المبين سيكون عذاباً أليماً يغطى الكفرة يوم القيامة . وفي هذا تشابه في العقوبة مع الاختلاف في المصيبة
- القرآن الدخان ٩ - ١١
- الحازن علاء الدين على البغدادى تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل في معانى التنزيل القاهرة ، ١٣١٢ هـ . ج ٤ ص ١١١ - ١١٢
- النسبى ، أبو البركات عبد الله التفسير المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل على هامش تفسير الحازن السابق الذكر نفس الجزء ونفس الصفحة .
- الشعرانى ، عبد الوهاب مختصر تذكرة القرطبى (المصدر السابق الذكر) ص ١٢١
- السيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن كتاب اللآلى المصنوعة في الأحاديث الموضوعة القاهرة ، ١٣١٧ هـ . ج ٢ ص ١٩٦
- يقول إن من قرأ القرآن رياء وسمعة أو يريد به الدنيا ومن قرأه ولم يعمل به حشره الله يوم القيامة أعمى
- (٩٦) ورد معنى مقارب في « الكتاب المقدس »
Giob. XVII. 7.

الأنشودة السادسة عشرة

سار الشاعران وسط دخان أسود كثيف في ظلمة تشبه ظلمة الجحيم ، ومضى دانتى وراء فرجيليو كما يمضى الرجل الكفيف خلف دليله وسمع دانتى أصوات المتطهرين ترتل طالبة الرحمة من حَمَلِ الله الذى يمحو خطايا البشر ، وصدرت أصواتهم فى نغمة واحدة وبتألف تام سأل دانتى إحدى الأرواح أن تتبعه فى المسير ، وسألها الإفصاح عن شخصها واستفسر منها عن طريق المسير ، فأعلن ماركو لومباردو عن اسمه ، وقال إنهما يسيران فى الطريق الصحيح واستوضح دانتى ما ساوره من الشك حينما سمع حديث جويدو دل دوكا - فى الأنشودة ١٤ - وكيف أن بعضاً يجعلون سبب فساد الدنيا راجعاً إلى السماء ، على حين يجعله آخرون راجعاً إلى الأرض قال لومباردو إن هذا معناه إلغاء إرادة الإنسان ، وقال إن السماء تبعث الحياة فى الإنسان وتمنحه النور الذى يؤدى للخير أو للشر ، وتمنحه الإرادة الحرة التى تحتل المشقة فى أولى المعارك مع السماء ، إذا حَسُنَ غذاؤها ، وقال إن سبب الفساد فى العالم قائم فى الإنسان ذاته والنفس كالطفل الساذج تنخدع وتجرى وراء ثروات الأرض التافهة إذا لم يمنعها دليل أو عِنان ، ولذلك كان من الضرورى وضع القانون ووجود الحاكم العادل ، ولا عبرة بالقانون وحده ولكن العبرة بمن يطبقه ، والقوم الذين يرون دليلهم يجرى وراء خيرات الأرض يحذون حدوه ولا يسألون مزيداً وقال إن روما كانت ذات شمسيتين ، البابا الذى ينير طريق الله ، والأمبراطور الذى ينير طريق الدنيا ، ثم أطفأ البابا نور الأمبراطور ، واتحدت السلطتان فى يد البابا فسار العالم فى طريق الشر وذكر لومباردو أن أعلى إيطاليا كان يسكنها قوم أفاضل ، ولكنها خلت مهم الآن ، وأنه لا يزال هناك ثلاثة شيوخ فضلاء ، وأن الكنيسة تدينس فى الوحل إذا خلطت فى ذاتها بين السلطتين الدينية والزمنية وتحدث دانتى إلى ماركو لومباردو بالتقدير والإعزاز وأفاده بأنه فهم ما غمض عليه وارتحل لومباردو حينما رأى النور ينبعث وسط الدخان الأسود ، الذى لا يحق له أن يتجاوزته فى منطقة تطهره

- ١ ما من ظلمة جحيم^(٢) ولا حُلْمَة ليل اختفت فيه كل الكواكب - تحت
سما جرداء^(٣) اشتد بالسحاب اسودادها^(٤) -
- ٤ صنعت لوجهي حجاباً كثيفاً ولا غطاء من شعرٍ خشنِ الملمس^(٥) - كما
صنع ذلك الدخان الذي غمرنا هنالك ؛
- ٧ إذ لم يدع لأعيننا سبيلاً إلى الرؤية^(٦) ؛ وعندئذ اقرب منى رفيقي الحكيم^(٧)
الأمين وأعارني كتفه^(٨)
- ١٠ وكما يسير الأعمى وراء دليله حتى لا يضلّ طريقه ، ولكيلا يصطدم بشيء
يؤذيه أو ربما يقتله^(٩) ،
- ١٣ هكذا سرت خلال الهواء المرير^(١٠) الخبيث ، مُصغياً إلى دليلي الذي جعل
يقول « حذار أن تنفصل عني^(١١) »
- ١٦ وسمعت أصواتاً ، بدا لي أن كلاًّ منها يضرع - باسم السلام والرحمة^(١٢) -
سائلاً حملَ الله أن يرفع خطاياها^(١٣)
- ١٩ وبدأوا صلاتهم جميعاً بقولهم : " يا حَمَلِ الله " ؛ وصدر ذلك عن جملتهم
من فمٍ واحد وفي نغمةٍ بدأتها^(١٤) ، حتى بدا بينهم الانسجام الكامل^(١٥)
- ٢٢ فقلتُ « أرواح تلك التي أسمعها يا أستاذي^(١٦) ؟ » فأجابني « إنك
تدرك صواباً^(١٧) ؛ وإنهم يسرون لكي يحدّوا ما انتابهم من عقدة الغضب^(١٨) .
- ٢٥ « والآن منَ أنت الذي تشقّ دخاننا^(١٩) ، ولا تتكلم عنا إلا وكأنك لا تزال
تحسب الزمن بغرّة الشهر^(٢٠) ؟ » .
- ٢٨ هكذا تحدّث إلينا أحد الأصوات^(٢١) ؛ وعندئذ قال أستاذي « فلكتبجب
ولتسأله هل الصعود من هنا^(٢٢) ؟ » .
- ٣١ فقلتُ « أيها المخلوق الذي تطهّر نفسك لكي تعود إلى خالقك مُجملاً^(٢٣) -
إذا أنت تبغتنى فستسمع مني أمراً عجباً^(٢٤) » .
- ٣٤ فأجابني « سأتابع خطّاك كما يُباح لي ذلك^(٢٥) ، وإذا منعنا الدخان من
الرؤية ، فسيحفظ السمعُ صلتنا بدلا منها^(٢٦) »
- ٣٧ وحينئذ بدأتُ : « بهذا الدثار^(٢٧) الذي يحلّ الموت وثاقه - أذهب صُعداً^(٢٨) ،
ولقد جئتُ هنا خلال أهوال الجحيم^(٢٩)

- ٤٠ وإذا كان الله قد حباني بنعمته حتى صارت مشيئته أن أرى رحابه^(٣٠)، على نحو لا يُدانيه العرفُ المألوف^(٣١)،
- ٤٣ فلا تُخفِ عني مَنْ كنت قبل مماتك، بل قلبه لي، وخبرني أسير موفّقاً إلى طريق الصعود، ولتكن كلماتك لنا دليلاً^(٣٢)
- ٤٦ « لقد كنت لومباردياً ودُعيتُ باسم ماركو^(٣٣): وعرفت شئون الدنيا^(٣٤)، وأحببت تلك الفضيلة التي ثنى عنها كل فرد قوسه الآن^(٣٥)،
- ٤٩ وإنك لتسير قدماً في طريق الصعود^(٣٦)» هكذا أجابني، ثم أضاف « وإني لأرجوك أن تصلي من أجلي حينما تبلغ الأعالى^(٣٧)»
- ٥٢ فقلت له « أقسم لك بإيماني بأن أؤدي ما تطلبه إليّ، ولكنني سأنفجر من شكٍّ يراودني، إذا لم أجد لنفسي منه مخرجاً^(٣٨)»
- ٥٥ كنت من قبل قليل الشك^(٣٩)؛ ولكن شكّي تضاعف الآن بكلامك الذي يجعله لدى أكيداً، هنا وفي الموضوع الآخر الذي أقرنه به^(٤٠)
- ٥٨ وإن العالم ليخلو تماماً من كل فضيلة كما تنبئني بذلك، وهو في الشر مغمورٌ وبه مُفعمٌ^(٤١)؛
- ٦١ ولكنني أرجو أن توضّح لي السبب حتى أتبيّنه وأطلع الآخرين عليه^(٤٢)؛ إذ يعزوه بعضٌ إلى السماء، ويجعل آخرون سببه هنا في أسفل^(٤٣)»
- ٦٤ فأرسل لأول وهلة تهديداً عميقاً^(٤٤)، انتزعه منه الأسى آهةً صماءً؛ ثم بدأ « يا أخي، إن الدنيا لعمياء^(٤٥)، وإنك لآتٍ منها حقاً^(٤٦)»
- ٦٧ إنكم يا معشر الأحياء تُرجعون سبب كل شيء إلى السماء وحدها في الأعالى^(٤٧)، كأنها بالضرورة تدفع معها جميع الأشياء.
- ٧٠ ولو كان الأمر كذلك، لتقضى فيكم على الإرادة الحرّة^(٤٨)، ولما صار من العدل أن يبتهج الإنسان بالخير ويحزن بالشر^(٤٩)»
- ٧٣ وإن السماء لتبدأ نوابضكم^(٥٠)، ولا أقول جميعها، وحتى لو عدتُم أني أعني ذلك، فقد مُنحتم الاستنارة لاتباع الخير أو الشر^(٥١)؛
- ٧٦ ووُهبتم الإرادة الحرّة، التي إن هي احتملت العناء في أولى معاركها مع السماء^(٥٢)، وإن حسُنَ غذاؤها^(٥٣)، ظفرت بكل شيء في النهاية^(٥٤)

- ٧٩ وإنكم خاضعون في حريبتكم لقوة أكبر وطبيعة أفضل^(٥٥)؛ وتخلق فيكم هذه الطبيعة العقل^(٥٦) الذي لا يخضع لسلطان السماء^(٥٧)
- ٨٢ ولذا فإن ضل العالم الحاضر طريقه فإن السبب يرجع إليكم، ولتبحثوا عنه في ذواتكم^(٥٨)؛ وسأكون أنا الآن - في هذه السبيل - عينك الأمانة^(٥٩)
- ٨٥ وإن النفس الساذجة لتبعث من يد مَنْ يتأملها من قبل أن توجد^(٦٠)، كأنها طفلة غريرة تلهو بين الضحكات والدموع^(٦١) -
- ٨٨ وهي بسذاجتها لا تدرك^(٦٢) سوى أنها منبعثة من يد خالقها السعيد، وتعود راضية إلى ما يبهجها^(٦٣)
- ٦١ وفي تذوقها طعم الخير الضئيل لأول وهلة^(٦٤)، تجرى في إثره وهي به مخدوعة، إذا لم يشنها عن حبه دليل أو عنان^(٦٥)
- ٩٤ ولذا لزم وضع قانون يؤدي مهمة العنان، وكان من الضروري وجود ملك^(٦٦) يتبين - على الأقل - برج المدينة الحقّة^(٦٧)
- ٩٧ وإن القوانين لقائمة ولكن مَنْ ذا الذي يطبقها^(٦٨)؟ لا أحد؛ إذ يمكن للمراعى الذي يقودها^(٦٩) أن يمزغ الحجر^(٧٠)، ولكن تعوزه الحوافر المشقوقة^(٧١)؛
- ١٠٠ ولذا فإن القوم الذين يرون دليلهم لا يهدف إلا إلى ما هو مهوم إليه من الخير^(٧٢)، لا يتغذون بغيره ولا يسألون مزيداً^(٧٣)
- ١٠٣ ويمكنك أن تتبين أن القيادة السيئة هي السبب في فساد العالم^(٧٤)، لا لأن ذلك يرجع إلى فساد طبيعتكم في ذاتها^(٧٥)
- ١٠٦ وروما التي صنعت الدنيا الصالحة، اعتادت أن تكون ذات شمسين^(٧٦) أنارتا كلا الطريقين طريق الدنيا وطريق الله^(٧٧)
- ١٠٩ ولقد أطفأت إحداهما أنوار الأخرى^(٧٨)؛ وارتبط السيف بالعكاز؛ واتحاد الواحدة بالأخرى عنوة يقتضى السير في طريق الشر^(٧٩)؛
- ١١٢ إذ باتحادهما لم تعد إحداهما تخشى من الأخرى شيئاً^(٨٠) وإذا أنت لم تصدقني فلا تمنع نظرك في سنبل القمح، إذ يعرف كل نبت بشمره^(٨١).
- ١١٥ وفي البلاد التي يرويها الأديج والپو^(٨٢)، كان من المألوف أن يجد الفضل والنبل مستقرّاً لهما^(٨٣)، قبل أن يلقي فردريك أهوال الكفاح^(٨٤)

- ١١٨ والآن يمكن أن يعبرها آمناً كل من كان يرغب في تجنبها، خجلاً من التحدث إلى أهلها الصالحين أو الاقتراب إليهم^(٨٥) !
- ١٢١ وفي الحقيقة لا يزال هناك ثلاثة شيوخٍ تعذل بهم الأيامُ الخوالي زماننا الحاضر^(٨٦)، ويبدو لهم أن الوقت يمرّ بطيئاً حتى يدعوهم الله إلى حياةٍ أفضل^(٨٧)
- ١٢٤ وهم كورادو دا بالاتزو^(٨٨) وجيراردو الطيب^(٨٩)، وجويدو دا كاستلو^(٩٠) الذي تفضّل تسميته اللومباردي الأمين بأسلوب الفرنسيين^(٩١)
- ١٢٧ ولذلك فلتقل إنه حينما تخاطب كنيسة روما بين سلطتين في ذاتها^(٩٢)، تتردى في الوحل وتُدنس نفسها وحملها^(٩٣) .
- ١٣٠ فقلتُ « لقد أحسنت القول يا ماركو العزيز^(٩٤)؛ وإني لأتبين الآن لِم حُرّم أبناء لاوٍ من ميراث الأرض^(٩٥)
- ١٣٣ ولكن من هو جيراردو الذي تقول إنه ظلّ نموذجاً لقومٍ انقضوا^(٩٦)، وملامةٌ لعصر همجي^(٩٧) ؟ » .
- ١٣٦ فأجابني « إنك بكلامك إما تخدعني وإما تُغريبي^(٩٨)، إذ على رغم حديثك التسكانيّ إلىّ، فإنك تبدو كأن لم تسمع شيئاً عن جيراردو الطيب^(٩٩)
١٣٩. ولست أعرفه بلقب غير الذي أستعيّره من ابنته جايا^(١٠٠) وليكن الله في عونك^(١٠١)، إذ لن أتابع سيرى معكما
- ١٤٢ وانظرها قد ابيضّ النور الذي يشعّ خلال الدخان^(١٠٢)؛ ويجدر بي أن أرحل قبل أن يتبينني الملاك - الذي هو ماثلٌ هناك^(١٠٣) »
- ١٤٥ وهكذا عاد أدراجه ولم يشأ أن يسمع مني مزيداً^(١٠٤)

حواشي الأنشودة السادسة عشرة

- (١) هذه أنشودة الغاضبين وتسمى أنشودة ماركو لومباردو وتعد مركز المطهر - والكوميديا كلها - وتتناول نظرية الإرادة الحرة التي هي أساس الخير والشر في الدنيا والآخرة .
- (٢) يستعيد دانتى هنا ظلام الجحيم ، وهذا مزج بين عالمي الجحيم والمطهر
- (٣) استخدم دانتى لفظ (povero) والمقصود أن السماء كانت خالية من النجوم والقمر بسبب السحب
- (٤) هكذا توافرت كل عوامل الظلام بما في ذلك السحب الكثيفة
- (٥) كان الدخان كالشعر الحشن الذي يضايق الأعين ، ويتفق هذا من فكرة الحجاب الكثيف .
- (٦) لم يقو دانتى على فتح عينيه أمام الدخان الكثيف
- (٧) فرجيليو هو رمز الحكمة والعقل الذي يتعارض مع الغضب .
- (٨) ساعد فرجيليو دانتى على السير مستنداً إلى كتفه وسط الظلام الخالك .
- (٩) هذه صورة مأخوذة من الحياة الواقعة .
- (١٠) الهواء المرير يعنى الذى يصعب استنشاقه بسبب الدخان ، وأورد فرجيليو تعبيراً مشابهاً

Virg. Æn. XII. 588.

- (١١) هكذا يحرص فرجيليو على عدم تعريض دانتى للخطر كما فعل دائماً
- (١٢) هذه أرواح الغاضبين تطلب المغفرة .
- (١٣) حمل الله يعنى السيد المسيح ، وورد هذا المعنى في « الكتاب المقدس »

Giov. I. 29.

ويوجد حفر بارز يمثل حمل الله من القرن ١٤ على قبر الأمبراطور فردريك الثاني في كاتدرائية باليرمو

- (١٤) أى رتلوا جميعاً بنفس الألفاظ والحنن . وهذا هو دانتى الموسيقى الفنان وكان الترم بحمل الله والتضرع إليه برفع الخطايا شيئاً مألوفاً مع غيره من الابتهالات في القداسات الكنسية منذ العصور الوسطى ، ويساعدنا تذوق بعض ألحانها الصوتية (الكورالية) أو التي صار الترم بها بمصاحبة الموسيقى (بالآلات المنفردة أو الأوركستراية) ، وبعض ما استمد منها في العصور التالية - يساعدنا ذلك على فهم نواح من الجواشعري في الكوميديا ونجد ذلك مسجلاً في بعض الأناشيد الجريجورية وما تأثر بها مثل القداسات والألحان الدينية ، التي وضع بعضها جوسكان دى پريه وجوفاني پيرلويديجي دا پالسترينا وأنتونيو فيثالدى وجورج فردريك هيندل وجان سباستيان باخ ، وذلك في الفترة الواقعة بين القرن ١٠ والقرن ١٨ ، والتي تعبر عن الحشوع والابتهاال والضراعة والتكفير والإيمان والأمل والشوق إلى الله

Chant Gregorien Oraisons Solennelles et Vénération de la Croix de la

Liturgie du Vendredi Saint. (Archiv).

Josquin des Prés (1445-1594) : Messe de Beata Virgine. (Discophiles Français)

Giovanni Pierluigi da Palestrina (1523-1594) Missa Papae Marcelli. (West-minister).

Messe Aeterna Christi Munera; Messe Lauda Sion. (Erato).

Antonio Vivaldi (1678 ? 1707) Gloria in D major an in R major. (Vox).

Jean Sebastien Bach (1685-1750) St. John Passion. (Vox).

George Frideric Haendel (1685-1759) Messiah. (Richmond).

- (١٥) هم هنا متآلفون تماماً تماماً بعكس ما كانوا عليه في الحياة بسبب الغضب .
- (١٦) يتضمن استفسار دانتي شيئاً من عدم التأكد تماماً مما يسمع .
- (١٧) يعنى أن دانتي أصاب بقوله إنهم أرواح
- (١٨) أى يسرون وهم يتطهرون من خطيئة الغضب
- (١٩) المتكلم لا يرى دانتي بسبب الدخان الكثيف ولكنه يشعر بسيره
- (٢٠) كان الرومان يحسبون الزمن بغرة كل شهر (calendae) وكانت هذه الطريقة معروفة في بعض كتابات العصر ، والمقصود أن دانتي كان إنساناً حياً يعرف الزمن بحساب أول كل شهر وترجمت (partissi) - وتعنى التقسيم - بكلمة الحساب
- (٢١) هو ماركو لومباردو
- (٢٢) يعنى الطريق إلى الإفريز الرابع .
- (٢٣) أى المخلوق الذى يتطهر من الغضب حتى يعود جميلاً إلى الله كما خلقه .
- (٢٤) يعنى سيسمع كيف أن إنساناً حياً يزور عالم المطهر إذا صحب دانتي وصار في نفس اتجاهه لا العكس
- (٢٥) أى سيتبع دانتي إلى آخر منطقة للدخان الكثيف
- (٢٦) سيكون الكلام هو الصلة بينهما بدلا من الرؤية التي تعذرت بسبب الدخان .
- (٢٧) يعنى الجسم الذى يغطى الروح
- (٢٨) أى إلى أعلى جبل المطهر ثم إلى السماء .
- (٢٩) وهذا من دواعى العجب
- (٣٠) في الأصل لفظ (corte) - بلاط - والمقصود السماء .
- (٣١) يعنى بما ليس له مثيل منذ عهد إينياس وبولس - وسبقت الإشارة إليهما في الجحيم
- Inf. II. 13...
- (٣٢) يريد دانتي أن يعرف السلم الذى يؤدي إلى الإفريز الرابع
- (٣٣) ماركو لومباردو (Marco Lombardo) نبيل لومباردى يقال إنه عاش في البندقية في القرن ١٣ ، واشتهر بالكرم وحسن الشائل وعرف بسرعة الغضب
- (٣٤) أى أنه خبر الدنيا وعرف الفضائل ، ويشبه هذا المعنى كلام أوليسيس في الجحيم
- Inf. XXVI. 97-99.
- (٣٥) يعنى أن الناس لم يعودوا يحفلون بنيل الفضائل ، ويأخذ دانتي الاستعارة من القوس .
- (٣٦) أى أنه يسير في الطريق الذى يؤدي به إلى السلم .
- (٣٧) يرى بعض الشراح أن المقصود فوق جبل المطهر ، ويرى آخرون أن المقصود الدنيا ، ويرى غيرهم أن المقصود السماء ، وربما كان الرأى الأخير هو الأوفق .

(٣٨) تعهد دانتى أن يفعل ما يطلبه منه لومباردو إذا فسر له الشك الذى يجعله على وشك الانفجار
 (٣٩) يعنى أن كلام جويدو دل دوكا السابق - فى الموضوع الآخر - عن مطاردة الفضيلة أوجد
 الشك فى نفس دانتى
 Purg. XIV. 39.

(٤٠) ضاعف الشك فى نفس دانتى كلام لومباردو الآن
 (٤١) دانتى واثق من أن العالم مفعم بالشر والفساد .
 (٤٢) يرجو دانتى أن يعرف سبب الشر فى الدنيا لكى يعرف به الآخرين ، وكان من أهم أغراض
 كتابته للكوميديا إظهار الناس على أصل البؤس والشقاء ومعرفة الوسائل لإصلاح البشر ،
 وبذلك تتحقق السعادة فى الدنيا والآخرة
 (٤٣) أى أن هناك من يجعل سبب الشر فى السماء بتأثير النجوم ، وهناك من يجعل سببه سوء
 تصرف الإنسان
 (٤٤) تنهد ماركو تنهداً عميقاً لإحساسه البؤس الذى يسود العالم
 (٤٥) يعنى أن العالم غارق فى الجهل الذى يعميه عن الخير
 (٤٦) أى أن دانتى جعل نفسه لا يدرك أن من أسباب بؤس الإنسان تصرفه هو ذاته
 (٤٧) أورد هوميروس هذه الفكرة وعرفها دانتى بطريق غير مباشر

Hom. Od. I. 33...

(٤٨) لو كان البؤس يرجع إلى السماء لما كان للإنسان إرادة قط ، وأورد بويثيوس هذا المعنى

Boet. Cons. Phil. V. 2.

(٤٩) يعنى لما كان هناك خير ولا شر ولا ثواب ولا عقاب

(٥٠) أى تبعث السماء أولى مظاهر الحياة

(٥١) يعنى النور أو العقل الذى يميز بين الخير والشر

(٥٢) أى إذا قاومت الإرادة الحرة الرغبات التى أودعتها السماء فى الإنسان

(٥٣) يعنى إذا تغذت الإرادة الحرة بالمعرفة والحب والفضيلة.

(٥٤) تظفر الإرادة الحرة إذا تذرعت بوسائل الظفر ، وعبر توماس الأكويني عن هذا المعنى

d'Aq. Sum. Theol. I. CXV. 4.

(٥٥) أى الله .

(٥٦) العقل أنبل جزء فى النفس ويشمل قوى المعرفة والإدارة ، وعبر دانتى عن ذلك فى « الوليمة »

Conv. III. II. 10...

(٥٧) يعنى أن السماء تترك العقل والإرادة يتمتعان بالحرية ، وعبر توماس الأكويني والقديس أوغسطين

d'Aq. Sum. Theol. I. LXXV. 6.

عن هذا المعنى

S. Agos. Civ. Dei, V.

(٥٨) أى يرجع فساد العالم إلى سوء تصرف الإنسان .

(٥٩) استخدم دانتى لفظ (spia) - الجاسوس - والمقصود هنا أن ماركو لومباردو سيوضح لدانتى

كل شيء .

(٦٠) يعنى الله الذى يخلق نفس الإنسان .

(٦١) النفس كالطفل تبكى وتضحك وتلهو ببساطة وسذاجة ، وهذه صورة مأخوذة من الحياة الواقعية .

وبهذا جسم دانتى المعنى فى صورة نابضة بالحياة وأضى عليه مضموناً مشعاً متألّقاً وهذا نموذج من خلق الشاعر

- (٦٢) هذا لأن ملكاتها لم تنضج بعد
 (٦٣) تعود النفس مشوقة راضية إلى خالقها
 (٦٤) تكلم دانتى بهذا المعنى فى «الولية»
 (٦٥) يعنى إذا لم يتحول حب النفس عن ثروات الأرض بما يردعها ردعاً كافياً
 (٦٦) أى أمبراطور عالمى يحقق العدالة والسلام فى العالم ، وعبر دانتى عن ذلك فى « الملكية»

Conv. IV. XII. 15-16.
 Mon. I. XII...

- (٦٧) البرج يعنى العدالة والمدينة الحقة يعنى السماء ، ومن يعرف العدالة ويطبقها يفعل كل «
 (٦٨) يعنى ما قيمة القوانين إذا لم يباشرها من يحسن تطبيقها
 (٦٩) يقصد البابا
 (٧٠) أى يمكنه أن يعلم بما فى جعبته من العلم وقال دانتى (الاجترار) بمعنى التفكير أو التأمل الذى يمكنه من تعليم غيره
 (٧١) الحافر المشقوق رمز للعمل والسعى الخيىث ، والمقصود أن البابا يقصر فى أداء واجبه
 (٧٢) يعنى خيارات الأرض .
 (٧٣) أى أن الناس يحاكون الراعى المتهوم على خيارات الأرض .
 (٧٤) الحكومة السيئة التى تضطرب فيها السلطة الزمنية والسلطة الدينية هى التى تجعل العالم فاسداً
 (٧٥) يعنى أن الإنسان ليس فاسداً بطبيعته ولا بتأثير السموات عليه وهذه إشارة إلى ما سبق فى ثلاثيتى
 ٦٧ و ٦١
 (٧٦) أى البابا والأمبراطور .
 (٧٧) يعنى أن كلا منهما يؤدي واجبه ، وعبر دانتى عن ذلك فى « الملكية»

Mon. III. XVI.

- (٧٨) أى غطت البابوية على الأمبراطورية
 (٧٩) اتحاد السلطتين الزمنية والدينية فى شخص واحد يعطل مصلحة السلطتين—عند دانتى—ويؤدى إلى الشر
 (٨٠) يعنى باتحاد السيف — رمز الأمبراطور — بالعكاز — رمز البابوية — فى يد واحدة ، لا تخشى شمس الأمبراطورية من شمس البابوية شيئاً ، ويؤدى ذلك إلى الشر والفساد .
 (٨١) يعرف النبت ببذوره التى توجد فى ثمرته ، وورد هذا المعنى فى الكتاب المقدس «

Matt. VII. 15...

- (٨٢) يقصد دانتى كل إيطاليا العليا لا البلاد التى يروىها الأديج فحسب
 (٧٣) أى ما يتصف به الفرسان من الشجاعة وحسن الشائل
 (٨٤) يعنى قبل أن يقع الصراع بين فردريك الثانى والبابوية، وقيل أن تصطرع المناطق الجبلية والمناطق الخلفية فى إيطاليا العليا فى النصف الأول من القرن ١٣ . واستخدم دانتى لفظ (briga) بمعنى متاعب الشقاق وأهوال النضال
 (٨٥) أى أن أهل هذه الجهات قد أصبحوا فاسدين جميعاً وبذلك لا يجد الشرير ما ينجله من مقابلة الرجل الصالح إذ لا وجود له . وهذه سخرية بالأشرار من جانب دانتى .

- (٨٦) يعنى أن الزمن الماضى يعذل أو يلوم الزمن الحاضر بشأن ثلاثة من الشيوخ الأفاضل الذين وجدوا قبل - وسيأتون بعد . وفى الأصل ورد لفظ (الحديد) بمعنى الزمن الحالى .
- (٨٧) أى أنهم يرجون ويأملون أن ينقلهم الله سريعاً إلى رحابه .
- (٨٨) كورادو دا بالاتزو (Currado da Palazzo) من الجلف فى بريشا، وكان مندوب شارل دانجو فى فلورنسا سنة ١٢٧٦ وأصبح عمدة پياتشتنزا سنة ١٢٨٨ ، واشتهر بالكرم والشجاعة والأمانة
- (٨٩) جيراردو دا كامينو دى تريفيديجي (Gherardo da Camino di Trivigi) كان قائداً فى تريفيديجي من سنة ١٢٨٣ حتى موته فى سنة ١٢٨٨ ، واشتهر بالشجاعة والكرم ، وذكره دانتي فى « الوليمة »
Conv. IV. XIV. 12.
- (٩٠) جويدو دا كاستلو (Guido da Castello ١٢٣٣-١٣١٥) من أسرة روبرتى فى تريفيزو ، اشتهر بالعقل والكرم والشهامة ، ونزل أحياناً ضيفاً على كان جراندى دلا سكالا فى فيرونا ، وربما عرفه دانتي شخصياً ، وذكره فى « الوليمة »
Conv. IV. XVI. 6.
- (٩١) يختلف الشراح فى معنى (francescamente il semplice Lombardo) وكان الفرنسيون يطلقون لفظ اللومبارديين على الإيطاليين عموماً ، وكذلك كانوا يستخدمون هذا اللفظ للتعبير عن البخلاء المرابين . ولكن تسمية جويدو باللومباردى الأمين - أو المتواضع - ربما تعنى الشخص الذى يقرض الناس قرصاً حسناً بدون ربا ولذلك فهو أمين ولقد عرف جويدو بالأمانة والأريحية فى معاملة الفرنسيين القادمين عليه . ويلاحظ أن من معانى لفظ (semplice) فى الإيطالية المغفل الذى لا فطنة له ، وهذا ما لم يقصده دانتي .
- (٩٢) يعنى السلطة الدينية والسلطة الزمنية
- (٩٣) أى أن الكنيسة تدنس كذلك السلطة الزمنية التى اغتصبها
- (٩٤) يخاطب دانتي ماركو بالإعزاز والتقدير والاحترام .
- (٩٥) يعنى يرى دانتي بوضوح لماذا حرم اللاويون - رجال الدين اليهود - من الميراث الدنيوى حتى يتفرغوا لشئون الدين ، وورد ذلك فى « الكتاب المقدس »
Gios. XIII. 14; XXI. 1-12.
- (٩٦) أى القوم القدماء الذين امتازوا بالخصال الطيبة فى أبيات ١١٥ - ١٢٦
- (٩٧) يعنى أصبح القدماء الصالحون مبعث اللوم والزراية بالنسبة لأهل العصر الذى عاش فيه دانتي ، الذين خلوا - فى نظره - من الخير
- (٩٨) أى أن دانتي بكلامه التسكاني إما يخدع ماركو وإما يتكلم لكى يحمله على التحدث أكثر ، وسبق التعبير عن اللغة التسكانية فى الجحيم
Inf. X. 25; XXXIII. 11-12.
- (٩٩) يعنى أن دانتي كان ينبغى أن يعرف ماركو الذى ذاعت أخباره فى تسكانا
- (١٠٠) جايا (Gaia) إبنة جيراردو دا كامينو وزوجة تولبرتو (Tolberto) دا كامينو ، وماتت ودفنت فى تريفيزو فى سنة ١٣١١ وهذا التعبير يعنى أنه يسمى جيراردو بأبى جايا . واختلف النقاد فى قصد دانتي هنا يرى بعض أن جايا اشتهرت بالجمال والفضيلة ؛ ويرى آخرون أنها اشتهرت بالجمال والرذيلة ، ويقول غيرهم إن دانتي أراد السخرية بهذا القول ، وهذا يتناسب مع فكرة زوال الخير وحلول الشر . ويرى بيتروبونو أن هذا رأى الأخير لا يتفق مع تقدير دانتي لذكرى جيراردو الطيب ولا يمكن الوصول إلى رأى قاطع فى هذه المسألة .

- (١٠١) يدعو ماركو لدانتى بأن يرعاه الله ، وهذا إحساس رقيق من جانب ماركو
 (١٠٢) هذا هو نور الشمس الذى يشع خلال الدخان الأسود الكثيف
 (١٠٣) هذا لأن ماركو لا يحق له أن يظهر أمام الملاك ، وعليه أن يقضى مدة تطهره فى هذا الدخان

المظلم

- (١٠٤) أى ارتحل ماركو قبل أن يسمع رد دانتى على قوله .
 وهناك توافق وتعاطف بين ماركو لومباردو وبين دانتى ، وقد أجرى دانتى على لسان ماركو ما أراد
 هو التعبير به عما لقيه من الويلات والشور ، وعما احتمله من الأذى فى سبيل مبادئه وإخلاصه
 وصدقه وحرصه على تسمية الأشياء بمسمياتها ، ودعوته الناس إلى خيرهم الحقيقى . وحين نسمع
 ماركو يتكلم بأسى عن الخير الماضى والشر الحاضر ، فكأننا نسمع دانتى ذاته يعبر عن المساوىء
 والشور التى عاش خلالها ، ورغب أن يتخلص منها وطنه والعالم .

الأنشودة السابعة عشرة^(١)

أخذ الدخان في الانقشاع ورأى دانتى أشعة الغروب في أعلى جبل المطهر ،
 وكانت قد اختفت عند الشيطان الحفيضة ورأى دانتى في خياله ثلاث رؤى ،
 فرأى أولاً بروكنى ابنة ملك أثينا التي تحولت بالغضب على أقاربها إلى عندليب
 ورأى ثانياً هامان مصلوباً وحوله أحشويروش ملك الفرس وأستير ومردخاي ، وكان
 ذلك رمزاً لمن غضبوا على المختارين من الله ورأى ثالثاً لافينيا ابنة ملك الروتوليين
 تبكى موت أمها أماتا ، وهذا رمز للغضب على الأعداء وأفاق دانتى من خياله
 حينما سقط عليه وهج شديد ، وسمع صوتاً كصوت الملائكة يقول هنا مكان
 الصعود ، فقال فرجيليو إن هذا روح إلهي يقدم العون بدون سؤال وبعد صعود
 أول درجة في السلم أحس دانتى بجناح الملاك يزيل من جبينه خطيئة الغضب ،
 وسمعه يبارك صانعي السلام . وقال فرجيليو لدانتى إن الخالق ومخلوقاته تسودهم
 المحبة الطبيعية (الغريزية) والمحبة العقلية ، وإن المحبة الطبيعية لا تخطئ ، على
 حين أن المحبة العقلية القائمة على الإرادة الحرة ترتكب الخطأ بارتكابها الشر ،
 أو بزيادة ميلها لثروات الدنيا ، أو بانحرافها عن محبة الله ، وإذا اتجهت المحبة
 العقلية إلى الله واعتدلت في محبة الدنيا ، فإنها لا ترتكب الإثم ، والعكس صحيح
 ولكن لما كان الإنسان لا يجب أذى نفسه — فهو على الأقل لا يؤذى نفسه عامداً — ولما
 كانت كراهية الله منزوعة منه ، فإن محبة الشر تتجه إلى الآخرين ، ويتمثل ذلك
 في رغبة المتغطرسين في سقوط غيرهم ، وفي كراهية الحاسدين مجد الآخرين
 وسلطانهم ، وفي حرص الحانقين لما نالهم من المهانة على الانتقام ممن أهانهم ،
 وتتطهر الغطرسة والحسد والغضب في الأفاريز الثلاثة السابقة ، بينما يتطهر المتباطئ
 في فعل الخير في هذا الإفريز الرابع ، ويعذب البخل والجشع وشهوة الجسد في
 أعلى . وترك فرجيليو لدانتى أشياء يتعلمها بنفسه فيما بعد .

- ١ فلتذكر أيها القارئ^(٢) إذ كنت يوماً في جبال الألب فأحرق بك الضباب^(٣) ،
حتى لم تعد ترى خلاله إلا كما يرى الحُلد خلال جلده^(٤) ،
- ٤ وحينما تأخذ الأبحرة الرطبة الكثيفة في التبدّد - فلتذكر - كيف تتسلل
أشعة الشمس ضئيلةً خلالها^(٥) ؛
- ٧ وسيسهل عليك أن تدرك كيف أصبحتُ عندما رأيت من جديدٍ لأول
وهلة أضواء الشمس^(٦) ، التي آذنتُ عندئذٍ بالمغيب^(٧)
- ١٠ وإذ كنت أقرن خطاي بخطى أستاذي الأمانة ، هكذا خرجتُ من مثل
ذلك السحاب إلى الأشعة الداوية الآن على الشيطان الحفيضة^(٨)
- ١٣ أيها الخيال الذي تُفقدنا الوعي بأنفسنا أحياناً ، حتى لا يتنبّه المرء ولو نُفخ
من حوالبه في ألف بوق^(٩) -
- ١٦ مَنْ ذا الذي يؤثر فيك ، إذا لم يبعث فيك الحسّ شيئاً ؟ أيجركك في
السماء نور^(١٠) يتشكل بطبيعته أو بمشيئةٍ تدفعه إلى أسفل^(١١) !
- ١٩ لقد تراءى في خيالي^(١٢) الأثر الخبيث لمن تحوّلت صورتها إلى الطائر الذي
يبتهج بشدوه كثيراً^(١٣) ؛
- ٢٢ وهنا شُغل ذهني بما يعتمل فيه ، حتى لم يعد يأتيه ما يمكن أن يتلقاه
عندئذٍ من الخارج^(١٤)
- ٢٥ ثم طراً^(١٥) على خيالي الرفيع^(١٦) رجلٌ مصلوب^(١٧) ، تعلوه أمارات الازدراء
والعنف ، وعلى تلك الحال أدركته المنون^(١٨)
- ٢٨ ومن حوله وقف أحششُ وبيروش الكبير^(١٩) ، وزوجته أستير^(٢٠) ، ومُردخاي
العادل^(٢١) ، الذي كان مُكمّلاً في قوله وفعله .
- ٣١ وحينما تلاشت هذه الصورة من تلقاء ذاتها ، كفقاعةٍ يعوزها الماء الذي
تكوّنت تحت سطحه^(٢٢) ،
- ٣٤ مثلتُ في خيالي^(٢٣) صبياً^(٢٤) تبكي بمرارة^(٢٤) ، ومضت تقول « أيها
الملكة ، لمَ رغبتِ أن تصيري بالغضب عدماً^(٢٥) ؟
- ٣٧ إنك قتلت نفسك حتى لا تفقدى لاقيينا^(٢٦) : وها أنت تفقديني الآن^(٢٧) !
ولاني لباكيةٌ على موتك يا أماه قبل موت غيرك^(٢٨) »

- ٤٠ وكما ينقطع النوم^(٢٩) حين يسطع فجأة نورٌ عجيبٌ على العينين المُسبلتين^(٣٠) ،
وفي انقطاعه يُداعب المرء فترةً قبل أن يتمّ زواله^(٣١) ؛ -
- ٤٣ هكذا تداعى ما تمثّل في خيالي حينما أصاب وجهي نورٌ ، يزيد بهاؤه
كثيراً عما هو في مألوفنا^(٣٢)
- ٤٦ وأخذت أتلفتُ حوالىّ لكى أرى أين أصبحتُ ، عندما سمعت صوتاً يقول
« هنا مكان الصعود^(٣٣) » ، فحوّلتى ذلك عن كلِّ هدفٍ سواه^(٣٤) ؛
- ٤٩ وبعث في نفسى شديداً الرغبة لكى أرى منْ ذا الذى كان يتكلم ، تلك
الرغبة التى ما كانت لتَرْضَى سوى برؤيته وجهاً لوجهٍ^(٣٥)
- ٥٢ ولكن كما تثقل الشمس على أعيننا ، وتحجب عنا وجهها بشدةٍ وهجها ،
هكذا أعوزتني الرؤية ها هنا^(٣٦)
- ٥٥ « هذا روحٌ إلهيٌّ يوجّهنا إلى طريق الصعود بدون سؤال^(٣٧) ، وبنوره يُخفي
عنا نفسه^(٣٨)
- ٥٨ وإنه يصنع بنا كما يصنع الإنسان بنفسه^(٣٩) ؛ إذْ أن من يلمس حاجة
غيره وينتظر منه الرجاء ، يتجه بروح الشرِّ إلى الرفض^(٤٠)
- ٦١ ولَسْوَائِمُ الآن بين خطونا وبين هذه الدعوة الكريمة ولَسْوَائِمُ على
الصعود قبل حلول الظلام ، إذْ لن نقدر على ذلك حتى يعود النهار^(٤١) »
- ٦٤ هكذا قال دليلى ، فاتجهنا معاً سائرين نحو سُلّم^(٤٢) ، وحينما أصبحتُ
على أولى درجاته ،
- ٦٧ أحسستُ بقربى شيئاً يُبهف على وجهي كأنه حركة جناح^(٤٣) ، وسمعتُ
« طوبى لصانعى السلام^(٤٤) ، الذين لا يعرفون الغضب الذميم^(٤٥) ! »
- ٧٠ وكانت قد عدلتُ فوقنا شاهقةً آخرُ أشعةٍ يأتي في إثرها الليل ، حتى أخذتُ
تبتدئى لنا النجوم في كلِّ جانب^(٤٦)
- ٧٣ فقلتُ في نفسى « لمَ تخذلينى يا قواى^(٤٧) ؟ » ، إذْ شعرتُ أن ساقىّ
قد شدّت وثاقهما^(٤٨)
- ٧٦ وكنّا قد أصبحنا حيث لم يعد السلم يصعد مزيداً ، ووقفنا دون حراك^(٤٩) ،
كسفينةٍ حطّت على الشاطئ^(٥٠)

- ٧٩ وانتظرتُ قليلاً لكي أرى هل كنت سأسمع شيئاً في الدائرة الجديدة^(٥١) ،
ثم التفتُ إلى أستاذي وقلت
- ٨٢ « خبرتني - يا أبتاه الحبيب - آية خطيئة تتطهرُ هنا في هذه الدائرة التي نحن فيها^(٥٢) ؟ وإذا توقفتُ أقدامنا فلا يتوقفنَّ حديثك^(٥٣) »
- ٨٥ فقال لي « إن محبة الخير التي تقصُر عن أداء واجبها ، تتجدد هاهنا^(٥٤) ؛
وهنا يستأنف ضرباته المجدافُ المُستواني^(٥٥) »
- ٨٨ ولكن لكي تفهمي بعدُ على نحو أوضح ، فلستعزني انتباهك ، وستنال
بوقوفنا هنا بعض الثمار الطيبة^(٥٦) »
- ٩١ وبدأ^(٥٧) « لم يوجد - يا بى - أبداً خالقٌ ولا مخلوقٌ دون محبةٍ
طبيعيةٍ^(٥٨) أو عقلية^(٥٩) ؛ وإنك لتعرف ذلك^(٦٠) »
- ٩٤ ولا تقع المحبة الطبيعية في الخطأ قط^(٦١) ، ولكن الأخرى تتعرض للخطأ^(٦٢) ،
إما بنجيث مقصدها^(٦٣) وإما بزيادة حرارتها أو نقصانها^(٦٤) »
- ٩٧ وببيهما هي تتجه بكليتها إلى الخير الأول^(٦٥) وتعتدل إزاء الثاني ، لا يمكنها
أن تصبح سبباً في طلب الملدّات الحبيثة^(٦٦) ؛
- ١٠٠ ولكن حينما تنحرف نحو الشر ، وتسارع إلى الخير الدنيوى بحرصٍ يزيد
أو يقلّ عما ينبغى ، فإنها تثير المخلوقَ على الخالق^(٦٧) »
- ١٠٣ وبذلك يمكنك أن تدرك أنه ينبغى أن تكون المحبة لديكم بذرة كل فضيلةٍ ،
وأصلاً لكل فعل يستحق العقاب^(٦٨) »
- ١٠٦ والآن ، بما أنه لا يمكن للمحبة أن تشيح بوجهها أبداً عن خير مَنْ يمارسها ،
فإن الكائنات تصبح في مأمنٍ من كراهة ذواتها^(٦٩) ؛
- ١٠٩ وإذا لا يمكننا أن نتصوّر وجود كائنٍ قائم بذاته منفصل عن الموجود
الأول^(٧٠) ، فلا موضع لكراهة الله في قلوب الناس^(٧١) »
- ١١٢ وفضلاً عن ذلك - فإذا صحّ تقديرى فيما أصنفه - فإن محبة الإنسان للشرّ
لا تصيب سوى جاره^(٧٢) ؛ وفي جبيلتكم تنبع هذه المحبة بثلاث صور^(٧٣) »
- ١١٥ فهناك مَنْ يأمل في التفوّق بسقوط جاره^(٧٤) ، ولهذا وحده يتطلّع إلى أن
يهوى من عليائه إلى الحضيض^(٧٥) »

- ١١٨ وهناك مَنْ يَخشى أن يفقد السلطانَ والحظوةَ والمجدَ والشهرةَ بارتفاع شأن غيره ، فيحزن ويأسى حتى يتميَّ له العكس^(٧٦) ؛
- ١٢١ وهناك مَنْ يبدو بالإهانة غاضباً^(٧٧) ، حتى يصبح إلى الانتقام مهوماً ، وليس مثله سوى المبادرة إلى مضرة غيره^(٧٨)
- ١٢٤ وإنه لَيَسْبِكِي من هذه الصور الثلاث للمحبة - هناك في أسفل^(٧٩) وأريدك الآن أن تدرك النوع الآخر من المحبة ، التي تُسارع إلى ذلك الخير بطريقةٍ منحرفة^(٨٠)
- ١٢٧ في ذهن كلِّ امرئٍ فكرةٌ شوهاء عن خيرٍ أُسمى ، يمكن أن تهدأ به نفسه ، فيظلّ مشوقاً إليه^(٨١) وبذلك يعمل على أن يبلغ رحابه
- ١٣٠ ولو دفعتك المحبة المتوانية إلى رؤيته أو نيله^(٨٢) ، لعدّ بك على ذلك هذا الإفريز - بعد توبتك النصوح
- ١٣٣ وهناك خيرٌ آخر لا يسعد به الإنسان^(٨٣) ؛ وما هو بالسعادة ولا بالخير الجوهريّ - ثمرة كلِّ فعلٍ حميدٍ وأصله^(٨٤)
- ١٣٦ وإنه لَيَسْبِكِي فوقنا في ثلاث حلقات^(٨٥) ، على المحبة التي تسخو في بذل نفسها لهذا الخير^(٨٦) ؛ أما كيف قُسمت ثلاثة أقسامٍ -
- ١٣٩ فهذا ما أسكت عنه - حتى تجده بنفسك^(٨٧) «

حواشى الأنشودة السابعة عشرة

- (١) هذه أنشودة التنظيم الخلق للمطهر وتشبه الأنشودة ١١ فى الجحيم .
- (٢) يخاطب دانتي القارئ ليلفت نظره ويشركه فى الموضوع ، وقد فعل ذلك مراراً .
- (٣) المقصود بجبال الألب فى عهد دانتي الجبال التى تفصل تسكانا عن رومانيا ، ويرى بعض الشراح أنه يقصد بها مطلق جبال مرتفعة
- (٤) الخلد (mole) حيوان ثدي صغير يغطى عينه غشاء من الجلد ويرى الحيوان خلال ثقب صغير به . والمقصود أن الرؤية كانت متعذرة بسبب الضباب .
- (٥) هذه صورة دقيقة مأخوذة من الواقع
- (٦) يوازن دانتي بين هذه الصورة وانقشاع الضباب الأسود الكثيف .
- (٧) كانت الساعة حوالى ٦ من مساء الإثنين ١١ أبريل ١٣٠٠
- (٨) يعنى غربت الشمس عند سفح الجبل ولم تعد تضىء إلا القسم الأعلى منه .
- (٩) هذه حال من يستغرق فى الخيال فلا يشعر بما حوله .
- (١٠) أى بتأثير النجوم
- (١١) يعنى بإرادة الله الذى يبعث ملكة الخيال فى الإنسان .
- (١٢) هذه هى الرؤية الأولى فى خيال دانتي وترمز إلى الغضب على الأقارب والأصدقاء .
- (١٣) هذه هى پروكنى (Procne) إبنة پانديون ملك أثينا ، اعتدى زوجها تيروس على عفاف أختها فيلومينا وقطع لسانها حتى لا تخبر أحداً بما فعله بها ولكنها شرحت الأمر لپروكنى بوسيلة غير الكلام ، فأخذها الغضب الشديد وانتقمت لذلك بأن قتلت ابنها إيتيس وقدمته كطعام لأبيه الذى الذى عرف حقيقة الأمر وأراد قتل الأختين معاً ، فحولت الآلهة ثلاثهم إلى طيور ، وصارت پروكنى عندليباً ، وأورد أوفيدوس هذه الأسطورة
Ov. Met. VI. 42-676.
- (١٤) أى تأثر دانتي بهذه الرؤية الخيالية وانحصر ذهنه فيها حتى لم يعد يدرك شيئاً مما حوله .
- (١٥) استخدم دانتي لفظ (piovve) من الإمطار ، ويقصد أنه قد انصبت أو طرأت فى خياله هذه الرؤيا الثانية التى ترمز للغضب على المختارين من الله .
- (١٦) هكذا يعتز دانتي بخياله الرفيع ، وسيكرر هذا المعنى
Par. XXXIII. 142.
- (١٧) هامان (Haman) وزير أحشويروش ملك الفرس الذى رفض مردخاى السجود له فغضب هامان على اليهود وأمر باستئصال شأقتهم من فارس ، فتدخلت أستير لدى الملك وأنقذت شعبها وقتل هامان ، كما ورد فى « الكتاب المقدس » :
Est. III. VII.
- (١٨) مات هامان وعلى وجهه علامات الازدراء والغضب والعنف وتحفظ وجوه الموق بالطابع الذى يموتون عليه .
- (١٩) أحشويروش (Ahasuereus) الاسم الذى أطلقتها التوراة على ملك الفرس ، وقد يقصد به دارا الأول (٥٢١ - ٤٨٦ ق.م.) أو إجزرسيس (٤٨٥ - ٤٦٥ ق.م.) أو أرتكزرسيس (٤٦٥ - ٤٢٥ ق.م.) .

(٢٠) أستير (Esther) اليهودية زوجة أحشويروش ، التي أنقذت شعبها من الهلاك .
وتوجد صورة لأستير من عمل أندريا دل كاستانيو من القرن ١٥ وهي في دير سانتا أبولونيا
(سابقاً) في فلورنسا .

(٢١) مردخاي (Mardocco) عم أستير ومريها واشتهر بالعدل والحكمة .

(٢٢) هذه صورة مأخوذة من الملاحظة الدقيقة

(٢٣) هذه هي الرؤيا الثالثة وترمز للغضب على الأعداء .

(٢٤) الصبية هي لافينيا (Lavinia) ابنة لاتينوس ملك الرومانيين في إيطاليا وأمها أماتا (Amata)

التي ظنت خطأ أن تورنوس زوج ابنتها قد قتل ، فحنقت وغضبت وقتلت نفسها حزناً وياساً ، وفيما

بعد قتل إينياس تورنوس وتزوج لافينيا ، وسبق ذكرها في الجحيم وستذكر في الفردوس ،

وأورد فرجيليو هذه الأسطورة

Inf. IV. 126; Par. VI. 3.

Virg. Æn. XII. 593

(٢٥) يعنى لم قتلت نفسك بالغضب

(٢٦) أى حينما كانت لافينيا ستزوج من إينياس الأجنبي

(٢٧) يعنى فقدت أماتا ابنتها لافينيا بانتحارها هي .

(٢٨) أى أن لافينيا تبكى موت أمها قبل أن تبكى موت زوجها تورنوس .

(٢٩) في الأصل لفظ (frange) بمعنى يحطم ، وسبق أن عبر دانتي عن تحطيم النوم في الرأس

Inf. IV. 1-2.

بلفظ مقارب

(٣٠) في الأصل (الوجه المغلق)

(٣١) هذه صورة من يستيقظ من النوم على الوهج الشديد .

(٣٢) يعنى كان نور ملاك السلام أقوى من الشمس .

(٣٣) يدعو الملاك دانتي للصعود إلى الإفريز الرابع

(٣٤) أى اجتذبه صوت الملاك ونوره حتى لم يعد يفكر في شيء سواه .

(٣٥) هكذا تولدت في دانتي الرغبة الشديدة في رؤية مصدر هذا الصوت وهذا النور .

(٣٦) يقول النص (ثقل) الشمس ، والمقصود إعاقة الرؤية .

(٣٧) من واجب ملاك السلام أن يوجه الشاعرين في طريقهما بدون سؤال ، والرحمة الحقيقة هي فعل

الخير دون طلب أو رجاء .

(٣٨) يتفق هذا التعبير مع ما ورد في بيت ٥٣

(٣٩) يعنى أن الملاك حريص على فعل الخير حرص الإنسان على خير نفسه وورد في « الكتاب

المقدس » تعبير عن هذا المعنى

(٤٠) أى أن من يرى حاجة المحتاج ويتنظر منه الرجاء فكأنه يستعد لرفض معونته . وذكر دانتي

لفظ (uopo) ويعنى هنا الحاجة

(٤١) يعنى أنهما لن يمكنهما الصعود بعد الغروب ولا بد إذاً من الانتظار حتى الصباح التالي ، وهذا

Purg. VII. 43-60.

هو قانون السير في المطهر :

(٤٢) أى السلم الذي يؤدي إلى الإفريز الرابع .

(٤٣) هفهم الملاك بجناحيه على وجه دانتي حتى يزيل عن جبينه خطيئة الغضب .

- (٤٤) ورد هذا القول في « الكتاب المقدس »
- (٤٥) عبر توماس الأكويني عن الغضب الطيب والغضب الخبيث
- d'Aq. Sum. Theol. II. II. CLVIII. 1-3.
- (٤٦) هذه آخر أشعة ترسلها الشمس عند الغروب وظهرت فوق جبل المطهر بينما أحاط الليل بأسفل الجبل
- (٤٧) أحس دانتى بحلول الظلام أنه لا يقوى على متابعة الصعود ، وسبق هذا التعبير
- Purg. VII. 52
- (٤٨) هذا هو تعبير دانتى عن توقفه عن السير وهناك من يرى أن تكون ترجمة هذا البيت (إن قوى ساقى قد صارتا في هدنة)
- (٤٩) في الأصل (صرنا مثبتين) يعنى توقفا عن المسير .
- (٥٠) هذا تعبير مأخوذ من الحياة الواقعة حينما تحط سفينة على رمال الشاطئ فتقف عن الحركة
- (٥١) هذه هي الدائرة أو الإفريز الرابع حيث يتطهر الغاضبون
- (٥٢) يشبه هذا التوقف ما سبق في الجحيم
- Inf. XI. 10-15.
- (٥٣) يطلب دانتى أن يستمر فرجيليو في حديثه
- (٥٤) يستعيد الروح محبة الخير - أو تجدد هذه المحبة - نفسها بالتطهر
- (٥٥) أى تعود محبة الخير - ويرمز لها بالمجداف - إلى أداء واجبها وتعوض عما فاتها
- Inf. XI. 13-15.
- (٥٦) يعنى سينال دانتى النفع بتوقفه ، وسبق مثل هذا التعبير
- (٥٧) يبدأ فرجيليو في شرح النظرة العامة للمحبة التى هى أساس التنظيم الخلقى للمطهر
- (٥٨) المحبة الطبيعية أو الفريزية تجذب الأجسام والنباتات والحيوانات والإنسان بعضه إلى بعض ، وليس الإنسان مسؤولاً عن ذلك
- (٥٩) المحبة العقلية قائمة على الإرادة الحرة والرغبة والاختيار ، وذكرها دانتى في « الوليمة » وكذلك
- d'onv. IV. XXII. 10.
- توماس الأكويني
- CAq. Sum. Theol. I. II. XXVIII. 6.
- Conv. III. III.
- (٦٠) تكلم دانتى في « الوليمة » عن المحبة الطبيعية والمحبة العقلية
- (٦١) لا تخطئ المحبة الطبيعية لأن الإنسان غير مسؤول عنها ، وعبر دانتى عن ذلك في « الملكية »
- Mon. III. 14.
- (٦٢) أى أن المحبة العقلية المبنية على الإرادة والرغبة قد تخطئ أولاً باتجاهها إلى الشرور كالكبرياء والحسد والغضب
- (٦٣) وتخطئ المحبة العقلية ثانياً بزيادة حرارتها أو حماسها أو ميلها للأشياء الدنيوية المحدودة ، وهذا يعنى اتجاهها إلى البخل والجشع وشهوة الجسد
- (٦٤) وتخطئ المحبة العقلية ثالثاً بنقص حرارتها أو نقص ميلها للخير اللامتناهى أى الله .
- (٦٥) يقصد المحبة العقلية القائمة على الإرادة والرغبة
- (٦٦) يعنى إذا اتجهت المحبة العقلية إلى الله وإذا اعتدلت في محبة الثروات الدنيوية فإنها لا ترتكب الخطايا
- (٦٧) ولكن إذا اتجهت المحبة العقلية إلى الشر وزاد اهتمامها بخيرات الأرض ونقصت عنايتها بالخير الأول ، فإن الإنسان يعصى الخالق ويرتكب الخطايا

- (٦٨) أى أن المحبة العقلية أصل للخير والشر ، وعبر توماس الأكويني عن ذلك
d'Ag. Sum. Theol. I. II. XXVIII. 6.
- (٦٩) يعنى أن محبة الإنسان لنفسه تجعله حريصاً على عدم إيذاء نفسه
- (٧٠) يعنى أن الكائنات كلها متصلة بالله ، وعبر دانتي عن ذلك في « الوليمة » وكذلك « الكتاب المقدس »
Conv. III. II. 7.
Atti, XVII. 28.
- (٧١) ورد لفظ (decidere) بمعنى يقطع ، أى أن كراهة الله منزوعة من البشر كافة
- (٧٢) أى إذا كان الإنسان لا يمكنه أن يحب الشر لنفسه أو لله فإنه يجب الشر لجاره ويشبه هذا التقسيم ما سبق في الجحيم :
Inf. XI. 31
- (٧٣) يعنى في طبيعة الإنسان وأصله
- (٧٤) أى أنه هناك من لا يتفوق إلا بسقوط الآخرين ولذلك يسعى إلى سقوطهم ، وهؤلاء هم المتفطرسون .
- (٧٥) وفي هذا منتهى الحسة والدناءة
- (٧٦) يعنى هناك من يخشى فقدان ما ناله من السلطة والمجد والشهرة إذا ارتفع شأن غيره ، فيجب أن ينال الآخرين عكس ما هو عليه من رفعة الشأن ، وهؤلاء هم الحاسدون وقد عبر توماس الأكويني عن هذا المعنى
d'Aq. Sum. Theol. II. II. XXXVI. 1-3.
- (٧٧) وهناك من يفضب لما يلحق به من الإهانة فيصبح مهوماً إلى الانتقام لما أصابه ، وهؤلاء هم الغاضبون
- (٧٨) يرى بعض الشراح أن لفظ (improntare) يعنى الإسراع في العمل ، ويرى آخرون أنه يعنى مجرد العمل أو السعى إليه .
- (٧٩) أى يتطهر من ارتكبوا الفطسة والحسد والغضب ثم تابوا في ثلاث دوائر سابقة
Purg. X. 121; XIII. 38; XVI. 24.
- (٨٠) هذه هي المحبة الخاطئة التي سبقت الإشارة إليها في بيت ٩٦ وتوجد صورة للحب المنحرف الأعمى وهي من عمل جوتو من القرن ١٤ وهي في كنيسة القديس فرنسيسكو في أسيسى
- (٨١) يعنى يفهم كل إنسان صورة غير واضحة عن خير عام يسمى إليه ، وأورد بويتيتوس هذا المعنى
Boet. Cons. Phil. III. II. 2.
- (٨٢) أى إذا كان الإنسان متباطئاً في محبة الخير وتاب عن ذلك فهذا الإفريز هو مكان تطهره
- (٨٣) يعنى الخير الدنيوى .
- (٨٤) أى أنه لا يتأتى من محبة الدنيا خير أو سعادة حقيقية والله هو الخير الجوهرى وثمرة وأصل لكل الأفعال الصالحة ، وعبر توماس الأكويني عن هذا المعنى
d'Aq. Sum. Theol. I. VI. 3, 4.
- (٨٥) أى يتطهر في أعلى مرتكبو خطايا البخل والإسراف والجشع وشهوة الجسد الذين تابوا عن خطاياهم في الأفاريز ٥ و ٦ و ٧ من الأنشودة ٢٠ حتى ٢٧
- (٨٦) يعنى المحبة التي تبذل من نفسها للخير الدنيوى ، وأضفت (الخير) للإيضاح
- (٨٧) على هذا النحو تكلم فرجيليو هذا الكلام الفلسفى الخلقى ولم يذكر كل شيء لدانتي بل ترك له أشياء يتعلمها بنفسه

الأنشودة الثامنة عشرة^(١)

انتهى فرجيليو من حديثه السابق ، فاستفسر دانتى عن المحبة مصدر كل فعل طيب وعكسه فقال فرجيليو إن النفس تخلق مهياً للمحبة الغريزية فى الإنسان ، والتي لا تهدأ إلا إذا أبهجها موضوع المحبة ، وليست كل محبة حميدة بذاتها وساور دانتى الشك فى المحبة الغريزية التي تأتي من الخارج ، وكيف يُثاب عليها الإنسان أو يُلام وقال فرجيليو : إنه سيشرح له الأمر فى حدود العقل وسيترك ناحية الإيمان لتتولى بياتريتشى شرحها ، وذكر أن الروح منفصلة عن المادة و"متحدة" بها فى وقت واحد ، وإن المعارف الأولى والرغبات الأولية غريزية فى الإنسان كغريزة النحل فى صنع العسل ، وهى لا تستحق مدحاً ولا لوماً ، ولكن الإنسان مزودٌ بالعقل الذى عليه أن يحرس عتبة الرضا ، وبذلك يكون الخزاء تبعاً لقبول المحبة الطيبة أو الحبيثة أو رفضهما وقال فرجيليو إن الفلاسفة أدركوا هذه الحرية الفطرية ، وأورثوا العالم علم الأخلاق ، وإن بياتريتشى تعنى بالقوة النبيلة الإرادة الحرة ، كما سيأتى فى الفردوس وبذلك زالت شكوك دانتى ، وبدأ يساوره النعاس ، ولكنه زال من عينيه بظهور حشد من الكسالى اللامبالين الذين جاؤوا مسرعين خلف الشعاعين ، وصاح اثنان مهمم بذكر مثالين عن السرعة من أخبار العذراء ماريا وقيصر فى أسبانيا ، واستفسر فرجيليو عن أقرب الطرق إلى الصعود وسأله الراهب من دير سان إترينو السير وراء هذا الحشد لأنه لا يمكنهم الوقوف ، وتكلم عن ألبرتو دلا سكالالا الذى سوف يحزن لأنه حابى ابنه المشوه الجسد الناقص العقل وجعله رئيساً لذلك الدير وفى مؤخرة الحشد صاح اثنان بمثال عن تباطؤ اليهود حين خروجهم من مصر وعن تخلف رفاق إينياس عنه عند بلوغه صقلية ، فعاش أولئك وهؤلاء بدون مجد وتواردت على دانتى الأفكار حتى أخذه النعاس

- ١ كان معلّمى العظیم (٢) قد ختم حديثه (٣) ، وأخذ يُمعن النظر فى أعينى كى يرى هل أصبحت راضى النفس (٤) ؛
- ٤ وأنا الذى كان لا يزال يثيرنى عطشٌ جديدٌ (٥) ، نمّ ظاهرى عن السكوت ، وقلتُ لنفسى « ربما تثقل عليه أسئلتى الكثيرة (٦) »
- ٧ ولكن ذلك الأب الصدوق ، الذى أدرك رغبتى الحائرة التى لم تُفصح عن ذاتها (٧) ، منحنى بحديثه الشجاعة حتى أتكلم
- ١٠ فقلت « إن بصرى ليزداد حدة (٨) بين طيات أنوارك (٩) يا أستاذى ، حتى لأتبيّن بجلاء كل ما يعرضه أو يشرحه لى حديثك .
- ١٣ ولذا فإننى أرجوك أيها الأب العزيز الحبيب (١٠) ، أن تحدثنى عن المحبة التى تعزو إليها كل فعل حميد ونقيضه (١١) »
- ١٦ فقال لى « وجهه إلى أنوار عقلك الثاقبة (١٢) ، وسيتضح لك خطأ العميان (١٣) الذين يجعلون من أنفسهم لشعوبهم زعماء (١٤)
- ١٩ وإلى كل ملذّة (١٥) تميل نفسكم الشهوية المهيأة للمحبة (١٦) ، حينما تنهض بدافع من ملذتها إلى مباشرة الفعل (١٧)
- ٢٢ وإن نفسكم العاقلة (١٨) لتستخلص من الموضوع الواقعى معنى تفسره فى باطنكم (١٩) ، بحيث توجه نفسكم الشهوية إليه ؛
- ٢٥ وإذا كانت باتجاهها تميل إليه ، فما هذا الميل سوى المحبة (٢٠) ، وهذه هى المحبة الطبيعية (٢١) ، التى يتجدّد ارتباطها بكم بتأثير ملذاتكم (٢٢)
- ٢٨ ثم كما تتّجه النار إلى أعلى - إذ هى بطبيعتها مهيأة للصعود (٢٣) ، حيث تبقى فى عنصرها زمناً أطول (٢٤) ،
- ٣١ هكذا نجد النفس المُحببة ينالها الشوق ، الذى هو هزةٌ روحيةٌ تعرفها (٢٥) ، ولا تهدأ أبداً حتى تسعد باتحادها بالمحبوب (٢٦)
- ٣٤ والآن يمكنك أن ترى كيف تتوارى الحقيقة ، عن القوم الذين يؤكّدون أن كل محبة هى فى ذاتها شىءٌ حميدٌ (٢٧) ،
- ٣٧ إذ ربما يبدو عنصرها (٢٨) طيباً أبداً (٢٩) ؛ ولكن ليس كلّ ختمٍ جيّداً ولو كان شمعته من النوع الجيد (٣٠) .

- ٤٠ فأجبتة « لقد أدركتُ أسرار المحبّة بفضل كلماتك وبذهنى الذى تابعها ، وإن كان ذلك قد أفعمى بمزيدٍ من الشك^(٣١) ؛
- ٤٣ لأنه إذا وافتنا المحبّة من الخارج^(٣٢) ، ولم يكن للنفس من سبيلٍ سوى هذه الخطوة ، فلا فضل لها إذا سارت مستقيمة أو منحرفة^(٣٣) »
- ٤٦ فقال لى « إننى مستطيعٌ أن أحدثك بقدر ما يتبينه العقل هاهنا^(٣٤) ؛ ولكن لا تنتظر تفسير ما يتجاوز ذلك إلا من بياتريتشى - إذ أن هذه مسألة إيمان^(٣٥) »
- ٤٩ وإنّ كلّ صورةٍ جوهرية - والى هى منفصلةٌ عن المادة^(٣٦) وبها متحدة^(٣٧) - تجمع فى ذاتها قوةً نوعية^(٣٨) ،
- ٥٢ لا تدرك سوى بالعمل ، ولا تتبدى أبداً إلا بأثرها^(٣٩) ، كما تبدو علائم الحياة فى النبات بأوراقه المخضرة^(٤٠)
- ٥٥ ومع ذلك فلا يدرى الإنسان من أين يتأتى له إدراك الأفكار الأولى^(٤١) ، ولا ميله إلى الرغبات الأولية^(٤٢) ،
- ٥٨ التى ما هى فيكم إلا كدأب النحل فى صنع العسل ؛ ولا تستحقّ هذه الإرادة الأولية ثناءً ولا لوماً^(٤٣)
- ٦١ والآن لكى يتواءم معها كلّ ما سواها ، تولدتُ فيكم الملكة المرشدة^(٤٤) ، وعليها أن تحرس عتبة الرضا^(٤٥)
- ٦٤ وهذا هو الأصل الذى ينبثق منه ما هو جديرٌ بكم ، تبعاً لقبول المحبّة الطيبة أو الخبيثة أو رفضهما^(٤٦)
- ٦٧ وإن منّ بلغوا بالاستدلال العقلى أغوارَ الخليقة - أدركوا هذه الحرّية الفطرية^(٤٧) ، وبذلك أورثوا العالم عِلْمَ الأخلاق^(٤٨)
- ٧٠ وبهذا لوسلّمنا بأن كل محبّة تستعر فى باطنكم^(٤٩) ، ما هى إلا نابعةٌ فيكم بالضرورة ، فإن فيكم القوّة على كبح جماحها^(٥٠)
- ٧٣ وإن بياتريتشى لتنعث هذه القوة النبيلة بالإرادة الحرة^(٥١) ، ولذلك فلتحرص على أن تعيها فى ذهنك ، حين تأخذ فى التحدّث عنها إليك^(٥٢) .

- ٧٦ والقمرُ الذي تأخّر طلوعه إلى ما يقرب من منتصف الليل^(٥٣)، جعل النجوم تبدو لنا أكثر ندرة وتشكّل بهيئة دلوٍ يشتعل كلّه بالنار^(٥٤)؛
- ٧٩ وانطلق قبالة السماء^(٥٥) في تلك المسالك التي تُشعلها الشمس، حينما يراها ساكن روما تغرب بين أهل سردينيا وأهل كورسيكا^(٥٦)
- ٨١ وذلك الطيّف اللطيف^(٥٧) الذي نالت پييتولا من الشهرة بسببه ما لم تنله مدينة مانتوا^(٥٨) - أزال عنه ما أثقلته به من العبء^(٥٩)؛
- ٨٥ ولذلك أصبحت - أنا الذي نلتُ عن أسئتي إجابةً صريحة واضحة - أصبحتُ كمنٍ يشرّد بفكره حينما يأخذه النعاس^(٦٠)
- ٨٨ ولكن أطار من عيبي هذا النعاس فجأة - جماعةٌ كانت قد اتجهت نحونا من وراء ظهرينا^(٦١).
- ٩١ وكما شهد هرا إسمينوس وأسوپوس في العصر القديم هياجاً وحشداً إزاء ضفتاهما في أثناء الليل - حينما استنجد أهل طيبة بالإله باخوس^(٦٢) -
- ٩٤ هكذا اندفع القادمون، حسبما تبين لي في مجيئهم، حول تلك الدائرة، وقد تقوّست خطواتهم^(٦٣)، واستحثّتهم الإرادة الطيّبة والمحبة العادلة^(٦٤)
- ٩٧ وسرعان ما صاروا فوقنا، إذ تقدّم عدواً كلّ ذلك الحشد الكبير، وفي طليعته صاح اثنان مهمهم وهما يذرّفان الدمع^(٦٥)
- ١٠٠ « جرتُ ماريا بسرعة إلى الجبل^(٦٦)؛ ولكي يخضع قيصر مدينة إيلدردا^(٦٧) ضرب مارسيليا ثم سارع إلى أسبانيا^(٦٨) »
- ١٠٣ ومن بعدهما صاح الآخرون^(٦٩): « سارعوا، سارعوا، حتى لا يضيع الوقت بالمحبة القليلة^(٧٠)، إذ تروا النعمة الإلهية بالسعى في فعل الخير^(٧١) »
- ١٠٦ « أيها القوم^(٧٢) - يا من ربما تعوّض الآن حماسكم الشديدة عن الإهمال والتواني اللذين بدرا منكم بفتوركم في صنع الخير
- ١٠٩ إن هذا الرجل الحى - ولست أكذبكم يقيناً^(٧٣) - يرغب في الصعود أعلى حينما تعود الشمس للإشراق علينا^(٧٤)؛ ولذا فلتخبرونا أين نجد المخرج قريباً إلينا .

- ١١٢ كانت هذه كلمات دليلى إليهم ؛ فقال واحدٌ من بين تلك الأرواح
« ألا فَلَئِنَّا فِي إِثْرِنَا (٧٥) ، وستجد الثغرةَ هنالك (٧٦) »
- ١١٥ ولقد تسلَّطت علينا الرغبة في المسير حتى لا نستطيع إزاءها وقوفاً (٧٧) ؛
ولذا فَلَئِنَّا إِذَا رَأَيْتَ فِي طَرِيقَةِ عَذَابِنَا شَيْئاً غَلِيظاً (٧٨)
- ١١٨ وكنت في فيرونا راهب سان إترينو ، في عهد باروسا الطيب (٧٩) ،
الذي لا تزال ميلانو تتكلَّم عنه وهي تأسى وتتألَّم (٨٠)
- ١٢١ وهناك من له الآن في القبر قدم (٨١) ، والذي سيدرف دمعه عاجلاً على ذلك
الدير (٨٢) ، ويحزن بما كان له من السلطان (٨٣) ؛
- ١٢٤ إذْ وضع ابنه المشوّه الجسد ، الناقص العقل ، والمولود في العار - مكان
راعيه العدل (٨٤) .
- ١٢٧ ولست أدري أقال مزيداً أم سكت ، وكان عندئذٍ قد تجاوزَ موضعنا
كثيراً (٨٥) ؛ ولكني سمعت منه ذلك وسرّني أني وعَيْتَه .
- ١٣٠ وقال من كان لي في كلِّ حاجة سنداً (٨٦) : « فَلَئِنَّا هَاهُنَا وَكَلْتَنْظُر
إِلَى اثْنَيْنِ مِنْ بِيهِمْ - يَأْتِيَانِ نَادِمِينَ عَلَى الْكَسْلِ » .
- ١٣٣ وفي مؤخرتهم جميعاً أخذ الاثنان يقولان : « القوم الذين انشق لهم البحر (٨٧) -
كانوا قد هلكوا قبل أن تشهد مياه الأردن ورثهم (٨٨) ؛
- ١٣٦ ومن لم يحتملوا مع ابن أنكيسيس العبء حتى مهابة رحلته ، وهبوا أنفسهم
لحياة خالية من المجد (٨٩) »
- ١٣٩ ولما ابتعدت عنا هذه الأشباح ، حتى لم نعد نقوى على رؤيتها (٩٠) ، بدأت
في خاطري فكرةً جديدةً ،
- ١٤٢ نبعثُ منها أفكاراً أخرى كثيرةً مُنَوَّعةً (٩١) ، فأخذتُ أسرحُ خاطري
من فكرةٍ لأخرى ، حتى أغمضتُ عيني وأنا مأخوذ اللب (٩٢) ،
- ١٤٥ وتحولت تأملاتي إلى حلم (٩٣)

حواشي الأنشودة الثامنة عشرة

(١) هذه أنشودة الكسالى اللامبالين المتباطئين في فعل الخير

(٢) هكذا ينمت دانتي فرجيليو .

Purg. XVII. 85-139.

(٣) يعنى ما قاله فرجيليو في الأنشودة السابقة

(٤) أخذ فرجيليو بعد مهابة حديثه يرقب وجه دانتي ليقراً ما به ، ونظر فرجيليو إلى العينين لأنهما

Conv. III. VIII. 9-10.

مرآة النفس . وعبر دانتي عن هذا المعنى في « الوليمة »

(٥) أى كان دانتي متعطشاً إلى المعرفة .

(٦) خشى دانتي أن يثقل على فرجيليو بكثرة أسئلته ، وسبق مثل هذا المعنى في الجحيم

Inf. III. 80; X. 20-21;

(٧) فهم فرجيليو ما جال بنفس دانتي على رغم خجله

(٨) يعنى يزيد إدراك دانتي .

(٩) أى نور الحقيقة التي يشرحها فرجيليو .

(١٠) هذا إعزاز آخر لفرجيليو .

Purg. XVII. 103

(١١) هذا ما سبق قوله

(١٢) يسأل فرجيليو دانتي أن ينتبه إليه بكل مشاعره .

(١٣) في الغالب يقصد بالعميان من لا يدركون حقيقة أنفسهم ولا يفهمون ظروف الحياة ، ومع ذلك

يسعون إلى الزعامة وهم لا يرضون في ذلك سوى غرورهم وأهوائهم الذاتية ، وإذا بلغوها طغوا

وبغوا وأفسدوا ويرى بعض الشراح أن دانتي قصد بالعميان الأبيقوريين الذين يجعلون اللذة

أساس الحياة .

(١٤) ليس من السهل على كل إنسان أن يصبح معلماً أو دليلاً أو قائداً لغيره وأضفت (لشعوبه)

Conv. I. XI. 4.

وورد معنى مشابه في « الوليمة » وفي « الكتاب المقدس »

Matt. XV. 14.

(١٥) تميل النفس بطبيعتها إلى ما يبهجها ويلذ لها

(١٦) ورد لفظ (animo) بمعنى النفس ' الشهوية ' وورد لفظ (presto) بمعنى الإعداد أو

الاستعداد أو التهيؤ .

(١٧) وتدفع اللذة النفس إلى عمل ما يلذ لها

(١٨) لفظ (apprensiva) يعنى الحاسة العاقلة العارفة عند المدرسين

(١٩) أى يأخذ العقل من الشيء الواقعي صورة أو معنى يفسره حسب تقديره وذكر دانتي هذا المعنى

Conv. III. IX. 7.

في « الوليمة »

(٢٠) يعنى إذا مالت النفس إلى مصدر هذه اللذة فتكون هذه هي المحبة . ويتكرر هذا المعنى

Purg. XVII. 100; XIX. 56.

(٢١) وهذه هي الغريزة الطبيعية الجوهرية في نفس الإنسان .

(٢٢) يرى كثير من الشراح والمترجمين أنه يقصد بقول (di nuovo) هنا من جديد أو ثانياً ،

ولكن سكاتاتزيني يرى أنه يعنى المعنى القديم (primieramente) أى من قبل أو أولاً

ويعنى التفسير الأول أن المحبة تجدد ارتباط المحب بمصدر اللذة ، ويعنى التفسير الثانى اللذة التى حدثت عند ما أحس المحب بها نحو موضوع المحبة فى زمن سابق .

(٢٣) تصعد النار بطبيعتها إلى أعلى ، ولم يعرف القدماء أن ذلك مرجعه إلى خفة الأوكسجين . وعبر دانتي عن المحبة بهذا المعنى فى « الوليمة »
Conv. III. III. 2.

(٢٤) أى تصعد إلى سماء النار بين جو الأرض وسماء القمر ، وسيأتى ذكرها فى الفردوس
Par. I. 76-81.

(٢٥) هذه هى المحبة القائمة على الإرادة والاختيار

(٢٦) المقصود أن النفس تنعم باتحادها بالمحجوب ، وقلت (حتى تسعد باتحادها بالمحجوب) للإيضاح
وغير دانتي عن هذا المعنى فى « الوليمة »
Conv. III. II. 3.

(٢٧) هذه إشارة إلى مذهب الأبيقوريين فى لذة الحب والتمتع به مهما كانت بواعثه

(٢٨) يقصد بلفظ (matera) الشيء المحجوب

(٢٩) يعنى أن موضوع المحبة لا يكون دائماً موضوعاً طيباً

(٣٠) ربما كان الشمع جيداً ومع ذلك تكون الصورة التى يطبعها الخاتم عليه صورة رديئة والمقصود أن المحبة قد تكون آثمة

(٣١) أى أدرك دانتي طبيعة المحبة ولكن تولدت فى نفسه شكوك أخرى وورد فى الأصل لفظ الكشف

(٣٢) يعنى إذا كانت المحبة تأتى من أشياء خارجة عن العقل

(٣٣) وإذا كانت المحبة تأتى من الخارج فما فضل الإنسان إذا اتجهت نفسه اتجاهها مستقيماً أو منحرفاً

(٣٤) أى يمكن لفرجيليو أن يتكلم فى المسائل التى تتعلق بالعقل . وهذه إشارة إلى ما سبق

Purg. XV. 76-78.

(٣٥) ولكن مسائل الإيمان والعقيدة من اختصاص بياتريتشى وعبر دانتي عن هذا المعنى فى « الوليمة »
Conv. II. III. 2.

(٣٦) لا يعنى لفظ (sustanzial) فى المعنى المدرسى شيئاً مادياً صلباً إذا سمك كالحديد أو الخشب وأخرى بنا أن نكتبه (su-stanzial) ويعنى الجوهر الأساسى الذى هو ماهية الكائن أو الشيء مضافاً إلى مادته وتعبير (forma su-stanzial) يعنى الصورة التى تتحدد بجوهرها وشكلها وحركتها وخصائصها الكائنات والموجودات فالصورة الجوهرية للإنسان تشمل مادته وكل ما يصدر عنه فى أثناء الحياة ، وكذلك بالنسبة للجواد أو العصفور وإذا انتهى هذا الجوهر الأساسى فعنى ذلك الموت وبالنسبة لوثيقة مثلاً لا يقصد بتطبيق هذا التعبير عليها الورق ولا الحبر ولا الخط المكتوب ، بل يقصد به المضمون القائم وراء السطور ، والذى يحدد أنها وثيقة زواج أو هبة أو تملك أو وراثة أو رخصة حانوت وهذا الجوهر الأساسى فى كل الحالات قائم بذاته لأنه روح فى حالة الكائنات الحية بل وفى المادة كذلك

(٣٧) أى أن الروح متحدة فى الوقت نفسه بالمادة - الهوى - مجلوها فى الجسم واستخدم دانتي لفظى (setta) و (colletta) من اللاتينية

(٣٨) الفضيلة أو القوة أو القدرة النوعية فى الإنسان هى اتجاهه الطبيعى إلى المعرفة والمحبة ويشبه هذا المعنى ما أورده توماس الأكوينى
d'Aq. Sum. Theol. I. LXXVI. 4.

- (٣٩) يعنى لا يظهر أثر الروح ولا يدرك إلا بالعمل والنتائج
- (٤٠) هذا تشبيه دقيق مأخوذ من ملاحظة حياة النبات .
- (٤١) أى الاتجاه الطبيعى فى الإنسان إلى المعارف أو الأفكار الأولى ، وهى إدراك وجود الله ووجود الخلق والخليقة
- (٤٢) يعنى اتجاه الإنسان إلى رغباته الأولية مثل محبة الحقيقة والجمال والخير وحب الاستطلاع والسعى إلى السعادة
- (٤٣) أى ما دام الإنسان يتجه إلى ما يلذ له فلا لوم عليه ولا ثناء ، لأنه يفعل ذلك بدافع طبيعى يشبه غريزة النحل فى صنع العسل
- (٤٤) يعنى وجد العقل فى الإنسان لإيجاد التناسق بين رغباته واتجاهاته المختلفة
- (٤٥) أى يجب على العقل أن يحمى الإنسان من نزواته فيقبل الخير ويرفض الشر وعبر دانتي عن هذا المعنى فى « الوليمة »
- Conv. IV. XXVI. 5
- (٤٦) وبذلك يصبح الإنسان مسؤولاً عن عمله
- (٤٧) يعنى الفلاسفة - مثل أرسطو وأفلاطون - الذين وصلوا بالعقل إلى جوهر الأشياء وأدركوا مسؤولية الإنسان
- (٤٨) أى أورث الفلاسفة علم الأخلاق لكى يسير الناس بمقتضاه فى طريق الخير
- (٤٩) يعنى محبة الخير ومحبة الشر
- (٥٠) أى أنه إذا اتجهت المحبة إلى الشر فى الإنسان العقل والإرادة التى تكبح جماح نزواته .
- (٥١) الإرادة الحرة (liberum arbitrium) من اللاتينية بمعنى الاختيار أو الحكم الحر على الأشياء والمعانى والتصرف فى حدود ذلك ، وإذا لم يكن الاختيار حراً تعطلت إرادة الإنسان والمفروض أنها إرادة رشيدة تقود الإنسان إلى ما يعود عليه بالخير
- (٥٢) ستحدث بياتريتشى دانتي فى هذا الشأن فى الفردوس : Par. V. 19
- (٥٣) يعنى تأخر ظهور القمر ، وكان الشاعران وقتئذ يتكلمان فى منتصف الليل فى ليلة ١١ - ١٢ أبريل ١٣٠٠
- (٥٤) كان القمر منيراً من جانب واحد وبدا على صورة دلو كبير وغطى نوره على نور النجوم .
- (٥٥) أى طلع القمر من الغرب إلى الشرق ضد حركة السماوات اليومية
- (٥٦) يعنى كان القمر صاعداً فى الوقت الذى كان فيه أهل روما يرون الشمس تغرب بين جزيرتى سردينيا وكورسيكا وهذا يعنى فى الفلك الحديث أن القمر كان عندئذ فى برج الميزان ، ولكن القمر كان فى الليلة السابقة فى حساب دانتي فى برج العقرب (Purg. IX. 4-6) ، أى أن دانتي أخطأ فى حساب خط الطول لساردينيا الذى لم يكن معروفاً على وجه الدقة فى عصره (وخط طول سردينيا هو ٨ شرق جرينتش) والواقع أن القمر كان الآن فى آخر المراحل فى برج العقرب أو أوائل المراحل فى برج القوس
- (٥٧) أى فرجيليو
- (٥٨) بيتولا (Pietola) وعرفت قديماً باسم أنديس (Andes) وهى مسقط رأس فرجيليو وتقع على مهر مينتشو بقرب مانتوا ، وسميت كذلك من أجل فرجيليو ، وفاقت شهرتها شهرة مانتوا ذاتها ، ويمكن أن تكون الترجمة فى نظر بعض الدانتيين كالاتى (وذلك الشبح الرقيق الذى نالت بسببه بيتولا من الشهرة ما لم تنله سائر قرى مانتوا)

- (٥٩) يعنى أن فرجيليو أزال شكوك دانتي بشرحه الواضح والتي كانت عبثاً على فرجيليو ذاته . وربما يقرأ النص على أن فرجيليو قد أزال العبء الذى ثقل على كاهل دانتي .
- (٦٠) شعر دانتي بالتعب فأخذه النعاس .
- (٦١) طار النعاس من عيني دانتي بقدم هذه الجماعة المسرعة ، وهؤلاء هم الكسالى اللامبالون المتباطئون في فعل الخير ، وكانوا خلف الشاعرين ثم استداروا وجاءوا أمامهما
- (٦٢) إسمينوس (Ismenus) وأسوپوس (Asopus) نهران في بويتيزيا جرى على ضفتاهما ليلا أهل طيبة وبأيديهم المشاعل ، وهم يضرعون إلى باخوس إله الخمر وحامى المدينة أن يرسل عليهم المطر لكي ينمو الكرم ، كما أورده استاتيوس Stat. Theb. IX. 434 . . .
- (٦٣) التشبيه مأخوذ من حركة المنجل الدائرية السريعة عندما يقطع العشب والمقصود أنهم جروا بسرعة في ذلك الإفريز
- (٦٤) استخدم دانتي لفظ (cavalcare) يعنى يعتلى ظهر الجواد ، والمقصود أنه كانت تدفعهم أو تسوقهم إلى السير الإرادة الطيبة والحجة العادلة وهكذا بدا المتباطئون في فعل الخير بعكس ما كانوا عليه في الدنيا ، وهذه هي طريقة تطهرهم .
- (٦٥) هذان اثنان غير معروفين .
- (٦٦) هذه إشارة إلى زيارة العذراء ماريا مسرعة إلى إليصابات الحامل ، وورد ذلك في « الكتاب المقدس » :
Luca, I. 39-41.
- (٦٧) إيلردا (Ilerda) هي ليريدا الحالية في قطلونة بشمال غربى أسبانيا حيث قضى يوليوس قيصر بقرها على أتباع پومپي في سنة ٤٩ ق. م.
- (٦٨) أى ترك قيصر مارسيليا (Marsiglia) محاصرة بقيادة بروتس وأسرع هو إلى أسبانيا كما أورده لوكانوس
Luc. Phars. III. 453.
- ويذكر الكسالى المتباطئون في فعل الخير مثالى العذراء وقيصر كقدوة لهم
- (٦٩) على نداء هذين الإثنين صاح الجمع كله .
- (٧٠) صاح الكسالى اللامبالون جميعاً يحضون بعضهم بعضاً على الإسراع إلى التطهر
- (٧١) يعنى أن المسارعة إلى فعل الخير تبعث من جديد النعمة الإلهية ، ويأخذ دانتي تشبيهه من اخضرار النبات . ويرى بعض مترجمى الكوميديا أن ترجم الفقرة الأخيرة كما يلي : (إذ أن النعمة الإلهية تذكى الحماسة في فعل الخير)
- (٧٢) هذا هو فرجيليو الذى يحادث هؤلاء الكسالى
- (٧٣) يؤكد فرجيليو هؤلاء أن دانتي على قيد الحياة
- (٧٤) سبق هذا التعبير :
Purg. VII. 43
- (٧٥) سألت هذه الروح فرجيليو أن يسير هو ودانتي وراء المتطهرين أى من جهة اليسار صوب اليمين .
- (٧٦) يعنى ثغرة أو ممر في الصخر وسيأتى بعد
Purg. XIX. 48.
- (٧٧) عذاب هؤلاء الجحى على الدوام حول الجبل ، ولذلك لا يمكنهم التوقف أبداً وسبق الجحى الدائم تحت وأبل النيران - في الجحيم
Inf. XV.

- (٧٨) يسأل هذا الروح دانتي الصفح والمغفرة إذا بدا له جريه الدائم المفروض عليه أمراً فظاً غليظاً مخالفاً للكياسة وحسن الذوق .
- (٧٩) ربما كان هذا هو جيراردو الثاني (Gherardo II.) رئيس دير سان إترينو (San Zeno) في فيرونا الذي أحسن استقبال الأمبراطور فردريك بارباروسا (1121 - 1190 Federico Barbarossa) فنحه السلطة على مناطق كثيرة .
- وتوجد صورة من عمل سپينلو أريتينو من القرن ١٤ تمثل فردريك بارباروسا والبابا إسكندر الثالث ، وهي بالقصر الحكومي في سيينا وكذلك يوجد حفر بارز من القرن ١٢ يمثل فردريك بارباروسا في كل من متحف قلعة ميلانو وكاتدرائية فولينيو .
- (٨٠) هذا لأن بارباروسا أمر بهدم ميلانو في ١١٦٢ .
- ويوجد حفر يمثل الكفاح بين فردريك بارباروسا وأهل ميلانو ويرجع إلى القرن ١٢ وهو بمتحف قلعة ميلانو .
- (٨١) المقصود به ألبرتو دلا سكاللا (Alberto della Scala) أمير فيرونا الذي مات في ١٣٠١ ، وترك ثلاثة أبناء شرعيين وأبناً غير شرعي .
- (٨٢) أي أن ألبرتو سيحزن سريعاً على ما فعله بدير سان إترينو
- (٨٣) وضع ألبرتو ابنه جوسبي (Giuseppe) الأعرج المشوه الناقص العقل والغير الشرعي على رأس دير سان إترينو في ١٢٨٦
- (٨٤) يعنى مكان الراعى الكفاء التقدير . وفي بعض الأحيان يوجد الارتباط بين تشوه الجسد وضعف القوى العقلية
- (٨٥) كان هذا الروح يتكلم وهو يجرى ، ولذلك لم يعرف دانتي أقوال مزيداً أم لا
- (٨٦) هذا هو فرجيليو .
- (٨٧) يقصد اليهود الذين هربوا من فرعون مصر الذى انشق أمامه البحر الأحمر وما يقال إن ذلك قد حدث في زمن رمسيس الثاني في القرن ١٤ ق. م. وورد ذكرهم في « الكتاب المقدس » :
Esodo, XIV. 10-20.
- (٨٨) أي هلك اليهود الذين خالفوا تعاليم موسى ، ولم يبق إلا يشوع وكاليب ، وبذلك لم يشهد هر الأردن ورثتهم ، وورد ذلك في « الكتاب المقدس »
Deut. I 62...
- (٨٩) يقصد رفاق إينياس الذين تعبوا من السفر وآثروا البقاء في صقلية ولم يصحبوه في رحلته بعد ذلك ، وأورد فرجيليو هذه الأسطورة :
Virg. Æn. V. 700
- والمقصود أن اليهود ورفاق إينياس الذين تباطأوا في العمل النافع عاشوا دون مجد .
- (٩٠) لم يعد دانتي يرى هؤلاء لأنهم ابتعدوا عنه بجريهم .
- (٩١) يشبه هذا ما أورده فرجيليو
- (٩٢) شرد دانتي بفكره حيناً لم يعد هناك ما يراه .
- (٩٣) يعنى انتقل دانتي من اليقظة إلى النوم .

(١) الأنشودة التاسعة عشرة

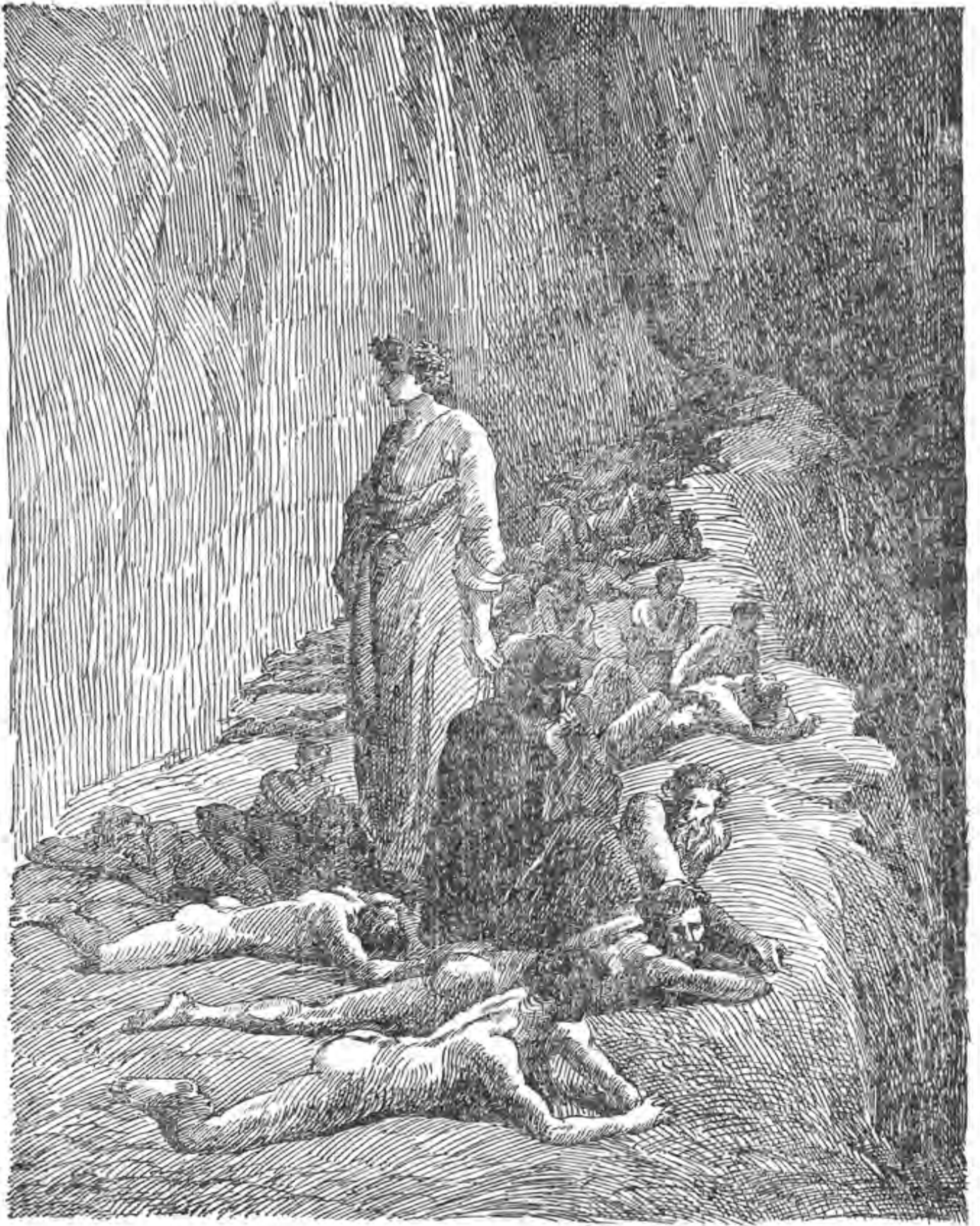
في ساعات الصباح الأولى من يوم الثلاثاء ١٢ أبريل ١٣٠٠ رأى دانتى في الحلم امرأة شوهاء تتلعثم في كلامها ، ولكنها تخلصت مما كانت عليه بنظرة من دانتى ، وأخذت تغنى قائلة إنها عروس البحر التي تفضل الملاحين وتجتذبهم إليها ، وهي رمز البخل والجشع وشهوة الجسد ثم ظهرت قديسة أبدت غضبها لما أوشك أن يتعرض له دانتى من الإغراء ، فكشف فرجيليو عن بطن عروس البحر ، فاستيقظ دانتى بما فاح منها من الرائحة الحبيثة . وكان النهار قد طامع ، ودعا ملاك الخلاص الشعارين إلى الصعود ، وأزال بجناحه من جبين دانتى خطيئة اللامبالاة والتكاسل في فعل الخير وحفز فرجيليو دانتى إلى المسير ، فتقدم مسرعاً كالبازي الذي يسارع إلى غذائه ووصل الشعاران إلى الإفريز الخامس ، ورأى البخلاء والمسرفين يبكون وقد استلقوا وانقلبوا على وجوههم ، وقالوا إن نفوسهم لاصقة بالتراب واستفسر فرجيليو عن الطريق إلى الإفريز السادس ، فأشار أحد الأرواح على الشعارين بالسير بحيث يكون يمينهما إلى فضاء الجبل وتقدم دانتى إلى مصدر الصوت وطلب إليه أن يتوقف قليلاً عن التطهر لكي يحادثه ، وسأله عن شخصه وعن حال المتطهرين هنا ، وهل يريد أن يؤدي له خدمة في الأرض وكان ذلك هو البابا أدريانوس الخامس الذي عرف في مدة بابويته انقصيرة أعباء منصبه الخطير ، وقال إنه تاب عن البخل حينما ولي البابوية وأدرك أن الحياة الدنيا كاذبة وكان عقاب هؤلاء أن ينكفئوا على وجوههم فوق الأرض ، لأنهم لم ينظروا في أثناء الحياة إلى أعلى وركع دانتى إلى جواره ، ولكن أدريانوس سأله الوقوف على قدميه لأن الجميع ما هم إلا خدام لله ، وسأله أن يتابع سيره حتى لا يعطل تطهره ، وذكر ابنة أخيه الأديبا الطيبة الشمائل – اللهم إذا لم تكن قد فسدت بمثالب أسرتها – وهي الوحيدة التي تذكره في الدنيا بالخير

- ١ في الساعة التي لا تقوى فيها شمس النهار^(٢) على أن تلطّف من برودة القمر^(٣) حين تشتدّ برودة الأرض^(٤) أو زحل أحياناً^(٥) ،
- ٤ وحينما يرى الرّمّالون^(٦) نجوم " الحظّ الأكبر " ^(٧) طالعةً قبيل الفجر في قبة المشرق^(٨) - في مسرى لا تسوده الظلمة إلا قليلاً^(٩) ؛ -
- ٧ تراءت لي في الحلم امرأة^(١٠) متلعثمة اللسان^(١١) حولاء العينين^(١٢) ، وتبدّت ملتويةً على قدميها^(١٣) ، مبتورة اليدين^(١٤) ، شاحبة اللون^(١٥) فأخذت أنظر إليها ؛ وكما تبعث الشمسُ الدفءَ في الأطراف الباردة التي يثقل عليها الليل^(١٦) ، هكذا انطلق بنظرتي
- ١٣ لسانها ، ثم انتصبت قامتها في برهة^(١٧) ، واكتسى وجهها الشاحب باللون الذي تتطلبه المحبّة^(١٨)
- ١٦ وحينما حُلّت عقدة لسانها على ذلك النحو شرعت تغنّي ، حتى كان من العسير عليّ أن أحول انتباهي عنها^(١٩)
- ١٩ وغنّت قائلةً : « إنني عروس البحر الفاتنة التي أُضلُّ الملاحين في عرض البحر^(٢٠) ، وإني لمفعمّة باللذة التي أبعثها فيمن يُصغى إليّ^(٢١) !
- ٢٢ ولقد اجتذبتُ بغنائى أوليسيس الهائم في رحلته^(٢٢) ؛ وإن منّ يَألف مُعايشتي ينذر عنى ارتحاله^(٢٣) ، إذ أرضى كافّة رغائبه ! »
- ٢٥ ولم تكن قد أغلقت بعدُ فاهها^(٢٤) ، عندما مثّلتُ إلى جانبي سيّدة مباركة^(٢٥) ، متحفزة لكي تُدخل الاضطراب في روعها
- ٢٨ وقالت وقد علاها الازدراء^(٢٦) « فرجيليو يا فرجيليو ، هذه المرأة - منّ تكون ؟ ؛ فأقبل هو بعينين مُشبّهتين على تلك الأمانة فحسب^(٢٧)
- ٣١ وأمسك بالأخرى ، وعراها من الأمام بشقّ ملابسها ، وكشف لي عن بطنها^(٢٨) فأيقظتني كربهُ الروائح التي فاحت منها^(٢٩)
- ٣٤ وأخذتُ أتلفّت بعيني^(٣٠) ؛ وقال أستاذي الطيب « لقد ناديتك ثلاث مراتٍ على الأقل^(٣١) ، ألا فلتنهض ولتقبل ولتنبعث عن الشجرة التي ستدخل خلالها . »

- ٣٧ فهضتُ واقفاً ، وكان نور النهار المُكتمل قد غمر حلقات الجبل المقدس
كلتها ، وسرنا وأشعة الشمس المشرقة وراء ظهرنا (٣٢)
- ٤٠ وبينما كنت أتابعه حملتُ جببى كَمَنٍ تثقل عليه وطأة الأفكار ، فيسير
مُنحنى الظهر (٣٣) ؛
- ٤٣ إذْ بي أسمع : « هيتاً أقبل - فها هنا المعبر (٣٤) » - تُقال بصوتٍ لطيف ،
وبما لا يُسمع نظيره في هذه الحدود الفانية (٣٥)
- ٤٦ وبجناحين مفتوحتين - بدتا كجناحي بجمعة (٣٦) - وبين حائطين من
الصخر الصلد (٣٧) - اتجه بنا أعلى - منْ تحدثت هكذا إلينا
- ٤٩ ثم خفق بأرياشه مهفهفاً علينا (٣٨) ، قائلاً لنا إن الحزاني سينعمون
بالطوباوية ، إذْ تملك نفوسهم زمام العزاء (٣٩)
- ٥٢ « ماذا دهاك حتى لم تعد تُحملك إلا في الأرض (٤٠) ؟ » - بدأ دليلي يقول لي
ذلك - حينما تجاوزنا كلانا في صعودنا حدَّ الملاك قليلاً
- ٥٥ فقلت « إن رؤيا جديدةً تتملكني وتدفعني إلى المسير في ظلالٍ من
الشك ، حتى لا يمكنني أن أكفّ عن التفكير فيها (٤١) »
- ٥٨ فقال لي (٤٢) « لقد شهدت تلك الساحرة العتيقة التي تحمل وحدها
المتطهرين على البكاء فوقنا الآن (٤٣) ؛ ورأيت كيف يتخلّص المرء منها .
- ٦١ ألا فلدّيكفك هذا ، ولتضرب الأرض بعقبياك (٤٤) ولتتجه بعينيك
إلى النداء الذي يُشيعه المليك الأبدى في أرجاء الدوائر الكبرى (٤٥)
- ٦٤ وكالبازي الذي ينظر إلى قدميه أولاً ، ثم يتجه إلى مصدر النداء ويبسط
جناحيه بالرغبة في الغذاء الذي يجتذبه إليه (٤٦) ؛
- ٦٧ هكذا فعلتُ (٤٧) ؛ وبقدر ما كان الصخر مشقوقاً ليفسح طريقاً لمنْ يمضي
صُعداً - كذلك سرتُ إلى حيث يبدأ الدوران (٤٨)
- ٧٠ وحينما أصبحت طليقاً (٤٩) في الدائرة الخامسة (٥٠) ، رأيت فيها قوماً يذرفون
دموعهم ، وقد استلقوا جميعاً منكفئين على الأرض (٥١)
- ٧٣ وسمعتهم يقولون في تهديد عميق (٥٢) " لصقت نفسي بالتراب " (٥٣) ،
حتى لم تكد كلماتهم تُفهم

- ٧٦ « أيها المختارون من الله ، يا من تخفف العدالة والأمل قسوة عذابهم
ألا فلتوجهونا إلى الدرجات التالية (٥٤) »
- ٧٩ « إذا جئنا آمنين من الاطّراح هاهنا (٥٥) ، وكننا راغبين في العثور على أقصر
الطرق ، فلتكن يُسمى أيديكما دائماً إلى الخارج (٥٦) »
- ٨٢ هكذا سأل شاعري وهكذا تلقى الجواب من موضع يتجاوزنا قليلاً ؛ وبذلك
تبيّنتُ من كان مُختفياً وراء هذه الكلمات (٥٧) ؛
- ٨٥ فاتجهتُ بعيني إلى عيني سيدي (٥٨) : وحينئذٍ أباح لي بإيماءةٍ بشوشة (٥٩) -
ما سألتُه عيني الراغبة (٦٠)
- ٨٨ وعندما أمكنني التصرف وفقاً لتقديرى ، تقدّمتُ فوق ذلك الكائن الذى
استرعت كلماته انتباهى من قبل (٦١) ،
- ٩١ وقلتُ « أيها الروح الذى يُنضج فيه البكاء ما لا يمكن العودة بدونه إلى
رحاب الله (٦٢) ، فلتكفّ من أجلى برهةً عن مشغلتك الكبرى (٦٣)
- ٩٤ ولتخبرنى مَنْ كنتُ ، ولم تتجه ظهوركم أعلى ، وهل تريد أن أنال لك
شيئاً فى الدنيا - التى جئتُ منها وما زلت على قيد الحياة (٦٤) ؟ »
- ٩٧ فقال لى : « إنك ستعرف لِمَ توجه السماء ظهورنا إليها (٦٥) ؛ ولكن عليك
أن تعلم أولاً أنى كنت خليفة القدّيس بطرس (٦٦)
- ١٠٠ وهناك بين مدينتى سيسترى وكيا فيرى (٦٧) ينساب جدولٌ جميلٌ (٦٨) ،
ومن اسمه يتخذ لقبُ أسرتى ذروة مجده (٦٩)
- ١٠٣ لقد خبرتُ - فترةً تتجاوز الشهر قليلاً (٧٠) - كيف يثقل الثوب الأعظم
على من يحفظه من الوحل نقيّاً ، حتى لتبدو من الريش - إلى جانبه -
سائر الأعباء (٧١)
- ١٠٦ وتأخرتُ فى توبتى وأسفاه ! ولكن حينما أصبحت راعياً رومانياً اكتشفتُ
عندئذٍ بطلان الحياة الدنيا (٧٢)
- ١٠٩ ووجدتُ أن قلبى لم يهدأ هناك ولم يستطع أحدٌ أن يزداد علواً فى تلك
الحياة ، ولذا اشتعل قلبى بمحبّة هذه الحياة (٧٣)

- ١١٢ وإلى تلك اللحظة^(٧٤) كنت نفساً بائسةً يملكها البخل ونائيةً عن الله
وكما ترى فإنني أتعذب بذلك في هذا الموضع الآن
- ١١٥ وإن ما يفعله البخل ليتضح هنا في تطهّر النفوس التائبة^(٧٥) ، وما من عذابٍ
في الجبل أشدّ مرارةً من ذلك^(٧٦)
- ١١٨ وكما لم تتّجه أعيننا إلى العلياء - بتركزها على شؤون الدنيا - ^(٧٧) هكذا
تُلقي بها العدالة الإلهية ها هنا إلى الأرض^(٧٨)
- ١٢١ وكما قضى البخل فينا على محبة كل خير ، وبذلك فقدنا القدرة على الفعل
الطيب^(٧٩) ، هكذا تُطبق العدالة الإلهية علينا ها هنا ،
- ١٢٤ وقد قيّدت أقدامنا وأيدينا وشلت من حركاتنا^(٨٠) ؛ وسنظلّ مُمدّدين
دون حراك طالما يروق ذلك للسيّد العادل^(٨١) «
- ١٢٧ وكنت قد جثوتُ على ركبتيّ وأنا راغبٌ في الكلام ؛ ولكن حينما بدأتُ
- وتبين هو - بسمعه فحسب - مدى توقيري إياه^(٨٢) -
- ١٣٠ قال « ما الذي يدعوك إلى أن تنثنى هكذا إلى أسفل ؟ فقالت له
« في سبيل كرامتك - أنبى ضميري - لوقوفى في حضرتك^(٨٣) »
- ١٣٣ فأجابني « أقيم ساقيك يا أخي ، وانفض ! ولا ترتكب معي هذا الخطأ
فما أنا وأنت والآخرين جميعاً سوى خُدّام لقوة واحدة^(٨٤)
- ١٣٦ وإذا كنت قد فهمتَ أبداً كلمة الكتاب المقدّس التي تقول " إنهم
لا يزوّجون ولا يتزوّجون "^(٨٥) ، فيمكنك أن تدرك جيداً لمَ أتكلّم هكذا^(٨٦) .
- ١٣٩ ولتذهب عني الآن فلستُ أرغب أن تظلّ هنا مزيداً ، إذ يعطلّ
تلبّثك بكائي - الذي أنضج به ما ذكرته بنفسك^(٨٧)
- ١٤٢ وإن لي هناك ابنة أخٍ تُدعى الأدّجا^(٨٨) ، وهي بطبعها حلوة الشمائل ،
ما لم يُفسدها بيتنا بمثاله السيّئ^(٨٩) ؛
- ١٤٥ وهي الوحيدة التي بقيت لي في ذلك الجانب^(٩٠) .



٩ - داتى وفرجيليو ياسيان على البخلاء والمبذرين

أنشودة ١٩ ١٢٧ - ١٣٥

حواشي الأنشودة التاسعة عشرة

- (١) هذه هي الأنشودة الأولى من أنشودات البخلاء والمسرفين وتسمى أنشودة أدريازوالخامس
- (٢) أى بعد منتصف الليل حينما يزول تماماً أثر أشعة الشمس والمقصود الوقت الذى يحلم فيه الإنسان بالصدق
Inf. XXVI. 7; Purg. IX. 16
- (٣) اعتقد الأقدمون أن القمر بارد لأنه يعكس أشعة الشمس وإن لم يعدوه بارداً في حد ذاته .
والمقصود برودة الليل التى لا تقوى أشعة الشمس على التخفيف من حدتها
- (٤) يعنى حين تغلب برودة الليل أثر أشعة الشمس
- (٥) اعتقد القدماء أن زحل بارد وتؤثر برودته على الأرض ، رعب ثرجيليو عن ذلك
Virg. Georg. I. 336.
- (٦) يرى الرمالون الطالع بخطوط وعلامات يرسمونها على الرمل
- (٧) يطلق الحظ الأكبر (Fortuna Major) على مجموعة من النجوم في مؤخرة برج الدلو ومدمة
برج الحوت ، ويستخدمها الرمالون في الرسم على الأرض بالصورة الآتية
* * * * *
- (٨) أى أن الساعة كانت حوالى الرابعة من صباح يوم الثلاثاء ١٢ أبريل ١٣٠٠
- (٩) يعنى أن الفجر سيطلع قريباً
- (١٠) ترمز هذه المرأة للبخل والجشع وشهوة الجسد ، ويشبه هذا ما ورد في « الكتاب المقدس »
Prov. VII. 10-12.
- (١١) تتلثم المرأة لأن البخل يجعلها تتكلم كلاماً مبهماً ، والجشع يجعلها تنطق الحروف بدون وضوح ،
وشهوة الجسد تجعلها تتكلم بالإشارة .
- (١٢) كانت حواء العينين لأن البخل يمنع الإنسان من الرؤية الصحيحة والجشع يظلم البصر ،
والشهوة تميل بالرؤية المادية والعقلية عن جادة الصواب
- (١٣) وكانت المرأة عرجاء لأن البخل يحول دون استقامة الحكم على الأمور ، والجشع يفقد الساقين
قوتها ، وشهوة الجسد تضعف الجسم كله .
- (١٤) بتر اليدين - أو عجزهما - رمز على أن البخل لا يعطى شيئاً والجشع لا يرغب في فعل شيء
نافع ، ومثله صاحب شهوة الجسد .
- (١٥) وكانت شاحبة اللون لأن من تسيطر عليه إحدى الخطايا الثلاث المذكورة يصبح كذلك .
- (١٦) هذه صورة مأخوذة من الحياة الواقعة حينما تدفئ أشعة الشمس الأطراف التى قست عليها برودة
الليل
- (١٧) فعل نظر دانتى إلى هذه المرأة ما تفعله أشعة الشمس بالأطراف الباردة فنصب قامتها وأزال
تلعثها
- (١٨) أى أصبح لون وجهها مزيجاً من اللون الوردى الأحمر ومن اللون الشاحب ، وهذا هو لون
المحبين ، ويشبه هذا ما ورد عن إيزوتا في « قصص المائدة المستديرة » ، وعبر دانتى عن
لون المحبين في « الحياة الحديدية »
Tav. Rot. XXXII.

- (١٩) كان غناء المرأة شجياً حتى ظل دانتى منتبهاً إليها منتبهاً إليها
- (٢٠) عروس البحر (sirena) كائن خرافي نصفه الأعلى امرأة ونصفه الأسفل سمكة وكانت تجذب الملاحين بصوتها الساحر وتهلكهم
- ويوجد حفر بارز من القرن ١٢ يمثل عروس البحر وهو في معمدان مدينة پارما
- (٢١) ويشبه هذا المعنى ما ورد في بعض « الأشعار العامية القديمة »

Antiche Rime Volgari CLXXIX.

- (٢٢) لم تكن عروس البحر هي التي اجتذبت أوليسيس ولكنها كانت الساحرة تشيرتشي في الجحيم (Inf. XXVI. 91) كما أورد هوميروس ذلك (Od. XII.) ، ولم يعرف دانتى الأوديسية مباشرة ، ولكنه عرف بعض مضمونها محرفاً في تراث العصور الوسطى وربما ظن دانتى أن تشيرتشي كانت عروس بحر ، وربط بينها وبين المرأة التي رآها في حلمه الآن والتي ترمز للملذات الدنيا التي تفسد الإنسان وربما استخدم تعبير عروس البحر كاستعارة ورمز للمرأة التي تفسد الإنسان
- (٢٣) يعنى أن من يتأثر بالدنيويات السالفة الذكر يصعب عليه العدول عنها
- (٢٤) يمكن أن تكون الترجمة (لم تكن قد امتنعت بعد عن الكلام)
- (٢٥) ربما ترمز هذه السيدة للعقل أو الحدس الذي ينتقد الإنسان من الخطر ويرى بعض الشراح أنها ترمز للعدراء ماريا أو بياتريتشي أو لوتشيا
- (٢٦) يمكن أن نقول (وقد علاها الغضب) ولقد ساد هذه السيدة الازدراء - أو الغضب - بالخطر الذي تعرض له دانتى ، وربما أرادت أن تلفت نظر فرجيليو إلى أنه لم يرع دانتى ولم يحرسه كما ينبغي .
- (٢٧) تركزت عينا فرجيليو على هذه السيدة وحدها
- (٢٨) أدرك فرجيليو ما تقصده هذه السيدة فكشف عن بطن الساحرة أى أظهر حقيقتها
- (٢٩) أى أن التّن كان يكمن وراء الإغراء ، فاستيقظ دانتى على الرائحة الكريهة المنبعثة من بطن الساحرة
- (٣٠) لم تكن الرؤية قد أصبحت بعد سهلة على دانتى ، ولذلك حرك عينيه ورأسه حتى يرى بوضوح
- (٣١) كان فرجيليو قد حاول إيقاظ دانتى من نومه عدة مرات
- (٣٢) كانت الشمس قد اكتمل طلوعها وسار الشاعران صوب الجنوب والشمس على ظهرهما وفي الأصل (كليتين)
- (٣٣) يعنى سار دانتى على هيئة جسر منحني ، وقد كان يسير بانحناء قليل حينما تقدمت به السن ، ويقول النص (يجعل من نفسه نصف قوس لجسر)
- (٣٤) هذا هو ملاك الخلاص وحارس الإفريز الرابع يدعو الشاعرين للصعود .
- (٣٥) تكلم الملاك بصوت رقيق لا مثيل له في الدنيا الفانية
- (٣٦) يظهر الملاك بجناحيه الهائلين ولونهما في بياض البجع
- (٣٧) هذا مر مفتوح في الصخر
- (٣٨) أزال الملاك بجناحه خطيئة اللامبالاة والكسل من جيبن دانتى .
- (٣٩) يمكن القول (إذ ستفعم نفوسهم بالعزاء) وهذا المعنى مأخوذ من « الكتاب المقدس »

- (٤٠) كان دانتى يسير منحنيًا مطرقاً إلى الأرض ولذلك سأله فرجيليو ماذا به .
- (٤١) لم يكن دانتى قد شرح لفرجيليو ما رآه آنفاً لأنه حينما استيقظ رأى الملاك مباشرة .
- (٤٢) يعرف فرجيليو كل ما يجول بخاطر دانتى ولذلك يشرح له الأمر فوراً .
- (٤٣) أى أن خطايا البخل والجشع وشهوة الجسد التى ترمز لها الساحرة القديمة تتطهر في الأفاريز التالية وأضفت (المتطهرين) للإيضاح
- (٤٤) يعنى يسأله الإسراع .
- (٤٥) أى أنه نظر إلى السماوات وما فيها من إبداع وجمال ، وهذا بمناسبة النداء الذى يوجهه الله لدعوة الطوباويين إلى رحابه
- (٤٦) يأخذ دانتى هذه الصورة من ملاحظة البازى في الصيد .
- (٤٧) يعنى نصب دانتى قامته وأسرع الخطى .
- (٤٨) أى حيث يبدأ السير في دوائر أخرى حول الجبل .
- (٤٩) يعنى حينما خرج من الممر الصخرى إلى الخارج
- (٥٠) في الإفريز الخامس يعذب البخلاء والمسرفون
- (٥١) هذا هو عقاب البخلاء والمسرفين
- وفي بعض ما ورد في تراث الإسلام نجد الانكفاء والسحب على الوجه من بين عقوبات شارب الحمر ، وهنا تشابه في العقاب مع اختلاف في المعصية
- السمرقندى ، ابن الليث ؛ كتاب قرة العيون ومفرج القلب المحزون . مطبوع على حاشية مختصر تذكرة القرطبي للشعراني . القاهرة ، ١٣٠٨ هـ . ص ١٩
- (٥٢) هكذا يتألم هؤلاء ويتطهرون من البخل والإسراف
- (٥٣) هذا مأخوذ من « الكتاب المقدس »
- Sal. CXIX. 25.
- (٥٤) يسأل فرجيليو عن الطريق إلى الإفريز السادس . وفي نسخة أكسفورد نقرأ (الدرجات العليا)
- (٥٥) هذا هو البابا أدريانو الخامس
- (٥٦) أى إذا لم يكن دانتى وفرجيليو من الآثمين بسبب البخل أو الإسراف فإن أقصر طريق إلى الإفريز السادس يكون بالسير مع مراعاة أن يكون فضاء الجبل إلى يمين الشاعرين دائماً
- (٥٧) يعنى أن كلام أدريانو - وقد كان مختلفياً بوجهه المتجه إلى الأرض - جعل دانتى يتبينه .
- (٥٨) سأل دانتى فرجيليو بعينه - وبدون كلام - أن يتحدث قليلاً إلى هذا الروح
- (٥٩) أباح له فرجيليو ذلك بدون كلام أيضاً
- (٦٠) أى ظهرت رغبة دانتى في عينيه ، وهذا موقف رقيق بين شاعرين يفهم أحدهما الآخر بدون كلام .
- (٦١) تقدم دانتى حتى أصبح فوق أدريانو الخامس المنبسط على الأرض .
- (٦٢) يعنى أن البكاء ينضج تطهره ولا سبيل غير ذلك للوصول إلى الله .
- (٦٣) يسأل دانتى أدريانو أن يتوقف لحظة عن البكاء في سبيل التطهر حتى يمكنه التحدث إليه .
- (٦٤) هكذا يستفسر دانتى عن شخصيته وعن طريقة عذابه وهل يريد أن يؤدي له خدمة ما في الدنيا .
- (٦٥) أى ما سبب انكفائهم على وجوههم هكذا

(٦٦) هذا هو البابا أدريانو الخامس (Adriano V.) وهو من أسرة لاثانيا الجنوية ، وكان مندوباً للبابا في إنجلترا في ١٢٦٨ ، وانتخب بابا في ١٥ يوليو ١٢٧٦ ومات في ١٨ أغسطس من نفس السنة . وأنطق دانتي أدريانو باللاتينية اللغة الرسمية للبابوات . ويقال إنه كان حريصاً على جمع المال .

(٦٧) سستري (Sestri) وكياثيري (Chiaveri) مدينتان صغيرتان في الريفيرا الليجورية الشرقية

(٦٨) ينحدر هر لاثانيا (Lavagna) من جبال الأبين إلى البحر التيراني

(٦٩) أعطى هر لاثانيا اسمه لمدينة كانت موطن أسرة أدريانو الخامس ، وكان هذا هو الاسم الذي تمجدت به

(٧٠) شغل أدريانو الخامس الكرسي البابوي مدة ٣٩ يوماً

وتوجد صورة للثوب البابوي وهي مطبوعة ومأخوذة عن رسم قديم من القرن ١٣ ، وكانت في كنيسة يوحنا اللاتيراني في روما

(٧١) يعنى أنه عرف في هذه المدة القصيرة أعباء المنصب البابوي

(٧٢) أى أنه حينما ولى الكرسي البابوي عرف أن الحياة الدنيا حياة كاذبة خادعة لأنها لا تمنح السعادة لمن يحصر أمله فيها

(٧٣) يعنى أنه وجد أن الإنسان مهما بلغ في الحياة الدنيا فإنه لا يبلغ في الحقيقة مرتبة عالية سامية ، ولذلك فقد أحب الحياة الآخرة الباقية .

(٧٤) أى حتى أصبح بابا

(٧٥) يمكن أن يعنى لفظ (converse) النفوس المقلوبة الوضع على الأرض .

(٧٦) يعنى أنه ليس في جبل المطهر من عذاب أشد وضوحاً من عذاب البخلاء

(٧٧) أى أن العين التي تنظر دائماً إلى شئون الدنيا لا تتجه إلى الله أبداً

(٧٨) يناسب هذا العذاب حرص البخلاء على شئون الدنيا

(٧٩) يمنع البخل الإنسان من محبة الخير الحقيقي ومن القدرة على ممارسته .

(٨٠) هذا رمز لثروات الأرض التي تمنع الإنسان عن الخير الحقيقي ويشبه هذا ما ورد في « الكتاب

I. Epis. Tim. VI. 9-10.

المقدس »

(٨١) يعنى الله

(٨٢) عرف أدريانو الخامس أن دانتي ركع على قدميه من صوت حركته بدون أن يراه

(٨٣) أى أن احترام دانتي لأدريانو الخامس اقتضى منه الركوع ، ويخالف ذلك معاملة دانتي

لنقولا الثالث في الجحيم (Inf. XIX. 90 ...). ويقراً بعض الدانتيين مثل كامبي وفراتيتشلي لفظ

(dritta) بدلا من (dritto) وفي هذه الحال يعود اللفظ الأول على كلمة الضمير (coscienza) ،

وبذلك يمكن أن تكون الترجمة (وخزني ضميري سوى - المستقيم - من أجل كرامتك)

(٨٤) يعنى لا يجوز لدانتي أن يركع من أجل البابا ، لأن الناس جميعاً متساوون وهم خدام وعبيد لله

وهذا هو التواضع التام . ويشبه هذا المعنى ما ورد في « الكتاب المقدس »

Apocal. XIX.

(٨٥) أى أن الناس لا يتزوجون في الآخرة كقول السيد المسيح

Matt. XXII. 23-30; Marc. XII. 18-25; Luca, XX. 27-36.

- (٨٦) ولن يكون للبابا ميزة في هذا الصدد ولن يسمى زوج الكنيسة كما في الحياة الدنيا والمقصود أن الناس متساوون أمام الله
- (٨٧) يسأل أدريانو الخامس دانتى الذهاب عنه لأن وجوده يعطل بكاءه ويؤخر تطهره وسبقت مواقف مشابهة مع شخصيات أخرى

Purg. XI. 139; XIV. 124-126; XVI. 142-145.

- (٨٨) هذه هي ألدجا دى فيسكى (Alagia dei Fieschi) ابنة نيقولا شقيق أدريانو الخامس وزوجة موريلو مالا سپينا (سبقت الإشارة إليه في الجحيم. Inf. XXIV. 145-150)، وعرفت بالتدين وحسن الشائل، وترملت في ١٣١٥ وعاشت بعد موت زوجها حتى ١٣٤٣ على الأقل ومن المرجح أن دانتى عرفها في أثناء إقامته في منطقة لونيديجانا في ١٣٠٦ ويعتقد بعض شراح دانتى القدماء أن ألدجا هي جنتوكا السيدة التي ستذكر بعد (Purg. XXIV. 37 ...)، ولكن هذا الرأي مستبعد

- (٨٩) يستدرك أدريانو الخامس كلامه بهذا القول، وهو يخشى أن تكون ألدجا الزهرة الطيبة قد فسدت بمثالب أسرتها، لأن القدوة السيئة سرعان ما تبث سمومها فتعيد بكثير من الناس عن جادة الصواب وأدريانو هنا بمثابة الأب الذي يرجو الفلاح والصلاح لأسرته، ويشفق على ابنة أخيه أن يمتد إليها الفساد، وقد عرفت بالفضل والصلاح والتقوى
- (٩٠) يعنى أن ألدجا هي الوحيدة التي بقيت تذكر أدريانو وتصلى من أجله، وهو يعتز بهذه الوحيدة التي تذكره، ويظهر حنينه إلى وطنه وإلى الزهرة الطيبة في أسرته، التي كان يتمنى أن يصبح جميع أفرادها على مثالها، لا العكس. وهذه هي بعض مشاعر دانتى ذاته نحو عشيرته وقومه ورغبته في خيرهم وحزنه وأسأه على مفاسدهم. ويرسم دانتى في هذه الأبيات الأربعة صورة للتوبة والأسى والحنين والرغبة في الخير والصلاح وتبدأ هذه الأنشودة بالكلام عن المرأة الفاجرة الساحرة، وتنتهى بهذه الصورة التي تسودها المرارة والمحبة والحنين إلى الوطن والرغبة في صلاح الناس.

الأنشودة العشرون^(١)

تقدم الشاعران إلى الأمام بناء على رغبة أدريانو الخامس ، وسارا في موضع مزدحم بالمتطهرين الذين اطرحوا أرضاً ، ولعن دانتي الذئبة القديمة رمز البخل والجشع . وسمع دانتي الأرواح تتغنى بأمثلة عن الفقر والأريحية تتناول ميلاد المسيح في المدود ، وفابريسيوس الروماني الذي آثر الفقر مع الفضيلة على الثروة في ظلال الإثم ، والقديس نيقولا البيزنطي حامي العذارى . قال روحٌ لدانتي إنه كان أصلاً لأسرة خبيثة أظلت العالم المسيحي كله ، وأعلن أنه هيج كاپيه ابن القصاب — كما يشاع — وقال إن مقاليد الحكم قد آلت إليه في فرنسا وإن قومه كانوا يعرفون معى الحجل ثم أخذوا في النهب والطغيان بعد استيلائهم على پروونس وقال إن شارل دانجو قدم إلى إيطاليا وهزم كرنرادينو دي هوهنشتاوذن ، وتنبأ بقدم شارل دي فالوا الذي سيقبر بطن فلورنسا برمح يهوذا ، وينال بذلك الإثم والعار ، وذكر شارل الثاني دانجو الذي باع ابنته بيع الإماء في سبيل المال ، وتنبأ بتامر فيليب الجميل على قتل بونيفاتشو الثامن — عدو دانتي — الذي سيصبح بذلك كالمسيح الذي صلب وقتل — عند المسيحيين — وسأل الله متى يحل انتقامه ! وقال هيج كاپيه إن أصوات المتطهرين ستذكر في أثناء الليل أمثلةً عن البخل والجشع ، مثل پيجماليون ملك صور ، وميداس ملك فريجيا ، وعسخان اليهودي ، وسفيرة وزوجها حنانيا ، وهليودوروس وزير سلاو وقُس ملك سوريا ، وپوليمنستور ملك تراقيا ، وكراستوس الروماني . ومضى الشاعران في طريقهما ، وشعر دانتي بزلزلة جبل المطهر زلزلةً عنيفةً حتى أحس قشعريرة الموت ، وسمع الأرواح ترتل : ” المجد لله في الأعالي “ . وكان دانتي راغباً في الاستفسار عن ذلك ، ولكن لإسراع فرجيليو في السير جعله يمضي وجلاً متفكراً .

- ١ ما من رغبة تقوى على مغالبة رغبة تفضليها^(٢) ؛ وعلى هذا فلدكي أبعث في نفسه المسرة - على غير مسرتي^(٣) - سحبت من الماء إسفنجي التي لم تُفعم^(٤)
- ٤ وسرتُ قدماً ؛ وتقدم دليلي في المواضع الحالية على طول الصخر^(٥) ، كمن يسير إزاء سورٍ وهو بشرافته ملتصق^(٦)
- ٧ إذ أن القوم الذين يذرفون من أعينهم قطرةً فقطرةً الشر الذي يملأ العالم كله^(٧) ، أقبلوا في الجانب الآخر وهم شديداً والقرب من حافته الخارجية^(٨) .
- ١٠ ألا لعنة الله عليك أيها الذئبة العتيقة^(٩) التي تزيد فرائسك عن سائر الوحوش جميعاً^(١٠) ، بجوعك المسعور دون قرار^(١١) !
- ١٣ أيها السماء التي يبدو أن الإنسان يعزو إلى دورانها تغير الأحوال هنا في العالم الأسفل^(١٢) - متى سيأتي من بفضله سيُطرد هذا الوحش^(١٣) ؟
- ١٦ وأخذنا نسير بخطى بطيئة قصيرة^(١٤) ، وظلتُ منتبهاً إلى الأشباح التي سمعتُ بكاءها الحار وأنيها الأليم^(١٥)
- ١٩ وطراً على سمعي "ماريا الحبيبة" - تنادى أمامنا خلال صراخ^(١٦) أشبه بما يصدر عن امرأة أخذها الطلاق^(١٧) ؛
- ٢٢ وسمعتُ بعدُ « لقد كنت شديدة الفقر ، كما يمكن أن يبين في ذلك المذود ، حيث وضعت حملك المبارك^(١٨) »
- ٢٥ وفي إثر ذلك سمعت « يافابروس سيوس الطيب^(١٩) ، إنك قد آثرت الفقر مع الفضيلة على المعصية مع الثراء الواسع^(٢٠) »
- ٢٨ فراقته لي هذه الكلمات حتى اندفعت إلى الأمام ، لكي أتعرف على ذلك الروح الذي بدا أنها صادرة عنه^(٢١)
- ٣١ وتابع كلامه متحدثاً عن الأريحية التي بدرت من القديس نيقولا نحو العذارى الفقيرات ، لكي يسير بشبابهن إلى الحياة الشريفة^(٢٢)
- ٣٤ فقلتُ « أيها الروح الذي يتكلم عن مثل هذا الخير العظيم - خبرني من كنت - ولم تجدد وحدك ذكر هذه المدائح النبيلة^(٢٣) ؟

- ٣٧ ولن يكون كلامك دون جزاء^(٢٤)، إذا عدتُ لكي أكمل الرحلة القصيرة من هذه الحياة التي تمضي كالطير إلى ختامها^(٢٥)»
- ٤٠ فقال لي « سأخبرك - لالعون أتوقع أن أناله هناك^(٢٦) - بل لأن نعمة عظيمة تشع فيك أنوارها من قبل أن تدركك المنون^(٢٧)
- ٤٣ لقد كنتُ أصلاً للنبت الحبيث^(٢٨) الذي يُشيع الظلمة في أرجاء العالم المسيحي ، حتى ندر أن تُجى منه ثمرة طيبة^(٢٩)
- ٤٦ ولكن إذا قوى شأن دوديه وجاند وبروجس^(٣٠)، فسيم الانتقام لذلك سريعاً ؛ وإني لأسأل هذا من قاضي الوجود^(٣١)
- ٤٩ وفي ذلك الجانب كنتُ أدعى هيج كاپيه^(٣٢) : ومن صُلبي وُلد كلُّ مَنْ حملوا اسم فيليب ولويس ، والذين يحكمون الآن فرنسا^(٣٣)
- ٥٢ وكنتُ ابناً لقصابٍ من باريس^(٣٤) : وحينما انقرض كلُّ الملوك القدامى^(٣٥) سوى راهبٍ يتسربل برمادي الثياب^(٣٦) ،
- ٥٥ وجدتُ نفسي قابضاً على زمام الحكم في أنحاء المملكة ، وأصبحتُ بممتلكاتي الجديدة ذا صولة وصرتُ بالأصدقاء معززاً ،
- ٥٨ حتى سما رأسُ ابي إلى التاج المترمل^(٣٧) ، الذي نبئتُ منه لأولئك الملوك أعظم مدشّنات^(٣٨)
- ٦١ وطلما لم ينزع الصداق البروقنسي الكبير شعورَ الحجل من سلاتي^(٣٩) ، لم يكونوا ذوى شأنٍ كبير ، ولكنهم على الأقل لم يكونوا قد ارتكبوا الشرور^(٤٠).
- ٦٤ وعندئذ^(٤١) بدأوا أعمال النهب بارتكاب العنف والكذب^(٤٢) ؛ وللتعويض عن ذلك^(٤٣) استولوا على پونتيو ونورمانديا وجاسقونيا^(٤٤)
- ٦٧ وإلى إيطاليا قدّم شارل^(٤٥) ، وبدوره جعل من كونرادينو فريسة له^(٤٦) ؛ ثم لكي يعوّض عن ذلك^(٤٧) بعث إلى السماء بالقديس توماس^(٤٨)
- ٧٠ وإني لأرى يوماً - وما هو عنّا ببعيد - يخرج فيه من فرنسا سمي لهذا الأمير شارل^(٤٩) ، لكي يزيد من تعريف العالم بنفسه وأتباعه
- ٧٣ ومها يخرج دون سلاح^(٥٠) ، سوى الرمح الذي تبارز به يهوذا^(٥١) ، وسيسدّده بحذقٍ حتى يبقر به بطن فيورنتزا^(٥٢)

- ٧٦ ولن يكسب بذلك أرضاً ، بل معصيةً وخزياً يزيد ثقلهما عليه ، بقدر ما يحسب مثل هاتيك الشرور قليلة الشأن (٥٣)
- ٧٩ والآخر الذي غادر ذات يوم سفينته أسيراً (٥٤) ، أراه يبيع ابنته ويساوم عليها (٥٥) ، كما يفعل القراصنة بسائر الإماء (٥٦)
- ٨٢ أيها البخل - ماذا يمكنك أن تفعل بنا مزيداً ، ما دمت قد أغريت ذريتي حتى لم تتعدّ تحفل بفلذة أكبادها (٥٧) ؟
- ٨٥ ولكي تبدو المفاصد المقبلة (٥٨) والسالفة أقلّ خطراً - أرى زهرة الزنبق (٥٩) تدخل كنيسة ألانيا ، والمسيح يصير سجيناً في شخص نائبه (٦٠)
- ٨٨ وأنظره وقد سُخر به مرةً أخرى (٦١) ؛ وأرى أن قد تجددت تجربة الحلّ والعفص (٦٢) ، وقتل هو بين لصين كانا على قيد الحياة (٦٣)
- ٩١ وأشهد بيلاطس الحديد (٦٤) شديد القسوة حتى لا يرضى بهذا كله ، ولكنه يحمل إلى الهيكل - بلا شرعة - أشرعته الجشعة (٦٥)
- ٩٤ متى أسعد يا إلهي برؤية نقيمتك - المتوارية في سر مشيئك (٦٦) - تلتطف من حدة غضبك (٦٧) ؟
- ٩٧ إن ما كنت أقوله عن تلك العروس الوحيدة للروح القدس (٦٨) ، والذي جعلك تتجه نحوي لكي تمدّني ببعض إيضاح -
- ١٠٠ يتجاوب مع كل صلواتنا طالما يدوم النهار (٦٩) ولكن حينما يُقبل الليل علينا سردّ بدلا منه نغماً مغايراً (٧٠)
- ١٠٣ وعندئذ نعود إلى ذكر بيجماليون ، الذي أصبح بشديد همه إلى الذهب خائناً سارقاً قاتلاً لأقاربه (٧١) ؛
- ١٠٦ ونذكر ما أصاب ميداس البخيل من البؤس ثمرة رغبته الجشعة ، التي ينبغي أن نضحك منها أبدأً (٧٢)
- ١٠٩ ثم يذكر كل منا عخان المجنون وكيف سرق الغنائم ، حتى ليبدو أن غضب يشوع لا يزال يهشه ها هنا (٧٣)
- ١١٢ وبعدئذ نوجه الاتهام إلى سفيرة وبعليها (٧٤) ؛ ونثنى على الرّكّلات التي سُددت إلى هليودوروس (٧٥) ؛ وفي كل أرجاء الجبل يدور اسم پوليمنستور

- ١١٥ بالعار مُلَطَّحًا لقتله پوليدوروس^(٧٦) وفي النهاية نصيح: "ألا فلنتخبرنا يا كراسوس ما طعم الذهب - إذ أنك به خبير؟" ^(٧٧)
- ١١٨ وأحياناً يرفع أحدنا عقيرته في الكلام بينما يتكلم آخر خافت الصوت ، حسباً تهمزنا مشاعرنا للكلام بوجهٍ وري الصوت تارةً وطوراً بخفيضه ^(٧٨)
- ١٢١ وبهذا لم أكن وحدي منذ هنية في ذكر الخير الذي نُشيد به هنا إبان النهار^(٧٩) ، ولكن لم يعلُ بصوته أحدٌ سواي بالقرب من هذا الموضع ^(٨٠) .
- ١٢٤ وكنتا قد ابتعدنا عنه وبدلنا جهدنا لكي نقطع من طريق صعودنا شوطاً ، بقدر ما أتاحت لنا قوانا ^(٨١) ،
- ١٢٧ حينما أحسستُ ارتجاف الجبل كأنه شيءٌ "أخذ" في السقوط ^(٨٢) ؛ فتولتني عندئذ قشعريرةٌ كالتى تُصيب منٌ يسير إلى حتفه ^(٨٣) .
- ١٣٠ ولا شك أن ديلوس لم تهتز بهذا العنف قبل أن تشيّد لاتونا بها عشاً ^(٨٤) ، لكي تُنجب فيه عيى السماء ^(٨٥)
- ١٣٣ ثم بدأ ترتيلٌ عال في كل جانب ، حتى اتجه إلى أستاذي قائلاً « لا تأخذنك مخافةٌ بينا أقوم بإرشادك ^(٨٦) »
- ١٣٦ وقالوا جميعهم "المجد لله في الأعلى" ^(٨٧) ، حسبما أدركت ممن كانوا يقربى ، والذين ^(٨٨) أمكننى أن أتبيّن مضمون ترتيلهم ^(٨٩)
- ١٣٩ وكالرعاة الذين كانوا أول من سمعوا تلك الأنشودة ^(٩٠) ، وقفنا بلا حراكٍ مترددين ^(٩١) ، حتى توقف الزلزال وانتهى الترتيل ^(٩٢)
- ١٤٢ ثم تابعنا المسير في طريقنا المقدس ، ناظرين إلى الأشباح التى اطرحت أرضاً ، مستأنفةً بكاءها المألوف ^(٩٣)
- ١٤٥ وما من جهلٍ جعلنى في المعرفة راغباً بهذه الالهفة الشديدة أبداً - إذا لم تخننى ذاكرتى - في هذا الشأن -
- ١٤٨ كما بدا لى عندئذ أنى حائزه بينما كنت ماضياً في التأمل ^(٩٤) ؛ وبإسراعنا لم أكن على السؤال مجترئاً ^(٩٥) ، وبنفسى لم أستطع أن أتبين هناك شيئاً
- ١٥١ وهكذا أخذتُ أسير وأنا متفكّرٌ وجلٌ ^(٩٦)

حواشي الأنشودة العشرين

- (١) هذه هي الأنشودة الثانية الخاصة بالبخلاء والمسرفين وتسمى أنشودة هيج كاپيه
- (٢) يعنى أن إرادة أدريانو الخامس ورغبته أن يذهب دانتي حتى يتفرغ للتطهر كانت أقوى من رغبة دانتي في الوقوف للمزيد من الكلام .
- (٣) أثر دانتي رغبة أدريانو ومسرتة على رغبته ومسرتة هو .
- (٤) أى انسحب دانتي ولم يكن قد أشبع رغبته في المعرفة بعد ، والاستعارة مأخوذة من الإسفنج الذى لم يمتلئ بالماء .
- (٥) كانت الأماكن الحالية من المتطهرين المطرحين أرضاً ضيقة وملاصقة لصخر الجبل ولم يكن هناك مكان آخر يمكن السير فيه
- (٦) يعنى أنهما سارا في تودة وحذر كن يسير على أسوار قلعة في العصور الوسطى وهو ملتصق بشرفاتها حتى لا يسقط .
- (٧) الشر هنا هو البخل والمقصود أنهم ليكون لكي يتطهروا
- (٨) أى أن المتطهرين قرييون من حافة الإفريز بحيث يصعب على الشاعرين السير هناك .
- (٩) أعاد منظر المتطهرين هنا ذكرى الذئبة التى ظهرت في أول الجحيم وهى رمز للجشع (Inf. I. 49-50.) وتسمى القديمة لأنها ظهرت بظهور الإنسان ودفعها لوتشيفيرو بحسده إلى ارتكاب الشر
- (١٠) يعنى أن البخل والجشع يسيطران على الآثمين أكثر من سائر الخطايا
- (١١) يتصور دانتي البخل والجشع كهوة عميقة لا قرار لها ولا تمتلئ أبداً
- (١٢) هذا هو الاعتقاد العام ، وسبق التعبير عن ذلك وكما ورد في « الوليمة »

Purg. XVI. 67

Conv. II. XIII. XIV.

- (١٣) استخدم دانتي لفظ (discede) من اللاتينية بمعنى الرحيل أو النزوح ، ويقصد السلوقى الذى سيخلص إيطاليا من ويلاتها ، وسبق ذكره في الجحيم
- (١٤) هذا بسبب ضيق المكان .
- (١٥) المقصود أن الأشباح تبكى وتئن بما يثير الإشفاق والأسى ، وليس في المطهر منطقة أخرى يبكى فيها المتطهرون بمثل هذه الشدة
- (١٦) سمع دانتي المتطهرين يذكرون أمثلة على الفقر والأريحية
- (١٧) هذه صورة مأخوذة من الحياة الواقعة ، وتتألم المرأة عندما تلد ولكنها تسعد بمولودها ، وتستعين بنداء العذراء ماريا للتغلب على آلامها ، وهذا المعنى مقتبس من « الكتاب المقدس »
- Isaia, XXVI. 17.
- (١٨) ولدت ماريا السيد المسيح في المذود في بيت لحم ، كما ورد في « الكتاب المقدس »
- Luca, II. 7.
- (١٩) هو كايس فابريسيوس (Caius Fabricius) القنصل الروماني في ٢٨٢ ق. م. الذى رفض

الرشوة حينما كان يفاوض بيروس ملك أيروس وقت إغارته على إيطاليا وذكره دانتي في « الملكية » و « الوليمة » وذكره فرجيليو ولوكانوس

Mon. II. V. 90. Conv. IV. V. 13.

Virg. Æn. VI. 844.

Luc. Phars. X. 151.

- (٢٠) اشتهر فابريسيوس برفض كل الهدايا والأموال
- (٢١) دانتي الذي جاء من الدنيا المليئة بالخشع والحرص على الثروة أعجبه هذا الكلام وحاول أن يعرف من الذي قاله
- (٢٢) سان نيقولا (St. Niccolo) أسقف ميرو في لوسيا عاش في القرن ٤ ، في عهد قسطنطين ، وتقدهم الكنيسة الرومانية واليونانية ويعد حامى العذارى والبحارة والرحالة والتجار ، وهو سان كلوزو عند الأطفال ، ونقلت بقاياها إلى باري في إيطاليا ويروى أن أحد معارفه وقع في ضائقة مالية فأراد أن يحمل بناته الثلاث على البغاء حتى لا يمتن جوعا ، ولكن سان نيقولا قدم لأبيهن المال سراً حتى يتزوجن
- ويوجد رسم للقديس نيقولا وهو يلتقي بالذهب إلى العذارى وهي من عمل أمبرودجو لورنتزيني الذي عاش في القرنين ١٣ و ١٤ والرسم في متحف الأوفيتزى في فلورنسا
- (٢٣) أصبح دانتي شديد الرغبة في معرفة من تكلم عن هذه الأمثلة الطيبة
- (٢٤) هكذا يحاول دانتي أن يحمل هذا الروح على الكلام .
- (٢٥) أى أن الحياة سريعة الزوال وسيرد بعد تعبير مقارب
- (٢٦) ربما كان المقصود أن كل أفراد أسرته كانوا أشراراً بحيث لا يأمل أن يصل أحدهم من أجله ، وربما كان المقصود أنه أوشك على مهاية التطهر فلم تعد هناك حاجة إلى الصلاة من أجله
- (٢٧) يتكلم هذا الروح - هيج كاپيه - لأن دانتي يتمتع بنعمة إلهية إذ يزور عالم الموتى وهو على قيد الحياة ، وسبق مثل هذا المعنى
- (٢٨) يعنى أنه مؤسس أسرة كاپيه التي حكمت فرنسا عدة قرون (٩٨٧-١٣٢٨) ، وبالتحالف والزواج والميراث والغزو استطاع ملوكها السيطرة على مصائر أوروبا ، وكره دانتي هذه الأسرة لما ناله على يديها
- (٢٩) هذه كناية عن شرورهم
- (٣٠) مدن دوويه (Douai) و ليل (Lille) وجاند (Gand) وبروجس (Bruges) في بلاد الفلاندر التي حاربها فيليب الجميل وشارل دى قالوا الذي حمل جاند على التسليم في ١٢٩٩ ولكنه غدر بأهلها . وحدث الانتقام لذلك الطغيان الفرنسى حينما انتصر الفلمنكيون على الفرنسيين في معركة كورتارى في ١٣٠٢
- (٣١) أى يسأل الله الانتقام لذلك الطغيان
- (٣٢) هذا هو هيج كاپيه (Hugues Capet) الكبير دوق فرنسا وبرجنديا وأكوييتانيا وكونت باريس وأورليان ومات في ٩٥٦ ، وهو والد هيج كاپيه ملك فرنسا ويظهر أن دانتي اتخذ من الدوق الأب رمزاً للملك الابن ، وربما خلط بين الابن وأبيه
- (٣٣) كان أغلب ملوك فرنسا من أسرة كاپيه يسمون فيليب أو لويس - وهاك قائمة بأسماء ملوك هذه الأسرة منذ نشأتها في القرن العاشر حتى مهايها في القرن الرابع عشر بعد وفاة دانتي بقليل

- (١) هيج كاپيه (٩٨٧ - ٩٩٦)
- (٢) روبير الثاني - الحكيم (٩٩٦ - ١٠٣١) .
- (٣) هنرى الأول (١٠٣١ - ١٠٦٠)
- (٤) فيليب الأول (١٠٦٠ - ١١٠٨)
- (٥) لويس السادس (١١٠٨ - ١١٣٧)
- (٦) لويس السابع (١١٣٧ - ١١٨٠)
- (٧) فيليب الثاني (١١٨٠ - ١٢٢٣)
- (٨) لويس الثامن (١٢٢٣ - ١٢٢٦)
- (٩) لويس التاسع - القديس (١٢٢٦ - ١٢٧٠)
- (١٠) فيليب الثالث - الجسور (١٢٧٠ - ١٢٨٥)
- (١١) فيليب الرابع - الجميل (١٢٨٥ - ١٣١٤)
- (١٢) لويس العاشر (١٣١٤ - ١٣١٦)
- (١٣) حنا الأول (١٣١٦)
- (١٤) فيليب الخامس (١٣١٦ - ١٣٢٢)
- (١٥) شارل الرابع (١٣٢٢ - ١٣٢٨)
- (٣٤) كان هيج كاپيه الأب من أسرة كونتات باريس ، ولكن شاعت عنه قصة في عصر دانتي - ولم يكن هو واضعها - بأنه كان ابن تاجر ثيران (وليس ابن قصاب) ، وتزوج ابنة لويس الخامس آخر ملوك الكارولنجيين وبذلك أصبح ملكاً على فرنسا ووردت بعض أخباره في الشعر الفرنسى المعاصر وعلى الأخص شعر فيون (Villon)
- (٣٥) يعنى ملوك الكارولنجيين (٧٥١ - ٩٨٦)
- (٣٦) لم يترهب آخر ملوك الكارولنجيين ، وربما خلط دانتي بينه وبين كلدريك الثالث آخر ملوك الميروفنجيين الذى ترهب فى ٧٥٢ ، وربما أخذ دانتي بالأسطورة التى شاعت فى أواخر القرن ١٢ والتي تقول بأن هيج كاپيه ألبس آخر ملوك الكارولنجيين رداء الرهبان وحبسه فى دير
- (٣٧) فى الواقع صار هيج كاپيه ملكاً فى ٩٨٧ وتوج روبير فى السنة التالية لكى يضمن خلافته على العرش .
- (٣٨) يعنى سلالة الملوك من أسرة كاپيه الذين كانوا يتوجون فى كاتدرائية ريمس وأضفت كلمة (الملوك) لإيضاح المعنى .
- (٣٩) الصداق البروفنسى هو مقاطعة البروفنس التى ضمت إلى أملاك آل كاپيه ، بواسطة زواج لويس التاسع وشارل دانجو بمرجريت وبياتريتش ابنتى راييموند بيرنجير كونت البروفنس فى ١٢٤٦ وتوجد صورة للويس التاسع من عمل جوتو من القرن ١٤ وهى فى كنيسة سانتا كروتشى فى فلورنسا
- (٤٠) المقصود أنه قبل أن ينال آل كاپيه إقليم البروفنس لم يكن قد زال عنهم الشعور بالهجل ، يعنى أنهم لم يرتكبوا شراً يخجلون منه
- (٤١) أى عند ما حصل آل كاپيه على البروفنس بدأت أطماعهم تنمو وتتزايد
- (٤٢) عندئذ بدأوا النهب بالخداع والقوة ، وربما كان فى هذا إشارة إلى زواج شارل دانجو من مرجريت التى كانت ستتزوج راييموند دى تولوز ، وحدث هذا التحول بالعنف والخداع

(٤٣) التعويض أو التكفير هنا سخرية من دانتى ، والمقصود أن آل كاپيه عوضوا عن النهب بالنهب !

(٤٤) أخذ فيليب الجميل پونتيو (Ponthieu) وجاسقونيا (Gascogne) من إدوارد الأول الإنجليزي في ١٢٩٥ ، وأخذ لويس السابع نورمانديا (Normandie) من جون الإنجليزي في ١٢٠٢ . يعنى قبل ضم البروفنس إلى أملاك آل كاپيه ، ولكن ادعاءات الإنجليزي فيها لم تنته إلا في عهد فيليب الجميل . وتعرضت معلومات دانتى هنا لبعض الاضطراب

(٤٥) هذا هو شارل دانجو الذى حارب مانفريد وهزمه في بنيشتو في ١٢٦٦

Purg. III. 128.

وهناك تمثال لشارل دانجو من القرن ١٤ وهر في كنيسة سان دنيس في فرنسا

(٤٦) وهزم شارل دانجو كونرادينو آخر أسرة هوهنشتاوفن في تالياكوتزو في ١٢٦٨

Inf. XXVIII. 17

وتوجد صورة صغيرة من القرن ١٤ تمثل مقتل كونرادينو وهي في مكتبة كيجي في روما

(٤٧) يكرر دانتى لفظ التعويض أو التكفير ، والمقصود تعويض الشر بالشر وهذه سخرية لاذعة من جانب دانتى

(٤٨) كان الاعتقاد سائداً في عهد دانتى بأن شارل دانجو أمر بدس السم لتوماس الأكويني وهو في طريقه إلى مجمع ليون في ١٢٧٤ ، وإن كان هذا غير صحيح

(٤٩) يقصد شارل دى قالوا الذى جاء إلى إيطاليا بدعوة من البابا بونيفاتشو الثامن ، وهزم الجلف البيض في فلورنسا ووضع السود مكانهم في ١٣٠١ ، ونفى دانتى وقتئذ

وتوجد صورة صغيرة ترجع إلى القرن ١٤ تمثل دخول شارل دى قالوا إلى فلورنسا ، وهي في مكتبة كيجي في روما وربما يكون جوتو أو تلاميذه قد رسموا هذا الأمير إلى جانب كورسو دوناتي وبرونتولاتيني ودانتى في متحف البرجلو في فلورنسا

(٥٠) خرج شارل دى قالوا يصحبه عدد من النبلاء وحوالى ٥٠٠ فارس ولم يكن ذلك جيشاً

(٥١) يعنى حمل معه سلاح الخيانة الذى استخدمه يهوذا ضد المسيح

(٥٢) أى أنه سيطعن فلورنسا طعنة نجلاء ويشيع فيها القتل والنق وصادرة الأموال .

(٥٣) يعنى أنه سيكسب بذلك عاراً يزيد كثيراً عما يقدره هو

(٥٤) هو شارل الثانى دانجو بن شارل الأول الذى أسره الأميرال رودجيرى دى لاوريا ، الذى كان

يحارب باسم ملك أرجونة في معركة ناپلى في ١٢٨٤

(٥٥) أى أنه دفع ابنته الصغيرة بياتريشى لتتزوج أتزو الثامن (Purg. V. 77) مركز إست من أجل المال

(٥٦) يعنى باع ابنته كما يبيع القراصنة الجوارى

(٥٧) هكذا يعبر هيج كاپيه عن أساء وألمه لما آلت إليه أحوال سلالته .

(٥٨) يشير بهذا إلى شر خطير سوف يقع

(٥٩) زهرة الزنبق رمز للأسرة الملكية في فرنسا

(٦٠) استخدم دانتى لفظ (catto) من اللاتينية بمعنى السجين ، ولقد تعارضت المصالح بين فيليب

الجميل ملك فرنسا والبابا بونيفاتشو الثامن ، فطلب فيليب عقد مجمع ديبى عام للنظر في اتهام

البابا بالهرطقة وحياة الإباحة ، فأصدر البابا قرار الحرمان ضد فيليب ومع أنه قد أوقف العمل بهذا القرار في ٨ سبتمبر ١٣٠٣ إلا أن فيليب الجميل حرص شارا دي كولونا ومدوبه جيوم دي نوجاربه على قتل بونيفاتشو ، في مساء اليوم نفسه ، في كنيسة ألانيا (Alagna) وتعرف بأنابني (Anagni) الواقعة جنوبي شرق روما وهوجم البابا واعتدى عليه وهب قصره وحبس ثلاثة أيام ، ولكن أهل أنابني هضوا لتخليص البابا من أيدي أعدائه واضطروهم إلى الفرار ، وذهب بونيفاتشو الثامن إلى روما حيث أخذ يعد وسائل الانتقام ، ولكنه مات في روما في ١١ أكتوبر ١٣٠٣ متأثراً بالصدمة التي أصابته والمقصود بتعبير دانتي أن بونيفاتشو هو نائب المسيح ، ومحاولة اغتيال بونيفاتشو أسوأ - عند دانتي - من سائر شرور آل كاپيه . وقد عامل دانتي بونيفاتشو في هذا الموقف معاملة نبيلة وصحيح أن دانتي كره بونيفاتشو كعدوه الشخصي والسياسي ، وهو عنده البابا الآثم المرتشى الخائن القاتل ، وهو ناهب الكنيسة وهادم الأمبراطورية ، وهو عنده وصمة في جبين البشرية ، ومع ذلك فالبابا هو البابا ونائب المسيح هو نائبه ، ومحاولة الاعتداء على نائب المسيح هي محاولة جديدة لصلب المسيح - عند المسيحيين . وهذا من جانب دانتي نصر عظيم على كل العوامل الشخصية وعلى البابا ، وهذا احترام وإجلال للكرسي البابوي مهما كانت عيوب البابا وقل أن يوجد نظير في الأدب الإنساني لهذا المعنى العظيم ولا ريب فنحن أمام دانتي العملاق ، الذي يفرق بين أخطاء الرجل ومقامه وكم يحتاج الناس في أحكامهم وسلوكهم إلى التفرقة بين أخطاء الإنسان ومقامه في البيئة التي يعيش فيها ! وتوجد صورة صغيرة تمثل بونيفاتشو الثامن أسيراً في أنابني وهي من القرن ١٤ وموجودة في مكتبة كيجي في روما

(٦١) أى ما تعرض له المسيح من السخرية والعذاب - عند المسيحيين - وكما ورد في « الكتاب المقدس »
Matt. XXVII. 39-44; Giov. XIX.

(٦٢) شرب المسيح الخل والعفص - المر - وهو على الصليب - عند المسيحيين - وكما ورد في « الكتاب المقدس »
Matt. XXVII. 48; Giov. XIX. 29.

(٦٣) صلب المسيح - عند المسيحيين - وصلب معه اثنان من اللصوص كما ورد في « الكتاب المقدس »
Matt. XXVI. 38; Marco, XV. 27.

(٦٤) يعنى فيليب الجميل الذي ترك بونيفاتشو الثامن في رعاية آل كولونا أعدائه الألداء كما ترك بيلاطس - الحاكم الروماني للأرض المقدسة - المسيح في رعاية أعدائه من اليهود ، وهو الذي حاكمه وحكم عليه بالصلب ! ووردت أخبار ذلك في « الكتاب المقدس »
Luca, XXIII.

(٦٥) يتنبأ هيج كاپيه بما سيطلبه فيليب من البابا اكلمنتو الخامس من حيث إلغاء فرمان الهيكل (I Templari) في ١٣١٢ بدعوى الهرطقة ، على غير أساس

(٦٦) ينوه دانتي بالانتقام الإلهي ، الذي سيدخل عليه البهجة والمسرة ، وأورد توماس الأكويني هذا المعنى
d'Aq. Sum. Theol. III. Supp. XCIV. 3.

(٦٧) أى أن غضب الله الوثيد الخفي الخالي من المرارة ستنقص حدته بمعقاب الآثمين

(٦٨) يعنى عن العذراء ماريا وورد هذا المعنى في « الكتاب المقدس »
Luca, I. 35.

(٦٩) أى يذكر في النهار أمثلة عن الكرم والفضيلة .

- (٧٠) يعنى يذكرون في الليل أمثلة عن البخل والشر
- (٧١) پيجماليون (Pygmalion) ملك صور وأخو ديدو قتل پيجماليون سيكيو زوج ديدو للحصول على كثره ، وحينما عرفت ديدو حقيقة الأمر بظهور سيكيو لها في الحلم ، أقلمت سراً ومعها الكثر ، واتجهت إلى أفريقية حيث أسست قرطاجنة . وأورد فرجيليو هذه الأسطورة
Virg. Æn. I. 340
- (٧٢) ميداس (Midas) ملك فريجيا في آسيا الصغرى الذي حقق له باخوس رغبته الجشعة في تحويل كل ما يلمسه إلى ذهب فتعذر عليه تناول الطعام ، ويتهكم عليه دانتي على لسان هيچ كاپيه ، وأورد أوفيديو أسطوره
Ov. Met. XI. 100...
- (٧٣) عند الاستيلاء على أريحا أمر يشوع (Joshua) - خليفة موسى وفاتح أرض كنعان - بمصادرة أموال المدينة باسم الرب ، ولكن عخان (Acan) احتجز لنفسه بعض الغنائم طمعاً وجشعاً ، فأمر يشوع بجرمه هو وأفراده أسرته وأحرقت جثتهم . وورد ذلك في « الكتاب المقدس »
Gios. VII. 1-26.
- (٧٤) سفيرة (Sapphira) وزوجها حنانيا (Ananias) باعا بعض ممتلكاتهما لمصلحة الجماعة المسيحية في أورشليم ، ولكنهما لم يسلما كل الثمن إلى الحواريين ، فوبخهما القديس بطرس كلا بدوره ، فوفا ميتين عند قدميه الواحدة بعد الآخر ، كما ورد في « الكتاب المقدس »
Atti, V. 1-11.
- (٧٥) هليودوروس (Heliodorus) هو أبوكريفا (Apocrypha) وزير سلوقس الرابع ملك سوريا (١٨٧ - ١٧٥ ق. م.) ، الذي أراد أن يسرق كنوز هيكل أورشليم ، ولكن ظهر له ملك الأرواح على صهوة جواده وقتله ، كما ورد في « الكتاب المقدس »
II. Macc. III. 1-40.
- (٧٦) پوليمنستور (Polymnestor) ملك تراقيا أرسل إليه پريام ملك طروادة كية كبيرة من الذهب بواسطة ابنه پوليدوروس (Polydorus) وعندما سقطت طروادة قتل پوليمنستور پوليدوروس واستولى على الذهب وأورد فرجيليو وأوفيديو هذه الأسطورة
Virg. Æn. III. 49-57.
Ov. Met. XIII. 429-438.
- (٧٧) ماركوس ليكينيوس كراسوس (Marcus Licinius Crassus) المسمى بالثرى أحد أعضاء الحكومة الثلاثية مع قيصر وبومبي في ٦٠ ق. م. واشتهر بالجشع وحب المال وقتل في معركة ضد البارثيين ، وصهر ملكهم هيروديس الذهب وصبه في فمه ورأسه مقطوع وهذه سخريه لاذعة من جانب دانتي - على لسان هيچ كاپيه - وقد كان دانتي لا يحرص على جمع المال واكتنازه
- (٧٨) أى يقول بعض المتطهرين أمثلة بصوت مرتفع ويذكر آخرون أمثلة أخرى بصوت خافت تبعاً لإحساس كل مهم وتأثره بما يقوله .
- (٧٩) يعنى لم يذكر هيچ كاپيه وحده هذه الأمثلة هاراً
- (٨٠) ولكن لم يرفع سواه صوته ليلا
- (٨١) هذا بسبب ضيق الطريق .
- (٨٢) بدا الجبل أنه سيسقط بشدة الزلزلة ، والمقصود أن الجبل بارتجاجه أو زلزلته يعبر عن ابتهاجه حينما يكتمل تطهر إحدى النفوس من خطيئتها وتتأهب للصعود إلى الفردوس .

- (٨٣) أخذت دانتي قشعريرة الخوف والفرع التي كانت أشبه بقشعريرة الموت .
- (٨٤) أي لم تهتز ديلوس (Delos) الجزيرة الأسطورية المتحركة في بحر الأرخييل كما اهتز جبل المطهر ، وقد جعلها جوبيتر ثابتة بعد أن بلّأت إليها لاتونا (Latona) التي هربت من غضب يونون (... Inf. XXX.) وأورد فرجيليو وأوفيدوس أسطورتها
- Virg. Æn. III. 69...
- Ov. Met. VI. 189...
- (٨٥) ولدت لاتونا أبولو (رمز الشمس) وديانا (رمز القمر) وسماها أوفيدوس بعين السماء وذكرهما فرجيليو
- Ov. Met. IV. 228; VI. 189...
- Virg. Æn. III. 69...
- Inf. IV. 18.
- (٨٦) لفظ يشك (dubbiare) يعنى هنا الخوف ، كما سبق
- (٨٧) هذا هو النشيد الذي أنشده الملائكة عند ميلاد المسيح كما ورد في « الكتاب المقدس »
- Luca, II. 14.
- ونلاحظ أن تذوق الألحان الدينية التي وضعها كثير من الموسيقيين للتعبير عما ورد في الكتاب المقدس بأن « المجد لله في الأعلى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة » ، يساعدنا على فهم شيء من روح الكوميديا ، مثل بعض ألحان جوسكان دي برييه وجوفاني بييرلويديجي دا پالسرپنا وأنتونيو فيفالدو وجورج فردريك هيندل ، التي سبق ذكرها في الأنشودة ١٦ في حاشية ١٤
- (٨٨) لفظ (onde) يعنى هنا (الذي منه) ويستخدمه دانتي للجميع كذلك ، ويعود على الأرواح
- Inf. IX. 42; XXXI. 132, ecc.
- (٨٩) يعنى من النفوس القريبة إلى دانتي في الإفريز الخامس
- (٩٠) يعنى وقف دانتي وفرجيليو كالرعاة الذين سمعوا بشرى ميلاد المسيح لأول مرة ، كما جاء في « الكتاب المقدس »
- Luca, II. 8-14.
- وتوجد صورة من عمل تاديو جادى من القرنين ١٤ و ١٥ تمثل الرعاة وهم يسمعون هذه البشرى وهي بكنيسة سانتا كروتشى في فلورنسا
- (٩١) أي سيطر الخوف على نفسيهما ووقف جسدهما عن الحركة
- (٩٢) أي توقفت الزلزلة وتوقف الترتيل في وقت واحد
- (٩٣) استأنفت الأشباح بكاءها بعد انتهاء الأنشودة
- (٩٤) يعنى أنه ليس هناك من جهل - بسبب ما أحسه دانتي وما سمعه - جعله متشوقاً إلى المعرفة كما أصبح عندما شعر بالزلزال العنيف وسمع الترتيل العلوى
- (٩٥) كان فرجيليو يسير مسرعاً ، ولذلك لم يتسع الوقت لدانتي لمحاولة الاستفسار عن ذلك
- (٩٦) أي سار دانتي وهو متفكر خائف أن يسأل عما لم يفهمه من سبب الزلزلة ومعنى الترتيل

الأنشودة الحادية والعشرون^(١)

سارع الشاعران خطوهما حينما بدا لهما شبح جاء من خلفهما وتمنى لهما السلام فبادله فرجيليو أمنيته واستفسر الشبح عن طريقة مجيئهما إلى هذا الموضع ، فقال فرجيليو إن دانتى إنسان حى ، وقد جاء هو معه لكى يقوده بقدر ما يستطيع . وسأل فرجيليو عن السبب فى رجفة الجبل وصياح المتطهرين ، فقال الشبح إن الجبل المقدس يتبع نظاماً دقيقاً ، وإنه يتأثر بالسما وحدها فى جزئه الأعلى ، حيث لا يسقط به مطر ولا بَرَد ولا صقيع ، ولا يتأثر أبداً بعوامل الطبيعة ، ولكنه يتزلزل حينما تتطهر إحدى النفوس فتصعد إلى أعلى يصاحبها ذلك التهليل وقال الشبح إن إرادة الإنسان تتجه إلى الخير ، ولكن تعوقها الشهوات فترتكب الخطيئة وتنال العذاب ، وذكر أنه استلقى فى هذا العذاب أكثر من خمسة قرون ، وحينما تطهرت نفسه ارتجف الجبل وُسمع ذلك الترتيل وسأله فرجيليو أن يفصح عن شخصه ، فقال إنه تمتع بشهرة كبيرة فى عصر تيتوس ، وعاش فى روما وتَوَجَّج بينه بالريحان ، وقال إن اسمه استاتايوس ، وإنه قد تغنى بطيبة وأخيل ، واستمد وحيه الشعرى من إنيادة فرجيليو ، وتمنى لو أنه عاش فى عصره ولو أدى ذلك إلى بقائه فى المطهر سنة أخرى وأشار فرجيليو إلى دانتى أن يلزم الصمت ، ولكنه لم يستطع أن يُخفى ابتسامته فتساءل استاتايوس عن سبب الابتسام ، فأباح فرجيليو لدانتى الكلام قال دانتى إن فرجيليو مائل أمامه الآن ، فانحنى استاتايوس لكى يقبل قدمى فرجيليو ، ولكن تعذر عليه ذلك لأنهما كانا مجرد شبحين ، ومهض استاتايوس وهو يعبر عن إعزازه وتقديره لفرجيليو

- ١ لقد أضناني الظماً الطبيعي الذي لا يرتوي أبداً^(٢) سوى بالماء الذي سألتِ
السامريّة المسكينة أن تنال به النعمة^(٣) ،
- ٤ وحفّزتني العجالة إلى اقتفاء أثر دليلي^(٤) في الطريق المتعثر^(٥) ، وأحسستُ
الأسى لما نالته الأرواح من العذاب العادل^(٦)
- ٧ وكما يكتب لنا لوقا أن المسيح قد هملَّ على الاثنين اللذين كانا سائرين في
الطريق ، حينما خرج من فتحة قبره^(٧) ،
- ١٠ فها قد تبدّى لنا شبح^(٨) ، وأخذ يسير من ورائنا بينما كنا نحذر ألا نمس
بأقدامنا الجمع المستلق على الأرض^(٩) - ولم نتبينه إلا بعد أن تحدث
هو إلينا^(١٠) -
- ١٣ وشرع يقول : « فلستمنحكما الله السلام يا أخويَّ^(١١) » فاستدرنا تواءً ،
وأجابه فرجيليو بالإيماءة التي تناسب ذلك^(١٢)
- ١٦ ثم بدأ^(١٣) « فلستمنحك السلام - في مجمع الطوباويين - دار القضاء
الحقّة^(١٤) ، التي تقيدن في هذا المنفى الأبدى^(١٥) »
- ١٩ وبينما كنا نغذّ السير قال لنا « يا لدمعجب ! إذا كنّا عند الله شبحين
غير جديرين بالذهاب صُعُداً ، فمن ذا الذي جاء بكما حتى هذا الموضع
من سلّمه^(١٦) ؟ »
- ٢٢ فقال معلّمى « إذا نظرتَ إلى العلامات التي يحملها هذا الرجل^(١٧) ،
والتي رسمها الملاك عليه^(١٨) ، فستبين أن مقرّه ينبغي أن يكون في زمرة
الأبرار^(١٩) »
- ٢٥ ولكن بما أن مَنْ تغزل مهاراً وليلاً ، لم تنته بعدُ من الخيط الذي يخصّه ،
والذي تحمل كلوتو لكل فردٍ مثيله وتلفّه على المِغزل^(٢٠) -
- ٢٨ فإن نفسه التي هي لك ولي شقيقة^(٢١) ، لم تستطع أن تأتي في ضعوها
وحيدة^(٢٢) ، إذ أنها بطريقتنا لا تبصر^(٢٣)
- ٣١ ولذا فقد أُخرجتُ من فوهة الجحيم الواسعة^(٢٤) ، لكي أطلعه على الطريق ،
وسأريه منه مزيداً ، بقدر ما تستطيع تعاليمى أن تقوده^(٢٥)

- ٣٤ ولكن فَلتُخبرني إذا كنت تعرف - لِمِ اهتزَّ الجبل هكذا منذ هنيهة، ولمَ بدتِ الأرواح تصيح جميعها بصوتٍ واحدٍ ، حتى أدنى صخرةٍ بللها البحر (٢٦) ؟ »
- ٣٧ هكذا أصاب بسؤاله صميم رغبتى ، حتى كان الأمل العذب وحده كفيلاً بأن يُلطِّف من حدّة ظمئى (٢٧)
- ٤٠ وبدأ الآخر (٢٨) « لا ينال الجبل المبارك شىءٌ يحدث دون نظام أو يقع خارجاً عن مألوفه (٢٩)
- ٤٣ وإن هذه الأرجاء من كلِّ التقلّبات خالصة (٣٠) : ولا يمكن أن تتأتى هنا عِلّةٌ إلا مما تتلقاه السماء من ذاتها ولذاتها ، ولا مؤثّر سوى ذلك (٣١)
- ٤٦ ولذا فلا يسقط مطرٌ ، ولا بردٌ ، ولا ثلجٌ ، ولا طلٌّ ، ولا صقيعٌ (٣٢) - أعلى من السلم الصغير القصير ذى الدرجات الثلاث (٣٣)
- ٤٩ ولا تظهر به سحبٌ كثيفةٌ ولا خفيفةٌ ولا برقٌ ، ولا تبدو به ابنة تاوماس (٣٤) ، التى تغير مكانها كثيراً فى ذلك الجانب (٣٥)
- ٥٢ ولا يعلو بخارٌ جافٌ (٣٦) فوق ذروة الدرجات الثلاث التى كلّمته عنها (٣٧) ، حيث يضع قدميه نائب القديس بطرس (٣٨)
- ٥٥ وربما تقلّ أو تكثر رجفة الجبل فى أسفله (٣٩) ، على أنه بالريح الكامنة فى الأرض - لا يتزلزل هنا فى أعلاه أبداً - ولا أدرى كيف (٤٠)
- ٥٨ وإن الجبل ليرتجف هنا حينما تشعر إحدى النفوس بتطهّرها ، حتى تنهض وتمضى صاعدةً إلى الأعلى (٤١) ؛ ثم يُسمع بعدئذٍ ذلك الصياح (٤٢)
- ٦١ وما من دليل على التطهّر سوى الإرادة ذاتها ، التى تفاجئ النفس حين تكتمل حريتها ، وتبعث فيها الرغبة البهيجة فى تغيير مقامها (٤٣)
- ٦٤ وإن النفس لترغب فى ذلك لأول وهلة ، ولكنّ تعوقها شهواتها التى تقودها العدالة الإلهية - على رغبتها - إلى طريق العذاب ، لاتجاهها إلى طريق المعصية (٤٤)
- ٦٧ وأنا الذى اطّرحتُ فى هذا العذاب أكثر من خمسمائة عام (٤٥) ، أحسستُ الآن فحسب أن إرادتى قد صارت حرةً لكى تُسمّم شطر عتبةٍ أفضل (٤٦) :

- ٧٠ ولذا فإنك قد سمعت الآن دوى الرجفة وصوت الأرواح الخاشعة فوق الجبل
تسبح بحمد المولى ، حتى يرسلها سريعاً^(٤٧) إلى العلياء »
- ٧٣ هكذا تحدث إلينا ؛ ولما كانت متعة الإنسان بالرئى تزداد بقدر زيادة
عطشه - فلم أستطع التعبير عما أدّاه لى من فائق المتعة^(٤٨)
- ٧٦ فقال دليلي الحكيم « الآن أتبيّن الشبكة التي تعوقكم ها هنا^(٤٩) ، وكيف
تُحلّ عقدها^(٥٠) ، ولِمَ يرتجف الجبل هنا ولم تتشاركون جميعاً في
الشعور بالبهجة
- ٧٩ ولعلّه يُرضيك الآن أن أعرف شخصك ، وعساى أفهم من كلماتك لِمَ
اطرحت هنا طوال هذه القرون العديدة^(٥١) »
- ٨٢ فأجاب ذلك الروح « في الوقت الذي انتقم فيه تيتوس الطيب^(٥٢) بعون
المليك الأعلى^(٥٣) - للجروح التي انبثق منها
- ٨٥ الدم الذي باعه يهوذا^(٥٤) ، بالاسم الذي سيدوم طويلاً ويُسَمَّجَد كثيراً
- كنتُ هناك رجلاً عريض الشهرة - ولكن الإيمان كان لا يزال يُعوزني^(٥٥) .
- ٨٨ وكنتُ رخيماً الإنشاد ، حتى إنني على رغم كوني من أهل تولوز^(٥٦) ، فقد
اجتذبتني روما إليها^(٥٧) ، حيث صار جيبيني جديراً بأن يُتَوَجَّج بالريحان^(٥٨) .
- ٩١ ولا يزال القوم يدعونني باسم استاتيوس في ذلك الجانب^(٥٩) ؛ ولقد تغنيت
بطيبة ثم بأخيل العظيم^(٦٠) ؛ ولكنني هويتُ في الطريق بحملي الثاني^(٦١)
- ٩٤ وإن شعري ليستمدّ حرارته من شرارات الشعلة الإلهة التي ألهبت قريحتي ،
ومها اشتعل أكثر من ألف لهيب^(٦٢) ؛
- ٩٧ وإنني لأتكلم عن الإنياد ، التي كانت لى في قول الشعر أما كما كانت
حاضنةً لى^(٦٣) : وبدوها لما عادلُ وزن درهم
- ١٠٠ ولو أنى عشتُ حينما كان فرجيليو على قيد الحياة^(٦٤) ، لَرَضِيْتُ أن أظلّ
سنةً تزيد عما ينبغى على^(٦٥) - قبل أن أخرج من عذاب المنفى^(٦٦) »
- ١٠٣ وبسماع هذه الكلمات اتجه إلى فرجيليو ، وبوجهه الصامت سألتني
أن ألزم الصمت^(٦٧) ، ولكن إرادتنا لا تقوى على فعل كلّ شيء^(٦٨) ؛

- ١٠٦ إذْ أن الضحك والبكاء للعاطفة خاضعان ، وكلاهما عنها يصدران ، حتى لَيَقْلَّ انصياعهما للإرادة لدى أصدق الناس (٦٩)
- ١٠٩ وابتسمتُ فحسبُ كمن يغمز بعينه (٧٠) ؛ وعندئذ سكت الشبح ، ونظرتني في العينين ، إذْ فيهما تبدو صورة النفس على حقيقتها (٧١) ؛
- ١١٢ وقال لي : « لعلَّ هذا الجهد الكبير يؤدِّي بك إلى الخير (٧٢) ، ولكن لم بدا لي وميض ابتسامة على محيّاك في هذه الآونة (٧٣) ؟ »
- ١١٥ فأخذ يتجادبي عندئذ كلا الجانبين أحدهما يحملني على الصمت ، والآخر يناشدني أن أتكلّم (٧٤) ؛ ولذلك تهتّت (٧٥) ، وأدرك معلّمي
- ١١٨ ما يدور بخاطري ، فقال لي (٧٦) : « لا تخشينَ من كلامك شيئاً ؛ بل تكلم وحدّثه بما يسأل عند بهذا الحرص الشديد (٧٧) »
- ١٢١ فقلت عندئذ « ربما تعجب - أيها الروح العتيق - من البسمة التي بدرتُ مي (٧٨) ؛ ولكنني أرجو أن ينالك عجبٌ أشدّ
- ١٢٤ إن هذا الذي يُرشدني في الذهاب إلى أعلى (٧٩) - هو فرجيليو ذلك الذي استوحيتَ منه القدرة على التغنى بالرجال والآلهة (٨٠)
- ١٢٧ وإذا اعتقدتَ أنّ لا ابتسامتي علّةٌ أخرى ، فدعك منها ، لأن هذا غير صحيح ، ولتثق بأن كلماتك التي قلتها عنه كانت هي السبب (٨١) »
- ١٣٠ وكان قد انحنى عندئذ ليقبّل قدمي معلّمي (٨٢) ، ولكنه قال له « لا تفعل ذلك يا أخي (٨٣) - فما أنت سوى شبحٍ تنظر شبحاً »
- ١٣٣ فقال وهو يهض « يمكنك أن تدرك الآن مدى المحبّة المستعرة في نفسي نحوك ، حينما أنسى فراغنا ،
- ١٣٦ وأعامل الأشباح على أنها أشياء صلبة (٨٤) »

حواشي الأنشودة الحادية والعشرين

- (١) هذه هي الأنشودة الثالثة من أنشودات البخلاء والمبذرين وتسمى أنشودة استاتيوس .
 (٢) أى الرغبة فى المعرفة وورد هذا المعنى فى « الوثيمة » وعند أرسطو

Conv.I.I.I.
 Arist.Met.I.I.

- (٣) الماء رمز المعرفة وأورد « الكتاب المقدس » ما دار بين المرأة السامرية والمسيح بشأن الماء الحى
 عند بئر يعقوب
 Giov;IV:6...

- وتوجد صورة من الموزايكو تمثل السامرية عند البئر وترجع إلى القرن ١٣ وهى فى كنيسة سان
 ماركو فى البندقية
 (٤) يعنى أن رغبة دانتي فى معرفة حقيقة الزلزال والترتيل جعلته يحس العذاب فسار مسرعاً وراء
 دليله

- (٥) الطريق متعثر ومزدحم بسبب المتطهرين الذين اطرحوا أرضاً
 (٦) أى أن دانتي أحس الألم لما يلقاه المتطهرون من الجزاء العادل . وأضفت (ما نالته الأرواح)
 لإيضاح المعنى .

- (٧) ظهر المسيح بعد قيامه من القبر لاثنين كانا يسيران فى طريق عمواس ، كما ورد فى « الكتاب
 المقدس »
 Luca, XXIV. ١٣...

- (٨) على هذا النحو ظهر شبح استاتيوس .

- (٩) يرى بعض الدارسين أن المعنى هنا يمكن أن يكون على هذا النحو : (بينما كنا ننظر إلى الجمع
 المستلقى عند أقدامنا)

- (١٠) لم يشعر الشعاران بوجود استاتيوس إلا بعد أن تكلم لأنهما كانا مشغولين بالنظر إلى الأرض
 خشية الاصطدام بالمتطهرين

- (١١) يشبه هذا التعبير قول المسيح لأتباعه بعد قيامه من القبر ، كما ورد فى « الكتاب المقدس »
 Giov. XX. 21, 26.

- (١٢) يعنى حياه بإيماءة من رأسه

- (١٣) هذا هو فرجيليو الذى يوجه الكلام إلى استاتيوس ومع ذلك فلم يتعرف عليه.

- (١٤) أى القضاء الإلهى

- Inf. II.
 (١٥) يعنى اللبؤ فى مقدمة الجحيم

- (١٦) يستفسر استاتيوس عن الطريقة التى وصل بها الشعاران إلى هذا الموضع من جبل المطهر

- (١٧) أى علامات الخطيئة التى رسمها الملك على جبين دانتي (Purg. IX. 112) وكان لا يزال منها
 ثلاث

- (١٨) يعنى العلامات التى يرسمها الملك على كل من يصعد إلى جبل المطهر

- (١٩) أى أن مقره مع السعداء فى الفردوس
- (٢٠) كلوتو (Clotho) إحدى ربوات القدر التى تغزل خيطاً على مغزل لاكيسيس (Lachesis) بقدر العمر المكتوب لكل إنسان ، والمقصود أن عمر دانتي لم ينته بعد وأورد أوفيدوس أسطورة كلوتو
Ov. Met. VIII. 452
- (٢١) يعنى أن نفوس الناس جميعاً إخوة لأن خالقها واحد .
- (٢٢) أى أن دانتي ما كان يستطيع أن يأتى إلى هذا المكان بدون دليل
- (٢٣) يعنى أن الإنسان الحى يعوقه جسده عن الرؤية الكاملة
- (٢٤) أى اللبىو
Inf. II. 52...
- (٢٥) يعنى طبقاً لتعاليم الفلسفة والعقل وقد عبر فرجيليو عن ذلك بلفظ (مدرسة)
- (٢٦) يستفسر فرجيليو عن السبب فى زلزلة الجبل وعن ترتيب الأرواح بصوت واحد
- (٢٧) أى أن سؤال فرجيليو عبر تماماً عن رغبة دانتي فى المعرفة وبذلك خفت حدة عطشه إليها وعبر دانتي عن صميم الرغبة بقوله (سم خياط الرغبة)
- (٢٨) بدأ استاتايوس يتكلم ولم يهتم بكون دانتي على قيد الحياة ، بل مضى يجيب عن أسئلة فرجيليو سواء أكان ذلك لحرصه على المبادرة إلى الرد أم لأنه لم يكن له ما يطلبه إلى أحد الأحياء وأصبح فى حال وسط ، إذ لم تعد له تلك الصلة السابقة بالإنسان ولم يصبح إلهياً بعد
- (٢٩) يشبه هذا ما أورده فرجيليو عن قدسية الجبل
Virg. Æn. VIII. 349-350.
- (٣٠) يعنى أنه غير خاضع للمؤثرات التى تخضع لها الأرض
- (٣١) أى أن المطهر خاضع لمؤثرات السماء فقط
- (٣٢) يعنى لا يتأثر جبل المطهر بالمؤثرات الطبيعية
- (٣٣) ربما تكون الترجمة هنا كما يلى (السلم الصغير ذو الدرجات القصيرة الثلاث) والمعنى واحد والمقصود باب المطهر
Purg. IX. 76
- (٣٤) ابنة تاوماس (Thaumas) أو إيريس (Iris) تعنى قوس قزح ، واعتقد القدماء أنها رسالة من السماء وذكرها فرجيليو وأوفيدوس
Virg. Æn. IX. 5.
Ov. Met. XIV. 845.
- (٣٥) أى فى الأرض
- (٣٦) اعتبر أرسطو أن البخار الجاف سبب الرياح والبرق والرعد والزلازل
Arist. Meteorol. II. IX.
- (٣٧) يعنى عند عتبة باب المطهر
Purg. IX. 103.
- (٣٨) نائب القديس بطرس يعنى هنا الملاك حارس باب المطهر
Purg. IX. 127.
- (٣٩) أى فى مقدمة جبل المطهر
- (٤٠) لا يهتز الجزء الأعلى من جبل المطهر لأنه غير خاضع لمؤثرات الأرض
- (٤١) يتزلزل الجبل حينما تتطهر النفس من الخطيئة فينفض المتطهرون لكى يصعدوا إلى الفردوس الأرضى ثم إلى الفردوس
- (٤٢) يصحب زلزلة الجبل صياح الأرواح ، كما سبق
Purg. XX. 196.
- (٤٣) يعنى أن رغبة النفس وإرادتها الصعود إلى أعلى هى الدليل على تطهرها ، ولا تظهر هذه الرغبة

إلا إذا تم التطهر ويجعل نص الجمعية الدانتية الإيطالية ونص أكسفورد (التحرر الكامل) منصباً على الإرادة ، بينما يجعله نص ماريو كازيلا ونص توماسو كازيني على الروح أو النفس ، مما يوجد فارقاً قليلاً في المعنى ، وقد أخذت بالنص الأول

(٤٤) تتجه الإرادة المطلقة إلى السماء قبل تطهر النفس ، ولكن الإرادة النسبية المشروطة بالتطهر تحول دون ذلك كما يحدث في الحياة عندما تتجه النفس إلى الخطيئة وتقودها الإرادة إلى العذاب والتكفير والتطهر

(٤٥) مات استاتيوس حوالي سنة ٩٦ ، وهذا يعنى أنه قضى أكثر من ٥ قرون في إفريز البخلاء والمبذرين وأكثر من ٤ قرون في إفريز الكسالى و ٣ قرون أدنى من ذلك حتى نصل إلى سنة ١٣٠٠

(٤٦) أى أنه بتطهره سيتجه إلى السماء

(٤٧) يعنى سبحت الأرواح بحمد الله لكى يرسلها إلى السماء سريعاً

(٤٨) هكذا ارتوى عطش دانتي إلى المعرفة بهذا الحديث الممتع

(٤٩) المقصود بالشبكة الرغبة في الصعود إلى السماء المشروطة بالتطهر كما سبق في بيت ٦٤ وما بعده

(٥٠) يشبه هذا المعنى ما ورد في « الكتاب المقدس » Ezech. XII. 13, ecc .

(٥١) يريد فرجيليو أن يعرف شخص استاتيوس من ذات حديثه

(٥٢) تيتوس فلافيوس (Titus Flavius. ٧٩ - ٨١) أمبراطور الدولة الرومانية حاصر أورشليم في عهد أبيه فسپاسيانوس في سنة ٧٠ وانتقم من اليهود لمقتل السيد المسيح - عند المسيحيين - واشتهر بالكرم والرحمة

(٥٣) أى الله

(٥٤) المقصود خيانة يهوذا الإسخريوطى للمسيح كما ورد في « الكتاب المقدس »

Matt. XXVI. 14-15.

(٥٥) يعنى كان استاتيوس مشهوراً في الدنيا باسمه كشاعر وليس بالإيمان المسيحي ، ويقال إنه اعتنق وربما يكون دانتي هو الذى قال بهذا الرأى

(٥٦) اعتبر دانتي استاتيوس من تولوز (Toulouse) في فرنسا ، وهذا خطأ شاع في عصر دانتي ، وهو يخلط بين استاتيوس وبين لوسيوس استاتيوس أوسولوس الذى ولد في عهد نيرون حوالي سنة ٥٨

(٥٧) يتكلم استاتيوس عن عذوبة شعره التى جعلت روما تجتذبه إليها تقديراً له

(٥٨) استحق استاتيوس هذا التقدير غير مرة كما ورد في كتاب « الغابات » الذى لم يكن معروفاً في عهد دانتي ، وربما عرفه بطريق غير مباشر : Stat. Silvae, III. 5.

(٥٩) پوبليسوس پاپينيوس استاتيوس (Publius Papinius Statius ٩٦ - ٤٥) أهم شعراء الرومان في العصر الفضى ، ولد في ناپلى وعاش أغلب حياته في روما واتصل بالأمبراطور دوميتيانوس . وأهم شعره « أنشودة طيبة » (Thebaid) وهى ملحمة تتناول الحرب ضد طيبة ، وكتب « أنشودة أخيل » (Achillaid) عن حياة أخيل وحرب طروادة ، ولكنه كتب الكتاب الأول منها ولم يكمل الكتاب الثانى وله كتاب « الغابات » (Silvae) وهو مجموعة من الشعر المتنوع .

وكان شعره معروفاً في العصور الوسطى ، وامتاز بحسن الصياغة وقوة التعبير ، وتأثر به دانتي . ويرافق استاتايوس دانتي وفرجيليو من هذا الموضع من المطهر وبعد انسحاب فرجيليو يسير مع دانتي في الفردوس الأرضي ، ويمثل عند دانتي مرحلة وسطى بين العقل والإلهام وبين فرجيليو وبياتريتشى

(٦٠) أى « أنشودة طيبة » و « أنشودة أخيل »

(٦١) يعنى مات قبل أن يكمل « أنشودة أخيل »

Stat. Theb. XII. 806

(٦٢) يشبه هذا تعبير استاتايوس

(٦٣) يشيد استاتايوس بإنيادة فرجيليو وفضلها عليه في قول الشعر

(٦٤) مات فرجيليو سنة ١٩ ق. م. أى قبل ميلاد استاتايوس بحوالى ٦٠ سنة

(٦٥) أى كان يتمنى أن يعيش في عصر فرجيليو مع استعداده للبقاء سنة أخرى في المطهر وعبر دانتي

عن السنة بذكره لفظ (الشمس) ويقصد دورتها

(٦٦) المطهر منى بالنسبة للفردوس واستعداد استاتايوس للتأخر سنة في المطهر في سبيل رؤيته فرجيليو

في الدنيا دليل على الإعزاز والتقدير

(٦٧) عبر فرجيليو لدانتي بوجهه عن رغبته في الصمت لأنه لم يشأ أن يظهر نفسه لمن غمره بالمدح

والتقدير

(٦٨) يعنى لا يقوى الإنسان على كبح نفسه دائماً لأن إرادته لا تقوى على كل شيء

(٦٩) أى أن الإنسان الصادق لا يستطيع أن يخفى مشاعره .

(٧٠) لم يستطع دانتي أن يمنع ابتسامته ، فابتسم كمن يشير إلى شيء بدون أن يفصح عنه . وفي الأصل

(الغمز بالعينين) والمقصود التلميح إلى شيء .

(٧١) نظر استاتايوس إلى عيى دانتي لأنهما تعبران عن النفس أصدق التعبير ، وذكر دانتي هذا المعنى

Conv. III. VIII. 9

في « الوليمة »

(٧٢) يتمى استاتايوس لدانتي أن يبلغ السماء بعد هذا الجهد الذى بذله

(٧٣) يعنى ابتسم دانتي ابتسامة خاطفة . وهكذا يعبر دانتي بدقة عن معانى النفس وما يرتسم منها على

الوجه

(٧٤) أخذت دانتي الحيرة بين ما يطلبه إليه فرجيليو وما يطلبه استاتايوس

(٧٥) يتنهد دانتي إزاء ذلك ويستخدم الفعل المضارع بين فعلين ماضيين للتنويع في طريقة التعبير

وللتأثير في القارئ

(٧٦) أدرك فرجيليو ما يساور دانتي فحمله على الكلام .

(٧٧) هذا هو ما أظهره استاتايوس منذ قليل في أبيات ١١٢ - ١١٤

(٧٨) لم يفصح دانتي فوراً عن شخص فرجيليو بل تريث قليلاً حتى يزيد من دهشة استاتايوس .

(٧٩) أى إلى قمة جبل المطهر

(٨٠) يعنى هذا هو فرجيليو الذى استوحى استاتايوس شعره في كتابة أشعاره حيث تناول الرجال

والآلهة

(٨١) أى ليس من سبب لابتسام دانتي سوى أسف استاتايوس على أنه لم يعيش في عصر فرجيليو بعد

أن أعرب عن تقديره له ، بينما شبح فرجيليو قريب منه الآن .

(٨٢) هذا دليل على مدى إعزاز استاتيوس لفرجيليو

Apocal. XIX. 10.

(٨٣) يشبه هذا القول ما ورد في « الكتاب المقدس »

(٨٤) سبقت مواقف مشابهة من حيث محاولة العناق أو الركوع تعبيراً عن المحبة والتقدير ، حينما حاول

كل من دانتي وكازيلا عناق الآخر في الأنشودة الثانية من المطهر (... Purg. II. 76)، أو حينما ركع دانتي احتراماً وتوقيراً للبابا أدريانو الخامس في الأنشودة التاسعة عشرة من المطهر (... Purg. XIX. 127). ولقد كانت كلمات فرجيليو هنا هي التي أوضحت الحقيقة بشأن استحالة العناق في حالة الأشباح كما فعلت ذلك كلمات أدريانو الخامس ، وكما أوضحت نفس الحقيقة حركة ذراعي دانتي في الفراغ - إزاء كازيلا ولقد انتهى الوهم في كل من الحالات الثلاث بطريقة مغايرة ، وبدا فن دانتي في كل منها متميزاً واضحاً في صورته الخاصة . وقد شارك في خلق هذا الموقف كل من دانتي واستاتيوس وفرجيليو ، وكونوا معا ثلاثياً فريداً قوامه ثلاثة من الشعراء يسود بينهم الفن والمحبة والتوافق والإعزاز والتقدير ومع ذلك فإن شخصية فرجيليو هنا هي البارزة المسيطرة ويتضح هذا من رأى استاتيوس في فرجيليو، الذي كان يحرك الموقف بنظراته وكلامه وهذا مشهد مليء بالإحساس والعاطفة ويعد من المواقف البارزة في الكوميديا

الأنشودة الثانية والعشرون^(١)

صعد دانتى الجبل بدون عناء فى إثر فرجيليو واستاتيوس ، وسعهما يتحدثان
قال فرجيليو إن المحبة التى تشعلها الفضيلة تشعل غيرها دوماً إذا ظهرت شعلتها
فى الخارج ، وإنه قد أحبه منذ أن هبط جوفينالس إلى اللامبو ، وعرفه بقدره ،
وسأله كيف يجد البخل موضعاً فى صدره على رغم حكيمته فضحك استاتيوس ،
قليلاً وأخبره أن البخل قد زايله منذ أمد بعيد ، وإنه ابتلى بالإسراف الذى عوقب
من أجله قرونًا عديدة ، وقال إنه فهم قوله فى الإنياداة عن الجوع المقدس إلى
الذهب الذى ينبغى أن يضبط شهوة الإنسان إلى ثروات الدنيا ، وإن الخطايا
المتعارضة تلتقى جزاءها معاً ، وإنه كمبذر يتطهر مع البخلاء وقال فرجيليو
لاستاتيوس إنه يبدو له أنه لم يكن قد اهتدى بعد إلى الإيمان الصحيح حينما تناول
مأساة جوكاستا ، وسأله كيف تحرر من ظلام الوثنية فقال استاتيوس لفرجيليو
إنه هو الذى ألهمه قول الشعر وهداه إلى الإيمان وأضاء له الطريق بدون أن يضيئه
لنفسه ، عندما قال فى أناشيد الرعاة إن العصر يتجدد وإنه سيهبط من السماء جنس
جديد وقال إنه أخذ يختلط بالمسيحيين ، وشاركهم فى البكاء على ما نالهم من المحن ،
ثم نال التعميد ولكنه أخفى ذلك طويلاً ، ولذا فقد دار فى الإفريز الرابع من المطهر
أكثر من أربعة قرون ، وسأل فرجيليو عن مكان بعض شعراء اللاتين ، فأجابه
بأن أمثال تيرنسيوس وپلاوتوس وأوريپدس وأجاتون وأنتيجون موجودون فى اللامبو
وبلغ الشعراء الثلاثة الإفريز السادس ، وكانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة
من صباح الثلاثاء ١٢ أبريل ١٣٠٠ وأخذ دانتى فى متابعة السير وراء الشعارين ،
واستلهم من حديثهما فنه الشعرى واعترضت طريقهم شجرة مقلوبة الوضع
— شجرة الحياة — لكيلا يصعد عليها أحد من المهومين وسمع دانتى صوتاً يردّد
أمثلة عن القناعة مقتبسة من أفعال العذراء ماريا ودانيال ويوحنا المعمدان

- ١ كان قد ظلّ من ورائنا الملاكُ الذي اتّجه بنا إلى الدائرة السادسة (٢) ،
بعد أن أزال من وجهي جرحاً (٣) ؛
- ٤ ونطق بالآية القائلة عمّن تتّجه رغبتهم إلى البرّ لأنهم طوبوا ويّون، ولكنه ختم
كلماته عند "العطاش" (٤) - ولم يقل مزيداً
- ٧ وإني وقد أصبحتُ أخفّ مما كنتُ عند المداخل الأخرى (٥) ، أخذتُ أسير
في إثر الروحين السريعين (٦) ، بدون أن أبذل جهداً ؛
- ١٠ حينما بدأ فرجيليو « إن المحبّة التي يُشعلها الفضل لتتّلهب غيرها دوماً ،
إذا ما تبدّت شعلتها في الخارج (٧) ؛
- ١٣ ولذا فنذ اللحظة التي هبط فيها جوفاينالس بين ظهرانينا في ليمبو الجحيم (٨)
- والذي جعلني أتبيّن محبتك لي (٩) -
- ١٦ أحسستُ نحوك بمحبّة عارمةٍ ، لم يشعر بمثلها أحد نحو منّ لم يرَ من
قبل أبداً (١٠) ، وبهذا ستبدو لي هذه السلام قصيرةً الآن (١١)
- ١٩ ولكن فلأتخبرني ، ولتغفر لي كصديق ، إذا ما أرختُ لي طمأنينتي
البالغة سبيل العنان - ولتحدّثني الآن حديث الصديق إلى الصديق (١٢)
- ٢٢ كيف استطاع البخل أن يجد لنفسه في قلبك موضعاً (١٣) ، بين كلّ
ما تحلّيت به من الحكمة التي أفرعمت بها - بفضل اجتهادك ودرسك (١٤) ؟ »
- ٢٥ وبسماع هذه الكلمات ابتسم استاتيوس لأول وهلة (١٥) ، ثم أجاب « إن
كلّ ما تقوله تعبيرٌ غالٍ عن محبتك لي
- ٢٨ ومع ذلك فكثيراً ما تبدو أشياءٌ تثير بزيفها مواطن الشكّ ، لخباء أسبابها
الحقيقية (١٦) .
- ٣١ ويؤكد لي سؤالك أنك تعتقد أني كنت في الحياة الأخرى رجلاً بخيلاً ،
وربما يرجع ذلك إلى تلك الدائرة التي صيرتُ إليها (١٧)
- ٣٤ ولتعلم الآن أن البخل كان قد زال عني منذ أمدٍ بعيد (١٨) ، وأن إفراطى قد
عاقبته آلافٌ من دورات القمر (١٩)
- ٣٧ ولو لم أكن قد قومت رغائبي - حينما أدركت مغزى قولك - حيث
تصبح (٢٠) - وكأني بك على طبيعة البشر غاضبٌ -

- ٤٠ ”أيها الجوع المقدس إلى الذهب - لم لا تقوم شهوة البشر الفاني؟“ (٢١)
- لولا ذلك - لكنت أشعر الآن بوطأة المصادمات البئيسة إبان دوراني (٢٢).
- ٤٣ وعندئذ تبينت ما يمكن أن تقوى عليه يداى فى بسط أجنحتهما فى الإنفاق^(٢٣) - وهكذا ندمت على هذه المعصية كما ندمت على غيرها من المعاصى (٢٤)
- ٤٦ وكم من الناس سيبعثون وهم حليقو الرؤوس (٢٥)، بالجهل الذى يحول دون ندمهم على هذه المعصية ، فى أثناء حياتهم وعند ختامها !
- ٤٩ واعلم أن الخطأ الذى يُقابل خطيئةً ما بصورة مباشرة ، يجفّف معها هنا أوراقه الخضراء (٢٦)
- ٥٢ فإذا كنت قد اتخذت مقرّى فى التطهر بين منّ° يكون لبخلهم، فقد نال مى عذابُ الخطيئة التى تعارض ذلك (٢٧)
- ٥٥ فقال الصادح بأناشيد الرعاة (٢٨): «ولكنك حينما تغنيت بالصراع القاسى ، الذى سبّب لحوكاستا حزناً مزدوجاً (٢٩) ؛
- ٥٨ وبما قصصته وقصته أكليو معك (٣٠) - لا يبدو أنك كنت قد صرت بعدُ بالعقيدة مؤمناً ، ولا يكفيك أن تفعل الخير بدون اعتناقها (٣١).
- ٦١ وإذا كان الأمر كذلك (٣٢)، فأية شمس (٣٣) أو شموع (٣٤) قد أنارتْ ظلمتك (٣٥) ، حتى نشرتْ أشرعتك بعدئذ خلف صائد السماء (٣٦) ؟
- ٦٤ فقال له « إنك أول منّ° بعث فى صوب جبل پارناستوس لكى أنهل من بين صخراته (٣٧) ، وإنك أول من أنار لى الطريق إلى الله (٣٨)
- ٦٧ وقد فعلتْ كمن يسير فى جنح الدُّجى ، ويحمل من ورائه مصباحاً ، لا يبدّد به ظلمته ، ولكنه ينير السبيل - من بعده - لسائر الناس (٣٩) ؛
- ٧٠ وذلك حينما قلتْ ” إن العصر يتجدّد (٤٠) ؛ وتستعيد العدالة مجراها ويعود للبشرية زمانها الأوّل (٤١) ، ومن السماء تهبط سلالةٌ جديدةٌ “
- ٧٣ فبفضلك أصبحتُ شاعراً وبفضلك صرت مسيحياً ولكن لكى ترى بصورة أفضل - ما أنا بسبيل رسمه - فسأبسط راحتى فى تلوينه (٤٢)

- ٧٦ لقد كانت كل أرجاء العالم مُفعمةً وقتئذٍ بالعقيدة الصحيحة (٤٣)،
التي نشر بذورها رسل الملكوت الأزلي (٤٤)،
- ٧٩ وتجاوبت كلماتك التي ذكرتها آنفاً مع المعلمين الجدد (٤٥)؛ ولذا تسخّدتُ
زيارتهم عادةً لي (٤٦).
- ٨٢ ثم بدوّاً لي أبراراً صالحين (٤٧)، حتى لم يكن بكائهم بغير بكائي (٤٨)،
حينما فتك بهم دوميتيانوس (٤٩)؛
- ٨٥ وبذلتُ لهم العون بينما كنت أقيم في ذلك الجانب (٥٠)، وحملي مسلكهم
القويم على أن أزدري سائر المعتقدات (٥١).
- ٨٨ ولقد عمدوني قبل أن أقود الإغريق - في شعري - إلى هري طيبة (٥٢)؛
ولكني أخفيتُ مسيحتي لما تولاني من الخوف ،
- ٩١ وتظاهرتُ بالوثنية زماناً طويلاً (٥٣)؛ وجعلني هذا التواني أدور في الدائرة
الرابعة أكثر من أربعة قرون (٥٤)
- ٩٤ وإذاً أنت يا مَنْ رفعتَ الحجاب الذي أخفى عني - ما أتحدّث عنه من
الخير العميم (٥٥) - فلستخبرني - إذا كنت تدرى - بينما لا يزال لدينا
من الوقت
- ٩٧ فسحةً في سبيل الصعود (٥٦) - « أين تيرنسيوس شاعرنا القديم (٥٧) ،
وأين كيكيليوس (٥٨) وإپلاوتوس (٥٩) وفاريوس (٦٠) : وقُلْ لي إذا كانوا
ملعونين ، وفي آية حلقة »
- ١٠٠ فأجابه دليلى « إنهم وپرسیوس (٦١) وأنا وكثيرون غيرنا مستقرّون مع ذلك
الإغريقي ، الذي أرضعته ربّات الشعر أكثر من غيره أبداً (٦٢) -
- ١٠٣ في الحلقة الأولى من المحبّس الأعمى (٦٣)؛ وإننا لتتحدّث كثيراً عن الجبل
الذي يحتفظ لديه بحاضناتنا دوماً (٦٤).
- ١٠٦ وهناك يستقرّ معنا أوربيدس (٦٥) وأنتيفون (٦٦) ، وسيمونيدس (٦٧) ، وأجاتون (٦٨) ،
وكثيرون غيرهم من الإغريق ، الذين زينوا جباههم قديماً بأكاليل الغار (٦٩)
- ١٠٩ ومن جماعتك تُرى هناك (٧٠) أنتيجون (٧١) ، وديفيلي (٧٢) ، وأرجيا (٧٣) وتُرى
إيسمين حزينّةً والهةً ، كما كانت من قبل على تلك الحال (٧٤).

- ١١٢ وهناك تبدو منْ أبانت عن الطريق إلى لانجا^(٧٥): وهناك إبنة تيريسياس^(٧٦)، وتيتيس^(٧٧)، وديداميا وشقيقاتها^(٧٨) «
- ١١٥ وكان قد سكت الآن كلا الشاعرين ، وانتبها من جديد للتطلع إلى ما حواليهما ، محررين من الصعود والحوائط^(٧٩)؛
- ١١٨ وإلى الورا كانت قد تخلّفت أربع من حوريات النهار^(٨٠)، وصارت خامسهن عند عريش العربة ، وإلى أعلى ظلت توجه القرن المشتعل^(٨١)،
- ١٢١ حينما قال دليلى « أعتقد أنه ينبغي علينا أن نتجه بيّسمى كتفينا إلى الحافة^(٨٢)، في دوراننا حول الجبل ، كما اعتدنا أن نفعل ذلك^(٨٣) »
- ١٢٤ وهكذا كانت العادة هناك دليلنا ، وسرنا في طريقنا وقد قلت وساوسنا ، بتأييد من تلك النفس النبيلة ورضاها^(٨٤)
- ١٢٧ ومضياً كلاهما أمامي ، وسرت من خلفهما وحيداً، وأصغيتُ إلى أحاديثهما التي ألهمتني من الشعر فنوناً^(٨٥)
- ١٣٠ ولكن سرعان ما توقّف حديثهما العذب ، حين لقينا في عرض الطريق شجرةً محمّلةً بفاكهة ذكيّة الرائحة أرجة العطر^(٨٦)؛
- ١٣٣ وكما تستدقّ شجرة الصنوبر من فرعٍ لآخر صوب قمّتها، هكذا استدقت تلك الشجرة في أسفلها - وأعتقد لكيلا يتسلقها أحد^(٨٧).
- ١٣٦ وفي الجانب الذي كان فيه طريقنا مغلقاً^(٨٨)، انسابت من الصخرة العالية مياهٌ صافيةٌ ، وأخذت تنثر على أوراق الشجرة^(٨٩).
- ١٣٩ واقرب الشاعران من الشجرة ، ومن بين أوراقها صاح صوتٌ قائلاً^(٩٠): « إنكما لن تنالا من هذا الغذاء شيئاً^(٩١) »
- ١٤٢ ثم قال « لقد فكّرتُ ماريا - التي تستجيب لكم الآن^(٩٢) - كيف يُصبح ذلك العرس مُشرفاً مستكملاً ، أكثر من تفكيرها في حاجة فيها^(٩٣).
- ١٤٥ ونساء روما القديمات كن يشرب الماء قانعات^(٩٤)؛ وازدرى دانيال الطعام ولكنّه اكتسب الحكمة^(٩٥)
- ١٤٨ والعصر الأول - الذي كان جميلاً كالذهب^(٩٦) - بالجوع سوّى ثمارَ البلوط شهيةً الطعم ، وبالظماً صنع من مياه كلّ جدولٍ كوثرًا^(٩٧)

- ١٥١ وكان الجراد والعسل هما ما تغذّى بهما يوحنا المعمدان في فيافي الصحراء^(٩٨) ؛
ولذا فهو عظيمٌ وممجّدٌ ،
- ١٥٤ كما يتضح لكم في الكتاب المقدّس^(٩٩) .

حواشى الأنشودة الثانية والعشرين

- (١) هذه الأنشودة تكملة لسابقتها ، ثم يبدأ بها تطهر النهمين
 (٢) هو ملاك العدالة
 (٣) هذا الجرح هو علامة خطيئتي البخل والإسراف
 Matt. V. 6. (٤) يعنى ذكر الملاك بعض ما ورد فى « الكتاب المقدس »
 (٥) يشعر دانتي أنه أخف وزناً كلما زال من جبينه إحدى علامات الخطايا.
 (٦) أى فرجيليو واستاتيوس .
 Inf. V. 103. (٧) يعنى أن المحبة تولد المحبة ، ويشبه هذا المعنى ما سبق فى الجحيم
 (٨) دوكيوس جونيوس جوفينالس (٤٧ - ١٣٠) (Ducius Junius Juvenalis) الشاعر الرومانى
 المعاصر لاستاتيوس فى العصر الفضى ، وامتاز بشعره التهكمى ، وكان معجباً بأنشودة طيبة
 (٩) عرف فرجيليو أن استاتيوس يحبه ويقدره عن طريق جوفينالس .
 (١٠) أى أن فرجيليو بادل استاتيوس المحبة بدون أن يراه
 (١١) هذا دليل المحبة
 (١٢) يعنى يسأله أن يحدثه حديث الصديق إلى الصديق ويطلب إليه المغفرة إذا حادثه بصراحة
 (١٣) يبدو أن فرجيليو كان متهيّباً أن يسأل استاتيوس هذا السؤال
 (١٤) لا يتفق البخل مع الحكمة التى نالها استاتيوس بالدرس والاجتهاد
 (١٥) ابتسم استاتيوس ابتسامة الرجل الحكيم الذى يعبر عن نفسه باعتدال
 (١٦) هذا شئء مألوف فى الحياة الواقعة
 (١٧) أى طبقاً لما استخلصه من كلام أدريانو الخامس فى الإفريز الخامس
 Purg. XIX. 121-123.
 (١٨) يعنى أنه كان قد تخلص من البخل منذ زمن بعيد
 Purg. XXI. 68. (١٩) هذا لأنه قضى هنا ٥٠٠ سنة أو ٦ آلاف شهر :
 (٢٠) أى أن استاتيوس كان سيستمر على بخله وحبه للمال ولكنه أدرك خطأه بقراءة فرجيليو
 (٢١) وهناك خلاف بين العلماء الدانتينين فى قراءة بيتى ٤٠ و ٤١ وتفسيرهما والأصل هو أن فرجيليو
 فى « الإنيابة » كان قد جعل إينياس يندد بمقتل پوليدوروس على يد پولنستروس لكى يحصل
 على ثروته ، فقال بأى دافع (خبيث) لا تقود شهوة البشر - أيها الجوع اللعين إلى الذهب !
 ويرجع اختلاف الشراح إلى قراءتهم (quid) اللاتينية بمعنى (per che) يعنى بأى
 (دافع) أو قراءتهم لها بمعنى (perché) أى لماذا ، ويمكن للفظ اللاتينى الدلالة على
 المعنيين ؛ ويرجع إلى تفسيرهم (cogis) اللاتينية بمعنى (governi) أى يقود أو بمعنى
 (freni) أى يكبح ويدل اللفظ اللاتينى على المعنيين ؛ ويرجع الاختلاف أيضاً إلى
 تفسيرهم (sacra) اللاتينية والمأخوذة من (sacer) وتدل على معنى اللعين (esercabile)
 كما تدل فى الوقت نفسه على معنى المقدس (sacro) وهو المدلول الوحيد لهذه الكلمة فى
 الإيطالية. وعلى هذا فقد ساعد ازدواج المعنى فى بعض الألفاظ اللاتينية إلى اختلاف الشراح

في فهم هذين البيتين ويرى بعضهم أن دانتى ربما لم يفهم نص فرجيليو على حقيقته ، وإن كان هذا أمراً مستبعداً ، أو ربما وسع معنى البخل أو الحرص الذي أراده فرجيليو على لسان إينياس ، وجعله يشمل كذلك معنى الإسراف أو التبذير المهم به أهل هذه المنطقة ومن الآراء التي يأخذ بها بعض الدارسين قولهم في معنى هذين البيتين (بأى دافع - خبيث - لا تقود - أو لا تحكم - شهوة الناس - أيها الجوع اللعين - أو الخبيث - إلى الذهب !) على أنه من الأفضل الأخذ بالمعنى الحسن بالنسبة للفظ (sacro) - كما يرى بعض العلماء الدانتيين من القدماء والمحدثين - بالنسبة لطلب المال باعتدال لقضاء الحاجات - وبدون جشع أو حرص أو إسراف - فيصبح طلب المال بذلك شيئاً عادلاً أو مقدساً ويتفق هذا بصورة عامة مع ما أورده أرسطو وتوماس الأكويني ومع رأى دانتى ذاته في « الوليمة » وسواء أكان الجوع إلى الذهب شيئاً لعيناً أم كان أمراً مقدساً فإن قصد دانتى في كل من الحالين هو الخس على الاعتدال في طلب المال ، كما كان هو نفسه في الحياة الواقعة ، إذ كان عزوفاً عن جمعه واكتنازه ، وبلغ به الأمر إلى حد كرهه في بعض الأحيان ، كما رأينا في مقدمة ترجمتى للجحيم

Virg. Æn. III. 56-57.

Arist. Et. IV. 1.

d'Aq. Sum. Theol. II. II. CXVII. 4.

Conv. IV. XIII. 15.

(٢٢) يعنى لو أن استاتيوس لم يندم على إسرافه لأصبح الآن من المعذبين في الجحيم مع البخلاء والمسرفين الذين يدفعون الأحجار الثفيلة ويتقابلون وجها لوجه ثم يدورون لكي يتقابلوا من جديد

Inf. VII. 22-48.

(٢٣) هذا هو تعبير دانتى بسيط أجنحة الديدن كناية عن كثرة الإنفاق .

(٢٤) ندم استاتيوس على إسرافه وعلى غير ذلك من الآثام .

(٢٥) أى من ارتكبوا خطيئة الإسراف بدون أن يندموا ، والذين سيبعثون - في نظر دانتى - وهم

Inf. VII. 56.

حليقو الرأس لكي يلقوا عذابهم في الجحيم

(٢٦) المقصود أن التكفير عن الخطيئة يكون في المطهر بنيل العقاب الخاص بالخطيئة المعارضة ،

كتمارض البخل والتبذير في هذه الحالة . ويأخذ دانتى الاستعارة من ذبول النبات وزوال خضرته ،

يعنى محو الخطيئة بالتكفير والتطهر

(٢٧) يعنى أن استاتيوس ينال عقاب البخلاء من أجل خطيئة الإسراف

(٢٨) فرجيليو هو مؤلف « أناشيد الرعاة »

(٢٩) أى حينما تكلم استاتيوس في أنشودة طيبة عما أصاب جوكاستا (Jocasta) أرملة لاويوس

(Laius) ملك طيبة ، التي تزوجت ابنها أوديبوس (Oedipus) - بدون علمه - وأنجبت منه

التوأمن إتيوكليس (Eteocles) وپولينسيس (Polynices)

Stat. Theb. XII. 429

(٣٠) اكليو (Clio) ربة التاريخ عند اليونان والرومان التي استنجد بها استاتيوس في « أنشودة طيبة »

Stat. Theb. I. 41.

لكي تلهمه القول

(٣١) يعنى بالعقيدة الدين المسيحي الذي لا سبيل إلى اكتمال الخير بدونه - عند المسيحيين - وأضفت

(اعتناقه) لإيضاح المعنى .

- (٣٢) أى ما دام أنه كان وثنياً
- (٣٣) يعنى النور الإلهى .
- (٣٤) أى التوجيه الإنسانى .
- (٣٥) يعنى أخرجه من الوثنية إلى المسيحية
- (٣٦) صائد السمك هو القديس بطرس كما ورد فى « الكتاب المقدس »
- Matt. IV. 12; Marco, I. 17.
- (٣٧) جبل پارناسوس (Parnassus) على مقربة من دلف مقر أبولو وربات الشعر والفن وبه نبع كاستاليا (Castalia) التى تجعل مياهه من يشربها شاعراً كما ورد فى الميتولوجيا اليونانية الرومانية
- Virg. Eclog. X. II. Georg. III. 290-294.
- (٣٨) أرشد فرجيليو استاتيوس إلى طريق الإيمان
- (٣٩) أى كمن يسير ليلاً وهو يحمل مصباحاً وراء ظهره فينير الطريق لمن يتبعه ولكنه يمشى هو فى الظلام ، وهذه هى مهمة الشاعر
- (٤٠) اعتبر هذا القول كأنه تنبؤ بظهور المسيح ، وعبر دانتى عن هذا المعنى فى « الملكية »
- Virg. Eclog. IV. 5-7.
- Mon. I. XI.
- (٤١) كان هذا عند فرجيليو هو العصر الذهبى أو عصر الملك ساتورن ، وعند دانتى هى البشرية قبل خطيئة آدم
- (٤٢) يقصد أنه سيوضح كيف اعتنق المسيحية ، ويأخذ الاستعارة من الرسم والتلوين يعنى تكلمة الصورة وإيضاحها
- (٤٣) يعنى أن تعاليم المسيحية كانت قد انتشرت سراً فى العالم الرومانى .
- (٤٤) الحواريون هم رسل الملكوت الإلهى
- (٤٥) أى اتفق ما قاله فرجيليو فى « أناشيد الرعاة » آنفاً مع أقوال الحواريين
- (٤٦) يعنى أخذ استاتيوس يمارس الطقوس المسيحية
- (٤٧) باختلاط استاتيوس بالمسيحيين عرف أنهم أطهار أبرار
- (٤٨) شارك استاتيوس المسيحيين بكاءهم وآلامهم ، وهذا التعبير مقتبس من « الكتاب المقدس »
- Rom. XII. 15.
- (٤٩) تيتوس أفلاقيوس دوميتيانوس (Titus Flavius Domitianus ٨١ - ٩٦) الأمبراطور الرومانى وكان استاتيوس من المقربين إليه ، ويقال إنه أمر بقتل المسيحيين وإن كان قد بولغ فى هذا
- (٥٠) ساعد استاتيوس المسيحيين بكل الوسائل فى أثناء حياته .
- (٥١) أى أنه ازدرى كل العقائد الدينية والمذاهب الفلسفية الأخرى التى كانت سائدة فى زمنه .
- (٥٢) يعنى أنه اعتنق المسيحية قبل أن يذكر فى « أنشودة أخيل » أن أدرستوس جاء بقواته الإغريقية لمعونة بولينسيس ، وبلغ بها نهر إسمينوس (Ismenus) ونهر أسوبوس (Asopos)
- Stat. Theb. IX.
- Purg. XVIII. 91.
- (٥٣) أخى استاتيوس مسيحيته خوفاً من الاضطهاد .

- (٥٤) أى أن استاتيوس قضى بالدائرة الرابعة - إفريز اللامبالين المتباطئين الكسالى - أكثر من أربعة قرون لكى يتطهر من تأخره فى إعلان مسيحيته
- (٥٥) يعنى بالخير العميم ثرجيليو الذى هدى استاتيوس إلى الإيمان المسيحى .
- (٥٦) منذ بداية الأنشودة يصعد الشعراء الثلاثة على السلم الذى يؤدى إلى الإفريز السادس ، والمقصود أنه بينما لا يزال لديهم الوقت الكافى للصعود .
- (٥٧) پوبليوس تيرنسيوس أفير (١٩٥ - ١٥٩ ق . م . Publius Terentius Afer) شاعر لاتينى ولد فى قرطاجنة ومات فى اليونان ، وكان عبداً اعتق ، وله عدة روايات منها « هيكيرا » و « والحصى » و « أديلنى » ، ويمتاز أسلوبه بالبساطة والوضوح وحسن الصياغة ، وكانت مؤلفاته معروفة فى العصور الوسطى
- (٥٨) كيكيليو استاتيوس (٢١٩ - ١٦٦ ق م Caecilius Statius) شاعر لاتينى ولد فى ميلانو وعاش فى روما ، وكان عبداً اعتق ، وهو من كتاب الكوميديا والدراما
- (٥٩) تيتوس ماكيسوس إيلوتوس (٢٥٤ - ١٨٤ ق . م Titus Maccius Plautus) شاعر لاتينى ومن كتاب الكوميديا ومن رواياته أمفترىو والأسرى .
- (٦٠) لوكيوس فاريوس روفوس (Lucius Varius Rufus) صديق ثرجيليو وهوراس ، وكتب تراجيديا تيسس التى مثلت فى عهد أغسطس .
- (٦١) أولوس پرسسيوس فلاكوس (٣٤ - ٦٢ Aulus Persius Flaccus) شاعر لاتينى كتب شعراً تهمكيا ونقد الرواقين وكتب فى الأخلاق وتكلم عن ندرة الحرية الحقيقية ، وقال إن الناس عبيد أهوائهم وخزعبلاتهم
- (٦٢) هذه إشارة إلى هوميروس أمير الشعراء ، وموضعه فى اللبى Inf. IV. 86.
- (٦٣) سبق هذا التعبير فى الجحيم Inf. X. 58.
- (٦٤) أى يتكلمان عن جبل پارناسوس مأوى ربات الشعر ، والمقصود أنهما يتكلمان عن الفن .
- (٦٥) أوربيدس (٤٨٠ - ٤٠٦ ق . م Euripides) ولد فى سلاميس وأحسن وفادته أركلاوس ملك مقدونيا ، وهو من أعظم شعراء التراجيديا الإغريق ، ومن رواياته ألتس وهيكوبا وإليكترا وأوريستس ويمتاز شعره بالبساطة والسخرية والتعبير عن العواطف العنيفة ، وخلق كثيراً من الشخصيات الحية ، وعرفه دانتي عن طريق سينيكيا
- (٦٦) أنتيفون (٤٣٠ - ٣٦٧ ق . م Antiphon) شاعر تراجيدى إغريقى عاش فى بلاط ديونسيوس الأول ملك سيراكوزا ، وربما كان المقصود أنتيفون الشاعر اليونانى الذى عاش فى أثينا (٤٧٩ - ٤١١ ق . م)
- (٦٧) سيمونيدس (٥٥٦ - ٤٦٨ ق م Simonides) شاعر غنائى إغريقى عاش فى تساليا وأثينا ومات فى سيراكوزا
- (٦٨) أجاثون (٤٤٨ - ٤٠٠ ق م Agathon) شاعر تراجيدى يونانى عاش فى مقدونيا وهو أول من خلق شخصيات خيالية
- (٦٩) يعنى كثيرين من الإغريق الذين توجهت رؤوسهم بإكليل الغار لأنهم كانوا شعراء مجيدين .
- (٧٠) يقصد الشخصيات التى تناولها استاتيوس فى شعره .
- (٧١) أنتيجون (Antigone) ابنة أوديب ملك طيبة الذى تزوج أمه بدون أن يعلم ، وصحبت

أباها بعد أن اقتلع عينيه ولازمته حتى موته ، وعادت إلى طيبة وحبسها كريون الملك في قبو
حيث ماتت
Stat. Theb. XII. 349

(٧٢) ديفيلي (Deiphyle) ابنة أدرستوس ملك أرجوس وزوجة تيديوس أحد الملوك السبعة الذين
حاربوا طيبة ، وهي أم ديوميد

(٧٣) أرجيا (Argeia) أخت ديفيلي وزوجة پولنيسيس :
Stat. Theb. XII.

(٧٤) إيسمين (Ismene) ابنة أوديب وأخت أنتيجون شهدت مصرع أهلها وخطيبها وحكم عليها
كريون بالموت مع نتيجون .

(٧٥) لانجا (Langia) نبع ماء في نيميا في البلوبونيز وكانت هيسبيل هي التي أظهرت موضعه
لمهاجمي طيبة وأضفت لفظ (الطريق) للإيضاح

(٧٦) ابنة تيريسياس (Teresias) هي مانتو (Manto) العرافة (Inf. XX. 52 ...) ، وهي ليست
في اللبوء ، وربما كتب دانتى اسماً آخر وحرفه النساخ ، وربما أخطأ دانتى التقدير ، وربما
قصد بقوله اللبوء الجحيم على وجه العموم .

(٧٧) تيتيس (Tetis) إلهة البحر وأم أخيل
Stat. Achill. I. 25

(٧٨) ديداميا (Deidemia) ابنة ليكوميد ملك إسكيروس التي أحبها أخيل ، وسبق ذكرها في
الجحيم
Stat. A chill. I. 285-296.

Inf. XXVI. 62.

(٧٩) هذا لأن استاتيس وفرجيليو كانا قد بلغا الإفريز السادس .

(٨٠) هذا هو تعبير دانتى لتحديد الزمن ، واعتقد القدماء أن الساعات حوريات أو وصيفات
للشمس يقدن عربتها ، وهذا يعنى أن أربع ساعات كانت قد انقضت منذ الساعة السادسة إلى
الساعة العاشرة صباحاً وسبق أن ذكر دانتى وصيفات الشمس أو حورياتها

Purg. XII. 81.

Ov. Met. II. 118

(٨١) أى أن الحورية - الساعة - الخامسة كانت تقود النهار إلى الأمام وهي توجه القرن المشتعل -
الشمس - إلى أعلى ، وهذا بسبب حركة الشمس الظاهرة التي تصعد إلى سمت الرأس عند
الظهر والمقصود أن الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة صباحاً .

(٨٢) يعنى عليهما أن يسيرا في اتجاه اليمين .

(٨٣) أى كما سبق
Purg. XI. 49; XIII. 14; XIX. 81.

(٨٤) يعنى استاتيس .

(٨٥) سار فرجيليو واستاتيس إلى الأمام وهما يتحدثان ، وسار دانتى وراءهما كتلميذ متواضع يصغى
إلى حديثهما ، وكان ذلك بمثابة تعليم وتوجيه له في فن الشعر

(٨٦) هذه هي شجرة الحياة ، وفي آخر الإفريز توجد شجرة الخير والشر (Purg. XXIV. 103...) ،
ويشبه هذا ما ورد في « الكتاب المقدس »
Gen. II. 9.

ويشبه الكلام عن هذه الشجرة بعض ما ورد في تراث الإسلام عن شجرة طوبى في جنة عدن

ابن عربي ، محيي الدين الفتوحات المكية . القاهرة ، ١٢٩٣ هـ . ج ٣ ص ٥٦٧

Cerulli, E. Il Libro della Scala e la Questione delle Fonti Arabo-Spagnole

della Divina Commedia. Roma, 1949. pp. 122-125; 539-541.

- (٨٧) هذا لكي لا يصعد على الشجرة الشرهون النهمون إلى الأكل .
- (٨٨) أى من ناحية الجبل إلى الداخل .
- (٨٩) انتشر الماء على أوراق الشجرة بدون أن يسقط منه شيء على الأرض .
- (٩٠) ربما كان هذا صوت ملاك غير معروف أو صوت بعض المتطهرين ، وسيذكر أمثلة عن القناعة والاعتدال
- (٩١) يعنى لن يأكلا شيئاً من شجرة الحياة وورد لفظ (caro) بمعنى العوز في كتابة ماركو پولو (M. Polo Il Millione, XXXV.) وهنا يبدأ تطهر النهمين ويستمر في الأنشودتين ٢٣ و ٢٤
- وعقابهم بالجوع. والعطش يشبه بعض ما ورد في تراث الإسلام في عقاب شارب الخمر السمرقندى قرة العيون (المصدر السابق الذكر) ص ٢١ - ٢٣
- (٩٢) أى أن ماريا تدعو الله أن يغفر لهؤلاء .
- (٩٣) عملت العذراء ماريا على استيفاء المظلمو في عرس قانا الجليل حتى ينال الجميع حاجتهم من الطعام والشراب ، كما ورد في « الكتاب المقدس »
- Giov. II. 3
Purg. XIII. 28
- وتوجد صورة تمثل عرس قانا من عمل جوتو من القرن ١٤ في كنيسة الإسكروفي في بادوا
- (٩٤) اكتنى نساء روما قديماً بالماء دون التبيد
- (٩٥) رفض النبي دانيال (Daniel) أطعمة نبوخذ نصر ملك بابل واكتنى بالقطاني والماء ، كما ورد في « الكتاب المقدس »
- Dan. I. 3-20.
- ويوجد حفر بارز يمثل دانيال بين أسدين ويرجع إلى القرن ٤ وهو في متحف راقتنا ، وهو مستمد من قصة دانيال مع داريوس ملك الفرس وإلقائه في جب الأسود لتضرعه إلى إلهه دون ملك الفرس ، ونجاته بفضل إيمانه كما ورد في الكتاب المقدس (دانيال ٥ و ٦)
- وتوجد تمثيلية دينية من وضع تلاميذ بوفييه في شمال فرنسا في القرن ١٢ ، وهي مستمدة من القصة السالفة الذكر وفيها عنصر ديني ودرامي واجتماعي ، إذ تحتوي ألحانها الموسيقية على نماذج من الأناشيد الجريجورية وعلى الحوار الدرامي والتعبير الإنساني وعلى ألحان متأثرة بموسيقى التروبادور ويساعدنا تذوق هذه الألحان على فهم شيء من روح دانيال ومن روح العصر ومن الكوميديا
- The Beauvais "Play of Daniel", 12th. century. (Deutsche).
- (٩٦) يعنى عصر الإنسان الذهبي قديماً
- (٩٧) أى أن الجوع والعطش يجعلان كل طعام وشراب شيئاً ثميناً ، وأورد أوفيدوس هذا المعنى
- Ov. Met. I. 103
- (٩٨) أكل يوحنا المعمدان الجراد والعسل البرى في الصحراء ، كما ورد في « الكتاب المقدس »
- Matt. III. 4; Marco, I. 6.
- (٩٩) ورد هذا المعنى في « الكتاب المقدس »
- Luca, VII. 28; Matt. XI.

الأنشودة الثالثة والعشرون^(١)

أخذ دانتي ينظر إلى الشجرة الخضراء - رمز الحياة - فاستحته فرجيليو على المسير ، فضى في سيره وهو يصغى إلى بكاء النهمين وترتيلهم ، وأحس بجمع من الأشباح يسرون في صمت وخشوع ، وجاءوا من وراء الشعراء الثلاثة وسبقوهم ونظروا إليهم في دهشة وعجب ، وكانوا شديدي الهزال حتى بدت محاجر عيوبهم كخواتم نخلت من جواهرها ورأى دانتي شبحاً مشوهاً نطق ببعض الكلمات فعرفه من صوته ، وكان هو صديقه فوريزى دوناتى الفلورنسى سأل فوريزى دانتي عن شخصه وعن الشبهين اللذين كانا معه ، فلم يجب دانتي توّاً بل استفسر عن حاله هو ، فقال فوريزى إن عذاب من اتبعوا شهوة حلوقهم هو أن يصيبهم الهزال ويتطهروا هنا بالجوع والعطش اللذين تثيرهما الفاكهة ورذاذ الماء المتساقط على الشجرة ، ويتجدد عذابهم كلما مروا أمامها في دورانهم سأل دانتي فوريزى كيف صعد إلى هذا الإفريز السادس ، وكان ينبغي عليه أن يبقى زمناً أطول مع الكسالى في مدخل المطهر ، فأجابه فوريزى بأن زوجته نيلاً قد حملته بدموعها على التوبة في الدنيا ، وأخرجته بصلواتها من شاطئ الكسالى في المطهر ، وهي محبوبة من الله ولا نظير لها في فعل الخير . ونحاطب دانتي بإعزاز قائلاً إنه يتنبأ بالقوانين التي ستمنع الفلورنسيات الصفيقات الوجوه من السير وهن عاريات الصدور والثدى ، وإنهن لو عرفن ما تعدّه لهن السماء لفغرن أفواههن باكيات نادمات على آثامهن وذكره دانتي بحياتهما معاً في عهد الشباب ، وقال إن فرجيليو قد أخرجته من الحياة الدنيا منذ قليل ، وقاده بجسمه الحى خلال عالم الجحيم ، وصعد به إلى جبل المطهر ، وسيصحبه حتى يلتقى بياتريتشى ، وقال إن الآخر--
 أي استاتيووس - هو من ارتجف من أجله الجبل عند تطهره من قبل

- ١ بينما كنت أمعن النظر في الأفرع الخضراء^(٢) ، كما اعتاد أن يفعل من يُسفق حياته في مطاردة صغار الطير^(٣) ،
- ٤ قال لي - من هو لدى أكثر من أب^(٤) : « فلتأت هنا يا بى الآن ، إذ ينبغي أن نقضى الوقت المحدد لنا على نحو أنفع^(٥) »
- ٧ فلفت وجهي إليه^(٦) ، ولم يكن خطوى أقل سرعة وراء الحكيمين اللذين كانا يتحدثان بطريقة ، جعلت مسيرى بدون عناء قطّ
- ١٠ وإذ بي أسمع^(٧) في ثنايا البكاء والترتيل^(٨) "يا رب افتح شفتي"^(٩) ، تقال بطريقة بعثت فينا البهجة والألم معاً^(١٠) .
- ١٣ فبدأت : « ما هذا الذي أسمع يا أبتاه الحبيب^(١١) ؟ » فقال لي « إنها أشباحٌ ربما تسير لكي تُوفى ما عليها من الدين^(١٢) »
- ١٦ وكما يفعل الحجّاج المتفكّرون^(١٣) ، حينما يبلغون في طريقهم قوماً غير معروفين لديهم ، فيلتفتون إليهم بلا توقّف^(١٤) -
- ١٩ هكذا تقدّم من خلفنا بسرعة^(١٥) جمعٌ من النفوس الصامتة الخاشعة ، وأقبلوا نحونا ، وتجاوزونا ، وهم ينظرون إلينا في عَجَب^(١٦) .
- ٢٢ كان كلُّ مهمم أغبر العينين أجوفهما^(١٧) وشاحب الوجه شديد الهزال ، حتى تشكّلت جلودهم بصورة عظامهم^(١٨)
- ٢٥ ولا أعتقد أن إريسكتون كان قد هزّل بالصوم حتى جيلده وعظمه^(١٩) ، حينما اشتدّ خوفه من ذلك^(٢٠)
- ٢٨ وقلت في نفسي متفكراً « هاهم القوم الذين فقدوا أورشلّم^(٢١) ، عندما أنشبت ماريا إلعازار أسنانها في ابها^(٢٢) ! »
- ٣١ ولقد بدت محاجر عيويهم خواتم بلا دُررٍ^(٢٣) وإن من يقرأ في وجه الرجال كلمة (OMO) يتبين هنا في وضوح حرف (M)^(٢٤)
- ٣٤ من ذا يعتقد - بغير أن يدري السبب - أن شذا ماء أو أريج تفاحة ، يمكنهما إغراء الإنسان بإثارة شهيته هكذا^(٢٥) ؟
- ٣٧ كان قد تولّاني العجب لما يُجميعهم على ذلك النحو، إذ لم يكن قد اتضح لي بعدُ مبعث هُزالهم ولا تغصّن جلودهم البشعة^(٢٦)

- ٤٠ حينما التفتَ إلىَّ شبحٌ بعينيه من غور رأسه (٢٧) ، وحلق فيَّ النظر ؛ ثم صاح عالياً « يا لها من نعمة مُنحت لي (٢٨) ! » .
- ٤٣ وما كنت لأتبينه أبداً برؤية وجهه ، ولكنَّ اتَّضح لي من صوته ما أخفاه التشويه من معالم وجهه (٢٩)
- ٤٦ وأشعلت هذه الشرارة أوار معرفتي بملاحه المتغيرة (٣٠) ، فتبينتُ فيها وجهَ دوناتي فوريزي (٣١)
- ٤٩ فتوسَّلتُ إلىَّ قائلاً : « آه ، لا تُحِفَلَنِّ بالقشور الجافة التي تجعل جلدي شاحب اللون ، ولا بما نالني من هزال الجسد (٣٢) ؛
- ٥٢ ولكن أصدقتني القول عن نفسك ، وقُلْ لي مَنْ هاتان النفسان اللتان تلتزمان هناك رفقتك (٣٣) ولا تظل هكذا صامتاً بدون أن تحدثني (٣٤) ! »
- ٥٥ فأجبتُه « إن وجهك الذي بكيته حين موتك ، يسبب لي من الألم ما لا يقلُّ عن ذي قبل ، و يبكييني حينما أراه مشوهاً على هذه الحال (٣٥)
- ٥٨ ولكن بالله خبرني ، ما الذي يُجرِّدك هكذا من أوراقك ولا تحملي على الكلام بينما يأخذني العجب (٣٦) ، إذ لا يحسن القول من هو برغبةٍ أخرى مُفعم (٣٧) »
- ٦١ فقال لي : « من الحكمة الأزلية يهبط في الماء فضلٌ (٣٨) ، كما على الشجرة التي خلَّفناها (٣٩) ، وبذا ينالني منه هذا النحول (٤٠)
- ٦٤ فإن كلَّ هؤلاء القوم الذين يرتلون في بكائهم ، لأنهم اتَّبعوا شهوة حلوقهم فوق كلِّ حساب - يستعيدون هنا طهارة نفوسهم بالجوع والظماً (٤١)
- ٦٧ ويذكي شهيتنا إلى الشراب والمأكل الأريج المنبعث من الفاكهة ومن رذاذ الماء الذي ينتثر فوقُّ على الأوراق الخضراء (٤٢)
- ٧٠ وفي دوراننا خلال هذه الدائرة (٤٣) ، لا يتجدد عذابنا مرة واحدة فحسبٌ ، وأقول عذابنا ، وكان يجدر بي أن أقول بهجتنا (٤٤) ،
- ٧٣ إذ تقودنا إلى الشجرتين (٤٥) ، ذات الرغبة التي حملت المسيح على أن يقول " إلهي " مبتهجاً ، حينما خلَّصنا بدمه المراق (٤٦) »

- ٧٦ فقلتُ له « يا فوريزى - منذ ذلك اليوم الذى استبدلتَ فيه بالحياة الدنيا حياةً أفضل ، لم تنقض بعدُ حتى هذه اللحظة خمس سنوات (٤٧) .
- ٧٩ وإذا كانت قد امتنعتُ قدرتك على ارتكاب المزيد من المعاصى ، قبل أن تحلّ ساعة التكفير العذب الذى يُعيد ارتباطنا بالله (٤٨) ،
- ٨٢ فكيف جئتَ سريعاً هنا فوقُ ؟ لقد ظننتُ أنى واجدُك هناك تحتُ فى أسفل (٤٩) ، حيث يُعوّض عن الزمن بالزمن (٥٠) .
- ٨٥ فقال لى « إنها عزيزتى نيلاً (٥١) ، التى حملتنى سريعاً بفيض دموعها ، على أن أشرب للعذاب شيئاً حلو المذاق (٥٢) .
- ٨٨ وبصلواتها الخاشعة وتنهّدها العميق - أخرجتنى من الشاطئ ، حيث تقف مرتقبةً أرواحَ المتطهرين (٥٣) ، وخلصتنى من الدوائر الأخرى (٥٤) .
- ٩١ إن أرملى العزيزة التى شُغِفْتُ بها حباً (٥٥) ، تلقى لدى الله شديدَ الإعزاز وفائقَ المحبة (٥٦) ، بقدر ما هى فريدةٌ فى فعل الخير (٥٧) ؛
- ٩٤ إذْ أن باربادُجا السردينية (٥٨) تبدو بنسائها أكثر حشمةً ، مما تبدو عليه باربادُجا (٥٩) التى تركتها فيها (٦٠) .
- ٩٧ وماذا تريدنى أن أقول يا أخى العزيز (٦١) ؟ فى باصرتى الآن زمانٌ مقبلٌ ، لن تكون هذه الساعة بالنسبة إليه بعيدة القيدم (٦٢) ،
- ١٠٠ وفيه ستُمنع - من فوق المنبر - نساء فلورنسا الصفيقات الوجوه من السير مظهراتٍ صدورهن وثديهن (٦٤) .
- ١٠٣ وأية بربرياتٍ عِشْنُ أبدأ ، وأية وثنيّاتٍ كنّ فى حاجةٍ إلى تعاليم روجيةٍ أو غيرها من النظم ، لحملهنّ على السير محتشمات (٦٥) ؟
- ١٠٦ ولكن لو أن عادمات الحياء كن عارفات بما تُعدّه لهنّ السماء السريعة الدوران - لَكُنَّ قد فَعَرْنَ أفواههنّ للعواء الآن (٦٦) ؛
- ١٠٩ لأنه إذا لم يكن ما أتنبأ به هنا أمراً خادعاً (٦٧) ، فسينال مهنّ الأسى قبل أن ينبت الشعر على خَدَّيْ مَنْ يُهدد فى المهدي الآن (٦٨) .

- ١١٢ إيه يا أخى - فَلتعمل الآن على ألا تُخفى عنى شيئاً^(٦٩)! وإناك ترى أنى
لست وحدى - بل إن هؤلاء القوم يتطلعون جميعاً - إلى حيث تحجب
الشمس^(٧٠) .
- ١١٥ ولذا أجبتَه « لو أنك استعدتَ إلى ذاكرتك كيف كنا وكيف عاش
كلُّ منّا فى رفقة صاحبه، لَظَلَّتْ ذكريات حياتنا ثقيلةَ الوقع علينا
فى هذه الآونة^(٧١)»
- ١١٨ وإن مَنَ يسير أمامى هو الذى أخرجى من تلك الحياة منذ بضع ليالٍ^(٧٢) ،
حينما بان لك مستديراً ، شقيقٌ منْ هى فى تلك الناحية^(٧٣) ، «
- ١٢١ وأشرت إلى الشمس^(٧٤) « وفى ظلمة الليل البهيم لِمَنَ ذاقوا حقاً طعم
المنون^(٧٥) ، اقتادنى ذلك الشبح بهذا الجسد الحى الذى يُتابعه^(٧٦) .
- ١٢٤ وبتشجيعه اجتذبنى من هناك إلى أعلى^(٧٧) ، وهو يصعد دائراً حول الجبل
الذى يُقومكم ، يا مَنَ انحرفتْ بكم شهوات الدنيا^(٧٨)
- ١٢٧ ويقول إنه سيبقى فى صُحبتى حتى أبلغ موضع بياتر يتشى^(٧٩) ، ولولاه لكان
من الحتم على أن أظلّ هنالك^(٨٠)
- ١٣٠ إنه فرجيليو هو الذى يحدّثنى على هذا المنوال ، وأشرت إليه ؛ « والآخر^(٨١)
هو الشبح الذى ارتجفتُ مملكتك من أجله فى كل منحدراتها
١٣٣ منذ هنيهةٍ ، إذُ تحرّر منه نفسها^(٨٢) »

حواشي الأنشودة الثالثة والعشرين

- (١) هذه هي الأنشودة الأولى الخاصة بالشهين النهمين وهي تكمل الجزء الأخير من الأنشودة السابقة ، وتسمى أنشودة فوريزى دوناتي .
- (٢) أخذ دانتي ينظر إلى أغصان الشجرة عسى أن يرى صاحب الصوت الذي سبق أن سمعه
Purg. XXII. 140
- (٣) التشبيه مأخوذ من تصرف صائد العصافير الصغيرة الذي ينفق كل وقته في صيدها وتوجد صورة صغيرة تمثل صيد صغار الطير وترجع إلى النصف الأول من القرن ١٤ وهي في مكتبة جامعة هيدلبرج
- (٤) يكرر دانتي نداء فرجيليو بلفظ الأبوة في مواضع كثيرة من الكوميديا مثل
Inf. VIII. 110; Purg. XIII. 34; XIV. 44; XV. 25, 124; XVII. 82;
- (٥) يخرج فرجيليو دانتي من تفكيره فيما سمعه ويدعوه إلى المسير
- (٦) يعنى أدار دانتي وجهه عن الشجرة
- (٧) سمع دانتي صوت المنهومين الشهين
- (٨) امتزج بكاء المنهومين بترتيلهم .
- (٩) هذا مأخوذ من « الكتاب المقدس » والمقصود أن المنهومين سيمحمدون الله عند فتح أفواههم ، أى أن الفم ليس مخلوقاً للطعام والشراب فحسب ، بل لحمد الله وتمجيده كذلك
Salm. LI. 15.
- (١٠) شعر دانتي بلذة الترتيل وأحس الألم لبكاء المتطهرين في وقت واحد .
- (١١) يستفسر دانتي عما سمعه ولم يكن قد رأى شيئاً بعد
- (١٢) يعنى لكى يتطهروا وقال دانتي في الأصل (لكى تحل عقدة ديها)
- (١٣) أى يفكرون في الحج المقدس
- (١٤) يعنى يتابعون السير لأنهم يحرصون على أداء الحج . والصورة مأخوذة من حياة الحجاج المخلصين .
- (١٥) هؤلاء هم الشهون الذين ساروا أسرع من الشعراء الثلاثة حتى سبقوهم
- (١٦) وصف دانتي لسير هذه الجماعة مأخوذ من ملاحظته الدقيقة في الحياة الواقعة ويرى بعض النقاد أن المنهومين سيكون ويرتلون عند الشجرتين في أول الدائرة وآخرها ، ويرى آخرون أنهم يفعلون ذلك في كل أنحاءها
- (١٧) أى فقدت عيون الشهين حيويتها وبريقها
- (١٨) هذا وصف دقيق للهزال والتحول مستمد من ملاحظة دانتي الدقيقة للجسم الإنساني ، وهذا هو عذاب الشهين ، ويشبه هذا ما أورده أوڤيديوس
Ov. Met. VIII. 803
- (١٩) إريسكتون (Eryschiton) ابن أحد ملوك تساليا الذى قطع شجرة لبخ في غابة الإلهة سيريس ، فعاقبته بأن جعلته يشعر بجوع مسعور فأكل كل شيء ، وباع ابنته لكى يأكل ، ثم أكل نفسه ! وورد أوڤيديوس أسطورته
OV. Met. VIII. 741-884.
- (٢٠) يعنى حينما ناله من الجوع - الذى كان عنده كالصوم - خوف أشد لأنه لم يبق له سوى أن يأكل نفسه !

- (٢١) أعاد منظر المهومين إلى ذاكرة دانتي ما عاناه اليهود من الجوع في أثناء حصار الرومان لأورشليم في سنة ٧٠
- (٢٢) في ذلك الوقت أكلت سيدة من النبلاء اسمها ماريا إيلعازار (Maria di Eleazaro) أكلت ابها من الجوع
- (٢٣) أى بدت الأعين غائرة كخواتم خلت من الأحجار الكريمة
- (٢٤) قرأ معلمو العصور الوسطى في وجه الإنسان تعبير : (OMO DEI) يعنى الإنسان من صنع الله ، وتصنع العينان حرفى (OO) وتصنع الأنف وخطوط الحاجبين والحدين بطريقة منحنية حرف (M) ، وتصنع الأذنان وفتحتا الأنف والفم كلمة (DEI) وبوضع أحرف الكلمتين اللاتينيتين المذكورتين معا ، يصبح وجه الإنسان بالصورة الآتية



- والمقصود بقول دانتي هو أن حرف (M) الذى يصنع خطوط الأنف والحاجبين والحدين كان واضحاً وحده على وجوه هؤلاء ، حينما لم تظهر أعينهم الغائرة بسبب الجوع والهزال الشديدين .
- (٢٥) يعنى أن من لا يعرف السبب يعتقد أن هزال هؤلاء كان بسبب رغبتهم فى الأكل والشرب واستخدم دانتي هنا فعل (التحكم أو السيطرة)
- (٢٦) استولى على دانتي العجب بدون أن يعرف سبب هزالهم ، وقد أصبح جلدهم جافا كقشر الحرب
- (٢٧) أى نظر إلى دانتي شبح بعينه الغائرتين
- (٢٨) عرف هذا الشبح فى دانتي شخص أحد أصدقائه ولذلك يتساءل عن النعمة التى نالها بوصول صديق إليه .
- (٢٩) لم يعرف دانتي هذا الشبح من وجهه بسبب التشويه الشديد ولكنه عرفه من صوته
- (٣٠) كان الصوت بمثابة شرارة أعادت إليه دانتي ذكرى صديقه فعرفه فوراً
- (٣١) فوريزى دوناتى (Forese Donati) من أسرة دوناتى من نبلاء فلورنسا ومن حزب السود ، وهو أخو كورسو وبيكاردا ، وكان من رفقاء دانتي فى شبابه ومن أقرباء زوجته جيما ومات فى ١٢٩٦
- وحدث بينهما صدام فتبادلا السباب والتراشق فى بعض القصائد ، فاتهم دانتي فوريزى بأنه أكل وزوج سىء ولصلاً وربما ارتكب الفاحشة مع زوجة أخيه . واتهم دوناتى دانتي بأنه ابن رجل لا سلام له فى قبره وأنه يعيش على أموال غيره - لاشتغال أبيه بالربا - وأذنه جبان ويصادق من يضربه ! وقد يكون فى هذه التهم المتبادلة بعض الحقيقة ولكنها ليست كلها حقيقية ، ويتفق هذا السباب والتراشق مع طبيعة الشعب الفلورنسى الحارة العنيفة ، فأحياناً تحدث مشادة بين اثنين ، وتبدأ بكلمة أو حركة تتلوها كلمات وحركات وضربات . وبعد ساعات أو أيام أو أسابيع أو شهور - على الأكثر - يلتقى المعتركان متصافيين متحابين . وسيحترم دانتي دوناتى فى المطهر الآن وسيبدي نحوه الإعزاز وفوريزى من أصدقاء دانتي الصادقين على قلة أصدقائه الحقيقيين . وأضفت هنا لفظ (دوناتى) مراعاة للأسلوب العربى .

- (٣٢) يسأل فوريزي دانتى ألا يحفل بالحال التي كان عليها
- (٣٣) ويسأله عن شخصه وعن الشبحين اللذين كانا معه
- (٣٤) هكذا يسأله ببساطة وحرارة ويحفره على الكلام وهذه هي لغة الأصدقاء المخلصين .
- (٣٥) بكى دانتى عند موت فوريزي كما يحزن الآن حتى البكاء حينما يراه على هذه الحال من التشويه . وأضفت (عن ذى قبل) لإيضاح المعنى .
- (٣٦) كان كل من دانتى وفوريزي متلهفًا على معرفة حال الآخر ولم يجب دانتى عن سؤال فوريزي بل استفسر أولاً عن حاله
- (٣٧) المقصود أن من تسيطر عليه رغبة ما لا يتكلم بما يناسب لأنه يكون غير متنبه لما يقوله
- (٣٨) يعنى يهبط فضل (أو قوة خاصة) من الحكمة الإلهية إلى الماء المنحدر من الصخرة العالية
- Purg. XXII. 137.
- (٣٩) وكذلك يهبط الفضل الإلهي على الشجرة
- Purg. XXII. 131.
- (٤٠) أى أصبح فوريزي هزيلًا نحيلًا بالقدرة الإلهية
- (٤١) هؤلاء هم الشهبون النهمون الذين لم يشبعوا من الأكل أبدأ وإنهم يتطهرون هنا بالجوع والعطش .
- (٤٢) يعنى أن رائحة الفاكهة والماء الذى ينتثر على أوراق الشجرة ولا يسقط منه شيء على الأرض
- Ov. Met. IV. 458
- تثير شهية هؤلاء إلى المأكل والمشرب ، ويشبه هذا قول أوفيدوس
- (٤٣) أى يحسون هذا العذاب فى أثناء دورانهم فى هذه الدائرة أو كلما مروا أمام الشجرة
- (٤٤) هذا لأن العذاب فى المطهر سبيل إلى الفردوس .
- (٤٥) يعنى شجرة الحياة عند مدخل الإفريز السادس (Purg. XXII. 131.) وشجرة المعرفة عند مخرج ذلك الإفريز (Purg. XXIV. 103)
- (٤٦) أى أن الذى يقود هؤلاء إلى الشجرتين المذكورتين ويجعلهم يحتملون آلام الجوع والعطش هو ذات الرغبة التى حملت المسيح على احتمال الموت - عند المسيحيين - واستنجاهه بالله ، كما ورد فى « الكتاب المقدس »
- Matt. XXVII. 46; Marco, XV. 34.
- وإن تذوق بعض الألحان الدينية التى تعبر عن آلام المسيح وعذابه واستنجاهه بالله قائلا « إلهى ، إلهى لماذا تركتني » يساعدنا على فهم شيء من الكوميديا وذلك مثل اللحن العظيم الذى وضعه جان سباستيان باخ فى القرن ١٨ عن آلام المسيح كما وردت على لسان القديس متى
- Bach, Jean - Sebastien St. Matthew Passion (Nixa).
- (٤٧) مات فوريزي فى يوليو ١٢٩٦ وبذلك لم تكن قد انقضت بعد ٤ سنوات على موته - وجعلها دانتى ٥ سنوات - ولذلك يظهر دانتى دهشته لأن هذه المدة لا تكفى للتطهر
- (٤٨) ساعة الأسى العذب هى ساعة الندم والتوبة وهذا هو ما يعيد الارتباط بين الله والإنسان .
- (٤٩) ظن دانتى أن مكان فوريزي هو مدخل المطهر بين المهملين لأنه تأخر فى الندم والتوبة .
- (٥٠) يبقى المهملون فى مدخل المطهر زمنًا يساوى زمن تأخرهم فى التوبة إذا لم تعاونهم صلوات أهل الأرض ، كما سبق
- Purg. IV. 130
- (٥١) نيلا هى جوفانيلا (Giovannella) أرملة فوريزي دوناتى ، لا يعرف عنها شيء كثير ، وذكرها دانتى فى بعض قصائده ووصف ما كانت تعانيه من السعال وغير ذلك من المتاعب .

- (٥٢) الشيخ مر الطعم ولكنه حلو لأن فيه الشفاء. والمقصود أن دموع نيلا حملت فوريزى على الندم والتوبة في أثناء الحياة ، وبهذا يستعذب الأسي والعذاب الذي يلاقه في سبيل التطهر
- (٥٣) عجلت نيلا بصلواتها الحاشعة خروج فوريزى من مدخل المطهر وأضفت لفظ (المتطهرين) للإيضاح
- (٥٤) وكذلك أخرجه نيلا بصلواتها من العذاب في الدوائر الخاصة بخطايا أخرى .
- (٥٥) هكذا يعبر فوريزى^٢ عن حبه لنيلا وبذلك يعوض عما سببه لها من المتاعب في أثناء الحياة
- (٥٦) هكذا هي محبوبة عزيزة لدى الله .
- (٥٧) يعترف فوريزى بأن زوجته كانت منقطعة النظر في فعل الخير
- (٥٨) باربادجا (Barbadgia) منطقة جبلية في وسط ساردينيا ، ويقال إن أهلها عاشوا في القرن الثالث الميلادي كالوحوش وإن نساءها كن يسرن عاريات ، وظلت أخبارهن تتوارد حتى عصر دانتى
- (٥٩) باربادجا هذه كناية عن فلورنسا والمقصود أن نساء فلورنسا الفاجرات كن أشد وحشية وأكثر إباحة من نساء باربادجا في وسط ساردينيا
- (٦٠) يعنى فلورنسا التي ترك فيها أرملة العزيزة ولقد رسم دانتى على لسان فوريزى في هذه الأبيات القليلة (٨٥ - ٩٦) شخصية جوفانايلا التي لقيت الإهمال وسوء المعاملة من زوجها في أثناء الحياة ، ومع ذلك فهي سيدة رقيقة وديعة مخلصنة لزوجها تحمله بدموعها على الندم والتوبة في الدنيا ، وتخلصه بصلواتها من بعض مراحل التطهر ، وهي محبوبة من الله وفريضة في صنع الخير ، وعبر فوريزى عن حبه لزوجته وبذلك عوض عما نالها منه في الحياة وجوفانايلا من أرق الشخصيات في الكوميديا، وهي تشبه من بعض الوجوه بيا دا تولومبي التي أخلصت لزوجها على رغم ما نالها منه (Purg. V. 140-136). وخلال جوفانايلا يظهر دانتى الرقيق الذي يعبر عن الحجة وفعل الخير والصفح والتكفير. وهكذا يصور دانتى بريشته البارة ظلالةً من خفايا النفس البشرية التي كانت تقاليد العصور الوسطى تحول دون ظهورها
- (٦١) يقطع فوريزى كلامه القاسى عن فلورنسا والفلورنسيات بهذا البيت الرقيق يوجهه إلى دانتى .
- (٦٢) أى لن يكون بعيداً الزمن الذى سيحرم فيه على الفلورنسيات إبراز صدورهن وتديهن .
- (٦٣) قاومت الكنيسة تهرج النساء وعدم احتشامهن ، ووعظ القساوسة في هذا الشأن ، ولكن لا يعرف أنه صدرت قرارات دينية خاصة بذلك وقتئذ ، وستصدر حكومة فلورنسا قوانين ضد بهرجة النساء بعد وفاة دانتى في ١٣٢٤ ، ووجد الاتجاه إلى مقاومة ذلك المسلك قبل صدور القوانين وتنفيذها
- (٦٤) هكذا يهاجم دانتى - على لسان فوريزى - نساء فلورنسا الصفيقات الوجوه الفاجرات . وتوجد صورتان تمثلان نساء فلورنسا وترجعان إلى القرن ١٤ واحدة من عمل أوركانيا والأخرى من عمل أندريا دى بنقنوتو وهما موجودتان في كنيسة سانتا ماريا نوفلا في فلورنسا وكذلك توجد صورة ثالثة من ذات القرن ولنفس الموضوع وهي من عمل جوفانى دا ميلانو وموجودة في كنيسة سانتا كروتشى في فلورنسا
- (٦٥) نساء البربر أو النساء (barbare) ربما يقصد بهن نساء شمالى أفريقيا وربما يقصد بهن مطلق النساء غير المتحضرات غير المسيحيات . وكان لفظ (saracini) يطلق في العصور

الوسطى على كل الشعوب غير المسيحية، بما فيهم من العرب والمسلمين (وإن كان هؤلاء هم الأصل في التسمية) ، وفيما عدا اليهود ، وكان يستخدم أحياناً كرادف للوثنيين . ويقصد دانتى أن النساء غير المسيحيات ، على وجه العموم ، لم يكن في المستوى الحضارى الذى يجعلهن في حاجة إلى القوانين الدينية والمدنية للكف عن حياة الخلاعة والتبرجح ويظلم دانتى النساء غير المسيحيات باعتبارهن نموذجاً للخلاعة، وبالمقارنة بيهن وبين نساء فلورنسا الفاجرات ، فالفجور والخلاعة موجودان لدى كل الشعوب ، وتعمل على تقويم الناس الأديان السماوية وتعاليم الأخلاق ولقد أخطأ دانتى في مجارته الرأى العام في التفرقة بين المسيحيات وغير المسيحيات من حيث السلوك .

(٦٦) يعنى إذا تأكدت نساء فلورنسا مما سينالهن من العذاب الوشيك الوقوع لفخرن أفواههن باكيات نادمات مستغفرات لما ارتكبهن من الفجور والخلاعة

(٦٧) هذا لأن الموقى يمتازون بالقدرة على رؤية المستقبل
Inf. X. 97 ...; XXVIII. 78.

(٦٨) أى سيصبح هؤلاء حزاني قبل أن يبلغ الأطفال الرضع مبلغ الرجال . والمقصود أنه حتى سنة ١٣١٥ سيعرض الفلورنسيون لمصاعب وويلات متعددة مثل الخلاف بين السود والبيض في ١٣٠٠ ، وقدوم هنرى السابع إلى إيطاليا ومحاصرته فلورنسا في ١٣١٢ ، وهزيمة قوات فلورنسا أمام قوات لوكا وبيزا بقيادة أوجوتشوني دلا فادجولا في معركة مونتكاتيني في ١٣١٥

(٦٩) يعنى بعد أن أفصح استاتيوس لدانتى عما أرادوه يرجوه ألا يخفى عنه شيئاً

(٧٠) أى طلب الأشباح الآخرون إلى دانتى نفس الشيء ونظروا إلى جسده الذى يحجب أشعة الشمس .

(٧١) يعنى إذا ذكر فوريزى أيام الشباب التى قضياها معا فستكون ذكراها ثقيلة لأنها مليئة بالآثام . وهذه كلمات قليلة موجوة مفعمة بالشجن .

(٧٢) أى أن فرجيليو أخرج دانتى من حياة الخطيئة - في هذه الرحلة الخيالية - في ٨ أبريل ١٣٠٠ ، منذ بضعة أيام
Inf. I. 1

(٧٣) كان القمر - شقيق الشمس - مكتملاً في ٨ أبريل ١٣٠٠

(٧٤) يجيب دانتى الآن عن سؤال فوريزى في بيتي ٥٢ و ٥٣

(٧٥) يعنى قاده فرجيليو خلال عالم الجحيم

(٧٦) سبق هذا المعنى
Purg. I. 44.

(٧٧) أخرج فرجيليو دانتى بإرشاده ونصائحه من عالم الجحيم إلى عالم المطهر

(٧٨) أى أن جبل المطهر يطهر النفوس التى أفسدتها الدنيا . وأضفت لفظ (شبهوات)

(٧٩) سبق مثل هذا المعنى
Inf. I. 131; Purg. VI. 45.

(٨٠) سيأتى هذا بعد
Purg. XXX. 43-54.

(٨١) الآخر هو استاتيوس .

(٨٢) تنزل جبل المطهر حينما تطهرت روح استاتيوس وأصبحت جديرة بالصعود إلى السماء

Purg. XX. 127 ...; XXI. 34

الأنشودة الرابعة والعشرون^(١)

سار الشعراء الثلاثة ومعهم فوريزى دوناتى ، ولم يتأخر مسيرهم بالكلام كما لم يتعطل كلامهم بالمسير وعرف دانتى أن بيكاردا دوناتى موجودة فى الفردوس ، وأشار فوريزى إلى الشاعر بونادجوتتا والبابا مارتينو الرابع ، ورأى دانتى أوبالدينو دلا پيلا يمزغ على فراغ بسبب الجوع ، ورأى مركيز دلى أرجوليووزى وسمع بونادجوتتا يههم باسم جنتوكا قال بونادجوتتا إن جنتوكا التى لا تغطى رأسها بعُصابة بعدُ ستجعل لوكا بهيجة حينما يزورها دانتى وتساءل بونادجوتتا هل يرى الشاعر الذى قال : «أيتها النساء اللاتى تدركن جوهر الحب » فقال دانتى إنه رجل يتمعن حينما يلهمه الحب ويعبر عنه بوحى عاطفته ، وبذلك أدرك بونادجوتتا الفارق بين دانتى وغيره من الشعراء السابقين الذين كان شعرهم تقليدياً وتعجل هؤلاء القوم المسير كما تفعل الكراكى حينما تزعم الانتقال لقضاء الشتاء فى بلاد النيل ، وتخلف فوريزى عنهم وسأل دانتى متى يراه ثانياً ، فقال إنه لن يرجع سريعاً ، ولن يسرع بناء على رغبته فى العودة إلى شاطئ المطهر ، وتنبأ بما سينال فلورنسا من الولايات قال فوريزى : إنه يرى أخاه كورسو مسحوباً عند ذنب دابة تعذبه فى الجحيم وانطلق فوريزى سريعاً كما يخرج فارس من بين جماعته لكى ينال شرف الالتحام بالعدو أولاً ، وبقى دانتى مع فرجيليو واستاتبوس وبعد سير طويل رأى دانتى شجرة أخرى محملة بالثمر ورأى تحتها قوماً يصيحون ويرفعون أيديهم كالأطفال الذين يطلبون الفاكهة بدون أن ينالوها وسمع دانتى أمثلة تقال عن خطايا النهم ، مثل القناطس الذين قاتلهم تيزيوس وهم سُكارى واليهود الذين شربوا الماء كالكلاب ، ومضى الثالثة فى سيرهم وهم يتفكرون بدون كلام . وسمع دانتى ملاك الاعتدال يسألهم لم يسيرون على هذه الحال من التفكير ؟ وخطف بريقه نظر دانتى ، وأحس بجناحي الملاك تزيلان من جبهته خطيئة النهم .

- ١ لم يهدأ كلامنا بالمسير كما لم يُبْطِء مسيرنا بالكلام (٢) ، ولكننا سارعنا الحُطى خِلال حديثنا (٣) ، كسفينة تدفعها رياحٌ مؤاتية (٤) ؛
- ٤ والأشباح التي بدت ككائنات ذاقت مرتين كأس الحمام (٥) ، ظهرت بشأنى فى أوقاب عيوها أمارات العجب - حينما تبينت أنى على قيد الحياة (٦) ،
- ٧ وقلت متابعاً حديثى (٧) « ربما تسير هذه الروح (٨) إلى أعلى ببطء أشدّ مما كان ينبغى لها - بسبب شخص آخر (٩) »
- ١٠ ولكن خبرنى إذا كنت تعرف أين بيكاردا (١٠) ، وقل لى إذا كنت أرى شخصاً جديراً بالاعتبار ، بين هؤلاء القوم الذين يمُعنون أنظارهم فى (١١) «
- ١٣ « إن شقيقتى - التي لا أدرى أتفوّقت فى جمالها أم فى حسن شمائلها (١٢) - تظفر الآن مبهجةً بتاجها فوق أوليمبس العالى (١٣) »
- ١٦ هكذا تكلم لأول وهلة ، ثم تابع كلامه : « ليس هنا ما يمنع من تسمية كلّ شبحٍ باسمه ، ما دام الصوم قد اعتصر ملاحظنا إلى هذه الحد (١٤) » .
- ١٩ ثم أشار بأصبعه قائلاً : « هو ذا بونادُ جونتنا ، بونادُ جونتنا دا لوكتا (١٥) ؛ وذلك الوجه من بعده - الذى اشتدّ هُزاله عن سائر رفاقه -
- ٢٢ كان قد احتضن بين ذراعيه (١٦) الكنيسة المقدّسة وأصله من مدينة تور ، وهو بالصوم يتطهّر من ثعابين بحيرة بولسينا ومن نبيذ قِرِناتشا (١٧) »
- ٢٥ وروى لى أسماء كثيرين غيرهما واحداً فواحداً ؛ وبدواً جميعاً أنهم راضون بتسميتهم ، إذ لم أر بينهم وجهاً كدراً (١٨)
- ٢٨ ورأيت أوبالدينو دلاًّ بيلا (١٩) ، يمضغ بأسنانه على فراغٍ من أثر الجوع (٢٠) ، ونظرت بونيفاتزيو (٢١) الذى رعى خلقاً كثيراً بعصاه ذات (الطابية) (٢٢)
- ٣١ ورأيت السيّد المركيز الذى أتيح له يوماً أن يشرب فى فورلى ، بدون أن يستشعر شديد العطش ، غير أنه كان إلى الحمر ظماناً بدون أن يرتوى منها أبداً (٢٣)
- ٣٤ ولكن كما يفعل من ينظر ثم يقدر شخصاً أكثر من غيره ، هكذا فعلت مع ذلك المواطن اللوكسى ، الذى بدا أشدّ حرصاً على التعرف إلى (٢٤)

- ٣٧ وكان يُنهمهم ؛ وسمعت شفّيته تردّان اسماً بدا كأنه "جنتوكّا" (٢٥) ،
 إذ أحسّ جُرحَ العدالة (٢٦) التي تجرّده على ذلك النحو (٢٧)
- ٤٠ فقلت « أيها الروح الذي يبدو مشوقاً للتحدّث إلىّ ، فلتحرص على أن
 أفهم طويبتك ، ولتدع حديثك يرضينا كلينا (٢٨) »
- ٤٣ فبدأ « لقد وُلدتُ صبّيةٌ - لا تضع بعدُ على شعرها عُصابةً (٢٩) -
 وستجعل مدينتي لديك بهيجة (٣٠) ، على الرغم من لوم الناس لإيّاها (٣١) .
- ٤٦ وإنك بهذه النبوءة (٣٢) لذهابُ إليها: وإذا كنتَ قد استخلصتَ من هممتي
 خطأً ، فستوضحه لك بعدُ الوقائع الصحيحة (٣٣)
- ٤٩ ولكن خبرني إذا كنتُ سأرى هنا منْ ابتدع القوافي الجديدة (٣٤) التي مطلعها:
 "أيتها النساء اللاتي تُدركن جوهر الحب" (٣٥) »
- ٥٢ فقلت له : « إنني رجلٌ أفطنٌ إلى الحبّ حينما يُلهمني ، وأمضي مُتغنياً به
 كما تمّليه عليّ نوابض قلبي (٣٦) »
- ٥٥ فقال « يا أخي ، إنني أتبيّن الآن العقدة التي أبقت الموثق (٣٧) ،
 وجويتوني (٣٨) ، وإيّاي (٣٩) ، بعيدين عن الأسلوب العذب الحديد الذي
 يبلغ سمعي (٤٠)
- ٥٨ وإنني لأرى بوضوح كيف تتبع أقلامكم عن كُتبٍ ، الصوت الذي يُملئ
 عليها (٤١) ، وهو ما لم يحدث لأقلامنا قطّ (٤٢) ؛
- ٦١ وإن منْ يبتغي من الإدراك مزيداً ، لا يرى سوى ذلك من فارقٍ بين
 كلا الأسلوبين (٤٣) » ؛ وصمت كأنه قد اقتنع بذلك (٤٤)
- ٦٤ وكالكراكي التي تقضي فصل الشتاء على ضفاف النيل ، فتصنع من
 نفسها سرباً في الهواء أحياناً ، ثم تجمع جِماع سرعتها وتطير منطلقةً في
 صفٍّ واحدٍ (٤٥) ؛
- ٦٧ هكذا جعل خطاهم كلُّ القوم الذين كانوا هنالك ، لافتين عنا وجوههم (٤٦) ،
 خفافاً بهزاهم وبالشوق الذي يحدوهم إلى الجرى (٤٧)
- ٧٠ وكالرجل الذي يُرهقه العدو ، فيدع رفاقه يتجاوزونه ، ويسير وثيداً حتى
 يهدأ لتهتُّ صدره (٤٨) ،

- ٧٣ هكذا ترك فوريزى الجمع المبارك يتجاوزهُ^(٤٩) ، وسار معى إلى الحلف قائلاً « متى أعود إلى رؤيتك^(٥٠) ؟ »
- ٧٦ فأجبتهُ « لست أدرى كم أمكث حياً ؛ ولكنّ عودتى لن تكون سريعةً ، غير أنى سأكون بقلبي مسراعاً على الشاطىء^(٥١) ،
- ٧٩ إذْ أن المكان الذى جعل لكى أعيش فيه^(٥٢) ، يزداد تجرّده من الخير يوماً فيوماً ، ويبدو مُقدراً عليه دمارٌ تاعس^(٥٣) »
- ٨٢ فقال لى : « فلنذهب عى الآن ، لأنّ منّ يناله من ذلك ملامةٌ أعظم^(٥٤) ، أراه مسحوباً عند ذنب دابةٍ^(٥٥) ، صوب الوادى الذى لا تتطهر فيه المعصية أبداً^(٥٦) »
- ٨٥ وفى كلّ خطوةٍ تزيد سرعة الدابة ، ويشتدّ عدوها أبداً حتى تركله ، تاركةً جسده مشوّهاً فى أبشع صورةٍ^(٥٧) .
- ٨٨ وإلى السماء رفع عينيه قائلاً « وان تدور هذه الدوائر كثيراً^(٥٨) ، حتى تستبين ما لا يقوى كلامى على زيادة إيضاحه^(٥٩) .
- ٩١ وإنى لتاركك الآن^(٦٠) ؛ إذْ أن وقتنا فى هذه المملكة ثمينٌ ، وسأضيّع منه قدراً كبيراً إذا ما سرتُ معاك وثيداً جنباً إلى جنب^(٦١) .
- ٩٤ وكما يندفع عدوّاً ذات مرةٍ فارسٌ من فصيلةٍ تمتطى صهوات الجياد ، وينطلق لكى ينال شرف الالتحام الأوّل^(٦٢) ،
- ٩٧ هكذا ابتعد عنا بنخطى سِراعٍ ؛ وبقيتُ فى الطريق مع هذين الاثنين ، اللذين كانا فى الدنيا معلّمين جليلي القدر^(٦٣)
- ١٠٠ وحينما ازداد بُعدهُ عنا ، وأخذتُ عيناى تُتابعان حركة عدوه ، كما تابع عقلى مضمون كلماته^(٦٤) ،
- ١٠٣ بدتُ لى أفرعٌ مُحَمَّلَةٌ يانعةٌ من شجرة تفاحٍ أخرى^(٦٥) ، ولم تكن كثيرة البعد عنا ، إذْ كنت قد اتجهت نحوها عندئذٍ فحسب^(٦٦)
- ١٠٦ ورأيت تحتها قوماً يرفعون أيديهم ويصيحون نحو أفرعها^(٦٧) ، لا أدرى بماذا ، كأطفالٍ نهيمين لا يقوون على شىء ،

- ١٠٩ ويرجون ، والمرجو لا يستجيب إليهم ، ولكي يُذكى من أوار شهيتهم ،
يرفع عالياً ما يرغبون فيه بدون أن يُخفيه عنهم^(٦٨)
- ١١٢ ثم ارتحلوا كأن لم تُساورهم في طلبتهم خديعة^(٦٩) ، وسارعنا أُلحطى^(٧٠) إلى
الشجرة العظيمة التي لا تستجيب للضراعة ولا للدموع الغزيرة .
- ١١٥ « فلتمضوا في سبيلكم قدماً بدون أن تقربوها فهناك شجرة تعلوها^(٧١) ،
وسبق أن أكلت منها حوآء ، وما هذه الشجرة سوى نبتة منها^(٧٢) » .
- ١١٨ هكذا كان يتكلم - من بين أفرع الشجرة - مَنْ لست أعرفه^(٧٣) ؛ ولذا
سِرنا إلى الأمام متلاصقين فرجيليو واستاتيوس وأنا ، في الجانب الذى
يذهب صُعداً^(٧٤)
- ١٢١ وقال « فلَتذكروا أبناء السحاب الملعونين ، الذين قاتلوا تيزيوس - وهم
سُكارى^(٧٥) - بصدورهم المزدوجة^(٧٦) ؛
- ١٢٤ ولَتذكروا اليهود الذين بدواً مستسلمين إلى الشرب ، ولذا لم يرغب جيدٌ عون
أن يتخذهم له رفاقاً ، حينما هبط التلال صوب ميديان^(٧٧) »
- ١٢٧ هكذا سِرنا مُلاصقين لإحدى الحافتين ، ونحن نصغى إلى خطايا النهم
التي تَلَّتْهَا الثمرات الوخيمة^(٧٨)
- ١٣٠ ثم تباعدنا^(٧٩) ، ومضينا إلى الأمام أكثر من ألف خطوة في عرض الطريق
الحالى^(٨٠) ، وكان كلُّ منا يتفكر بدون أن ينطق أحداً بكلمة^(٨١) .
- ١٣٣ وقال صوتٌ مفاجئٌ^(٨٢) « لمَ تذهبون ثلاثكم منفردين وأنتم تقدحون
زناد الفكر ؟ » ؛ ولذا ارتجفتُ كما تفعل صغار الحيوانات حينما تفرع^(٨٣)
- ١٣٦ فرفعتُ رأسى لكى أرى مَنْ كان ذلك الذى تكلم ؛ ولم يُرَ فى أتونٍ أبداً
زجاجٌ أو معادن متوهجةٌ شديدة الحمرة^(٨٤) ،
- ١٣٩ كما رأيت مَنْ يقول^(٨٥) « إذا راق لكم السير صُعداً فينبغى عليكم أن
تولّوا شطر هذه الناحية ؛ فهنا الطريق لِمَنْ يذهب سعياً فى طلب
السلام » .
- ١٤٢ ففقدت برؤيته إبصارى^(٨٦) ؛ ولذا تراجعتُ إلى ما وراء أستاذى ،
كَمَنْ يسير مسترشداً بما يبلغ سمعه^(٨٧)

- ١٤٥ وكما تهبّ أنسام الربيع - بشيرةُ الفجر - باعثةٌ ذكيَّ الشّذا ، وهي
مُفعمةٌ بأريجِ العُشب والأزهار (٨٨) ،
- ١٤٨ هكذا أحسستُ نسمةً تلمسُ منتصفَ جبيني ، وشعرتُ بهفهةِ أجنحةِ (٨٩) ،
بعثتُ في الأنسام شذاً عطِراً
- ١٥١ وسمعتُ مَنْ يقول « طوبى لمنْ تغمرهم بنورها نعمةُ الله ، حتى لن
تثير شهوةَ الطعام في نفوسهم شديدَ اللهفةِ إليه (٩٠) ،
- ١٥٤ إذ يجوعون جوعاً عادلاً أبداً (٩١) ! »

حواشي الأنشودة الرابعة والعشرين

- (١) هذه هي الأنشودة الثانية والأخيرة الخاصة بالشهرين وتسمى أنشودة بونادجونتا أوربيتشاني .
- (٢) يعنى كان دانتي وفوريزي يتكلمان في سيرهما
- (٣) كان دانتي يبذل مجهوداً في سيره بجسمه الحى ، أما فرجيلو واستاتيوس فلم يبذلا جهداً لأنهما روحان
- (٤) سار الشعراء الثلاثة كسفينة تدفعها ريح مؤاتية تحدهم الإرادة الصالحة وتقودهم النعمة الإلهية
- (٥) بدا الأشباح أنهم ماتوا مرتين لفرط ما أصابهم من الهزال
- (٦) تولى الأشباح الدهشة عند ما رأوا أن دانتي إنسان حى .
- (٧) كان حديث دانتي قد بدأ في الأنشودة السابقة
- (٨) أى روح استاتيوس
- (٩) يعنى روح فرجيليو والمقصود أن استاتيوس ربما سار متباطئاً ، وهو متجه إلى السماء ، لكى يبقى مع فرجيليو زمناً أطول ، ولم يكن فرجيليو مستطيعاً أن يسير بأسرع مما فعل لأنه يقود دانتي الإنسان الحى .
- (١٠) بيكاردا (Piccarda) أخت فوريزي دوناتي ، كانت راهبة وأرغمها أخوها كورسو على ترك الدير والزواج ، ومكانها في الفردوس
- (١١) يريد دانتي أن يعرف شخصاً ذا أهمية في هذا المكان
- (١٢) هذا تعبير لطيف عن بيكاردا ، ولا يدري فوريزي أفاق جمالها طيبها أم العكس .
- (١٣) أوليمبس (Olympus) سلسلة من الجبال تفصل مقدونيا عن تساليا ، واعتبرت مقر آلهة اليونان ، واستخدم الاسم مرادفاً للسماء ، وهذا ما يقصده دانتي هنا
- (١٤) أى ما دام الأشباح قد شوهوا بهزاهم الشديد فلا بد من تسميتهم حتى يمكن التعرف عليهم
- (١٥) بونادجونتا أوربيتشاني دلى أوفيراردى (Bonagiunta Orbicciani degli Overardi) عاش في لوكا في النصف الثاني من القرن ١٣ ، ونظم الشعر على طريقة شعر البروفنس ، ونظمه غير جيد واشتهر بالشه والإسراف في شرب الخمر
- (١٦) هو البابا مارتينو الرابع (Martino IV ١٢٨١-١٢٨٥) ، الذى عمل مدة طويلة خازناً لأموال كاتدرائية تور (Tours) في جنوب فرنسا ويعده دانتي مواطناً من تور وإن كان يرجع أصله إلى مونپنسيه وليس إلى تور .
- (١٧) مات مارتينو الرابع متخماً بأكل ثعابين السمك المأخوذة من بحيرة بولسينا (Bolsena) في وسط إيطاليا والمغموسة في نبيذ ثرناتشا (Vernaccia) المستخرج من الكروم التى تنبت في الجبال القريبة من جنوا
- (١٨) بدوا جميعاً أنهم راضون بذكر أسمائهم لاحتمال معاونت دانتي لهم بإقامة الصلوات من أجلهم في الدنيا ، ولذلك لم يردانتي على أحدهم نظرة الكدر أو الكفهرار

- (١٩) أوبالدينودلا پيلا (Ubal dini dalla Pila) نبيل فلورنسي عاش في النصف الثاني من القرن ١٣ ، وهو أخو الكاردينال أوتافيانو دلي أوبالديني (Inf. X. 120) وأبو رودجيري دلي أوبالديني أسقف پيزا (Inf. XXXIII. 13) ، واشتهر بالشره والنهم .
- (٢٠) كان يمتنع على فراغ . وهو جائع ، ويشبه هذا ما أورده أوفيدوس
- Ov. Met. VIII. 824-827.
- (٢١) بونيفاتزيو دي فيسكي (Bonifazio dei Fieschi) أصله من جنوا وأصبح أسقف رافنا ومات في ١٢٩٤ ، وكان رجل سياسة أكثر منه رجل دين واشتهر بجمع المال ، ولا يعرف عنه النهم في الأكل .
- (٢٢) المقصود أن أسقف رافنا قد وفر الغذاء لكثيرين ممن هم في دائرة اختصاصه في رومانيا وجزء من إميليا ، والعصا ذات الطابية (rocco) هي عصا أسقف رافنا التي كان مقبضها على صورة (طابية) الشطرنج
- (٢٣) مركيز دلي أرجوليوزي (Marchese degli Argogliosi) نبيل من فورلي وصار عمدة فاينترا في ٢٩٦ ، وكان مسرفاً في شرب الخمر وما يروى أنه سأل أتباعه مرة عن رأي الناس فيه ، فقالوا إنهم يقولون إنه يشرب الخمر على الدوام ، فقال ضاحكاً ولم لا يقولون إنني ظمآن أبداً !
- (٢٤) جال دانتي بنظره بين المتطهرين ورأى بونادجوتتا دا لوكا الذي كان حريصاً على التعرف إليه
- (٢٥) هناك خلاف بين العلماء الدانتيين حول شخصية جنتوكا (Gentucca) والأغلب أنها سيدة من لوكا ولقبها مورلا (Morla) وتزوجت بوناكورسي فوندورا (Bonaccorse Fondora) وعرفها دانتي في أثناء وجوده في لوكا ، ونشأت بينهما علاقة تعاطف ومحبة رقيقة هادئة . ويرى بعض شراح دانتي القدامى أن المقصود بجنتوكا ألدجا ابنة شقيق البابا أدريانو الخامس ، الذي سبقت الإشارة إليه
- Purg. XIX. 142-145.
- (٢٦) جرح العدالة هو الجزء العادل الذي يلقاه للتطهر من النهم والجشع .
- (٢٧) استخدم دانتي لفظ (piluccia) من اللاتينية بمعنى يتززع أو يجرد .
- (٢٨) أراد دانتي أن يوضح له بونادجوتتا ما قاله همساً وبذلك يرضى دانتي وبونادجوتتا معا
- (٢٩) أي كانت جنتوكا عذراء صغيرة فلم تضع بعد عصابة تغطي شعرها كعادة أهل العصر منعاً من الفتنة
- (٣٠) يعنى أن جنتوكا العذراء الصغيرة الخدابة ستجعل لوكا مدينة بهيجة لدى دانتي بما ستبديه نحوه من العطف والمودة
- (٣١) هذه إشارة إلى حرص أهل لوكا على المحافظة على استقلالهم ضد أطماع فلورنسا وپيزا ، وربما كانت هذه إشارة إلى شهرتهم وتسمية دانتي لهم بمقتضاها بالمرتشين (Inf. XXI. 41) ، وفي الحالين وجه بعض الناس اللوم إلى لوكا
- (٣٢) أي بناء على هذه النبوءة سيذهب دانتي إلى لوكا (فيما بين ١٣٠٧ و ١٣٠٩)
- (٢٣) يعنى أن ما سيراه دانتي في لوكا سيوضح له ما يكون قد غمض عليه الآن
- (٣٤) أي فتح دانتي بفته الشعرى صفحة جديدة في نشأة الأدب الإيطالي جاءت في إثر المراحل الشعرية السابقة عليه في الشعر الديني وشعر المدرسة الصقلية وشعر مدرسة بولونيا ثم شعر مدرسة تسكانا (أو مدرسة فلورنسا مدرسة الشعر العذب الحديث) ، التي كان دانتي نفسه من شعرائها .

(٣٥) هذه هي بداية القصيدة الأولى في « الحياة الجديدة » ، فحينما أحس دانتي بالحب وجه كلامه إلى النساء العاشقات اللاتي يدركن معنى الحب ، ويتكلم فيها عن بياترينشي التي تجعل من يراها نبيلاً وتكسبه النعمة الإلهية ، ويذكر أن جسدها في لون اللؤلؤ وأن عينها تجرحان من ينظر إليها ، ويقول إنه يتناول في قصيدته مادة جديدة تفوق ما سبق

V.N. XIX. 1-70.

(٣٦) يعنى أن دانتي عند ما يشعر بالحب يلاحظ أو يتأمل ويمعن النظر فيما يحسه ويسجله بحسب شعوره ، وتأتي ألفاظه صادقة مطابقة لعاطفته ، وهذا هو سر الفن الجديد وجوهره

V.N. XXIV. 3-4.

(٣٧) هو جاكومو دا لنتيني (Giacomo da Lentini) أحد موثقي الأباطور فرديريك الثاني ، الذي وضع مجموعة من القصائد على طريقة شعر البروفنس ، ومات حوالي سنة ١٢٥٠ وادمح دانتي بعض شعره في كتابه عن « اللهجة العامية »

De Vulg. Eloa I. XII. 8.

(٣٨) جويتوني داريتزو (Guittone d'Arezzo ١٢٣٠ - ١٢٩٤) من الرهبان الممتعين وعاش في فلورنسا ، وهو من شعراء مدرسة بولونيا ، التي كانت مرحلة بين شعر المدرسة الصقلية وشعر المدرسة التسكانية في القرن ١٣

(٣٩) أي بونادجوتتا الشاعر

(٤٠) يعنى العقبة التي باعدت بين هؤلاء الشعراء وشعر دانتي .

(٤١) يكرر بونادجوتتا الفكرة التي عبر عنها دانتي آنفاً بأن دانتي وأضرابه يكتبون الشعر بوحى من الحب الذي يملئ عليهم ما يقولونه

(٤٢) لم يفعل السابقون ذلك في الغالب لأنهم اتبعوا الشعر التقليدي

(٤٣) أي أن من يحاول معرفة الفارق بين أسلوب الشعر التقليدي والشعر الحديث سيدرك تأثر الشعر الحديث بوحى الحب

(٤٤) اقتنع بونادجوتتا بإدراك الفارق بين أسلوب الشعر ، ولا يريد أن يعرف أكثر من ذلك .

(٤٥) هذه صورة مأخوذة من ملاحظة الكراكي التي تهاجر شتاء من شمال أوروبا إلى ضفاف النيل الدافئة ، وتتكرر إشارته دانتي إلى الكراكي ، كما ذكرها لوكانوس

Inf. V. 46-47; Purg. XXVI. 43-45; Par. XVIII. 73-75. Luc. Phars. V. 711

(٤٦) يعنى نظروا إلى اليمين في اتجاه سيرهم وقد كانوا ينظرون إلى دانتي من قبل .

(٤٧) أي أن هزالهم ورغبتهم في التكفير والتطهر جعلتهم يندفعون بسرعة وخفة

(٤٨) هذه صورة مأخوذة من ملاحظة الرجل الذي يعدو فتلهث أنفاسه فيبطيء من سرعته ويسير وثيداً حتى يهدأ لهث نفسه

(٤٩) يعنى ترك فوريزي جماعة الشريين يتقدمون وتخلف هو لمحادثة دانتي على حدة

(٥٠) يسأل فوريزي دانتي بلطف ورقة متى يراه ثانياً وهذا هو إحساس الصديق نحو الصديق الذي

يوشك على فراقه ورؤية دانتي ثانياً يعنى بعد موته ، وهذا لأن دانتي جعل نفسه من السعداء الذين سيأتون إلى المطهر ثم الفردوس .

- (٥١) لا يعرف دانتي كم سيعيش ولكنه يعتقد أنه لن يموت سريعاً ، ولن تكفى مجرد رغبته للعودة سريعاً إلى المطهر ، وهذا يعنى أنه يرغب بقلبه في سرعة عودته إليه .
- (٥٢) يعنى فلورنسا وإن كان سينفى مها مدة العشرين سنة الأخيرة من حياته
- (٥٣) يتنبأ دانتي بما سينال فلورنسا من الويلات
- (٥٤) يتكلم فوريزى عن أخيه كورسو دوناتي (Corso Donati) زعيم الجلف السود في فلورنسا ، وهو من المسئولين عن هزيمة الجلف البيض في فلورنسا في ١٣٠١ ، وقد نفى دانتي عقب ذلك ، ثم وقع خلاف بين فريق من السود بزعامة كورسو وفريق آخر مهم بزعامة روسو دلا توزا وهرب كورسو من فلورنسا ولكن خصومه تعقبوه وقتلوه .
- وتوجد صورة صغيرة لمقتل كورسو دوناتي وترجع إلى القرن ١٤ وهى في مكتبة كيجى في روما
- (٥٥) يقال إن كورسو أصابته طعنة في حلقه وأخرى في جنبه وسقط عن جواده ، وجعل دانتي عقابه أن تجره دابة في الجحيم
- (٥٦) الوادى هنا يعنى الجحيم
- (٥٧) ظلت جثة كورسو مشوهة ملقاة في العراء حتى وجدها رهبان دير سان سالثى خارج فلورنسا.
- (٥٨) الدوائر تعنى السماوات
- (٥٩) أى لن تمر سنوات طويلة حتى يتضح المقصود بهذا الكلام وهذا يعنى أن كورسو سيلاق حتفه في ١٣٠٨
- (٦٠) في الأصل (فلتبق أنت الآن) والمعنى واحد .
- (٦١) يعنى فليظل دانتي مع فرجيليو واستاتيوس لأن الوقت ثمين في المطهر وكان دانتي رجلاً يعرف قيمة الوقت - وإذا سار فوريزى على خطاه فإنه يضيع كثيراً من الوقت المخصص لتطهره .
- (٦٢) هذه صورة مأخوذة من حياة الحرب في عصر دانتي ، حينما كان يخرج أحد الفرسان الشجعان من من فصيلته لكي يبادى العدو القتال
- (٦٣) أى فرجيليو واستاتيوس ، واستخدم دانتي لفظ مارشال (marescalcho) الألماني الأصل ويعنى معلم فن السلاح والفروسية .
- (٦٤) كان دانتي قد تابع في ذهنه نبوءة فوريزى بشأن كورسو وأحداث فلورنسا ولم تكن الصورة واضحة لديه ، وكذلك أخذ ينظر إلى فوريزى الذى سبقه إلى الأمام ولم تكن الرؤية واضحة له بسبب بعد المسافة .
- (٦٥) الشجرة الأولى هى شجرة الحياة في بداية الإفريز السادس (Purg. XXII. 130-141) ، وهذه الشجرة الثانية عند نهاية الإفريز السادس هى شجرة معرفة الخير والشر
- (٦٦) اتجه دانتي نحو الشجرة عند ما انتهت ثنية الجبل فظهرت الشجرة أمامه فجأة .
- (٦٧) هؤلاء هم الشرهون النهمون يحاولون قطف التفاح
- (٦٨) جعل دانتي النهمين كالأطفال الذين يطلبون شيئاً والكبار يداعبونهم ويبعدون بما يطلبونه عن متناولهم ، وهذه صورة حية مأخوذة من الحياة الواقعة . وتوجد صورة مقاربة عند هوميروس عن تانتالوس الذى سرق طعام الآلهة ، وكانت شائعة في أثناء العصور الوسطى

- (٦٩) ارتحل المنهزمون بعد أن يتسوا من الحصول على الفاكهة ، واقتنعوا بأنه لا سبيل إلى ذلك . وقلت
(كأن لم تساورهم في طلبهم خديعة) للإيضاح
- (٧٠) استخدم دانتى لفظ (adesso) بمعنى سريع في اللغة القديمة
- (٧١) توجد شجرة المعرفة في الفردوس الأرضى في أعلى جبل المطهر ، وورد هذا المعنى في « الكتاب
المقدس »
Purg. XXXII. 37
Gen. III. 6.
- (٧٢) يعنى أن الشجرة الحالية مأخوذة من الشجرة الموجودة في أعلى جبل المطهر
- (٧٣) ربما كان هذا أحد الملائكة وسيذكر مثالين عن خطيئة النهم .
- (٧٤) أى سار استاتيوس وفرجيليو ودانتى في الناحية التى يرتفع فيها صخر الجبل لأن الشجرة اعترضت
طريقهم .
- (٧٥) هذا مثال عن القناتس (الكائنات الخرافية التى تتكون من نصف إنسان ونصف حصان) وقد
ولدوا في السحاب ، وحضروا عرس بيريتوس ملك لايبتي وهيدوداميا وأسرفوا في شرب الخمر
حتى ثملوا فأرادوا اغتصاب العروس وغيرها من الفتيات فقاتلهم تيزيوس وهزمهم وسبق ذكرهم
وأورد أوڤيديوس أسطورتهم
Inf. XII. 56.
Ov. Met. XII. 210-535.
- (٧٦) صدورهم مزدوجة لأنها جمعت بين طبيعة الإنسان وطبيعة الحصان
- (٧٧) هذا مثال مأخوذ من التوراة ويتناول جدعون (Gideon) الذى أراد الهبوط من جبل جلعاد
(Gilead) لمهاجمة الميديانيين (Midianites) ، فجعل رجاله يشربون الماء فرأى أغلبهم يفعلون
كالكلاب النهمة إلا ٣٠٠ رجل شربوا الماء بأيديهم ، فأخذ جدعون معه الأخيرين وترك
الأغلبية ، وورد ذلك في « الكتاب المقدس »
Giud. VI., VII.
- (٧٨) يعنى ارتكبوا خطيئة النهم ثم نالوا العذاب والألم
- (٧٩) ساروا أولاً متلاصقين في حيز ضيق بسبب اعتراض الشجرة طريقهم ثم ساروا بعدئذ متباعدين
نوعاً في حيز أوسع .
- (٨٠) الطريق قفر خال لأن المتطهرين سارعوا إلى الأمام .
- (٨١) سار استاتيوس وفرجيليو ودانتى وكل مهم يفكر فيما رآه وسمعه
- (٨٢) هذا هو صوت ملاك الاعتدال حارس الإفريز السادس .
- (٨٣) ويرى بعض الشراح أن لفظ (poltre) مأخوذ من الفرنسية القديمة (poutre) بمعنى الصغيرة .
ويرى آخرون أنه يعنى الحيوانات الهادئة أو المستكينة أو المسترخية
- (٨٤) هذه صورة صورة مأخوذة من صناعة الزجاج والمعادن
- (٨٥) دعا الملاك الشعراء الثلاثة إلى الصعود عند هذا الموضع .
- (٨٦) عاق بهاء الملاك دانتى عن النظر
- (٨٧) تراجع دانتى حتى أصبح وراء أستاذه وأخذ يسير مهتدياً بما يسمعه حيناً تعذرت عليه الرؤية
- (٨٨) هذه صورة رقيقة رسمها دانتى مستوحياً ملاحظته للطبيعة وتأثره بهبوب نسائم الربيع قبيل الفجر
وشعوره بأريج الأزهار العطرة التى تملأ الجو . وأورد فرجيليو معنى مقارياً
Virg. Georg. IV. 415-418.

- (٨٩) هكذا يزِيل الملائك خطيئة النهم من جبين دانى .
- (٩٠) يعى طوبى لمن يتمتعون بنعمة الله فلا تثور لديهم شهوة جامحة إلى الطعام والشراب ويقترَب
Matt. V. 6. هذا المعنى مما ورد فى « الكتاب المقدس »
- (٩١) أى سيكون جوعهم إلى ما هو ضرورى فحسب ويقترَب هذا المعنى مما سبق عن الجوع العادل
Purg. XXII. 40. إلى الذهب

الأنشودة الخامسة والعشرون^(١)

صعد الشعراء الثلاثة السلم الذى يؤدى إلى الإفريز السابع - إفريز شهوة الجسد - وهمّ دانتى بالكلام ولكنه لم يستطع ، وكان فى ذلك كفرخ الطير الذى يحاول الطيران بدون جدوى ، فشجعه فرجيليو على الكلام ، فتساءل كيف ينحف الشبح وهو غير محتاج إلى الغذاء ، فحاول فرجيليو إيضاح الأمر له بمثال عن ميلياجرو وبمثال عن تحرك صورة الإنسان داخل المرأة ثم قال استاتيوس إن الدم النقى عند الرجل - النطفة - ينال فى القاب القدرة التى تُشكّل أعضاء الإنسان وتمنحها خصائصها ، وقال إن دم الرجل يمتزج بدم المرأة ، ويتجمد الأخير وتُبعث فيه الحياة ، ويتحول المخلوق من حيوان إلى إنسان بطريقة يعجز عن إدراكها الفلاسفة ، وينفث الله فى الجنين روحاً ويصنع نفساً كاملة وقال إنه حينما ينتهى عمر الإنسان تخرس القوى البشرية ولكن النفس العاقلة لا تموت ، بل تصبح أشد مضاء فى فعلها ، وتهبط عند شاطئ أكيرونى أو عند مصب التيبر ، وتشع من حولها القوة المُشكّلة بذات صورتها كما كانت فى الحياة ، وبذلك تصبح شبحاً - أوطيفاً - مرئياً ، ولذا تتكلم الأشباح والأطياف وتضحك وتبكي وتتهند . وبلغ الشعراء الثلاثة منطقة يطلق فيها الجبل ناراً عبر الطريق ، وفى مقابلها هب ريح تزيح النار فتفسح طريقاً للعبور وسمع دانتى ترتيل المتطهرين من خطايا الجسد ، ورأى أرواحاً تسير وسط النار ، ثم سمع نشيداً عن العذراء ماريا ونشيداً عن ديانا وهيليس ، وعلى هذا النحو كانت تلك الأرواح تتطهر من آثامها

- ١ كانت قد حلت الساعة التي لا يحتمل فيها الصعود وقوفاً^(٢) ؛ إذْ خالفت الشمس دائرةَ الزوال لبرج الثور^(٣) ، وخالفتها الليل لبرج العقرب^(٤) ؛
- ٤ ولذا فإنه كما يفعل الرجل الذي لا يتوقف ، بل يمضي في طريقه مهما اعترضه من العقبات - إذا حفزه إلى ذلك دافعٌ من الحاجة^(٥) -
- ٧ هكذا دخلنا خلال الثُّغرة^(٦) ، وتقدّمنا واحداً فواحداً ونحن نرتقى السلم ، الذي يُفرِّق بين الصاعدين عليه لضيق درجاته^(٧)
- ١٠ وكما يرفع جناحيه فرخُ اللقلق وهو في الطيران راغبٌ ، ولكنه لا يجرؤ على مبارحة عشّه ، فيرعى جناحيه إلى أسفل^(٨) ؛
- ١٣ هكذا أصبحتُ بالرغبة في السؤال التي اشتعلت في صدري ثم خببتُ ، بعد أن تحرّكتُ شفتاي كمن يهمّ بالكلام^(٩)
- ١٦ وعن الكلام لم يسكت أبي الحبيب على رغم سرعة سيره^(١٠) ، بل قال « فلما تطلق قوس كلماتك ، الذي سحبته حتى طرف سهمك^(١١) . »
- ١٩ عندئذ فتحتُ فاهي مطمئناً للكلام ؛ وبدأتُ « كيف يتأتى للأرواح أن تنحف إذْ لا حاجة بها لأن تُطعم^(١٢) ؟ »
- ٢٢ فقال « إذا أنت ذكرت كيف ذوى ميلياجرو بذوى جمرةٍ ، لما صعبَ عليك إدراك ذلك^(١٣) ؛
- ٢٥ ولو فكّرت كيف أن صورتك في المرآة تتبع في حركتها السريعة ذات حركاتك ، لأدركتَ في يسر ما يبدو لك أمراً صعب الفهم^(١٤) .
- ٢٨ ولكن لكي تجد نفسك الراحة فيما تتطلع إليه ، فلتنظر إلى استاتيوس^(١٥) ، وإني لأدعوه وأرجوه أن يكون مبرئ جراحك الآن^(١٦) »
- ٣١ فأجاب استاتيوس « إذا كشفتُ له هنا في حضورك^(١٧) عن الحقائق الأبدية ، فليكن عدوِّي أني لا أستطيع أن أرفض لك طلباً^(١٨) »
- ٣٤ ثم بدأ^(١٩) « إذا تلبّقتي عقلك يا بني كلماتي ووعاها^(٢٠) ، فستلتي ضوءاً على ما ألقيته على من سؤال^(٢١) »
- ٣٧ إن الدم النقي^(٢٢) الذي لا تتشربّه الشرايين العطاش أبداً^(٢٣) ، ويبقى كغذاء شأنه أن يُرفع عن المائدة^(٢٤) -

- ٤٠ ينال في القلب قوةً تمنح الحصاص لكل أعضاء الإنسان (٢٥) ، كما ينساب سائر الدم في الشرايين لكي يبى تلك الأعضاء (٢٦)
- ٤٣ وحينما يزداد نقاؤه ، ينزل حيث السكوت أجمل من الكلام (٢٧) ؛ ثم يقطر على دم الغير في الوعاء المعد لذلك (٢٨)
- ٤٦ وهناك يمتزجان معاً الواحد بالآخر ، أحدهما سلبي بطبعه ، والآخر إيجابي (٢٩) بكمال الموضع الذي ينبثق منه (٣٠) ؛
- ٤٩ وعندما يتحد هذا بذلك (٣١) - يشرع في عمله متخثراً بادىء ذى بدء ، ثم يمنح الحياة لما تكوّن من تجمّد الدم (٣٢)
- ٥٢ ولما تُصبح تلك القوة الفعالة نفساً كنفس النبات (٣٣) - وتختلف عنها إذ لا يزال عليها أن تشقّ طريقها ، على حين تكون الأخيرة قد بلغت مرساها (٣٤) -
- ٥٥ تواصل عندئذ نموّها ، وإذ بها تتحرك وتحسّ كما يفعل فطر البحر (٣٥) ؛ ثم تأخذ في صنع أعضاء للقوى التي هي بذرة لها (٣٦) .
- ٥٨ والآن - يا بُنى - تنمو وتمتدّ القوة المنبثقة من قلب الإنسان ، حيث تزوّد الطبيعة بها كلّ أعضائه (٣٧)
- ٦١ ولكنك لا تزال غير مُدرك كيف يُصبح الحيوان كائناً عاقلاً (٣٨) وإنها لمسألةٌ أضلت مَنْ هو أكثر منك علماً (٣٩) ،
- ٦٤ حتى إنه قد ميز في شرحه بين النفس والعقل الفعال ، إذ لم يرَ أنه قد اتخذ له عضواً (٤٠)
- ٦٧ ولتفتح صدرك للحقيقة الآتية (٤١) ؛ ولتعلّم أنه حينما يُصبح بناء المخ في الجنين مُكتملاً ،
- ٧٠ يتجه إليه المحرك الأول (٤٢) ، مبهجاً بمثل هذه الآية التي صنعتها الطبيعة (٤٣) ، وينفث فيه روحاً جديدة (٤٤) مُفعمةً بقوة (٤٥) ،
- ٧٣ تجذب إلى جوهره (٤٦) ما يجده فعّالاً هنالك ، ويصنع نفساً واحدة (٤٧) ، تحيا وتحس وتلدور بنفسها على نفسها (٤٨)

- ٧٦ ولكي يقلّ عجبك من كلامي، فلتنظر إلى حرارة الشمس التي تستحيل نبيذاً، حين تمتزج بالعصير الذي يفيض من الكرم^(٤٩)
- ٧٩ وعندما لا يصبح لدى لاخيسيس مزيداً من الكتان، تتحرّر النفس من جسدها^(٥٠)، وتحمل معها كلتا القوتين البشرية^(٥١) والإلهية^(٥٢)
- ٨٢ وتتعطّل سائر القوى الحاسة جميعاً^(٥٣)، ولكن الذاكرة والإدراك والإرادة تُصبح في فعلها أكمل مما كانت عليه من قبل^(٥٤).
- ٨٥ ومن تلقاء ذاتها ودون تلبّث تسقط بأعجوبة عند ضفة أحد النهرين^(٥٥): وهناك تعرف لأول وهلة مسالكها^(٥٦).
- ٨٨ وحينما يحتويها هناك مكانها الملائم^(٥٧)، تشعّ من حولها القوة المُشكّلة بذات صورتها وحجمها اللذين كانا لها في أعضائها الحيّة^(٥٨):
- ٩١ وكما حينما يتشبع الهواء بالأبخرة، يأخذ في التزيّن بألوان مختلفة، بالأشعة المنعكسة عليه من غيره^(٥٩)،
- ٩٤ هكذا نجد الهواء القريب إلينا، يتخذ تلك الهيئة التي تدمغه بها النفس، بما لها من القوة الكامنة حين تستقرّ هنالك^(٦٠)؛
- ٩٧ ثم تتبع الصورةُ الجديدة روحها^(٦١)، على نحو ما تتبع الشعلة نارها في كل مكان تنتقل إليه^(٦٢).
- ١٠٠ ولما كانت بذلك تُصبح مرئيةً، فقد سُمّيت شبحاً^(٦٣)، ثم تصنع بعدئذ أعضاءً لكل حواسّها حتى حاسة النظر^(٦٤)
- ١٠٣ وبذلك نتكلّم وبذلك نضحك؛ وبذلك نُذرف الدموع، ونطلق التنهد الذي كان في ميسورك أن تسمعه في مدارج الجبل^(٦٥)
- ١٠٦ ويتشكّل الشبح تبعاً لما تحفزنا إليه رغائبنا وسائر مشاعرنا^(٦٦)، وإلى هذا يرجع ما يتملّكك من أمارات العجب^(٦٧) «.
- ١٠٩ وكنا قد بلغنا عندئذ آخر دوائر العذاب^(٦٨)، والتفتنا إلى اليمين، واسترعى انتباهنا شأن آخر^(٦٩)
- ١١٢ فهنا تندلع من جانب الجبل إلى خارجه نارٌ مستعرة^(٧٠)، وإلى أعلى يزفر الإفريز بعصفة ريح^(٧١)، تميل بالنار وتُنحّيها عنه^(٧٢)؛

- ١١٥ ولذا كان علينا أن نسير على الجانب المفتوح واحداً فواحداً (٧٣) ؛ فقد خشيت النار في جانب ، وفي الجانب الآخر خفتُ السقوط إلى أسفل (٧٤)
- ١١٨ فقال مرشدى « ينبغي ألا نطلق العنان لأبصارنا في هذا الموضع ، إذ ما أيسر أن نزل بنا الأقدام (٧٥) »
- ١٢١ وعندئذ سمعتُ في قلب النار المستعرة ترتيلاً يقول : "إلهى يا عظيم الرحمة" (٧٦) ، حتى أصبحتُ بذلك أشدَّ حرصاً على الاتجاه إليه (٧٧) ؛
- ١٢٤ ورأيت أرواحاً تسير وسط اللهب ، فأخذتُ أنظر إليها وإلى خطواتى ، مُنْقَلَباً بصرى من لحظة لأخرى (٧٨) .
- ١٢٧ وحينما بلغوا ختام ترتيلهم صاحوا عالياً "لست أعرف رجلاً" (٧٩) ؛ ثم استأنفوا إنشادهم خفيضى الصوت (٨٠) .
- ١٣٠ ولما اختتموا ما أنشدوه عادوا إلى صياحهم قائلين « لقد ظلت ديانا في الغابة ، وطردت مها هيليس التى أحست سم فينوس الزعاف (٨١) »
- ١٣٣ وعندئذ عادوا ترتيلهم ، ثم ردّوا أسماء سيدات وأزواج عاشوا أطهاراً ، كما تقتضيه الفضيلة ويفرضه الزواج (٨٢)
- ١٣٦ وأعتقد أنهم يواصلون هذا الأسلوب (٨٣) ، طوال الوقت الذى يحترقون فيه بالنار وبمثل هذا العلاج (٨٤) وهذا الغذاء (٨٥) ،
- ١٣٩ ينبغي أن يلتئم جرحهم أخيراً (٨٦) .



١٠ - دانتي وٲرجيليو واستاتيوس ينظرون إلى المتطهرين في النار من شهوة الجسد

أنشودة ٢٥ ١٢١

حواشي الأنشودة الخامسة والعشرين

- (١) هذه هي الأنشودة الأولى من أنشودات شهوة الجسد وتسمى أنشودة توالد الجنس البشري .
- (٢) كان الشعراء الثلاثة صاعدين إلى الإفريز السابع دون إبطاء بسبب حرارة الشمس وضيق الوقت
- (٣) كانت الشمس في برج الحمل - بالنسبة للمطهر - عند الظهر أي وقت الزوال ، ثم سارت إلى أسفل حسب الحركة الظاهرة - وحل برج الثور في سمت الرأس بدلا من الشمس .
- (٤) وفي نفس الوقت بالنسبة لنصف الكرة الشمالي كان برج الميزان - منتصف الليل - قد انتقل وحل مكانه برج العقرب ولما كانت كل مرحلة في حركة الأبراج الإثني عشرة تتم كل ساعتين ، فإن هذا يعنى أن الساعة كانت حوالى الثانية بعد الظهر في المطهر وحوالى الثانية صباحاً في أورشليم
- (٥) هذه صورة واقعية للرجل الذى تحنزه الضرورة لمتابعة السير - إلى رغم ما يعترضه من العقبات .
- (٦) يعنى الطريق الضيق الذى يؤدى إلى الإفريز السابع ويرى بعض الشراح أن لفظ (callaia) يعنى المر أو المبر الضيق .
- (٧) كان السلم ضيقاً بحيث لم يتح للشعراء الثلاثة أن يصعدوا جنباً إلى جنب فصعدوا متفرقين الواحد مهم بعد الآخر
- (٨) هذه صورة دقيقة مأخوذة من حياة صغار اللقلق ، وبذلك يلون دانتى هذا الموقف تلويحاً حياً وتشبه هذه الصورة ما أورده استاتيوس Stat. Theb. X. 453
- (٩) رغب دانتى في الكلام وحرك شفثيه لكي ينطق ولكنه لم يفعل ذلك لأنه خشى أن يضايق فرجيليو ، وهذا تصوير دقيق لبعض مشاعر الإنسان
- (١٠) هذا لأن فرجيليو أدرك ما يساور دانتى من الفكر .
- (١١) سأل فرجيليو دانتى أن يتكلم ووازن بين حال دانتى حينها هم بالكلام دون أن يطق حال ومن يجذب القوس حتى رأس السهم المصنوع من الحديد دون أن يطلقه نحو هدفه وكان فرجيليو أراد أن يقول (ألا فلتطلق عقدة لسانك ، ولتعبّر عما يدور في رأسك)
- (١٢) أى كيف تنحف الأرواح ما دامت في غير حاجة إلى الطعام والشراب وهذه إشارة إلى ما سبق Purg. XXIII. 37-39.
- (١٣) ميليا جرو (Meleagro) بن أونيس ملك كاليديونيا الذى اختطف أمه أثيا قطعة خشب من نار متأججة ، لأن حياته كانت مرتبطة بالإبقاء عليها - كما قالت إلهة القدر . وكبر ميلياجرو وأحب أتلانتا وأعطاهما فراء الدب الكاليدوني بعد أن قتله ، وأحس أخواله الغيرة منه فخطفوا الفراء ، فقتلهم ميلياجرو ، فغضبت عليه أمه وألقت بقطعة الخشب في النار ، فمات باحتراقها وأورد أوفيدوس هذه الأسطورة والمقصود أنه كما ذوى ميلياجرو ومات باحتراق قطعة الخشب المذكورة ، على هذا النحو أصاب الهزال الشديد هؤلاء الأشباح عند رؤية الفاكهة :
- Ov. Met. VIII. 445
- (١٤) يعنى كما تنعكس حركات الإنسان في المرأة - بدون اتصال مادي - تتأثر الروح بالإحساس والانفعال .

- (١٥) أى أن استاتيوس الذى اعتنق المسيحية سيكون أقدر على إيضاح كل ما يسأل دانتى عنه .
- (١٦) الجراح هى الشكوك التى تشفيها المعرفة
- (١٧) يعنى حيث لفرجيليو موجود فى هذا الموضع وقبل الذهاب إلى منطقة أخرى .
- (١٨) يبدى استاتيوس عذره لإقدامه هنا على الشرح لأنه لا يستطيع أن يرفض لفرجيليو مطلباً . وهذا تعبير عن احترامه وإعزازه لفرجيليو .
- (١٩) يوجه استاتيوس كلامه الآن إلى دانتى .
- (٢٠) هناك بعض الشبه بين هذا التعبير وما ورد فى « الكتب المقدس » Prov. II.
- (٢١) تناول الكلام عن الجسم والروح أرسطو وتوماس الأكويني
- Arist. De Gener. Animal. I. 18-19; II. 1-4.
- d'Aq. Sum. Theol. I. CXVIII., CXIX.
- (٢٢) الدم النقى أو الكامل يعنى المنى . وأشار دانتى إلى التوالد البشرى فى « الوليمة »
- Conv. IV. XXI. 4-5.
- (٢٣) يعد المنى دماً نقياً لأنه خال مما يلونه باللون الأحمر ، ولا تشرب الشرايين هذا الدم النقى ، والشرايين ظمأى أو جائعة لأنها تمد أعضاء الجسم بالغذاء ، ولذا فهى فى حاجة إلى التعويض - كما عند أهل العصر
- (٢٤) يبقى الدم النقى كالغذاء الذى لم يمسه الآكلون فيرفع عن المائدة ، والمقصود أنه يذهب إلى المكان المخصص له .
- (٢٥) أى أن الدم النقى ينال من القلب القوة القادرة على أن تشكل أعضاء الجسم وتمنحها خصائصها المميزة
- (٢٦) يجرى سائر الدم فى الشرايين ليبنى أعضاء الإنسان .
- (٢٧) بعد المزيد من التنقية - يعنى بعد عمليات الهضم والتمثيل والتحول والدفع فى المعدة والكبد والقلب يهبط الدم النقى إلى الخصيتين ، ويذكرها دانتى بالتلميح دون التصريح - بحسب معرفة أهل العصر
- (٢٨) يعنى يدخل المنى فى المهبل أو فى الرحم .
- (٢٩) كانت الفكرة السائدة منذ القرن ٣ ق. م. هى أن دور المرأة فى الإنجاب دور سلبي محض بتلقيها منى الرجل فى الرحم واختلاطه بدمها الحيض . وتغيرت هذه الفكرة حينما أثبت العلم الحديث تلقيح حيوان الذكر المنوى لبويضة الأنثى التى يفرزها المبيضان إلى الرحم
- (٣٠) يعنى قلب الرجل الذى ينبثق منه الدم النقى - أو الذى سيصنع منه المنى
- (٣١) المقصود حينما يتحد دم المرأة بدم الرجل .
- (٣٢) عندئذ يتجمد السائل ثم تبعث فيه الحياة وأفاد دانتى فى هذا بما كتبه توماس الأكويني
- d'Aq. Sum. Theol. III. XXXIII.
- (٣٣) يعنى حينما تنشأ النفس فى ذلك المزيج من دم الرجل ودم المرأة - بحسب معرفة أهل العصر . وهذه هى النفس النامية
- (٣٤) أى أن نفس الإنسان تكون فى بداية تكوينها على حين تكون نفس النبات قد اكتملت تكوينها
- (٣٥) لفطر البحر حركة وإحساس ولكن فى أدنى صورها .

- (٣٦) يعنى تتكون أعضاء الحس في الخارج والباطن ، يعنى تنشأ النفس الحاسة .
- (٣٧) أى يستمر تكوين أعضاء الجسم بإمدادها بما هو ضرورى لها .
- (٣٨) يعنى لا يعرف كيف يتحول هذا الكائن في بطن أمه من حيوان إلى إنسان ، يعنى كيف تنشأ النفس العاقلة
- (٣٩) يقصد ابن رشد الذى أخذ برأى أرسطو ، ومكانه في اللبىو Inf. IV. 144.
- (٤٠) يرى ابن رشد في شرحه لكتاب النفس لأرسطو (كتاب ٣) أن المخ في الحيوان والإنسان عضو النفس الحاسة وأن العقل الفعال ليس له عضو خاص به في الإنسان لأنه إذا كان كذلك فإنه يكون عرضه للفساد والعقل الفعال عنده هو قوة إلهية علوية شاملة وليست خاصة بالأفراد كل مهم على حدة . وقد عارض توماس الأكويني هذا الرأي
- ابن رشد ، أبو الوليد تلخيص كتاب النفس . نشره أحمد فؤاد الأهواني . القاهرة ، ١٩٥٠ ص ٦٦ - ٩٥
- d'Aq. Sum. Theol. I. LXXVI. 2; LXXIX. 5; CXVII. 1; CXVIII. 2.
- (٤١) يلفت استاسيوس نظر دائى لكى ينتبه إلى ما سيقوله . وسيأتى في الفردوس ما يشبه هذا التعبير
- Par. V. 40.
- Par. I.
- (٤٢) أى الله كما سيأتى في الفردوس
- (٤٣) يعنى أن الله . ينظر بابتهاج إلى عملية الخلق والتكوين .
- (٤٤) هذه هى النفس العاقلة
- (٤٥) استخدم دائى لفظ (repleto) من اللاتينية بمعنى 'ممتلئ'
- (٤٦) أى مادة المخ بخصائصه التى لا تفسر تماما حتى الان
- (٤٧) يعنى يصنع الله نفسا تشمل عناصر النفس النامية (vegetativa) النفس الحاسة (sensitiva) والنفس العاقلة (intelletuale)
- (٤٨) أى يتكون الإنسان من وحدة مكتملة من جسم ونفس نامية حاسة عاقلة
- (٤٩) يستعين استاسيوس في شرحه بمثال عن صنع النبيذ الذى يحدث باتحاد أشعة الشمس الغير المادية بمادة عصير الكروم . والمقصود أن عناصر النفس النامية الحاسة العاقلة تكون باتحادها النفس المكتملة في الإنسان
- (٥٠) يعنى أن الإنسان يموت حينما ينتهى خيط الكتان الذى تغزله له لاختيسيس إلهة القدر ، وسبقت الإشارة إليها
- Purg. XXI. 25.
- (٥١) القوة البشرية هى القوة النامية والقوة الحاسة
- (٥٢) القوة الإلهية يقصد بها القوة العاقلة
- (٥٣) أى أنه بالموت تنتهى القوى الحاسة التى تعتمد على أعضاء الجسم
- (٥٤) يعنى أنه بالموت لا يتوقف عمل القوى أو الملكات التى تعتمد على النفس العاقلة ، بل تصبح أقوى
- Purg. IX. 16-18.
- ما كانت عليه في أثناء الحياة وفي هذا إشارة إلى ما سبق
- (٥٥) أى تسقط النفس الآثمة على شاطئ* أكبر ونقى وتسقط النفس الصالحة عند مصب التيار
- Inf. III. 70-122.
- Purg. II. 100-105.

- (٥٦) يعنى تعرف النفس مصيرها وهل فرض لها الله الخلاص أو اللعنة والعذاب
- (٥٧) أى حينما تذهب النفس إلى المكان الملائم لها عند شاطئ أكيروتى أو مصب التير
- (٥٨) يعنى أن القوة المشكلة (virtu informativa) - ويقصد بها مجموع النفوس النامية والحاسة والعاقلة - تشع بالصورة التى كان عليها الإنسان فى أثناء حياته
- (٥٩) هذه صورة مستمدة من بعض مظاهر الطبيعة ، حينما تنعكس أشعة الشمس على الجو المشبع بالبخار فيظهر قوس قزح والغير هنا يعنى الشمس .
- (٦٠) أى أن النفس التى تبقى هناك - أى التى لا تموت أبدا - تتخذ صورة الجسم الذى كان يحتوينا فى أثناء الحياة والمقصود أن أثر القوة المشكلة على النفس أو الروح هو كأثر الشمس فى تلوين الهواء بقوس قزح عندما يكون مشبعا بالبخار
- (٦١) يعنى أن الصورة الجديدة فى العالم الآخر تتبع روحها إلى كل مكان تتجه إليه
- (٦٢) هذه صورة مأخوذة من ملاحظة حركة النار . وفى الفردوس إشارة إلى حركة النار الدائمة

Par. I. 141.

- (٦٣) الشبح هو الصورة الجديدة المرئية
- (٦٤) يتخذ الشبح صورة الإنسان بكل أعضائه حتى العينين وحاسة النظر هى أشرف الحواس عند توماس الأكوينى
d'Aq. Sum. Theol. I. LXXVIII. 3.
- (٦٥) هكذا تتكلم الأشباح وتضحك وتبكي وتتهجد كما رأى دانتي وسمع من قبل ويقرب هذا من قول فرجيليو
Virg. Æn. VI. 733.
- (٦٦) أى يأخذ الشبح الشكل الذى يناسب الرغبات والمشاعر التى تساوره ، وتتخذ النفس فى حركاتها من الهواء ما كانت تتخذه من مادة الجسد فى أثناء حياتها ولفظ (affetti) يعنى هنا المشاعر بصورة عامة
- (٦٧) سبق أن أبدى دانتي دهشته فى بيتي ٢٠ و ٢١
- (٦٨) يعنى تعبير (ultima tortura) آخر دائرة للعذاب ويرى بعض الشراح أن دانتي يعنى آخر طريق منحرف أو منعطف والمقصود الإفريز السابع آخر حلقة للتطهر
- (٦٩) سار الشعراء الثلاثة وقد استرعى انتباههم النار المتأججة أمامهم وفكروا كيف يتجنبونها
- (٧٠) اندلعت النار من جانب الجبل ، واستخدم دانتي فعل (balestrare) بمعنى يطلق السهم من القوس والنار هنا رمز لشهوة الجسد
- (٧١) هبت ريح من طرف الإفريز الذى سار عليه الشعراء الثلاثة وسبق أن استخدم دانتي لفظ (fiato) الذى عبر به عن عصفه الريح
Inf. V. 42.
- Purg. XI. 100.
- (٧٢) أبعدت الريح النار الصادرة عن جانب الجبل وبذلك أفسحت طريقا لمرور الشعراء . وهذه هى المرة الوحيدة التى يستخدم فيها فعل (sequestrare) بمعنى يبعد .
- (٧٣) أى كان عليهم أن يسيروا على حافة الإفريز فى ناحية الجبل المفتوحة التى تطل على الهاوية وسبق أن عبر دانتي عن هذا المعنى بطريقة أخرى
- Purg. XIII. 81.
- (٧٤) هكذا تصور دانتي الخطر الجسيم الذى يهدده فى الجانبين ، وإن كانت النار لن تصيبه بأذى .

- (٧٥) حذر فرجيليو دانتي من السقوط لأن أقل خطأ كان من شأنه أن يعرضه للهلاك ، وكان دانتي كأنه جواد يسير ويعرضه للسقوط أصغر خطوة في غير موضعها
- (٧٦) هذا نشيد كنسي يرتل في صلاة السبت ، وهو دعاء يتلوه مرتكبو خطايا الجسد وهذا مثال عن الدعوة إلى التطهر
- (٧٧) ورد في الأصل تعبير معناه أن دانتي بسماحه ذلك النشيد لم يكن أقل حرصاً على الإلتجاء إلى قلب النار كما كان عليه من الحرص على تجنب الخطر في سيره ، حينما كان يخشى النار في جانب والسقوط في الجانب الآخر كما سبق في بيتي ١١٦ و ١١٧ وبدلاً من التعبير بنفى النفي أوردت تعبير الإثبات
- (٧٨) أخذ دانتي ينظر تارة إلى الأرواح التي تمشى وسط اللهب وينظر طوراً إلى الطريق الضيق وهو يخشى السقوط في الهاوية معرضاً نفسه للهلاك
- وعذاب شهوة الجسد بالنار في آخر هذه الأنشودة وفي الأنشودتين ٢٦ و ٢٧ يشبه بعض ما ورد في تراث الإسلام من أن عذاب النار عقاب عام للكفار . والتشابه قائم في العقوبة وإن اختلف في تطبيقها على مرتكبي المعصية
- الهندي كنز العمال (المصدر السابق الذكر) ص ٢٤٦ أرقام ٢٨١٠ و ٢٨١٤ و ٢٨١٥ و ٢٨١٦
- السمرقندي قرة العيون (المصدر السابق الذكر) . ص ٥ - ٨ .
- (٧٩) هذا مثال آخر عن العفة والطهارة ذكره المتطهرون بعد ختام النشيد المشار إليه ، وهو مأخوذ من قول العذراء ماريما كما ورد في « الكتاب المقدس » Luca, I. 34.
- (٨٠) ترتل الأرواح النشيد بصوت خفيض كأنهم يختمون الصلاة .
- (٨١) ديانا (Diana) ربة الصيد عند الرومان طردت هيليس (Helice) - إحدى حورياتها - من الغابة المقدسة لأنها خرجت على حياة العفة والطهر وأنجبت ولداً من جوبيتر كبير الآلهة وسم فينيوس (Venus) إلهة الحب هو السم الخاص بالحب الغير الشرعي وهذا مثال آخر للدعوة إلى حياة العفة والطهر . وأورد أوفيدوس هذه الأسطورة Ov. Met. II. 401-530.
- (٨٢) تابعت الأشباح ترتيلها وذكرت أسماء عدد من النساء والرجال الأعفاء الأطهار . وهذا تقابل بين الرذيلة والفضيلة
- (٨٣) المقصود أنهم استمروا يذكرون على التوالي شيئاً من الترتيل ثم شيئاً من أمثلة العفة والطهارة ويمكن أن تكون الترجمة هنا (وأعتقد أن هذا الأسلوب يكفيهم طوال الوقت الذي يحترقون فيه بالنار)
- (٨٤) يعنى بالإحترق بالنار .
- (٨٥) أى بمتابعتهم الإنشاد والترتيل وذكر أمثلة من حياة الطهر والعفة
- (٨٦) يعنى تتطهر أرواحهم من خطايا الجسد ويرى بعض الشراح أن تعبير (da sezzo) صفة للجرح وبذلك يمكن أن يعنى الأخير وعلى هذا فقد تكون الترجمة كالاتي (ينبغى أن يلتئم جرحهم الأخير - أو آخر جروحهم)

الأنشودة السادسة والعشرون^(١)

سار الشعراء الثلاثة الواحد أمام الآخر ، وظهر ظلّ دانتى على النار المشتعلة فازدادت توهجاً ، فالتفت الأشباح إلى هذه الظاهرة الغريبة ، واتجهوا إلى دانتى وهم حريصون على البقاء فى نطاق النار قال له جويدو جوينتزلى إنه وجماعته متعطشون إلى معرفة السبب فى انعكاس ظله على النار ، وعاق دانتى عن الإجابة رؤيته جماعة أخرى تسير داخل النار فى اتجاه مضاد ، وأخذ أفراد الجماعتين يقبأون بعضهم بعضاً قبلات خاطفة كالنمل حينما يلمس بعضه بعضاً عند تقابله . وصاحت الجماعة الثانية - الملوطنون - باسم سدوم وعمورة ، وصاحت الجماعة الأولى - مرتكبو الزنا - بما فعلته پاسيبى مع الثور ، وانفصلت الجماعتان وأخذتا فى الإنشاد والبكاء والصياح قال دانتى إنه جاء إلى المطهر بجسمه الحى بفضل النعمة الإلهية واستفسر دانتى عن شخص من كان يتحدث إليه ، فأوضح المتكلم خطيئة الجماعة الأولى والثانية ، ثم أفصح عن شخصه بأنه جويدو جوينتزلى . فاتجه دانتى إليه واعتبره كأب له ولسائر الشعراء فى المدرسة الفلورنسية الحديثة الذين نظموا الشعر العذب الرقيق ، وظل دانتى ينظر إليه متفكراً بدون أن يلمس النار ، ثم أعرب عن استعداده لخدمته ، وقال إنه حرص على الكلام معه لشعره العذب الذى سيجعل الحبر المدون به عزيزاً بقدر بقاء اللغة الحديثة وأشار جوينتزلتى إلى أرنو دانيل شاعر التروبادور البروفنسى ، وقال إنه فاق الجميع فى شعر الحب ، وسأل دانتى أن يصلى من أجله أمام السيد المسيح ، واختفى جوينتزلتى فى النار كاختفاء السمكة فى الماء وقال أرنو لدانتى إنه يبكى من أجل الخطيئة ، وإنه يتطلع إلى السعادة المقبلة ويرجو دانتى أن يصلى من أجله ، ثم اختفى فى النار التى تطهره

- ١ بينما كنا نسير على حافة الإفريز ، أهدنا أمام الآخر (٢) ، وردّ أستاذي الطيب قوله لي « خذ الحذر ، وعسى أن تُفيد بتنبهى إياك (٣) » ؛ -
- ٣ أصابت الشمس يمي كتنفى (٤) ، وبإشعاعها أحالت أرجاء المغرب من لونه اللازوردى إلى اللون الأبيض (٥) ؛
- ٧ وبظلي جعلتُ شعلة النار تبدو أشدّ حمرة (٦) ، ورأيتُ أشباحاً كثيرةً تتطّلع في مسيرها إلى هذه الظاهرة فحسب (٧)
- ١٠ وكان ذلك هو ما حملها على أن تأخذ في الحديث عني (٨) ، فشرعت تقول « لا يبدوّن هذا الآتى ذا جسد وهمي (٩) » .
- ١٣ ثم دنا بعضها منى قدر استطاعتها ، وهي حريصة دوماً على أن تظل حيث تحرقها شعلة اللهب (١٠)
- ١٦ « أيها السائر في إثر الآخرين (١١) ، لا ببطاً بل ربما احتراماً لهما - هلاً تجيبى - أنا الذى أحترق بالنار والعطش (١٢) ؛
- ١٩ ولست الوحيدة التى أرغب فى أن أنال منك جواباً (١٣) ؛ إذ أن هؤلاء جميعاً أشدّ ظمأً إليه من الهندي أو الإثيوپي إلى الماء البارد (١٤) .
- ٢٢ ولتخبرنا كيف يحدث أن تصنع من نفسك جداراً قبالة الشمس (١٥) ، كأنك لم تخطُ بعدُ إلى شباك الموت » .
- ٢٥ هكذا شرع أحدها يخاطبى ؛ وكنت سأفصح عن شخصى ، لو لم أكن قد انتبهت لشيء آخر عجيب بدا لي عندئذ (١٦) ؛
- ٢٨ إذ جاء في وسط الطريق الملتهب قومٌ ، اتجهتُ إلى هؤلاء وجوههم ، فجعلوني معلقاً بالتطلع إليهم (١٧) .
- ٣١ وهناك أرى في كلا الجانبين كلَّ شبحٍ يُسارع بدون تَلَبُّثٍ إلى لثم الآخر (١٨) ، راضياً بهذا الترحاب الخاطف (١٩)
- ٣٤ وهكذا يفعل النمل في صفوفه الدكّاء (٢٠) ، حينما تلتقى أفواه بعضها ببعض ، ربما لكى تتلمّس طريقها أو لتعرف طالعها (٢١)
- ٣٧ وحينما ينتهى أولئك من ترحابهم الصّدوق ، وقبل أن يتقدّموا بأولى خُطاهم ، يجهد كلٌّ منهم نفسه في الصباح بأعلى صوته (٢٢)

- ٤٠ وتقول الجماعة التي جاءت أخيراً « سدوم وعموره (٢٣) » ، وتقول الجماعة الأخرى (٢٤) : « تدخل پاسيبى فى جوف البقرة ، لكى يهرع الثور اليافع لإطفاء شهوتها (٢٥) »
- ٤٣ وكالكراكى (٢٦) ، التي يطير جزءٌ منها صوب جبال ريفان (٢٧) وجزءٌ نحو رمال الصحراء (٢٨) ، فيتحاشى هؤلاء برد الصقيع وأولئك حرارة الشمس (٢٩) ،
- ٤٦ هكذا تذهب جماعةٌ وتأتى أخرى (٣٠) ، ثم يعودون باكين إلى ترديد أناشيدهم السابقة ، وإلى الصياح بما هو أخلق بهم وأجدر (٣١) ؛
- ٤٩ وكما حدث من قبل ، اقترب منى أولئك الذين كانوا قد اتجهوا نحو مسائلين (٣٢) ، وبدا فى أعينهم حرصهم على أن يستمعوا إلى (٣٣)
- ٥٢ وأنا الذى كنت قد تبينتُ رغبتهم البهيجة هاتيك المرّتين (٣٤) ، بدأتُ قائلاً « أيتها النفوس الواثقة من نيل السلام - متى يحين أوانه (٣٥) -
- ٥٥ إن أعضاء جسدى لم تبقَ ناقصة النمو ولا مكتملةً فى ذياك الجانب ، ولكنها معى هنا بدمها ومفاصلها (٣٦) .
- ٥٨ وإنى لصاعدٌ فى هذه الطريق لكى أزيل الغشاوة عن بصيرتى (٣٧) : وفى الأعلى سيدةٌ تنال لى النعمة (٣٨) ، التي أحمل بها إلى عالمكم جسدى الفانى
- ٦١ ولكن قل لى - وعسى أن ترتوى عاجلاً أشدّ رغباتكم إلحاحاً - حتى تأويكم السماء المفعمة بالحبة والممتدة إلى أطراف الفضاء (٣٩) -
- ٦٤ قل لى من أنت - لكى أدوّنه بعدُ فى صفحتى (٤٠) - ومن هذه الجماعة التي تمضى من وراء ظهوركم فى سبيلها نائية عنكم (٤١) ؟ »
- ٦٧ ولا يختلف ما يمتلك ساكن الجبل من الاضطراب إذ يأخذه العجب ، وينعقد لسانه إذ يتطلع ، حين يرد المدينة بطبعه الحشن الشرس (٤٢) -
- ٧٠ لا يختلف هذا عما بدا على وجه كلّ شبح مهم ؛ ولكن عندما تخلصوا من عجبهم - وسرعان ما يحدث ذلك لذوى القلوب الكبيرة (٤٣) -
- ٧٣ استأنف كلامه من سألنى من قبل (٤٤) : « طوبى لك يا من توسق سفينتك بثمره الخبرة من شواطئنا - حتى تموت على أفضل حال (٤٥) !

- ٧٦ لقد زلّ القوم الذين لا يسيرون في طريقنا^(٤٦) ، بما سمع به قيصر وهو ظافرٌ ، لفظ " مَلِكَة " يتردّد عالياً على الألسنة في مواجهته^(٤٧)
- ٧٩ ولذلك فإنهم يرتحلون لآئمين أنفسهم صائحين " سدوم " - كما طرق سمعك - ونجّلهم يُذكون ضرام اللهب^(٤٨)
- ٨٢ كانت زلّتنا هي زلة هرما فروديتوس^(٤٩) ؛ ولأننا لم نتبع شريعة البشر^(٥٠) - باتباعنا - كالبهائم - شهوة الجسد^(٥١) -
- ٨٥ فإننا - حين نفترق - نصيح لِعَارِنَا باسم مَنْ جعلت من نفسها مطيّةً - في بطن البقرة المصنوعة من الخشب^(٥٢)
- ٨٨ وإنك لتعرف الآن فعالنا وما أوردنا موارد المعصية ؛ وإذا اتفق أنك في معرفتنا بأسمائنا راغبٌ ، فلا مجال الآن لذكرها^(٥٣) ، ولستُ بها خبيراً^(٥٤) .
- ٩١ ولكنني سأرضى رغبتك فيما يخصّتي إنني جويدو جوينتزلى^(٥٥) : ولقد بادرتُ إلى التطهر لأني بلغت غاية الندم ، قبل حلول ساعتى الأخيرة^(٥٦) »
- ٩٤ وكما عاد الابنان لرؤية أمهما ، حينما استولى الحزن على ليكورجوس^(٥٧) ، هكذا فعلتُ - وإن كنت لا أبلغ مبلغهما^(٥٨) -
- ٩٧ عندما أسمع أبي يُذكر اسمه^(٥٩) - والذي هو أبٌ لسائر من يفضلوننى^(٦٠) - بنظمهم أشعار المحبّة العذبة الرقيقة^(٦١) ؛
- ١٠٠ وسرتُ طويلاً وأنا أتفكر وأتطلع إليه ، بدون أن أصغى لصوت أو أنطق بكلمة^(٦٢) ، وعاقنتى النار عن أن أزداد اقتراباً إليه^(٦٣)
- ١٠٣ وبعد أن أشبعتُ عيى من النظر إليه^(٦٤) ، أفصحتُ عن أهبتى للتفانى في خدمته ، بالقسم الذى يبعث الثقة في قلوب الناس^(٦٥)
- ١٠٦ فقال لى « إنك ترك في نفسى - بما أسمعك منك^(٦٦) - أثراً بالغ العمق شديد الوضوح - حتى لتعجز مياه ليتى عن محوه أو طمسه^(٦٧) »
- ١٠٩ ولكن إذا كانت كلماتك الآن بالصدق قد أقسمتُ ، فلستُ تخبرنى بما يجعلك تُسبى لى محبتك فى كلامك ونظرتك^(٦٨) »
- ١١٢ فقلت له : « إنها أشعارك العذبة ، التى ستحفظ مِدَادَهَا عزيزاً غالياً^(٦٩) طالما تحيا لغتنا الحديثة^(٧٠) »

- ١١٥ قال « إن هذا الذى أميّزه لك بسبابتى يا أخى » - وأشار إلى روح تقدّمنا إلى الأمام - « كان أبرع مى نظماً فى لغته الأم^(٧١) »
- ١١٨ ولقد فاق الجميع فى شعر المحبّة وفى نثر قصصه^(٧٢) ؛ ودعّ الحمقى يهرفون ، الذين يعتقدون أن شاعر ليموجس أعلى منه شأواً^(٧٣)
- ١٢١ وللشائعات يستجيب الناس أكثر من استجابتهم للحقيقة^(٧٤) ، وبذا يبنون لهم رأياً قبل أن يستمعوا لصوت العقل أو الفن^(٧٥)
- ١٢٤ وهكذا تأثر بجويتونى^(٧٦) كثير من القُدّامى ، فأثروه وحده بآيات المديح من لسانٍ إلى آخر ، حتى غلبته فى عقول الكثيرين حقيقةٌ غيره^(٧٧)
- ١٢٧ وإذا كنتَ الآن مُنعماً بتلك الميزة العظيمة ، التى تُسبّح لك الصعود إلى ذلك الدير^(٧٨) ، حيث يستقرّ السيد المسيح رئيساً للمجمع^(٧٩) ،
- ١٣٠ فلتستلّ أمامه من أجلى "أبانا الذى . ، بقدر ما نحتاج إليه نحن سكّان هذا العالم^(٨٠) ، حيث لم نعد نقوى بعدُ على ارتكاب الخطيئة^(٨١)»
- ١٣٣ ثم اختفى فى النار كسمكة تغوص فى أعماق الماء - ربما لكى يفسح مجالاً لتطهّر غيره كان يتبعه عن كذب^(٨٢) .
- ١٣٦ فدنوتُ قليلاً إلى مَنْ أشير به إلى^(٨٣) ، وعبرتُ عمّا خالجنى من الرغبة فى أن أهيب لاسمه حتفىّ الترحاب^(٨٤)
- ١٣٩ فبدأ يقول عن طيب خاطر « إن طلبك الرقيق ليبعث فى قاي المسرّة حتى أجدنى غير مستطيعٍ ولا راغبٍ فى أن أُخى نفسى عنك^(٨٥) »
- ١٤٢ إننى "أرنو" الذى أبكى وأسير مُسْتبِداً^(٨٦) ؛ وإننى أتأمل فى جنون الماضى حزيناً ، وأتطلع سعيداً إلى البهجة التى آمل أن أراها فى غد^(٧٨)
- ١٤٥ وباسم ذلك الفضل الذى يقودك إلى ذروة السَلَمِ^(٨٨) - أرجوك الآن أن تذكر ألى فى الوقت المناسب^(٨٩) !
- ١٤٨ ثم توارى فى النار التى تطهّرهم^(٩٠)

حواشي الأنشودة السادسة والعشرين

- (١) هذه أنشودة مرتكبي خطايا الجسد وهي مكملة للسابقة وتسمى أنشودة جويدو جوينتزي
- (٢) سار الشعراء الثلاثة واحداً أمام الآخر لضيق المسافة الحالية من النار . ويشبه هذا ما سبق
Inf. XXIII. 2-3.
- (٣) حرص فرجيليو على أن يحذر دانتي من خطر السقوط في الهاوية ، كما فعل دائماً في المواقف الماثلة .
- (٤) يعنى أن الشمس كانت تهبط - بحسب الحركة الظاهرة - في طريق الغروب ولذا ضربت أشعتها الكتف اليمى لدانتي ، حسب سيره
- (٥) أى أن الساعة كانت بين الرابعة والخامسة بعد الظهر من يوم الثلاثاء ١٢ أبريل ١٣٠٠ ، ولهذا تغير لون السماء
- (٦) حجب دانتي بجسمه أشعة الشمس على الجزء المقابل له من النار المشتعلة ، ولذلك ظهر هذا الجزء أشد توهجاً من سائر أجزاء النار
- (٧) التفت الأشباح السائرون داخل النار إلى ما أحدثه ظل دانتي من الأثر في ذلك الجزء من النار ، وهو ما لم يعهدوه من قبل
- (٨) أخذ الأشباح يتحدثون عن دانتي ، وهؤلاء هم من ارتكبوا خطيئة الجسد
- (٩) يعنى أدرك الأشباح أن دانتي إنسان حى . وهذه إشارة إلى ما ورد في الأنشودة السابقة
Purg. XXV. 94.
- (١٠) حاول بعض الأشباح الاقتراب من دانتي بدون الخروج من نطاق النار لأنهم حريصون على إتمام تطهرهم في أقصر وقت ممكن . وسبق مثل هذا الموقف
Purg. XIV. 124; XVI. 142 ; XVIII. 115; XIX. 139;
- (١١) المتكلم هو الشاعر جويدو جوينتزي .
- (١٢) المقصود بالعطش الرغبة في معرفة شخص دانتي وكيف جاء إلى هذا المكان وهو على قيد الحياة ويشبه الكلام داخل النار ما سبق
Inf. XXVII. 24.
- (١٣) يتكلم جوينتزي نيابة عن رفاقه المتعطشين إلى معرفة شخص دانتي
- (١٤) يقارن هذا الروح العطش إلى المعرفة هنا بعطش الهندي أو الإثيوبي الذى يعيش في البلاد الحارة إلى الماء العذب المنعش ولقد اعتبر جغرافيو العصر أن إثيوبيا هي أقصى حدود أفريقيا الجنوبية في المنطقة الاستوائية
- (١٥) أى كيف ينعكس على النار المشتعلة ظل دانتي بجسمه الذى حجب أشعة الشمس
- (١٦) كان دانتي سيفصح عن شخصه لولا ظهور ما أثار دهشته وهذا موقف اعتراضى مفاجيء قصد به دانتي إلى إثارة انتباه القارئ وجعل الموقف يبدو حيا واقعيا . وسبقت مواقف مشابهة مثل
Inf. X. 52
- (١٧) هذه جماعة أخرى من مرتكبي خطيئة الجسد سارت في اتجاه مقابل للجماعة الأولى
- (١٨) قبل أفراد الجماعة الأولى أفراد الجماعة الثانية على وجه السرعة .

- (١٩) كان هذا التقبيل بمثابة عيد انقضى في لمح البصر واستخدم دانتي لفظ (festa)
- (٢٠) تصنع حشود النمل في سيرها خطأ داكن اللون
- (٢١) الحظ أو الطالع يقصد به ما سيحدثه النمل من القوت . وهذه صورة دقيقة مأخوذة من حياة النمل .
وأورد فرجيليو وأوفيدوس صورتين متقاربتين
Virg. Æn. IV. 404
Ov. Met. VII. 624-626.
- (٢٢) حاول كل منهم الصياح بأعلى صوته ونطقوا بأمثلة عن خطايا الجسد
- (٢٣) الجماعة الثانية جماعة الملوثين ويذكرون مثال سدوم وعمورة . وورد ذكرهم في « الكتاب المقدس »
وفي الجحيم
Gen. XVIII. 20; XIX. 1-25.
Inf. XI. 50; XV. 16
- (٢٤) الجماعة الأولى هم من ارتكبوا خطيئة الزنا
- (٢٥) تذكر الجماعة الأولى (المقصود بالأخرى) مثال پاسينى زوجة مينوس التي ارتكبت الإثم مع الثور داخل البقرة المصنوعة من الخشب وسبق ذكرها وأورد أسطورتها فرجيليو وأوفيدوس
Inf. XII. 13.
Virg. Æn. VI. 24-25.
Ov. Heroid. IV. 57.
- (٢٦) تكرر ذكر الكراكي
- (٢٧) جبال ريفان (Riphaean) سلسلة من الجبال الشاهقة عرفت بهذا الاسم في العصور القديمة في منطقة مهر الدون واتخذت في العصور الوسطى رمزاً للمناطق الشمالية الشديدة البرودة في أوروبا وآسيا وذكراها أروسيوس وفرجيليو وبرونيتو لاتيني
Oros. Hist. I. 2.
Virg. Georg. I. 240.
Lat. Trésor, I. 124.
- (٢٨) المقصود بالصحراء صحراء ليبيا في شمال أفريقيا
- (٢٩) لا يحدث طيران جزء من الكراكي شمالاً وجزء آخر منها جنوباً في وقت واحد ، إذ أن الطيور تهاجر في الربيع نحو الشمال لتجنب حرارة الصيف المقبل ، وتهاجر في الخريف نحو الجنوب هرباً من برودة الشتاء المقبل ، ولكن دانتي استخدم بخياله هذه الصورة على هذا النحو .
- (٣٠) يعنى يسير الملوثون في اتجاه يخالف اتجاه الشغراء الثلاثة على حين يسير مرتكبو الزنا في اتجاههم .
- (٣١) أى ينشدون ويصيحون كما فعلوا من قبل
- (٣٢) هذا هو ما سبق حدوثه في بيت ١٤
- (٣٣) دلت أعينهم على رغبتهم في الاستماع إلى دانتي ، وهكذا يعبر دانتي بالحركة والمظهر عن بعض خبايا النفس ، وبذلك خرج على بعض تقاليد العصور الوسطى
- (٣٤) ترجع بهجتهم إلى ما ينتظرون سماعه من دانتي ويقصد بالمرتين الآن وقبل قدوم الملوثين كما في بيت ١٣ وما يليه
- (٣٥) يعنى بعد التطهر من الخطيئة .
- (٣٦) أى أن دانتي لم يممت بعد صغيراً ولا كبيراً بل جاء بجسمه وأعضائه الحية إلى المطهر .

- (٣٧) في الأصل (لكيلا أظل أعمى مزيداً) ، والمقصود أن دانتى جاء هنا لكي يتطهر ويكف عن العيش في عالم الخطيئة
- (٣٨) يرى أغلب النقاد أن المقصود بالسيدة هنا بياتريتشى ويرى بعضهم أنها العذراء ماريّا
- (٣٩) يعنى سماء السماوات Par. XXX. 38
- (٤٠) يحرضه دانتى على الكلام بذكره في أشعاره
- (٤١) هؤلاء هم الملوطنون والمقصود أنهم يسرون وراء ظهور الجماعة الأخرى (جماعة مرتكبي الزنا) وفي اتجاه مخالف لها وأضفت (في سبيلها) لإيضاح المعنى
- (٤٢) هذه صورة صادقة مأخوذة من ملاحظة سكان الجبال حينما يأتون إلى المدينة لأول مرة ، فتبدو على وجوههم علامٌ الدهشة مثل رفع الحاجبين وفتح الفم وقال دانتى (inurba) وهذا من صنعه
- (٤٣) تزول سريعاً دهشة أصحاب القلوب الكبيرة ، وأشار دانتى في « الوليمة » إلى هذا المعنى Conv. IV. XXV. 5.
- (٤٤) هو جويدو جوينترلى الذى تحدث إلى دانتى أولاً كما سبق في بيت ١٦
- (٤٥) جوينترلى يبارك دانتى الذى جاء لكي ينال التجربة والخبرة فيؤدى به ذلك إلى أن يعيش حياة صالحة ويموت على حال أفضل
- (٤٦) أى الذين يسرون في اتجاه مخالف لسير الشعراء الثلاثة وهؤلاء هم الملوطنون
- (٤٧) يظهر أن دانتى قد مزج هنا بين روايتين، أوردتها سيتونيوس أصلاً عن تلقيب قيصر بالملكة . في المرة الأولى بمناسبة حياة الإباحة التى عاشها بعض الوقت في شبابه في بلاط نيقوميديوس ملك بيثينيا ، وفي المره الثانية حينما أقيم احتفال في روما بمناسبة انتصار قيصر في بلاد الغال ، وكان من المعتاد أن يعربد الجند في مثل تلك المناسبة وتطلق لهم الحرية للتعبير عما يحالجهم من نشوة الظفر ، ولكيلا يدخل الغرور على قلب القائد المنتصر ، فتغنوا باسم قيصر على أنه ملكة بيثينيا ولم يأخذ دانتى معلوماته عن سيتونيوس مباشرة ، بل أخذها عن طريق أوجوتشوفى دايزا في كتابه عن «الاشتقاق الكبير». وليس معنى ذلك أن دانتى اعتقد بقيام علاقة جنسية شاذة بين نيقوميديوس وقيصر ، لانه وضع قيصر في اللبوفى مقدمة الجحيم ، مع بعض عطاء العالمين القديم والوسيط ، ولا بأس بأن يتكلم دانتى هنا بهذه الطريقة الخيالية
- (٤٨) يعنى أنهم بئد منهم وصياحهم يعجلون بتطهرهم Seutonium, V. Juli Caesaris, C. 49.
- (٤٩) في الأساطير الرومانية اليونانية أن هرمافروديتوس (Hermaphroditus) ابن هرمس (عطارد) وأفروديت (فينوس) ورث عن أبويه الجمال الفائق ، فعشقتة الحورية سالماتشى في ينبوع سلاميس بقرب هاليكارناسوس ، وحاولت إغراهه بدون جدوى ، وأدى بها عشقها له إلى أن تحتضنه وهو يسبح عارياً في ينبوع وتضرعت إلى الآلهة أن يتحد جسمها بجسمه أبداً ، فامتجابت لها الآلهة وصارا جسداً واحداً يجمع بين خصائص الذكر والأنثى . واتخذ دانتى من هذه الأسطورة رمزاً لشهوة الجسد وارتكاب الخطيئة مع الجنس الآخر لا مع الجنس ذاته والمقصود بهذا أن جوينترلى ينتمى إلى هذه الجماعة من مرتكبي الزنا وأورد أوفيدىوس أسطورة هرمافروديتوس
- Ov. Met. IV. 288-388.
- (٥٠) ولكن هؤلاء ارتكبوا الزنا ضاربين صفحاً عن القوانين والشرائع .

- (٥١) عبر دانتي عن هذا المعنى فى « الوليمة »
 Conv. II. VII. 4.
- (٥٢) يقصد پاسيو التى ارتكبت الخطيئة كالبهيمه داخل البقرة الحشبية ، كما سبق فى بيتى ٤١ و ٤٢
- (٥٣) هذا لأن الشمس كانت تميل إلى الغروب والوقت ضيق
- (٥٤) لا يعرف جوينتزل أسماء رفاقه العديدين
- (٥٥) جويدو جوينتزل (١٢٣٠-١٢٧٦ ؟ Guido Guinizelli) من أسرة اپرنثيبي (Principi) فى بولونيا ، طرد من وطنه مع غيره من الجبلين فى ١٢٧٤ ومات فى المنفى ، وهو من أهم شعراء إيطاليا قبل دانتي ، ومن شعراء مدرسة بولونيا ، كما أنه يعد مؤسس مدرسة الشعر الفلورنسى الحديث ، ويمتاز بشعره العاطفى الرقيق .
- (٥٦) يتطهر جوينتزل من خطيئة الزنا وقلت (ساعى الأخيرة) مراعاة للأسلوب العربى .
- (٥٧) هذه أسطورة هيبسيل (Hypspile) ملكة لمنوس التى أسرها القراصنة وباعوها إلى ليكورجوس (Lycurgus) ملك نيميا الذى عهد إليها بالعناية بطفله فات بلدغة أفعى فحكم عليها بالموت ، وفيما هى تسير لتنفيذ حكم الإعدام فيها عرفها ابناها التوأمان من جاسون ، واندفعا إليها يمانقانها وأنقذاها واستصدرا أمر العفو عنها من ليكورجوس . وسبقت الإشارة إلى هذه الأسطورة وأوردها استاتيوس :
 Inf. XVIII. 91-95.
- Stat. Theb. V. 720
- (٥٨) أى هم دانتي أن يفعل كما فعل الابنان مع أمهما ولكن ليس إلى الحد الذى يجعله يدخل النار لعناق جوينتزل لأنه كان يخشى الاحتراق
- (٥٩) يقدر دانتي جوينتزل ويعزه كأب وأستاذ له
- (٦٠) ويعدده كأب ومعلم لسائر شعراء مدرسة بولونيا ومدرسة الشعر الفلورنسى الحديث الذين يفضلهم دانتي على نفسه ، مثل جويتوفى داريتزو وتشينو دا پستويا وجويدو كافالكانتى .
- (٦١) هكذا يحدد دانتي خصائص الشعر فى مدرسة فلورنسا
- (٦٢) هذا التفكير والتأمل والإستغراق دليل على الاحترام والإعزاز
- (٦٣) كان دانتي راغبا فى عناق جوينتزل ولكن حالت النيران دون ذلك
- (٦٤) كان دانتي يتغذى بالنظر إلى جوينتزل وهذا دليل على الاحترام والاجلال والمحبة .
- (٦٥) يعنى أقسم دانتي لجوينتزل باستعداده لخدمته وفى الأصل ورد لفظ (affermare) ويعنى التوكيد أو التوثيق .
- (٦٦) أى بما قاله له دانتي فى أبيات ٥٥ - ٦٠
- (٦٧) يعنى أن أثر القسم أو العهد لا تزيله مياه مهر ليتى - نهر النسيان
- Purg. XXVIII. 130; XXXI. 91 XXXIII. 91
- (٦٨) أى ما فات فى أبيات ١٠ - ١٠٥
- (٦٩) يعنى أن شعره الرقيق سيجعل المداد الذى دون به مداداً عزيزاً ثميناً .
- (٧٠) أى لهجة فلورنسا أو تسكانا التى أصبحت هى اللغة الإيطالية .
- (٧١) يشير إلى أرنو دانيل الشاعر הפרوفنسى - وسيأتى ذكره بعد - واللغة الأم هنا هى لغة הפרوفنس .
- (٧٢) لم يكتسب أرنو قصصاً فى الحب ولكن ربما أراد دانتي أن يقول إنه فاق غيره من الشعراء والناثرين .

- (٧٣) شاعر ليموجس (Limoges) هو جيرو دي بورني (Girault de Borneil) الشاعر البروفنسي الذي عاش في أواخر القرن ١٢ وأوائل القرن ١٣
- (٧٤) في الأصل (يتجه الناس بوجوههم) والمعنى واحد
- (٧٥) هكذا يعبر دانتى عن ميل الناس إلى الأخذ بالشائعات بدون التثبت من الحقيقة ويقرب هذا من قول بويتوس Boet. Cons. Phil. III. 6.
- (٧٦) جويتوني داريتزو (Guittone d'Arezzo) أحد شعراء مدرسة بولونيا الواقعة بين مدرسة صقلية ومدرسة فلورنسا وسبقت الإشارة إليه Purg. XXIV. 56.
- (٧٧) يعنى عرف الناس الحقيقية وفاقه غير فيما بعد
- (٧٨) الدير يقصد به الفردوس . وسبق مثل هذا التعبير Purg. XV. 57.
- (٧٩) المسيح هنا كرئيس الرهبان وأب لجماعة الطوباويين في الفردوس
- (٨٠) المقصود بسكان هذا العالم أهل المطهر
- (٨١) يرجو جويتوني دانتى بأن يذكر الجزء المناسب من صلاة الأحد أمام السيد المسيح كما وردت في الكتاب المقدس (متى: ٦: ٩ .) ، يعنى أنه ليس في حاجة إلى تلاوة الفقرة القائلة (لا تدخلنا في تجربة) لأن الأرواح لا يمكنها أن تخضع لتأثير الشيطان ولا تستطيع ارتكاب الخطيئة ، وذلك لكي ينال النعمة الإلهية . وسبقت صلاة الأحد Purg. XI. 1-25.
- (٨٢) هذا تشبيه دقيق مأخوذ من ملاحظة حركة السمك في الماء .
- (٨٣) هذا ما فعله جويتوني من قبل في بيت ١١٦
- (٨٤) هذا تعبير رقيق يدل على الترحاب والحفاوة بشخص عزيز
- (٨٥) يرد أرنو رداً رقيقاً ويقول إنه لا يستطيع إخفاء شخصه عن دانتى ، ويتكلم بلغة البروفنسي ، وتبدو هذه الأبيات بهجة رقيقة بحركاتها الخفيفة
- (٨٦) أرنو دانييل (Arnaut Daniel) أحد شعراء التروبادير البروفنسيين ظهر شعره في الفترة الواقعة بين ١١٨٠ و ١٢٠٠ وينتمى إلى أسرة ريبيرك النبيلة من منطقة بيريجورد - في مقاطعة دوردوني الحالية - قضى بعض الوقت في بلاط ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا وكان يسميه ملك دوفر وزار باريس حيث حضر تتويج فيليب أغسطس ، وقصد إلى أسبانيا وربما زار إيطاليا وبقيت بعض أشعاره التي كتبها بأسلوب تقليدي يسوده الغموض . ولا يتفق المحدثون مع دانتى في تقييم شعره ، ربما لضيق أغلبه ، وقد أيد پتراركا دانتى في تقديره لشعر أرنو : De Vulg. Eloq. II. 2, 6, 10, 12.
- Pet. Trionfo d'Amore, IV. 38-42.
- (٨٧) لا يذكر أرنو سوى خطيئته وأمله في بلوغ مراتب السعادة الطوباوية
- (٨٨) أى القوة الإلهية التي تقوده إلى أعلى المطهر .
- (٨٩) يعنى يسأل دانتى أن يصلى من أجله في الدنيا لكي يقص زمن تطهره .
- (٩٠) هكذا كان أرنو حريصاً على التطهر في النار المحرقة .

الأنشودة السابعة والعشرون^(١)

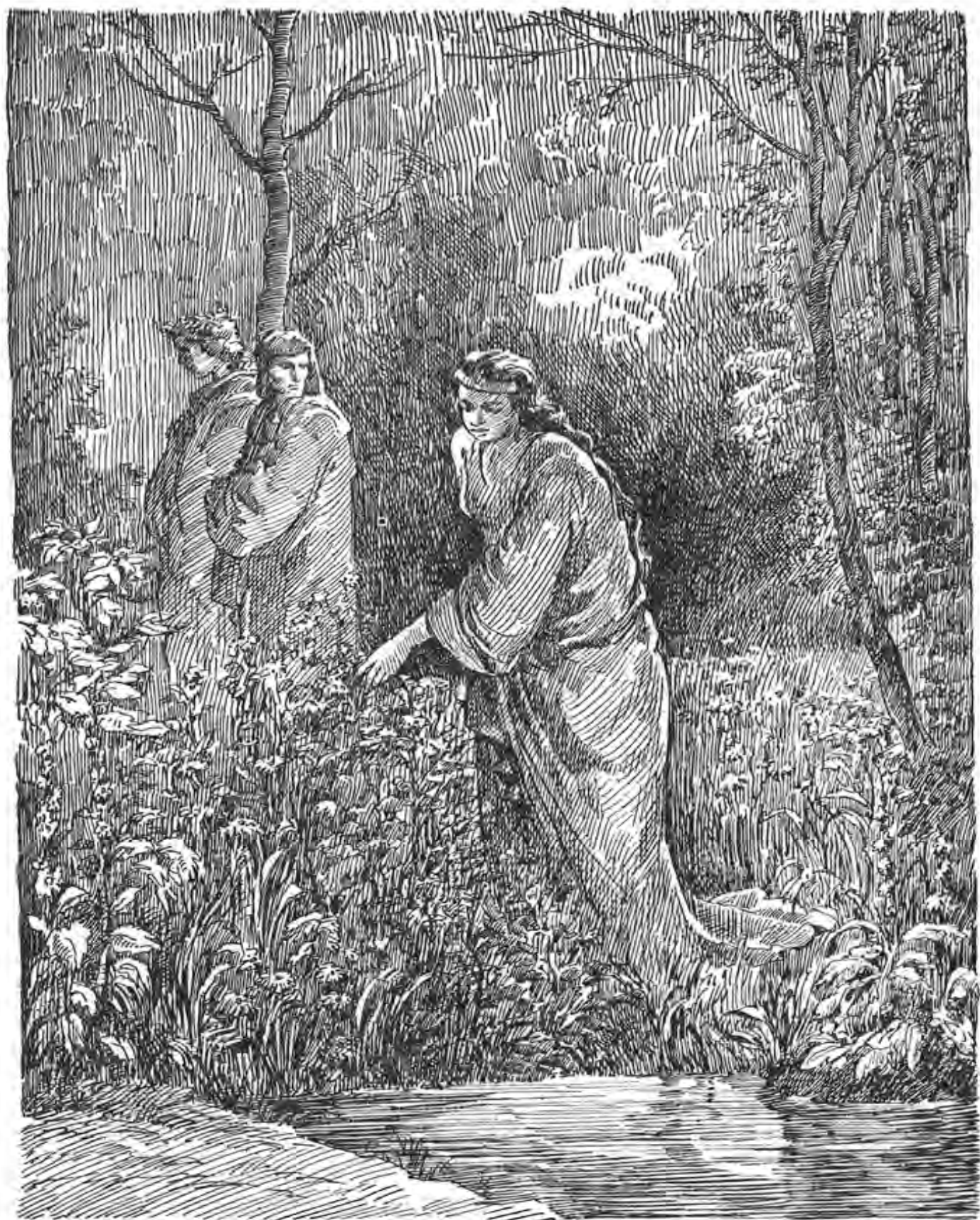
كانت الشمس آخذة في الغروب حينما سمع دانتى ملاك العفة والطهارة حارس الإفريز السابع يتغنى بمباركة الأنقياء القلب ، وأفاد الشعراء الثلاثة بضرورة عبورهم منطقة من النار ، فتولّى دانتى الخوف ، فقال له فرجيليو إن هذه النار قد تعذبه ولكنها لن تقتله ، وذكره ببعض المخاطر التي أنقذه منها من قبل ، وقال إن النار لن تنزع منه شعرة واحدة ، ودعاها لأن يطرح مخاوفه ويدخل النار آمناً ولكن دانتى ظلّ واقفاً مضطرباً ، فقال له فرجيليو إنه لم يعد بينه وبين بياتريتشى سوى هذه النار ، فزال عن دانتى الخوف وتقدم فرجيليو يتبعه دانتى ومن ورائهما سار استاتيوس ، وأحس دانتى بشدة النار ، ولكن فرجيليو أخذ يحدثه عن بياتريتشى لكي يشجعه ويساعده على الاحتمال وسمع الشعراء الثلاثة الملاك حارس السلم الذى يؤدى إلى الفردوس الأرضى يرتل بعض الآيات ، فخرجوا بسمع صوته من النار وصعد الثلاثة على بعض درجات السلم حينما غربت الشمس فنام كل منهم على إحدى درجاته ، وفى الليل صار دانتى كالعنزة فى حراسة راعيين ، وأخذه النوم بينما كان يفكر وينظر إلى النجوم وقبيل فجر الأربعاء (١٣ أبريل ١٣٠٠) رأى فى الحلم لَيْسَةَ (لِيَا) تغنى قائلة إنها تصنع لنفسها إكليلاً من الأزهار ، وإن أختها راحيل حريصة على النظر فى مرآها إلى عينيها الجميلتين وبطلوع النهار استيقظ الشعراء الثلاثة ، وسارع دانتى إلى متابعة الصعود ، وحدته فرجيليو حديث الوداع - دون أن يُشعره بذلك - قائلاً إنه قاده حتى هنا وإنه أصبح الآن بغير حاجة إليه بعد أن تطهرت نفسه ، وسوف تأتى إليه بياتريتشى ، وإن إرادته قد أصبحت حرة نقية ، وبذلك جعله سيد نفسه .

- ١ وكما عندما تُرسل الشمس أولى أشعتها (٢) ، حيث (٣) أراق دمه صانعها (٤) ،
بينما يقع مهر الإبرو تحت برج الميزان وهو في أعلى سمته (٥) ،
- ٤ وحين تغلي أمواج الكنج عند الظهيرة (٦) - هكذا كانت الشمس في
مستقرها ، وعندئذ أخذ النهار يولي (٧) ، حينما تبدى لنا ملاك الله بوجهه
البشوش (٨)
- ٧ ووقف على الشاطئ خارج اللهب ، وأخذ يرتل " طوبى للأتقياء القلب ! " (٩)
بصوت فاقت أنغامه كل ما يصدر عن البشر (١٠)
- ١٠ ولما اقتربنا إليه قال لنا « لا يمكنكم السير قدماً أيها النفوس المباركة ،
بدون أن تحترقوا بالنار (١١) ؛ فلدتدخلوها ،
- ١٣ ولا تصموا آذانكم عما يُرتل في الجانب الآخر (١٢) » ؛ ولذا أصبحتُ
- حينما سمعته - كمن يلتقي به في القبر وهو على قيد الحياة (١٣)
- ١٦ فانحيتُ إلى الأمام بيدين مضمومتين إلى صدري (١٤) ، ونظرت إلى اللهب (١٥) ،
وتمثلتُ في صور مجسمة أجساد بشرٍ ، كنت قد رأيتهم من قبل يحترقون
في النار (١٦) .
- ١٩ واتجه نحوي دليلاى الأمينان (١٧) ؛ وقال لي فرجيليو « ربما ينال منك
العذاب ها هنا يا بُنى ، ولكنه لن يبلغ بك حد الموت (١٨)
- ٢٢ ألا فلدتذكر ، ألا فلتذكر! (١٩) إذا كنت قد قدتك على ظهر جيريوني
في سلام (٢٠) ، فماذا أنا صانعُ بك الآن ونحن أقرب إلى رحاب الله (٢١) ؟
- ٢٥ فلستكُ واثقاً كل الثقة بأنك إذا بقيت في بطن هذه النار (٢٢) ألف سنة
كاملة ، فلن يمكنها أن تنزع إحدى شعراتك (٢٣)
- ٢٨ وإذا كنت تعتقد أني ربما أخدعك - فلدتقرب منها ولتعمل على التثبيت
من صحة قولي - واضعاً يديك على طرف ثوبك (٢٤)
- ٣١ والآن فلدتدع عنك - فلدتدع عنك كل مخافة ولتتجه هنا ؛
ولتأت ، ولتدخل مطمئناً ! « ولكني ظللت واقفاً على الرغم مما حفزني
إليه ضميري (٢٥)

- ٣٤ ولما رآني ما زلتُ واقفاً صلياً بدون حراك وقد تولّاني بعض الاضطراب ، قال لي « فلتتعلم الآن يا بى أنه لم يعد بينك وبين بياتريتشى سوى هذا الجدار (٢٦) »
- ٣٧ وكما على اسمِ ثِسْبِي فتح پيراموس عينيه ونظر إليها ، وهو يجود بآخر أنفاسه ، حينما اصطبغتُ ثمار التوت بحُمرة الدم (٢٧) ؛ -
- ٤٠ هكذا تحوّلتُ صلابتي إلى اللين (٢٨) ، واتجهتُ إلى دليلي الحكيم ، وأنا أسمع رنين ذلك الاسم الذي لا يغيب عن ذاكرتي أبداً (٢٩)
- ٤٣ وعندئذٍ هزّ رأسه قائلاً « ما هذا ! أنبغى البقاء في هذا الجانب (٣٠) ؟ » ؛ ثم ابتسم ، كما يفعل مَنْ يسترضى طفلاً بتفاحة (٣١)
- ٤٦ ثم سبقني إلى ورود النار ، ودعا استاتيوس أن يأتي في إثرنا (٣٢) ، وكان قد باعد بيننا من قبل في الطريق الطويل (٣٣)
- ٤٩ وحينما صرتُ داخل النار ، تمنيت لو كنتُ قد ألقيتُ بنفسي في زجاجٍ يغلي حتى أبرد ، إذ كان الحريق هناك فوق كلِّ قياس (٣٤)
- ٥٢ ولكي يُسرّي عنى أبي الحبيب ، ظلّ في مسيره لا يحدّثني إلا عن بياتريتشى ، وقال لي « يبدو لي أني أرى عينها مائلتين الآن (٣٥) » .
- ٥٥ وسرنا على هدًى صوتٍ كان يرتل في الجانب الآخر (٣٦) ؛ ونحن الذين لم ننتبه لغير نبراته - خرجنا هناك حيث تبدأ مدارج الصعود (٣٧)
- ٥٨ « تعالوا يا مباركي أبي (٣٨) » ، رنّت هذه الكلمات داخل نورٍ كان يتألّق هناك ، فبهرتني حتى عجزتُ عيناى عن النظر إليه (٣٩)
- ٦١ وأضاف « إن الشمس آخذةٌ في المغيب ، وها هو الليل مقبلٌ فلا تتوقفوا ، بل سارعوا الخطى قبل أن يُخيم الظلام على المغرب (٤٠) »
- ٦٤ واستقام الطريق مُصعّداً خلال الصخر في اتجاه ناحية (٤١) ، حجبتُ عندها - قبالي - أشعةَ الشمس التي كانت قد آذنت بالزوال (٤٢)
- ٦٧ وما إن عالجنا الصعود على درجاتٍ قليلةٍ (٤٣) ، حتى أحسنا - أنا وحكيماى (٤٤) - أن الشمس من ورائنا قد غربت ، بظلتي الذي توارى عن الأنظار (٤٥)

- ٧٠ وقبل أن يتخذ الأفق لونا واحداً في جميع أنحائه المترامية ، ويرخى الليل سدوله على كل أرجائه^(٤٦) -
- ٧٣ جعل كل منا لنفسه فراشاً من إحدى درجات السلم^(٤٧) ؛ إذ حرمتنا طبيعة الجبل من قدرتنا ولدتنا في أن نمضي صعُدّاً^(٤٨)
- ٧٦ وكما تقف العنزات هادئةً وهي تجترّ العشب ، وقد كانت سريعةَ الجرى نشيطةً على الروابي قبل أن تطعم^(٤٩) ،
- ٧٩ وتربض في الظل ساكنةً حين تتوهج الشمس ، ويمرحها راعيها مرتكزاً على عصاه ، ويرعاها وهو إليها مستند^(٥٠) ؛
- ٨٢ وكراعى البقر الذى يبيت في العراء ، ويقضى الليل هادئاً بإزاء قطيعه ، ويرقبه حتى لا يشتت شمله وحش مفترس^(٥١) ؛ -
- ٨٥ هكذا أصبحنا عندئذ ثلاثتنا جميعاً أنا كالعززة^(٥٢) ، وهما كالراعيين^(٥٣) ، وقد أطبقت علينا في كلا الجانبين شاهقُ الصخرات^(٥٤)
- ٨٨ واستطعنا أن نتبين هناك قليلاً مما كان حوالينا بالخارج^(٥٥) ؛ ولكنى بذلك القليل رأيتُ النجوم أوضح وأكبر مما اعتادت أن تكون عليه^(٥٦)
- ٩١ وبينما كنت أتأملها وأمعن النظر فيها - غلبنى النوم^(٥٧) ؛ النوم الذى يتواتر إنباؤه عن الحوادث قبل وقوعها^(٥٨) .
- ٩٤ وأعتقد أنه ساعةَ أن أرسلت كيتريا أشعتها لأول وهلة من المشرق إلى الجبل^(٥٩) - كيتريا التى تبدو مستعرةً بنار المحبةً أبداً^(٦٠) -
- ٩٧ ترأى لى فى الحلم أنى أنظر صبية فى مستقبل العمر جميلة ، تسير فى روضة وتقطف من أزهارها^(٦١) ، وأخذتُ ترنمَ قائلة
- ١٠٠ « فليعلم كل من يسأل عن اسمى أنى لَيْسَةَ^(٦٢) ، وأنى أسير جائلةً بيديّ الحميلتين فيما حوالى^(٦٣) ، لكى أصنع لنفسى إكليلاً من الزهر
- ١٠٣ ولكى أتبهج أمام مرآتى^(٦٤) ، فإننى ها هنا أتزين^(٦٥) ؛ ولكن راحيل شقيقتي لا تفارق مرآتها أبداً ، حيث تجلس قبالتها طيلة النهار^(٦٦) .
- ١٠٦ وإنها بالنظر إلى عينيها الحميلتين ولوعة^(٦٧) ، كولعى بأن أزين نفسى بيديّ ؛ وهى ترضى بالنظر أما أنا فبالعمل^(٦٨) »

- ١٠٩ وبظهور الضوء الذي يبرز على المسافرين قبيل الفجر^(٦٩) ، فتبهج نفوسهم كلما اقتربوا من ديارهم ، وهم في طريق عودتهم إليها^(٧٠) -
- ١١٢ انحسر الآن الظلام في كل جانب ، وبذهابه زال عى الكرى ؛ وعندئذ مهضتُ فرأيتُ أستاذيَّ العظيمين قد سبقاني إلى النهوض^(٧١)
- ١١٥ « ستغنى اليوم من جوعيك - تلك الفاكهة الشهية ، التي يبذل البشر الفاني عنايتهم في البحث عنها ، بين الكثير من أفرع الأشجار^(٧٢) »
- ١١٨ وجهه إلى فرجيليو هذه الكلمات ؛ وما من جزاء عاد لها أبداً فيما بعثته في نفسى من أمارات السعادة والبهجة^(٧٣)
- ١٢١ هكذا تواردتُ على رغبة فوق رغبة دفعتنى كلها إلى الصعود^(٧٤) ، حتى أحسستُ عند كل خطوة نموَّ أرياشى إلى الطيران^(٧٥)
- ١٢٤ وحيما اجتزنا من تحتنا كل مراحل السلم ، وأصبحنا فوق أعلى درجاته^(٧٦) ، حدّجى بعينه فرجيليو^(٧٧) ،
- ١٢٧ وقال « لقد رأيتَ يا بى النار الزمنية^(٧٨) والنار الأزلية^(٧٩) ؛ وجئتَ إلى موضع لا أتبين فيه بنفسى بعد شيئاً^(٨٠) »
- ١٣٠ لقد أتيتُ بك إلى هنا بجذقى وفى ، ولتتخذن الآن من بهجتك دليلاً لك^(٨١) : فإنك الآن خارج الطرق المنحدرة وبعيدٌ عن المسالك الضيقة^(٨٢) .
- ١٣٣ ولتتنظر إلى الشمس التي تشع على جبينك^(٨٣) ؛ ولتشهد الأعشاب الصغيرة والأزاهير والشجيرات ، التي تُنبئها بذاتها هذه الأرض^(٨٤)
- ١٣٦ ويمكنك الجلوس أو السير بين الأزهار^(٨٥) ، إلى أن تأتيك العينان الجميلتان - وهما مشرقتان بالنعيم - واللذان حممـلتاني ببكائهما على الحجبى إليك^(٨٦) ،
- ١٣٩ ولا تنتظرن منى مزيداً من الكلام أو الإشارة^(٨٧) ؛ فإن إرادتك الآن حرة مستقيمة خالصة^(٨٨) ؛ وستقع فى الخطأ إذا عملتَ بغير إلهامها^(٨٩)
- ١٤٢ ولذا فإنى أتوجك على نفسك وأكـللك^(٩٠) »



١١ - ليثة تقطف الأزهار في الفردوس الأرضي
أنشودة ٢٧ ٩٧ - ٩٩

حواشي الأنشودة السابعة والعشرين

- (١) هذه تابعة لسابقتها وتسمى أنشودة ليثة (ليا)
- (٢) أضفت (الشمس) للإيضاح
- (٣) يعنى فى أورشليم . والمقصود أن الساعة كانت هناك السادسة صباحاً
- (٤) الصانع وهو الله الذى أريق دمه فى شخص السيد المسيح - كما فى عقيدة المسيحيين .
- (٥) نهر الإبرو (Ebro) فى أسبانيا رمز لحدود العالم المسكون فى المغرب عند أهل العصر ، ويقع على مسافة ٩٠ درجة غربى أورشليم فى اتجاه برج الميزان . والمقصود أنه حينما تكون الساعة فى أورشليم السادسة صباحاً يكون نصف الليل فى أسبانيا ، فى أبريل . ١٣٠٠
- (٦) أى أن الشمس كانت فى سمت الرأس فى نفس الوقت عند مهر الكنج (Gange) فى الهند ولذلك تغلى أمواجه بفعل الحرارة الشديدة والكنج هو الحد الشرق للعالم المسكون عند أهل العصر ويقع على مسافة ٩٠ درجة شرقى أورشليم والمقصود أنه حينما تكون الساعة فى أورشليم السادسة صباحاً يكون الظهر قائماً فى الهند
- (٧) المقصود أنه حينما تكون الساعة السادسة صباحاً فى أورشليم فى نصف الكرة الشمالى تصبح السادسة مساءً فى المطهر فى نصف الكرة الجنوبى . وهذه هى الطريقة التى يحدد بها دانتي الوقت
- (٨) هذا هو ملاك العفة والطهارة حارس الإفريز السابع .
- (٩) هذا مقتبس من « الكتاب المقدس »
- Matt. V. 8.
- (١٠) كان الملاك يرتل بصوت عذب لا يجاريه فيه إنسان من حيث الوضوح والحرارة والقوة والحوية .
- (١١) يعنى لا بد من عبور هذه النار للتطهر من الخطايا ولتابعة الصعود بعد ذلك
- (١٢) دعا الملاك الشعراء الثلاثة إلى دخول النار وكان هناك ملاك آخر يرتل كما سيأتى بعد فى أبيات ٥٥ - ٦٠ . وقد أجريت بعض التقديم والتأخير فى هاتين الثلاثيتين مراعاة للأسلوب العربى .
- (١٣) المقصود أن دانتي قد تولاه رعب شديد . وأضفت (على قيد الحياة) للإيضاح
- (١٤) أى أن دانتي انحنى صوب النار بيدين مضمومتين
- (١٥) كان دانتي ينظر إلى النار نظراً الخائف المرتعد من الخطر المحدق ، ويحاول أن يسترجع شجاعته .
- (١٦) يعنى تصور دانتي الأشخاص الذين حكم عليهم بالموت حرقاً فى الدنيا
- Inf. XXIX. 110, 136...; XXX. 75.
- ويجمع دانتي فى هذه الأبيات الثلاثة بين الحركة المادية والخيال للتعبير عن الخوف وهى فى الأصل من أجمل أبيات الكوميديا
- (١٧) الدليلان أو الرفيقان هما استاتايوس وفرجيليو
- (١٨) يحاول فرجيليو أن يزيل مخاوف دانتي وهذه نار تطهر ولا تقتل
- (١٩) يعنى يذكره بالمرات الكثيرة التى خلصه فيها من الأخطار فى أثناء زيارة اللحيم
- (٢٠) سبق أن حمل فرجيليو دانتي على ظهر جبريوني
- Inf. XVII. 79..
- (٢١) أى سيكون أسهل عليه لأن تخليصه من الخطر وهو اقرب إلى الله

- (٢٢) يقصد بقوله بطن النار الموضع الذي تشتعل فيه على أشدها وتوجد صورة للمعذبين في النار من عمل أندريا دا بولونيا من النصف الثاني للقرن ١٤ وهي في كنيسة سان فرنشيسكو في أسيسى
- (٢٣) يبين فرجيليو لدانتي أن لا خوف عليه من هذه النار ويشبه ما ورد عن عدم نزع الشعر ما جاء في « الكتاب المقدس » Luca, XXI. 18; Atti, XXVII. 34. ويشبه هذا بعض ما ورد في تراث الإسلام من حيث النجاة من أثر النيران القرآن الأنبياء ٦٨ و ٦٩
- (٢٤) يحمل فرجيليو دانتي على أن يتأكد بنفسه بوضع يديه على طرف ثوبه وإدخالهما في النار وسيرى أنه لا يحترق .
- (٢٥) على رغم محاولة فرجيليو إزالة مخاوف دانتي بكلامه العطوف وإرشاده وتذكيره بالمواقف السابقة التي أنقذه فيها من الأخطار فإنه ظل متردداً خائفاً أمام النار ، وإن حفزه عقله على طاعة ما طلبه إليه فرجيليو
- (٢٦) استعان فرجيليو بذكر بياتريتشي للتغلب على مخاوف دانتي وسبق مثل هذا الموقف Purg. VI. 49
- (٢٧) پيراموس (Pyramus) وثسبي (Thisbe) عاشقان بابليان تحابا على رغم اعتراض أسرتهما واتفقا على الهرب معاً وتواعدا على اللقاء عند شجرة توت ، وجاءت ثسبي أولاً واضطرت للاختباء عند ظهور لبؤة ، ووصل پيراموس ووجد وشاحها ملطخاً بالدم فظن أنها ماتت فطعن نفسه ، وعادت ثسبي فوجدته يجمود بأنفاسه الأخيرة ، فصاحت به ذاكرة اسمها ففتح عينيه ثم أغلقهما إلى الأبد فقتلت ثسبي نفسها ، وتحولت ثمار التوت بدمهما من اللون الأبيض إلى اللون الأحمر وأورد أوڤيديوس أسطورتها Ov. Met. IV. 55-166.
- (٢٨) عند ذكر بياتريتشي أطاع دانتي ما طلبه إليه فرجيليو
- (٢٩) استخدم دانتي فعل (rampollare) بمعنى ظهور النبات وانبثاقه والمقصود حضور اسم بياتريتشي في ذهنه أبداً
- (٣٠) هز فرجيليو رأسه بعد أن تغلب على خوف دانتي بذكر اسم بياتريتشي
- (٣١) أي كان دانتي كالطفل الذي تحمله أمه على فعل ما تريده بتقديم تفاحة إليه
- (٣٢) دخل فرجيليو النار أولاً وطلب إلى استاسيوس أن يكون وراء دانتي ، للزيادة في طمأنينته ولكي يمنعه من التراجع إذا حاول ذلك
- (٣٣) كان استاسيوس يسير قبل الآن وراء فرجيليو وأمام دانتي وبذلك فصل بينهما Purg. XXII. 127; XXIII. 7-8; XXIV. 119; XXV. 8-9, 115-116; XXVI. 1-2.
- (٣٤) يعنى كانت النار شديدة الاحتراق حتى بدا بالنسبة لها الدخول في زجاج يغلي شيئاً منعشاً
- (٣٥) ظل فرجيليو يذكر بياتريتشي لدانتي لكي يشجعه على احتمال نيران المطهر ويذكر له عينها لكي يحيي صورتها في ذهنه
- (٣٦) هذا صوت الملاك حارس السلم المؤدى إلى الفردوس الأرضي ، وبسماعه اتجه الشعراء الثلاثة للخروج من النار ، ولقد سبقت الإشارة إلى ذلك في بيت ١٢
- (٣٧) أي الصعود إلى الفردوس الأرضي .

- (٣٨) يدعو الملاك الشعراء الثلاثة إلى الصعود بكلمات وردت على لسان السيد المسيح
Matt. XXV. 34.
- (٣٩) أشع هذا الملاك نوراً لم يقودانتي على النظر إليه . ولم يقل دانتى إن هذا ملاك بل اكتفى بالتعبير عنه بهذا النور الباهر ، ولم يمج منه هذا الملاك علامة آخر المعاصى بل محتها النار المتأججة
- (٤٠) استحسبهم الملاك على الإسراع فى الصعود قبل حلول الظلام
- (٤١) كان الطريق محفوراً فى الصخر ومتجها من الغرب إلى الشرق
- (٤٢) يعنى سار دانتى وظهره إلى أشعة الشمس التى أوشكت على المغيب
- (٤٣) أى صعدوا درجات قليلة من السلم .
- (٤٤) يعنى فرجيليو واستاتيوس .
- (٤٥) أى اختفى ظل دانتى على الصخر وهذا معناه اختفاء الشمس وراء الأفق .
- (٤٦) يعنى قبل أن يحل ظلام الليل تماماً ويجعل المكان كله فى مظهر أو لون واحد ويرى بعض الشراح أن بيت ٧٢ ربما يكون (وقبل أن يعمل الليل حسباً يمليه عليه طبعه أو هواه)
- (٤٧) اتخذ كل منهم موضعاً لنومه على إحدى درجات السلم ، والصورة مأخوذة من الحياة الواقعة .
- (٤٨) يقضى قانون المطهر بعدم السير ليلاً ، كما سبق
Purg. VII. 44, 55-57.
- (٤٩) هذه صورة أخرى مأخوذة من الحياة الواقعة . ويشبه هذا ما أورده فرجيليو :
Virg. Georg. IV. 10.
- (٥٠) لا تغفل عين الراعى عن ملاحظة قطيعه وهو مستند إلى عصاه
ويوجد حفر بارز للماشية والرعاة فى كاتدرائية أريتزو ويرجع إلى القرن ١٤
- (٥١) هذه تفصيلات أخرى مأخوذة من حياة الرعاة
- (٥٢) جعل دانتى نفسه هنا كالعنزة التى تأكل وتنام .
- (٥٣) الراعيان هما فرجيليو واستاتيوس
- (٥٤) هذا لأن الطريق - كما أراده دانتى - كان ممتدا داخل الصخر
- (٥٥) هذا بسبب ارتفاع الصخر الذى جعل الرؤية غير سهلة
- (٥٦) ذلك بسبب نقاء الهواء فى هذا الموضع المرتفع ، وهذا مستمد من خبرة دانتى بالمناطق الجبلية فى بعض أنحاء إيطاليا وعلى هذا فقد انتهى النهار الثالث لدانتى فى المطهر ، وأصبح الشعراء الثلاثة عند نهاية المطهر الحقيقى
- (٥٧) تعب دانتى من المجهود فنام وهو يفكر وينظر إلى النجوم
- (٥٨) أى النوم الذى يحلم فيه الإنسان قبيل النهار بما سيحدث ، وسبق هذا المعنى
Inf. XXVI. 7.
Purg. IX. 16-18.
- (٥٩) كيتريا (Cytheraea) اسم يرهز لكوكب الزهرة (Venus) وهو اسم لجزيرة واقعة على مقربة من رأس لاكونيا جنوبى اليونان وتقول الأسطورة إن الكوكب خرج من موضع قريب منها إلى السماء ، وكانت ازدهرة عندئذ فى برج الحوت ومن بعدها الشمس فى برج الحمل . والمقصود أن الزمن كان قبيل الفجر حينما تصدق الأحلام وتكلم حيث فرجيليو عن كيتريا فى أكثر من موضع
Virg. Æn. I. 257, 657; IV. 128; V. 800; ecc.
- (٦٠) وتتكرر الإشارة إلى الزهرة بهذا المعنى
Purg. I. 19.
Par. II. 143-144.

- (٦١) هذه هى ليثة (ليا)
- (٦٢) ليثة (Leah) ابنة لابان الكبرى وزوجة يعقوب الأولى ، وكانت ضعيفة البصر ، وهى رمز للحياة الفعالة وورد ذكرها فى « الكتاب المقدس »
Gen. XXIX. 16
- (٦٣) تجمع ليثة إكليل الزهر وهى جديرة به بفضل أعمالها الصالحة
- (٦٤) المرأة هنا رمز لله .
- (٦٥) تزين ليثة نفسها بالعمل الصالح لكى تصبح سعيدة فى حضرة الله ، وهى رمز للحياة الفعالة
- (٦٦) راحيل (Rachel) أخت ليثة وزوجة يعقوب الثانية وامتازت بجهاها ، وهى تفكر فى الله دائماً وهى رمز لحياة التأمل وسبق ذكرها فى الجحيم ومكانها فى الفردوس
Inf. II. 102; IV. 60.
Par. XXXII. 7-9.
- وقد صنع ميكلأنجلو تمثالا لليثة رمز حياة العمل وتمثالا لراحيل رمز حياة التأمل إلى جانبى تمثال موسى الغاضب على شعبه ، فى الضريح الذى أقامه للبابا يوليوس الثانى (١٥١٣ - ١٥١٦ وهو كائن فى كنيسة سان بيتر و إن فونكولى فى روما
- (٦٧) يعنى أنها حريصة على أن ترى نفسها منعكسة على الله خلال عينيها الجميلتين ومع أن دانتى يرمز بليثة وراحيل إلى الحياة الفعالة وحياة التأمل إلا أنه يضعهما فى الصورة والحركة وضع الإنسان الحى المجسم
- (٦٨) عبر توماس الأكوينى عن هذا المعنى
d'Aq. Sum. Theol. II. II. CLXXIX. 2; CLXXXII. 2, 4.
- (٦٩) هذا هو فجر الأربعاء ١٣ أبريل ١٣٠٠
- (٧٠) هذا تعبير عن حنين المسافر أو الحاج إلى وطنه وسبق أن عبر دانتى عن حنين المسافر بطريقة أخرى
Purg. VIII. 1-6.
- (٧١) استيقظ الشعراء الثلاثة بعد قضائهم الليل على درجات السلم
- (٧٢) أى أن دانتى سينعم اليوم بالسعادة الدنيوية ببلوغه الفردوس الأرضى والمقصود ببحث البشر بين أفرع الأشجار الكثيرة هو حرصهم على سلوك السبل المختلفة ، بالدراسة والعقل والتوبة والتطهر ، التى تؤدى بهم إلى السعادة والسلام ، ويرمز دانتى لذلك بالفاكهة أو التفاح
- (٧٣) هكذا أحس دانتى بالسعادة التى يوشك أن يبلغها
- (٧٤) يعنى أعلى جبل المطهر
- (٧٥) أصبح دانتى بتخلصه من الخطايا خفيفاً كأنه على وشك الطيران
- (٧٦) أى بلغوا مدخل الفردوس الأرضى.
- (٧٧) هذه هى نظرات الوداع بين الأستاذ والمريد وبين الشاعر والشاعر وبين روحين متحابين قطعاً معاً طريقاً طويلاً مفعماً بالمشاهد المختلفة ، ومحاطاً بالمواقف المتنوعة ومليئاً بالصور والألوان والحركات الصادقة ، ويسوده عذاب الآثمين الأبدى فى الجحيم وعذاب الآثمين التائبين المكفرين فى المطهر الذين يأملون يوماً أن يصبحوا فى زمرة السعداء وأى عالم هذا كله الذى عبره الشاعران معا وقد سادها الإنسجام والمحبة والرغبة فى المعرفة تارة والتغلب على المصاعب والأخطار تارة أخرى !
- (٧٨) يعنى بالنار الزمنية نار المطهر التى هى عذاب مؤقت .
- (٧٩) أى نار الجحيم

(٨٠) المقصود أن فرجيليو قاد دانتي في هذا الجزء من رحلته حيث يصلح العقل هادياً ومرشداً ، وسبق أن وعده بذلك
Inf. I. 112-123.

(٨١) يعنى ستكون البهجة التي يشعر بها دانتي الآن دليلاً له لكي يتابع سيره .

(٨٢) أى سيكون سهلاً خالياً من الأخطار بعد تطهر دانتي من الخطايا

(٨٣) كان الصبح قد أقبل وظهرت الشمس ، رمز الله ، وأصبح دانتي جديراً برؤيته بعد أن زالت علامات الخطايا من جبينه

(٨٤) يعنى التي تنبت بدون بذور وبدون عمل الإنسان . ويشبه هذا ما أورده أوفيدوس و«الكتاب المقدس» :

Ov. Met. I.

Gen. II. 9.

(٨٥) أى إلى أن تأتي بياتريثي يستطيع دانتي أن يجلس بين الأزهار لكي يفكر أو يسير بينها متأملاً

(٨٦) يعنى بياتريثي التي سبق أن حملت فرجيليو وهي تبكى على الذهاب لإنقاذ دانتي من الوحوش الثلاثة
Inf. II. 116-117.

(٨٧) سيظل فرجيليو مع دانتي حتى تظهر بياتريثي في الأنشودة الثلاثين ، ولكنه سبق صامتا ويكف عن أن يكون دليلاً بعد أداء مهمته

(٨٨) يعنى أن إرادة دانتي تحررت من الرغبات الآثمة وتطهرت من أدران الخطايا وفي هذا إشارة إلى ما سبق
Purg. I. 71.

(٨٩) أى من الصواب أن يعمل بوحى إرادته الطاهرة الخالصة من الآثام

(٩٠) يعنى كان فرجيليو قد جعل دانتي سيد نفسه بمعاونته في التخلص من الخطايا . والتتويج رمز السلطة الزمنية والتكليل رمز السلطة الروحية . يطبق فرجيليو الناحيتين معا على دانتي كفرد - وكرمز للبشر - وفي هذا إشارة إلى أثرهما معا في صلاح الفرد والمجتمع الإنساني وعلى هذا النحو يهني فرجيليو حديثه كأستاذ ومعلم وأب ومرشد لدانتي بعد أن قاده خلال المصاعب والأخطار ، وبعد أن علمه وشرح له ما غمض عليه وأزال عنه المخاوف ورفع روحه المعنوية ، وحرره من المعاصي . وكلام فرجيليو موجز دقيق مؤثر وهذه هي الحرية التي يسعى دانتي إلى أن ينالها البشر . وفي هذا إشارة إلى ما أورده توماس الأكويني
d'Aq. Sum. I. II. Theol. IV. 4.

(١) الأنشودة الثامنة والعشرون

سار دانتى وئيداً في الفردوس الأرضي ، وأحس فوق جبينه بالنسيم العليل الذي كان يميل بأفرع الأشجار بدون أن يزعج صغار الطير على أغصانها ، وكان صوت الهواء ترجيعاً لشدو الأطيوار ، وكانت تلك الصورة شبيهة بغابة الصنوبر الواقعة على شاطئ كياتي بقرب راقنا وتوغّل دانتى في الغابة المقدسة ورأى جدول لتي وقد مالت مياهه الصافية بالأعشاب النابتة على ضفتيه وشهد دانتى في الناحية الأخرى من الجدول أرضاً نضرة مزدهرة ، في وسطها سيدة جميلة تغني وتقطف شيئاً من الأزهار التي زينت كل طريقها ، فسألها أن تقرب منه في الناحية المقابلة من الجدول ، لكي يتمكن من سماع ترتيلها فسارت السيدة الجميلة - ماتيلدا - كأنها ترقص فوق الأزهار ، وأسبلت عينيها الخفرتين ، فسمع دانتى شدوها العذب ، ثم جعلت من رفع عينيها هبةً له ، وأخذت تبتسم وهي تجمع مزيداً من الأزهار وقالت ماتيلدا للشعراء الثلاثة إنهم جدد في هذا المكان ، وإنها مستعدة لإيضاح كل ما غمض عليهم قالت إن الله منح هذا المكان لإقامة الإنسان ، ولكنه بالخطيئة حوّل سعادته إلى بكاء وعذاب وقالت إن جبل المطهر - بعد باب المطهر الحقيقي - يزداد علواً صوب السماء حتى يصبح غير خاضع لمؤثرات الأبخرة في الدنيا ، ولكن دوران السماء يحدث مثل هذا الهواء في أعلى المطهر ، وبذلك توزع في أرجائه بذور النبات ، فتمتلئ بفاكهة لا نظير لها في الأرض وقالت ماتيلدا إن الماء ينبع هنا بإرادة الله ويصب في هر لتي الذي يمحو الخطايا ، وفي هر إينووي الذي يذكر الإنسان بأفعال الخير ، وتفوق مائه كل مذاق ، وإن الشعراء القدامى قد تغنوا بهذا الموضع وهم في جبل پارناسوس ، وإن الفردوس الأرضي هو الربيع الدائم واتجه دانتى إلى فرجيليو واستاتيووس ووجد أنهما يبتسمان علامة الرضا ، ثم التفت إلى ماتيلدا

- ١ حينما تاقَتْ نفسى^(٢) لأن أستكشف عما بداخل الغابة الإلهية الكثيفة
اليانعة^(٣) ، وما حولها ، والتي لَطَّفَتْ لِعَيْبَى أنوارَ النهار الحديد^(٤) -
- ٤ غادرتُ الشاطئ^(٥) بدون أن أنتظر مزيداً^(٦) ، وسرتُ في المرج وئيداً
وئيداً^(٧) ، على الأرض التي بعثتُ شذاها في كلِّ جانب^(٨)
- ٧ هواءٌ عليلٌ لا تتبدّل طبيعته أبداً^(٩) - أخذ يلمس جببى بما لا يزيد
عن لمسة الأنسام الرقيقة ؛
- ١٠ وبه مالتُ كلَّ الأفرع المهترئة المستجيبة^(١٠) ، شطرَ الناحية التي يُلْقَى
فيها الجبلُ المبارك بأولى ظلاله^(١١) ؛
- ١٣ ولكنها لم تَحِدْ عن وضعها المستقيم ، بما يجعل صغار الطير فوق أطرافها تكفّ
عن ممارسة كلِّ فنونها^(١٢) ؛
- ١٦ بل رحبتْ مُغرّدةً بأولى أنسام الصباح ، وقد علتها البهجة بين أوراق الأشجار ،
التي كان حفيفها ترجيعاً لأغانيتها^(١٣) ؛
- ١٩ وكان ذلك أشبه بالحفيف الذى يتجاوب من غصنٍ لآخر في أحراج
الصنوبر^(١٤) عند شاطئ كياسى^(١٥) ، حينما يطلق إيولوس رياح السيروكو
من محبسها^(١٦)
- ٢٢ وعندئذ كانت خطواتى البطيئة قد حملتنى بعيداً إلى أعماق الغابة العتيقة^(١٧) ،
حتى لم أعد أتبين موضع ورودى إليها ؛
- ٢٥ وانظر ، ها قد حال جدولٌ دون متابعتى المسير^(١٨) ، وأمال إلى اليسار
بأمواجه الخفيفة ما نَبَتَ على ضفتيه من الأعشاب
- ٢٨ وإن كل ما فى هذا الجانب من المياه الصافية الرائقة^(١٩) ، لتبدو محتويةً
على بعض الرواسب ، بجانب تلك التي لا تخفى بين طياتها شيئاً^(٢٠) ،
- ٣١ على رغم أنها تجرى سوداء اللون داكنة تحت الظلال الأبدية ، التي
لا تدع شيئاً تضيء ولا قمراً ينير هناك أبداً^(٢١)
- ٣٤ وبقدمى وقفْتُ ، وبعيىَّ تجاوزتُ الجدول ، لكي أتطلع إلى الألوان الزاخرة
من أغصان الربيع المزدهرة النضرة^(٢٢)

- ٣٧ وكما يظهر شيءٌ "بغته"، ويصرف الرأى عن التفكر في كلِّ ما سواه - بما يثيره في النفس من أمارات العجب (٢٣) -
- ٤٠ هكذا بدتُ لى هناك سيدة^(٢٤) ، أخذتُ تسير وحيدةً ، ومضتُ تترنم ، وتقطف زهراً من بين الأزاهير التى زينت طريقها كله^(٢٥)
- ٤٣ فقلت لها « آه ، أيتها السيدة الجميلة - التى تصطلين بأشعة المحبة^(٢٦) - إذا كان لى أن أصدق ملامح الوجه التى هى فى العادة خير شاهد
- ٤٦ على ما يستقرّ فى شغاف القلب^(٢٧) - فلعلّه يروقك أن تتقدّمى نحو هذا الجدول ، حتى يمكنى أن أتبين شدوك العذب^(٢٨)
- ٤٩ وإنك لتجعلينى أذكر أين وكيف كانت بروسرپينا^(٢٩) ، حين فقدتها أمها وفقدتُ هى أزهارَ الربيع^(٣٠) »
- ٥٢ وكما تستدير سيدةً ترقص ، وقد لصقتُ بالأرض عقبها وضممتها بعضهما إلى بعض ، وهى لا تكاد تضع قدماً أمام الأخرى^(٣١) -
- ٥٥ هكذا اتجهتُ نحوى فوق الأزاهير الحمراء وفوق الصفراء^(٣٢) ، وكانت فى ذلك أشبه بعذراء تُسبيل عينيها اللتين سادهما الحفر^(٣٣) ؛
- ٥٨ واستجابتُ لرجائى باقترابها مى ، حتى بلغ سمعى لحنها العذب وما احتواه من المعانى السامية^(٣٤)
- ٦١ وحينما أصبحتُ حيث كانت الأعشاب قد ابتلتُ بأمواج النهر الجميل - جعلتُ من رفع عينيها هبةً لى^(٣٥)
- ٦٤ ولا أعتقد أن نوراً تألق بمثل هذا الوهج تحت حاجبى^(٣٦) فينوس ، عندما جرحها ابها على غير ما اعتاد أن يفعل^(٣٦) .
- ٦٧ وأخذتُ تبتمس وهى واقفةٌ على الضفة الأخرى^(٣٧) ، وببيديها تناولتُ عديداً من الألوان^(٣٨) التى تُنبتها الأرض الشاهقة^(٣٩) ، بدون أن تُغرس بذورها^(٤٠) .
- ٧٠ وبثلاث خطواتٍ باعدتُ بيننا النهر^(٤١) ؛ ولكن الدردنيل - هناك حيث عبره إكزرسيس^(٤٢) - والذى لا يزال عقبةً أمام كبرياء البشر جميعاً -
- ٧٣ لم ينلُ من لياندر^(٤٣) - بموجه المضطرب بين سيسستوس وأبيدوس - كرهاً أشدّ مما ناله مى هذا النهر - إذ لم تنشق مياحه عندئذ^(٤٤)

- ٧٦ وبدأتُ « إنكم هنا غرباء^(٤٥) ، وربما لأنى أبتسم - في هذا المكان الذى اختير عشاً للبشر^(٤٦) ،
- ٧٩ فإن بعض الشك يثير فى نفوسكم أمارات العجب^(٤٧) ؛ ولكن مزموور "إنك فرحتنى"^(٤٨) يبعث النور الذى من شأنه أن يقشع عنكم ضباب العقل^(٤٩)
- ٨٢ وأنت أيها السائر إلى الأمام^(٥٠) ، ويامن وجهت إلى سؤالك ، تكلم إذا شئت أن تسمع منى مزيداً ؛ إذ أنى أتيت مستعدةً لإجابة كل سؤال لك حتى ترضى^(٥١) .
- ٨٥ فقلت لها « إن المياه^(٥٢) وصوت الغابة^(٥٣) ، يدحضان فى نفسى ما بلغته أخيراً من الاعتقاد فى شأن مسألة سمعتها معارضةً لهذا القول^(٥٤) »
- ٨٨ عندئذ أجابت « سأخبرك كيف يتأتى ما يحملك على العجب ، وسأبدد الضباب الذى يغشى بصرك^(٥٥)
- ٩١ إن الخير الأسمى^(٥٦) الذى يبهج بذاته فحسب^(٥٧) ، قد خلق الإنسان مهيباً لغعل الخير^(٥٨) ، ومنحه هذا المكان كضمان للسلام الأبدى^(٥٩)
- ٩٤ وبارتكابه الخطيئة لم يلبث هنا إلا قليلاً^(٦٠) ، وبخطيئته استحالت البسمة البريئة واللهو البهيج بكاءً وعذاباً
- ٩٧ ولكيلا ينال الإنسان الضرراً أبداً^(٦١) ، بالعواصف التى تُشيرها فى أسفل أبخرة الماء واليابس ،
- ١٠٠ الصاعدة فى إثر الحرارة بقدر استطاعتها^(٦٢) - إزداد هذا الجبل ارتفاعاً صوب السماء ، خالصاً من الأبخرة ، من الموضع الذى يوصد فيه بابه^(٦٣)
- ١٠٣ والآن - لما كان الهواء جميعه يدور مع المحرك الأول فى دائرة ، إذا لم يُقطع محيطها فى أحد جوانبها^(٦٤) ،
- ١٠٦ فإن مثل هذه الرياح هبّت على هذه الذرّوة الطليقة فى الهواء الحى^(٦٥) ، وتحدث الحفيف فى الغابة بكثافة أشجارها ؛
- ١٠٩ وإن الأشجار المهتزة قادرة على فعل الكثير ، إذ تفعم الهواء بمميزاتها ، فينثرها حوالبه بعد فى دورانه^(٦٦)

- ١١٢ وتُخصَّب الأرض الأخرى^(٦٧) ، وتُنبت من الخواص المختلفة نباتاً موعاً ،
بفضل ما هي مؤهّلة له أو بفضل جوّها^(٦٨)
- ١١٥ وإذا فهمنا هذا فلا مدعاة للعجب عندئذ في ذلك الجانب^(٦٩) ، حينما
يتخذ بعض النبات جذوره بغير بذرة ظاهرة
- ١١٨ وعليك أن تعلم أن الأرض المباركة^(٧٠) - التي أنت فيها - مليئةٌ بكلّ
أنواع البذور - وبها فاكهةٌ لا يُجى هناك مثلها^(٧١)
- ١٢١ والمياه التي تراها هنا - لا تنبثق من نبع يتغذى بما يُكشّفه البرد من الأجرّة^(٧٢) -
كالمياه التي تُكسب الأنهار قوتها وتُفقدّها^(٧٣) ؛
- ١٢٤ ولكنها تنساب من ينبوع دائم دافق ، ينال بمشيئة الله كلّ ما يصبّه في
النهرين اللذين ينبثقان من جانبيه^(٧٤)
- ١٢٧ ففي هذا الجانب تهبط المياه ذات فضل يحو من الناس ذكرى معاصيهم^(٧٥)
وفي الجانب الآخر تُعيد إليهم ذكرى كلّ أفعالهم الحميدة^(٧٦) .
- ١٣٠ وتُسمّى هنا مهر لیتی^(٧٧) ، كما تُسمّى في ذلك الجانب مهر إينووی^(٧٨) ؛
ولا أثر لمفعولها قبل أن يُذاق منها في كلا الجانبين^(٧٩)
- ١٣٣ وإن مذاقها ليعلو على كلّ مذاق^(٨٠) ومع أن ظمأك يمكن أن يعد
الآن مكتمل الرىّ - بدون أن أكشف لك عن الأمر مزيداً^(٨١) -
- ١٣٦ فسأزیدك إيضاحاً فضلاً ومكرمة^(٨٢) ؛ ولا إخال قولى يُصبح لديك أقلّ
إعزازاً ، إذا تجاوز ما وعدتك به من قبل^(٨٣) .
- ١٣٩ فإن من تغنّوا قديماً بالعصر الذهبيّ وزمانه السعيد^(٨٤) ، ربما تراعى لهم
هذا المكان في احلامهم ، وهم يعتلون ظهر پارناستوس^(٨٥)
- ١٤٢ وقد كان أصل البشر هنا بريئاً^(٨٦) ؛ وهاهنا الربيع الدائم ، وكلّ ألوان
الفاكهة^(٨٧) ؛ وهاك الرحيق الذي يجرى ذكره على لسان الجميع «
- ١٤٥ عندئذ استدرتُ إلى الوراء صوب شاعرى^(٨٨) ، ورأيتُ أنهما قد أصغيا إلى
كلماتي الأخيرة ، وقد علتما البسمة الرقيقة^(٨٩) ؛
- ١٤٨ وإذْ بي أعاود النظر إلى السيدة الجميلة^(٩٠)

حواشى الأنشودة الثامنة والعشرون

- (١) هذه أنشودة الفردوس الأرضى وماتيلدا وتسمى أنشودة الطبيعة السعيدة
- (٢) يرجع هذا التوق إلى كلام فرجيليو السابق Purg. XXVII. 115
- (٣) الغابة الإلهية هنا تقابل الغابة المظلمة الموحشة في أول الجحيم. وورد هذا المعنى في « الكتاب المقدس » Gen. II. 8.
- (٤) يعنى خففت أشجار الغابة ضوء النهار الجديد من يوم الأربعاء ١٣ أبريل ١٣٠٠
- (٥) أى عتبة الفردوس الأرضى
- (٦) يعنى دون أن ينتظر مزيدا من الكلام أو الإشارة من جانب فرجيليو .
- (٧) سار دانتى وثيدا وهو مأخوذ بجمال الطبيعة الساحرة وما ورد في هذه الأنشودة وحتى الأنشودة ٣٣ يشبه نوعا بعض ما جاء في تراث الإسلام من حيث وجود المرج الأخضر والخور العين القرآن الواقعة ٢١ - ٤٠
- Cerulli, op. cit. pp. 112-117.
- (٨) هكذا انبعث شذا الأزهار العطرة في الغابة المقدسة ، ويستخدم دانتى فنه الدقيق في تصويرها
- (٩) أى لا يخضع للتغيرات الحوية التى تقع في الأرض .
- (١٠) يعنى أن الأشجار لم تقاوم حركة هذا النسيم العليل الرقيق
- (١١) أى جهة الغرب حيث ألقى الجبل ظله في هذه الساعة من الصباح
- (١٢) يعنى مالت الأغصان واهتزت برفق بحيث ظلت الطيور فوقها تغنى وتقفز وتداعب بعضها بعضا
- (١٣) أى أن حفيف الأشجار كان متسقا مع شدة الطيور ، وكأنه التردد أو الترجيع الذى يصاحب أغانيها وهذا هو تصوير دانتى لبعض روائع الطبيعة
- (١٤) وجه الشبه هنا قائم في تكوين الحفيف العام في كل من مسرى النسيم العليل وهبوب رياح السيروكو من مجموع الأصوات المنفردة - على رغم تفاوتها - التى تصدر من كل غصن على حدة في كل من الحاليتين . وكأن دانتى يريد أن يقول إنه استطاع أن يميز كل صوت منفرد صادر عن الأغصان والأوراق ، قبل أن يتكون من مجموعها صوت الحفيف مكتملا وهذا هو دانتى الموسيقى الفنان المرهف الحس .
- وما يساعد على تذوق هذا الجو الإصغاء إلى لحن الربيع الذى ضمنه فيقالدى في لحنه عن الفصول الأربعة ، الذى يصور فيه بالآلات الوترية ازدهار الربيع وحفيف الأشجار وشدة الطيور Vivaldi, Antonio The Four Seasons The Spring (Vox).
- (١٥) يقصد بشاطى كياسى (Chiassi) شاطى الأدرياتيك عند رافنا وكياسى هى كلايسس (Glassis) ميناء رافنا القديمة في عهد أغسطس قيصر والتي هدمها اللومبارد في سنة ٧٢٨ ويعرف موضعها الآن باسم كلاسى (Classe) . ويقصد دانتى أن يحدد غابة الصنوبر التاريخية التى امتدت في مساحة واسعة إلى الشمال وإلى الجنوب من رافنا وهذه هى الغابة التى اعتاد دانتى

أن يسير في ظلها طويلا حيناً بلحاً إلى جويدو نوفلو ولقد ظلت هذه الغابة محتفظة بجمالها وروعها حتى عهد حديث ، ولكن الحربين العالميتين الأخيرتين (١٩١٤ - ١٩١٨ و ١٩٣٩ - ١٩٤٥) قد نالتا منها شيئاً كثيراً ويمكن تصور هذه الغابة في عهد دانتي بالصورة القديمة الباقية لها وبالتردد على ما بقي منها ، واستيحاء بعض أثرها في دانتي ويوجد رسم بالموزايكو لكياسى من القرن ٦ وهو في كنيسة سان أبولينارى نوفو في رافنا.

(١٦) إيولس (Acolus) هو إله الرياح الذى يطلق ريح السير وكو (Sirocco) الآتية من الساحل الشمالى الشرقى لأفريقيا ، وتهب على إيطاليا خاصة وقت الصيف . واعتقد الأقدمون أن هذه الرياح كانت تجس في مغارة في الجزر الأيولية باليونان وأورد ثرجيليو أسطورتها

Virg. Æn. I. 52

Virg. Æn. VI. 179

(١٧) أورد ثرجيليو مثل هذا التعبير

(١٨) هذا هو مهر ليتى - وسيأتى بعد - ويجرى على يسار دانتي

ويشبه هذا - مع الفارق - بعض ما ورد في تراث الإسلام من حيث وجود عينين على باب الجنة فإذا شرب الواردون من إحداهما فلا تشعث شعورهم ولا تغير جلودهم ، فإذا شربوا من الأخرى طهرت أجوافهم وغسلت من كل قدر ودرن

الشمرانى مختصر تذكرة القرطبي (المصدر السابق الذكر) ص ٩٩ وأشار القرآن الكريم إلى نزع ما في الصدور من غل القرآن الأعراف ٤٣

وكذلك يوجد بعض الشبه بين ما ورد هنا وما أورده ابن عربى عند كلامه عن الأعراف من حيث وجود حوض لزيق بالسور ، ومنه تخرج أنبوبان يشرب منهما المؤمنون ابن عربى الفتوحات المكية (المصدر السابق الذكر) . ج ٣ ص ٥٧٣

(١٩) يعنى في الدنيا

(٢٠) أى كانت مياه مهر ليتى أصبى أنقى من كل مياه الدنيا وما أعظم الأثر الذى تركه المياه الرقراقه الصافية في النفس المرهفة الصافية !

(٢١) عاقت ظلال الأشجار أشعة الشمس وضوء القمر عن بلوغ صفحة المياه السارية وهذا وصف لبعض مظاهر الطبيعة وهذا كله مستمد من مشاهدات دانتي وإحساسه في غابة رافنا وهو في الأصل الإيطالى من أجمل ما جرى على لسان شاعر

(٢٢) رأى دانتي عبر مهر ليتى بدائع الأشجار والأزهار في شهر أبريل ، فأخذ يتأمل جمال الطبيعة الرائع

(٢٣) أبعدت الروعة والدهشة اللتان استولتا على دانتي كل ما يساوره من الأفكار والصورة الأخرى

Purg. VII. 10-12.

وسبق تعبير مقارب

(٢٤) هذه هى ماتيلدا (Matelda) وهى من الشخصيات التى اختلف النقاد بشأنها اختلافاً كبيراً

ولا يذكرها دانتي على لسانه بالاسم بل يعبر عنها بذكر بعض صفاتها أو بالضمير وحينما يذكر

اسمها على لسان بياتريتشى فيما بعد (Purg. XXXIII. 119) لا يسترعى ذلك انتباه دانتي ولا يعلق

عليه بشئ يرى بعض النقاد أنها من الناحية التاريخية قد تكون الكونتيسة ماتيلدا دى تسكانا

(١٠٤٦ - ١١١٥) (Mutilda di Toscana) ، التى كانت من أنصار البابوية في عهد

جريجوريو السابع ولكن يعترض على هذا الرأى بعض النقاد الذين يستبعدون على دانتي ذهابه هذا

المذهب لأنه كره السياسة البابوية في زمنه ، ثم لأن ماتيلدا هذه قد ماتت و سن متقدمة ، ونعرف عن دانتي أنه يجعل شخصياته في الكوميديا بالصورة التي ماتوا عليها أو التي تخيل أنهم ماتوا عليها ، في بعض المواقف الفنية أو التي لم يعرف حقيقتها ، بحيث لا يكون الفارق كبيراً بين الصورتين ، وهذا بعكس الصورة التي أبرز فيها دانتي ماتيلدا في هذه الأنشودة وما يليها . ويرى آخرون أن دانتي استمد شخصيتها من ماتيلدا دي هاكبورن (Matilda di Hackeborn) أو من ماتيلدا دي ماجدبورج (Matilda di Magdeburg) الراهبتان المعاصرتان له ، ولها كتابات عن الرؤيا الإلهية كما سبق ذكره في مقدمة ترجمتي للجحيم ولكن هاتين الراهبتين ماتتا في سن الكهولة والشيخوخة ، مما يخالف الطريقة التي صور بها ماتيلدا هنا ، وكما أشرنا إليه آنفاً ويرى غيرهم - ويظهر أن هذا هو الرأي الأقرب إلى الصواب - أنها ربما تكون إحدى الفتيات اللاتي ورد ذكرهن في «الحياة الجديدة» كواحدة من صديقات بياتريتشى ، لأنها تكمل عملها في هذه المرحلة من الكوميديا ، ولأن أوصافها تناسب أوصاف رفيقاتها (V. N. VIII. 0) ومع ذلك فلم يكذب يعرف أحد شخصية ماتيلدا على وجه التحديد فربما كانت هي السيدة الشابة اللطيفة التي ذكرها دانتي في «الحياة الجديدة» (V.N.XXXV.XXXVI) ، أو ربما كانت جوثانا حبيبة كافالكانتي كما ورد في «الحياة الجديدة» (V.N. XXIV 20-23) وربما كانت السيدة الرقيقة الجميلة التي سيطرت على قلب دانتي ، والتي جعلها رمزاً للفلسفة في «الوليمة» (Conv. III., IV) ويرى بعض النقاد أن هناك سيدات وفتيات أخريات كن وحيًا لدانتي في خلق شخصية ماتيلدا ، مما يتفق ذلك مع طريقة أهل الفن في خلقهم وإبداعهم ولقد اختلف النقاد كذلك في تحديد دور ماتيلدا من الناحية الرمزية فقال بعض إنهم رمز للحياة الفعالة لأنها تشبه ليثة في الأنشودة السابقة (Purg. XXVII. 98) ولأنها تقود دانتي منذ اللحظة التي أصبح فيها سيد نفسه (Purg. XXVII. 142) إلى الوقت الذي يشعر فيه أنه أصبح نقيًا طاهرًا جديرًا بالصعود إلى معارج السماء (Purg. XXXIII. 145) ، ولأنها تعاون دانتي على النقاء والتطهر قبل صعوده إلى السماء بغمرة في مياه هري ليتي وإينووي (XXXIII. 127.0 XXXI. 19) . ويرى غير هؤلاء من النقاد أن ماتيلدا رمز لمعان متعددة رمز للنعمة الإلهية أو للطبيعة البشرية المكتملة أو الحكمة أو الفن . ولا يعرف أحد ماذا جال بذهن دانتي ومشاعره على وجه التحديد

(٢٥) هذا تصوير رائع لغادة جميلة تغنى وتجمع الأزهار في روضة مزدهرة وهكذا يبرز دانتي بعض ملامح الإنسان في إطار الطبيعة الجميل ، ويخرج على تقاليد العصور الوسطى ويمهد لعصر النهضة فالعصر الحديث

(٢٦) يعنى الحب الإلهي

(٢٧) تعبر ملامح الوجه عما يستقر في قلب الإنسان في الغالب وذكر دانتي هذا المعنى في «الحياة الجديدة» و «الوليمة»

V.N.V. 5; XV. 5.

Conv. III. VIII. 9

(٢٨) يدعو دانتي ماتيلدا إلى الاقتراب قبالتة على الضفة الأخرى من نهر ليتي لكي يقدر على سماعها

(٢٩) پروسرپينا (Proserpina) الفتاة الجميلة التي كانت تجمع الأزهار في صقلية فاختطفها بلوتوني ملك العالم السفلي فبحثت عنها أمها سيريري بدون جدوى ، وهبط بها بلوتوني إلى العالم السفلي

حيث صارت ملكة له ولكن جوبيتر أعادها إلى أمها ، وكان عليها أن تقضى ثلث كل عام في عالم الجحيم . وسبق ذكرها ، وأورد أوفيدوس أسطورتها

Inf. IX. 44.

Ov. Met. V. 385

- (٣٠) أى فقدت بروسرپينا أزهار الربيع التي كانت تجمعها قبل اختطافها
- (٣١) هذه حركة نوع من الرقص الشائع في عهد دانتي حيث كانت الأقدام تتحرك منزلقة ملتصقة بالأرض دون أن ترفع عنها ويمكن ترجمة البيت الأخير بقولنا: (ولا تكاد تحرك أو تقدم قدما على الأخرى)
- (٣٢) على هذا النحو سارت ماتيلدا على الأعشاب والأزهار بدون أن ترفع قدميها عن الأرض أوحث هذه الأبيات إلى ساندر و بوتشلى في القرن ١٥ برسم صورة الربيع الموجودة في متحف الأوفيتزى في فلورنسا ، والتي تصور رشاقة الأجسام وخفة الحركات وخطو الحوريات على أطراف أصابعهن في إطار الربيع المزدهر وهى من روائع التصوير في عهد لورنتزو العظيم .
- (٣٣) كانت ماتيلدا تسير كعذراء تسبل عينيها حياء وخفرا حينما تشعر أنها محبوبة والحب هنا هو الحب الإلهي ومع ذلك فقد استمد دانتي صورة ماتيلدا من بعض ما استوحاه من الحياة الواقعة
- (٣٤) استجابات ماتيلدا لرجاء دانتي فاقتربت قبالتة على ضفة النهر الأخرى وبذلك بلغ سمعه ألفاظ غنائها ومعانيه
- (٣٥) حينما واجهت ماتيلدا دانتي رفعت عينيها الخفيضتين وكان ذلك له بمثابة الهبة أو المكرمة وهذه كلها حركات ومشاعر مستمدة من الملاحظة والإحساس الدقيقين في الحياة الواقعة وهكذا يمزج دانتي بين العالم الإلهي والعالم الواقعي .
- (٣٦) جرح كيوييد (Cupid) أمه فينوس (Venus) بسهم الحب من غير قصد فأحبت أدونيس فشح من عينيها نور شديد وأورد أوفيدوس هذه الأسطورة
- Ov. Met. X. 525
- (٣٧) بعد أن اقتربت ماتيلدا قبالة دانتي زال حياؤها وأخذت تضحك سعيدة بدون أن تخفض رأسها
- (٣٨) يعنى جمعت مزيدا من الأزهار المتنوعة الألوان
- (٣٩) أى في أعلى جبل المطهر
- (٤٠) سبق مثل هذا التعبير
- Purg. XXVII. 135.
- (٤١) تعبر هذه الكلمات عن معنى الأسف الذي ساور دانتي لبعده هذه المسافة القصيرة عن ماتيلدا
- (٤٢) يفصل مضيق الدردنيل (Hellespont) بين الشاطئين الآسيوي والأوربي وطوله حوالى ٤٠ ميلا ويتراوح عرضه بين ميل وأربعة أميال . وفي سنة ٤٨٠ ق م أقام إكزرسيس (Xerxes) ملك الفرس جسرا من القوارب على أضيق موضع فيه من أبيدوس (Abydos) على الشاطئ الآسيوي إلى سستوس (Sestos) على الشاطئ الأوربي لعبور جيشه لحرب الإغريق ومع أنه انتصر في البر إلا أن الحرب انتهت بهزيمة الفرس في البحر عند فاليروم بقرب سلاميس .
- (٤٣) لياندر (Leander) شاب من أبيدوس أحب هير و (Hero) من سستوس ، وكان يعبر الدردنيل سباحة لزيارتها كل ليلة ، ولكنه غرق في إحدى سباحاته فانتحرت هير و في البحر حزنا على عاشقها وأورد أوفيدوس هذه الأسطورة
- Ov. Heroid. XVIII. 173-174.
- ولقد عبر روبرت شومان عن مضمون قصة لياندر وهير و في لحن صغير ضمنه مؤلفه المسمى بالكرنفال ، ويساعدنا تذوقه على الاقتراب من شعر دانتي

- (٤٤) هكذا كره دانتي هذا النهر الذي باعد بينه وبين ماتيلدا
- (٤٥) يعنى أن فرجيليو واستاتيوس ودانتي وصلوا الآن إلى هذا المكان وهم مجهلون طبيعته
- (٤٦) المقصود أن الله قد اختار جنة عدن - الفردوس الأرضي - مقراً لآدم وحواء .
- (٤٧) أى إنهم يعجبون لابتسامة ماتيلدا بدون أن يدركوا سببها
- (٤٨) يرجع هذا إلى « الكتاب المقدس »
Saln. XCII. 4
- (٤٩) يعنى أن ماتيلدا ضاحكة سعيدة لأنها مبتهجة ببداية صنع الله في الفردوس الأرضي ، وبذلك أدرك الشعراء الثلاثة ما فاتهم إدراكه لأول وهلة
- (٥٠) أى دانتي الذي يسير أمام فرجيليو واستاتيوس
- (٥١) تسأل ماتيلدا دانتي أن يتكلم بحرية ويستفسر عن كل ما يريد معرفته لأنها مستعدة لإيضاح كل شئ حتى يصبح راضى النفس ، وحتى لا يظل بلا دليل حين لا يكون فرجيليو قادراً على معاونته وحتى تأتى بياتريتشى
- (٥٢) يعنى مياه مهر لبتى
- (٥٣) أى حركة الهواء داخل الفردوس الأرضي .
- (٥٤) كان دانتي قد سمع من استاتيوس أن ما بعد باب المطهر لا يتأثر بحركة المياه والرياح الأرضية ، ولذا أخذته الدهشة عند ما سمع صوت المياه والرياح هنا
Purg. XXI. 43
- (٥٥) تكرر ماتيلدا قولها لدانتي بأنها ستفسر له كل شئ لتبديد ما تولاه من العجب
- (٥٦) يعنى الله
- (٥٧) هذا لأن الله هو الكمال بذاته
Par. XXXIIJ. 105.
- (٥٨) يشبه هذا المعنى ما ورد في « الكتاب المقدس »
Gen.I. 31.
- (٥٩) أى منح الله للإنسان الفردوس الأرضي ، كما ورد في « الكتاب المقدس »
Gen. II. 8-25.
- (٦٠) يعنى بارتكاب الخطيئة الأولى ، كما جاء في « الكتاب المقدس »
Gen. III.
- (٦١) رفعت بيت ١٠٠ إلى هذا المكان مراعاة للأسلوب العربي
- (٦٢) يتحرك الهواء وبخار الماء إلى أعلى في إثر حرارة الشمس حتى المنطقة الثانية من مناطق الهواء الثلاث التي تحيط بالأرض ، بحسب نظرية أرسطو
Arist. Meteor. II. 4.
- (٦٣) المقصود أن جبل المطهر يصعد عالياً ولا يتأثر بمؤثرات الأرض الهوائية من باب المطهر حتى قمته ويتفق هذا مع قول استاتيوس السابق
Purg. XXI. 43-54.
- (٦٤) هذا تبعاً لنظرية الفلك البطلمي القائلة بثبوت الأرض ودوران الشمس حولها والتي يدور معها الهواء من الشرق إلى الغرب ويقصد بالمحرك الأول هنا السماء البللورية وربما قصد بذلك السماء عامة التي تجذب معها العالم كله
Par. XXVIII. 70.
- (٦٥) أى بأعلى جبل المطهر الذي لا يتأثر بهواء الأرض وحيث الهواء الخالص النقي .
- (٦٦) يعنى أن الشجر المهتز هنا له المقدرة على أن يملأ الجو بقوته النامية التي ينشرها الهواء في دورانه حول أرجاء الأرض جميعاً
- (٦٧) أى الأرض المسكونة

- (٦٨) يعنى تخرج الأرض النباتات المنوعة طبقاً لطبيعة التربة والجو الذى تتأثر به واستخدم دانتي لفظ (legna) من اللاتينية بمعنى النباتات أو الأشجار
- (٦٩) أى فى الدنيا
- (٧٠) يعنى فى الفردوس الأرضى
- (٧١) أى فى الدنيا ويشبه هذا ما ورد فى « الكتاب المقدس »
Gen. II. 9.
- (٧٢) يأخذ دانتي تشبيهه من ملاحظة حركة الأنهار والمجارى المائية
- (٧٣) يعنى أن الماء هنا ليس كنهر آخر يقوى ويضعف جريانه بناء على ما يتلقاه من مياه المطر أو الينابيع أو ما يفقده منها . ويتفق هذا مع قول أرسطو
Arist. Meteor. I. 13.
- (٧٤) أى أن هذا الماء يخرج بإرادة الله ويتدفق دوماً بقوة واحدة ويصب فى جانبيه المفتوحين هربى لىتى وإينووى
- (٧٥) هذا هو هر لىتى
- (٧٦) هذا هو نهر إينووى
- (٧٧) هر لىتى (Lethe) من اليونانية بمعنى النسيان وهو عند اليونان يخرج من بحيرة أفرنوس العميقة بقرب بوتولى ويؤدى إلى العالم السفلى ، وهو عند اللاتين هربى الجحيم ، وجعله دانتي فى الفردوس الأرضى . وهو يتجه إلى الجنوب وإلى يسار دانتي وتكرر الإشارة إليه فى الكوميديا بصور مختلفة كالنهر والنهر الجميل والينبوع
Strabo, Geog. V. 244.
Virg. Æn. VI. 703
Inf. XIV. 130 ...; XXXIV 130 Purg. I. 40; XXVI. 108; XXXIII. 96, 123.
- (٧٨) نهر إينووى (Eunoe) من اليونانية بمعنى ذكرى الخير ، ومن ذلك صاغ دانتي هذا الاسم . وهو يجرى فى مقابل نهر لىتى أى صوب الشمال . ولا نظير له فى الأدبين اليونانى واللاتينى ، ولكن فكرته تشبه نوعاً ما بعض ما ورد فى تراث الإسلام ، وكما سبق فى حاشية ١٨
- (٧٩) يعنى أنه لا بد من شرب ماء النهرين حتى تزول الخطيئة وتستعيد الذاكرة الأفعال الحميدة
- (٨٠) أى أن مياه إينووى تفوق سائر المياه لأنها تؤهل الإنسان للصعود إلى السماء
Purg. XXXIII. 142-145.
- (٨١) على الرغم من أن عطش دانتي إلى المعرفة يمكن أن يرتوى بدون المزيد من الإيضاح فإن ماتيلدا حاولت أن تزيده إيضاحاً . ويشبه معنى الرى بعد الظمأ ما ورد فى « الكتاب المقدس »
Apocal. XXI. 6.
- (٨٢) المكرمة هنا مكرمة علوية
- (٨٣) كانت ماتيلدا قد وعدت دانتي بأن تشرح له أصل الهواء والماء فى الفردوس الأرضى ، وتريد أن تضيف له شيئاً جديداً وتعتقد - على حق - أن هذا لن يجعل كلامها أقل إعزازاً لديه . وهذه إشارة إلى ما سبق فى أبيات ٨٨ - ٩٠
- (٨٤) يشير دانتي بهذا إلى الشعراء الأقدمين وعلى الأخص أوڤيديوس
Ov. Met. I. 89-112.

(٨٥) يعنى ربما رأى الشعراء الأقدمون هذا المكان فى الحلم حين قالوا شعرهم ، وجبل پارناسوس هو موئل أبولو وربات الشعر ويتكرر ذكر Purg. XXII. 65; XXXI. 141; Par. I. 16.

(٨٦) أى كان آدم وحواء بريئين فى الفردوس الأرضى .

(٨٧) تعجيل الشعراء الأقدمون الربيع الدائم فى عصر الإنسانية الذهبى ، وأورد أوفيدىوس ذلك

Ov. Met. I. 107, 109, 111.

(٨٨) نظر دانتى إلى الوراء لكى يرى أثر هذا الكلام على فرجيليو واستاتيوس .

(٨٩) رأى دانتى أن الشاعرين قد سمعا كلام ماتيلدا بالقبول والترحاب ولذلك علمهما البسمة الرقيقة

(٩٠) عاد دانتى إلى النظر إلى ماتيلدا وهو راغب فى المزيد من المعرفة

ولقد قرأت فى بعض المراجع فى أثناء وجودى فى إيطاليا فى صيف ١٩٦٢ إشارة إلى أن بعض الموسيقيين قد وضعوا ألحانا مستوحاة من بعض أبيات هذه الأنشودة ولكن ضيق الوقت الذى مُنحته عاقنى عن تحرى ذلك والوصول فيه إلى معرفة أكثر تحديدا

الأنشودة التاسعة والعشرون^(١)

مضت ماتيلدا في ترنمها وسارت بعكس اتجاه ليتي ، وتابع دانتي خطاها ، وانحى النهر حتى سارا في اتجاه واحد صوب المشرق ولفقت ماتيلدا نظر دانتي إلى نور ساطع انبثق فجأة في أرجاء الغابة ، فلم يعرف كنهه لأول وهلة . وسمع دانتي أنغاماً عذبة جعلته يلوم حواء على تهورها وحرمانه بالخطيئة من العيش في الفردوس الأرضي وبعد هنيهة رأى ناراً تشتعل تحت الأغصان ، وسمع أصواتاً ترتل ، فاستنجد بربات الشعر حتى يمكنه التعبير عما رآه وسمعه . وعرف رويداً أن الشعلات ترجع إلى عدد من السرج - أو المناير - ، وتبين أصواتاً ترتل قائلة « هوشعنا » وتوهج الموكب الجميل أشد من توهج البدر في منتصف ليلة صافية وحملت ماتيلدا دانتي على أن ينظر إلى ما وراء هذه الأنوار ، فرأى قوماً يأتون مرتدين بيض الثياب ، وحينما أصبح الموكب قبالة توقف دانتي لكي يرى بطريقة أفضل وعندئذ شهد الهواء ملوناً بنيران السرج على صورة قوس قزح ، ونظر إلى جماعة من أربعة وعشرين شيخاً - رمز لإصحاحات العهد القديم - أخذوا يرتلون بعض آيات من الكتاب المقدس ثم رأى أربعة حيوانات لكل منها ستة أجنحة وامتلأ ريشها بالأعين ، وهي رمز للأناجيل الأربعة أو لواضعيها . وشهد دانتي عربة نصر - رمز الكنيسة الظاهرة - يجرها الجريفون - رمز السيد المسيح - الذي يجمع بين أعضاء النسر والأسد ثم جاءت سبع سيدات وأخذن في الرقص ، وكانت ثلاث مهن ترمزن للمحبة والأمل والإيمان ، والأربعة ترمزن للفضائل الأساسية . ورأى دانتي القديسين لوقا وبولس ، وتبين واضعي الرسائل الكنسية الأربعة ، ونظر يوحنا صاحب الرؤيا يأتي وحيداً وقد دهمه النوم ، وتكلمات رؤوس القديسين السبعة بأكاليل من الورد والأزهار الحمراء ، وسمع دانتي قصف الرعد ، وعندئذ توقف هذا الموكب عن المسير

- ١ ومضت ما تليدا تترنم^(٢) ، كامرأة تيمها الهوى ، وختمت كلماتها بقولها^(٣) :
 " طوبى لمن غفرت خطاياهم ! " ^(٤)
- ٤ وكالحوريات اللأى كن يخطرن وحيدات فى الغابات الظليلة ، وبعضهن
 راغبات فى رؤية الشمس ، بينما الأخريات راغبات فى تجنبها^(٥) -
- ٧ سارت هى الآن على ضفة النهر وبعكس تياره^(٦) ، فتأبعت مسيرها جاعلا
 خطواتى صغيرة وفق خطاها^(٧)
- ١٠ ولم تكن خُطانا نحن الاثنين قد بلغنا المائة عدداً ، حتى انحرفتُ كلنا
 الضفتين من النهر^(٨) ، فوجدتُ نفسى متّجهاً صوب المشرق^(٩)
- ١٣ ولم يكن طريقنا قد امتدّ بعدُ طويلاً^(١٠) ، حينما اتّجهتُ السيدة نحوى
 قائلةً « ألا فلستُنظر يا أخى ولتُنصت^(١١) »
- ١٦ وإذُ بي أرى نوراً^(١٢) سرى بغتة فى كل أرجاء الغابة العظيمة ، على نحو
 جعلنى أظن أن هذا ربما كان هو البرق^(١٣)
- ١٩ ولكن لما كان البرق ينقطع لحظةً ظهوره^(١٤) ، على حين ازداد هذا النور
 ببقائه ضياءً^(١٥) - قلت فى نفسى « ما عسى هذا أن يكون ؟ »
- ٢٢ وفى الهواء المتألق انطأقتُ نغمةً رخيمةً ، فحملتنى غضبى العادلة على أن
 ألوم حواء على تهورها^(١٦) ،
- ٢٥ حواء التى لم تحتمل البقاء مستترةً بالحجاب^(١٧) ، ساعة أن خلقت
 كأنتى وحيدة ، هناك حيث رضخت الأرض والسماء لمشية الله^(١٨) ؛
- ٢٨ ولو أنها ظلّت تحت الحجاب خاشعةً ، لتذوّقتُ من قبل - ولزمانٍ طويل -
 تلك المباحج التى تجلّ عن الوصف^(١٩)
- ٣١ وفيما كنت أسير وقد تولانى العجب^(٢٠) ، بين أولى الثمرات من هذه البهجة
 الأزلية - وما زال يحدونى الشوق إلى المزيد من تلك المباحج^(٢١) -
- ٣٤ صار الهواء أمامنا^(٢٢) كأنه قد اشتعل بالنار^(٢٣) ، تحت الأغصان الخضراء ،
 وفى ثنايا الأنغام الرخيمة تبينتُ عذبَ الشدو^(٢٤)
- ٣٧ أيتها العذارى المباركات^(٢٥) ، إذا كنتُ قد احتملت فى سبيلكنّ الجوع
 والبرد وسهر الليالى أبداً ، فإن دافعاً قوياً يهمنى لكى أسألكنّ العون^(٢٦)

- ٤٠ والآن ينبغى أن يمدّنى نبع هيليكون بسلسبيله^(٢٧)، وتُعيننى أورانبا بجوقها^(٢٨)،
لكى أنظم القوافى فى أمور يصعب على ذهنى تناولها^(٢٩).
- ٤٣ وعلى بُعدة قليلةٍ مها، بدا لى أنى أرى سبع أشجار مصوغة من الذهب^(٣٠) -
على غير حقيقة - بالمسافة الطويلة التى كانت قائمة بيننا وبينها^(٣١)
- ٤٦ ولكن حينما ازددت قرباً إليها - حتى لم تفقد صورتها العامة - التى تخدع
الحواس - شيئاً من خصائصها^(٣٢) -
- ٤٩ أدركتُ المَلَكَكةُ التى تمدّ العقل بالكلام^(٣٣) أنها سُرُجٌ - بالحال التى
كانت عليها ، وتبينت بين الأصوات ترتيلهم كلمة " هوشعنا " ^(٣٤)
- ٥٢ وازداد الموكب الجميل فى أعلاه توهجاً^(٣٥) ، حتى فاق القمر حين يصير
بدرأً ، فى منتصف ليلة صافية^(٣٦)
- ٥٥ فاتجهتُ إلى فرجيليو الطيب وأنا بالعجب مُفعمٌ ، فأجابى بوجهٍ ليس أقلّ
امتلاءً بالعجب^(٣٧) .
- ٥٨ عندئذٍ ألقيتُ ببصرى إلى الكائنات السامية^(٣٨) ، التى جاءت نحونا بخطى
بطيئةٍ ، حتى لتفوقها فى السير العرائس الجدد^(٣٩) .
- ٦١ وصاحت بى تلك السيدة قائلة^(٤٠) « لمَ تتحرق شوقاً إلى مرأى الأنوار
المتألقة ، ولا ترنو بعينيك إلى ما يأتى من ورائها^(٤١) ؟ »
- ٦٤ وعندئذٍ رأيت قوماً مُتسرّبلين ببيض الثياب آتين من بعدها ، كأنهم
يتبعون أدلاءهم^(٤٢) ، ولم نرَ هنا أبداً لهذا البهاء مثيلاً^(٤٣) .
- ٦٧ وإلى يسارنا تألقتُ صفحةُ الماء ، وحين أخذتُ فى النظر إليها عكستُ إلى
- كمرأةٍ - جازبى الأيسر^(٤٤)
- ٧٠ ولما اتخذتُ على يصفى لنفسى موضعاً - حتى لم يعد يُبعدننى عنهم سوى
مجرى النهر - أوقفتُ خطاى لى أراهم بطريقة أفضل^(٤٥)
- ٧٣ فشهدتُ شعيلات النار إلى الأمام ماضيةً ، وقد خلقتُ الهواء من ورائها
ملوناً^(٤٦) ، وكان لها بذلك صورة اللمسات من ريشة الرسم^(٤٧) ؛

- ٧٦ ومن فوقها ظلّ الهواء مميّزاً بسبعة أشرطة ، كانت كلّها بتلك الألوان التي تصنع منها الشمس قوس قزحها (٤٨) ، ومنها تصنع دلياً هالتها (٤٩)
- ٧٩ وإلى الورا امتدّت هذه الأعلام أبعد من ناظري (٥٠) ، وبتقديرى باعدت عشر خطوات بين ما كان منها في الجنّبين (٥١) .
- ٨٢ وتحت هذه السماء الفائقة الجمال كما أقوم بوصفها ، تقدّم أربعة وعشرون شيخاً (٥٢) سائرين اثنين اثنين ، وقد تكلمت هاماتهم بأزهار الزنبق (٥٣)
- ٨٥ ورتلوا جميعاً « مباركة أنت بين بنات آدم ومباركة صور جمالك إلى الأبد (٥٤) ! » .
- ٨٨ وحين تخلّصت الأزهار وسائر العُشبيات الطرية ، من خطى أولئك المختارين - قبالي على الضفة الأخرى (٥٥) -
- ٩١ وكما يتبع نورٌ في السماء نوراً غيره (٥٦) - جاء في إثرهم حيوانات أربعة (٥٧) ، وقد تكلمت هامة كلّ منها بغصن أخضر (٥٨)
- ٩٤ وبسته أجنحة ترّيش كلّ واحد منها (٥٩) ؛ وكان ريشها مليئاً بالأعين (٦٠) : ولو أن أعين الأرجوس قد ظلت في الحياة طليقةً ، لغدت في مثل صورتها (٦١) .
- ٩٧ ولستُ بناظم - أيها القارىء - مزيداً من القوافي لوصف شكولها ؛ إذ يستحشني واجبٌ آخر ، حتى ليتعدّر على الإطناب في هذا الصدد (٦٢)
- ١٠٠ ولكن فلانتقراً حزقيال الذي يرسمها كما رآها آتيةً من البلاد الباردة ، طي الرياح وعبر السحاب وبين السنة اللهب (٦٣) ؛
- ١٠٣ وكما أنت واجدها في صفحاته ، هكذا أصبحت هاهنا ، سوى ما يتعلّق بريشها فيوحنا يتفق معي ويختلف عنه في ذلك (٦٤)
- ١٠٦ والمسافة الكائنة بين أربعها احتوت عربة نصر (٦٥) ذات عجلتين (٦٦) ، جاءت يسحبها الجريفون بعنقه (٦٧) .
- ١٠٩ وإلى أعلى مدّ كلا جناحيه (٦٨) ، بين الجماعة الوسطى وبين كلّ من الجماعتين الثلاثيتين ، حتى لم يزعج بحركته لإحداها (٦٩)

- ١١٢ وعلا ارتفاع جناحيه حتى لم يُرَ لهما آخر (٧٠) ؛ ومن الذهب صيغت أعضاؤه بقدر ما كان له من صفات الطير (٧١) ، وكان سائره أبيض اللون مشوباً بالحمرة (٧٢)
- ١١٥ ولا يقتصر الأمر على أن روما لم تُسجد الأفرقي (٧٣) ولا أغسطس (٧٤) ، بعربة جميلة مماثلة ، بل إن عربة الشمس تبدو هزيلةً بجانبها (٧٥) .
- ١١٨ ولما حادت عربة الشمس عن طريقها ، احترقت بصلاة الأرض المبهلة ، حينما كان جوبيتر عادلاً في حكمه المبهم (٧٦)
- ١٢١ وثلاث سيدات جنن راقصات في حلقة إلى جانب العجلة اليمى (٧٧) ، وكان لون إحداهن شديداً الحمرة ، حتى لم تكد ترى بين السنة الذهب (٧٨) ؛
- ١٢٤ وكانت الثانية كأن لحمها وعظامها قد صنعت من الزمرد (٧٩) ؛ وبدأت الثالثة ثلجاً تساقط تواءً (٨٠) ؛
- ١٢٧ وبدون الآن تقودهن البيضاء تارة والحمراء طوراً ؛ وعلى ترنم هذه نظمت الأخرىتان خطواتهما ببطء وبسرعة (٨١)
- ١٣٠ وفي ثياب أرجوانية اللون (٨٢) ، رقصت إلى اليسار سيدات أربع (٨٣) ، متابعاتٍ خُطى إحداهن ، التي كان لها برأسها ثلاث أعين (٨٤)
- ١٣٣ وخلف كل هذه الجماعة التي تناولتها آنفاً (٨٥) ، رأيت شيخين (٨٦) ، تباينا في ملبسهما (٨٧) ، ولكنهما تشابها في هيئتهما المتضعة الوقورة (٨٨) .
- ١٣٦ وأبان أحدهما عن نفسه أنه من رفاق ذلك العظيم هيبوقراطيس (٨٩) ، الذي خلقتة الطبيعة ذُخراً لكائناتها التي تعترّ بها كثيراً (٩٠) ؛
- ١٣٩ وبدا الآخر أنه ذو مهنة مغايرة - بسيفه اللامع القاطع - حتى بعث الرعدة في أوصالي على هذا الجانب من النهر (٩١)
- ١٤٢ ثم رأيت أربعة رجال تعلوهم أمارات التواضع (٩٢) ؛ وخلفهم جميعاً نظرتُ عجوزاً يأتى وحيداً وقد داعبه النوم ، وتميّز بوجهٍ حادّ الملامح (٩٣) .
- ١٤٥ وعلى غرار ما ارتدته الجماعة الأولى ، تسربل هؤلاء السبعة بالثياب (٩٤) ، ولكن لم يكن لهم حول رؤوسهم أكاليل من الزنبق ،



١٢ - ثلاث حوريات ترقصن في الفردوس الأرضي

أنشودة ٢٩ ١٢١ - ١٢٦

- ١٤٨ بل من الورود ومن غيرها من الزهور الحمراء^(٩٥) : وإن من يراهم من مسافة قليلة ليقسم أن النار قد اشتعلت فوق حواجبهم جميعاً^(٩٦)
- ١٥١ وحينما أصبحت العربية قبّالتي ، سمعتُ الرعدُ يقصف^(٩٧) ، وبدأ أن مواصلة السير قد امتنعتُ على هذه الجماعة الوقورة ،
- ١٥٤ وهناك توقفوا مع أعلام المقدّمة^(٩٨) .

حراشى الأنشودة التاسعة والعشرون

- (١) هذه هى الأنشودة الثانية من الفردوس الأرضى وتسمى أنشودة الكنيسة الظافرة
- (٢) أضفت (ماتيلدا للإيضاح ويشبه هذا قول جويدو كاثالكانتى
Cav. Ball. IX.
- (٣) يعنى أن ماتيلدا تابعت ترتيبها فى الأنشودة السالفة.
- (٤) تنطق ماتيلدا بهذه الكلمات قبل أن تغمر دانتي ومياه مهرليتي لكي تزول آثامه وهذا مقتبس من
Salm. XXXII. « الكتاب المقدس »
- (٥) يشبه الكلام عن الحوريات ما أورده أوغيدوس
- (٦) سارت ماتيلدا بعكس اتجاه النهر على ضفته اليمى صوب الجنوب
- (٧) سار دانتي على الضفة اليسرى متابعا خطوات ماتيلدا الصغيرة
- (٨) أى اتجه النهر صوب اليسار
- (٩) سار دانتي وماتيلدا صوب المشرق كما فعلا من قبل
Purg. XXVII. 133.
- (١٠) يعنى فى الاتجاه الحديد للنهر
- (١١) لفتت ماتيلدا نظر دانتي إلى ما سيحدث
- (١٢) هذا النور رمز لانتصار الكنيسة
- (١٣) ملأ النور الشديد الغابة بالضياء حتى ظن دانتي أن هذا هو البرق والصورة مأخوذة من ملاحظة
بعض مظاهر الطبيعة
- (١٤) أى أن البرق كما يأتى فجأة يختفى فجأة
- (١٥) زاد هذا النور ببقائه ضياء ولم ينقطع كنور البرق
- (١٦) ولدت هذه النعمة الرخيمة النشوة والحماسة فى دانتي فوجه اللوم إلى حواء لتهورها فى عصيان الله
واستخدم دانتي لفظ (zelo) بمعنى الغضب
- (١٧) لم تحتمل حواء أن تخضع لإرادة الله وتدع شيئا خافيا عنها وورد هذا فى « الكتاب المقدس »
Gen. III. 5.
- (١٨) يعنى فى الفردوس الأرضى حيث سادت طاعة الله ، وأضفت (مشيئة الله لإيضاح المعنى
- (١٩) أى لو أطاعت حواء إرادة الله لتذوق دانتي منذ ولادته وطول حياته مباهج الفردوس الأرضى
- (٢٠) استولى العجب والدهشة على دانتي فى هذا الجو الغريب عليه وسبق مثل هذا التعبير
Purg. XX. 139.
- (٢١) كان دانتي يتطلع بذلك إلى رؤية بياتريتشى القادمة إليه
- (٢٢) يعنى جهة الشرق
- (٢٣) كانت هذه النار عبارة عن السرج السبعة القادمة
- (٢٤) تبين دانتي الترتيل فى الأنغام التى سمعها من قبل فى بيت ٢٢
- (٢٥) يستنجد دانتي برباب الشعر ، وسبقت تعبيرات مقاربة
Inf. II. 7; XXXII. Purg. I. 8.

- (٢٦) هذه هي حال الشاعر حينما يأخذه الإلهام وعبر دانتى عن هذا المعنى « في الوليمة »
Conv. III. III. 13.
- (٢٧) هيليكون (Helicon) الجبل المقدس في بويثيا وموئل ربات الشعر ويوجد به نبعا أجانبي وهيبوكريبي وذكره فرجيليو
Virg. Æn. VII. 641.
- (٢٨) أورانيا (Urania) ربة الفلك وهي عارفة بأمر السماء والترتيل المقدس والمقصود بالحقوة سائر ربات الشعر وذكر أوفيدوس أورانيا
Ov. Met. V. 260.
- (٢٩) كان دانتى أمام أمور يصعب التفكير فيها وبالتالي يصعب وصفها
- (٣٠) يقصد البعد القليل عن المنطقة المضيفة وهذه هي السرج - أو المناير أو المشاعل - المشتعلة التي ترمز لأرواح الله السبعة الحكمة والعقل والمشورة والقوة والعلم والرحمة ومخافة الله
Conv. IV. XXI. 12.
- Esod. XXV. 37; Num. VIII. 2; Apocal. I. 12, 20.
- (٣١) أى أن بعد المسافة جعل هذه السرج تبدو لدانتى أنها أشجار مصنوعة من الذهب
- (٣٢) لكل حاسة موضوع تختص به كالضوء للنظر والصوت للسمع ، ولا تخطى الحاسة إذا كانت سليمة ولم يعقها عن أداء وظيفتها عائق ولكن هناك مسائل أخرى كالحركة والعدد والحجم والشكل لا تختص بها حاسة واحدة بل تشترك في إدراكها أكثر من حاسة ، ولذلك يتعرض الإنسان للخطأ ، ولا بد له من ملكة الحكم والتقدير للوصول إلى الصواب وتعبير (obietto comune) يعنى المحسوس العام أو الصورة العامة للشيء والمقصود هنا أن دانتى خدع بشأن الصورة العامة لما رآه .
Arist. De Anima, II. 6. 1-4.
- Conv. IV. VIII. 6.
- (٣٣) يعنى ملكة التقدير كما سيأتى في الفردوس
Par. XXVI. 75.
- (٣٤) هوشعنا أو (أوصنا) كلمة عبرية يعنى التسبيح والتمجيد والتبريك
Matt. XXI. 9;
- (٣٥) أى أن مجموعة السرج صنعت موكبا شديد التوهج
- (٣٦) يعطى دانتى صورة دقيقة للبدر المكتمل في الليلة الصافية
- (٣٧) بدا في عيني دانتى أنه يطلب تفسيراً لما يراه من العجائب ، ولكن فرجيليو الذى امتنع عن الكلام (Purg. XXVII. 129) أجابه بنظرة لاتقل عجباً عما أخذ بنفسه من العجب وما أقوى تعبير دانتى بسؤاله الصامت وجواب فرجيليو عنه بدون كلام ! إننا نجد في نظرة دانتى الاحترام والمحبة ورغبة التلميذ في المعرفة ونقرأ في نظرة فرجيليو عجب الأب والأستاذ الذى فاتته أن يدرك ما هو بسبيله الآن فلا يخفى عجبه ولقد تحول فرجيليو بذلك إلى شيخ من الأسى والشجن وكانت تلك آخر نظرة يلقها دانتى على فرجيليو وأى تعبير في هذا كله ! وهذا هو دانتى الذى يعبر بالحركة والنظرة عما تعجز عنه الكلمات
- (٣٨) يعنى لفظ (alte) العالية أو المرتفعة ويرى بعض الشراح أن المقصود بهذا ألسنة اللهب المنبعثة من السرج والتي صعدت أعلى ويكنى هذا اللفظ عن العظيم أو الرائع أو الفريد ، وهو ما أخذت به ولا أفضلية لأى من التفسيرين بالنسبة لمسياق العام

- (٣٩) كانت حركة موكب السرج أبطاً من سير العرائس الجدد اللأى تخرجن متباطآت من بيوت آبائهن إلى بيوت أزواجهن وقد علاهن الحجل
- (٤٠) صاحت ماتيلدا موجهة اللوم إلى دانتي
- (٤١) تلوم ماتيلدا دانتي لأنه اقتصر على النظر إلى الأنوار دون ما يأتى من ورائها وستفعل بياتريشى ما يقرب من هذا فيما بعد
Par. XXIII.70-72.
- (٤٢) رأى دانتي جماعة تسير وراء السرج كن يسرون وراء أدلائهم وقد ارتدوا الثياب البيضاء ، ويشبه هذا ما ورد فى « الكتاب المقدس »
Apocal. IV. 4.
- (٤٣) كانت ملابسهم ناصعة البياض بما ليس له مثيل هنا ، يعنى فى الأرض
- (٤٤) يتضح جمال هذا التعبير لمن يقرأ الأصل وهذا هو دانتي الذى يتراوح شعره ويتفاوت لكى يناسب كل المواقف
- (٤٥) أى حينما أصبح مهر لى وحده فاصلا بين دانتي وهذه الجماعة صار الطرفان متقابلين على ضفتى النهر فتوقف دانتي عن السير لكى يحسن الرؤية
- (٤٦) يرجع هذا التلوين إلى أثر شعلات السرج
- (٤٧) يرى أغلب الشراح أن لفظ (pennelli) يعنى هنا لمسات ريشة الرسم ويناسب هذا المعنى التلوين والألوان فى هذه الثلاثية والى تليها ولا يتعارض هذا التفسير مع استخدام دانتي لفظ الأعلام بعد قليل ، فى بيتي ٧٩ و ١٥٤ ، وهو من معانى الكلمة الإيطالية ذاتها ويرى بعض الشراح أن دانتي أراد أن يقول الأعلام - ويقصد صورتها - فى هذا الموضع ويرى آخرون أن المقصود هو (الأعلام المرسومة بريشة الرسم) ولا أحد يدرى ما دار بذهن دانتي على وجه التحديد
- (٤٨) أحدثت شعلات السرج ألوانا تشبه قوس قزح ويشبه هذا المعنى ما ورد فى « الكتاب المقدس » :
Ezech. I. 27-28.
- (٤٩) دليا (Delia) هى ديانا (Diana) ربة الصيد التى ولدت فى ديلو ، ويطلق اسمها على القمر والمقصود أن نيران السرج أحدثت لونا يشبه هالة القمر
Ov. Met. V. 636.
- (٥٠) امتدت هذه الأعلام - أو الأشرطة - من النار إلى الوراء بعيدا حتى لم يعد دانتي يراها وهذا يعنى أنه لا حد للهبات الإلهية
- (٥١) يعنى أن الحدين الخارجيين للنيران ابتعد الواحد منها عن الآخر بمدار عشر خطوات وسارت بينهما سائر السرج ورقم عشرة يعنى الكمال فى العصور الوسطى - وقلت (فى الجنين) لإيضاح المعنى
- (٥٢) هؤلاء هم الشيوخ الذين يحيطون بعرش الله ، ويمثلون إصحاحات العهد القديم
Apocal. IV. 4.
- (٥٣) زهرة الزنبق هنا رمز لنقاء العقيدة فى التوراة ورمز الإيمان بالمسرح .
- (٥٤) هذه تحية جبريل لإليصابات وماريا يقولها الشيوخ هنا لماريا أو لبياتريشى
Luca, I. 28; 42.
- (٥٥) أى بعد أن مضى موكب السرج وخلت منه الأرض قبالة دانتي .

- (٥٦) يعنى كما تتحرك النجوم في السماء ويحل نجم مكان آخر
- (٥٧) يرى بعض الشراح أن الحيوانات الأربعة رمز للأناجيل الأربعة ، ويرى آخرون أنها رمز لواضعى هذه الأناجيل والحيوان الأول يشبه الأسد والثاني يشبه العجل والثالث له وجه إنسان والرابع يشبه النسر
Ezech. 1.4-14; Apoc. IV,6-8.
- (٥٨) الأغصان الخضراء - أى أوراق الغار - رمز للحياة الدائمة والأمل والكتاب المقدس .
- (٥٩) ترمز هذه الأجنحة إلى الحكمة الإلهية في رؤيا حزقيال ورؤيا يوحنا ويرى بعض النقاد أنها ترمز عند دانتى إلى سرعة انتشار الكتاب المقدس في العالم
- (٦٠) الأعين الكثيرة رمز لرؤية الماضي والحاضر
- (٦١) المقصود أن هذه الأعين كانت حادة البصر ولو ظل الأرجوس حيا لشابهت أعينه هذه الأعين . والأرجوس (Argus) حيوان خرافي له ١٠٠ عين ، جعلته يونون يراقب إيواتى أحبها زوجها جوبيتر وحوها إلى بقرة فأمر جوبيتر عطارده بأن يقتل الأرجوس ففعل ، فنقلت يونون عيونها إلى ذيل الطاووس طائرها المفضل وأورد أوفيدوس هذه الأسطورة
Ov. Met. I. 568-747.
- (٦٢) يقول دانتى للقارئ إنه لا يمكنه إطالة الكلام عن الحيوانات الأربعة لضيق المقام .
- (٦٣) يحيل دانتى القارئ على « الكتاب المقدس »
Ezech. I. 4-14.
- (٦٤) اتفق يوحنا ودانتى في جعل الأجنحة ستة على حين جعلها حزقيال أربعة
- (٦٥) العربية رمز للكنيسة الظاهرة
Ezech. I. 15-21.
- (٦٦) العجلتان رمز للتوراة والإنجيل اللذين تعتمد عليهما الكنيسة
- (٦٧) الجريفون (Griphon) حيوان خرافي له رأس نسر وجناحاه وجسم أسد ويرى النقاد أنه رمز للمسيح الإله الإنسان - عند المسيحيين - ممثلا في جزئيه الأعلى والأسفل على التوالي ويشبه هذا قول إيزودور الأشبيلي في القرن ١٣ إن المسيح أسد لقدرته وقوته وإنه نسر لصعوده إلى السماء وتكلم ماركو پولو في القرن ١٤ عن سماعه بالجريفون في جزيرة مدغشقر على أنه نسر ضخيم وعرفت صورة الجريفون المزودة في العصور الوسطى وقد سجله فن النحت خلالها ، ومن ذلك أن پير ودجا اتخذت الجريفون بهذه الصورة رمزا لها
Isodoro di Siviglia, Orig. VII. 2. (Bignami, Par. p. 256)
Marco Polo, Milione, CLXVIII.
- (٦٨) الجناحان رمز للمحبة والعدالة الإلهية
- (٦٩) رفع الجريفون جناحيه في المسافة الحالية بين مجموعة السرج التي في الوسط وبين المجموعتين الثلاثيتين منها في الجناحين ، وبذلك لم تؤثر حركة الجناحين على نيران السرج
- (٧٠) علا ارتفاع الجناحين إلى السماء حتى لم ير دانتى هياتهما ، والجريفون رمز للمسيح الإنسان - الإله (عند المسيحيين) كائن في الأرض والسماء في وقت واحد ، ولذا لا تراه عين الإنسان في السماء ،
- (٧١) أى كان الرأس والجناحان من الذهب ، رمز الطبيعة الإلهية في الجريفون
- (٧٢) كانت سائر أعضائه ذات لون أبيض مشوب بالحمرة ، وهذا رمز الطبيعة الإنسانية في الجريفون
Cant. Cantic. V. 10-11.
- (٧٣) شيبوني الأفريقي (Scipione Africanus) القائد الروماني الذي هزم هانيبال في زاما في ١٨٥ ق.م. وتتكرر الإشارة إليه
Inf. XXXI. 116; Par. VI. 53; XXVII. 61-62.

- (٧٤) أغسطس قيصر (Augustus) الأمبراطور الرومانى ويتكرر ذكره والإشارة إليه
Inf. I. 71; Purg. VII. 6; Par. VI. 73-81.
- (٧٥) يعنى أن هذه العربة كانت أجمل من عربات شيبونى وأغسطس وفيتون
- (٧٦) خرجت عربة فيتون (Phetone) عن طريقها وهى تصعد إلى الشمس وأمام ضراعة الأرض قتله
جوبيتر بصاعقة ويتكرر ذكر فيتون فى الكوميديا وأورد أوڤيديوس أسطوره
Inf. XVII. 107; Purg. IV. 72; Par. XXXI. 125.
Ov. Met. II. 278-300.
- (٧٧) السيدات الثلاث ترمزن للفضائل اللاهوتية
- (٧٨) ذات اللون الأحمر رمز للمحبة
- (٧٩) خضراء اللون رمز للأمل
- (٨٠) البيضاء اللون رمز للإيمان ويختار دانتي فى تعبيره عن الألوان هنا النار للأحمر والزمرد للأخضر
والثلج للأبيض ، وبذلك يعطى التلوين الدقيق للصورة التى يرسمها
- (٨١) يرسم دانتي بكلمات قليلة رقص السيدات الثلاث ويعبر عن الحركة بتناوب البيضاء والحمراء قيادة
الرقص وبالتفاوت بين البطء والسرعة
وإن تذوق بعض الألحان الموسيقية فى الإنشاد أو الحوار أو الرقص من ألحان التروبادور
أو بلاط النبلاء من القرن ١٣ إلى القرن ١٥ ليساعدنا على فهم هذا الجو ، وذلك كما جاء فى
Troubadours, Trouveres et Minnesanger,
Le Jeu de Robin et Marion,
Rondeaux et Danses du 13e. et 14e. siècle. (Archiv).
Divertissements Courtois. (Discophiles Français).
- (٨٢) اللون الأرجوانى رمز للمحبة
- (٨٣) هؤلاء رمز الفضائل الرئيسية وهى العدالة والقوة والاعتدال والتبصر
وقد رسم جوتو فى القرن ١٤ صور نساء يمثلن هذه المعانى فى كنيسة آل اسكروڤنى فى بادوا
- (٨٤) ترمز هذه للتبصر وهى تقود الأخريات ولها ثلاث أعين لكى ترى أكثر من غيرها
- (٨٥) أى وراء السرج والعربة والجريفون والسيدات السبع
- (٨٦) هما لوقا الذى كتب أعمال الرسل وبولس واضع الرسائل
- (٨٧) ارتدى لوقا ملابس طبيب وبولس ملابس جندي ، واعتادا الإرتحال معا وذكر «الكتاب المقدس»
اشتغال لوقا بالطب
Epist. Colos. IV. 14.
- (٨٨) تشابه لوقا وبولس فى الروح التى سيطرت عليهما ولذلك بدا لهما التواضع والوقار
- (٨٩) هيپوقراطيس أو أبوقراط (Hippocrates) أبو الطب وسبق ذكره
Inf. IV. 143.
- (٩٠) يعنى أوجده الطبيعة ليفيد الإنسان بطبه
- (٩١) هذه إشارة إلى اشتغال بولس بالهندية قبل تحوله للمسيحية، على أن السيف هنا هو سيف الروح
الذى هو كلمة الرب ، كما ورد فى «الكتاب المقدس»
Epist. Efesi, VI. 17.
- (٩٢) عند أغلب المنقادهم يواقيم وبطرس ويوحنا ويهوذا واضعو الرسائل الكنسية الأربع .

- (٩٣) هويوحنا صاحب الرؤيا
- (٩٤) ارتدى السبعة الأخيرون اللون الأبيض كالأربعة والعشرين شيخا كما في بيت ٦٥
- (٩٥) الورود والزهور الحمراء رمز لاشتعال نار المحبة
- (٩٦) بدت الورود والزهور الحمراء كأنها نار تشتعل على جباههم وهذا تصوير دقيق استعان فيه دانتى ببعض ثمرات الطبيعة
- (٩٧) الرعد القاصف دليل على توقع شيء غير مألوف ، ويعنى هنا توقف الموكب عن المسير .
- (٩٨) أى توقف الموكب بتوقف الأعلام - السرج المشتعلة - التي كانت في المقدمة

الأنشودة الثلاثون^(١)

حينما توقفت السرج السبعة نظرت إلى العربة المقدسة جماعةُ الشيوخ الذين ساروا بين الجريفون والسرج - أو المشاعل أو المناير - ورتل سليمان الحكيم وسائر الشيوخ داعين بياتريتشى إلى القدوم وعندئذ صعد كثير من الملائكة فوق العربة وباركوا تلك الآتية ، ونثروا الأزهار إلى أعلى وفيما حولهم ثم ظهرت بين سحابة كثيفة من الأزهار سيدةٌ مكلّلة بغصن الزيتون ، وكانت ذات نقاب أبيض وارتدت ثوباً أحمر اللون تحت عباءة خضراء ، فأحس دانتي بدون أن يتبينها بالسلطان العارم لحبه القديم ، واتجه يخاطب فرجيليو قائلاً إنه يعرف علام الشعلة القديمة ، ولكن فرجيليو كان قد اختفى فبكى دانتي لرحيله المفاجئ ونادت بياتريتشى دانتي باسمه وسألته ألا يبكى لأنه بحاجة للبكاء بسبب آخر وبدت بياتريتشى كأمر البحر الذى يرقب سفنه ، وأفصحت عن شخصها ، وسألت دانتي كيف جرؤ على الصعود إلى جبل المطهر ، فأحس الحجل الشديد وترنم الملائكة بثقتهم بالله ، وحينما أحس دانتي عطف الملائكة عليه ذاب الثلج الذى أطبق على قلبه وخرج الأسى من صدره إلى فمه وعينه وقال بياتريتشى للملائكة إن دانتي كان له بفضل النعمة الإلهية ملكات طيبة وقالت إنها ساندته فى الحياة وقادته إلى الطريق المستقيم ، ولكنها عندما انتقلت إلى عالم الروح انساق وراء غيرها من النساء واتجه إلى مسالك الزلل ، ولم ينفعه أن نادته باسم الإلهام الإلهى فهوى إلى الحضيض ، ولم يُجِدْ فى خلاصه سوى إظهاره على القوم الهالكين ، ولذلك نزلت إلى الجحيم ، وحملت فرجيليو بضراعتها وبكائها على أن يخلصه من الأخطار . وقالت إن شريعة الله لتنقض إذا شرب من مهر لتي بدون أن يندم ويكفر عن خطاياها

- ١ حينما ظلّ الدّب الأكبر في السماء الأولى واقفاً بدون حراك^(٢) ، والذي لم يعرف أبداً شروقاً ولا غروباً ولا ضباباً^(٣)
- ٤ سوى غشاوة المعصية ، والذي حمل جميع من هم هنالك على أن ينتهبوا لواجبهم^(٤) ، كما يفعل الدّب الأدنى^(٥) لمن يدير سكتان سفينته ،
- ٧ حتى يبلغ بها الميناء - عندئذ اتجهت إلى العربية الجماعة الصدوقة التي جاء أفرادها من قبل بين الجريفون وبين السرج السبعة^(٦) ، سعياً وراء السلام ؛
- ١٠ ومن بينهم بدا واحد أنه رسول آت من السماء^(٧) ، وصاح عالياً مرتلاً ثلاث مرات "تعالى يا عروسي من لبنان"^(٨) ، ومن بعده رتل الآخرون جميعاً^(٩)
- ١٣ وكما سيُسارع جميع الطوباويين إلى النهوض من قبورهم ، حين ينفخ في الصور الأخير ، وباستعادة أجسادهم سيرتلون "هللوا يا"^(١٠) ،
- ١٦ هكذا ظهر فوق العربية الإلهية مائة من خُدّام الحياة الأزليّة ورسّلها^(١١) ، عند سماع صوت ذلك الشيخ العظيم^(١٢)
- ١٩ وقالوا جميعاً: «مبارك الآتي . . . (١٣) !» ؛ ونثروا الأزهار فوقهم وفيما حوالهم قائلين «آه ، ألا فلدتنثروا ميلء أيديكم أزهار الزنبق^(١٤) !» .
- ٢٢ وكنت قد رأيت من قبل عند بزوغ النهار أرجاء المشرق تسودها حمرة الورد ، وتترّين سائر أنحاء السماء بلونها الأزرق الصافي^(١٥) ؛
- ٢٥ ونظرتُ وجهَ الشمس يُشرق من وراء حجاب ، فاحتملته عيني فترةً أطول ، بالسحب التي خفّفت من حدة وهجه^(١٦)
- ٢٨ هكذا بدت لي - بين سحابة من الأزهار التي تصاعدت من أيدي الملائكة ، وهوت إلى باطن العربية وإلى خارجها^(١٧) -
- ٣١ هكذا بدت لي سيدة^(١٨) - تكلمت بغصن الزيتون^(١٩) فوق نقابها الأبيض^(٢٠) ، وارتدت ثوباً في لون الشعلة المستعرة^(٢١) ، تحت عباءة خضراء^(٢٢)
- ٣٤ وروحي التي لم يك قدناها منذ أمد بعيد ما ألفتته من العجب والرعدة^(٢٣) ، حين كانت تمثّل في حضرتها^(٢٤) ،

- ٣٧ أحسستُ - بدون أن أتبين بعينيّ منها مزيداً (٢٥) - الساطانَ العارمَ لحبي القديم ، بالسحر الخفيّ الذي انبعث منها (٢٦)
- ٤٠ وما إن أصابت ناظري قوتُها الساحقةُ ، التي كانت قد جرحتنى بسهامها ، من قبل أن أتجاوز عهد طفولتي (٢٧) -
- ٤٣ حتى اتجهتُ إلى يساري بالثقة التي يجري به الطفل الصغير نحو أمّه ، عندما يخاف أو يتألم (٢٨) -
- ٤٦ لكي أقول لفرجيليو « لم تتعدّ في أوصالي قطرة دمٍ لا ترتجف : وإني لأعرف علائمَ الشعلة القديمة (٢٩) » ؛
- ٤٩ ولكن فرجيليو كان قد تخلى عنّا (٣٠) ، فرجيليو أبي الأعز ، فرجيليو الذي استسلمتُ له لكي أنال الخلاص بعونه (٣١) ؛
- ٥٢ وإن كلّ ما فقدته أمنا العتيقة (٣٢) ، لم يمنع وجنتي اللتين طهرهما اطلّ (٣٣) ، من أن يستعيدا ببكائي لوهما الأغر (٣٤)
- ٥٥ « لا تسترسلنّ في البكاء يا دانتى (٣٥) ، لذهاب فرجيليو عنك ، ولا تمضين في إرسال دموعك مزيداً ، إذ أنك في حاجة لأن تدرف دمعك بجرحٍ غيره (٣٦) » .
- ٥٨ وكأمير البحر الذي يذرع سفينته من مقدمها حتى مؤخرها ، لكي يرقب رجاله الذين يعملون في سائرسفنه ، ويستحثّهم على أن يحسنوا صنعا (٣٧) ؛ -
- ٦١ هكذا رأيتُ - على الجانب الأيسر من العربة - حينما التفتُ بسمع مَنْ تنادى باسمي ، الذي وجبّ علىّ أن أسجله هاهنا (٣٨) - هكذا رأيتُ
- ٦٤ السيدةَ التي تبدّت لي من قبل ، وراء نقاب من أزهار الملائكة (٣٩) - تتّجه بعينيها نحوي على هذا الجانب من النهر (٤٠)
- ٦٧ ومع أن النقاب الذي تدلى من رأسها مكلّلا بأوراق ميرثا (٤١) ، لم يدعها تبدو لي جليّة الملامح ،
- ٧٠ فقد تابعتُ قولها ، وهي لا تزال تعلوها أمارات الجلال (٤٢) ، كمن يتكلّم ولكنه يؤخر إلى ختام حديثه كلماته المؤثرة الحارّة (٤٣) ؛

- ٧٣ « ألا فليتنظرنى جيداً^(٤٤) ! فإننى فى الحقيقة ، إننى فى الحقيقة بياتريتشى وكيف وجدتَ نفسك جيداً بارتقاء الجبل^(٤٥) ؟ ألا تدرى أن هذا هو موثل السعداء^(٤٦) ؟ » .
- ٧٦ فأرخيتُ عيى إلى الجدول الصائى^(٤٧) ؛ ولكنى لمّا رأيتُ فيه ذاتَ صورتي وجهتُهُما إلى العشب ، وقد أثقل جببى خجلٌ شديد^(٤٨)
- ٧٩ وكما تبدو الأمّ لابها قاسيةً - هكذا بدتُ لى إذْ أن الإشفاقَ المشوب بالقسوة ذو غُصّةٍ مريرة الطعم^(٤٩)
- ٨٢ ولزمتُ هى الصمت^(٥٠) ؛ ورتل الملائكة بغتةً "عليك يا ربّ توكلتُ" ؛ ولكنهم لم يتجاوزوا قولهم "رجلى"^(٥١)
- ٨٥ وكما يتجمد الثلج بين الأشجار المخضرة^(٥٢) - على ظهر إيطاليا^(٥٣) - عندما تهبّ عليه وتُرهبه رياح اسلا فونيا^(٥٤) ،
- ٨٨ وبذوّبه يقطر خلال نفسه^(٥٥) ، إذا بعثتْ أنفاسها الأرضُ التى لا تعرف الظل^(٥٦) ، ويبدو كشمعة تُذيبها حرارة النار^(٥٧) -
- ٩١ هكذا أصبحتُ بلا دمع وبلا تنهد^(٥٨) ، قبل ترتيل منّ يضبطون أنغامهم أبداً على ألحان الحلقات الأزليّة^(٥٩) ؛
- ٩٤ ولكن حينما سمعتُ فى ألحانهم العذبة إشفاقهم على أكثر ممّا لو أنهم قالوا لم ترهقينه هكذا أيتها السيدة ؟^(٦٠) -
- ٩٧ صار الثلج الذى أطبق على قلبي زنفساً وماءً^(٦١) ، وخرج مع الأسى من صدري ، من فى ومن عيى^(٦٢)
- ١٠٠ وبيننا هى لا تزال واقفةً على ذات الجانب من العربية^(٦٣) ، إذْ بها توجه إلى الجواهر الرحيمة هذه الكلمات^(٦٤)
- ١٠٣ « إنكم تظلمون أيقاظاً فى اليوم الأخير ، بحيث لا يُسخف عنكم الليل ولا النوم خطوةً واحدةً^(٦٥) يسير بها البشر فى مسالكهم^(٦٦) ،
- ١٠٦ ولذا فإن القصد من إجابتي هو أن يفهمى بنخاصةٍ منّ يبكى فى ذلك الجانب^(٦٧) ، حتى يدرك أن لكلّ خطيئة عذابها المناسب^(٦٨)

- ١٠٩ ولا تتَّجِه كلَّ بذرةٍ إلى غايةٍ بعيها^(٦٩)، بفعل الدوائر الكبرى وحدها^(٧٠) ،
حسبها يكون في صُحْبَتِها من النُّجُوم^(٧١) ،
- ١١٢ ولكن بوفرة النعم الإلهية، التي يرجع وابلها إلى أبخرة شاهقة الارتفاع^(٧٢) ،
حتى إن أبصارنا لا تدركها هنالك^(٧٣) -
- ١١٥ وبذلك صار لهذا البشر في حياته الجديدة من الفضل ، ما كان قميئاً
بتوجيه مَلَكَاتِهِ الطيِّبة إلى أن تأتي بأروع الثمرات^(٧٤)
- ١١٨ ولكن كلما ازداد خصب الأرض ازداد فسادها وبوارها ، بالبذور الحبيثة
وبالتوقف عن حرثها^(٧٥)
- ١٢١ ولقد ساندته بوجهي فترةً من الزمن^(٧٦) : وبإظهارى له عيىّ الفتيّتين
اتَّجِهْتُ به إلى الطريق القويم^(٧٧)
- ١٢٤ وما إن بلغتُ العتبة الثانية من مراحل عمري^(٧٨) وبدلتُ ثوبَ حياتي^(٧٩) ،
حتى انصرف عيى هذا الرجل وانساق وراء غيرى من النساء^(٨٠)
- ١٢٧ ولما سموتُ من حياة الجسد إلى حياة الروح^(٨١) ، وزاد الفضل والجمال في
أعطافي^(٨٢) ، أصبحتُ لديه أدنى قبولاً وأقلَّ إعزازاً^(٨٣) ؛
- ١٣٠ واتجه بخطوه إلى طريق الزلل ، في إثر ما للخير من الصور الزائفة^(٨٤) ، التي
لا تفي بوعودها حقَّ الوفاء^(٨٥)
- ١٣٣ ولم يُجِدْني نفعاً أن أنال له أنوار الإلهام ، التي ناديتُه بها في حلمه وفي
يقظته^(٨٦) ؛ إذ كانت اديه قليلة الشأن !
- ١٣٦ فهوى إلى الحضيض^(٨٧) ، حتى قَصُرَتْ الآن عن خلاصه كلَّ الوسائل ،
سوى إظهاره على القوم الهالكين^(٨٨)
- ١٣٩ ولذا زرتُ بابَ الموتى^(٨٩) ، وحملتُ ضراعتي وميدمعي الباكي إلى مَنْ جاءه نه
صُعْداً إلى هذا المكان العالى^(٩٠)
- ١٤٢ وإن الشريعة الإلهية العليا لتتَنقِض ، إذا كان له أن يعبر هر ليتي ،
ويتذوق من مثل هذه الغداء ، بغير أن يؤدّى أتاوةً
- ١٤٥ من التكفير الذى يهمر من عينيه دموعاً^(٩١) .

حواشي الأنشودة الثلاثين

- (١) هذه أنشودة اختفاء فرجيليو وظهور بياتريتشى
- (٢) استخدم دانتى تعبير الدب الأكبر (Settentrione) - المكون من ٧ نجوم - كرمز للسرّ السبعة التي جاءت من السماء الأولى ، مكان الله والملائكة ، إلى الفردوس الأرضى لكي تعاون الأرواح على التطهر والصعود إلى الله ولقد رفعت تعبير (وقف دون حراك) من بيت ٧ إلى مطلع هذه الأنشودة ، ونقلت إلى مكانه جزءاً من بيت ٦ ، وذلك مراعاة للأسلوب العربى
- (٣) أى أن هذا الدب الأكبر - السرج السبعة - لا يعرف ظاهرياً الظهور والاختفاء كما بالنسبة لسكان الأرض .
- (٤) يعنى أن السرج السبعة ترشد الناس إلى طريق الخلاص
- (٥) أى كما يفعل الدب الأدنى - الدب الأصغر - فى سماء النجوم الأقرب إلى الأرض والذي يعاون الملاحين فى أسفارهم
- (٦) اتجهت جماعة الشيوخ الأربعة والعشرين - رمز إصحاحات العهد القديم - إلى العربة المقدسة - رمز الكنيسة - والذين ساروا فى هذا الموكب بين الجريفون - رمز المسيح - وبين الدب الأكبر الذى يعنى هنا السرج السبعة
- (٧) هذا هو سليمان (Salomon) الحكيم ملك إسرائيل (٩٧٤ - ٩٣٧ ق.م.) الذى يمثل نشيد الإنشاد ، ويتكرر ذكره أو الإشارة إليه
- Par. X. 109-114; XIII. 48, 92-96; XIV. 34-45.
- (٨) دعا سليمان بإنشاده بياتريتشى إلى القدوم . وهذا التعبير مقتبس من « الكتاب المقدس »
- Cant. Cantic. IV. 8.
- (٩) يعنى بقية الشيوخ
- (١٠) أى كما سيحدث يوم القيامة أن يهض المباركون من قبورهم ويسارعون إلى التسبيح بمجد الله بقولهم هلوليا . وفى نص أكسفورد ورد لفظ (voce) بدلا من لفظ (carne) الوارد فى نص الجمعية الدانتية الإيطالية وإذا أخذنا بنص أكسفورد كانت الترجمة (وباستعادة أصواتهم) بدلا من (أجسادهم) . وفى الأبيات السابقة والتالية يمهّد دانتى لظهور بياتريتشى بالتدرّج ، وما كان يستطيع أن يجعلها تظهر أمامه مباشرة ، وهو الذى يتطلع إلى لقاءها منذ بعيد ويشبه هذا تمهيد بعض الألحان الموسيقية لظهور الأبطال ، وعلى الأخص كما فى موسيقى فاجنر
- (١١) يعنى صعد فوق العربة المقدسة عدد كبير من الملائكة
- (١٢) أى ما قاله سليمان فى بيت ١٢
- (١٣) بياتريتشى تلقى التحية من الملائكة كما لقيها المسيح فى أورشليم
- Matt. XXI. 9; Marco, XI. 9; Luca, XIX. 38.
- (١٤) ملأ الملائكة العربة المقدسة وما حولها بالأزهار . واقتبس دانتى قول فرجيليو فى هذا المعنى
- Virg. Æn. VI. 883.
- (١٥) هذا وصف رائع لشروق الشمس مستمد من ملاحظة دانتى الدقيقة .

- (١٦) يخفف الضباب من أثر الشمس في الصباح فتقوى العين على النظر إليها ، ويشبه التعبير عن اعتدال أشعة الشمس ما سبق
Inf. XXIV. 2.
- (١٧) كانت الأزهار التي ألقى بها الملائكة إلى أعلى وأسفل بمثابة الضباب الذي يخفف من أثر الشمس أي من أثر بياتريتشى التي توشك على الظهور وهكذا يصور دانتي بياتريتشى في إطار الطبيعة الرائعة ، وبذلك يمزج بين الإنسان والطبيعة وفي هذا خروج على تقاليد العصور الوسطى وتمهيد لعصر النهضة فالعصر الحديث .
- (١٨) هذه هي بياتريتشى ، ولم يكن دانتي قد تبيها بعد ، ولكنه أحس بها ومهد لظهورها على هذا النحو
- (١٩) غصن الزينون رمز للسلام والحكمة .
- (٢٠) في « الحياة الجديدة » ارتدت رفيفات بياتريتشى - لا بياتريتشى ذاتها - النقاب الأبيض ، وإن كان اللون الأبيض من ألوان ثياب بياتريتشى
V.N. III.
- (٢١) اعتادت بياتريتشى أن ترتدى اللون الأحمر
V.N. II. 3.
- (٢٢) لم يذكر دانتي في الحياة الجديدة أن بياتريتشى ارتدت اللون الأخضر . وألوان الأبيض والأحمر والأخضر رمز للفضائل اللاهوتية الإيمان والمحبة والأمل .
- (٢٣) يعنى منذ ١٠ سنوات لأن بياتريتشى ماتت في ١٢٩٠
- (٢٤) كان دانتي يحس في شبابه بالردة في حضور بياتريتشى
V.N. XIV. 4-6; XXIV.
- (٢٥) أى بدون أن يتبين دانتي شخص بياتريتشى لأن النقاب الأبيض والأزهار جعلت رؤيتها غير واضحة
- (٢٦) هكذا أحس دانتي بسلطان الحب القديم عليه . وهذا هو دانتي الذى تظل بواعث إحساسه وانفعاله في كهولته كما كانت وقت شبابه ، وهو الشاعر الفنان الذى لا تشيخ عواطفه ولا تهرم أبدأ
- (٢٧) عبر دانتي عن هذا المعنى في « الحياة الجديدة »
V.N. II. 4.
- (٢٨) هذه صورة دقيقة للطفل الذى يجرى نحو أمه وقد سادته الخوف والألم .
- (٢٩) يشبه هذا ما أورده فرجيليو على لسان ديدو
Virg. Æn. IV. 23.
- (٣٠) يعنى ترك فرجيليو دانتي واستاتايوس ويمكن القول بأن فرجيليو (قد تركنا محرومين منه أو أنه قد حرمانا من رفقته) وسبق أن استخدم دانتي لفظ (scemo) بمعنى التناقص أو الانخفاض
Inf. IV. 148.
- (٣١) هكذا يذكر دانتي اسم فرجيليو أربع مرات في ثلاثيتين متتاليتين (أبيات ٤٦ - ٥١) ، وهذا تعبير عن محبته الشديدة له وألمه البالغ لفراقه . ويعبر دانتي - كدأبه دائماً - بصدق وبساطة عما يخالجه من الشعور
- (٣٢) أى كل ما فقدته حواء بارتكاب الخطيئة وحرمان البشر من الفردوس الأرضى .
- (٣٣) سبق أن غسل الطل وجه دانتي
Purg. I. 95 ...; 124 ...
- (٣٤) يعنى أن مباحج الفردوس الأرضى التي رآها دانتي الآن لم تمنعه من البكاء عند اختفاء فرجيليو .
- (٣٥) جعل دانتي بياتريتشى شخصية تحس وتتحرك وتعمل على إنقاذه من الأخطار وسبق أن سمعت إلى خلاصه في بداية الجحيم عن طريق فرجيليو وهى تقوده في الفردوس الأرضى ، وتناديه

باسمه - وهي المرة الوحيدة التي يذكر فيها اسم دانتي في الكوميديا - وهو ما كان يرجو حدوثه في الحياة الواقعة وما أعذب أن يسمع صدى اسمه على شفيتها !

(٣٦) تدعو بياتريتشى دانتي إلى أن يكف عن البكاء لرحيل فرجيليو ، فهناك موقف آخر سوف

يضطر فيه إلى البكاء ، وتعنى بذلك الموقف الذى ستوجه فيه إليه اللوم والعتاب

(٣٧) بدت على بياتريتشى أمارات السلطان ، وكانت كأمر البحر الذى يشرف من سفينة القيادة

على سائر سفنه حتى يحسن رجاله القيا بواجبهم .

(٣٨) اعتبر دانتي في - هذا الخلق الأدبي - أن ذكر اسمه كان أمراً ضرورياً ، وفي هذا شيء

من الاعتداد بالنفس ، الذى كان دانتي يتراوح بينه وبين التواضع ولقد اعترف في

« الوليمة » بأنه ليس من المناسب أن يتكلم الإنسان عن نفسه Conv. I. II. 2-3.

(٣٩) سبق ذلك في بيت ٢٨ وما بعده . ويستخدم دانتي لفظ (festa) ويقصد الأزهار التى نثرها الملائكة

للترحاب بقدم بياتريتشى .

(٤٠) أى على الجانب من نهر لىتى الذى وقف عنده دانتي .

(٤١) يعنى أغصان الزيتون المقدسة عند مينرفا إلهة الحكمة عند الرومان

(٤٢) عبر دانتي عن هذا المعنى في « الوليمة » Conv. III. XV. 19.

(٤٣) عبر دانتي عن هذا المعنى في « الوليمة » Conv. II. VIII. 2.

(٤٤) لم يستطع دانتي أن ينظر جيداً إلى بياتريتشى ووقف كالمشدهو الذى بهره نور مفاجئ ، ولذا

سألته أن يجيد النظر إليها وأكدت له أنها هى بذاتها

ويشبه ظهور بياتريتشى على هذا النحو - مع الفارق - بعض ما ورد في تراث الإسلام ،

من حيث ظهور الحوراء التى لا تشبه نساء الدنيا للمؤمن في المنام ، وتطلب مهرها بحبس النفس

عن آفاتها ، أو من حيث أن لكل ولى عروس في الجنة تتشوق إليه ، فإن وجدته في ظلام الليل

يصلى تفرح وإذا وجدته غافلاً عن الصلاة تحزن

الزبيدى ، محمد بن محمد الحسى الشهير بمرتضى كتاب إتحاف السادة المتقين بشرح

أسرار إحياء علوم الدين . القاهرة ، ١٣١١ هـ . ج ١٠ ص ٤٣٤

الشعرانى مختصر تذكرة القرطبي (المصدر السابق الذكر) . ص ١٢١ - ١٢٣

(٤٥) يرى كثير من الشراح أن لفظ (degnare) يقصد به كيف أصبح دانتي جديراً بالصعود إلى جبل

المطهر . ويرى بعض أن اللفظ مأخوذ من (denkar) من اللغة البروفنسية بمعنى يستطيع ويمكن

القول (كيف جرؤت) وهذان التفسيران متقاربان ولا يمكننا أن نعرف ماذا دار بذهن

دانتي على وجه التحديد .

(٤٦) في «كلام بياتريتشى سخريه وخشونة لم يكن يتوقعها دانتي بعد صبره وانتظاره الطويل وتطلعته إلى

لقائها ، وهى تذكر له أن هذا المكان مخصص للسعداء لا للآثمين .

(٤٧) أحس دانتي المرارة في كلام بياتريتشى فخفض عينيه إلى مياه لىتى .

(٤٨) رأى دانتي على صفحة الماء الصافية ما اعتراه من الحجل الشديد ، وهذا يعنى أنه عرف نفسه

وأدرك ما ارتكبه من الخطايا ، فحول نظره من الماء إلى العشب دون أن يرفعه إلى بياتريتشى .

(٤٩) بدت بياتريتشى لدانتي كالأم القاسية حين تلوم ابنها وتوبخه ، ولا يدرك الا بن أن خشونة أمه

مصدرها المحبة وهدفها المصلحة ، ولا يشعر سوى بمرارة اللوم والتفريع وهذا تصوير دقيق مستمد من الحياة الواقعة

- (٥٠) بعد هذا اللوم الذي وجهته بياتريتشى إلى دانتي سكنت عن الكلام ، وسكت دانتي كذلك .
- (٥١) قطع الصمت فجأة ترتيل الملائكة الذين أشفقوا على دانتي فدافعوا عنه بترتيل كلمات من « الكتاب المقدس » ، حتى قوله « ولم تحبسى في يد عدو بل أقمت في الرحب رجلى »
Salm. XXXI. 1-8. وأجابوا عن سؤالى بياتريتشى في بيتى ٧٤ و ٧٥
- (٥٢) قال دانتي (الحشب الحى أو المثمر) ويقصد أشجار الصنوبر في جبال الأبينين ، ويشبه هذا التعبير ما أورده فرجيليو وأوفيدىوس
Virg. Æn. VI. 181.
Ov. Met. VIII. 329; X. 372
- (٥٣) أى جبال الأبينين
- (٥٤) هذه هى الرياح الباردة التى تأتى من الشمال الشرقى من اسلافونيا (Slavonia) أو اسكيافونيا (Schiavonia) ، وفى القرن ١٤ كان يطلق هذا الاسم على المنطقة الواقعة بين دلماشيا ونهر الدراف . وربما يقصد باسلافونيا روسيا وأرض الشمال
- (٥٥) تذوب الطبقة العليا من الثلج بجمرة الجو ثم تنساب إلى أسفل .
- (٥٦) الأرض التى تفقد الظل هى أفريقيا وفى مناطقها الاستوائية تصبح الشمس عمودية على خط الاستواء مرتين فى السنة (زمن الاعتدالين) فلا تدع للأشياء ظلا والمقصود أن الثلج يذوب إذا بعثت أفريقيا برياحها الساخنة إلى إيطاليا
- (٥٧) المقصود أن رياح أفريقيا الحارة تشبه النار التى تذيب الشمع ويمكن أن يترجم بيت ٩٠ كالاتى (فتبدو - رياح أفريقيا - كالنار التى تذيب الشمع)
- (٥٨) يعنى أن كلام بياتريتشى القاسى كان كالريح الباردة فتجمد دانتي وتحجر أمامها ، ولكن ترتيل الملائكة سيكون كالريح الحار التى تذيب الثلج
- (٥٩) هذا تعبير موسيقى يفصح عن التوافق والانسجام بين ألحان السماوت وأنغام الملائكة وهذا هو دانتي الموسيقى الفنان
- (٦٠) أحس دانتي فى ترتيل الملائكة بالعطف والإشفاق عليه وكان ذلك أفعل فى نفسه مما لو لاموا بياتريتشى على طريقة معاملتها إياه
- (٦١) هذا هو دانتي الرقيق المرهف الحس الذى يتألم حتى يصعد الزفرات ويهمر دمه .
- (٦٢) هذا تعبير رائع عن الألم وقد ذكر دانتي أثر المشاركة والإشفاق على المتألم فى « الحياة الجديدة »
V.N. XXXV. 3.
- (٦٣) لم تلتن بياتريتشى أمام ترتيل الملائكة وإشفاقهم على دانتي ، وظلت على موقفها فوق العربة المقدسة ، وخاطبت الملائكة شارحة لهم السبب فى المسلك الذى اتخذته نحو دانتي .
- (٦٤) يقصد دانتي الملائكة بقوله الجواهر أو الكائنات الرحيمة وقد عبر فى « الوليمة » عن الملائكة بأنهم كائنات مجردة من المادة
Conv. II. IV. 2.
- (٦٥) يرقب الملائكة فى النور الأبدى أعمال الإنسان وبذلك يعرفون كل شىء عنه واستخدم دانتي فى بيت ١٠٤ فعل (furare) بمعنى يسرق ويدل هنا على الإخفاء والحيلولة دون المعرفة .
- (٦٦) يذكر دانتي فى « الحياة الجديدة » أن لفظ (secolo) يعنى الدنيا أو الإنسانية ومن معانيه

V.N. XXXI.

في العربية القرون والبشر وأهل الزمان الواحد

(٦٧) يفهم الملائكة كل شيء بدون إيضاح ، والمقصود بالفهم هنا هو دانتي ويشبه هذا ما أورده
توماس الأكويني d'Aq. Sum. Theol. I. LVII. 1-2.

(٦٨) تقصد ببياتريتشى أن دانتي ينبغي عليه أن يتألم بقدر خطيئته لأنه لا توبة ولا تكفير بدون ذلك .

(٦٩) تعنى ببياتريتشى الإنسان بقولها البذرة

(٧٠) يعنى فى السماوات ، وسيأتى شرح ذلك فى الفردوس Par. II. 112

(٧١) أى أن الإنسان لا يعمل متأثراً بالنجوم وحدها والمقصود بالنجوم الأبراج التى يولد الإنسان فى دائرتها

(٧٢) يعنى أن الرحمة الإلهية ترجع إلى أسباب سامية لا يدركها الإنسان ويأخذ دانتي تشبيهه من ملاحظة الأبنخرة والمطر

(٧٣) أى أن السعداء فى السماء لا يدركون كذلك هذه الأسباب .

(٧٤) يعنى تحلى دانتي فى شبابه بفضائل كان من المستطاع أن تظهر آثارها فيه بصورة رائعة لو أنه سار فى الطريق القويم

(٧٥) هذا مستمد من ملاحظة دانتي للزرع والنبت ولأنواع التربة المختلفة

(٧٦) يعنى أنه حينما كان دانتي يحب بياتريتشى فى أثناء حياتها جعله هذا الحب إنساناً فاضلاً رحيماً متواضعاً ويتضح فى كلام بياتريتشى اعتزازها بذكرى الشباب وبأثرها الحسن على دانتي وسبق أن شرح دانتي هذا الأثر فى نفسه فى « الحياة الجديدة »

V.N. XI. XXI. 2; XXVI. 3.

(٧٧) نظرت بياتريتشى إلى دانتي - فى الدنيا - بعينها الفتيتين فانجذب إليها وسار معها فى الطريق القويم

(٧٨) أى حينما تجاوزت بياتريتشى سن الخامسة والعشرين وقسم دانتي عمر الإنسان أربيع فترات ، كما ورد فى « الوليمة » Conv. IV. XXIV. 1-2.

(٧٩) يعنى حينما تركت بياتريتشى حياة الأرض إلى حياة السماء .

(٨٠) بعد موت بياتريتشى اتجه دانتي إلى نساء أخريات ، وذكر فى « الحياة الجديدة » أنه أحب السيدة الرقيقة ، ويرى بعض الشراح أنها ترمز للفلسفة التى انهمك دانتي فى دراستها بعد موت بياتريتشى . ويرى آخرون أن المقصود بها هنا هى ليزيتا التى ذكرها فى بعض قصائده ومهما اختلف الدارسون فى تفسير المعنى الرمزي الذى أراده دانتي فإنه يرسم صورة لامرأة تنبض بالحياة وتتحرك وتتكلم وكأنها تشعر بالمرارة والغيرة من سلوك دانتي مع النساء

V.N. XXXV. - XXXVII. Rime, CXVII.

(٨١) قالت بياتريتشى (ولما صعدت من الجسد إلى الروح)

(٨٢) عبر دانتي فى « الحياة الجديدة » عن بحال بياتريتشى الروحي حينما صعدت إلى السماء

V.N. XXXIII.

(٨٣) يتضح من قول بياتريتشى أن دانتي لم يتحول عن حبها تماماً بل تناقص حبه لها ، وهذا يعنى أنها كانت حريصة - هكذا جعلها دانتي - على أن يظل يحمل لها بعض الحب .

- (٨٤) أى اتبع ملذات الحياة الدنيا التى هى صورة زائفة للخير الحقيقى . ويشبه هذا قول بويتيوس
Boet. Cons. Phil. III. 8-9.
- (٨٥) يعنى أن ملذات الحياة لا تحقق للإنسان الخير الحقيقى .
- (٨٦) لم يجد بياتريتشى نفعاً أن نادت دانتي بالإلهام الإلهى فى الحلم، أو اليقظة لكى يعود إلى الطريق القويم،
وأضفت لفظ (أنوار) فى بيت ١٣٣ مراعاة للأسلوب العربى وأشار دانتي إلى المعنى الوارد
هنا فى « الحياة الجديدة » وفى « الوليمة » V.N. XXXIX.; XLII. Conv. II. VII. 6.
- (٨٧) أى ارتكب دانتي الآثام وانحدر إلى الغابة المظلمة فى مقدمة الجحيم
Inf. I.
- (٨٨) يعنى لم ينفع شئ لخلاص دانتي سوى أن يرى عذاب الآثمين فى الجحيم لكى يتعظ ويندم ويكفر
ويصبح جديراً بالصعود إلى السماء .
- (٨٩) نزلت بياتريتشى من السماء إلى الجحيم لكى تنقذ دانتي من الأخطار كما سبق
Inf. II. 52
- (٩٠) سبق أن تضرعت بياتريتشى إلى فرجيليو وهى تذرف الدمع لكى يسارع إلى إنقاذ دانتي من
الوحوش وبذلك تتبدد قسوة بياتريتشى ، وتظهر أنها هى عين الرحمة ويتضح حبها لدانتي
وحرصها على خلاصه .
- (٩١) يعنى أن شريعة الله تقضى على من يعبر هر لىتى ويدوق من مائه أن يدفع ثمن ذلك بدموع الندم
والتكفير والتوبة .

الأنشودة الحادية والثلاثون^(١)

مضت بياتريتشي في تعنيف دانتى وسألته أن يعترف بما ارتكبه من الخطيئة ، فتولاه الاضطراب والخوف وانفجر باكياً وأرسل تهنّده تحت العباء الذى أحسه وسكت عن الكلام وسألته بياتريتشي عن العقبات والمغريات التى أضلته في الدنيا ، فقال إنها المملذات الزائفة التى انحرفت بخطاه حينما اختفى وجهها من الدنيا فسألته أن يدع عنه أصل البكاء ، وقالت إن الطبيعة أو الفن لم يقدمّا له لذة تفوق لذة الأعضاء الجميلة التى كانت لها في أثناء الحياة ، وما كان ينبغي للملذات الباطلة أن تثقل رياشه لأنه من العبث أن تنشر الشباك أو تطلق السهام أمام الطائر الذى اكتمل نموه وعندئذ وقف دانتى خجلاً صامتاً مطرق الرأس ، فطلبت إليه بياتريتشي أن يرفع وجهه لكى يزيد من ألمه بالنظر إليها . فرأى دانتى الملائكة قد كفوا عن نثر الأزهار ، وشهد بياتريتشي تنظر إلى الجريفون ذى الطبيعة المزدوجة - رمز المسيح - وبدت أنها فاقت ما كانت عليه من الجمال في الأرض ، فأحس دانتى بالندم وهوى إلى الأرض فاقداً وعيه . ولما أفاق وجد ماتيلدا تسأله أن يمسك بها ، وغمرته في مياه هر لیتی حتى عنقه ، وشرب من النهر ، ثم أخرجته إلى الضفة الأخرى ودفعتة بين الحوريات الأربع اللائى كن يرقصن . ونظر دانتى إلى عیبى بياتريتشي المُشبتين على الجريفون، الذى بدا فيهما بطبيعته الإلهية والبشرية وتقدمت السيدات الثلاث الأخريات وسألن بياتريتشي في ترتيبهن أن تنظر إلى المخلص لها الذى قطع هذه المسافة الطويلة لكى يراها ، وطلبن إليها أن تكشف له عن ثغرها الذى هو موضع جمالها الثانى ، وأخذ دانتى يتمجد بما رآه من جمالها الفائق الذى يعجز عن وصفه هو وسائر الشعراء .

- ١ « أيها الواقف على الجانب المقابل من النهر المبارك » ، هكذا وجهت إلى
سِنَانَ كلامها^(٢) ، الذي بدا لي ذا حدٍّ مرير الطعم^(٣) ،
- ٤ ثم تابعت حديثها دون تمهل « تكلم واذكر إذا كان ما أقوله هو
الحق^(٤) إذ ينبغي عليك أن تقرن اعترافك بما وجهته إليك من الاتهام
الخطير^(٥) »
- ٧ وكان قد تولاني الاضطراب الشديد ، حتى اجتبس صوتي - وأنا أهمّ
بالكلام - قبل أن ينطلق من أعضائه^(٦)
- ١٠ فتمهلّت هنيهة^(٧) ؛ ثم قالت « فيم تفكّر ؟ أجيبني ؛ إذ لم تمح
بعد هذه المياه ما في نفسك من الذكريات الأيمة^(٨) »
- ١٣ مزيج من الاضطراب والخوف معاً إنتزع من في لفظ « نعم » ، على نحو
اقتضى مني أن أحرك عيني لكي يفهم^(٩)
- ١٦ وكما يقطع القوس وتره ومشدّه ، حينما يسحب بعنفٍ وشدةٍ ، فتفتر
إصابة السهم لهدفه^(١٠) ،
- ١٩ هكذا انفجرت تحت هذا العبء الثقيل^(١١) ، فذرفت دمعي وأطلقت
تهديتي وتوقف الصوت في حلقى^(١٢)
- ٢٢ وعندئذ قالت لي^(١٣) « خلال ما أوحيتُ به إليك من المشاعر التي أدت
بك إلى محبة الخير الإلهي ، وليس للإنسان أن يأمل بعده في شيء سواه^(١٤) ،
- ٢٥ آية مهاوٍ اعترضتك أو آية سلاسل لقيت ، حتى اضطرت هكذا إلى أن
تطرح عنك الأمل في متابعة مسيرك^(١٥) ؟
- ٢٨ وأية مغرياتٍ وآية منافع تبدت لك على جباه الآخرين ، حتى التزمت أن
تشرع في التودد إليهم^(١٦) ؟ »
- ٣١ وبعد أن أرسلتُ مرير تهديتي ، استعدتُ بجهدٍ صوتي الذي تولّى عني
الجواب ، وبعناءٍ شكّلتُ منه شفتاي كلماتي^(١٧)
- ٣٤ وقلت وأنا أسكب دمعي « لقد انحرفت بخطواتي الأشياء المائلة أمامي
بزائف لذتها ، حينما توارى وجهك عني^(١٨) . »

- ٣٧ فقالت (١٩) « لو كنت قد سكتَ أو نفيتَ ما أنتَ به معترفٌ ، لما كان
إثمك أقلَّ بياناً وإن هذا ليعرفه مثل ذلك الديان (٢٠) !
- ٤٠ ولكن حينما يتفجّر الإتهام بالإثم من فم الآثم (٢١) ، يتجه المشحد في قضائنا
بعكس حدّ السيف القاطع (٢٢)
- ٤٣ ومع ذلك فلكى تشعر الآن بالحجل من خطئك ، ولكى تزداد نفسك منعةً -
لو سمعتَ عرائس البحر مرة أخرى (٢٣) -
- ٤٦ فلتدع عنك الآن سبب بكائك (٢٤) ولتصغ إلىَّ وهكذا ستسمع
كيف كان ينبغي أن يقودك جسدى وهو في قبره إلى طريقٍ مغايرٍ (٢٥)
- ٤٩ وأبدأ لم تمنحك الطبيعة أو الفن من البهجة ، ما منحته لك الأعضاء الجميلة
التي احتوتني (٢٦) ، وانتثرتُ الآن على الأرض تراباً (٢٧)
- ٥٢ وإذا كانت قد أعوزتك بموتى هذه البهجة القُصوى (٢٨) ، فأى شيءٍ فانٍ
اقتضى أن يجتذبك عندئذٍ بإثارة شوقك إليه (٢٩) ؟
- ٥٥ وفي الحقّ كان عليك أن تعلموا في إثري سبوحاً ، حينما أصابك أول سهمٍ
من سهام الأمور الحادثة (٣٠) ، التي لم أعد أنتمى إليها (٣١)
- ٥٨ وما كان ينبغي لعذراء صغيرة (٣٢) أو لباطلٍ آخر قصير المتعة (٣٣) - أن
يُخفض إلى الأرض رياشك ، انتظاراً للمزيد من الضربات (٣٤)
- ٦١ وإن صغار الطير لتظلّ مُتَمَهِّلةً عند رمية سهمين أو ثلاثة (٣٥) ، ولكن
عَبثاً تُنصب الشباك أو ترمى السهام على مرأى من الطيور المكتملة الأرياش (٣٦) .
- ٦٤ وكما يقف الأطفال وقد تولّاهم الحجل ، فسكتوا ، وخفضوا إلى الأرض
أعيهم ، وأصغوا ، آخذين في الاعتراف بذنوبهم والندم عليها (٣٧) ،
- ٦٧ هكذا وقفتُ ؛ فقالت « ما دمتَ تأسى بسماع كلماتي ، فلترفع ليحيتك ،
وسينالك مزيدٌ من الأسى بالنظر إلى (٣٨) »
- ٧٠ وإن شجرة اللبخ الضخمة لتسُخّل - إما بريح (٣٩) بلادنا أو بتلك الريح
الآتية من بلاد ياربنا (٤٠) - بمقاومةٍ تقلّ عما بذلته
- ٧٣ حين رفعتُ ذقني استجابةً لأمرها (٤١) ؛ وحينما دعتُ وجهي - باللحية -
تبيّنت جلياً في حديثها مرارة اللوم (٤٢)

- ٧٦ ولما رفعتُ وجهي ، أدركتُ عيبي أن تلك الكائنات الأولى قد كفت عن نثر أزهارها^(٤٣) ؛
- ٧٩ وعيناي اللتان ظللتا يُراودهما الشك^(٤٤) ، رأتا بياتريتشى تتجه نحو الوحش ، الذى جمع فى طبيعته أقنوماً واحداً^(٤٥)
- ٨٢ ووراء نقابها وعبر الجدول ، بدت لى أنها قد فاقت جمالها القديم أكثر من تفوقها على سائر النساء هاهنا^(٤٦) ، حينما كانت تعيش بين ظهرانينا^(٤٧)
- ٨٥ وعندئذ لسعتنى وخزةُ الندم^(٤٨) ، حتى اشتدت كراحتى لكل ما ازددت ميلاً إلى محبته من سائر الأشياء^(٤٩)
- ٨٨ ولقد مزق قلبى مثل هذا الإدراك حتى هويتُ إلى الأرض فاقد الوعى^(٥٠) ؛ وكيف أصبحت عندئذ - تعرف هذا من كانت هى السبب^(٥١)
- ٩١ ولما رد لى قلبى إحساسى بما حولى^(٥٢) ، رأيتُ فوق تلك السيدة التى كنت قد لقيتها وحيدة^(٥٣) ، فقالت لى أمسك بى^(٥٤) ، أمسك بى ! .
- ٩٤ وسحبتنى مغموراً حتى عنى فى مياه الجدول^(٥٥) ، وفيما كانت تجذبى من ورائها أخذتُ تسير على صفحة الماء خفيفةً كأنها الزورق^(٥٦)
- ٩٧ وحينما أصبحت قريباً من الضفة المباركة^(٥٧) ، سمعتُ " طهرنى " ^(٥٨) تُرتل بنغمة رقيقة ، أعجزتنى عدوبتها عن التعبير عنها أو تذكرها^(٥٩)
- ١٠٠ وبسطتُ السيدة الجميلة ذراعيها لى^(٦٠) ؛ واحتضنتُ رأسى وغمرتنى إلى حيث لم يكن هناك لى سوى أن أبتلع شيئاً من مياه الجدول^(٦١)
- ١٠٣ وعندئذ أخرجتنى ، واقتادتنى - وأنا مبتل - إلى حلبة الرقص ، بين الجميلات الأربع^(٦٢) ، فأحطنتنى جميعهن بالأذرع^(٦٣) .
- ١٠٦ « نحن هنا حوريات ولكننا فى السماء نجوم^(٦٤) : وقبل أن تهبط إلى الدنيا بياتريتشى ، كنا قد أصبحنا وصيفاتها^(٦٥)
- ١٠٩ وسنقودك حتى عينيها ؛ ولكن الثلاث الأخريات اللاتى يمتزن فى ذلك الجانب بأعمق النظرات ، سيُزدن من حدة بصرى إلى النور البهيج فى مُقلتيها^(٦٦) .
- ١١٢ هكذا بدأن مُترنمات ؛ وبعد أن سرن بى إلى صدر الجريفون ، حيث كانت بياتريتشى واقفة متجهةً إلينا^(٦٧) ،

- ١١٥ قُلْنَ « إعمل على ألا تدخر وسعاً في النظر بعينيك^(٦٨) : فيها قد وضعناك أمام الزبرجدتين^(٦٩) ، اللتين رشقك مهما الحب - ذات يوم - بسهامه^(٧٠) .
- ١١٨ إن ألفاً من الأشواق التي تفوق حرارتها النار المشتعلة ، قد ربطت عينيّ بالعينين المتألفتين^(٧١) ، اللتين ظلتا مثبتتين على الجريفون وحده^(٧٢)
- ١٢١ وكما تنعكس الشمس في المرآة^(٧٣) ، انعكس بداخلهما الوحش المزدوج بإحدى طبيعته تارةً وبالآخرى طوراً^(٧٤) .
- ١٢٤ فلما تفكر في هذا أيها القارئ^(٧٥) ، إذا كنت قد تولّيتني العجب ، حينما رأيت الشيء في ذاته يظل ساكناً وفي صورته يتحوّل^(٧٦)
- ١٢٧ وبينما كانت نفسى النشوى المفعمة بالعجب ، تذوق من ذلك الغذاء الذى إليه يجوع من به يمتلىء^(٧٧) -
- ١٣٠ تقدّمت الحوريات الثلاث الأخريات^(٧٨) ، راقصات على وقع أنغامهن التي حاكت أنغام الملائكة ، وقد بدّون أنهن مخلوقات من أسمى عنصر^(٧٩) ،
- ١٣٣ وكان ترنمهن : « فلما تتجهى يا بياتر يتشى ، فلما تتجهى بعينيك المباركتين إلى المخلص لك^(٨٠) ، الذى قطع لرؤيتك كل هذا الشوّط^(٨١) !
- ١٣٦ وأفيضى علينا من فضلك ، واكشفي له عن ثغرك حتى يتبين إشراق جمالك الثانى ، الذى تجعلينه خافياً عليه^(٨٢) »
- ١٣٩ أيها الجلال المتألق للنور الأزلى الساطع^(٨٣) من ذا الذى شحّب لونه فى ظلال پارناسوس^(٨٤) ، أو من ذا الذى ارتوى من نبعه^(٨٥) ،
- ١٤٢ من دون أن يبدو أن قد تولّته غاشية ، إذ يسعى إلى رسمك كما تراءيت لي^(٨٦) ، حيث ترسمك السماوات مكللةً بنفحاتها المتألّفة^(٨٧) ،
- ١٤٥ حينما كشفت عنك النقاب فى النور الساطع^(٨٨) ؟

حواشي الأنشودة الحادية والثلاثون

- (١) هذه أنشودة اعتراف دانتي بالخطيئة
- (٢) إستخدم دانتي لفظ (punta) من اللاتينية والمقصود أن كلام بياتريتشى كان كطرف السيف أو سنان الرمح
- (٣) المقصود بهذا كلام بياتريتشى القاسى فى الأنشودة السابقة
- (٤) يعنى إذا كان اتهام بياتريتشى لدانتي اتهاماً صحيحاً
- (٥) أى ينبغى أن يتبع دانتي الاتهام الموجه إليه باعترافه الكامل بما ارتكبه
- (٦) أراد دانتي الكلام ولكن اضطرابه منع انطلاق صوته من حلقه ولسانه وشفثيه .
- (٧) انتظرت بياتريتشى قليلاً لعل دانتي يتكلم .
- (٨) كانت بياتريتشى حريصة على أن تعرف لماذا يتوقف دانتي عن الكلام فقالت له إن مياه نهر لىتى لم تغسل بعد ذكريات آثامه وهكذا بدت ماضية فى لوم دانتي وتعنيفه
- (٩) أصاب دانتي الخوف والاضطراب فقال نعم بصوت خافت بحيث كان لا بد له من أن يحرك عينيه حتى تدرك بياتريتشى ما نطق به .
- (١٠) هذا التشبيه مأخوذ من حياة الرماية والصيد
- (١١) يعنى انفجر دانتي باكياً أمام عتاب بياتريتشى ولومها إياه وكان فى ذلك كالتقوس الذى ينكسر بشدة سحبه
- (١٢) عبر دانتي عن هذا المعنى بلفظ (varco) أى المعبر أو المر ويقتصد أن صوته قد توقف فى حنجرتة أو فه فلم يقو على النطق .
- (١٣) هنا تميل بياتريتشى إلى الاعتدال فى محادثة دانتي حتى لا تزيد من اضطرابه
- (١٤) أى أن بياتريتشى قد بعثت فى نفس دانتي محبة الخير الأعلى أى الله الذى ليس بعده مطمع لطامع ويشبه هذا ما أورده بويتىوس
- Boet. Cons. Phil. III. 10.
- (١٥) الحفر أو المهوى أو الهوى العميقة تعرقل السير والسلاسل تغلق الطريق ، يعنى العقبات السلبية والإيجابية التى يخلقها الضعف الإنسانى والمقصود بالأولى تناقص حب دانتي لبياتريتشى ويقصد بالثانية الملذات الجسدية ورفقاء سوء وما إلى ذلك ، مما عاق دانتي عن السير فى الطريق القويم
- (١٦) يعنى ما الإغراء الذى بدر من الآخرين حتى اضطرت دانتي إلى السير أمامهم لمغازلتهم والتودد إليهم وتعبير دانتي - عند أغلب الشراح - مأخوذ من عادة العشاق السير أمام منازل معشوقاتهم (passeggiare anzi) وإن كان شتير يرى أن هذا التعبير يساوى (ambulare) فى اللاتينية وأنه يعنى ماورد فى «الكتاب المقدس» عن سير الصالحين أمام الرب بكل قلوبهم بدل سيرهم أمام الخير الدنيوى :
1. Re, VIII. 23, 25; IX. 4.
- وهناك تقارب بين التفسيرين لأن كلا مهما يتضمن فكرة السير أمام المرغوب فيه
- (١٧) عندئذ تنهد دانتي وتكلم بصعوبة ، وهذا دليل على ما عاناه من الاضطراب والألم

- (١٨) أي أن أمور الدنيا الزائفة بهرت دانتى واجتذبتة عند موت بياتريتشى ، وكان جديراً به أن يظل على بحبه لها
- (١٩) عادت بياتريتشى إلى لوم دانتى وعتابه
- (٢٠) يعنى لو سكت دانتى عن آثامه لما خنى شيء على الله .
- ويشبه ظهور بياتريتشى ، مع الفارق - ظهور الحورية للمؤمن في تراث الإسلام
الزبيدى كتاب إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين (السابق الذكر)
ج ١٠ ص ٤٣٤ - ٤٣٥
- (٢١) أى حينما يعترف الآثم بإثمه
- (٢٢) حين يعترف الآثم بإثمه يخف ذنبه ويدور المشحد أو المسن - المصنوع على هيئة دائرة - في اتجاه يقابل اتجاه حد السيف لكى يبطل عمله فلا يقتل المذنب المعترف
- (٢٣) يعنى لكى يقوى دانتى على مقاومة الملذات الدنيوية حينما تغريه عروس البحر بغنائها الساحر ،
وسبق ذكرها
Purg. XIX. 19
- (٢٤) سبب البكاء هو الاضطراب والخوف
- (٢٥) أى كان ينبغى أن تدفعه بياتريتشى من قبرها إلى طريق الفضيلة
- (٢٦) تتكلم بياتريتشى كامرأة عاشقة تشعر بالغيرة لانصراف عاشقها عنها وتشيد بأعضائها الجميلة في أثناء الحياة ، التى كان ينبغى أن تبقيه متعلقاً بذكراها ولقد تكلم دانتى أحياناً عن صفات بياتريتشى الجسدية في «الحياة الجديدة»، وفي هذا خروج على تقاليد العصور الوسطى : V.N, XIX. 11.
- (٢٧) يعنى تحول جسدها تراباً ، وهذا المعنى مقتبس من الكتاب المقدس
Gen. III. 19.
- (٢٨) أى التمتع بمحاسن بياتريتشى ، وهذا كلام امرأة تنبض بالحياة
- (٢٩) يعنى إذا كانت اللذة الكبرى المستمدة من بياتريتشى قد بطلت بموتها فأية لذة أخرى كان دانتى سيجدها في من هي أقل منها جمالاً
- (٣٠) أى عندما تلقى دانتى أول سهم بموت بياتريتشى
- (٣١) يعنى كان عليه أن يرتفع وراء بياتريتشى التى أصبحت روحاً نقية خالصة من الخداع والزيف السائدين في الحياة الدنيا
- (٣٢) أى السعى وراء النساء على العموم
- (٣٣) يعنى ملذات الدنيا الباطلة
- (٣٤) أى ما كان ينبغى لمتاع الدنيا أن يزيد من اتجاه دانتى إلى ملذات الأرض لا رتكاب خطايا أكثر وبذلك يستحق مزيداً من العذاب
- (٣٥) لا يسارع الطائر الصغير إلى الهرب من الخطر لأنه لا يقوى بعد على الحركة .
- (٣٦) الطير النامى - كدانتى - لا يناله الأذى من الصائدين ، ويشبه هذا ما ورد في « الكتاب المقدس »
Prov. I. 17.
- (٣٧) هذه صورة دقيقة للطفل الصامت الحجل المعترف بذنبه ، وورد هذا المعنى في « الويعة »
Conv. IV. XIX. 10.
- (٣٨) يعنى ما دام دانتى يحزن ويأسى بسماع اللوم وهو مطرق الرأس فإن أساه سيزيد إذا رفع وجهه إلى بياتريتشى . وتكنى بياتريتشى عن الرأس أو الوجه بقوطها (اللحية)

- (٣٩) أى ربح الشمال الباردة .
- (٤٠) ربح ياربا (Jarba) هى ربح أفريقيا الحارة نسبة إلى ملك ليبيا الذى كان من عشاق ديدون ملكة قرطاجنة ، كما أورد فرجيليو
Virg. Æn. IV. 196-197.
- (٤١) هذا دليل على العناية الشديد الذى بذله دانتي في رفع رأسه المطرق .
- (٤٢) حينما ذكرت بياتريتشى لفظ (اللحية) أدرك دانتي أنها تريد أن تقول إنه لم يعد طفلاً صغيراً بل أصبح رجلاً ناضجاً ولا عذر له في ارتكاب الخطيئة ، ولذلك قال إنه قد تبين السم في حديثها يعنى اللذع والتقرع وقلت (مرارة اللوم)
- (٤٣) يعنى رأى دانتي أن الملائكة قد كفوا عن نثر الأزهار كما فعلوا في الأنشودة السابقة .
- (٤٤) كان دانتي غير واثق مما يراه أمامه من أثر الجبل الذى استولى عليه
- (٤٥) هذا هو الجربفون المزيج من النسر والأسد ، رمز الطبيعتين الإلهية والبشرية في السيد المسيح
Purg. XXIX. 108. — عند المسيحيين — كما سبق
- (٤٦) في الأصل فاقت بياتريتشى (نفسها) والمقصود حاملها الذى كانت عليه في الدنيا وورد في طبعة الكوميديا المصحوبة بشرح بيتر و فراتشيل لفظ (verde) وكصفة للجدول بدلا من (vincere) في بيت ٨٣ — ولكن القراءة الأولى — التي أخذت بها — هي الأغلب
- (٤٧) أى في الحياة الدنيا
- (٤٨) كان وخز الندم شديداً على دانتي كلسع نبات النار أو الحريق (ortica)
- (٤٩) يعنى أنه كلما زادت محبة دانتي لساير الأشياء — يعنى فيما عدا بياتريتشى — زادت كراهته أو عداؤه لها حينما تبين الأمور على حقيقتها
- (٥٠) عندما أحس دانتي بالندم سقط فاقداً وعيه .
- (٥١) أصبح دانتي على حال تدركها بياتريتشى التي كانت هي سببها ويتكرر هذا المعنى في الكوميديا بشيء من التفاوت ومع الفارق . وفي ترجمتي للجحيم اتخذت بيت ١٢٦ رقم ٨٤
Inf. XXVIII. 126.
Purg. V. 135.
Par. III. 108.
- (٥٢) يعنى حينما استرد دانتي وعيه . والمقصود أن قلب دانتي قد أعاد إليه إدراكه للفضائل .
- (٥٣) هي ماتيلدا التي سبق أن رآها دانتي وحيد
- (٥٤) كانت ماتيلدا تسحب دانتي في النهر وهي تملوه وسألته أن يمكها بها حتى لا يغمر كله في الماء .
- (٥٥) في الأصل حتى (الخنجرة) . وغمرت ماتيلدا دانتي في النهر لكي تمحو الخطايا من ذاكرته .
- (٥٦) سارت ماتيلدا على الماء في خفة الجندول أو الزورق وهذا تعبير غاية في الرقة وكان يطلق على الجندول في البندقية في زمن سابق لفظ (scaula)
- (٥٧) أى في الضفة التي كان في ناحيتها بياتريتشى والموكب
- (٥٨) رتل الملائكة بعض ما ورد في أحد المزامير
- (٥٩) جل هذا الترتيل العلوى عن الوصف واختلف عن غناء كازيلا الإنسانى
Purg. II. 112- 114.
- (٦٠) يعنى ماتيلدا .

- (٦١) غمرت ماتيلدا دانتي حتى فهِ لكى يتم محو خطاياهُ ، وهو ما لا يتأق إلا بالاغتسال والشرب من مياه نهر لتي ، كما سبق ذكره
Purg. XXVIII. 127-132.
- (٦٢) هؤلاء الجميلات الأربع رمز الفضائل الأساسية
Purg. XXIX. 130-132.
- (٦٣) جعلت هذه الأذرع دانتي محمياً بالعدالة والتبصر والقوة والاعتدال
- (٦٤) تتخذ الفضائل الأساسية صورة الحوريات في الفردوس الأرضي وتتخذ في السماء صورة النجوم وهي تنير السبيل للناس في الدنيا . وقد أضاءت من قبل وجه كاتون
Purg. I. 23, 37.
- (٦٥) أى أن بياتريتشى هي ربة الفضائل الأساسية
Inf. II. 76.
V.N. X. 2.
- (٦٦) هؤلاء السيدات الثلاث - على يمين العربة المقدسة - رمز للفضائل اللاهوتية (أبيات ١٢٧ - ١٣٨) وسيجعلن دانتي قادراً على النظر إلى عيى بياتريتشى وجاء في الأصل (النور البهيج الذى هو بالداخل) والمقصود بداخل عيى بياتريتشى وقلت (في مقلتها) لإيضاح المعنى .
- وتوجد ثلاث صور من عمل جوتو من القرن ١٤ ، تمثل الفضائل اللاهوتية أى الإيمان والأمل والرخصة وهي في كنيسة الإسكروفيينى في بادوا
- (٦٧) كانت بياتريتشى تنظر إلى الجريفون وعندما جاء دانتي والسيدات الأربع إلى صدر الجريفون أصبح دانتي أمام بياتريتشى مباشرة .
- (٦٨) يعنى على دانتي أن ينظر بكل ما لديه من قوة على الإبصار
- (٦٩) أى أن عيى بياتريتشى كانتا تتلألان كالزبرجد .
- (٧٠) يعنى أن عيى بياتريتشى أطلقتا عليه ذات يوم سهام الحب وعبر دانتي عن هذا المعنى في « الحياة الجديدة » وفي بعض قصائده
V.N. XXI.
Rime, LXV.
- (٧١) تركزت عينا دانتي على عيى بياتريتشى لشوقه الشديد إلى رؤيتها
- (٧٢) هكذا تحولت بياتريتشى من امرأة تلوم دانتي وتعنفه إلى امرأة عابدة صامته مستغرقة في التأمل في عيى الجريفون - رمز المسيح - عند المسيحيين
- (٧٣) أى شع الجريفون بطبيعته الإلهية والبشرية في عيى بياتريتشى كما تشع الشمس في المرأة بألوان وأصواء مختلفة
- (٧٤) يشبه هذا التعبير ما أورده أوفيدوس
Ov. Met. IV. 347
- (٧٥) يوجه دانتي الكلام إلى القارئ لكى يثير انتباهه ، كما فعل في مرات عديدة .
- (٧٦) يعنى كان الجريفون في ذاته ساكناً هادئاً على حين كان يتحرك ويتحول في صورته التى انطبعت في عيى بياتريتشى على نحو إلهى تارة وبشرى تارة أخرى
- (٧٧) أى أن من يتأمل في عيى بياتريتشى يتغذى بغذاء لا يشبع منه أبداً
- (٧٨) هؤلاء هن رمز الفضائل اللاهوتية
- (٧٩) يعنى أنهم يفقن النساء أربع رمز الفضائل الأساسية . وهؤلاء كن يرقصن وينشدن في وقت واحد . وكان الغناء مع الرقص أمراً شائعاً في زمن دانتي .

ويساعدنا تذوق بعض ألحان التروبادور وبلاط النبلاء في القرن ١٣ و ١٤ و ١٥ على فهم هذا الجو ، كما سبقت الإشارة إليه في أنشودة ٢٩ حاشية ٨١

(٨٠) طلبت السيدات الثلاث أن تدير بياتريتشى وجهها نحو دائتى المخلص لها ، وسبق أن طلبت إليها العذراء ماريا أن تعنى بأمر دائتى الذى أخلص لها الحب
Inf. II. 97-99.

(٨١) أى أن دائتى قام برحلته لكى يتعلم ويتطهر ويرى بياتريتشى ويصبح جديراً بالصعود إلى السماء .

(٨٢) يقول دائتى في « الوليمة » إن أثر النفس يظهر في موضعين من الوجه في العينين وفم (Conv. III. VIII. 8.) ولقد قادت دائتى السيدات الأربع - رمز الفضائل الأساسية - إلى عبي

بياتريتشى ، موضع الجمال الأول فيها (في ثلاثيتي ١٠٩ و ١١٥) وتعمل الآن السيدات الثلاث - رمز الفضائل اللاهوتية - على أن تكشف له بياتريتشى عن ثغرها ، أى ابتسامتها ، موضع الجمال الثانى الذى كان خافياً تحت النقاب .

(٨٣) يدل هذا التعبير على أن بياتريتشى قد ابتسمت أخيراً دون أن يذكر دائتى ذلك بصريح العبارة

ولم يكن قادراً على أن يفعل ذلك لأن أثر البسمة قد بهرته حتى عجز عن وصفها وهذه هي الابتسامة التى كان دائتى ينتظرها من بياتريتشى منذ أمد بعيد ، منذ أن انصرفت عنه في الحياة ومنذ موتها . وقد جعل دائتى هذه الابتسامة المرتقبة تتحقق على هذه الصورة وسواء أنظرنا إلى هذه الابتسامة بالمعنى العلوى الذى يقرب الإنسان إلى الله ، أم نظرنا إليها بالمعنى البشرى الذى يقرب الإنسان إلى الإنسان ، أم بمزيج من المعنيين معاً ، فإنها ابتسامة علوية إنسانية لا يمكن للغة أن تعبر عنها . ولقد عبر دائتى عن أثرها في نفسه بتمجيد النور الإلهي الخالد

(٨٤) يعنى أين هو الشاعر الذى شحب لونه بإرهاق حسه في هذا الجو في ظلال جبل پارناسوس (Parnassus) موئل ربات الشعر في اليونان ، الذى يتكرر ذكره

Purg. XXII. 64-65; 104-105; XXVIII. 141; ecc.

(٨٥) أى من نبع كاستاليا (Castalia) ، الذى سبقت الإشارة إليه Purg. XXII. 65.

(٨٦) المقصود أنه ما من شاعر يحاول أن يصف جمال بياتريتشى الرائع إلا ويعجز عن ذلك

(٨٧) هذا من الأبيات غير الواضحة في الكوميديا ولقد استخدم دائتى لفظ (adombrare) ومن معانيه

التظليل أو إظهار الظل أو رسم الصورة أو المحاكاة أو الإبتاع ومن معاني هذا البيت حيث تصيح السماء صورة من الجمال الإلهي باتساقها مع الفردوس الأرضي ، الذى كان آدم فيه سعيداً قبل ارتكاب الخطيئة ولعل المقصود أن الملائكة بنثرهم الأزهار حول بياتريتشى وبتوتيلهم العلوى ، في جو من الإتساق والتوافق بين السماء والفردوس الأرضي ، جعلوا بياتريتشى تبدو أمام دائتى على نحو من الجمال الإلهي الرائع .

(٨٨) يعنى أن بياتريتشى قد أزاحت النقاب عن وجهها فظهر جمالها الرائع .

(٨٩) في الأصل (في الهواء الطلق) ، والمقصود في وضوح النهار أو في النور الساطع . ولم يستطع دائتى

أن يصف مباشرة الجمال الذى بدت عليه بياتريتشى وهى تبتسم ، فعبّر عن ذلك بطريقة الاستفهام وكان هذا من جانبه تعبيراً رائعاً

الأنشودة الثانية والثلاثون^(١)

استغرق دانتى فى النظر إلى بياتريتشى ليروى عطشه إليها ، حتى لم يعد يشعر بشيء مما حوله ، وبهره مرآها حتى عجز عن الرؤية بعض الوقت . ولكنه استطاع أن يتبين بالتدريج الموكب المقدس يسير صوب المشرق ، وسارت ماتيلدا واستاتيووس ودانتى فى إثر العربة المقدسة ثم نزلت بياتريتشى عن العربة وهمس الجميع باسم آدم الذى حرم البشر من الفردوس الأرضى ، وأحاط الجميع بشجرة معرفة الخير والشر . وبارك الشيوخ الجريفون - رمز المسيح - الذى سحب العربة المقدسة - رمز الكنيسة - وربطها إلى الجذع المترمل - رمز الأمبراطورية - وباتحادهما أينعت الشجرة واتخذت لوناً أقل احمراراً من الورد وأشد زرقاً من البنفسج وأخذت دانتى سنة من النوم ثم استيقظ على نداء ماتيلدا التى دعتة إلى رؤية المشهد الجديد ، وكانت يقظته كيقظة بطرس ويوحنا ويعقوب بعد أن راحوا فى غيبوبتهم حينما تجلى السيد المسيح وتساءل دانتى عن مكان بياتريتشى فرآها جالسة عند أسفل الشجرة المباركة طلبت بياتريتشى إلى دانتى أن ينظر إلى العربة ، فرأى نسرًا - رمز الأباطرة مضطهدى الكنيسة - ينقض على الشجرة ويضرب العربة ، وشهد ثعلبه - رمز الهرطقة - تهاجم العربة كذلك ، ورأى تينياً - رمز الشيطان أو جشع الإنسان - يقتلع جزءاً من العربة وشهد ما تبقى من العربة يتغطى بالريش - رمز منحة قسطنطين - ثم تحولت العربة إلى وحش ذى رؤوس يبرز من بعضها قرنان ومن بعضها الآخر يبرز قرن واحد - رمز الخطايا - ورأى امرأة داعرة - رمز الكنيسة المنحلة - تجلس فوق الوحش وبجوارها مارد - رمز الملك فرنسا المؤيد للبابوية - الذى انهال عليها بسوطه حينما نظرت إلى دانتى بعينيها المليئتين بالشهوة . وأطلق المارد قيد الوحش - العربة فى الأصل - وسحبه إلى داخل الغابة حتى لم يعد دانتى يراه - وهذا رمز للأسر البابوى فى أفنيون .

- ١ ظلت عيناى مُحدّقتين مثبتتين عليها^(٢) ، لإرواء ظمئهما الذى دام عشرة أعوام^(٣) ، حتى غابت سائر حواسى عن الوعى^(٤)
- ٤ وفى كلا الجانبين صار لهما من اللامبالاة جدار^(٥) ، وهكذا اجتذبتهما إليها البسمة المباركة بما لها من عتيق الشباك^(٦) ! —
- ٧ حين أرغمتني على الاتجاه صوب اليسار هاتيك الإلهات^(٧) ، إذ سمعتهم يقلن : « ألا فلآتمعن فى تثبيت عينيك عليها^(٨) ! » ؛
- ١٠ ولقد حرمتني من النظر برهةً ، الحال التى يؤول إليها البصر ، حينما تصيب أشعة الشمس العينين الآن فحسب^(٩) .
- ١٣ ولكن بعد أن ألفت بصرى ما هو أقلّ منها تألقاً^(١٠) — وأقول " الأقل بالنسبة للمحسوس الأعظم الذى ارتدّت عنه على الرغم منى^(١١) —
- ١٦ رأيتُ الجيش المجيد^(١٢) إلى اليمين مُتّجهاً ، ونظرتُه يعود وقد صارت الشمس والشّعلات السبع فى مواجهته^(١٣) .
- ١٩ وكما تلتفّ كتيبةٌ من الجند فى حماية دروعهم منجاةً بأنفسهم ، ويستديرون مع عكّامهم قبل أن يتمكنو جميعاً من تغيير وجهتهم^(١٤) —
- ٢٢ هكذا مرّت أمامنا كلّ تلك الجماعة من جنود ملكوت السماوات الذين ساروا فى الطليعة^(١٥) ، قبل أن تغيرّ العربة من اتجاه عريشها^(١٦)
- ٢٥ وعندئذ عادت السيدات إلى العجلتين^(١٧) ، وسحب الجريفون حمّله المبارك ، من دون أن تهتزّ بذلك إحدى أرياشه^(١٨)
- ٢٨ وأخذنا نسير — السيدة الحميلة التى عبرت بي النهر^(١٩) واستاتيوس^(٢٠) وأنا — فى إثر العجلة التى صنعت مدارها بأصغر قوس^(٢١)
- ٣١ وعلى لحن ملائكة انتظمت خطواتنا^(٢٢) ، بينما كنا نسير فى الغابة العليا التى أقفرت من البشر بنخبيثة منّ وضعت فى الحية ثقتها^(٢٣) ،
- ٣٤ وكنا قد سرنا شوطاً ربما يعدل طوله ما يقطعه السهم فى ثلاث من رمياته^(٢٤) ، حينما نزلت عن العربة بياتريتشى^(٢٥)

- ٣٧ وسمعتهم يهمسون جميعاً باسم " آدم " (٢٦) ؛ ثم أحاطوا بشجرة تعرت من أوراقها ، وخت كل غصونها من الأزهار (٢٧)
- ٤٠ وإن قممها التي تزداد بسطة بازدياد علوها (٢٨) ، لتثير بشاهق ارتفاعها عجب الهنود في غاباتهم (٢٩)
- ٤٣ « طوبى لك أيها الجريفون أنك لا تقرض بمنقارك شيئاً من هذه الشجرة الحلوة المذاق ، ما دام يصيب بطنك منها الضرُّ أبداً (٣٠) . »
- ٤٦ هكذا صاح الآخرون حول الشجرة الهائلة (٣١) ؛ وقال الكائن ذو الطبيعة المزدوجة (٣٢) : « هكذا تحفظ بذرة كل ما هو بير (٣٣) »
- ٤٩ ولما التفت نحو العريش الذي كان يسحبه (٣٤) ، اجتذبه إلى أسفل الجذع المترمل (٣٥) ، وترك ما هو منه مربوطاً إليه (٣٦) .
- ٥٢ وكما يحدث لأشجار الأرض أن تربه (٣٧) ، حينما يهبط عليها النور الساطع ، ممتزجاً بالنور الذي ترسله النجوم السائرة
- ٥٥ في إثر برج الحوت (٣٨) ، ثم تجدد كل الأشجار لونها قبل أن تبلغ الشمس ببيادها (٣٩) إلى ما تحت برج غيره (٤٠) ؛
- ٥٨ وبينما كانت تلك الشجرة تتخذ لونها أقل حمرة من الورد وأشد زرقاً من البنفسج (٤١) ، إذ بها تجدد نفسها وقد كانت من قبل عارية تماماً (٤٢)
- ٦١ ولم أستوعب ذلك النشيد ، وهو ما لا يرتل في الأرض نظيره (٤٣) ، وائذى تغنى به أولئك القوم عندئذ (٤٤) ، ولم أقو على سماع اللحن كله (٤٥)
- ٦٤ ولو أنى استطعت أن أصور كيف نامت الأعين الشريرة باستماعها إلى قصة سيرنكس (٤٦) - الأعين التي كلفتها مجرد الرؤية غالى الثمن (٤٧) ؛
- ٦٧ لصورت كيف أخذني النوم ، كمصور يرسم عن أنموذجٍ حتى (٤٨) ؛ ولكن فلن يفعل هذا من يقدر على وصف النوم بأمانة وصدق
- ٧٠ ولذا فإني أنتقل إلى اللحظة التي استيقظت فيها (٤٩) ؛ وأذكر أن نوراً قد مزق لي حجاب النوم (٥٠) ، وسمعت نداءً يقول لي « ألا فلتنهض وماذا أنت فاعل الآن (٥١) ؟ »

- ٧٣ وكما اقتيد^(٥٢) كلُّ من بطرس ويوحنا ويعقوب وهم فاقدو الوعي^(٥٣) - لكى يَرَوَا نُورَاتِ شَجَرَةِ التَّفَاحِ الَّتِي تُثِيرُ بِهِم الملائكة إلى أثمارها ،
- ٧٦ وتُقيم في السماء عرساً أبدياً^(٥٤) - ثم استردَّ أولئك رُشدَهُم بالكلمة التي قطعتُ نوماً أعمق^(٥٥) ،
- ٧٩ فتبينوا أن قد نقص من جماعتهم كلُّ من موسى وإيليا^(٥٦) ، ورأوا أن قد تبدل لباسٌ معلّمهم^(٥٧) -
- ٨٢ هكذا عدتُ إلى رُشدى^(٥٨) ، ورأيت بجانبى واقفةً تلك الرحيمة التي قادتُ من قبل خطواتى إزاء النهر^(٥٩)
- ٨٥ فقلت وأنا مبليبلٌ مضطربٌ « أين بياتريتشى^(٦٠) ؟ » فأجابت « فلنَتنظر إليها جالسةً عند جذور الشجرة في ظلال أغصانها المخضرة^(٦١) : »
- ٨٨ ولتَتنظر إلى الجماعة التي تحيط بها^(٦٢) وها هم الآخرون يصعدون في إثر الجريفون^(٦٣) ، وإنهم لَيَيشُدون بأغانٍ ذات ألحانٍ أعذب وأعمق^(٦٤) «
- ٩١ ولستُ أدري هل استرسلتُ في كلامها ، إذْ كانت قد تراءت لعيى مَنَ حالت دون انتباهى إلى أمرٍ سواها^(٦٥)
- ٩٤ وعلى الأرض الحقّة جلستُ وحيدةً^(٦٦) ، وهناك ظلّت لكى تقوم بحراسة العربّة^(٦٧) ، التي رأيتُ يربطها الوحش ذو الطبيعة المزدوجة^(٦٨) .
- ٩٧ وصنعتُ الحوريات السبع من أنفسهنّ حوفاً سوراً^(٦٩) ، بما في أيديهنّ من الأنوار^(٧٠) الآمنة من ريح الشمال وريح الجنوب^(٧١)
- ١٠٠ « إنك ستكون هنا من سكان الغابة لفترة قصيرة^(٧٢) ؛ وستصبح معى بلا نهاية من أهل روما العظيمة^(٧٣) ، حيث يَعدُّ المسيح مواطناً رومانياً^(٧٤) »
- ١٠٣ ولذلك فلنَتركزُ عينيك على العربّة الآن ، حرصاً على صالح العالم الذى يحيا حياة الشرِّ ، ولنَعمل على تدوين ما تراه حين تعود إلى ذلك الجانب^(٧٥) .
- ١٠٦ هكذا تكلمت بياتريتشى ؛ وأنا الذى كنت قد وقفت خاضعاً خاشعاً أمام وصاياها - اتّجهتُ بفكرى وعيى حيث شاءت^(٧٦)

- ١٠٩ لم تسقط أبداً صاعقة^(٧٧) من سحابة كثيفة بهذه السرعة الفائقة ، حين تهوى^(٧٨) من تلك الحدود الشاهقة البعد عنا^(٧٩) ،
- ١١٢ كما رأيت طائرَ جوپيتر ينقض على الشجرة^(٨٠) ، مُحطماً لحاءها^(٨١) فضلاً عن أزهارها^(٨٢) وأوراقها المخضرة^(٨٣) ؛
- ١١٥ وبعنفوان قوته ضرب العربة^(٨٤) ؛ فمالت كالسفينة وسط العاصفة ، التي اجتاحت الأمواج يمناها تارة وطوراً يسراها^(٨٥) .
- ١١٨ ثم نظرتُ ثعلبة^(٨٦) تندفع إلى باطن عربة النصر^(٨٧) ، وقد بدت صائمةً عن كلِّ غذاءٍ صالحٍ^(٨٨) ؛
- ١٢١ ولكن حينما عنفتها سيدتي على خطاياها الحبيثة ، دفعتها إلى الفرار مسرعةً ، بقدر ما احتمال عظمها الخالي من اللحم^(٨٩)
- ١٢٤ ومن حيث أتى النسر أولاً رأيته يهبط منقضاً على باطن العربة ، ثم ينثنى عنها وهي مفعمةٌ بأرياشه^(٩٠) ؛
- ١٢٧ وكالصوت الذي ينبعث من قلبٍ يتملكه الأسى^(٩١) - هكذا صدر عن السماء صوتٌ شرع يقول : « أيا زورقي ، كم حَمَلوك بالمفاسد^(٩٢) ! » .
- ١٣٠ ثم بدا لي أن الأرض قد انشقت بين كلتا العجلتين ، ونظرتُ تنيناً يخرج منها ويعمد إلى إنشاب ذنبه في العربة^(٩٣) ؛
- ١٣٣ وكزنبورٍ يسحب حُمته ، اقتلع جزءاً من قاع العربة حينما اجتذب ذنبه الحبيث إليه ، ثم مضى مُتمايلاً في سيره^(٩٤) .
- ١٣٦ وكأرضٍ خصبةٍ يكسوها العشب ، اكتسى بالريش ما تبقى منها^(٩٥) ، ولعلّه قد منح بنية خالصة حسنة^(٩٦) ؛
- ١٣٩ وتغطى به ثانياً العريشُ وكلتا العجلتين ، في وقتٍ أقلِّ مما يظلّ فيه فم الإنسان مفتوحاً عند التهدُّد^(٩٧)
- ١٤٢ ولما تشكلت على هذا النحو العربةُ المباركة^(٩٨) ، برزت رؤوسٌ على كلِّ أجزائها ، ثلاثةٌ منها فوق العريش ، وواحدٌ في كلِّ ركنٍ من أركانها

- ١٤٥ وكان للرؤوس الأولى قرنان كقرنى الثور^(٩٩)، أما الرؤوس الأربعة فكان لكلٍّ منها على الجبين قرنٌ واحدٌ^(١٠٠): ولم يُرَ بعدُ لهذا الوحش نظيرٌ أبداً
- ١٤٨ وكقلعةٍ ثابتةٍ فوق جبلٍ عالٍ، تبدّتْ لى امرأةٍ داعرةٍ معتليةٍ ذلك الوحش وهى شبه عاريةٍ، ومدّتْ عينيها الطلّعتين إلى ما حوالها^(١٠١)؛
- ١٥١ ولكيلا ينتزعا من الوحش أحدٌ^(١٠٢)، رأيتُ مارداً يقف إلى جانبها^(١٠٣)، وتوالى بينهما تبادل القُبل من آونةٍ لأخرى^(١٠٤)
- ١٥٤ ولكن ذلك العاشق المقرس، أنهال عليها بسوطه من رأسها إلى قدمها^(١٠٥)، إذ اتّجهتُ إلى بعينها المصدّ بئتين المليئتين بالشهوة^(١٠٦).
- ١٥٧ ثم فكّ المارد إسمار الوحش وقد أفعم قلبه بالغيرة وجنّ جنونه بالغضب^(١٠٧)، وسحبه إلى أعماق الغابة^(١٠٨)، حتى صنع لى منها فحسبُ دريئةً —
- ١٦٠ تحجّبي عن الداعرة والوحش العجيب^(١٠٩)

حواشي الأنشودة الثانية والثلاثون

- (١) هذه هي الأنشودة الخامسة من أنشودات الفردوس الأرضي وتسمى أنشودة الشجرة العلوية - شجرة معرفة الخير والشر - وأنشودة عربية الكنيسة .
- (٢) يعنى كان دانتي يتأمل جمال بياتريتشى الفائق الوصف . وأضفت (إليها) للإيضاح
- (٣) المقصود أن عطش دانتي إلى بياتريتشى بدأ منذ موتها في ١٢٩٠
- (٤) أى لم يعد دانتي يحس بشيء سوى بياتريتشى ، وسبق مثل هذا التعبير Purg. IV.
- (٥) يعنى كان عدم اكتراث دانتي بما حوله بمثابة جدار أمام عينيه قطع صلته بما يحيط به
- (٦) أى اجتذبت بياتريتشى دانتي إليها بالبسمة التى افترعها ثغرها وبالحب القديم الذى أشعلت نيرانه في قلبه .
- (٧) كان دانتي واقفاً أمام العربية المقدسة يتأمل بياتريتشى حينما لفت نظره مرأى السيدات الثلاث - رمز الفضائل التيولوجية - اللأى كن على يمين العربية ، ولذلك نظر دانتي إلى يساره لكي يتجه إليهن .
- (٨) السيدات الثلاث دعون دانتي إلى المزيد من تركيز بصره على بياتريتشى .
- (٩) حينما ركز دانتي بصره على بياتريتشى أصبح كأنه ينظر إلى الشمس حتى لم يعد قادراً على الرؤية لشدة ضيائها
- (١٠) يعنى حينما تخلص دانتي من أثر سناء بياتريتشى أصبح قادراً على رؤية ما حوله .
- (١١) يوازن دانتي بين نور بياتريتشى الساطع ونور الموكب الأقل نسبياً
- (١٢) أى الموكب السالف الذكر Purg. XXIX. 64-150.
- (١٣) سار الموكب نحو المشرق في مواجهة دانتي والشمس ، وكانت الساعة حوالى العاشرة من صباح يوم الأربعاء الموافق ١٣ أبريل ١٣٠٠
- (١٤) هذه صورة مأخوذة من حركات الجند حينما يستدير حشد مهم لتغيير اتجاههم تخلصاً من العدو ، ويستدير أولاً الذين في المقدمة ثم يتم تغيير اتجاههم جميعاً حتى المؤخرة بالتدريج
- (١٥) يعنى جماعة الأربعة والعشرين شيخاً الذين ساروا أمام العربية Purg. XXIX. 83.
- (١٦) غيرت جماعة الشيوخ اتجاهها قبل أن يميل عريش العربية لتغيير اتجاهها
- (١٧) كانت السيدات الأربع قد تركن يسار العربية للسير بدانتي لكي ينظر إلى عيني بياتريتشى وكانت السيدات الثلاث قد تركن يمين العربية وتقدمن وهن يرقصن لرجاء بياتريتشى أن ترفع عنها النقاب حتى يشهد دانتي ابتسامتها Purg. XXXI. 109, 130-138.
- (١٨) سحب الجريفون العربية التي كانت فيها بياتريتشى بدون أن تهتز أرياشه بالحركة لأنه فعل ذلك بكل ثبات .

- (١٩) يعنى ماتيلدا
- (٢٠) فى الأنشودات الثلاث الأخيرة يكاد دانتي ينسى وجود استاتيوس ، ويقتصر على الإشارة إليه أحياناً بكل إيجاز وكما سيفعل بعد ، ولكنه لم يحدثنا عن لقائه ببياتريشى التى لا تبدى اهتماماً وكان من المستطاع لدانتي أن يخرج من مسرح شعره بإبقائه فى الإفريز التاسع لكى يكمل استغفاره وندمه وتكفيره وربما أبقى دانتي استاتيوس معه لكى يساعد على إظهار أن الشرب من مياه مهربى لى وإينووى جزء أساسى فى تطهير النفس من الخطايا وترى دوروثى سايرز أن دانتي ربما جعل استاتيوس يرى فى بياتريشى صورة الله ذاته ، كما هى عند دانتي ، ولا يذكر ذلك دانتي (الشاعر) لأن دانتي (الرحالة فى رحاب العالم الآخر) لا يعرف ما يدور بخلد استاتيوس . وهذا رأى معقول
- (٢١) أى ساروا يقرب العجلة اليمى التى مالت بأقل قوس عند اتجاهها صوب اليمين .
- (٢٢) كان الترتيل مستمراً لتنظيم خطوات الشاعرين وماتيلدا
- (٢٣) يعنى خلت الغابة بخطيئة حواء التى استمعت لإغراء الحية
- (٢٤) كانت تقاس المسافة قديماً بالبعد الذى يقطعه السهم المنطلق كما يقاس البعد الآن بإطلاق الرصاص والمقصود أنهم ساروا مسافة تعادل ما يقطعه السهم إذا أطلق ثلاث مرات
- (٢٥) نزلت بياتريشى عن العربة بعد هذا التمهيد كله وكأنها ملكة جليلة الشأن وأضفت (عن العربة) للإيضاح
- (٢٦) عندما نزلت بياتريشى عن العربة أخذ الجميع العجب لمراها وهمسوا باسم آدم وهذا دليل على هيبة بياتريشى مع التعبير عن الأسف للخطيئة التى ارتكبتها آدم فحرم البشر من الفردوس الأرضى .
- (٢٧) هذه هى شجرة معرفة الخير والشر ، ويختلف الشراح فى تفسير معناها الرمضى فهى قد تكون رمزاً للإمبراطورية ولروما خاصة وقد تكون رمزاً للقانون الإلهى والأمبراطورية الإلهية وربما تكون رمزاً لآدم وللإنسانية وللعقل والإرادة ويمكن أن تكون الترجمة (تعرت جميع أفرعها من الأوراق والأزهار
- (٢٨) المقصود بزيادة امتداد الشجرة واتساعها كلما ارتفعت أنه لا حد ولا نهاية للمعرفة ، وهى تعلق بما لا يبلغه نظر الإنسان حتى تصل إلى الله .
- (٢٩) يشبه هذا المعنى ما أورده فرجيليو Virg. Georg. II. 122-124.
- (٣٠) تغنى هؤلاء بتمجيد الجريفون - رمز المسيح - الذى أطاع الله فلم يقرب الشجرة المحرمة أبداً والكلام عن الطاعة مقتبس من « الكتاب المقدس » Epis. Rom. V. 19.
- (٣١) أى الأربعة والعشرون شيخاً
- (٣٢) المقصود الجريفون الذى يجمع بين طبيعة النسر - الإلهية - وطبيعة الأسد - البشرية
- (٣٣) نطق الجريفون بكلام مقتبس من أقوال السيد المسيح Matt. III. 15.
- (٣٤) يقصد بهذا أن الجريفون قد استدار حتى أصبح فى مواجهة العربة
- (٣٥) لما كان الشيطان قد أغرى الإنسان بعصيان الله والأكل من الشجرة المحرمة فقد جاء الجريفون الآن بالإنسان طائعاً أمام الله . والجذع المترمل هو الجذع العارى من الأوراق .
- (٣٦) يرى بعض الشراح أن تعبير (di lei) يعنى بشئ منه أى بفرع أو بغصن من الشجرة ، والمقصود أنه ربط عريش العربة إلى الشجرة بغصن منها ويرى آخرون أن هذا التعبير يعنى ما ينتمى

إليه باعتبار الأسطورة القائلة بأن الصليب الذي صلب عليه السيد المسيح - في عقيدة المسيحيين - صنع من خشب أصله من هذه الشجرة وتكون الترخبة في هذه الحال (أنه ترك ما ينتمي له أو ما هو منه - مربوطاً إليه) . والتعبيران متقاربان ولكن أخذت بالتعبير الثاني .

(٣٧) نقلت بيت ٥٥ إلى هذا الموضع كما نقلت جزءاً من هذه الثلاثية إلى الثلاثية التالية مراعاة للأسلوب وقلت (أشجار الأرض) بدلا من (أشجارنا) للإيضاح ويشبه هذا المعنى تعبير فرجيليو و « الكتاب المقدس »
Virg. Georg. I. 315.

Num. XVII. 8.

(٣٨) يعنى تزدهر الأشجار في الربيع حينما تكون الشمس في برج الحمل الذي يكون وراء برج الحوت

(٣٩) يشبه هذا قول فرجيليو
Virg. Æn. I. 568.

وذكر أوفيد يوس جياذ عربة الشمس الأربعة بيرويس وإيوس وإيثون وفليجون

Ov. Met. II. 153

(٤٠) أى قبل أن تبدأ الشمس رحلتها اليومية إلى برج الثور

(٤١) المقصود أن الشجرة قد جددت نفسها بأزهار أقرب إلى اللون القرمزي المزيج من الأحمر والأزرق وهذا رمز لدم السيد المسيح الذي بذله - عند المسيحيين - في سبيل اتحاد الإنسان بالله ، كما هو رمز للأمباطورية . ويشبه التعبير في ناحية اللون ما أورده فرجيليو

Virg. Georg. IV. 274-275.

(٤٢) ازدهرت الشجرة باتحاد العربة - رمز الكنيسة - بالجدع - رمز الأمباطورية

(٤٣) قلت (الأرض) بدلا من (هنا) للإيضاح

(٤٤) رتل السائرون في الموكب نشيداً لم يسمع دانتى في الأرض مثله

(٤٥) لم يستطع دانتى الاستماع إلى اللحن كله لأنه نام على أنغامه العذبة متأثراً بألحانه الساحرة وهذا هو دانتى الفنان المرهف الحس

(٤٦) هذه إشارة إلى الأرجوس - الحيوان الخرافي - وكيف تخلص منه جوبيتر بأن سلط عليه عطارذ

الذي قص عليه قصة حب الحورية سيرنكس (Syrinx) ، فنامت أعين الأرجوس المائة وبذلك أمكن قطع رأسه . وسبقت الإشارة إلى ذلك

Ov. Met. I. 568-747.

وتلخص أسطورة سرنكس حورية أركاديا في أنه كان قد عشقها بان إله الماشية والرعاة ، فلجأت إلى هير لادون حيث تحولت إلى قصب ، فاتخذ بان منها مزماراً ، ثم ابتكر تكريماً لها فايا ذا سبع قصبات يتناقص طولها من أسفل . وقد استوحى كلود ديبسي (١٨٦٢ - ١٩١٨) هذه الأسطورة فوضع مقطوعة موسيقية رقيقة ساحرة تعرف باسم سرنكس وتعزف على الناي المنفرد
Debussy, Claude (1862-1918) Syrinx (Columbia, New York).

(٤٧) يعنى أن أعين الأرجوس التي نظرت إلى إيو معشوقة جوبيتر قد كلفته حياته .

(٤٨) أعرب دانتى عن رغبته أن يرسم حالة الانتقال من اليقظة إلى النوم كما يرسم الرسام رسومه عن النماذج الحية ، حتى تأتي صورته صادقة . وهذا يعنى صعوبة التعبير عن هذه الحالة

- (٤٩) أى ما دام من الصعب عليه أن يصف كيف أخذه النوم فإنه سيترك ذلك و ينتقل إلى وقت عودته إلى اليقظة .
- (٥٠) هذه هي أنوار الموكب الذى كان صاعداً إلى السماء .
- (٥١) هذه هي ماتيلدا تنادى دانتى وتدعوه أن ينظر إلى المشهد الجديد .
- (٥٢) أجريت بعض التغيير فى مواضع بعض الأبيات بين هذه الثلاثية والتي تليها والأبيات التسعة التالية مقتبسة من « الكتاب المقدس » وترمز إلى ذهاب السيد المسيح مع بعض حواريه إلى جبل طابور حيث شهدوا تجليه
Matt. XVII. 1-13.
- (٥٣) اصطحب المسيح بطرس (Pietro) ويوحنا (Giovanni) ويعقوب (Jacopo) من حواريه إلى جبل طابور وفقدوا وعيهم حينما شهدوا تجلى المسيح
- (٥٤) التفاح رمز للمسيح كما ورد فى الكتاب المقدس (Cant. Cantic. II. 3) والمقصود أن الملائكة يتطلعون إلى المسيح ويسعدون بتأملهم فيه لأنه بذلك يجعلهم فى عرس أبدى .
- (٥٥) أى أفاقوا حينما لمسهم المسيح وكلمهم
Matt. XVII. 7-8.
وفى ذكر الكلمة التي قطعت يوماً أعمق إشارة إلى كلام المسيح الذى أحيا به لعازر من الموت
Giov. XI. 41-44.
- (٥٦) كان موسى (Moise) وإيليا (Elias) بجانب المسيح فى أثناء تجليه واختفيا فجأة عقب ذلك
- (٥٧) يقصد بذلك تجلى المسيح وعليه الثوب الأبيض الناصع
Luca, IX. 29.
- (٥٨) هكذا كانت حال دانتى حينما نام ثم استيقظ
- (٥٩) هذه هي ماتيلدا
- (٦٠) سيطر الشك والاضطراب والجزع على دانتى حينما لم ير بياتريتشى أمامه وخشى أن تكون قد تركته كما فعل فرجيليو ، ولذلك فهو يسأل عن مكانها
- (٦١) يعنى أن بياتريتشى - التى تعد رمز الكنيسة - أخذت مكان الجريفون - رمز المسيح ، وجلست عند أسفل الشجرة - رمز روما والأمباطورية
- (٦٢) أى جماعة الحوريات السبع اللاتى يمسكن بالسرج المنيرة
- (٦٣) يعنى صعد إلى السماء باقى أفراد الموكب
- (٦٤) أى أنهم شدوا بأغان ذات أنغام أعذب وأعمق مما سمعه فى أبيات ٦١ - ٦٣
- (٦٥) لم يدر دانتى هل تكلمت ماتيلدا مزيداً أم لا لأنه استغرق فى تأمل بياتريتشى .
- (٦٦) يرى بعض الشراح أن قول (terra vera) يعنى الأرض الحققة أو الحقيقة أى أرض الفردوس الأرضى المطيعة لله ويرى آخرون أنه يعنى الأرض العارية ، وفى هذه إشارة إلى أن رجال الكنيسة القدامى كانوا فقراء متواضعين ويرى غيرهم أنه يعنى أن بياتريتشى كانت جالسة على الأرض ذاتها . ولا يمكننا الوصول إلى رأى حاسم
- (٦٧) استخدم دانتى لفظ (plastro) من اللاتينية بمعنى عربة
- (٦٨) هذا هو الجريفون رمز المسيح ، وهذه إشارة إلى ما سبق
Purg. XXXI. 80, 122.
- (٦٩) استخدم دانتى لفظ (claustro) من اللاتينية بمعنى شئ دائرى .
- (٧٠) المقصود أن الحوريات السبع قد أحطن بياتريتشى وفى أيديهن السرج المشتعلة .

- (٧١) ريح الشمال (Aquilone) الباردة التي تهب من شمال أوروبا وريح الجنوب (Austro) الحارة التي تعصف في ليبيا وتهب على جنوب أوروبا ويرجع هذا الأمان من الرياح إلى وجود الفردوس الأرضي في أعلى المنطقة التي لا تتأثر بالعوامل الجوية السائدة في الأرض .
- (٧٢) يعنى سيكون دانتي في الفردوس الأرضي لمدة قصيرة
- (٧٣) أي روما السماوية مدينة الله .
- (٧٤) جعل دانتي المسيح مواطناً رومانياً في روما السماوية الإلهية ، وفي هذا تقريب وتوافق بين الإنسان والله وبين الأرض والسماء .
- (٧٥) يعنى على دانتي أن ينظر إلى العربة رمز الكنيسة ، وعليه أن يدون ما يراه لمصلحة العالم حينما يعود إلى الدنيا والتعبير الأخير يشبه ما ورد في « الكتاب المقدس »
- Apocal. I. 19; XXI. 5.
- (٧٦) أصبح دانتي خاشعاً خاضعاً أمام وصايا بياتريشي ، وكان حريصاً على تنفيذ ما قالته له .
- (٧٧) عبر دانتي عن الصاعقة بقوله (النار)
- (٧٨) استخدم دانتي فعل (يمطر) والمقصود السقوط السريع من أعلى
- (٧٩) يتفق هذا ومعرفة أرسطو القديمة بأن الصاعقة تنشأ في أعلى مناطق الجو لشدة البرد وكثافة السحب
- Arist. Meteor. II. 9. 2-4.
- (٨٠) أي النسر ويرمز للأباطرة الذين اضطهدوا الكنيسة ، ويسميه دانتي في الفردوس طائر الله والفكرة مقتبسة من « الكتاب المقدس »
- Par. VI. 4.
- Ezech. XVII. 3.
- (٨١) لحاء الشجرة رمز ثبات القديسين وقوة إيمانهم .
- (٨٢) الأزهار رمز صلوات القديسين .
- (٨٣) الأوراق الحديدية المخضرة رمز لأعمال القديسين الصالحة .
- (٨٤) الانقضاض والتحطيم والضرب رمز لما أصاب الكنيسة من الويلات على أيدي الأباطرة الرومان من نيرون إلى دقلديانوس (٦٤ - ٣١٤)
- (٨٥) لفظ (poggia) يعنى الحبل الذي يربط السفينة جهة اليمين ويعنى لفظ (orza) الحبل الذي يربطها جهة اليسار والمقصود التعبير عن يمين السفينة ويسارها وتشبه صورة السفينة وسط العاصفة ما أورده ثرجيليو :
- Virg. Æn. I. 120
- (٨٦) الثعلبة رمز للهرطقة التي أقلقت الكنيسة وعلى الأخص مذهب آريوس الذي أنكر ألوهية المسيح في القرن الرابع الميلادي
- (٨٧) هذا رمز لمهاجمة الكنيسة في الصميم
- (٨٨) يعنى كانت الثعلبة محرومة من الغذاء الصالح ويشبه التعبير الخاص بالغذاء الصالح ما ورد في « الكتاب المقدس »
- Epist. Ebrei, V. 14.
- (٨٩) هذا رمز لانتصار الكنيسة على الهرطقة ويتضمن هذا قرار مجمع نيقيا في سنة ٣٢٥ ضد مذهب آريوس .

(٩٠) النسر رمز للإمبراطور ، ويمثل هنا قسطنطين الذى أعطى ريشه للبابا ، وهذا رمز لمنحته للبابا بشأن السلطة الزمنية ، الشيء الذى لم يحدث فى الواقع ، كما أثبت ذلك لورنتزو فاللا فى القرن الخامس عشر ، ولم يرض دانتى عن هذه المنحة وسبقت الإشارة إليها فى الجحيم وستأق الإشارة إليها فى الفردوس

Mon. III. X. 5.

Inf. XIX. 115

Par. XX. 55

(٩١) هذه إشارة إلى الأسطورة القائلة بأنه عقب منحة قسطنطين دوت فى السماء صرخات ألم وأسى

(٩٢) المقصود أن منحة قسطنطين - التى لم تحدث - قد ملأت الكنيسة بالشرور والمفاسد

(٩٣) التنين هو الحيوان الخرافى الذى يجمع بين صفات الزواحف والطيور ، وهو رمز للشيطان الذى

أفسد الكنيسة أو رمز لجشع الإنسان إلى متاع الدنيا وسبقت الإشارة إليه وذكره « الكتاب

المقدس »

Inf. XXV. 23.

Apocal. XII. 3...; XX. 2.

ويوجد رسم للثنين فى صورة ترجع إلى القرن ١٢ وهى فى كنيسة القديس بطرس فى الفاتيكان .

(٩٤) أى أخرج التنين كثيراً من المسيحيين من رحاب الكنيسة ثم سار متميلاً منرجاً ماضياً فى أعماله

الشريرة ، وهذا ما يناسب حركة الزاحفة فى سيرها . ويفسر بعض الشراح تعبير (vago vago)

بأنه يعنى أن التنين قد سار مغتبطاً راضياً عن فعله الخبيث

(٩٥) يعنى ما بقى من العربية بعد أن انتزع التنين بذنبه جزءاً منها

(٩٦) أى مع أن قسطنطين ربما يكون قد منح الكنيسة ما منحه لها من السلطان بقصد حسن فإن ذلك

كان شراً ووبالاً عليها

(٩٧) يعنى حدث ذلك بسرعة فائقة ويأخذ دانتى الصورة من حركة الإنسان عند التهد

(٩٨) أى تحولت العربية المقدسة إلى وحش بشع ، وتشبه هذه الصورة ما ورد فى « الكتاب المقدس »

Apocal. XIII. ...; XVII.

(٩٩) يعنى كان كل رأس من الرؤوس الثلاثة الأولى ذا قرنين وهذه الرؤوس الثلاثة رمز للكبرياء

والغضب والحسد ، وهى ذات قرنين لأن هذه خطايا توجه إلى الله والإنسان

(١٠٠) كانت الرؤوس الأربعة الأخرى ذوات قرن واحد وهى رمز لخطايا الجشع والنهم والكسل وشهوة

الجسد ، وتوجه كلها إلى الإنسان وحده . والصورة مقتبسة من الكتاب المقدس كما سبق آنفاً

(١٠١) هذه رمز للكنيسة الفاسدة المنحلة فى عهد بونيفاتشو الثامن واكلمنتو الخامس

(١٠٢) يعنى لكيلا تنتزع الداعرة من على ظهر الوحش . وقلت (الوحش) للإيضاح

(١٠٣) المارد رمز لفيليب الجحيل ملك فرنسا أو لملك فرنسا على وجه العموم الذى كان يؤيد البابوية

الخاضعة لسياسته

(١٠٤) هكذا كان فساد البابوية والملكية الفرنسية عند دانتى

(١٠٥) انهال المارد بسوطه على كل جزء من جسد المرأة الداعرة .

(١٠٦) هذه النظرة من الداعرة إلى دانتى تعنى رغبتها فى التخلص من المارد - أى من سلطان ملك فرنسا

(١٠٧) كان الجريفون - رمز المسيح - قد ربطت العربية - رمز الكنيسة - بمجدع الشجرة - رمز الأباطورية - وجاء هذا المارد - رمز ملك فرنسا - فأطلق العربية من الشجرة فتحوّلت العربية إلى وحش بشع

(١٠٨) هذا رمز لانتقال مركز البابوية إلى أفنيون في جنوب فرنسا عند انتخاب الكلمنتو الخامس .

(١٠٩) يعنى اختنى الوحش - العربية في الأصل - واختفت المرأة الداعرة داخل الغابة التي أصبحت حائلا دون أن يراها دانتي وهكذا صور دانتي طرفاً من تاريخ الكنيسة وارتباطها بالأباطورية ، وما أصاب الكنيسة من الفساد حتى عهده ، وفعل ذلك بطريق الرمز الذي استخدمه بفن عظيم واستمد دانتي صورته من الأساطير القديمة والكتاب المقدس ومظاهر الطبيعة والإنسان ، ومزج بين هذه العناصر على اتساق وتوافق

الأنشودة الثالثة والثلاثون^(١)

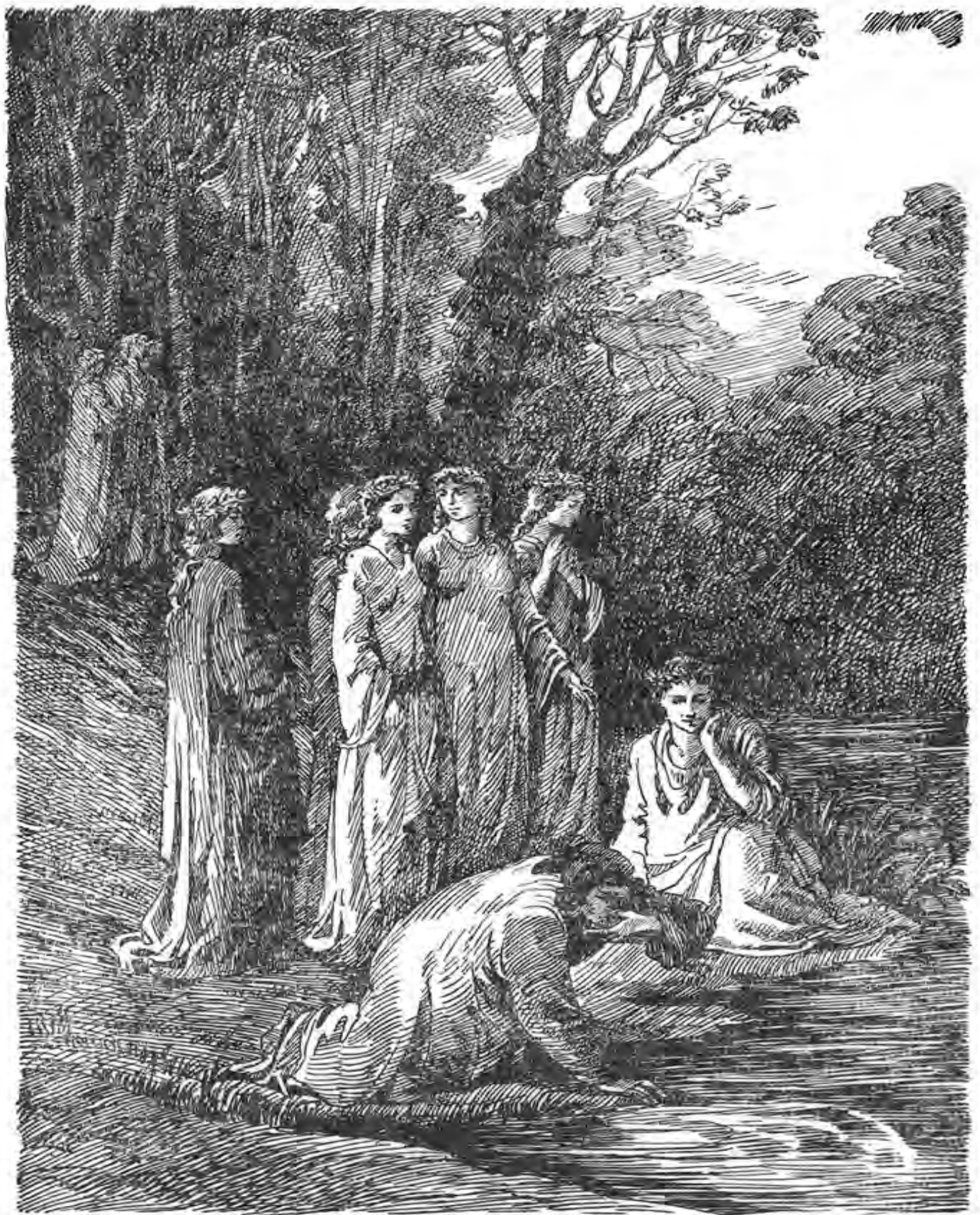
أخذت السيدات السبع ترتلن باكيات على مصير الكنيسة السيئ ، وشاركتهن بياتريتشي في ألمهنّ ولكنها أعلنت نبوءتها بزوال الشرور والمفاسد ، وأشارت إليهن بالسير مع دانتي وماتيلدا واستاتيوس ، ثم التفتت إلى دانتي ودعته للمجيء إلى جوارها حتى يكون أقدر على سماعها ، وشجعتته على التخلص من الخوف والحجل . وقالت بياتريتشي إن الأمبراطورية لن تظل دائماً بدون وريث ، وسيأتي الزمن الذي يظهر فيه رسول يبعثه الله لكي يقضى على المساويء ، وسوف تتضح لدانتي كل المسائل ، وسألته أن يعي في ذهنه الحال التي رأى عليها الشجرة—رمز الأمبراطورية— وما طراً عليها من التغيير حتى يذكر ذلك عند عودته إلى الدنيا وقالت إن آدم بقي ألوف السنين يتطلع إلى السيد المسيح الذي عاقب نفسه على خطيئة آدم — كما يعتقد المسيحيون — وسوف يدرك دانتي العدالة الإلهية في تحريم الأكل من هذه الشجرة وسألها دانتي لمّ تسمو كلماتها عن مستوى إدراكه ، فأجابت بأنها تفعل ذلك لكي يرى أن تعاليم الفلسفة التي اتبعها لا تكفي لكي يفهم وأنها بعدت به عن الطريق الإلهي ، فقال دانتي إنه لا يذكر أنه ابتعد عنها فأجابته بأن هذا من أثر مياه ليتي وكان الوقت ظهراً حينما توقفت الجماعة عن المسير عند ظل ظليل ، وبدا لدانتي أنه يرى ٣٣ رين يخرجان كالدجلة والفرات من ينبوع واحد ، وينفصلان كصديقين متمهلين عند الرحيل فاستفسر دانتي عن ذلك متعجباً ، فقالت ماتيلدا إنها سبق أن فسّرت له كل شيء واقتادت ماتيلدا دانتي واستاتيوس إلى ٣٣ إينووي الذي يعيد للإنسان ذكرى الأعمال الصالحة ، ونعم دانتي بالماء العذب الذي لم يكن ليرتوي منه أبداً ، واعتذر للقارئ عن عدم وصف أثره لضيق المقام . وهكذا أصبح دانتي كأنه ولد من جديد كالنبات الذي يتجدد بأوراقه الخضراء ، وصار طاهراً مؤهلاً للصعود إلى النجوم

- ١ " اللهم إن الأمم قد دخلوا ميراثك " (٢) ، هكذا شرعت السيدات ترتلن باكيات المزمور العذب على اتساقٍ وتوافقٍ ، ثلاث مهنّ تارةً وأربع تارةً أخرى (٣) ،
- ٤ وبوجهٍ لم يكده يزيد عنه تحت الصليب وجه ماريّا الشاحب — على هذا النحو أصغت إليهن بياتريتشى وهى تأسى وتُصعّد الزفرات (٤)
- ٧ ولكن حينما أتاحت لها هاتيك العذارى فرصة الكلام (٥) ، مهضت واقفةً على قدميها ، وأجابت وقد اكتسى وجهها بلون النار (٦)
- ١٠ " بعد قليل لا تبصرونى ، ثم بعد قليل ترونى ثانياً ، يا أخواتى الحبيبات " (٧)
- ١٣ ثم دفعت أمامها السيدات السبع جميعاً (٨) ، وبإشارةٍ منها فحسبُ ، حملتنا على السير فى إثرها أنا والسيدة (٩) والحكيم الذى ظلّ فى صُحبتنا (١٠)
- ١٦ وهكذا مضت فى سيرها ، ولا أظن أنها كانت قد درجت على الأرض بعشرٍ من خُطّاها (١١) ، حينما تألّق فى عيىٍّ وميضٌ من عينيها (١٢)
- ١٩ وبوجهٍ هادئٍ قالت لى (١٣) : « هلاً تسارع الخطى حتى تصبح فى موضع ملائمٍ للإصغاء إلىّ إذا ما خاطبتك (١٤) » .
- ٢٢ ولما صرت إلى جانبها امثالاً لكلمتها (١٥) ، قالت لى « يا أخى ، لم لا تجترئ على سؤالى ما دمت تسير بجوارى الآن (١٦) ؟ » .
- ٢٥ وكما يحدث لمن يتكلمون باحترامٍ بالغٍ أمام من يعلوهم قدراً ، فلا تتجاوز أصواتهم المنبعثة حدّ شفاههم (١٧) —
- ٢٨ هكذا حدث لى ، فبدأت أتكلم بصوتٍ مُقَطَّعٍ : « إنك يا سيدتى عليمةٌ بجأتى وبما يطيب لها (١٨) »
- ٣١ فقالت لى « إننى راغبةٌ أن تحرّر نفسك الآن من الخوف والحجل ، حتى تكفّ عن الكلام كما يفعل الرجل حينما يحلم (١٩)
- ٣٤ ولتتعلم أن العربية (٢٠) التى حطّمها التنين كانت من قبل موجودةً وهى غير موجودة الآن (٢١) ، ولكن فليثق من أمّ بسببها ، أنه ما من حائلٍ يهابه انتقام الله (٢٢) .

- ٣٧ ولن يظلّ أبد الدهر بلا وريث - النسر الذي ترك على العربية أرياشه (٢٣) ،
وبذلك أصبحت وحشاً ثم صارت فريسة (٢٤) ؛
- ٤٠ وإني أخبرك بأني أرى في الحقيقة نجوماً تقترب الآن آمنةً من كل عائقٍ
وخالصةً من كل عقبة (٢٥) ، لكي تجود علينا بالزمن
- ٤٢ الذي سيفتك فيه - من حساب جمّله خمسة عشرة وخمسة (٢٦) - رسولٌ
من الله - سيفتك بالمغتصبة الداعرة وبذلك المارد الذي يرتكب معها
المعصية (٢٧)
- ٤٦ وربما لا يكفي لإقناعك حديثي ، الذي هو في غموض قصتي تميس (٢٨)
وأُمّ الهول (٢٩) ، إذ يغشى العقل على منوالهما (٣٠) ،
- ٤٩ ولكن سرعان ما ستصبح الوقائع هي النياض (٣١) التي تحلّ هذا اللغز
العويص (٣٢) ، بدون خسارةٍ تلحق بالقطيع أو محصول الحنطة (٣٣)
- ٥٢ فعليك بأن تعي ما قلته لك (٣٤) ، ولتنتقل عنى هذه الكلمات كما تلفظتُ بها ،
إلى من يعيشون الحياة التي هي إلى الموت سباقٌ (٣٥)
- ٥٥ وحين تدونها فلنتذكر ألاّ تُخفي كيف رأيت الشجرة (٣٦) ، التي انتزعت
ها هنا أوراقها مرتين الآن (٣٧)
- ٥٨ إن كل من يسرقها أو يسلبها شيئاً ، يسىء بشائن فعله إلى الله (٣٨) ، الذي
لم يخلقها مقدسةً إلا لخدمة هدفه (٣٩)
- ٦١ وبالنهش منها تطلعت النفس الأولى (٤٠) في عذابٍ وشوقٍ - أكثر من خمسة
آلاف سنة (٤١) - تطلعت إلى من عاقب نفسه على تلك القضمة (٤٢)
- ٦٤ وإنك لتعُدّ غائباً عن وعيك إذا لم تقدر أن سبباً فريداً قد سما بالشجرة إلى
ذلك الارتفاع الشاهق ، وبه امتدّت هكذا عند القمة (٤٣)
- ٦٧ ولو لم تكن أفكارك الباطلة قد صارت في رأسك كما ههرا الإلسا (٤٤) ، ولم
يفعل ابتهاجك بها ما فعله پيراموس بثمار التوت (٤٥) ،
- ٧٠ لكفتك هاتان الخاصيتان لكي تدرك مغزى العدالة الإلهية ، في التحريم
المنصبّ على الشجرة العالية - بمعناه الخلقى (٤٦)

- ٧٣ ولكن ما دمت أرى أن عقلك قد استحال صخرةً ، وتحجرت أفكارك وأظلمت نفسك ، حتى لتبهرك أنوار كلماتي^(٤٧) ،
- ٧٦ فلا زلت أرجو أن تعيها في نفسك— وإن لم تكن مكتوبةً فمرسومةً على الأقل^(٤٨) ، لذات السبب الذي يعود به عكاز الحاج متوجاً بسعف النخل^(٤٩) .
- ٧٩ فقلت « لقد انطبع ذهبي بكلماتك الآن ، كشمع الحتم الذي لا تتغير الصورة المهور بها أبداً^(٥٠) »
- ٨٢ ولكن لم تحلق عالياً فوق متناول إدراكي^(٥١)— كلمتك التي تتوق نفسي لسماعها ، بحيث يزداد بعدها عنى كلما ازددت سعياً إليها^(٥٢) ؟ «
- ٨٥ فقلت « لكي تعرف أية مدرسة اتبعتها^(٥٣) ، وترى كيف يمكن لتعاليمها أن تتبع كلماتي ،
- ٨٨ ولكي تدرك أن طريقك^(٥٤) ينأى عن طريق الله ، كما تنأى عن الأرض السماء التي تسارع إلى الدوران في أعلى مدارجها^(٥٥) »
- ٩١ فأجبتها عندئذ : « لا أذكر اني قد جعلت نفسي غريبةً عنك أبداً ، ولست أشعر بوخز الضمير من جراء ذلك^(٥٦) »
- ٩٤ فقلت لي وهي تبتسم : « إذا كنت لا تستطيع أن تعي ذلك ، فلست تذكر الآن كيف شربت اليوم من مياه ليتي^(٥٧) ؛
- ٩٧ وإذا ما دلّ الدخان على اشتعال النار ، فإن نسيانك يُثبت جلياً أن إرادتك تعورها الخطيئة — باتجاهها وجهةً أخرى^(٥٨) »
- ١٠٠ ولكن^(٥٩) كلماتي ستصبح لك الآن جليةً ، بقدر ما سيكون ذلك ضرورياً لكي يكشف عنها نظرك المعتم^(٦٠) »
- ١٠٣ وبوهجٍ أشدّ وخُطى أبطأ كانت الشمس قد استوت في دائرة الزوال^(٦١) ، التي تنتقل هنا وهناك ، بحسب الأماكن التي تُرى منها^(٦٢) ،
- ١٠٦ حينما توقفت — كما يتوقف مَنْ يسير أمام جماعة كأنه دليلها ، إذا ما لقي أشياءً غريبةً أو ما ينبئ عنها^(٦٣) —

- ١٠٩ حينما توقفت السيدات السبع^(٦٤) عند حافة ظلٍ ظليلٍ ، أشبه بما تُلقى به جبال الألب على غدرانها العذبة ، تحت أفنانها الداكنة وأوراقها المزهرة^(٦٥)
- ١١٢ وأمّهن بدا لي أنى أرى الفرات والدجلة يخرجان من نبعٍ واحدٍ^(٦٦) ، وكصديقين حميمين يتمهلان عند افتراقهما^(٦٧)
- ١١٥ « أيها النور المتألق ، ويا مجدّ البشرية^(٦٨) ، أية مياه هذه التى تنشق من ينبوعٍ واحدٍ ، وتبتعد بذاتها عن ذاتها^(٦٩) ؟ » .
- ١١٨ وإزاء هذا الرجاء سمعتها تقول^(٧٠) « عليك برجاء ماتيلدا حتى تخبرك عن ذلك^(٧١) » وهنا أجابت الغادة الجميلة كما يفعل مَنْ
- ١٢١ يخلّص نفسه من اللوم : « لقد حدثتته عن هذه المسألة وعن أشياء غيرها^(٧٢) ، وإنى واثقةٌ أن مياه ليتى لم تُخفها عنه^(٧٣) . » .
- ١٢٤ فقالت بياتريتشى « ربما أظلمت عيننا عقله بمشغلةٍ أجلّ شأنًا ، والتي كثيراً ما تحرم الإنسان من ذاكرته^(٧٤) »
- ١٢٧ ولكن هاك هر إينووى ينساب فى ذيّاك الجانب : فخذيه إليه ، وأعيدى له قواه الواهنة ، كما كان فى مألوفك أن تفعل ذلك^(٧٥) »
- ١٣٠ وكالنفس الرقيقة التى لا تلتمس سبيلاً إلى المعذرة^(٧٦) ، ولكن تُشكّل إرادتها بإرادة غيرها ، حين يُفصّح عنها بإشارةٍ باديةٍ^(٧٧)
- ١٣٣ هكذا سارت بي الغادة الجميلة^(٧٨) ، حينما أمسكت لى^(٧٩) ، وقالت لاستاتايوس « هلا تأتى معه^(٨٠) » ، بتعبيرٍ يم عن رقة شمائلها^(٨١)
- ١٣٦ ولو اتسع لى مجال القول - يا قارئى - لشدوتُ على نحوٍ غير مكتملٍ بالكوثر العذب الذى ما كنتُ لأرتوى منه أبداً^(٨٢) ؛
- ١٣٩ ولكن لما كانت صفحاتى الخاصّة بهذا النشيد الثانى قد أوضحت كلها مفعمةً ، فإن عنان فنى لا يدعى أمضى فى قريضى^(٨٣)
- ١٤٢ وعُدتُ من أعظم الأمواج قدسيةً^(٨٤) مولوداً جديداً^(٨٥) ، كالأشجار الجديدة التى تتجدّد ببزوغ أوراقها الوليدة^(٨٦) ،
- ١٤٥ وصرت طاهراً^(٨٧) مؤهلاً للصعود إلى النجوم^(٨٨)



١٣ - دانتی یشرب من میاه نهر اینووی

أنشودة ٣٣ ١٣٦ - ١٣٨

حواشي الأنشودة الثالثة والثلاثون

- (١) هذه أنشودة نبوءة بياتريتشى .
- (٢) هذا القول مقتبس من « الكتاب المقدس » ويمكننا القول (اللهم إن الكفار قد جاءوا)
Salmi, LXXIX.
- (٣) المقصود أن السيدات السبع بكيين حزناً على ما أصاب الكنيسة من الويلات والمفاسد وترمز ثلاثهن إلى الفضائل اللاهوتية وترمز أربعتهن إلى الفضائل الأساسية
- (٤) تأملت بياتريتشى لذلك واقترب وجهها في شحوبه مما أصاب وجه العذراء ماريا عند صلب السيد المسيح - في عقيدة المسيحيين
- (٥) أى حينما انتهت السيدات المذكورات من إنشاد المزمور المشار إليه
- (٦) هضت بياتريتشى وقد أخذتها الحماسة المقدسة فاحمر وجهها
- (٧) المقصود أن المفاسد الحالية سوف تزول وستجدد الكنيسة وتعود البابوية إلى روما وهذا القول مقتبس من كلام السيد المسيح
Giov. XVI. 16.
- (٨) يعنى السيدات السبع المشار إليهن آنفاً
- (٩) أى ماتيلدا
- (١٠) يعنى استاتيوس
- (١١) ربما ترمز الخطوات العشرة إلى الوصايا العشرة أو ترمز إلى أن البابوية ستعود إلى روما قبل انقضاء عشر سنوات .
- (١٢) يدل هذا التعبير على أثر عيبى بياتريتشى في دانتى .
- (١٣) سبق أن تأثرت بياتريتشى وانفعلت لما أصاب الكنيسة من الويلات ولكن سرعان ما استعادت هدوها لثقتها في الله وفي نفسها
- (١٤) هذه كلمات هادئة رقيقة مستمدة مما يحدث بين الأصدقاء في الحياة الواقعة
- (١٥) أى كما ينبغى على دانتى أن يطبع بياتريتشى دائماً
- (١٦) هكذا تحفز بياتريتشى دانتى على الكلام بكلمات هادئة بسيطة تحمل علائم العطف والمودة .
- (١٧) هذا تصوير دقيق لمن لا يسعفه الكلام في حضرة الشخص ذى المقام الكبير فلا تتجاوز ألفاظه حد أسنانه
- (١٨) يعنى أن دانتى ليس في حاجة إلى الإفصاح عما يخالجه لأن بياتريتشى تدرك كل شيء .
- (١٩) تدعو بياتريتشى دانتى إلى أن يتخلص من الخوف والحجل حتى لا يتكلم كلاماً غير مفهوم كما يفعل الرجل في الحم . وهذه صورة دقيقة مستمدة من الحياة الواقعة
- (٢٠) أى العربة المقدسة السالفة الذكر في الأنشودة السابقة

(٢١) يعنى كانت الكنيسة موجودة من قبل ولكن بانتقال مركز البابوية إلى أفنيون سنة ١٣٠٩ أصبحت الكنيسة كأنها غير موجودة . والتعبير هنا مقتبس من « الكتاب المقدس »

Apocal. XVII. 8.

(٢٢) يرى بعض الشراح أن لفظ (suppa) يعنى الحساء - وهو هنا مصنوع من النيذ والحبز - وأن دانتى قد اقتبس هذه الفكرة التي وجدت في تاريخ اليونان القديم والتي يقال إنها عرفت في فلورنسا بعض الوقت ومؤدى هذه الفكرة أن القاتل كان يأمن على نفسه من طائلة القانون ومن انتقام أهل القتل إذا استمر يتناول هذا الحساء مدة تسعة أيام على قبر القتيل ، ولذلك كان أهل القتل يحرسون قبره حتى لا يلجأ قاتله إلى هذه الطريقة لكي ينجو من العقاب أو الانتقام وفي هذه الحال تكون الترجمة (أن انتقام الله لا يخشى تناول الحساء) ، يعنى أن انتقام الله لا يخشى أن يعوقه شيء ولكن يستبعد غيرهم من الشراح والدارسين هذا التفسير ، ويرون أن انتقام الله يرتبط بالسيف ، كما ورد في الكتاب المقدس (تثنية ٣٢ ٤١ أشعيا ٣٤

حزقيال ٢١ و ٣٣ إلخ) ويرون أن انتقام الله لا يمكن أن يرتبط بالخطيئة كما أنه لا توجد أدلة تاريخية في القوانين أو العادات المعاصرة تثبت وجود هذه العادة المشار إليها ومن القائلين بهذا الرأي الأخير فرنشيسكو توراكا وعنده أن لفظ (suppa) مأخوذ من لفظ (jupppa) المعروف في لاتينية القرن ١٢ ، والذي أصبح (giuppa) في لهجة تسكانا وصار (subba; zubba, zuppa) في لهجات إيطاليا الشمالية ، وتعنى نوعاً من الدروع أو التروس ، وهذا مما يناسب انتقام الله بالسيف وفي هذه الحال تكون الترجمة (أن انتقام الله لا يخشى نرساً أو درعاً) والمعنى المقصود في كل من الحالين هو أن الانتقام الإلهي لا يقف شيء في سبيله .

(٢٣) سبق أن ترك النسر - رمز الأباطور - ريشه على العربة - رمز الكنيسة

Purg. XXXII. 216

(٢٤) تحولت العربة إلى وحش ثم صارت فريسة للمارد كما سبق (Purg. XXXII. 130 ...) والمقصود أن دانتى اعتبر عرش الأباطورية خالياً بعد فردريك الثاني وحتى قدوم هنرى السابع إلى إيطاليا سنة ١٣١١ لأن الأباطرة لم يعنوا بإيطاليا ولم يتوجوا بها

(٢٥) رأت بياتريتشى نجوماً سيظهر أثرها في الدنيا بدون عائق من البشر

(٢٦) يرى بعض النقاد أن رقم ٥١٥ يعبر عن (d x v) في حساب الأعداد الرومانية وبتغيير وضع الحرفين الأخيرين تعنى الكلمة الزعيم (dux) . ويرى آخرون أنه يقصد به الأباطور هنرى السابع لأن حساب الأبجدية العبرية لحروف اسمه (Arrico) على التوالى هو كالآتي ١ + ٢٠٠ + ١٠٠ + ١٠ + ٥١١ ولم يكن للحرف الأخير من اسمه معادل في الأبجدية العبرية وقتئذ وأضاف دانتى رقم ٤ على أساس أنه رابع حرف متميز في اسم هنرى المكتوب بالإيطالية وعلى كل حال فالمقصود أن بياتريتشى تتنبأ بظهور زعيم قوى يضع الأمور في نصابها ويقضى على المفساد ويحقق العدل والسلام ويتفق هذا مع فكرة السلوقى الذى سبق ذكره في الجحيم

(٢٧) المغتصبة الداعرة هي الكنيسة المنحلة والمارد هو ملك فرنسا وقد سبق ذكرهما

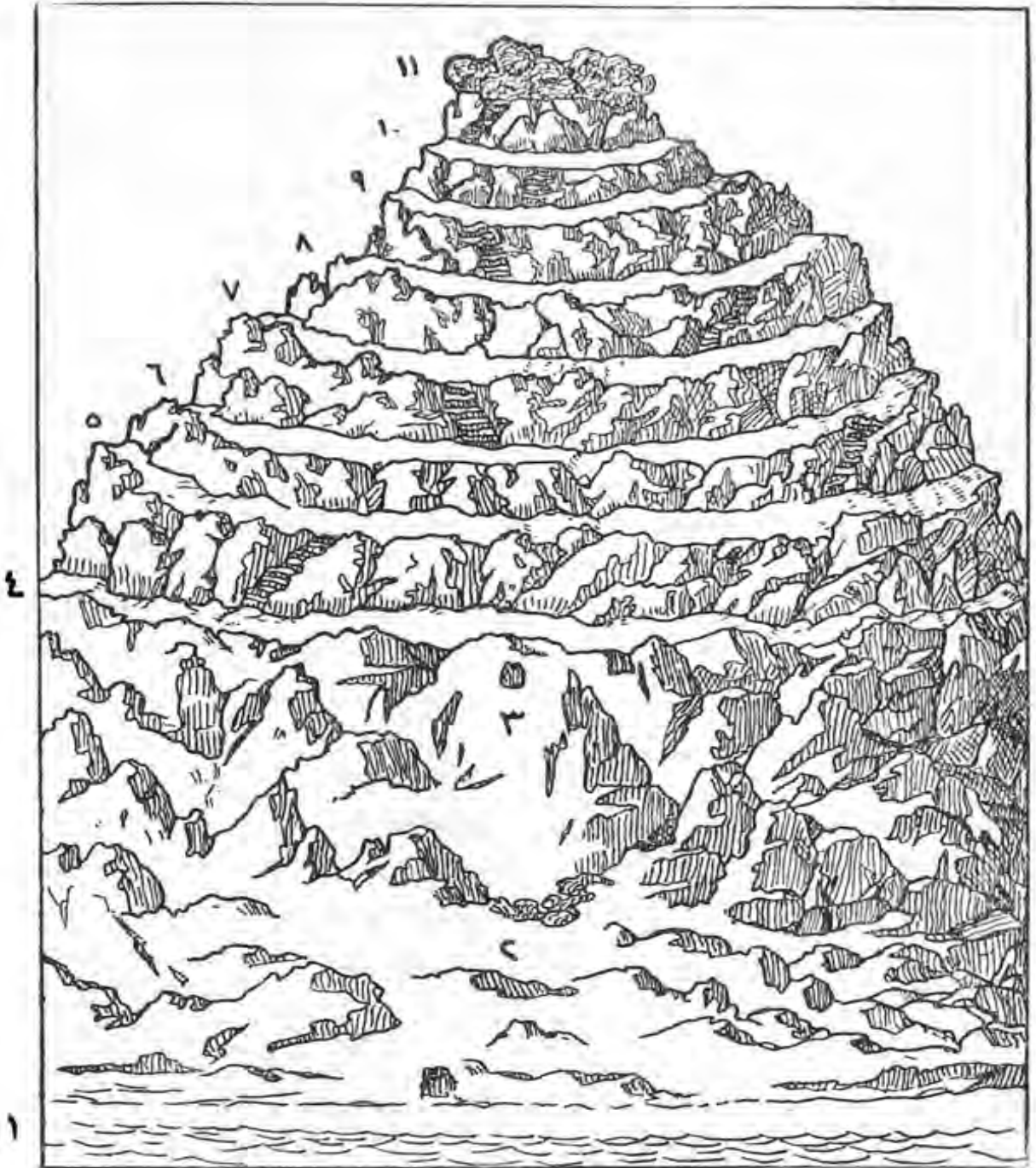
Purg. XXXII. 149

- (٢٨) تيميس (Themis) إلهة التنبؤ في معبد دلتى واشتهرت بنبوءاتها الغامضة : Ov. Met. I. 347-415.
- (٢٩) أم الهول (Sphynx) كائن خرافي له صدر امرأة ورأسها وجسم لبؤة ، وكانت تسكن على جبل فينوفى طيبة واعتادت أن تسأل كل من يمر بها لغزاً وتقتله إذا لم يحله ويقول اللغز : من هو الكائن الذى يمشى على أربع فى الصباح وعلى اثنين فى الظهر وعلى ثلاث فى المساء وعرف أوديپوس ابن لايبو أنه الإنسان فى أطوار حياته من الطفولة إلى الرجولة فالشيخوخة ، وعندئذ انتحرت أم الهول . وأورد أوفيدىوس هذه الأسطورة Ov. Met. VII. 759...
- (٣٠) استخدم دانتى فعل (attuiare) من لغة البروفانس بمعنى يعوق ، وتمخض بياتريتشى أن يكون كلامها غامضاً ككلام تيميس وأم الهول
- (٣١) النيا دس (Naiades) حوريات الينابيع والأنهار والبحيرات وفى الواقع لم تحل النيا دس لغزاً بل أخطأ دانتى فى قراءة مخطوطة أوفيدىوس كما كانت مكتوبة فى زمنه ، فقرأ النيا دس بدلا من ليا دس (Laiades) وهو أوديپوس ابن لايبو الذى حل لغز أم الهول كما أشرنا من قبل
- (٣٢) أى سيزول الغموض سريعاً بشأن الرسول من السماء
- (٣٣) حينما انتحرت أم الهول غضبت تيميس فأرسلت وحشاً فتك بماشية طيبة ومحصولها الزراعى ، ولذا تقول بياتريتشى إن الغموض سيزول بدون خسائر .
- (٣٤) تدعو بياتريتشى دانتى ألا ينسى كلامها ويشبه هذا المعنى ما سبق
- Purg. XXXII. 104-105.
- (٣٥) وتساءله أن ينقل كلامها إلى أهل الدنيا الذين يعيشون حياة قصيرة الأمد .
- (٣٦) يعنى على دانتى ألا يخفى كيف كانت الشجرة شاهقة الارتفاع وكيف كانت عارية من أوراقها ثم كيف ازدهرت حين ربطت العربة إليها
- Purg. XXXII. 38
- (٣٧) المقصود أن أوراق الشجرة قد نزعت فى مرتين على يد آدم والمارد أو بواسطة النسر والمارد
- (٣٨) الإساءة إلى الله بالفعل أسوأ من الإساءة إليه بالكلام وفى هذا المعنى إشارة إلى ما أورده توماس الأكوينى d'Aq. Sum. Theol. II. II. XIII-XIV.
- (٣٩) أى خلق الله الفردوس الأراضى مباركاً بحيث لا تحرق قوانينه ولكى يخدم أغراضه السامية
- (٤٠) يعنى آدم الذى أكل من الشجرة المحرمة
- (٤١) هناك أسطورة تقول إن آدم عاش فى الأرض ٩٣٠ سنة وعاش فى اللبؤة ٤٣٠٢ سنة وسيأتى ذكر هذا فى الفردوس
- Par. XXVI. 118...
- (٤٢) أى ظل آدم هذا الزمن كله يتطلع إلى السيد المسيح الذى عاقب نفسه على خطيئة آدم - كما فى عقيدة المسيحيين
- (٤٣) يعنى لا بد أن يكون عقل دانتى معطلا إذا لم يدرك أن قوة استثنائية قد باركت هذه الشجرة وجعلتها بذلك الارتفاع وبتلك الصورة الشاسعة عند قمتها
- (٤٤) نهر الإلسا (Elsa) ينبع فى منطقة سيينا ويصب فى نهر الأرنو على مقربة من إيمبولى ، ويتوفر فى مياهه - فى منطقة كولى - أكسيد الكربون و كربونات الكلسيوم ، ولذلك تغطى الأشياء التى تلقى فيه بطبقة من الجير والمقصود الإشارة إلى احتمال تحجر أو تكلس الأفكار الباطلة فى رأس دانتى .

- (٤٥) كان انتحار پيراموس (Pyramus) حزناً على محبوبته ثسبي - التي ظن خطأ أنها ماتت في بابل - سبباً في تلون ثمر التوت باللون الأحمر والمقصود الإشارة إلى تلوث عقل دانتي بظنونه وأفكاره الباطلة - في هذا الموقف - كما لوث پيراموس بدمه ثمر التوت وسبقت الإشارة إلى هذه الأسطورة Purg. XXVII. 37-39.
- (٤٦) أى لو لم تكن الأفكار الباطلة قد ثبتت في رأس دانتي وإذا لم يطمس عقله لأدرك الحكمة الإلهية في تحريم هذه الشجرة على آدم ، بما هي عليه من الارتفاع الشاهق وبتكوينها الإستثنائي .
- (٤٧) وجدت بياتريثشى أن قد تحجر عقل دانتي وأظلمت نفسه حتى لم يعد قادراً على إدراك مغزى كلماتها
- (٤٨) تطلب بياتريثشى إلى دانتي أن يعي كلامها حتى يمكنه تدوينه فيما بعد
- (٤٩) يعود الحاج وقد لف سعف النخل على عكازه للدلالة على أنه زار الأراضي المقدسة ، وكذلك تسأل بياتريثشى دانتي أن يعي كلامها للدلالة على أنه زار الفردوس الأرضي ومن الطريف أن تعجى بياتريثشى الموازنة بين شيء مادي وآخر معنوي ، وضعه دانتي بهذه الصورة المجسمة
- (٥٠) أخذ دانتي هذا التشبيه من درايته بالوثائق والمراسلات والأختام ، حين شغل بعض الوظائف في فلورنسا وحين عاش بعض الوقت في رحاب بعض الأمراء في إيطاليا في حياة المنفى وسبق مثل هذا Purg. X. 45; XVIII. 39.
- (٥١) في الأصل (النظر) بمعنى الإدراك العقلي .
- (٥٢) المقصود أن بياتريثشى تتكلم بطريقة علوية لا يستطيع دانتي فهمها مهما بذل من الجهد
- (٥٣) أى العلم الإنساني الفلسفي الذي يبحث عن الحقيقة دون العناية بالعالم الذي مرجعه إلى الإلهام .
- (٥٤) يعنى طريق الخطيئة ويشبه هذا ما سبق Purg. XXX. 130.
- (٥٥) أى سماء المحرك الأول التي هي أسرع السموات واستخدم دانتي لفظ (festina) من اللاتينية بمعنى الإسراع وتعنى هذه الثلاثية أن أفكار بياتريثشى ليست هي أفكار دانتي وهذا المعنى مقتبس من « الكتاب المقدس »
- (٥٦) نسي دانتي أنه ابتعد عن بياتريثشى وأنه ارتكب الخطيئة
- (٥٧) نسي دانتي أنه شرب من ماء مهر لبيتي ، وتذكره بياتريثشى بذلك Purg. XXXI. 94-102.
- (٥٨) يعنى كما يدل الدخان على وجود نار يدل نسيان دانتي لخطاياها على ارتكابها
- (٥٩) من معاني كلمة (veramente) ولكن - كما سبق Purg. VI. 43.
- (٦٠) أى ستصبح كلمات بياتريثشى واضحة لدانتي الذي لم يتمكن بعد من فهمها بذهنه المغلق الذي يعوزه مزيد من العلم والإستنارة ويمكن أن تكون الترجمة هنا (بقدر ما يحتاج إليه ذهنك الغليظ) ، والمعنى واحد .
- (٦١) كانت الشمس شديدة الوهج ولذا بدت أنها بطيئة السير وكان الوقت ظهر الأربعاء ١٣ أبريل ١٣٠٠ وهذه هي آخر مرة يحدد دانتي فيها الوقت لأن الزمان في الفردوس غير محدد .
- (٦٢) تختلف دوائر الزوال باختلاف خط طول المكان ، وربما كان المقصود الاختلاف بين نصي الكرة الجنوبي والشمالي .

- (٦٣) هذه صورة دقيقة لتوقف جماعة تسير حين يرى دليلها ما يستدعي الوقوف ، وهي مأخوذة من حياة الارتحال والتنقل التي عاشها دانتي
- (٦٤) يعنى الحوريات السبع وهن ممسكات بالسرج المشتعلة . وكررت هنا (حينما توقفت) للإيضاح
- (٦٥) هذا وصف جميل لبعض مظاهر الطبيعة في جبال الألب في إيطاليا
- (٦٦) بدا لدانتي أنه يرى هري لیتی وإينووی يخرجان من ينبوع واحد كالفرات (Euphrates) والدجلة (Tigri) اللذين ذكرهما « الكتاب المقدس » على أنهما من أنهار الفردوس الأربعة وفكرة المنبع الواحد مأخوذة من لوكانوس وبويتوس والواقع أن الفرات ينبع من أرمينيا وينبع الدجلة من كردستان ، يلتقيان في مجرى واحد يصب في الخليج الفارسي Gen. II. 9
Luc. Phars. III. 256-559.
Boet. Cons. Phil. V. met.
- وتشبه فكرة النهرين بعض ما ورد في تراث الإسلام وكما سبقت الإشارة إليه الشعراني مختصر تذكرة القرطبي (المصدر السابق الذكر) ص ٩٩ ويوجد رسم موزايكو لرجل يصب الماء من جرة على أرض كاتدرائية أو وستا تمثل نهر الفرات وترجع إلى القرن ١٢ كما يوجد رسم آخر يمثل نهر الدجلة في نفس الكاتدرائية وتوجد صورة لأنهار الفردوس الأربعة ترجع إلى القرنين ١٢ - ١٣ وهي في كنيسة سان پيترو .
- (٦٧) أى أن النهرين سارا في اتجاهين مختلفين متباينين كصديقين لا يريدان أن يفترقا . وهذا تعبير إنساني ملء بالعاطفة جعله دانتي ينصب على النهرين
- (٦٨) يخاطب دانتي بياتريتشى ويمجدها . ويشبه هذا التعبير قول ثرجيليو في الجحيم Inf. II. 76-78
- (٦٩) يعنى كيف تنقسم المياه وتسير في نهرين منفصلين ويمكن أن يكون المقصود هو التعبير عن ابتعاد مياه النهرين معاً عن ينبوع
- (٧٠) أحالت بياتريتشى دانتي على ماتيلدا لتخبره بما يريد .
- (٧١) هذه هي المرة الأولى والوحيدة التي يذكر فيها اسم ماتيلدا
- (٧٢) قالت ماتيلدا إنها سبق أن أوضحت كل شيء لدانتي
- (٧٣) أى أن غمر دانتي في مياه لیتی لم يجعله ينسى تلك الأشياء
- (٧٤) المقصود أنه ربما عطل ذاكرة دانتي مسألة أكثر أهمية وهذا يعنى التأمل في بياتريتشى .
- (٧٥) يختص مهر إينووی بإعادة ذكرى الأعمال الحميدة الطيبة
- (٧٦) يعنى أن النفس الرقيقة أو النبيلة لا تعتذر ولا تتوانى عن تلبية ما يطلب إليها
- (٧٧) هذه أبيات رقيقة تعبر عن المحبة والولاء بين نفسين لا تطلب إحداها شيئاً إلا وتسارع الأخرى إلى تلبيةه بمجرد الإشارة إلى ذلك وهكذا يصور دانتي العواطف الإنسانية الرقيقة بدقة وإيجاز وهذا هو دانتي الذي لا يكاد يفوته شيء مما يقع تحت حسه وإدراكه
- (٧٨) يعنى هكذا كان التعاطف بين بياتريتشى وماتيلدا بحيث سارعت الأخيرة إلى تلبية ما طلب إليها
- (٧٩) أمسكت ماتيلدا بيد دانتي أو بذراعه وهذه حركة إنسانية لطيفة مبعثها الولاء والمودة
- (٨٠) سألت ماتيلدا استاتيووس بلهجة نبيلة رقيقة أن يأتي بمصاحبة دانتي .

- (٨١) استخدم دانتي تعبير (donnescamente) وهذا يعنى أن بياتريتشى تكلمت بالأسلوب الذى تتكلم به السيدة النبيلة المهذبة الرقيقة
- (٨٢) أى لو كان هناك مجال للكتابة لتغنى دانتي بطريقة جزئية - غير كاملة - بشربه من مياه إينوى التى لا يمكن التعبير عنها أبداً
- (٨٣) أوشك دانتي على الانتهاء من الأنشودة الثالثة والثلاثين من المطهر ، وهو حريص على التناسق الشكلى - والمعنوى والفنى - بين أجزاء الكوميديا الثلاثة ومع ذلك لو أنه زاد بعض أبيات فى هذا الصدد لما اختل التناسق ولكن يظهر أنه أراد الاكتفاء بما كتبه عند هذا الحد لأنه لم يقدر على وصف ما أحسه وهذه طريقة فى الرواية والعرض .
- (٨٤) يعنى رجع دانتي من شربه من مياه هر إينوى .
- (٨٥) يشبه هذا تعبير فرجيليو
Virg. Georg. III. 235.
- (٨٦) استمد دانتي هذا التشبيه الدقيق من حياة النبات ويشبه هذا تعبير فرجيليو
Vir. Æn. VI. 205-206.
- (٨٧) أصبح دانتي نقياً طاهراً بالندم والتوبة وبالشرب من مياه لىتى وإينوى .
- (٨٨) هكذا صور دانتي نفسه على أنه قد تطهر وصفاً وصار جديراً بالصعود إلى السماء وهذه إشارة إلى ما سبق فى أول المطهر . وتنتهى أجزاء الكوميديا الثلاثة بلفظ النجوم
Inf. XXXIV. 139.
Par. XXXIII. 145.



١٤ - رسم إيضاحي لجبل المطهر

شرح الرسم الإيضاحي لجبل المطهر

٢	أنشودة ١			١ - بحر وشاطئ	
		يتجمع المهملون الكسالى في أربع مجموعات الواحدة مها فوق الأخرى	}		
	٣ »	(أ) الذين ماتوا محرومين من الكنيسة			
	٤ »	(ب) المهملون الكسالى		٢ - مقدمة المطهر	
٧	٦ »	(ج) الذين لقوا بالعنف حتفهم			
	٩	٨ »	(د) الأمراء المهملون		
				٣ - باب المطهر .	
	أنشودة ١٠ ، ١١ ، ١٢	المطهر الأدنى	{	٤ - الإفريز الأول	
	١٥ ، ١٤ ، ١٣ »			المتغطرسون	٥ - الإفريز الثاني
	١٧ ، ١٦ »			الحاسدون	٦ - الإفريز الثالث
	١٩ ، ١٨ »	المطهر الأوسط		٧ - الإفريز الرابع	
	٢٢ ، ٢١ ، ٢٠ ، ١٩ »	المطهر الأعلى	{	٨ - الإفريز الخامس	
	٢٤ ، ٢٣ »			البخلاء والمبذرون	٩ - الإفريز السادس
	٢٧ ، ٢٦ ، ٢٥ »			الجشعون النهمون	١٠ - الإفريز السابع
			أصحاب شهوة الجسد		
	أنشودة ٢٧ ، ٢٨	ظهور ماتيلدا موكب الشيوفى ظهور بياتريتشى عربة الكنيسة المظفرة نبوءة بياتريتشى	}		
	٢٩ »				
	٣١ ، ٣٠ »				١١ - الفردوس الأرضى
	٣٢ »				
	٣٣ »				

موجز مضمون الأناشيد
مع بيان أرقام الأبيات

الأنشودة الأولى

مقدمة المطهر

- ١ يشبه دانتي فكره بزورق يجوب مياهاً هادئة بعد خروجه من الجحيم .
 ٧ يستنجد دانتي بربات الشعر
 ١٢ رأى دانتي السماء تتلون بلون اللازورد الصافي فعادت إليه البهجة .
 ١٩ كانت الساعة حوالى الرابعة صباحاً من يوم الأحد ١٠ أبريل ١٣٠٠
 ٢٨ نظر دانتي إلى الشمال ورأى كاتو حارس المطهر
 كاتو يسأل دانتي و فرجيليو كيف هربا من الجحيم ، ويتساءل عن قادهما وكيف خرقت
 ٤٠ قوازين الجحيم
 ٤٩ فرجيليو يحمل دانتي على الركوع وإطراق رأسه أمام كاتو
 ٥٢ قال فرجيليو إنه أتى برجاء من بياتريتشى
 ٥٨ وقال إن دانتي لم يمت بعد وإنه قد أرسل لإنقاذه من المخاطر
 ٦٤ وقال إنه أطلعته على الآثمين ومقصده الآن أن يريه المتطهرين .
 ٧٠ سأل فرجيليو كاتو أن يرحب بمقدم دانتي الذى جاء باحثاً عن الحرية .
 قال فرجيليو إن مكانه فى اللبوة حيث توجد مارتيزيا زوجة كاتو ويسأله باسمها أن
 ٧٦ يستجيب لهما
 ٨٥ قال كاتو إنه لا أثر لمارتيزيا عليه هنا ولكنه سيلبى طلب فرجيليو من أجل بياتريتشى .
 ٩٤ طلب كاتو أن يطوق فرجيليو دانتي بأوراق الأسل الناعمة وأن يغسل وجهه من آثار الجحيم .
 ٩٧ ينمو الأسل على شاطئ جبل المطهر
 ١١٢ دانتي وفرجيليو يسيران إلى شاطئ الجبل .
 ١١٥ يتبين دانتي اضطراب البحر حينما كان الفجر يهزم نسيم الصباح
 ١٢٤ غسل فرجيليو وجه دانتي عند شروق الشمس
 ١٣٠ طوق فرجيليو دانتي بالأسل الأملس .
 ١٣٤ - ١٣٦ يعود هذا النبات إلى النمو عند اقتلاعه

الأنشودة الثانية

مدخل المطهر

- ١ يحدد دانتي الوقت - حوالى السادسة صباحاً - بطريقته الفلكية .
 ١٠ وقف دانتي وفرجيليو يتفكران فى الطريق الذى ينبغى سلوكه .
 ١٦ رأى دانتي نوراً يأتى عبر البحر بسرعة فائقة .

- ٢٥ فرجيليو يحمل دانتي على الركوع أمام ملاك السماء .
 ٣٧ لم يقو دانتي على النظر إلى نور الملاك المتألق .
 ٤٠ جاء الملاك بقارب خفيف يحمل جماعة من أرواح المتطهرين .
 ٤٦ ترم الملائكة ببعض ما ورد في مزامير داود
 ٥٢ ترك الملاك الأرواح على شاطئ المطهر فأحسوا أنهم غرباء .
 ٥٨ الأرواح تسأل الشاعرين عن طريق السير فيجيب فرجيليو بأنه ورفيقه مثلهم غريبان
 ٦٧ تولى الأرواح العجب حينما أدركوا أن دانتي إنسان حى وتدافعوا من حوله
 ٧٣ ركزت الأرواح أعينها على دانتي حتى نسيت الذهاب في طريق التطهر
 ٧٦ روح كازيلا الموسيقى الفلورنسى ودانتي يحاولان عناق أحدهما الآخر بدون جدوى
 ٨٢ عرف دانتي أنه كازيلا من صوته وتقدم إلى الأمام يتابعه بينما كان كازيلا يتراجع
 ٨٨ يسأل كازيلا ما الذى جاء بدانتي إلى هذا المكان
 ٩١ قال دانتي إنه جاء لكى يتعلم السبيل إلى التطهر
 ٩٤ قال كازيلا إنه تأخر فى المجيء إلى المطهر لأن هذه هى إرادة الله .
 ١٠٩ دانتي يسأل كازيلا أن يتغنى له بقصيدة من شعره .
 ١١٥ الأرواح تصغى إلى الغناء العذب
 ١١٨ كاتو يصيح بالمستمعين المنصرفين عن السير فى طريق التطهر
 ١٢٤ تفرقت الأرواح كما يتفرق الحمام حينما يهاجمه ما يخشاه وهو يتناول طعامه
 ١٣٠ - ١٣٣ الأرواح والشاعران يسيرون جميعاً إلى الأمام

الأنشودة الثالثة

مدخل المطهر المهملون

والمحررون من الكنيسة

- ١ بعد أن تفرق شمل الأرواح اقترب دانتي من فرجيليو
 ٧ بدا على فرجيليو علام من يلوم نفسه
 ١٣ دانتي ينظر إلى جبل المطهر ذى الارتفاع الشاهق
 ١٦ ظهر ظل دانتي وحده على الأرض فخشى أن يكون فرجيليو قد ارتحل
 ٢٢ فرجيليو يطمئن دانتي .
 قال فرجيليو إن القدرة الإلهية لا تكشف عن أسرار الوجود وإن الفلسفة لا تكفى وحدها
 ٣١ لاستكناه ذلك .
 ٤٦ سفح جبل المطهر شديد الانحدار وفرجيليو يبحث عن مكان للصعود .
 ٥٨ رأى دانتي أرواح من تابوا عن آثامهم فى آخر لحظة من حياتهم وهم يسيرون ببطء شديد .
 ٦٤ يسير الشاعران إليهم توفيراً للوقت

- ٧٠ وقف هؤلاء حينما رأوا الشعارين يسيران مسرعين جهة اليسار
 ٧٣ فرجيليو يسأل عن مكان مناسب للصعود .
 ٧٩ تتحرك جماعة الأرواح صوب الشعارين كحركة الأغنام حين تخرج من حظيرتها
 ٨٨ وقف هؤلاء وتراجعوا حينما رأوا ظل دانتي على الأرض .
 ٩٤ قال فرجيليو إن دانتي إنسان حي
 ١٠٠ يسير الشعاران أمام جماعة الأرواح
 ١٠٣ مانفريد يتحدث إلى دانتي .
 مانفريد يعرف دانتي بشخصه ويرجوه عند عودته إلى الأرض أن يعرف إبتته كوستانتزا
 ١١٢ بأنه من أهل المطهر
 ١١٨ ذكر مانفريد كيف قتل في معركة بنيشتو .
 ١٢١ اعترف بشناعة آثامه ولكن بالتوبة تلقته الرحمة الإلهية
 ١٢٤ قال مانفريد إن عظامه قد نقلت إلى خارج حدود نابلي .
 وقال إن الحرمان الكنسي لا يغلق باب الرحمة الإلهية وإن المحروم التائب عليه أن يقضى
 ١٣٦ ثلاثين ضعفاً لمدة عصيانه إلا إذا قصرت بالصلوات الطيبة
 ١٤٢ - ١٤٥ يطلب مانفريد إلى دانتي أن يوضح ذلك لابنته كوستانتزا

الأنشودة الرابعة

مدخل المطهر المهملون وبلاكوا

- ١ دانتي مشغول عما هو أمامه بما سمعه من مانفريد منذ هنيهة
 ١٦ صارت الساعة حوالي التاسعة صباحاً
 دانتي وفرجيليو يصعدان خلال ثغرة تشبه الثغرات التي يسدها الفلاح لحماية الكرم عند
 ١٩ نضجه
 ٢٥ انحدار جبل المطهر أشد من انحدار بعض الجبال في إيطاليا
 ٣١ وعورة الطريق تقتضي من دانتي أن يستخدم قدميه ويديه
 ٤٠ يتبين شدة انحدار الجبل
 ٤٣ دانتي يشعر بالتعب وفرجيليو يستحثه على الصعود .
 ٥٢ جلس الشعاران على صخرة في الجبل ونظر دانتي إلى المسافة التي قطعها فأخذ العجب
 ٦١ فرجيليو يشرح لدانتي حركة الكواكب
 وقال إن حركة الشمس في أورشليم تبدو من اليسار إلى اليمين وفي نفس الوقت تبدو في جبل
 ٦٧ المطهر من اليمين إلى اليسار
 ٧٦ دانتي يقتنع بشرح فرجيليو .

- ٨٥ دانتي يسأل كم ينبغي عليه أن يصعد .
- ٨٨ قال فرجيليو إن صعود الجبل صعب في بدايته ولكنه يصير سهلاً كلما صعد أعلى .
- ٩٧ دانتي يسمع صوتاً يتحدث إليه من وراء صخرة كبيرة .
- ١٠٦ رأى دانتي رجلاً جالساً محتضناً ركبتيه مخفضاً بينهما رأسه
- ١١٥ تعرف دانتي على المتكلم وذهب إليه .
- ١٢١ كان هذا هو بلاكو الفلورنسي صانع الآلات الموسيقية .
- ١٢٤ يسأله دانتي عن سبب قعوده .
- ١٢٧ قال بلاكو إنه لا جدوى من محاولة الصعود قبل الأوان .
- ١٣٠ وقال إن الصلوات الطيبة في الأرض تقصر من فترة بقائه في مدخل المطهر
- فرجيليو يدعو دانتي إلى السير لأن الوقت أصبح ظهراً في المطهر بينما حل الليل في نصف الكرة الشمالي .
- ١٣٦ - ١٣٩

الأنشودة الخامسة

مدخل المطهر المهملون دل كاسيرو
ودي مونترفلترو وپيا دا تولومبي

- ١ دانتي يسير وراء فرجيليو ويشير دهشة الأرواح فيأخذون في التحدث عنه .
- ٧ دانتي ينظر إلى تلك الأرواح
- فرجيليو يدعو دانتي إلى المسير ويسأله ألا يحفل بالهمس الدائر وأن يكون كالبرج الثابت الذي لا تهتز قمته بعصف الرياح
- ١٠ جماعة من الأرواح ترتل شيئاً من الكتاب المقدس ، ووقفت عجباً عندما رأت دانتي يحجب أشعة الشمس
- ٢٢
- ٣١ فرجيليو يؤكد لروحين مهم أن دانتي إنسان حي .
- ٣٧ عودة الروحين من حيث أتينا بسرعة فائقة .
- ٤٦ تقرب الأرواح من دانتي وتلهف على التحدث إليه .
- ٤٩ طلبوا إلى دانتي التوقف وقالوا إنهم قتلوا عنوة وتابوا عن آثامهم في آخر لحظة .
- ٥٨ قال دانتي إنه لا يعرف واحداً مهم وإنه مستعد لأداء ما يمكن فعله من الخير لهم
- ٦٤ جاكوپودل كاسيرو يرجو دانتي أن يسأل أهل وطنه الصلاة من أجله .
- ٧٣ تحدث عن مقتله في الحرب .
- ١٠٠ بونكونوتي دي مونترفلترو يقول إنه جرح في معركة كامبالدينو
- ١٠٣ قال إن ملاك السماء وملاك الجحيم تنازعا بشأن روحه عند موته .

- ١٠٩ تكلم عن سقوط المطر يوم معركة كامبالدينو
 ١١٨ صورة تكشفه البخار وهطول الأمطار وجريان المياه في القنوات وانحدارها إلى مهر الأرنو .
 ١٢٤ قال إن مياه المطر دفعت جثته إلى مهر الأرنو
 ١٣٠ بيا دا تولومبي تسأل دانتى فى رفق أن يذكرها فى الدنيا بعد أن يرتاح من عناء رحلته
 ١٣٥ - ١٢٦ تقول إن زوجها يعرض ما نالها

الأنشودة السادسة

مدخل المطهر المهملون سورديلو

- ١ دانتى وسط الأرواح كأنه لاعب النرد الرابع حينما يتخلص من رفاقه
 رأى دانتى أرواح بعض الإيطاليين مثل بينيكا دا لاتيرينا الكازنتي وجوتشو دى تارلاتى
 ٢١ ١٣ من أريتزو وفاريناتا دلى سكورنيدجاني من پيزا
 ٢٢ ورأى أرواح بعض الفرنسيين مثل پيير دلا بروتشا وماريا دى براينت
 ٢٨ دانتى يسأل فرجيليو عن معنى بعض أبيات الإنيافة بخصوص الحكم الإلهى وفرجيليو يفسر .
 ٤٣ قال فرجيليو إن بياتريتشى ستكمل له الشرح فيما بعد
 ٤٩ دانتى يطلب السير بسرعة لأنه لم يعد يحس التعب
 ٥٨ روح سورديلو شاعر التروبادور
 ٦٤ سورديلو هادى ساكن وينظر إلى الشاعرين بهيئة الأسد الرابض .
 ٧٠ فرجيليو وسورديلو يتعانقان عندما تبين أن موطنهما مانتوا .
 تأثر دانتى بمشهد الاعتزاز بالوطن فثار غضبه على إيطاليا ونعتها بالأممة الذليلة وندد
 ٧٦ بالصراع الداخلى الذى يمزقها
 ٨٥ سأل دانتى إيطاليا أن تنظر إلى شواطئها وتساءل هل ينعم جزء منها بالسلام .
 ٩١ وندد بفساد رجال الكنيسة وتدخلهم فيما لا يخصهم .
 يخاطب أمبراطور الدولة الرومانية المقدسة ويستمطر عليه عدالة السماء لأنه حول حديقة
 ٩٧ الأمبراطورية - إيطاليا - إلى خراب
 ١٠٩ وسأل الأمبراطور أن يلام جراح إيطاليا الدامية
 واتجه إلى الله متسائلا هل أدار عينيه عن إيطاليا أم هل أعد لها من الخير ما يبعد عن
 ١٢١ مداركه
 ١٢٤ يقول دانتى إن إيطاليا مليئة بالطغاة
 ويقول إن العدالة قائمة فى قلوب الكثيرين ولكن عدالة الشعب الفلورنسى ليست إلا على
 ١٣٠ طرف اللسان
 ١٣٦ يسخر دانتى من فلورنسا فيقول إنها غنية وتعيش فى سلام وتنعم بالحكمة
 ويندد بسرعة تغيير فلورنسا لقوانينها وعاداتها وموظفيها ويشبهها بالمرأة المريضة التى تخفف
 ١٤٥ ألمها بالتقلب فى فراشها .

الأنشودة السابعة

مدخل المطهر الأمراء المهملون

- ١ يتكرر العناق بين سورديلو وفرجيليو
٤ فرجيليو يفصح عن شخصه
١٠ عجب سورديلو ودهشته وتمجيد فرجيليو .
٢٢ فرجيليو يتحدث عن رحلته وعن موضعه في اللمبو
٣٧ يستفسر فرجيليو عن الطريق إلى بداية المطهر
٤٠ سورديلو دليل مؤقت لدانتى وفرجيليو
٤٣ لا يمكن السير في أثناء الليل بسبب الإظلام .
٦١ مسير الشعراء الثلاثة
٦٤ وادى الأمراء
٧٣ أعشاب الوادى وأزهاره ذات ألوان رائعة فاقت ما يعرفه البشر
٧٩ شذا الأزهار العطرية
٨٢ أرواح الأمراء المهملين ترتل للعدراء ماريا
٨٥ سورديلو يتحدث عن الأمراء .
٩١ الأمبراطور رودلفو النمساوى الذى لم يشف جراح إيطاليا .
٩٧ أدواكر الثانى ملك بوهيميا
١٠٣ فيليب الثالث ملك فرنسا
١٠٧ - ١٠٨ هنرى الأول ملك نافار
١١٢ بطرس الثالث الأرجونى
١١٥ ألفونسو الثالث الأرجونى
١١٨ جاكومو وفيدريجو الأرجونيان .
١٢٤ شارل دانجو .
كوستانتزا زوجة بطرس الثالث وبياتريتشى إبنة رايونديو دى پروفنس ومرجرينا إبنة دوق
١٢٧ بوجونيا
١٣٠ هنرى الثالث ملك إنجلترا
١٣٣ جوليمو دى مونفيراتو .

الأنشودة الثامنة

مدخل المطهر المهملون نينو فيسكونتي
وكواردو مالاسپينا

- ١ حلول المساء والإحساس بالكآبة كما يحدث للمسافر لأول مرة حينما يبهر نائياً عن وطنه .
دانتى يتأمل الأرواح التي كانت ترتل متضرعة إلى الله ويفقد الوعي بنفسه لتأثره بسمع
الأنغام العذبة
١٠ الأرواح تنظر إلى أعلى .
٢٢ هبوط ملاكين من السماء .
٢٥ زاغ بصر دانتى أمام بهاء الملاكين .
٣٤ دانتى يلتصق بفرجيليو خشية من ظهور الحية .
٤٠ نزول دانتى وفرجيليو وسورديلو إلى وادى الأمراء .
٤٦ دانتى يلاقى روح نينو فيسكونتي قاضى جالورا
٥٢ تراجع سورديلو ونيو إلى الورا عندما أدركا أن دانتى إنسان حى .
٥٨ نينو فيسكونتي ينادى كورادو مالاسپينا لكى يرى دانتى الإنسان الحى
٦٤ يطلب نينو إلى دانتى - عند عودته إلى الأرض - ان يسأل إبنته جوفانا أن تصلى من أجله .
٦٧ يقول نينو إنه لا يعتقد أن زوجته ظلت وفية له لأن المحبة لا تدوم إلا باستمرار المداعبة .
٧٣ دانتى ينظر إلى بعض النجوم .
٨٥ سورديلو يلفت نظر نينو إلى الحية المقبلة
٩٤ الملاك يطردها إلى الحية .
١٠٣ كورادو مالاسپينا يتحدث إلى دانتى
١١٢ قال دانتى إن آل مالاسپينا مشهورون بالكرم والفضل والشجاعة
١٢١ على رغم فساد الدنيا بالرؤوس الحبيثة يسير شعب مالاسپينا وحده مستقيماً مزدرياً طريق الشر
١٣٠ يتنبأ كواردو لدانتى بحياة المنى .
١٣٣

الأنشودة التاسعة

مدخل المطهر أنشودة لوتشيا أو أنشودة الملاك الحارس

- ١ الوقت قبل الفجر والخطاف يشدو بألحانه الحزينة قبل طلوع الشمس .
١٦ دانتى يحلم أن نسرأ حمله إلى أعلى
٣١ بلغ النسر بدانتى منطقة من النار فانقطع نومه .
٤٠ استولى عليه الرعب والفرع .

- فرجيليو يقول لدانتى إنهما بلغا باب المطهر وإن لوتشيا هى التى حملته إلى أعلى وهو نائم وجاء هو فى إثرهما
٤٦
دانتى يسترجع طمأنينته .
٦٤
دانتى يخاطب القارئ ويقول إنه يسمو بموضوعه ويدعمه بفنه
٧٠
اقرب الشاعران من باب المطهر ورأيا تحت الباب ثلاث درجات وحارساً ممسكاً بسيفه
٧٦
لم يقو دانتى على النظر إلى الملاك الحارس لشدة بهائه .
٧٩
يستفسر الحارس عن شخصيهما
٨٥
قال فرجيليو للملاك إنهما جاءا بمعونة لوتشيا فدعاهما إلى التقدم إليه .
٨٨
اختلاف الألوان فى درجات السلم الثلاث
٩٤
فرجيليو يسحب دانتى على درجات السلم
١٠٦
دانتى يركع أمام الملاك الحارس ويسأله أن يفتح باب المطهر
١٠٩
الملاك يرسم بسيفه على جبين دانتى سبع خاءات رمز الخطايا السبع .
١١٢
الملاك يفتح باب المطهر بمفتاح من الفضة - رمز المعرفة - وبآخر من الذهب - رمز السلطة الدينية .
١١٥
الملاك يتكلم عن خصائص المفتاحين .
١٢١
يفتح الباب ويدعو الملاك الشاعرين إلى الدخول ويسألها ألا ينظرا إلى الخلف - رمز العودة إلى الخطيئة .
١٣٠
أحدث فتح باب المطهر دويماً هائلاً فاق ما حدث عند الاستيلاء على خزينة روما فى تل تارپيا
١٣٣
سمع دانتى من الداخلى نشيد « اللهم لك الحمد »
١٣٩

الأنشودة العاشرة

أنشودة المتكبرين

- ١ دانتى وفرجيليو يدخلان المطهر
٧ يسير الشاعران فى طريق ضيق منحرج داخلى الصخر
١٠ فرجيليو يقول إنه لا بد من الخدق فى هذا المسير
١٦ خروج الشاعرين إلى الفضاء .
١٩ بلوغهما الإفريز الأول إفريز المتكبرين
٢٢ يبلغ اتساع الإفريز حوالى ٥ أمتار
٣١ يرى دانتى حفراً بارزاً أمامه على الصخر
أمثلة على التواضع بالحفر البارز ، يصور المشهد الأول منها الملاك جبريل وهو يبشر العذراء ماريا بميلاد السيد المسيح
٣٤

- ٤٣ العذراء تقول في تواضع إنها أمة الرب
المشهد الثاني من الحفر البارز يمثل الاحتفال بنقل التابوت المقدس لليهود من بيت أبيناداب
٤٩ إلى أورشليم
٥٨ بدا المحتفلون أنهم يرتلون الأناشيد الدينية
٦١ وبدا دخان البخور مرسوماً على الصخر
٦٤ داود الملك يرقص أمام التابوت .
٦٧ زوجته ميكال تنظر من نافذة قصرها وقد سادها الحزن
المشهد الثالث يصور قصة الأمبراطور تراجان والأرملة الحزينة التي طلبت إليه الانتقام
٧٣ لمقتل ابها
٨٥ سألها الأمبراطور أن تنتظر عودته أو أن خلفه سيقوم بواجبه .
٨٨ الأرملة تحمل الأمبراطور على تحقيق العدالة فوراً
١٠٠ جماعة المتكبرين
١١٥ سار المتكبرون وقد ناءت ظهورهم بالأحجار الثقيلة
١٢١ دانتي يندد بالمتكبرين المتغطسين .
١٢٤ يقول إن البشر كالديدان التي لم يكتمل نموها
١٣٠ سار المتكبرون بهيئة التماثيل الزخرفية التي تستخدم لتدعيم الشرفات أو الأسقف
١٣٩ أكثر المتكبرين احتمالاً بدا يقول إنه لا يستطيع الاحتمال مزيداً

الأنشودة الحادية عشرة

تابعة للسابقة أنشودة ألدوبراندسكى

وأوديريزى وسالفانى

- ١ ترتل الأرواح نشيداً مقتبساً من صلاة الأحد ، تمجد فيه الله وتحمده .
٣ وتسال الأرواح السلام وتطلب قوتها اليوم وتسال الرحمة والغفران .
١٩ وتسال خلاصها من الشيطان وتوجه هذه الفقرة من صلاتها في سبيل أهل الأرض .
٢٨ الأرواح تتفاوت في انحنائها تحت الصخور التي حملوها تبعاً لخطيئة كل منهم .
٣١ ينبغي أن تكون الصلاة متبادلة بين أهل المطهر وأهل الأرض
٣٧ يستفسر فرجيليو عن أقصر الطرق وأسهلها التي تؤدي إلى الإفريز الثاني إفريز الحاسدين .
٤٩ أومبرتو ألدوبراندسكى يدلّه على الطريق .
٥٨ يتكلم عن أصله التسكاني وعن غطرسته التي جلبت الكوارث عليه وعلى أسرته .
٧٠ يقول إن عليه أن يحمل هذا الحجر الثقيل ليكفر عن كبريائه .
٧٩ دانتي يتحدث إلى أوديريزى مزخرف الكتب في باريس .

- اعترف أوديريزى بتفوق فرانكو البولونى عايه وكان قد أنكر ذلك وازدراه فى أثناء الحياة ٨٢
قال أوديريزى إن مجد الدنيا سريع الزوال ٩١
وقال إن جوتو تفوق على تشيابوى فى الرسم وإن كاثالكانتى تفوق على جويتتلى فى
الشعر وسيأتى من يفوقهما معاً ٩٤
وقال إن الشهرة فى الأرض لا تزيد عن نفثة ريح تهب هنا تارة وطوراً هناك وتغير اسمها
إذ تغير مكان هبوبها ١٠٠
وليس هناك فارق كبير بين أن يموت الإنسان فى سن الشيخوخة أو فى سن الطفولة ١٠٣
يشير أوديريزى إلى پروفتزان سالقانى الذى كان سيد سيينا ولكن لا يذكره أحد الآن ١٠٩
قال إن الشهرة فى الدنيا تشبه لون العشب الذى يخضر ثم يذوى ويموت سريعاً ١١٥
يقص أوديريزى أخبار پروفتزان سالقانى الذى سيطر على فلورنسا واشتهر بالبطش
والكبرياء والغطرسة . ١٢١
قال إنه فى وقت مجده وقف فى ميدان سيينا يستجدى المال ليخلص أحد أصدقائه من الأسر ،
وبذلك كفر عن خطيئته . ١٣٣ - ١٤٢

الأنشودة الثانية عشرة

تابعة لأنشودى المتكبرين السابقتين

- ١ دانتي وأوديريزى يسيران معاً كثورين يرهقهما النير الثقيل .
٤ يتعد دانتي عن أوديريزى ويتبع خطى فرجيليو
١٣ دانتي يرى بعض القبور وعليها لوحات مسطحة من الرخام .
٢٥ ورأى دانتي على غطاء أحد القبور صورة محفورة تمثل لوتشيفيرو
٢٨ ورأى صور شخصيات من الميتولوجيا اليونانية الرومانية مثل برياروس وأبولوومينرفاومارس .
٣٤ ورأى صورة نمرود ملك بابل .
٣٧ ورأى صورة إنيوبى زوجة ملك طيبة
٤٠ ورأى صورة شاول ملك إسرائيل .
٤٩ ورأى صورة الكمايون بن أمفياروس عراف طيبة .
٥٢ ورأى صورة سنخاريب ملك آشور
ورأى صورة تاميريس ملكة إسكيشيا
٥٨ ورأى صورة أوليفانا قائد نبوكد نصر بعد مقتله
٦١ رأى صورة طروادة - إليوم - وقد سادها الحزن والهوان .
٦٤ يظهر دانتي إعجابه بدقة الصور التى رآها محفورة .
٧٠ يندد دانتي بكبرياء البشر
٧٦ فرجيليو يسأل دانتي ألا يسير وهو مستغرق فى التفكير

- ٧٩ فرجيليو يلفت نظر دانتي إلى قدوم ملاك السماء .
 ٨٨ جاء الملاك الجميل كنجمة الصباح المتلألئة .
 ٩١ الملاك يقود الشاعرين على السلام و يضرب جبهة دانتي بجناحيه .
 ١٠٠ يخف الميل في درجات السلم
 ١٠٩ يسمع دانتي ترتيل « طوبى للمساكين بالروح »
 ١١٥ يشعر دانتي أنه أخف حركة
 ١٢١ أفاده فرجيليو بأن هذا يرجع إلى تخلصه من خطيئة الكبرياء .
 ١٢٧ تحسس دانتي جبينه فوجد حرف « الخاء » الذي يرمز لخطيئة الكبرياء قد زال واحى .
 ١٣٦ ابتسم فرجيليو علامة الرضى .

الأنشودة الثالثة عشرة

أنشودة الحاسدين أو أنشودة ساپيا

- ١ دانتي وفرجيليو يتجهان إلى الإفريز الثاني
 ٧ وعورة الطريق .
 ١٣ فرجيليو ينظر إلى الشمس - رمز الله - ويطلب معونتها والاهتداء بنورها
 ٢٥ يسمع الشعاران الأرواح تنطق بدعوات رقيقة إلى مائدة المحبة للتخلص من خطيئة الحسد
 ٢٨ الترمم بفقرات من الكتاب المقدس
 ٣٧ فرجيليو يفيد دانتي بأن هنا عذاب الحاسدين .
 ٤٦ يرى دانتي أشباحاً ارتدت عباءات لونها في لون الحجر
 ٤٩ تستنجد بعض الأرواح بالعدراء ماريا وبميكائيل والقديسين .
 ٥٢ يتألم دانتي لمشهد المتطهرين حتى يذرف من أجلمهم الدمع الغزير
 ٥٨ كان الحاسدون في هيئة العميان الذين يقفون للاستجداء وقد مال كل مهم برأسه على الآخر
 ٧٠ خيبت أجفانهم بسلك من الحديد كما تخاط عبي الباز البرى إذ لا يستقر ساكناً
 ٧٣ أحس دانتي أنه يسىء إليهم حينما كان يرى هؤلاء بدون أن يكونوا قادرين على رؤيته .
 ٨٢ تجاهد هذه الأرواح لتدفع دموعها خلال أجفانها المغلقة
 ٩١ يتجه دانتي إلى محادثة الأرواح ويسأل هل يوجد بينهم أحد الإيطاليين ؟
 ٩٤ سمع دانتي رداً على بعد قليل فتقدم إلى مصدر الصوت
 ١٠٠ رأى دانتي شبحاً يرفع ذقنه إلى أعلى كما يفعل العميان
 ١٠٣ كانت هذه روح ساپيا دا سيينا
 ١٠٩ قالت إنها فرحت في الدنيا بمصائب الآخرين أكثر من فرحها بمباهجها هي .
 ١١٢ فرحت بانتصار فلورنسا على سيينا في موقعة كولى .

تأخرت ساپيا في الندم والتوبة وكان مكانها سيصبح في مقدمة المطهر مع الكسالى لولا
صلوات پير پتينايو من أجلها

١٢٤

١٣٣

١٤٥

قال دانتي إنه ارتكب خطيئة الحسد قليلا وإنه الآن إنسان حي
ساپيا تسأل دانتي أن يعيد ذكرها الحسنة لدى أقربائها في تسكانا

الأنشودة الرابعة عشر

تابعة للسابقة وتسمى أنشودة جويدو دل دوكا

ورينييري دا كالبولى

١ تساءلت روحان عمن يكون هذا الإنسان الحى (دانتي)

١٠

جويدو دل لوكا يخاطب دانتي ويسأله عن شخصه وبلده .

١٦

قال دانتي إنه من تسكانا وإنه يأتي بجسده من ضفتى نهر لا يذكر اسمه (نهر الأرنو)

٢٥

تساءلت روح رينييري دا كالبولى لماذا أخفى دانتي اسم النهر فأجابته روح جويدو بأن

٣١

هذا يرجع إلى أن وادى مهر الأرنو جدير بالزوال من الوجود .

٤٣

وسبب ذلك أن الناس جميعاً أصبحوا يطاردون الفضيلة كهمو للدود .

٤٩

يقول جويدو دل دوكا إن أهل الكازنتينو الأعلى صاروا كالخنازير وإن أهل أريتزو

٥٢

أصبحوا كالكلاب النابحة بما يزيد عن طاقتها

٥٨

ويقول إن أهل فلورنسا تحولوا إلى ذئاب

٥٨

ويقول إن أهل منطقة إيمپولى وپيزا أصبحوا كالشعالب

٦٧

ويقول إن حفيد دا كالبولى سيصبح صائداً لذئاب فلورنسا وإن فلورنسا لن تعود إلى

٧٦

ما كانت عليه من الازدهار حتى ولو انقضت ألف سنة .

٧٦

اضطراب رينييري دا كالبولى وحزنه لسماع ذلك

٨٢

أفصح جويدو دل دوكا عن اسمه وشخصه .

٩١

استأنف كلامه قائلاً إنه كان يحزن لسعادة الآخرين .

٩٧

قال إن أهل رومانيا امتلأوا بالحسد كذلك

٩٧

ينوه بخيرة الرجال السابقين مثل لتزيو دا فالبونا وأريجو ماناردى وفابرو دى لامبرتاتزى

٩٧

وفيدريجو تينيزو

١٢٤

سأل جويدو دانتي أن يمضى في سبيله إذ يلذ له البكاء أكثر من الكلام .

١٢٧

مسير دانتي وفرجيليو

١٣٠

سمعان صرخات تبينا فيها قولاً مأخوذاً من كلام قابيل .

١٣٦

و يسمعان صرخات فيها كلام مقتبس من قول أجلاوروس الأثينية .

١٤٢

يتكلم فرجيليو عن خروج الإنسان عن حدوده بارتكاب خطيئة الحسد .

الأنشودة الخامسة عشرة

أنشودة العبور من إفريز الحاسدين إلى إفريز الغاضبين

- ١ دانتى وفرجيليو يسيران غرباً في الساعة الثالثة مساء .
- ١٠ دانتى يحجب عينيه بيديه اتقاء لنور شديد .
- ١٦ ازدياد الوهج أمام دانتى .
- ٢٨ أفاده فرجيليو بأن هذا نور رسول يأتي من السماء .
- ٣٤ دعا ملاك السماء الشاعرين إلى الصعود .
- ٣٧ يسمع الشاعران ترتيل بعض آيات من الكتاب المقدس .
- ٤٣ دانتى يستفسر عن بعض ما فات إدراكه في الأنشودة السابقة .
- يشير فرجيليو إلى الحسد الذى وقع فيه جويدو دل دوكا كما سبق ، وقال إن محبة الأشياء
الدينيوية تؤدي إلى الحسد وإن محبة الأشياء الإلهية تقضى على الحسد .
- ٤٦ المشاركة تزيد من الخير والمحبة .
- ٦٧ يقول فرجيليو إن الله يبذل من روحه بقدر ما يجد من المحبة .
- ٧٦ وسوف تزيد بياتريتشى دانتى إيضاحاً فيما بعد .
- ٨٢ يصعد الشاعران إلى إفريز الغاضبين .
- ٨٥ يرى دانتى العذراء ماريا في رؤيا خاطفة .
- ٩٤ ويرى في الرؤيا زوجة پيسستراتوس طاغية أثينا وهى تبكى فى ازدراء وغضب
تسأل الزوجة زوجها أن ينتقم من عانق ابنتهما وقبلها علناً
٩٧ يرفض پيسستراتوس الانتقام ويقول ماذا سيفعل بمن يرجو له الشر إذا هو عاقب من
يحمل له المحبة !
- ١٠٣ ويرى دانتى في الرؤيا اليهود وهم يقذفون القديس إسطفانوس بالحجارة .
- ١٠٦ القديس إسطفانوس يسأل الله الغفران لقتلته .
- ١٠٩ أدرك دانتى أن ما رآه كان مجرد رؤيا
- ١١٥ فرجيليو يستحث دانتى على أن يستعيد وعيه
- ١١٨ فرجيليو يعرف كل ما يدور بخاطر دانتى ويحمله على المسير
١٢٧ استئناف المسير
- ١٣٩ يغشى المكان دخان كثيف - رمز الغضب .
- ١٤٢

الأنشودة السادسة عشرة

أنشودة الغاضبين أو أنشودة ماركو لومباردو

- ١ يغشى المكان ظلام يشبه ظلام الجحيم بفعل دخان كثيف تتعذر معه الرؤية .
- ٨ - ٩ فرجيليو يعاون دانتي على السير بالإستناد إلى كتفه
- ١٠ دانتي يسير وراء دليله كما يسير الرجل الكفيف
- ١٦ دانتي يسمع الأرواح تطلب الرحمة من السيد المسيح
- ٢٥ تتحدث إحدى الأرواح إلى دانتي .
- ٣١ يسأل دانتي هذه الروح أن تسير معه
- ٤٣ قال دانتي إنه إنسان حى وسأل الروح أن تفصح عن شخصها واستفسر عن طريق المسير
- ٤٦ قال الروح إنه ماركو لومباردو وإنه عرف الفضائل التي لم يعد أحد يجعلها هدفاً له
- ٤٩ وقال له إنه يسير في الطريق المؤدى إلى الصعود وسأله أن يصلني من أجله
- يتعهد دانتي بالصلاة من أجله ويسأله أن يفسر له ما غمض عليه من قول جويدو دل دوكا
- ٥٢ في الأنشودة ١٤
- ٥٨ يسأل دانتي عن السبب في خلو العالم من الفضائل
- قال لومباردو إن السماء ليست هي السبب في كل شيء ، لأن هذا معناه إلغاء الإرادة الحرة
- في الإنسان ، وقال إن السماء بدأت أول مظاهر الحياة ثم منحت الإنسان الإرادة الحرة
- ٦٤ لاختيار طريق الخير أو الشر
- ٨٢ البشر أنفسهم هم السبب في فساد العالم
- ٨٥ تخرج النفس ساذجة كالطفلة وتجرى وهي مخدوعة وراء خيرات الدنيا التافهة
- ٩٤ ولذلك كان من الضروري وجود قانون وحاكم لرعاية البشر
- ٩٧ ليست العبرة في القوانين والشرائع بل في من يباشرها ويطبقها
- ١٠٣ السلطة السيئة هي السبب في فساد العالم
- وجدت في روما شمسان : البابا والأمبراطور ، ثم أطفأ البابا نور الأمبراطور وجمع في يده
- ١٠٩ السلطتين الدينية والدنيوية
- ١١٥ كانت إيطاليا العليا تسودها الأخلاق النبيلة من قبل بعكس حالها الآن
- ١٢١ ولا يوجد من الفضلاء إلا القلائل
- ١٤٢ لا يمكن لروح ماركو لومباردو متابعة السير مع دانتي .

الأنشودة السابعة عشرة
أنشودة التنظيم الخلقى للمطهر

- ١ صورة جبال الألب حينما يغشاها الضباب
١٠ خروج الشاعرين من منطقة الضباب
١٩ يرى دانتي في خياله بعض الرؤى رؤيا پروكنى الأثينية التي استحالت بلبلا
٢٥ رؤيا هامان وأحشويروش وأستير ومردخاي
٣١ تبددت الصورة السابقة كتبدد الفقاعة حينما يعوزها الماء .
٣٤ رؤيا لافينيا إبنة ملك الروتوليين في إيطاليا
٤٠ إفاقة دانتي من خياله حينما سطع على وجهه نور شديد
٤٦ الملاك يدل دانتي على طريق الصعود إلى الإفريز الرابع
٥٢ وهج الملاك الشديد يمنع دانتي من الرؤية
فرجيليو يستحث دانتي على السير إلى طريق الصعود .
٦٤ يزيل الملاك من جبين دانتي العلامة الدالة على خطيئة الغضب
٧٠ حلول الليل وظهور النجوم .
٧٣ توقف الشاعرين عن المسير
٨٥ فرجيليو يشرح النظرية العامة للمحبة أساس التنظيم الخلقى للمطهر
٩١ يتكلم عن المحبة الطبيعية (أو الغريزية) والمحبة العقلية القائمة على الإرادة الحرة .
٩٤ المحبة الطبيعية لا تخطئ، ولكن المحبة العقلية معرضة للخطأ بانحرافها إلى الشر والفساد
١٠٩ الكائنات مرتبطة بالله تماماً ولذلك نزعنا منها كل كراهية لله
١١٥ صور من المحبة العقلية الخاطئة هناك من يتطلع إلى سقوط الآخرين لكي يرتفع هو
وهناك من يخشى أن يفقد السلطان والحظوة والمجد والشهرة بارتفاع شأن الآخرين ولذلك فهو
١١٨ يحب سقوطهم
١٢١ وهناك من يصبح مهوماً إلى الانتقام لما أصابه من المهانة
١٢٤ يشير فرجيليو إلى تكفير المتفطرسين والحاسدين والغاضبين في الدوائر السابقة .
١٣٠ يعاقب هذا الإفريز المتكاسلين في محبة الخير
١٣٣ محبة الخير الدنيوى لا تكسب الإنسان السعادة .
١٣٦ لم يذكر فرجيليو لدانتي كل شيء بل ترك له مسائل بتعلمها بنفسه .

الأنشودة الثامنة عشرة

أنشودة الكسالى اللامبالين المتباطئين في فعل الخير

- ١ فرجيليو يرقب وجه دانتي الذي لا يريد أن يثقل عليه بأسئلته .
- ١٣ يسأل دانتي كيف تكون المحبة سبباً في الخير والشر معاً
- ١٦ يندد فرجيليو بالعميان الذين يجعلون أنفسهم قادة
- يقول فرجيليو إن النفس الشهوية تميل إلى ما يلد لها ، وإنه إذا مالت الحاسة العاقلة إلى
- ١٩ مصدر البهجة فهذه هي المحبة
- ٢٨ تتجه النفس إلى تحقيق رغبتها كما تتجه النار بطبيعتها إلى أعلى
- ٣٤ ليست كل محبة في ذاتها شيء حميد (كقول الأبيقوريين)
- ٤٠ يستفسر دانتي عن مسؤولية الإنسان عن المحبة الصادرة عنه .
- ٤٦ يقول فرجيليو إنه سيفسر الأمر في حدود العقل أما ما يتعلق بالإيمان فسيدعه لبياتريشي
- كل صورة جوهرية منفصلة عن المادة ومتحدة بها ، تجمع في ذاتها قوة نوعية تدرك
- ٤٩ بالعمل كما تبدو الحياة في النبات بخضرة أوراقه .
- الاتجاه الطبيعي في الإنسان نحو المعرفة هو كغريزة النحل في صنع العسل ، والإرادة الأولية
- لا تستحق اللوم أو المدح
- على الملكة المرشدة - العقل - أن تحمي الإنسان من نزواته الشريرة وبهذا يثاب الإنسان
- ٦١ على الخير ويعذب على الشر
- ٧٠ في الإنسان القوة على كبح جماح الشر
- يقول فرجيليو إن بياتريشي تسمى هذه القوة النبيلة بالإرادة الحرة ويسأل دانتي أن يعيها
- ٧٣ في ذهنه
- ٧٦ كاد الوقت أن يبلغ منتصف الليل .
- ٨٥ دانتي يأخذه النعاس ولكنه يزول عنه فجأة بظهور بعض المتطهرين
- ٩١ الكسالى اللامبالون يسرون مسرعين .
- صاح اثنان مهمم بذكر مثالين على العمل السريع مأخوذين من أخبار العذراء ماريا ومن
- ١٠٠ تاريخ يوليوس قيصر
- ١٠٩ فرجيليو يسأل أرواح الكسالى اللامبالين عن أقرب الطرق إلى الصعود .
- ١١٢ تتحدث روح الرئيس لدير إترينو في فيرونا
- ١٢١ يندد بألبرتو دلا سكالالا الذي سيندم على محاباة إبنه المشوه الناقص العقل .
- ١٣٣ يتكلم روحان عن خروج اليهود من مصر وعن تخلف رفاق إينياس عنه في صقلية .
- ١٣٩ دانتي يشرد بفكره .

الأنشودة التاسعة عشرة

أنشودة البخل والمسرفين أو أنشودة أدريانو الخامس

- ١ يبرد الليل بزوال أثر الشمس بعد منتصف الليل .
- ٧ يرى دانتي في الحلم امرأة شوهاء ترمز للبخل والجشع وشهوة الجسد .
انتصبت قامتها وغنت قائلة إنها عروس البحر التي تفضل الملاحين وإنما اجتذبت بفنائها
- ١٠ أوليسيس من قبل .
- ٢٥ ظهور قديسة لكي تحمي دانتي من الإغراء .
فرجيليو يكشف عن بطن هذه الساحرة فيستيقظ دانتي من حلمه بالرائحة الكريهة
- ٣١ المنبعثة منها
- ٣٧ يسير الشاعران في ضوء النهار
ملك الخلاص يحمل الشاعرين إلى الإفريز الخامس ويزيل من جبين دانتي خطيئة اللامبالاة
- ٤٦ والتباطؤ في عمل الخير
- ٥٢ دانتي يحملق في الأرض متفكراً فيما سبق رؤيته بدون أن يفهم مدلوله .
- ٥٨ قال فرجيليو إن خطايا البخل والجشع وشهوة الجسد تتطهر في الأفاريز التالية .
- ٦٤ دانتي يسرع الخطى كالبازي الذي يسارع لنيل غذائه .
- ٧٠ دانتي يرى البخلاء يكون وقد انكفأوا على وجوههم فوق الأرض
يستفسر دانتي عن الطريق إلى الإفريز السادس ويدل أدريانو الخامس الشاعرين على
- ٧٦ ذلك الطريق
- ٨٨ دانتي يقترب من أدريانو ويسأله عن شخصه .
- ١٠٣ أفصح أدريانو عن شخصه وقال إنه قد جرب ثقل الرداء البابوي وأدرك كذب الحياة الدنيا .
- ١١٥ وقال أدريانو إنهم يعذبون هنا ووجوههم إلى أسفل أي إلى الأرض التي أحبوها في أثناء الحياة .
- ١٢٧ دانتي يركع إلى جانب أدريانو .
- ١٣٣ أدريانو يسأل دانتي أن يقف على قدميه وقال إن الجميع ما هم إلا عبيد وخدام لله .
- ١٣٩ أدريانو يطلب إلى دانتي أن يمضي في سبيله حتى لا يعطل بكاءه وتطهره .
- أدريانو يذكر لدانتي أن له إبنة أخ تدعى الأديجا وهي حلوة الشمائل بطبعها اللهم إذا
- ١٤٢ لم تكن قد فسدت بمثالب أسرتها .

الأنشودة العشرون

تكملة للسابقة وتسمى أنشودة هيج كاپيه

- آثر دانتي رغبة أدريانو الخامس في متابعة تطهره على رغبته هو أن يتحدث إليه مزيداً
 ١ فانسحب كما تسحب من الماء إسفنجة لم تفعم
 ٧ البخلاء سيكون للتكفير والتطهر
 ١٠ دانتي يلعن الذئبة القديمة رمز الجشع ويتساءل مى يأتي السلوقى الذى سيقضى عليه
 دانتي يسمع المتطهرين سيكون ويذكرون أمثلة على الفقر والأريحية مأخوذة من حياة العذراء
 ١٩ ماريا وفابريسيوس الرومانى والقديس نيقولا البيزنطى
 ٣١ يحاول دانتي أن يعرف أحد الأرواح
 يقول هيج كاپيه إنه أصل لأسرة كاپيه التى حكمت فرنسا عدة قرون وكان أفرادها موثلاً
 ٤٣ للفساد
 ٤٦ يقول إن بلاد الفلمنك ستتتقم لهذه الشرور
 يتكلم عن تجمع السلطة فى يده
 بقول إن آل كاپيه كانوا يشعرون بالحجل ثم أخذوا فى النهب والطفغان بعد استيلائهم
 ٦١ على البروفنس
 ويذكر قدوم شارل دانجو إلى إيطاليا ويتنبأ بقدوم شارل دى قالوا الذى سيقبر بطن
 ٦٧ فلورنسا
 ٧٩ يقول هيج كاپيه إن شارل الثانى دانجو باع إبتته من أجل المال
 ٨٢ يندد بالآثار السيئة للبخل
 يقول إن مأساة السيد المسيح تتكرر بمحاولة اعتداء فيليب الجميل على بونيفاتشو الثامن
 ٨٥ فى كنيسة أنازى .
 ٩٤ يسأل الله متى يحل انتقامه
 يقول هيج كاپيه إن المتطهرين سيدكرون فى الليل أمثلة عن البخل والشره مثل پيجماليون ملك
 ٩٧ صور وميداس ملك فريجيا وعخان اليهودى .
 ١١٧-١١٦ ستسأل الأرواح كراسوس الرومانى عن طعم الذهب فى فمه .
 ١٢٤ أحس دانتي بزلزلة جبل المطهر حتى خشى أن يصيبه الموت .
 ١٣٦ الأرواح تنشد « المجد لله فى الأعلى »
 ١٤٢ دانتي وثرجيليو يتابعان المسير

الأنشودة الحادية والعشرون

تكملة للسابقتين وتسمى أنشودة استاتيوس

- ١ دانتي تحدوه الرغبة الملحة في معرفة السبب في الزلزلة السابقة
- ٥ - ٦ دانتي يشعر بالأسى لما يلقاه المتطهرون من الآلام .
- ٧ يظهر شبح استاتيوس الشاعر اللاتيني .
- ١٣ استاتيوس يخاطب الشعارين ويستفسر عن طريقة مجيئهما إلى المطهر
- ٢٢ قال فرجيليو إن دانتي إنسان حى وإنه جاء معه لكى يرشده في الطريق بقدر ما يستطيع
- ٣٤ يستفسر فرجيليو عن السبب في رجفة الجبل منذ هنيئة
- قال استاتيوس إن كل ما يحدث للجبل يتبع نظاماً دقيقاً وإنه غير خاضع لمؤثرات الأرض .
- ٤٠ بل يتأثر بالسما وحدها
- ٨٥ يتزلزل جبل المطهر حينما تشعر إحدى النفوس بتمام تطهرها ، ويتبع ذلك تهليل الأرواح
- ٦١ ولا دليل على التطهر سوى إحساس النفس بذلك وعندئذ تنتقل الروح إلى الفردوس .
- ٦٧ وقال استاتيوس إنه شعر الآن بالتطهر بعد قضائه عدة قرون في المطهر
- ٧٣ ابتهاج دانتي كمن تزيد بهجته عند الشرب بقدر زيادة عطشه .
- ٧٩ يسأل فرجيليو استاتيوس أن يفصح عن شخصه .
- ٨٢ قال استاتيوس إنه عاش في عصر تيتوس وإنه قد تغنى بطيبة وأخيل .
- ٩٤ وقال إنه استمد إلهامه من الإنيادة
- ١٠٠ وتمنى لو أنه عاش في زمن فرجيليو .
- ١٠٣ ابتسم دانتي إزاء هذا الموقف
- ١١٨ فرجيليو يحمل دانتي على الإفصاح عما يساوره .
- ١٢١ قال دانتي إن شبح فرجيليو هو المائل أمامه الآن
- ١٢٧ استاتيوس يحاول تقبيل قدمى فرجيليو بدون جدوى .
- ١٣٣ المحبة التى حملها استاتيوس لفرجيليو أنسته أنهما كانا مجرد شبحين .

الأنشودة الثانية والعشرون

تكملة لسابقتها ثم تصبح أنشودة النهمين

- ١ يتخلف الملاك الذى أزال خطيئة البخل من جيبن دانتي .
- ٧ يشعر دانتي أنه أصبح أخف وزناً
- ١٠ يتحدث فرجيليو إلى استاتيوس بإعزاز ومحبة .

- ١٩ ويسأله كيف اتصف بالبخل في أثناء الحياة .
- ٢٥ يضحك استاتيوس لذلك وينبئ اتهامه بالبخل ويقول إن خطيئته كانت الإسراف
- ٣٧ قال إنه تعلم كراهة البخل من فرجيليو ذاته
- ٤٣ وقال إنه مال إلى الإسراف ثم ندم على ذلك
- ٤٩ وذكر أنه ينال عقاب البخلاء .
- سأل فرجيليو استاتيوس عن عقيدته الدينية .
- قال استاتيوس إن لفرجيليو الفضل عليه في إرساله لكي يشرب من ينبوع الشعر وفي هدايته
- ٦٤ إلى الإيمان المسيحي . بما كتبه في الإنيابة .
- ذكر استاتيوس أنه مارس الطقوس المسيحية ، وحينما فتك دوميتيانوس بالمسيحيين شاركهم
- ٧٦ في بكائهم وآلامهم .
- ٨٨ وقال إنه نال التعميد ولكنه أخفى ذلك سراً ولذلك فقد قضى عدة قرون في التطهر
- ٩٧ استفسر استاتيوس عن مكان بعض الشعراء اللاتين مثل تيرنسيوس و بلاوتوس .
- قال فرجيليو إنهم موجودون معه في اللبوس ، وذكر له أسماء كثيرين مثل أوربيديس
- ١٠٠ وأجاتون وأنتيجون وديفيلي .
- ١١٥ الوصول إلى الإفريز السادس والساعة تتجاوز الحادية عشرة من صباح الثلاثاء ١٢ أبريل ١٣٠٠
- ١٢١ اتجاه الشعراء الثلاثة في سيرهم صوب اليمين .
- ١٢٧ دانتي يسير خلف فرجيليو واستاتيوس .
- ١٣٠ شجرة الحياة
- قال ملاك - أوربما بعض المتطهرين - لفرجيليو واستاتيوس إنهما لن ينالا طعاماً من هذه
- ١٣٩ الشجرة ، وذكر أمثلة على القناعة والزهد
- ١٤٢ مثال العذراء ماريا
- ١٤٧ - ١٤٦ مثال دانيال
- ١٥٤ - ١٥١ مثال يوحنا المعمدان .

الأنشودة الثالثة والعشرون

أنشودة الشربين أو أنشودة فوريزي دوناتي

- ١ دانتي ينظر إلى أوراق الشجرة كمن ينفق حياته في صيد صغار الطير
- ٤ فرجيليو يدعو إلى المسير
- ١٠ دانتي يسمع ترتيلاً من الكتاب المقدس .
- ١٦ جماعة من الأرواح تلحق بالشعراء الثلاثة وتمضي في سيرها مسرعة .
- ٢٢ كانوا شديدي الهزال حتى اتخذت جلودهم أشكالها من صورة عظامهم .
- ٣١ بدت محاجر عيونهم خواتم بدون درر

- ٣٤ دانتي يأخذه العجب لهزاهم الشديد .
- ٤٠ اتجه شيخ لمحادثة دانتي .
- ٤٦ تبين دانتي أن هذا شيخ صديقه فوريزي دوناتي الفلورنسي .
أعرب دانتي عن حزنه عليه عند موته وحزنه من أجله الآن .
- ٦٤ قال فوريزي إن الحكمة الإلهية تعاقب الشرهين هنا وتطهرهم بالجوع والعطش ، وإن عذابهم طريق للخلاص .
- ٧٦ يسأل دانتي كيف جاء فوريزي هنا سريعاً ما دام قد مات منذ قليل
- ٨٥ قال فوريزي إن زوجته نيلا قد حملته بدموعها على التوبة في الدنيا ثم أقصرت بصلاتها مدة تطهره في مدخل المطهر .
- ٩١ وقال إنها محبوبة من الله لأنها كانت فريضة في فعل الخير
- ٩٧ تنبأ فوريزي بأن نساء فلورنسا الفاجرات سينالهن الجزاء العادل بعد زمن قليل
- ١١٥ يتذكر دانتي أيام الشباب مع فوريزي .
- ١١٨ قال دانتي إن فرجيليو قد قاده بجسمه الحى خلال الجحيم .
- ١٢٤ وقال إنه قد دار به حول جبل المطهر وسيقوده حتى يبلغ به مكان بياتريتشى .
- ١٣١ وأشار إلى استاتيوس قائلاً إنه هو من ارتجف له الجبل منذ برهة حينما صار من اللحم عليه أن يغادر المطهر .

الأنشودة الرابعة والعشرون

تابعة للسابقة وتسمى أنشودة بونادجونتتا

- ١ يسير دانتي وفوريزي كسفينة تدفعها ريح مؤاتية وتدهش الأرواح لرؤية دانتي الإنسان الحى
- ١٠ عرف دانتي أن مكان بيكاردا دوناتي في الفردوس .
- ١٩ رأى دانتي بعض الشخصيات مثل الشاعر بونادجونتتا والبابا مارتينو الرابع
- ٢٨ ورأى أوبالدينو دلا پيلا يعض بأسنانه على فراغ بسبب الجوع .
- ٣١ وشهد مركيز دلي أرجوليوزي .
- ٣٤ بونادجونتتا يرغب في التحدث إلى دانتي ويتكلم عن جنتوكا .
- يستفسر بونادجونتتا عن صاحب القصيدة التي مطلعها « أيتها النساء اللاتي تدركن جوهر الحب » .
- ٤٩ يعرف بونادجونتتا أن دانتي المائل أمامه هو قائلها
- ٥٢ التمييز بين دانتي والشعراء السابقين عليه .
- ٦٤ تطير الأرواح بسرعة بهيئة الكراكي التي تقضى الشتاء في أرض النيل .
- فوريزي يتراجع إلى مكان دانتي كمن تعب من الجرى فيمشى ويبدأ حتى يهدأ لهث صدره
- ٧٠ ويسأله متى يراه ثانياً .

- ٧٩ يتنبأ دانتي بما سينال فلورنسا من الويلات .
 ٨٢ يتكلم فوريزي عن أخيه كورسو وعن مقتله .
 ٩١ لم يعد لفوريزي فرصة للبقاء مع دانتي مزيداً .
 يرتحل فوريزي مسرعاً كالفارس الذي يخرج من جماعته عدواً كى ينال شرف الالتحام
 بالعدو أولاً
 ٩٤ شجرة معرفة الخير والشر
 ١٠٣ يتطلع المتطهرون إلى ثمرها كالأطفال الذين يطلبون الفاكهة بدون جدوى .
 ١٠٦ قال الملاك إن هذه الشجرة نابتة من شجرة المعرفة الموجودة في الفردوس الأرضي في أعلى
 جبل المطهر .
 ١١٥ يذكر الملاك مثالين لخطيئة النهم .
 ١٢١ يدل ملاك الاعتدال الشعراء الثلاثة على طريق الصعود إلى الإفريز التالي .
 ١٣٩ زوال خطيئة النهم من جبين دانتي .
 ١٤٥

الأنشودة الخامسة والعشرون

أنشودة شهوة الجسد وتسمى بأنشودة توالد الجنس البشري

- ١ يتجه استاتايوس وفرجيليو ودانتي للصعود إلى الإفريز السابع .
 دانتي يرغب في الكلام ولكنه يتوقف وكان في ذلك أشبه بفرخ اللقلق الذي يحاول الطيران
 بدون جدوى .
 ١٠ فرجيليو يدعو دانتي إلى الكلام فيسأل كيف تنحف الأرواح حيث تشعر بالحاجة
 إلى الغذاء .
 ١٦ يحاول فرجيليو أن يفسر ذلك بأسطورة ميلياجرو وبانعكاس صورة الإنسان في المرأة .
 ٢٢ يتكلم استاتايوس عن توالد الإنسان باختلاط الدم النقي للرجل - النطفة - بالدم النقي للمرأة -
 أي البويضة .
 ٣٤ ويمتزج الدمان ثم يتجمد دم المرأة وتدب فيه الحياة .
 ٤٣ ويبدأ الجنين في التكون في صورة بدائية ثم تتكون أعضاء الحس فأعضاء الجسم .
 ٥٢ ويخلق الله في الجنين النفس العاقلة .
 ٦٧ ويتكون الإنسان وحدة كاملة تشمل الجسم والنفس الحاسة والنفس العاقلة .
 ٧٣ ويضرب مثلاً لذلك بتحول الكرم إلى نبيذ بفعل حرارة الشمس .
 ٧٦ وبموت الإنسان تذهب الروح إلى موضعها الملائم في العالم الآخر وتحول إلى شبح
 أو طيف .
 ٧٩ وتطبع الروح شبحها بالصورة التي كان عليها الإنسان في الحياة .
 ٨٨

- ويتكلم الشيخ - أو الطيف - ويضحك ويبكي ويتهد .
 ١٠٣ يبلغ الشعراء الثلاثة منطقة تندلع فيها النيران وتهب ريح تزيحها من طريقهم .
 ١١٢ يسير الشعراء واحداً خلف الآخر ويخشون النيران في جانب كما يخشون السقوط من أعلى
 الجبل في الجانب الآخر
 ١١٥ دانتي يسمع بعض الأناشيد ترتل وسط اللهب
 ١٢١ تذكر الأرواح أسماء نساء وأزواج عاشوا أعماء .
 ١٣٣

الأنشودة السادسة والعشرون

أنشودة خطايا الجسد أو أنشودة جويدو جويتنتزلى

- ١ مسير الشعراء الثلاثة على حافة الإفريز السابع واحداً وراء الآخر .
 ٧ تبدو أشعة الشمس أشد توهجاً على الجزء من النار الذى يقع عليه ظل دانتي .
 ١٠ الدهشة تتولى أرواح المتطهرين .
 ١٦ جويدو جويتنتزلى الشاعر البولونى يسأل دانتي عن سبب هذه الظاهرة .
 ٢٥ دانتي يرى جماعة من مرتكبي خطيئة الجسد يأتون في مواجهة الجماعة الأولى وسط النيران .
 ٣١ التقاء الجماعتين وتقبيل أفرادها بعضهم بعضاً كما عند التقاء جماعتين متقابلتين من النمل .
 ٣٧ يذكر الملوطنون مثال سدوم وعمورة ويذكر مرتكبو الزنا مثال پاسيى زوجة مينون .
 ٤٣ انفصال الجماعتين واتجاه كل مهما إلى وجهتها
 ٤٩ دانتي يخاطب الزناة ويقول إنه جاء إلى المطهر بجسمه الحى
 ٦١ يستفسر دانتي عن شخصية من يحادثه وعن الجماعة الأخرى .
 ٦٧ دهشة هذه الجماعة كدهشة سكان الجبل حينما يدخلون إحدى المدن لأول مرة .
 ٧٣ قال المتحدث إن الجماعة الأخرى هي جماعة الملوطين .
 ٨٢ وقال إن خطيئة جماعته كانت ارتكاب الزنا
 ٩١ وأفصح عن شخصه بأنه جويدو جويتنتزلى .
 ٩٤ يعترف دانتي بفضل جويتنتزلى على الشعر
 ١٠٦ استفسر جويتنتزلى عن سبب إعزاز دانتي له .
 ١١٢ أفاده دانتي بأن ذلك يرجع إلى عذوبة شعره
 ١١٥ أشار جويتنتزلى إلى أرنو دا نيل الشاعر الپروثنسى .
 قال إن جويتونى داريتزو نال الشهرة الكاذبة إلى أن فاقه الكثيرون ، وعبر لعن تصديق
 الناس للإشاعة أكثر من الحقيقة .
 ١٢١ يسأل جويتنتزلى دانتي أن يصلى من أجله أمام السيد المسيح
 ١٢٧ اختفى جويتنتزلى في اللهب كاختفاء السمكة في أعماق الماء .
 ١٣٣ دانتي يتحدث إلى أرنو دانييل .
 ١٣٦ أفصح أرنو عن شخصه .
 ١٣٩ اختفاء أرنو في النار
 ١٤٨

الأنشودة السابعة والعشرون
الفردوس الأرضى أنشودة لسيئة (ليا)

- ١ بلغت الساعة حوالى السادسة من مساء الثلاثاء ١٢ أبريل ١٣٠٠
- ٧ ملاك العفة والطهارة حارس الإفريز السابع يرتل شيئاً من الكتاب المقدس .
- ١٠ دانتي يتولاه الرعب حينما عرف أن عليه اجتياز منطقة من النار
- ١٩ فرجيلير يهون عليه الأمر
- ٣٥ - ٣٤ دانتي يقف جامداً لا يتحرك وقد أخذه الاضطراب .
- ٣٥ قال فرجيليو إنه لم يعد بين دانتي وبين بياتريتشى سوى هذه النار
- ٤٥ - ٤٤ صار دانتي كالطفل الذى يسترضى بتفاحة .
- ٤٦ دانتي يشعر بشدة اللهب
- ٥٢ فرجيليو يشجعه ويحادثه عن بياتريتشى .
- الملاك حارس السلم المؤدى إلى الفردوس الأرضى يستحث الشعراء الثلاثة على المسير قبل أن
ينحيم الظلام .
- ٦٤ غروب الشمس .
- ٦٧ ينام الشعراء الثلاثة على درجات السلم .
- ٧٦ دانتي يشبه نفسه بالعنزة بين راعيين .
- ٨٥ دانتي يرى النجوم ويغلبه التعاس .
- رأى دانتي فى الحلم فتاة فى مقتبل العمر جميلة تقطف الأزهار فى روضة يانعة ، وكانت
هى ليئة (ليا) التى أخذت تصنع لنفسها إكليلا من الزهر
- ٩٧ تذكر ليئة فى الحلم أن أختها راحيل ولوعة بالنظر فى مرآتها إلى عينيها الجميلتين .
- ١٠٦ انحسار الظلام ويقظة الشعراء الثلاثة .
- ١١٢ يصعد الشعراء درجات السلم
- ١٢١ قال فرجيليو إنه قاد دانتي إلى هذا الموضع بكل ما أوتيته من الحدق والفن .
- ١٣٠ وقال لدانتي إنه يمكنه الآن الجلوس أو السير بين الأزهار حتى تأتى إليه بياتريتشى .
- ١٣٩ وقال إن إرادة دانتي أصبحت الآن حرة خالصة وإنه صار سيد نفسه .

الأنشودة الثامنة والعشرون
الفردوس الأرضى أنشودة ماتيلدا

- ١ دانتي يسير فى الغابة ويبدأ ويلمس جيئنه النسيم العليل .
- ١٠ أشجار الغابة تمائل بالهواء العليل .

- لا تكف الأطيّار عن شذوها فوق الأشجار التي كان حفيفها ترديداً يصاحب شذو الأطيّار
- ١٣
- دانتى يتوغل في الغابة اليانعة .
- ٢٢
- يقف دانتى أمام مهر ليتى وينظر إلى الأزهار العديدة المتنوعة .
- ٢٥
- دانتى يرى ماتيلدا وهي تترنم وتجنى الأزهار في الجانب الآخر من الجدول .
- ٣٧
- دانتى يطلب إلى ماتيلدا أن تقترب في مواجهته حتى يسمع ترتيلها
- ٤٦
- مشّت ماتيلدا على العشب وكأنها ترقص واقتربت مستجيبة لرجاء دانتى فسمع شذوها العذب .
- ٥٢
- رفعت ماتيلدا عينيها الخفيضتين وأخذت تضحك وتجمع الأزهار
- ٦١
- تقول ماتيلدا إنها مستعدة للإجابة عن كل سؤال .
- ٧٦
- يستفسر دانتى عن الصوت الذى ترسله المياه والهواء .
- ٨٥
- قالت ماتيلدا إن الله منح الإنسان حق الإقامة في الفردوس الأرضى .
- ٩١
- وبارتكاب الخطيئة فقد الإنسان الفردوس الأرضى .
- ٩٤
- وقالت إن جبل المطهر قد ارتفع صوب السماء لكي يتخلص من أدران الأرض ابتداء من باب المطهر الحقيقى .
- ٩٧
- والهواء الذى يحدث الحركة هنا غير هواء الأرض .
- ١٠٣
- وتنبت أرض البشر أنواعاً عديدة من الأشجار .
- ١١٢
- والفردوس الأرضى مليء بالفاكهة التي لا نظير لها في الدنيا
- ١١٨
- والماء الذى رآه دانتى ينبع من إرادة الله .
- ١٢١
- وليتى هو نهر النسيان وإينووى هو نهر الذكريات الطيبة .
- ١٢٧
- وقالت ماتيلدا إن القدماء حلموا بهذا المكان وهم فوق جبل پارناسوس .
- ١٣٩
- دانتى ينظر إلى فرجيليو واستاتيوس .
- ١٤٥
- دانتى يلتفت من جديد إلى ماتيلدا .
- ١٤٨

الأنشودة التاسعة والعشرون

الفردوس الأرضى أنشودة الكنيسة الظافرة

- ١ ماتيلدا تترنم وتسير على ضفة نهر ليتى ويسير دانتى بإزائها على الضفة المقابلة
- ١٦ سطع نور شديد في أرجاء الغابة المباركة .
- ٢٢ سمع دانتى أنغاماً رخيمة جعلته يلوم حواء على ارتكابها الخطيئة .

- رأى دانتي الهواء كأنه يشتعل بالنار وسمع ترتيلاً عذباً فاستنجد بربات الشعر لكى بقدر على
التعبير عما رآه وسمعه . ٣٤
- شهد دانتي سبعة سرج - أو مناير - مشتعلة وتمخيل لبعده المسافة أنها كانت أشجاراً
مصنوعة من الذهب ٤٣
- دانتي يتبين السرج بعد قليل . ٤٩
- كان توهج موكب السرج أشد من توهج البدر في منتصف ليلة صافية . ٥٢
- اتفضح لدانتي أنه يرى موكباً ارتدى السائرون فيه الثياب البيض . ٦١
- دفع الهواء شعلات السرج إلى الوراء حتى بدت كأنها مصنوعة بلمسات من ريشة الرسم ٧٣
- تبين دانتي أربعة وعشرين شيخاً - رمز لإصحاحات العهد القديم - بسرون اثنين اثنين وقد
كللت هاماتهم بأزهار الزنبق ورتلوا طرفاً من آيات الكتاب المقدس . ٨٢
- رأى أربعة حيوانات - رمز الأناجيل الأربعة أو واضعها - تأق وراء الشيوخ وقد كللت
رؤوسها بأغصان الغار وامتلاً ريشها بالأعين . ٩١
- يعبر دانتي عن عجزه عن وصف ما شهده ويحيل القارئ على سفر حزقيال . ٩٧
- رأى دانتي بين الحيوانات الأربعة عربية نصر - رمز الكنيسة الظافرة - يسحبها الجريفون -
رمز السيد المسيح ١٠٦
- فاقت هذه العربية كثيراً عربات الرومان وعربة فيتون ١١٥
- شهد دانتي ثلاث سيدات ترمزن لفضائل المحبة والأمل والإيمان ١٢١
- ورأى أربع سيدات رمز الفضائل الأساسية . ١٣٠
- وشهد القديسين لوقا وبولس . ١٣٣
- ورأى يواقيم وبطرس ويوحنا ويهوذا واضعى الرسائل الكنسية الأربع ، كما رأى يوحنا
صاحب الرؤيا ١٤٢
- سمع دانتي رعداً قاصفاً وتوقف الموكب عن المسير ١٥١

الأنشودة الثلاثون

الفردوس الأرضى أنشودة رحيل فرجيليو وظهور بياتريتشى

- تتقدم السرج - أو المناير - السبعة ويتجه الأربعة والعشرون شيخاً إلى العربية المقدسة
ومن بينهم يرتل سليمان الحكيم شيئاً من الكتاب المقدس . ١
- يظهر كثير من الملائكة الذين ينثرون الأزهار فوق العربية وحولها ١٣
- تظهر بياتريتشى بين سحابة كثيفة من الأزهار ٢٥
- تكللت بياتريتشى بغصن الزيتون فوق نقابها الأبيض وارتدت ثوباً آخر اللون تحت عباءة
خضراء . ٣١
- دانتي الذى لم ير بياتريتشى منذ أمد بعيد يشعر بالسلطان العامر لحبه القديم . ٣٤

- ٤٠ يتجه دانتي إلى فرجيليو كالطفل الذي يجري نحو أمه حينما يخاف أو يتألم .
- ٤٩ اختفاء فرجيليو فجأة وبكاء دانتي لذلك .
بياتريتشى تدعو دانتي إلى الكف عن البكاء .
- ٥٨ تبدو بياتريتشى كأمرير البحر الذى يرقب سفنه ويشجع رجاله على بذل خير ما فى استطاعتهم من الجهد
- ٦٤ أمارات الجلال تظهر على بياتريتشى على رغم أن وجهها لم يبد بعد واضح الملامح
- ٧٣ بياتريتشى تعرف دانتي بشخصها وتسأله كيف جرؤ على الصعود إلى المطهر
- ٧٦ أطرق دانتي رأسه وأحس بالخجل الشديد
- ٧٩ بياتريتشى تبدو كالأم القاسية أمام ابها
- صار دانتي كالثلج الذى يتجمد بهبوب رياح اسلافونيا الباردة ويذوب بهبوب رياح أفريقيا الحارة ، فانحبس دمه أولاً ثم بكى بسمع ألحان الملائكة العذبة
- ٨٥ بياتريتشى تخاطب الملائكة ثم توجه اللوم إلى دانتي
- ١٠٠ قالت بياتريتشى إن دانتي تحلى فى شبابه بالفضائل ثم انحرف عن الطريق القويم .
- ١١٥ وقالت إنها ساندته بعض الوقت وحينما ماتت اتجه إلى مسالك الزلل .
- ١٢١ ولم ينفعها أن تستدعيه إليها بالإلهام الإلهى ، فنزلت للجحيم وحملت فرجيليو على أن يقتاده إلى هذا الموضع
- ١٣٣ وقالت إن على دانتي أن يذوق من مياه هرليتى بعد أن يندم ويكفر عن خطاياها .
- ١٤٢ - ١٤٥

الأنشودة الحادية والثلاثون

الفردوس الأرضى أنشودة اعتراف دانتي بالخطيئة

- ١ تابعت بياتريتشى تعنيفها لدانتي فتولاه الاضطراب حتى عجز عن الكلام .
- ١٦ دانتي يذرف الدمع ويرسل التهنيدات .
- ٢٢ تستفسر بياتريتشى عن العقبات والأباطيل التى انحرفت به عن طريق الصواب .
- ٣١ قال دانتي فى صعوبة إن ملذات الدنيا الزائلة كانت السبب .
- ٣٧ قالت بياتريتشى إن اعتراف الآثم بإثمه يخفف من الأمر
- تسأله بياتريتشى أن يدع عنه الاضطراب والخوف ، وقالت إن جسدها الجميل كان قد أهجه فى الدنيا والذى صار الآن تراباً .
- ٤٦ وقالت إنه كان عليه عند موتها أن يسمو وراءها بروحه .
- ٦٥ وقالت إنه لم يعد كالطائر الصغير الذى يعجز عن الطيران أمام رميات السهام ، ولكنه صار كالطائر الكبير الذى يمكنه التخلص من الشباك والسهام .
- ٦١ دانتي يشعر بالخجل كالأطفال الذين يطرقون رؤوسهم إلى الأرض .
- ٦٤

- ٦٧ بياتريتشى تسأل دانتي أن يرفع رأسه وسينال برويتها المأ أشد .
 ٧٠ رفع دانتي رأسه بجهد شديد ورأى الملائكة قد كفوا عن نثر الأزهار
 ٨٢ رأى دانتي بياتريتشى فائقة الجمال
 ٨٥ وخز دانتي الشعور بالندم ومزق قلبه ما أدركه فسقط فاقد الوعي .
 ٩١ عندما استرد دانتي وعيه رأى ماتيلدا فوقه
 ٩٤ ماتيلدا تغمر دانتي حتى عنقه في مياه نهر لتي .
 ١٠٠ شرب دانتي من مياه النهر
 ١٠٣ أخرجت ماتيلدا دانتي من النهر فأحاطت به الحوريات .
 ١٠٩ الحوريات يذهبن بدانتي أمام بياتريتشى .
 دانتي يثبت عينيه على عيى بياتريتشى اللتين كانتا مركبتين بدورهما على الجريفون -
 ١١٨ رمز المسيح
 وقف الجريفون ثابتاً على حين كان يتحرك ويتحول في صورته التي انطبعت في عيى
 بياتريتشى ، تارة إلهية وطوراً بشرية .
 ١٢١ الحوريات - رمز الفضائل اللاهوتية - ترقصن وترتلن .
 ١٣٠ الحوريات تسألن بياتريتشى أن تكشف لدانتي عن جمال ابتسامتها
 ١٣٦ يعبر دانتي عن عجزه وسائر الشعراء عن وصف ما شاهده من الجمال الرائع .
 ١٣٩ - ١٤٥

الأنشودة الثانية والثلاثون

الفردوس الأرضى أنشودة الشجرة العارية وعربة الكنيسة الظافرة

- ١ دانتي يحدق النظر في بياتريتشى لإرواء عطشه إليها
 ١٠ نور بياتريتشى يبهز دانتي حتى لم يعد يقوى على الرؤية .
 ١٣ استعاد دانتي قوة إبصاره ورأى موكب الشيوخ يتابع المسير
 ٢٥ الجريفون يسحب العربة المقدسة - رمز الكنيسة .
 ٣٤ بياتريتشى تنزل عن العربة .
 ٣٧ شجرة معرفة الخير والشر الشاهقة الارتفاع والعارية من الأوراق .
 الجريفون يربط العربة - رمز الكنيسة - بالشجرة - رمز الأباطورية - فتعود الشجرة
 ٤٩ العارية إلى الازدهار
 الجماعة ترتل ترتيلاً عذباً نام دانتي على أنغامه الساحرة وتمنى لو أن كانت له المقدرة على أن
 يرسم كيف أخذه النوم .
 ٦١ عاد دانتي إلى وعيه كما عاد بطرس ويوحنا ويعقوب إلى وعيهم بعد الغيبوبة التي أصابهم
 ٧٣ حينما شهدوا تجلى السيد المسيح
 ٨٥ تساءل دانتي عن مكان بياتريتشى .
 ٨٦ كانت بياتريتشى جالسة عند شجرة معرفة الخير والشر لحراسة العربة المقدسة .

- قالت بياتريتشى لدانتى إنه سيبقى فى الفردوس الأرضى فترة قصيرة وسألته أن يركز بصره
على العربية ١٠٠
رأى دانتى نساً - رمز الأباطرة مضطهدى الكنيسة - ينقض على الشجرة ويحطم لحاءها
ويكسر أفرعها ، وضرب العربية حتى مالت على جانبها كالسفينة وسط العاصفة
الهوجاء . ١٠٩
شهد دانتى ثعلبة - رمز الهرطقة - تهاجم العربية ١١٨
انسحبت الثعلبة وانسحب النسر بعد أن ملأ العربية بريشه - رمز منحة قسطنطين . ١٢١
انشقت الأرض وخرج مها تين ضخم - رمز الشيطان أو جشع الإنسان ١٣٠
اقتلع التين جزءاً من العربية وسار وهو يتأيل . ١٣٣
تحولت العربية إلى وحش متعدد الرؤوس - رمز الخطايا ١٣٦
رأى دانتى امرأة داعرة - رمز الكنيسة المنحلة - تجلس فوق الوحش . ١٤٨
ورأى بجانبها مارداً - رمز لملك فرنسا المؤيد للبابوية . ١٥١
المارد يمهال بسوطه على العاهرة ويسحبها إلى داخل الغابة - رمز الأسر البابوى فى أثيون ١٥٤

الأنشودة الثالثة والثلاثون

الفردوس الأرضى أنشودة نبوءة بياتريتشى

- السيدات السبع ترتلن باكيات وتسرن ومن ورائهن بياتريتشى ودانتى وماتيلدا وأستاتىوس
١
دانتى يسير إلى جانب بياتريتشى . ١٩
تكلم دانتى كمن لا يقوى على النطق فى حضرة من يكبره مقاماً ٢٥
قالت بياتريتشى إن الكنيسة أصبحت غير موجودة بانتقالها إلى أثيون ٣٤
بياتريتشى تتنبأ بمجىء رسول من السماء ليقضى على المفاسد ٤٠
طلبت بياتريتشى إلى دانتى أن يذكر لأهل الأرض كيف ازدهرت شجرة المعرفة بعد
ربطها بالعربة المقدسة .
وقالت إن دانتى سوف يعرف السر فى تحريم هذه الشجرة على آدم . ٦١
قال دانتى إن عقله قد طبع بكلمات بياتريتشى كما يطبع الشمع بالحنم ٧٩
يسأل دانتى لم تعلق هذه الكلمات فوق مستوى إدراكه ٨٢
قالت بياتريتشى إن الفلسفة التى اتبعها دانتى تختلف عن مضمون كلماتها وأفكارها ٨٥
قال دانتى إنه لا يذكر أنه قد أصبح غريباً عن بياتريتشى أبداً ٩١
حل وقت الظهر وتوقفت السيدات السبع عن المسير عند ظل خفيف يشبه الظل فى بعض
مناطق الألب ١٠٣
بدا لدانتى أنه يرى مهر لى ومهر إينووى يخرجان كالدجلة والفرات من ينبوع واحد
ويسيران فى اتجاهين مختلفين كأنهما صديقان حيمان يتباطآن عند افتراقهما ١١٢

- دانتى يستفسر عن سبب ذلك . ١١٥
- بياتريتشى تسأل ماتيلدا أن تأخذ دانتى إلى مهر إينوى - مهر الذكريات الطيبة ١٢٤
- تستجيب ماتيلدا إلى سؤالها كالنفس الرقيقة التى لا تلتمس المعذرة بل تشكل إرادتها بإرادة الغير ١٣٠
- يعجز دانتى عن وصف ما أحسه حين شرب من مياه مهر إينوى . ١٣٦
- أحس دانتى أنه قد ولد من جديد كالشجرة التى تتجدد أوراقها وصار طاهراً متأهباً للصعود إلى السماء . ١٤٥-١٣٩

تذييل

شئء عن الثقافة اللازمة لدراسة دانتي والكوميديا - أسفارى إلى الخارج
من سنة ١٩٣٤ حتى سنة ١٩٥٥ - رحلة اليونسكو من ٨ يونيو سنة ١٩٦٢ إلى
٧ يناير سنة ١٩٦٣ - الترجمات العربية السابقة لشئء من الكوميديا أو لها
مكتملة - شئء من تجربتى فى ترجمة الكوميديا

يُعدُّ دانتى واحداً من العباقر الأربعة الأربعة أو الخمسين الأوائل في تاريخ البشرية ، ولقد أطلق بعض النقاد عليه وعلى هوميروس وشكسبير لقب « الشاعر الأعظم » وهو يجد العناية والإقبال والدرس في الجامعات والجمعيات الأدبية ولدى كثير من الناس ، في أنحاء العالم المتحضر من اليابان غرباً إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، حتى اكتظت دور الكتب بالألوف المؤلفة من التراث الدانتى في عشرات من اللغات الحية - ولهذا أعتقد أنه من المناسب أن يلقى دانتى من العالم العربى قدراً من العناية التي تجعلنا نشارك غيرنا من الأمم في سبيل دراسته والتعريف به ، خصوصاً وأن تراث الإسلام والمشرق قد أسهم - ولو بطريق غير مباشر - في إنتاج ثمراته وأظن أنه من المفيد أن أذكر شيئاً من تجربتي في دراسة الكوميديا وترجمتها ، عسى أن يبعث ذلك في نفوس بعض النشء من العرب ، الرغبة في دراسة دانتى وآثاره ، ولعله يأتي يومٌ - قريب أو بعيد - يكثر فيه مريدوه وهواته وتنهض الهيئات والجماعات العلمية في بلادنا إلى العناية الواجبة بهذه الدراسة الجوهرية .

« ١ »

لقد تدرّعتُ في هذه السبيل - ولا زلت أتردّع - بالوسائل الأدبية والعلمية الضرورية لبلوغ الهدف المنشود . فحرصتُ منذ سنوات عديدة على متابعة التزوّد من بعض اللغات الأوروبية - فضلاً عن العربية - بالرجوع إلى النصوص القديمة والمؤلفات الحديثة في تلك اللغات ، لكسب أقدارٍ متفاوتة من الألفاظ والأساليب والصور والتشبيهات والأفكار والمعاني الموحية وحصّلتُ - ولا زلت أحصلُ - ألواناً من المعرفة من تراث اليونان والرومان ، ومن تراث الإسلام والمشرق ، ومن تراث المسيحية في العصور الوسطى ، ومن أحوال إيطاليا وفلورنسا السياسية والاقتصادية ، ومن ثقافة التروبادور وأدب الفروسية ، ومن بواكير الأدب الإيطالى الوليد ، ومن سيرة دانتى وشخصيته ومؤلفاته ، ومن التراث الدانتى الغزير ، ومن دراسة بعض ترجمات الكوميديا ، ومن مطالعة فصول من الترجمات لبعض النفاثس العالمية ، ومن دراسة لروائع الفنون التشكيلية ، ومن تذوقٍ لألوانٍ من عالم الموسيقى الزاخر .

وربما يبدو تحصيل هذه الثقافة الخاصة والعامة أمراً عسير التحقيق ، ولكن لا سبيل إلى دراسة دانتى بغير هذه الوسائل ولا يمكن للدارس أن يقبل على هذه الدراسة ، التي تستغرق شطراً كبيراً من العمر أو ربما تستغرق عمراً بأكمله ، إلا إذا توافرت له الرغبة الصادقة ، وآثر هذا الأسلوب من العمل على ما سواه ، وحداه الإعزاز والمحبة والمشاركة والتجاوب ، ووافاه الصبر والجلد ، مما يذلل له الصعاب ويتخطى به العقبات. وهناك من الدارسين في الغرب والشرق - حتى اليابان - من يتوفر تماماً على دراسة دانتى وآثاره ، ومهم من يدرسه خلال فترات من حياته ، ثم يقوم بترجمة الكوميديا بعد بلوغه سنّ التقاعد وفي العادة تستغرق دراسة دانتى وترجمة الكوميديا ، بالنسبة لهؤلاء الدارسين في أجواء علمية اجتماعية اقتصادية مناسبة ، زمنياً يتراوح بين ١٥ و ٢٠ عاماً وقد يمتدّ إلى ٢٥ عاماً والنتيجة التي يبلغها الدارس المحبّ هي وحدها الجزاء العادل لما يقضيه من الزمن ، ولما يبذله راضياً من الجهد والمال في سبيل دراسة الكوميديا وترجمتها

وحين اعتزمت دراسة دانتى بقصد تأليف كتاب عام عنه في سنة ١٩٤١ ، والتي انتهت إلى شروعي في ترجمة الكوميديا ترجمة شاملة في خريف سنة ١٩٥١ ، حرصت على أن أخصّص - إلى جانب عملي في التدريس وما يتعلق به من متابعة بحوث الطلاب ورسائلهم - ثلاثة أو أربعة أيام في الأسبوع بطريقة منتظمة ، لدراسة دانتى والكوميديا ولتحصيل الثقافتين الخاصة والعامة الضروريتين لذلك ولقد اعتذرت شاكراً ممتناً ، منذ سنة ١٩٤٦ حتى الآن ، عن عدم استطاعتي تلبية أكثر من دعوة كريمة للعمل في التدريس خارج جامعة القاهرة ، في هذه البلاد أو خارجها ، أو للمشاركة في بعض الأعمال التاريخية أو الثقافية ، أو الثقافية الإدارية ، داخل القطر أو خارجه ، لكي أحقق لنفسى نوعاً من التفرغ ، مؤملاً بذلك أن أتمكن من إكمال ما أنا بسبيله في فرصة غير بعيدة

« ٢ »

ولقد كانت الأسفار والرحلات عنصراً أساسياً في لفت نظري إلى دانتى وفي تزويدي بكثير من المعلومات التي اقتضت تحصيلها طبيعة دراسته . وخلال

سنوات بعثتى الدراسية الجامعية من ديسمبر سنة ١٩٣٤ إلى ديسمبر سنة ١٩٣٨ ، حرصتُ كهائو - إلى جانب دراستى التاريخية - حرصت على أن أتبع بعض آثار دانتى ، والتردد على بعض الأماكن التى عاش فيها فى فلورنسا وغيرها من أنحاء إيطاليا ، واطلعت على بعض التراث الدانتى ، وتذوقت بعض الآثار فى فنون الرسم والتصوير والنحت والحفر والعمارة والموسيقى والرقص ، التى تُساعد على فهم دانتى وتذوق آثاره وحينما زرتُ خلال تلك البعثة لبنان وسوريا والنمسا وفرنسا وإنجلترا ، لم أغفل عن دانتى ، بل تعقبتُ كهائو قدرًا لا بأس به من أخباره وآثاره ، ومن الثمرات الأدبية والعلمية والفنية التى تساعد على فهمه ، والتى توفرت على نحوٍ آثار إعجابى ودهشتى فى أغلب الأماكن التى ارتحلت إليها وكنت أسأل نفسى أحياناً ، وأسأل بعض من عرفتهم من الإيطاليين والسويسريين والإنجليز والنرويجيين والأتراك والأمريكيين والمصريين - هل أستطيع يوماً أن أكتب شيئاً عن دانتى للقارئ العربى ؟

وعند عودتى من البعثة إلى مصر فى ديسمبر سنة ١٩٣٨ ، أخذتُ أعدّ العدة لمتابعة أسفارى إلى الخارج طلباً للمزيد من العلم والمعرفة ولكن عاقبى عن ذلك قيام الحرب العالمية الثانية فى صيف سنة ١٩٣٩ فاقترنتُ على الدرس فى قدرٍ متواضع من الكتب التى كنت قد حصلت عليها ثم وفقت لحسن الحظ إلى استعارة ذخائر من الكتب الدانتية من مكتبة دير دون بوسكو بالإسكندرية التى أفادتني جمّ الفائدة ، حينما كنت أعمل فى جامعة (الإسكندرية) من سنة ١٩٤٢ إلى سنة ١٩٥٠ وما إن استقرتُ أحوال أوروبا عقب تلك الحرب ، حتى أخذتُ أتطلع إلى متابعة أسفارى إلى الخارج

وحدث فى شتاء سنة ١٩٤٩ أن أرادت هيئة ثقافيةٌ مصريةٌ عليا ، التعبير عن تقديرها لكتاب كنت قد وضعته فى سنة ١٩٤٧ عن « ساقونارولا » الراهب الذى استشهد فى سبيل الدفاع عن مبادئه فى فلورنسا فى سنة ١٤٩٨ - وذلك باقتراح إرسالى فى بعثة جديدة إلى إيطاليا لمدة عام قابل للتجدد ، على أن أدرس موضوعاً تاريخياً معيناً ، ولكننى اعتذرتُ أسفاً شاكراً عن عدم القبول ، لأن هذا

كان معناه أن أتوقف عن دراسة دانتي التي كنت قد قطعت فيها شوطاً بدأته منذ سنوات

ومع أن فكرة ترجمتي للكوميديا مكتملة لم تكن عندئذ قد تبلورت لديّ بعدُ ، فلم يكن من العدل أن أعطل مجهوداً بذلته في دراستها بشغفٍ ومحبة ، فضلاً عن أن ذلك الموضوع المقترح عليّ ، كان موضوعاً لا يتصل بالموضوع الذي أريدُ بسببه التعبير عن تقديري

وعلى ذلك أخذتُ على عاتقي متابعة أسفاري ، طالما كان ذلك ميسوراً لي ، في فترات العطلات الجامعية الصيفية ، منذ سنة ١٩٤٩ حتى سنة ١٩٥٥ وقمت خلال هذه المدة بستَ رحلاتٍ في صيف سنة ١٩٤٩ زرت إيطاليا وفرنسا في رفقة جماعة من الأساتذة والطلاب من كلية الآداب بجامعة (القاهرة) وأذكر أني اجتمعتُ وقتئذٍ بالأستاذ إيتوري روسي ، الذي رحب بمقال لي عن « فرنثسكا دا ريمبي » ، وأخذنا نترنم معاً وبصوتٍ واحدٍ بأبيات عن فرنثسكا ، ونحن ننزل على درجات كلية الآداب والفلسفة بجامعة روما

وفاتني السفر إلى أوروبا في صيف سنة ١٩٥٠ ، لأنني قضيتُ بعض الوقت في أخذٍ وردٍ مع المسؤولين في وزارة (المعارف) ، بشأن ترشيحي لوظيفة ثقافية في روما وترددت وقتاً في القبول ، ثم اعتذرتُ عن عدم القبول شاكراً ممتناً ، وكان ذلك راجعاً في الحقيقة - وهو ما لم أفصح عنه حينئذٍ - إلى تقديري لما تتطلبه تلك الوظيفة من الجهد الذي كان من شأنه أن يستغرق كلَّ وقتي ، وما كان يجديني نفعاً أن أعيش في قلب إيطاليا ، وأنا غير مستطيع أن أتفرغ للحياة الدراسية التي أوثرها على سائر المهام والوظائف .

ثم استأنفتُ رحلاتي إلى أوروبا فزرت إيطاليا في صيف سنة ١٩٥١ وزرت إيطاليا والنمسا في صيف سنة ١٩٥٢ وزرت إيطاليا والنمسا وألمانيا وسويسرا في صيف سنة ١٩٥٣ وزرت إيطاليا والنمسا وفرنسا وإنجلترا في صيف سنة ١٩٥٤ وزرت إيطاليا وفرنسا وإنجلترا في صيف سنة ١٩٥٥ وكانت الرحلات الثلاث الأخيرة في صحبة جماعات من أساتذة مدرسة الألسن بالقاهرة وطلابها ، حينما كان زميلي مراد كامل مديراً لها

وكانت تلك كلها سفرات مثمرة ، جدّدت فيها العيش في الأماكن التي سبق أن عرفتها في إيطاليا والتي وجدتُ فيها ما يعين على دراسة دانتى وآثاره وزرت فلورنسا مرات عديدة ، وما كنت أغادرها إلا لأعود إليها مشوقاً خاشعاً ، مع غيرى من ألوف البشر الذين يحجّون إليها في كل شهور السنة من كافة أنحاء العالم المتحضر ودرست المباني التي كانت مقامة في زمن دانتى ، مثل معمدان سان جوفانى الذى عمّد فيه ؛ وكنيسة سان مارتينو التي يُقال إن زواجه من جيمّا دوناتى قد عُقد فيها ، والمطلة على بيته التذكارى الذى أقامته بلدية فلورنسا في سنة ١٩١١ ؛ وكنيسة سانتا مرجريتا الواقعة على بُعد خطوات من بيته التذكارى ؛ وبرج كاستانيا المطل كذلك على بيته التذكارى ، والذى كان مقرّاً لاجتماع حكومة السنيوريا في زمن دانتى والذى كان هو عضواً فيها قبل نفيه وتشريده ؛ وقصر البارجلو القريب من حيّه ؛ والجسر القديم وجسر سانتا ترينتيا وتأمّلت المباني التي بُدئ في إنشائها في زمن دانتى ، ولكنها اكتملت في وقت متأخر عنه ، مثل كاتدرائية فلورنسا المسماة بكنيسة سانتا ماريا دل فيورى ، وكنيسة سانتا كروتشى التي أقيم لدانتى بها قبر تذكارى في سنة ١٨٢٩ ، وقصر السنيوريا ومشيت على ضفاف الأرنو ، وتجوّلت في ميادين فلورنسا وشوارعها وأزقتها التي تهر النفس التاريخية وتأمّلت التماثيل المقامة في الميادين والشوارع وعلى جدران الكنائس ، والتي تعطى صورة حية من روح فلورنسا ودانتى ، على الرغم من إقامتها في زمن متأخر عنه وزرت متاحف فلورنسا الزاخرة بروائع فنون التصوير والرسم والنحت والحفر والنقش والمنمنمات والمصنوعات القديمة ، مثل متحف الأوفيتزى ، ومتحف بيتى ، ومتحف السنيوريا ، ومتحف البارجلو ، وأكاديمية الفنون الجميلة ، ودير سان ماركو . وترددت على أرشيف فلورنسا التاريخى الكائن بقصر الأوفيتزى ، وعلى المكتبة اللورنتزية الحافلة بالخطوط الدانتية ، وترددت على المكتبة الوطنية ، وعلى أماكن بيع الكتب القديمة والحديثة الزاخرة بنفائس الكتب المخطوطة والمطبوعة وتقصّيت الألحان الموسيقية المستوحاة من الكوميديا ، أو التي تتناول موضوعات تقرب منها ، أو التي تساعد على سبر غورها ، سواء أكانت مسجلة أم لم تكن

وتتبع غير مرة خطوات دانتى خارج فلورنسا قبل حياة المنفى وفي أثنائها

فترددت على أريتزو ، وأورفييتو ، وسيينا ، وبيروودجا ، وأسيسي ، وجوبيو ،
 وراقتا ، وفيرار ، وبولونيا ، وبادوا ، والبندقية ، وثيرونا ، وبحيرة جاردا
 ومانتوا ، وجنوا ، ولوكا ، وبيزا ، وكلها حافلة بالمباني والمتاحف ودور الكتب
 وأماكن الذكريات وزرت نواحي من جبال الأبينين ومن حوض الپو ، وما تبقى
 من غابة الصنوبر بقرب راقتا

وفي زيارتي لإنزبروك وقينا ومونيخ وشتوتجارت وتوبنجن وهيدلبرج وزوريخ
 وباريس ولندن وأكسفورد وكمبرج وسترادفورد على الأتون ، ترددت على بعض
 دور الكتب وعلى أماكن بيعها وفي كل هذه الأماكن وجدت عديداً من فهارس
 الكتب المطبوعة خاصة بالتراث الدانتى الغزير في شتى اللغات الحية ، واقيت
 صنوفاً من المراجع القديمة والحديثة القيمة ، التي لا توجد أحياناً إلا في مكان
 بعينه . وزرت بعض المتاحف والكنائس التي تحتوى على بعض آثار الفن المستوحاة
 من الكوميديا ، أو تتناول شيئاً مما ورد بها ، والمعاصرة لدانتى أو القريبة من زمنه .
 وتابعت بحثي عن الألحان الموسيقية التي تساعد على تذوق الكوميديا

وبهذا كله حصّات قدراً مناسباً من الثقافة الدانتية المباشرة ، ومن الثقافة العامة
 النافعة ، معتمداً في ذلك على القراءة والدرس وعلى الرحلة والمشاهدة واستيحاء
 الأماكن المهمة ، وجمعت قدراً طيباً من الكتب القديمة والحديثة ، ومن الرسوم
 والصور القديمة والحديثة ، ومن الألحان الموسيقية المسجلة ، فضلاً عما ظلت
 أحصل عليه من طريق المراسلة من تلك البلاد ، ومن الولايات المتحدة الأمريكية ،
 التي كانت زيارتي لها أمراً يتجاوز إمكانى .

« ٣ »

ثم توقفت أسفاري إلى أوروبا منذ سنة ١٩٥٥ ، لظروف خارجة عن إرادتي
 ومع تقديري للعوامل الوطنية أو الاقتصادية التي اقتضت الحدّ من السفر إلى
 الخارج ، فقد كان ذلك بالنسبة لي من دواعي التعويق ، وحاولت لدى بعض
 الهيئات الثقافية في مصر تيسير سفري إلى أوروبا ، ولكنني لم أوفق في ذلك
 ونجحت أخيراً في أن أنال تأييد الشعبة القومية لليونسكو بوزارة التعليم العالي ،

فرشحتنى لنيل منحةٍ دراسيةٍ من منظمة اليونسكو في باريس ، في نطاق المشروع الكبير للتقدير المتبادل للقيم الثقافية بين الشرق والغرب فقضيتُ سبعة شهور من ٨ يونيو سنة ١٩٦٢ إلى ٧ يناير سنة ١٩٦٣ منتقلا بين إيطاليا وإنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وقضيتُ نصف هذه المدة في إيطاليا ، وكانت هي أفضل فترة قضيتها في هذه الرحلة ، نظراً لطولها النسبي ، ولأن أحداً لم يقيّدنى بانتقالٍ معينٍ محدد من بلدٍ لآخر ، ولرخص مستوى المعيشة النسبي بها ، مما جعل إقامتي بها محتملةً بالجهد والحذر ، وذلك لقلّة موارد اليونسكو في هذا الصدد وانتقلتُ في إيطاليا بين روما وپاليرمو - التي لم أكن زرتها من قبل - وزرت من جديد ناپلى وپيرودجا وأسيسى وفلورنسا ورافنا والبندقية وڤيرونا وبحيرة جاردّا . وعكفتُ على الدراسة والتأمل والتذوق على غرار ما كنت أفعله من قبل في دور الكتب والمتاحف والكنائس والأديرة والمناطق الأثرية ، وفي الجبال والبحيرات والسهول والأودية وعلى شواطئ البحر ، وأضفت إلى ما عندى مادةً جديدةً ، ونهلت من ينابيع المعرفة والفن والأدب ولقيتُ في هذه الأسفار بعض العلماء والأدباء الإيطاليين ، من الشيوخ والكهول والشباب ، وأذكر منهم ج. دلاّ فيدا و ف جابرييلى و ل. جانتوتا وماريا نلّينو و م . مورينو ولوتشيا كولكازى و ك فيسكيا و أ ريتزيتانو و ج . بلفيورى و فريال باريزى و ج أورفييتو و ل. بلقديرى . ولقد تحدثت مع هؤلاء قليلاً وكثيراً ، ولقيت لديهم حسن الوفادة وجميل الترحاب ، إذ أنى أعرف بعضهم منذ أكثر من ربع قرن . ومن بينهم سبق أن كتب في روما ف جابرييلى غير مرة منوهاً بترجمتى للجحيم في مقالٍ افتتاحى في صحيفة يومية كبرى وفي بعض الدوريات العلمية . وكذلك كتب عنها م . مورينو في إحدى الدوريات ، كما كتب في پاليرمو عن ذات الموضوع أ ريتزيتانو - وذلك في الفترة بين سنة ١٩٦٠ وسنة ١٩٦٢ وكنت في پيرودجا في هذه المرة ضيف الشرف لدى جامعها للأجانب ، وفيها وفي فلورنسا وفي روما تعقبتنى بعض رجال الصحافة - على رغم تهربى منهم - وكتبوا غير مرةٍ عن عملى وعن مصر الجمهورية - فضلاً عن كتابتهم وتحديثهم عن ذلك في مراتٍ سابقةٍ في الصحافة والإذاعة والتلفزيون في روما وفلورنسا في سنتى ١٩٦٠ و ١٩٦١

على أن المدة التي مُنحتها للإقامة في إيطاليا لم تكف قط لاستيعاب ما كنت أتطلع إليه ، وكنت أحتاج إلى مضاعفة مدة إقامتي بها ، ولكن ذلك لم يكن أمراً ميسوراً مع الأسف الشديد .

ثم قضيتُ في إنجلترا حوالي الشهر . وانتقلتُ فيها بين لندن وكبريدج وبرمنجهام ودرام ونيوكاسل وأدنبرة وألثا ونوتنجهام ، وبذلك زرت مدناً لم تسبق لي زيارتها في رحلاتي السابقة إلى إنجلترا والتقيتُ هناك ببعض العلماء والأساتذة مثل ج . هويتفيلد و ر . هل وجوليانا هل و ف . روسون وبيريل إيتكين وفليز جونس و ج . كاننجهام وباربارا رينولدز - وكانت من زملائي في دراسة الحضارة الإيطالية في جامعة بيرودجا للأجانب في سنة ١٩٣٥ وقد لقيت من هؤلاء جميعاً حسن الوفادة ورحابة الصدر . ومما أذكره أن ج . هويتفيلد ، أستاذ الدراسات الإيطالية في جامعة برمنجهام ، والذي لم أكن أعرفه من قبل إلا بقراءة كتبه ، قد استبقاني في صحبته ضعف المدة المتفق عليها - وأخذ يسير بي هنا وهناك ، ووجدت في مكتبته الخاصة كثيراً من الكتب التي يشترك وإياي في اقتنائها عن داني والحضارة الإيطالية ، وطرَبنا معاً على بعض ألحان أركانجلو كورياتي وأنتونيو فيفالدي ! واعتقد ج . هويتفيلد أنني أقوم في جامعة القاهرة بما يقوم هو به في جامعة برمنجهام ، من دراسة الحضارة الإيطالية ، ولكنني ضحكت وأفدته بأن الأمر ليس كما يظن ، وأنه ربما توجد الفرصة في المستقبل للعناية بهذه الناحية الجوهرية ! وكذلك حباني ر . هل بعطفه ولقيبي واستقبلي غير مرة ، وسافرنا معاً إلى نيوكاسل للاطلاع والمشاهدة ، ويسر لي إقامتي وتحركي في درام - وكنت قد عرفت في القاهرة من قبل واستقبلي ج . كاننجهام في ألثا ، وهو من رجال الأعمال في الطباعة والنشر ، ومن المعنيين بدراسة داني ، إذ وضع رسالة عن ترجمات الكوميديا الإلهية إلى اللغة الإنجليزية وتقع في ألف صفحة، ونال بها درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة أدنبرة في سنة ١٩٥٤ ، كما ترجم الكوميديا ترجمة كاملة ووجدت لديه مكتبة دانتية تضم عدة مئات من المجلدات ، وتحدثنا طويلاً وسرنا معاً إزاء وادٍ عميق في أحضان الجبل . وفي نوتنجهام استقبلتني باربارا رينولدز - المشار إليها - على أنني مرسل من قبيل اليونسكو ، عن طريق

المجلس البريطاني ، ولم يعرف أحدنا الآخر لأول وهلة ، وقلت لها إنني كنت أتوقع أن أرى باربارا أخرى كنت قد عرفتها قديماً في بيروودجا - ولكن يظهر أنك لست هي وبعد فترة من الحديث قالت إنها عرفتني الآن - من صوتي ومن طريقة كلامي اللذين لم يتغيرا ! فقلت لها ولكن صوتك الآن ليس هو صوت باربارا الحجول الصغيرة الذي عرفته في سنة ١٩٣٥ - بل هو صوت أستاذة تحاضر طلابها ! وتحققت من أنها هي بذاتها حينما أرتني صورة لها ترجع إلى سنة ١٩٣٦ ! ووجدتُ لديها مكتبة زاخرة بالمؤلفات التي تتناول دانتى والحضارة الإيطالية ، وحدثتني عن القاموس الإيطالي - الإنجليزي الضخم الذي أصدرته حديثاً ، كما حدثتني عن سعيها إلى إصدار مجلة خاصة بالدراسات الدانتية والإيطالية ، وسألتني أن أمدّها ببعض المقالات وذكرت لي الصعوبات التي واجهتها حينما التزمت بترجمة الجزء المتبقي من ترجمة صديقها دوروثي سايرز للفردوس ، وكيف تغلبت عليها

ولكن رحلتى إلى إنجلترا هذه المرة لم تكن مثمرة على النحو الذي كنت أتوقعه كمسافر متمتع بمنحة من اليونسكو ، لقصر المدة التي مُنحت لي للإقامة بها ، ولسرعة ارتحالي من مدينة إلى أخرى . فإذا يجدى مثلاً أن أسافر شمالاً حتى ألقا في إسكتلندا ، ولا أبقى بها سوى أربع ساعات ، على حين كانت بها مكتبة دانتية قيمة لم أفد منها شيئاً ! وكيف لا تُتاح لي الفرصة لزيارة أكسفورد ، التي تحتوى مكتبة جامعها على ألوف من الكتب الدانتية ، والتي كانت مركزاً لحليل عظيم من العلماء الإنجليز الدانتيين مثل إدوارد مور وپاجيت توينبي ؛ وكان غلاء المعيشة وقلة المال الذي في يدي وعدم إمكاني السكنى في المدن الجامعية لزخرها بالطلاب في أثناء العام الدراسي ، عوامل أشعرتني بالضيق والخرج - فأخذتُ أصبر وأصابر وأبتسم وأتأمل !

وقضيت في الولايات المتحدة الأمريكية مدة شهر ونصف وزرتُ جامعة كورنيل في إيثاكا بولاية نيويورك وهناك وجدت مكتبة دانتية نادرة تحتوى على ١١٠٠٠ مجلد ، وربما تكون أكبر مجموعة من المؤلفات الدانتية في العالم توجد في مكان واحد . ولقيت العناية والترحاب وكرم الأخلاق من جانب السكرتير العام

للجامعة المستر ف بولدوين ومن الأستاذ د بوينتون عميد الدراسات العالية ،
 و ر ديرلنج أستاذ الدراسات الإيطالية ، ومدير المكتبة الأستاذ س ماكرثي
 والسيدة زوجته وحضرت بعض اجتماعات لأساتذة الدراسات الإيطالية وطلابها
 ومما أذكره أن ف بولدوين كان يجبوني بعطفه ومودته ، وييسر لي سبل الإقامة ،
 ويطوف بي هنا وهناك ، ويأتي إليّ لدعوتي إلى حفل أو طعام وقال لي ذات مرة
 إنه من المحتمل النظر في أمر استعارتى واستبقائي سنة أو أكثر في جامعة كورنيل ،
 فاعتذرتُ أسفاً عن عدم استطاعتي ذلك ، لأنه لو تمّ هذا لتعطّلت عملية ترجمتي
 للكوميديا مكتملة إلى اللغة العربية وكان ر ديرلنج يتردد عليّ كثيراً للتحدث
 في الدراسات الدانتية أو للنزهة في منطقة « بحيرات الأصابع » .

ولكنني لم أكد أحقق فائدةً تذكر من وجودي في مكتبة جامعة كورنيل لأنني
 لم أُمْنَح من الزمن للإقامة بها أكثر من أسبوعين ؛ وماذا يجدي أن أنظر أو ألمس
 ١١٠٠٠ مجلد في أسبوعين ! وعدتُ إلى نيويورك أسفاً وكانت النية متجهة إلى أن
 أنتقل إلى كل من جامعات هارفارد وشيكاجو وواشنطن للقيام بالمزيد من البحث .
 ولكنني وجدت أنه من العبث سرعة التنقل في زمن شديد القصر ، وفي مستوى
 صعب من الغلاء الفاحش ، مع ضالة المال الذي كان تحت تصرفي ، فامتنعت
 أسفاً عن السفر الداخلي مزيداً ، وفاتني أن أزور الجمعية الدانتية الأمريكية ،
 التي أنا عضو بها ، والقائمة في بوسطن ، وبذلك لم أجمع برئيسها الأسبق الأستاذ
 إرنست هاتش ويلكنس الذي عرفته عن طريق المراسلة منذ سنة ١٩٥٣ ، والذي
 نوّه بترجمتي للجحيم في التقرير السنوي لجمعية دانتى في أمريكا ، في سنة ١٩٦٠
 واتجهت في نيويورك إلى تحصيل قليل من الفائدة العلمية في مكتبة المعهد الإيطالي
 في جامعة كولومبيا ، حيث التقيت بمديره ب ريتشو ، وزرت مكتبة المعهد
 الثقافي الإيطالي التابع للسفارة الإيطالية ، وترددت على بعض المتاحف ولم
 أحصل في نيويورك إلا على القليل من الكتب والألحان المسجلة ، حين وصلني
 في آخر لحظة بعض المال من القاهرة

ثم قضيت الشهر السابع والأخير من هذه الرحلة في باريس وهناك بلغ
 غلاء المعيشة ذروته ، ولكنني لم أشعر بالضيق المالي لوصول مبلغ آخر من القاهرة .

وفى باريس حصلت على بعض الفائدة بترددى على بعض دور الكتب والكنائس والمتاحف ، وعلى الأخص متحف اللوفر ، ومتحف رودان ، الذى يحتوى على باب الجحيم المستوحى من دانتى ، والذى استغرق صنعه فترات امتدت حوالى ٣٠ عاماً ، وصُبَّ من البرونز بعد موت رودان ، وتوجد منه نسخ مصبوبة من البرونز فى كل من طوكيو وزوريخ وفيلادلفيا وفى جامعة باريس قابلت الأستاذين ر. بلاشير و ش. بيلا ، اللذين عرفتهما من قبل من طريق المراسلة ، وقد كتب أولهما فى سنة ١٩٦١ تقریظاً عادلاً مُحكماً عن ترجمتى للجحيم فى مجلة « أرابيكا » التى تصدر فى ليدن . وحصلت فى باريس على قدرٍ من الكتب والألحان المسجلة التى تساعد على فهم نواحٍ من الكوميديا ، حينما تحسنت حالى المالية وحينما كنت فى مكتبة الفاتيكان عرفت بوجود مركز أدبى غنى بالمؤلفات الدانتية فى مدينة نيس ، ولكن لم تسمح حالى المالية ولا حال اليونسكو المالية بزيارتها ، ولا بمدّة مدة إقامتى فى الخارج

وعلى الرغم من الجهود التى تبذلها منظمة اليونسكو فى ميادين العلم والأدب والفن والثقافة ، وعلى الرغم مما بذلته فى سبيلى من العون الذى أنا شاكرٌ له وممتنٌ ، فيبدو أن قلة ميزانيتها – على الأقلّ فيما خصّنى منها – وقلة عدد موظفيها العارفين المختصين ، فى الناحية التى كان لى بها بعض التجربة – يبدو أن ذلك قد فوّت علىّ فرصة الدرس والتحصيل على النحو الذى كنت أرجوه ، فزرت أقطاراً شاسعة وبلداناً عديدة فى فترة قصيرة من الزمن ، لا تتفق مع طبيعة العمل الذى أمارسه ، وبذلك أصبحت انتقالاتى فى نصف المدة التى أعطيت لى قليلة الحدوى ولم تتمكن اليونسكو ، إزاء الطرفين المشار إليهما ، من إيجاد الوسيلة التى تُيسر بها لمثلى سبيل العمل وعلى كل حال فقد علمتني هذه الرحلة الأخيرة أشياء كثيرة إدارية وعلمية ما كنت لأعرفها بدونها ، وعملت فى أثنائها على أن أتابع دراستى لدانتى والكوميديا على أفضل وجه مستطاع

ولا شك أننى قد أفدت أشياء جمّة من رحلاتى منذ الثلاثينات حتى رحلتى الأخيرة وما كنت لأستطيع الحصول على ما حصلت عليه من المعرفة والثقافة من طريق الكتب وحدها ولم يكن من الميسور الحصول على الكتب من طريق

المراسلة فحسب ، والتي لا يصل خبر كثير منها إلى الراغبين فيها ، وعلى الأخص الكتب المتخصصة النادرة ، والتي لا بد من الانتقال إلى الأماكن التي يُحتمل أن توجد بها ، حتى يمكن العثور عليها . ولقد كان السفر في طلب العلم شرقاً وغرباً في عصر الحمل والشرع ، مهاجراً سار عليه علماء المسلمين وقت ازدهار حضارتهم ، إذ أنه يوسع الأفق ويصقل النفس ويُسمى المدارك ، وبذلك يصبح من عوامل الغذاء الروحي والعقلي ومن أسباب تقدم الأمم وهوض العمران فعسى أن تيسر الجهات المسؤولة لرجال العلم والأدب والفن سبل السفر إلى الخارج ، بل لعلها تبذل لهم في ذلك بعض العون المادّي ، لأن الفائدة التي يجنيها المسافر من سفره لا تعود عليه وحده بل تشمل من يوجدون في محيطه على الأقل . وعسى أن تتحقق قريباً العناية بهذه الناحية الحيوية الجوهرية لأمة عريقة في الحضارة ، تسعى إلى أن تأخذ من جديد مكانها تحت الشمس .

« ٤ »

لم تخلُ اللغة العربية من جهود بعض أبنائها في سبيل ترجمة الكوميديا أو شيء منها وربما كانت أول ترجمة عربية - فيما أعرف - لأبيات من الكوميديا ، هي ما قام به يوسف صقر اللبناني من ترجمة الأبيات الأربعة والعشرين الأولى من الأنشودة الحادية عشرة من المطهر ، بناءً على طلب ماركو بيسّو ، لكي يضمّنها مع الترجمات الأخرى لنفس الأبيات ، في كتاب له عن «حظ دانتى خارج إيطاليا» المطبوع في فلورنسا في سنة ١٩١٢ ومضمون هذه الأبيات مقتبس من صلاة الأحد في الكنائس ، وقد وردت معانيها في إنجيل متى وإنجيل لوقا وترجم يوسف صقر هذه الأبيات شعراً وجاءت الأبيات مختصرة قليلاً عن الأصل ، وتتميز بالوزن الشعري وإن كانت قد خالفت النص بالضرورة . ويا حبذا لو كانت قد أتيحت له الفرصة لترجمة الكوميديا مكتملة !

وفيما أعرف - وكما أشرت في مقدمة ترجمتي للجحيم - هناك محاولتان لترجمة الكوميديا بصورة أعمّ وأكبر . فتوجد ترجمة كاملة للكوميديا قام بها عبود أبو راشد اللبناني الأصل ، الذي تجنّس في ليبيا بالجنسية الإيطالية وترجم أبو راشد

الكوميديا عن الإيطالية ترجمة نثرية ، وسمّاها « الرحلة الدانتية في الممالك الإلهية الجحيم والمطهر والنعيم » ، ونشرها في ثلاثة أجزاء في طرابلس الغرب من سنة ١٩٣٠ إلى سنة ١٩٣٣ . وقد قدّم لترجمته بمقدمة موجزة ، ووضع للترجمة بعض الحواشي ولقد بذل أبو راشد جهداً كبيراً في عمله الذي استغرق ثماني سنوات وتدلّ ترجمته على معرفته الوثيقة باللغة الإيطالية، ولكن تُعوزه الثقافة الدانتية المباشرة والثقافة العامة التي تفيد الدارس المترجم على وجه العموم وترتب على ذلك أن فاته إدراك بعض المعاني الدانتية ، ولم يقدم الشروح المناسبة لفهم متن الترجمة وأحياناً تجيء ترجمته مناسبة تماماً وأحياناً أخرى يدمج بعض المعاني في بعض ، أو يتجاوز عن بعضها الآخر بدون مبرر ، وتارة يُدخل على المتن ألفاظاً وتعبيرات بقصد الشرح بغير ضرورة ، وتارة أخرى يغير تعبير دانتى ويقدم تعبيراً مخالفاً بدون حاجة إلى ذلك . وفي رأيي كان من المستطاع المحافظة على تعبير دانتى في نطاق الأسلوب العربى وبصورة عامة لا يناسب أسلوبه الأسلوب العربى ، كما لا يلائم أسلوب دانتى وفنه العظيم ومع ذلك فإنه قد بذل جهداً كبيراً يشكر عليه ، وله فضل الاقتحام والسبق والتمهيد لغيره في هذا الميدان البكر

وترجم أمين أبو شعر الجحيم ، ونشر ترجمتها في القدس في سنة ١٩٣٨ وقدّم لترجمته بمقدمة موجزة ومع إلمامه بالإيطالية فقد اعتمد في ترجمته إلى حد كبير ، على ترجمة هنرى فرانسيس كارى الإنجليزية وتُعوزه الثقافة الدانتية المباشرة والثقافة العامة ، مما فوت عليه وضع الشروح الضرورية لفهم متن الترجمة ولغته العربية لطيفة مقبولة لدى القارئ ، وإن كان يخالف أحياناً نصّ الكوميديا بدرجات متفاوتة ، كما فعل كارى نفسه ومع ذلك فلائبى شعر فضل السبق والتمهيد في هذا المجال الذي لا يزال في العربية بكرةً

أما فيما يتعلق بتجربتي الفعلية في ترجمة الكوميديا فأقول إننى كغيرى من المترجمين الدارسين ، وجدتُ أن الترجمة قد تشبه نضالاً أو حرباً لا يُكفى فيها بوسائل الإعداد وبوضع الخطط ، بل لا بد فيها من خوض سلسلة من العمليات

والحركات المستمرة التي تتناول كافة الجزئيات والكليات وكما يعرف سائر المشتغلين بالترجمة - تبدأ هذه العمليات - بالنسبة لدانتي - بمحاولة فهم المعنى اللفظي الظاهري ، ثم المعاني الباطنة من استعارةٍ ورمزٍ وميثولوجيا وتاريخ وفلسفة وعلم ولاهوت ، ثم العمل على تمثّل التعبيرات الواردة وتذوّقها ، والإحساس بها ، في معناها الظاهر ومعانيها الخفية ويستعان في ذلك بوسائل الثقافة الدانتيّة المباشرة وبالثقافة العامّة ، وبتحليل الأبيات والثلاثيات ، وبكتابة بعض هذه الثلاثيات في نصّها ، بالطريقة التي تجعلها أكثر وضوحاً ، ثم بمحاولة بنائها ، وإعادة تركيبها والتعبير عنها باللغة التي يراد الترجمة إليها

وكما وجد غيري من دارسي دانتي ومترجميه - وجدت أن هناك كلمات وتعبيرات يحير أمامها المترجم ، فتدرّعت كغيري بالصبر ، وأخذتُ أفكر وأتذوّق ، حتى وصلت إلى أفضل ما أمكنني الوصول إليه ووجدت أحياناً الجناس في اللغة الإيطالية مقبولاً ، وجاريتته في اللغة العربية تارة ، وعدلت عن ذلك تارة أخرى ، بدون إخلال بالمعنى وشعرتُ أحياناً أن تعبيرى العربى غير مقنع - هنا أو هناك - وأنه لا يؤدي ما أراد الشاعر قوله ، أو ما أردتُ أنا التعبير عن مضمونه ، فكنت أضع الترجمة التي أصل إليها ، وأظلل غير راضٍ عنها ، حتى يأتي ما يفضلها وأحياناً أخرى وجدتُ تعبيرات سهلة بسيطة في اللغة الإيطالية ، ومع ذلك لم تكن ترجمتها إلى اللغة العربية أمراً ميسوراً ، مما جعلنى لا أعرف طعم الكرى

ولكننى وجدتُ في أحوال كثيرة التعبير العربى الملائم ، بفضل الثقافة الخاصة والعامّة التي سعيت وأسعى إلى تحصيلهما أبداً وربما كان هذا راجعاً في بعض الأحيان إلى وجود نوع من التقارب في التعبير بين اللغتين الإيطالية والعربية ، بحكم الصلات التاريخية والثقافية بين التراث الإسلامى وبين التراثين اللاتينى والنورمانى ويبدو أن الفرق بين التعبير العربى وبين التعبير الإيطالى أقلّ من الفرق بين التعبير الإيطالى وبين التعبير الإنجليزى ، على الرغم من انتماء اللغتين الإيطالية والإنجليزية إلى مجموعة اللغات الهندية - الأوروبية ، وانتماء اللغة العربية إلى مجموعة اللغات السامية

وعبرت في ترجمتي عن الفعل الماضي المستمر بالفعل الماضي العربي ، الذي لا يوجد منه في العربية إلا نوع واحد وأحياناً استخدمتُ فعلين ، أحدهما ماضٍ والآخر مضارع للتعبير عن الماضي المستمر في اللغة الإيطالية . وراعتُ بقدر المستطاع اختلاف المعاني التي تدلّ عليها ألفاظٌ بعيها ، وباختلاف استخدام دانتى لها ، وهي شائعةٌ في كلّ أجزاء الكوميديا ، ويختلف في شأنها الشراح ، منذ القرن الرابع عشر حتى اليوم وراعتُ الألفاظ التي اختلف معناها بتغير الزمن وفي بعض الأحيان أجريت شيئاً من التصرف فمثلا ترجمت كلمة بكلمتين أو بجملة ، أو أتيت بفعل بدل فعل ما دام يعبر عن المقصود ، أو أضفت اسماً أو صفة غير موجودة بالنص ، أو أتيت بصيغة الإنكار مكان صيغة الإثبات أو العكس ، أو أضفت ظرفاً أو اسم إشارة ، أو كررت معنى من المعاني للتوكيد ، وذلك في حدود المعنى الذي أراده دانتى ، وسعيّاً إلى التعبير عن فن دانتى في نطاق الأسلوب العربي بقدر المستطاع ولا ريب أنه لا يمكن ترجمة الآثار الأدبية ترجمة لفظية ، إذ العبرة فيها بالمعاشة والتجاوب والمشاركة والحرص على نقل روح المؤلف إلى اللغة المراد الترجمة إليها وتقتضى الترجمات الأدبية عنصراً من الخلق والإحياء

وعنيتُ بكلّ بيتٍ وبكلّ ثلاثيةٍ على حدة ، وبعلاقة كلّ ثلاثية بما تسبقها أو ما تليها ، إذا اقتضت تشبيهات دانتى أو استعاراته الطويلة لإيجاد رابطة خاصة بين بعض الثلاثيات وبعض وعُنيْتُ بكلّ ثلاثية على حدة ، أو بمجموعة من الثلاثيات بالنسبة للأنشودة التي وردت بها وعنيت بكلّ أنشودة بالنسبة لما تسبقها وما تليها ، وبالنسبة للجزء الذي وردت به من الكوميديا وبالنسبة للكوميديا كلها وراعت ما يوجد من الترابط بين بعض الأنشودات وبعض وراعت المشاهد التي أراد دانتى إبرازها أو إظهار بعض الشخصيات فيها وراعت ما قد يسود أنشودةً بعيها من إحساس معين ونغمة واحدة ، أو من أحاسيس وأنغام متنوعة ، وذلك لأن دانتى اهتم كأغلب فناني عصره بالتفصيلات والجزئيات ، ولكنه بخلاف أكثرهم امتاز بإحساسه الفريد في إبراز الصورة العامة لموضوعه ، فضلاً عن عنايته بالتفصيلات والجزئيات

ولقد ترجمتُ الجحيم وراجعتُ ترجمتها وقمت بتبويبها ثلاث مراتٍ كاملة قبل

تقديمها للمطبعة أما المطهر فقد ترجمته وراجعته وبيضته أربع مرات ، منهزماً
فرصة وجودى بالخارج في « الرحلة اليونسكية » وفعلت ذلك مرتين بالنسبة لترجمة
الفردوس ، التي يبقى على أن أؤدى مراجعتها وتبييضها للمرة الثالثة ، أو الرابعة إذا
ما آتحت لي فرصة السفر إلى الخارج مرة أو مرات أخرى !

وكثيراً ما كنت أترجم ، وأعيد الترجمة ، وأكتب ، وأمزق ما كتبت ، ثم أكتب
من جديد ، هنا وهناك ، في مصر وفي الخارج ، في دار للكتب ، أو في فندق
أو مقهى ، أو فوق قمة جبل أو عند شاطئ بحيرة ، أو في رحاب دير وكنت
أهتدي أحياناً إلى التعبير المناسب في نظري—وأنا أهم في صحراء ساكنة الأعطاف ،
أو وأنا أتمهل في روضة يانعة ، أو عند سماعي خريير جدول ، أو حين طرني
لهديل حمام أو شدة أطيّار ، أو عند نشوتي بنفثات راع في نايه وبلغت ضالتي
تارة في السكون وطوراً في الضوضاء ، أو حين استعدت الحديث اللطيف ،
أو تأذيت بالكلام النابي ، بدون أن يشعر المتكلم بأذى ! وكنت أبلغ أحياناً
التعبير الملائم مستلهماً ما أبتغيه من صورة أو من تمثال ، أو من بناء شاهق ،
أو من أحجار وأطلال ، أو من ميادين وطرقات وأروقة وأزقة ودروب ، أو من
قباب وأبراج ، أو من صوت مؤذن أو من قرع أجراس وبلغت ضالتي
أحياناً في النور الساطع ، وأحياناً أخرى على أضواء الشموع حين ينقطع التيار
الكهربائي واهتديت تارة إلى الأسلوب المناسب ، وأنا أشقّ أجواز الفضاء ،
أو وأنا أركب متن البحر ، أو أستقلّ السيارة أو القطار أو العربة ذات الجواد ،
أو وأنا أسير طويلاً في السهول والوديان ، وفي الجبال والأحراش ، أو حين كنت
أرقب الغزلان والوعول والأزهار البرية والزواحف والفراشات ، أو عندما كنت أعبر
الريف أو أخترق المدن والقرى والدساكر ، أو أرقب الناس في مختلف خطوطهم
وأوضاعهم

واهتديت أحياناً إلى التعبير الملائم على ألحان الموسيقى الكلاسيّة ، بما تتضمنه
من أنغام أرضية وعلوية ، دنيوية وصوفية ، أو أنغام نسمع فيها صرخات
المعذبين الواهين ، أو بهجة السعداء الطوباويين ، أو نحس فيها نزوة الشيطان
أو ابتهاج العابد ، أو ظلمات الجحيم أو أنوار الفردوس ، أو ألحان درامية أو مجردة ،

أو أنغام رقيقة أو غليظة ، هادئة أو عنيفة ، سريعة أو بطيئة ، عالية أو خفيضة ، منفردة أو متعددة أو أوركسترالية

وكنت أبلغ مراعى أحياناً حينما كانت تتبدى أمامى ألوانٌ من الشر والخير ، ومن الكذب والصدق ، ومن الغطرسة والتواضع ، ومن الجحود والوفاء ، ومن الإهمال وأداء الواجب ، ومن الأنانية والغيرية ، ومن التعصب والتسامح ، ومن الغلظة والوداعة ، ومن الظلم والعدل ، ومن الاستبداد والحرية ، ومن الكبر والصفاء ، ومن خيبة الأمل ، ومن الإيمان والأمل ، ومن الغفران والمحبة . وبلغت ضالتي أحياناً حينما كنت أستشفّ بعض خلجات النفس من وجوه الناس وأعيهم من كلّ الأسنان والأوساط بدون أن يدروا ، وبدون استطاعتي حملهم على أن يدروا

واستلهمتُ بعض التعبيرات من نفسى ومن كيانى ، من طفولتى وكهولتى وشبابى ، ومن همسة تطوف بي ، ومن نأمة تبلغ أذنى ، ومن شاردة وواردة ، ومن بسمة أرسلها أو من ضحكة تخرج من صدرى ، ومن طرفة عين ، ومن لقاء وفُرقة ، ومن بهجتى ونشوتى وأسأى ، ومن أبواب مغلقة ، ومن رحاب عوالم أحلق فى أجوازها ، ومن صمى الذى لم يفهمه أحد ، ومن كلامى الذى لم يكده يصنع إليه إنسان

أو ليس ما فى الوجود من مظاهر الطبيعة ، ومن آيات الخلق ، ومن الخير والشر ، ومن الأفكار والمعانى ، ومن الوقائع والأمانى ، ومما تنبض به قلوب الناس ، شىء أو أشياء مما رآها دانتى ونبض بها قلبه وترددت بين جوانحه ؟ وكيف نفهم شاعراً مثله ، إذا نحن لم نرَ بعض ما رآه ولم نحسّ بعض ما أحسه ، ولم نتأثر ببعض ما تأثر به من الصور والمعانى الإنسانية العامة المشتركة الباقية أبداً ، مهما اختلف المكان وتغير الزمان !

المكتبة

يضاف ما يلي إلى ما سبق وروده في ترجمة الجحيم

أولا : مؤلفات دانتي أليجييري

(١) في نصوصها

Dante Alighieri La Divina Commedia

- La Divina Commedia di Dante Alighieri Manoscritta da Giovanni Boccaccio, 3 voll. Roveta, 1820.
- commento alla Divina Commedia d'Anonimo Fiorentino del secolo XIV., ora per la prima volta stampato a cura di P. Fanfani. Bologna, 1866-1874.
- commento di Christoforo Landino fiorentino. Firenze, 1841.
- Le Prime Quattro Edizioni della Divina Commedia Letteralmente Ristampate per cura di G.G. Warren Lord Vernon. Londra, 1858.
- La Commedia di Dante Alighieri illustrata da Ugo Foscolo, 4 voll. Londra, 1842-1843.
- Dante Illustrato da Lord Vernon
 - vol. I L'Inferno di D.A. disposto in Ordine Grammaticale e corredato di Brevi Dichirazioni da G.G. Warren Lord Vernon. Firenze, 1858.
 - vol. II Documenti. Firenze, 1862.
 - vol. III Album. Firenze, 1865.
- con il commento di E. Bianchi. Firenze, 1940.
- commentata da F. Torraca, 3 voll. Firenze, 1952.
- con il commento di C. Steiner. Torino, 1960.
- commentata da C. Grabher, 3 voll. Milano, 1960.
- a cura di N. Sapegno, 3 voll. Firenze, 1961.
- La Vita Nuova, edizione critica per cura di Michele Barbi. Firenze, 1932.
- De Vulgari Eloquentia, commentato e tradotto da A. Marigo. Firenze, 1957.

(ب) بعض ترجمات إنجليزية (وأمريكية) للكوميديا والحياة الجديدة

- The Purgatory, trans. by A.J. Butler. London, 1880.
- The Divine Comedy, trans. by C.E. Norton. Boston, 1891-1892.
- Vernon, W.W. Readings on the Divine Comedy of Dante, 6 vols. London, 1906-1908.
- Purgatorio, trans. by S.E. Wright. Edinburgh, 1954.
- The Comedy of Dante Alighieri the Florentine : Cantica II. Purgatory, trans. by D.L. Sayers. Edinburgh, 1955.
- The Divine Comedy, trans. by G.L. Becrersteth. Aberdeen, 1955.
- The Divine Comedy, trans. by G.L. Swiggett. South Sewanee, Tennessee, 1956.
- The Comedy of Dante Alighieri, translated into English Unrhymed Hendecasyllabic verse by M.P. Lillie, 3 vols. San Francisco, 1958.
- The Purgatorio, trans. by J. Ciardi. New York, 1961.
- La Vita Nuova, trans. by M. Musa. New Brunswick, 1957.

(ج) بعض ترجمات فرنسية للكوميديا والحياة الجديدة

- La Divine Comédie, trad. par P.E. Colbert, Count de Creully, 3 tomes, Paris, 1796.
- La Divine Comédie, trad. par J.A. de Mongis. Dijon, 1857.
- La Divine Comédie, trad. par L. Ratisbonne. Paris, 1870.
- La Divine Comédie, trad. par F. Reynard. Paris, 1877.
- La Divine Comédie, trad. de J. Berthier. Fribourg, 1924.
- Vita Nova, suivant le texte critique préparé pour la "Società Dantesca Italiana" par M. Barbi, traduite, avec une introduction et des notes, par H. Cochin. Ital. et Fr. Paris, 1908.

ثانياً : مراجع في تاريخ الأدب الإيطالي

- De Sanctis, F. History of Italian Literature, trans. by J. Redfern, 2 vols. New York, 1959.
- Flora, F. Storia della Letteratura Italiana, vol. I. Milano, 1957.
- Hall, R.A. Jr. A Short History of Italian Literature. Ithaca, New York, 1951.

- Papini, G. *L'Aurora della Letteratura Italiana*. Firenze, 1956.
 Russo, L. *Storia della Letteratura Italiana*, vol. I. Firenze, 1957.
 Sansone, M. *La Letteratura Italiana*, vol. I. Bari, 1956.
 Whitfield, J.H. *A Short History of Italian Literature*. Harmondsworth, 1960.

ثالثاً : مراجع عن دانتى ومؤلفاته :

- Auerbach, E. *Dante, Poet of the Secular World*, trans. by R. Manheim, Chicago, 1961.
 Barsanti, E. *I Processi di Dante*. Firenze, 1908.
 Biagi, G. e Passerini, G.L. *Codice Diplomatico Dantesco I Documenti della Vita e della Famiglia di Dante Alighieri*, riprodotti in fac = simili, trascritti e illustrati con note critiche, monumenti d'arte e figure. Firenze, 1895-1911.
 Butler, A.J. *Dante His Times and His Work*. London, 1895.
 Capetti, v. *L'Anima e L'Arte di Dante*. Livorno, 1907.
 Cunningham, G.F. *The Divine Comedy in English. A critical Bibliography of Dante Translations, 1782-1954*. Alva, 1954. (unpublished).
 De Sanctis, F. *Lezioni e Saggi su Dante*. Torino, 1955.
 Di Mirafiore, G. *Dante Georgico*. Firenze, 1898.
 Ferguson, F. *Dante's Drama of the Mind*. Princeton, 1953.
 Foligno, C. *Dante*. Bergamo, 1920.
 Getto, G. (A cura di) *Lecture Dantesche*. Firenze, 1962.
 Groppi, F. *Dante Traduttore*. Roma, 1962.
 Ignudi, S. *Alcune Corrispondenze di Concetto tra il Cantico delle Creature di S. Francesco e le Opere di Dante*. Assisi, 1961.
 Masseron, A. *Pour Comprendre La Divine Comédie*, Paris, 1939.
 Mazzeo, J.A. *Medieval Cultural Tradition in Dante's Comedy*. Ithaca, New York, 1960.
 Morini, C.V. *La Teoria del Simbolo Dantesco nella Vita Nuova*. Firenze, 1952.
 Natoli, G. *Dante Rivelato nella Vita Nuova*. Tivoli, 1952.
 Niccolini, P. *L'Amore e l'Arte di Dante*. Ferrara, 1921.
 Pietrobono, L. *Saggi Danteschi*. Torino, 1954.

- Pietrobono, L. *Nuovi Saggi Danteschi*, Torino ?
- Rascoe B. *Titans of Literature*. New York ?
- Renucci, P. *Dante*. Paris, 1958.
- Rossetti, G. *La Beatrice di Dante*. Impola, 1935.
- Sacchetto, A. *Il Gioco delle Immagini in Dante*. Firenze, 1947.
- Santayana, G. *Three Philosophical Poets*. New York, 1953.
- Sayers, D.L. *Further Papers on Dante*. London, 1957.
- Singleton, Ch. S. *Journey To Beatrice*. Cambridge, Mass., 1958.
- Stambler, B. *Dante's Other World*. London, 1958.
- Troccoli, G. *Il Purgatorio Dantesco*. Firenze, 1951.
- Vallone, A. *La Critica Dantesca Contemporanea*. Pisa, 1957.
- Vernon, W.W. *Lectures on Dante and His Times*. London, 1917.
- Vigo, L. *Dante e la Sicilia*. Palermo, 1870.
- Vossler, K. : *Mediaeval Culture, an Introduction to Dante and his Times*, trans. by W.G. Lawton, 2 vols. New York, 1958.
- Whiting, M.B. *Dante and his Poetry*. Manchester, 1932.
- Williams, Ch. *The Figure of Beatrice*. London ?

- راسكو ، برتون عمالقة الأدب ، ترجمة دريبي خشبة وأحمد قاسم جودة ،
ج ١ القاهرة ، ١٩٦١
- آل عيال ، مصطفى دانتى القاهرة ، ١٩٥٦
- مندور ، محمد نماذج بشرية القاهرة ، ١٩٥١

رابعاً : مراجع عن التراث القديم

- Aristotle : *Metaphysics*, trans. by H. Tredennick, (L.C.L.), 2 vols. London, 1932.
- Seutonius *De Vita Caesarum*, trans. by J.C. Rolfe (L.C.L.), 2 vols. London, 1930.

- سفر المزامير ترجمة محمد الصادق حسين والأب س . دى بوركى الدومنى .
القاهرة ، ١٩٦١

خامساً : مراجع عن تراث العصور الوسطى :

- Aquinas, Th. The Summa Theologica, Trans. by the Fathers of the English Dominican Province, 3 vols. New York, 1957.
- Atiya, A.S. Crusade, Commerce and Culture. Indiana Un. Press, 1962.
- Briffault, R. Les Troubadours et le Sentiment Romanesque. Paris, 1945.
- Briffault, R. The Mothers, vol. III. New York, 1952.
- Capellanus, A. : The Art of Courtly Love, trans. by J.J. Parry. New York, 1959.
- Frederick II. of Hohenstaufen The Art of Falconry, trans. by G.A. Wood and F.M. Fyfe. London 1955.
- Heer, F. The Medieval World, trans. by J. Sondheimer. London, 1962.
- Knowles, D. The Evolution of Medieval Thought. London, 1962.
- Lafitte-Houssat, J. Troubadours et Cours d'Amour. Paris, 1960.
- Lewis, C.S. The Allegory of Love. London, 1953.

ضومط ، ميخائيل توما الأكوبي بيروت ، ١٩٥٦

فرايبييه ، جان وجوسار ، أ م المسرح الديني في العصور الوسطى ترجمة
محمد القصاص القاهرة ، ١٩٦٢

سادساً : مراجع عن تراث الإسلام والمشرق

- Bloch, E. Les Sources Orientales de la Divine Comédie. Paris, 1901.
- Williams, J.A.V. Zoroastrian Studies. New York, 1928.

أربري ، ج أ. وآخرون تراث فارس اشترك في ترجمته وإخراجه محمد
كفافي وأحمد الساداتي والسيد يعقوب بكر ومحمد صقر خفاجة ويحيى الحشاب
القاهرة ، ١٩٥٦

أرسطوطاليس فن الشعر ، مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابي وابن
سينا وابن رشد ترجمه وشرحه وحقق نصوصه عبد الرحمن بدوي القاهرة ،
١٩٥٣

الأهواني ، عبد العزيز الزجل في الأندلس القاهرة ، ١٩٥٧
الجوزية ، أبو عبد الله شمس الدين . . . الشهير بابن قيم مفتاح دار السعادة

- ومنشور ولاية العلم والإرادة القاهرة ، ١٣٢٣ هـ .
- ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد طوق الحمامة في الألفه والألاف .
حققه ونشره حسن كامل الصيرفي وإبراهيم الإبياري القاهرة ، ١٩٥٩
- ابن رشد ، أبو الوليد تلخيص كتاب النفس نشره أحمد فؤاد الأهواني
القاهرة ، ١٩٥٠
- السيوطي ، عبد الرحمن كتاب شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور
القاهرة ، ١٣٠٩ هـ
- السيوطي ، عبد الرحمن كتاب اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة
القاهرة ، ١٣١٧ هـ
- الغيطي ، نجم الدين المعراج الكبير القاهرة ، ١٢٩٥ هـ .
- الفاخوري ، حنا والجرج ، خليل تاريخ الفلسفة العربية جزءان . بيروت ،
١٩٥٧ - ١٩٥٨

سابعاً : مراجع عن الناحية الفنية

(١) الصور والتصوير والنحت والعمارة

- Alinari, V. Il Paesaggio Italico nella Divina Commedia. Firenze, 1921.
- Bargellini, P. Panorama Storico dell'Arte L'Arte Gotica. Firenze, 1960.
- Cladel, J. Rodin, Sa Vie Glorieuse et Inconnue. Paris, 1936.
- Cladel, J. : Rodin, the Man and his Work, trans. by S.K. Star. New York, 1918.
- Dante Alighieri La Divina Commedia Illustrata nei Luoghi e nelle Persone, a cura di C. Ricci. Milano, 1921.
- Dante Alighieri Il Purgatorio, colle Figure di G. Doré. Parigi, 1868.
- Elsen, A.E. Gustave Doré. London, 1946.
- Golscheider, G. Rodin. London, 1949.
- Koch, Th. W. Hand List of Framed Productions of Pictures and Portraits belonging to the Dante Collection (Cornell University Library). New York, 1900.
- Mather, F.J., Jr. The Portraits of Dante. Princeton, 1921.
- Rodin, A. Les Cathédrales de France. Paris, 1946.

Skira, A. and Dupont, J. and Gnudi, C. Gothic Painting. Lausanne and Geneva, 1954.

Venturi, A. Il Botticelli Interprete di Dante. Firenze, 1921.

(ب) مراجع في الموسيقى

De Batines, C. Musicografia della Divina Commedia Bibliografia Dantesca t. I. Prato, 1845.

Chailley, J. Histoire Musicale du Moyen Age. Paris, 1950.

Champigneulle, B. Histoire de la Musique. Paris, 1961.

Jacobs, A. (Editor) Choral Music. Harmondsworth, 1963.

Larousse de La Musique, Sous la direction de N. Dufourcq. 2 vols. Paris, 1957.

Reese, G. Music in the Middle Ages. New York, 1940.

Reese, G. Music in the Renaissance. New York, 1959.

Roland - Manuel (Direction) Histoire de la Musique Des Origines à Jean - Sébastien Bach (Encyc. de la Pléiade), vol. I. Paris, 1960.

Taddei, A. La Divina Commedia nella Illustrazione Musicale di Franz Liszt. Opuscolo. Livorno, 1903.

Valensise, R. La Forma del Suono secondo l'Alighieri. Opuscolo. Napoli, 1900.

Zacco, A. Dante Conoscitore della Musica del suo Tempo. Opuscolo. Padova, 1868.

(ح) ألحان موسيقية مسجلة بحسب سنوات المؤلفين

Chant Grégorien Messe pour la fête de l'Assomption. (Archiv).

— Troisième Messe de Noel (Archiv).

— Oraisons Solennelles et Vénération de la Croix de la Liturgie du Vendredi Saint. (Archiv).

Troubadours, Trouvères et Minnesaenger,

De La Halle, Adam Le jeu de Robin,

— 13 Rondaux,

— Anonymi 17 Danses du 13' et 14' siècle. (1100-1350 Archiv).

Le jeu de Daniel de Beauvais du 13' siècle. (Deutsche).

- Des Près, Josquin (1445-1521) Messe de Beata Virgine. (Discophiles Français, Paris).
- Divertissements Courtois du 15^e et 16^e siècle. (Discophiles Français, Paris).
- Da Palestrina, Giovanni Pierluigi (1524-1594)
— Missa Papae Marcelli (Westminister, New York).
— Messe Aeterna Christi Munera - Messe Lauda Sion. (Erato, Paris).
- Monteverdi, Claudio (1567-1643) Orfeo. (Vox, New York).
- Buxtehude, Dietrich (1637-1707) : Jubilate Domino - Fuge en ut majeur -
In Dulci Jubilo. (L'Oiseau Lyre, Paris).
- Vivaldi, Antonio (1678 ? - 1741) : Gloria in D major - Gloria in R major.
(Vox, Paris).
- Vivaldi Antonio The Four Seasons The Spring. (Vox, New York).
- Bach, Jean - Sebastien (1685-1750) St. John Passion. (Vox, London).
— St. Matthew Passion. (Nixa, London).
- Haendel, George Friederic (1685-1759) Messiah. (Richmond, New York).
- Schuman, Robert (1810-1865) Carnival. (Columbia, New York).
- Debussy, Claude (1862-1918) Syrinx. (Columbia, New York).

ثامناً : قواميس وفهارس

- Bedevian, A.K. Illustrated Polyglottic Dictionary of Plants. Cairo, 1936.
- Fay, E.A. Concordance of the Divina Commedia. Baltimore, 1888.
- Miller, M.S. and Miller, J.L. Black's Bible Dictionary. London, 1960.
- Poletto, D.G. Dizionario Dantesco di quanto si contiene nelle Opere di Dante Alighieri con Richiami alla Somma Teologica di S. Tommaso d'Aquino, coll'Illustrazione dei Nomi Propri Mitologici Geografici e delle Questioni più Controverse, 7 voll. Siena, 1885-1887.
- Sheldon, E.S. : Concordanza delle Opere Italiane in Prosa e del Canzoniere di Dante Alighieri. Oxford, 1905.
- Siebzehner - Vivanti, G. Dizionario della Divina Commedia. Firenze, 1954.

تاسعاً : الدوريات

- L'Alighieri, diretta da F. Pasqualigo. Firenze, 1889-1893.

عاشراً : دوائر المعارف :

Encyclopaedia of Social Sciences. New York, 1947.

The Jewish Encyclopedia, New York, 1906.

حادى عشر : كتب المراجع

Biblioteca dell'Imperiale Università di Kioto Catalogo della Collezione Dantesca Donata da Giukici Oga. Kioto, 1941.

Catalogue des Ouvrages de Dante Alighieri conservés au Département des Imprimés extrait du tome XXXV du Catalogue Général des Livres Imprimés de la Bibliothèque Nationale. Paris, 1908.

Dante: An Excerpt from the General Catalogue of Printed Books in the British Museum. London, 1952.

Frati, C. I codici Danteschi della Biblioteca Universitaria di Bologna. Bologna, 1923.

Friedrich, W.D. Dante's Fame Abroad (1350-1850). Roma, 1950.

Lane, W.C. The Dante Collections in the Harvard and Boston Public Libraries. Cambridge, U.S.A., 1890.

Mambelli, G. Gli Annali delle Edizioni Dantesche. Bologna, 1931.

Manna, A.M. La Raccolta Dantesca della Biblioteca Universitaria di Napoli, 2 voll. Firenze, 1959.

Oga, J. Bibliografia Dantesca Giapponese, trad. di E. Felkel. Firenze, 1930.

Olschi, L.S. Gli Studi Danteschi dal 1940 al 1949. Firenze, 1950.

فهرست الصور

- صفحة
- صورة الغلاف
- ١ - دانتى .
- مقتبسة من رسم رافاييلو سانتزيو فى صورة اللسپوتا أو تمجيد القربان المقدس (١٥٠٩ - ١٥١٠) الأصل موجود فى متحف القاتيكان
- ٢٩
- ٢ - دانتى فى سن الشباب .
- مقتبسة من رسم جوتو أو مدرسته فى القرن ١٤ الأصل موجود فى متحف البارجلو فى فلورنسا
- ٥٧
- ٣ - دانتى وفرجيليو على شاطئ المطهر يتطلعان إلى الزهرة .
- مقتبسة من رسم جوستاف دوريه فى ١٨٦١ أنشودة ١ ١٩-٢١
- ٨٩
- ٤ - دانتى وفرجيليو ينظران إلى الأمراء الكسالى المهملين .
- مقتبسة من رسم جوستاف دوريه أنشودة ٤ ١٠٣ - ١٠٥
- ١٠١
- ٥ - فلتذكرنى فىنى أنا پيا
- مقتبسة من رسم جوستاف دوريه أنشودة ٥ ١٣٣ - ١٣٦
- ١٤٥
- ٦ - نسر يحمل دانتى صاعداً به خلال منطقة من النيران .
- مقتبسة من رسم جوستاف دوريه أنشودة ٩ ٢٨ - ٣٠
- ١٧٧
- ٧ - المتغطرسون يتطهرون بحمل الأحجار الثقيلة .
- مقتبسة من رسم جوستاف دوريه . أنشودة ١٢ ١ - ٣
- ٢١٧
- ٨ - رجم القديس إسطفانوس .
- مقتبسة من رسم جوستاف دوريه . أنشودة ١٥ ١٠٦ - ١١٤
- ٢٥٩
- ٩ - دانتى وفرجيليو بأسيان على البخلاء والمبذرين
- مقتبسة من رسم جوستاف دوريه أنشودة ١٩ ١٢٧ - ١٣٥
- ١٠ - دانتى وفرجيليو واستاتيوس ينظرون إلى المتطهرين فى النار من شهوة الجسد . مقتبسة من جوستاف دوريه أنشودة ٢٥ ١٢١ ... ٣٢٧

صفحة

٣٤٩

١١ - لسيئة (ليا) تقطف الأزهار في الفردوس الأرضي

مقتبسة من رسم جوستاف دوريه أنشودة ٢٧ ٩٧ - ٩٩

٣٧٣

١٢ - ثلاث حوريات يرقصن في الفردوس الأرضي

مقتبسة من رسم جوستاف دوريه أنشودة ٢٩ ١٢١ - ١٢٦

٤٢١

١٣ - دانتى يشرب من مياه هر إينوى

مقتبسة من رسم جوستاف دوريه أنشودة ٣٣ ١٣٦ - ١٣٨

٤٢٩

١٤ - رسم إيضاحي لمدارج جبل المطهر

مقتبس من رسم روبرتو رايوندى عن كتاب أندريا جوستاريلتى .

المطهر . ميلانو ، ١٩٣٥

فهرست المحتويات

صفحة

٥	الإهداء
٧	تصدير
	مقدمة تمهيد - بعض أصول المطهر - وصف عام للمطهر - شىء من فن دانتي في المطهر - دانتي في المطهر - فرجيليو في الجحيم والمطهر -
٩	بياتريتشى
٥٣	النشيد الثانى المطهر
٥٥	الأنشودة الأولى
٦٧	» الثانية
٧٦	» الثالثة
٨٥	» الرابعة
٩٦	» الخامسة
١٠٩	» السادسة
١٢٢	» السابعة
١٣٢	» الثامنة
١٤٢	» التاسعة
١٥٤	» العاشرة
١٦٤	» الحادية عشرة
١٧٥	» الثانية عشرة
١٨٨	» الثالثة عشرة
٢٠٠	» الرابعة عشرة
٢١٢	» الخامسة عشرة
٢٢٤	» السادسة عشرة
٢٣٥	» السابعة عشرة

صفحة

٢٤٤

٢٥٤

٢٦٦

٢٧٨

٢٨٨

٣٠٠

٣١٠

٣٢٢

٣٣٤

٣٤٤

٣٥٦

٣٦٨

٣٨٢

٣٩٣

٤٠٣

٤١٦

٤٣١

الأنشودة الثامنة عشرة

» التاسعة عشرة

» العشرون

» الحادية والعشرون

» الثانية والعشرون

» الثالثة والعشرون

» الرابعة والعشرون

» الخامسة والعشرون

» السادسة والعشرون

» السابعة والعشرون

» الثامنة والعشرون

» التاسعة والعشرون

» الثلاثون

» الحادية والثلاثون

» الثانية والثلاثون

» الثالثة والثلاثون

موجز مضمون الأناشيد

تذييل شىء عن الثقافة اللازمة لدراسة دانتي والكوميديا — أسفارى إلى

الخارج من سنة ١٩٣٤ حتى سنة ١٩٥٥ — رحلة اليونسكو من

٨ يونيو سنة ١٩٦٢ إلى ٧ يناير سنة ١٩٦٣ — الترجمات العربية

السابقة لشىء من الكوميديا أو لها مكتملة — شىء من تجربتى فى

ترجمة الكوميديا

٤٦٣

٤٨١

٤٩١

٤٩٣

المكتبة

فهرست الصور

فهرست المحتويات

تم طبع هذا الكتاب بالقاهرة

على مطابع دار المعارف بمصر

سنة ١٩٦٤

**LA DIVINA COMMEDIA
DI
DANTE ALIGHIERI**

“florentini nazione sed non moribus”

CANTICA II.

PURGATORIO

TRADUZIONE IN PROSA ARABA

DI

HASSAN OSMAN



**DAR AL MAAREF - CAIRO,
1964**